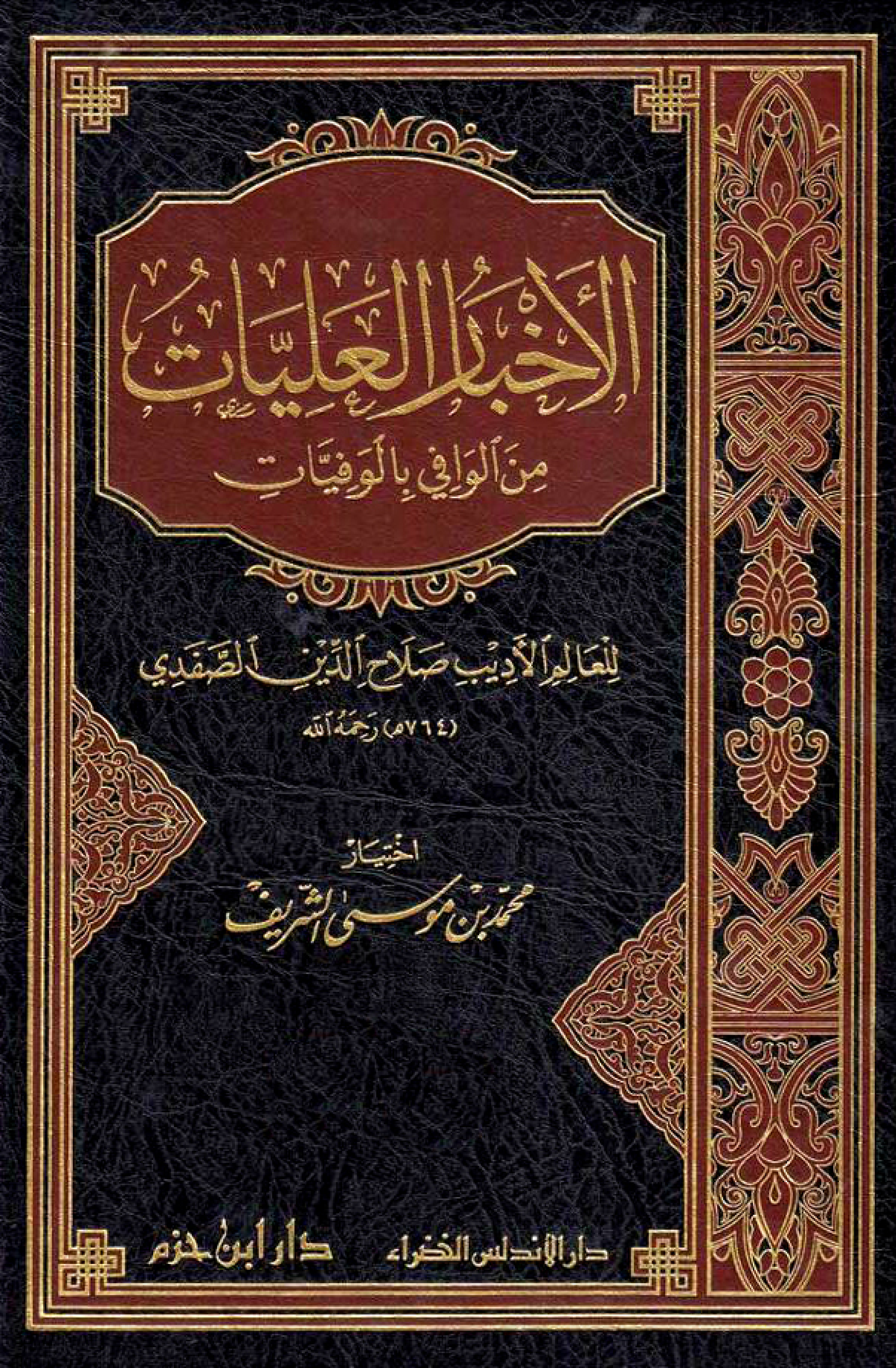


الأخبار العليات
من الوافي بالوفيات
للعالم الأديب صلاح الدين الصفدي
(٧٦٤م) رحمه الله
اختيار
محمد بن موسى الشريف
دار الأندلس الخضراء
دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

الطَّبْعَةُ الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

دار الأندلس الخضراء



جدة / هاتف : ٠٢/٦٨١٠٥٧٧
/ فاكس : ٠٢/٦٨١٠٥٧٨
الرياض / هاتف : ٠١/٢٤٨١٧٠٥
/ فاكس : ٠١/ ٢٤٨١٩٠٥
التوزيع / ٠٥٥٤٤٨١٩٠٥ - ٠٥٤٤٠٤٦٠٦٢



للمكتبات : حي السلامة
هاتف - فاكس : ٦٨٤٥٢٠٩
حي الثغر - شارع باخشب
هاتف: ٦٨١٥٠٢٧ - فاكس: ٦٨١٠٥٧٨



البريد الإلكتروني
alandalos1@gawab.com
ص.ب : ٤٢٣٤٠ جدة ٢١٥٤١

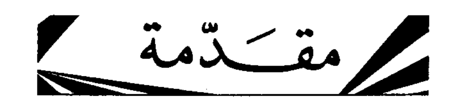
دار ابن حزم

بيروت – لبنان – ص.ب : 14/6366

هاتف وفاكس : 701974 – 300227 (009611)

البريد الإلكتروني : ibnhazim@cyberia.net.lb

الموقع الإلكتروني : www.daribnhazm.com



مقـــدّمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن المسلم مطالبٌ اليوم بإعادة مجد الإسلام التليد، وماضيه السعيد، والمشاركة في عملية التغيير التي تتم الآن على قدمٍ وساق، ومن أجل أن يصنع هذا فلابد من أن يعدَّ نفسه إعداداً إيمانيّاً وثقافيّاً وبدنيّاً جيداً، ولئن سألت عن أحوال خاصة المسلمين-الذين هم أهل التغيير ومادته- فستجد أحوالهم الإيمانية-في الجملة- لا بأس بها، وستعجبك أجسامهم، لكن قضية الضعف الواضحة الظاهرة هي القضية الثقافية التي يَعجَب المرء من تردِّيها عند جمهورهم وأكثرهم، وهذا الأمر بادٍ ظاهر ملحوظ، وأساسه: ضعف الإقبال على القراءة الجادة المطولة، وقلة الاطلاع على مجريات الأحداث تاريخاً وحاضراً، وهذا من جملة الأسباب التي أدت إلى تأخر نضج ثمار الصحوة الإسلامية التي ابتدأت في الظهور-منذ ثلاثين عاماً تقريباً- في العالم الإسلامي؛ إذ كيف ستستطيع الخاصة الوقوف على عِبَر التاريخ البعيد والقريب وعظاته والاستفادة منها وهي لا تقرأ؟! وكيف ستعمل على تجاوز جوانب الضعف وهي لا تكاد تتلمسها؟ وكيف ستقف على تجارب الأمم والشعوب-قديماً وحديثاً- لتستفيد منها وهي لا تطالعها؟! ناهيك بما يُحاك لها من مؤامرات ويدبر لها من مكايد، وهي عنه غافلة أو عاجزة حتى عن الوقوف عليه وأكثره منشور متداول.

من أجل كل ذلك كنت قد ابتدأت-منذ مدة- في العناية بكتب التواريخ المطولة التي هي غنية بالعبر والعظات والأحداث المؤثرة، ورأيت

أن اختصارها وتهذيبها أنفع للعامة والخاصة، وأبلغ في إيصال المطلوب والاطلاع عليه؛ لعلمي أن أكثر أهل زماننا لا يكادون يقرأون شيئاً من هذه المطولات المبسوطات، فوفقني الله – تعالى- لتهذيب «**سير أعلام النبلاء**» الذي نفع الله -تعالى- به عدداً من عباده، ثم أكملت سيرة القرون التي وقف فيها الحافظ الذهبي – رحمه الله تعالى- إلى بدايات القرن الثامن، أكملتها إلى بدايات القرن الرابع عشر بتهذيبي جملة من الكتب وإيداعي ذلك التهذيب في كتاب «**المختار المصون من أعلام القرون**»، وقد هذبت جملة من التواريخ الأخرى المهمة، التي ظهر كل منها في مجلد لطيف، أرجو الله -تعالى- أن ينفع بها.

ومما ظهر أخيراً كتاب «المختار من طبقات الشافعية» للحافظ عبدالوهاب بن علي السبكي، قد اختصرته في مجلد واحد لطيف الحجم، بعد حذف الأخبار المكررة في سير أعلام النبلاء، والأخبار المكررة الواردة في كتاب «الوافي بالوفيات» للصفدي، وكنت قد اشتغلت به وفرغت منه قبل كتاب طبقات الشافعية، وأزعم بهذا أن تراجم القرون الثمانية الأولى قد ورد كثير منها في هذه الكتب الثلاثة: «نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء»، و «المختار من طبقات الشافعية الكبرى»، وهذا الكتاب: «الأخبار العليات من الوافي بالوفيات»، والله تعالى أعلم.

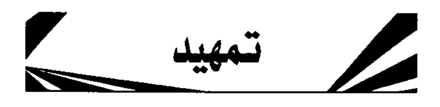
وكنت قد طلبت من إخواني -طلبة العلم- أن يكملوا المسيرة، ويقبلوا على تهذيب الكتب الكبار، وذكرت لهم أسماء مقترحة لكتب لها قدر ووزن، فلم أر منهم الحركة المناسبة، وقد أشار عليَّ عدد من إخواني بمواصلة السير في هذا المضمار وتهذيب ما أرى أهميته من كتب التاريخ، فاخترت كتاب «**الوافي بالوفيات**» للعالم الأديب الصفدي -وهو من أهل القرن الثامن- فهذبته، وقربته إلى القراء الكرام حتى ينتفعوا به، ولا أطلب منهم -بعد الدعاء

لي- إلا القراءة والاهتمام، فقد استصفيت لهم منه صفوته، وطلبت خلاصته؛ حتى أعينهم على زمانهم، وأرغبهم في قراءة ما قد يعجزون عن قراءة أصله، هذا وقد نالني من تلخيصه تعب، ولحقني منه ما أرجو فيه الأجر من النَصَب، والله -تعالى- أسأل التوفيق في القول والعمل، وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه:

محمد بن موسى الشريف

البريد الإلكتروني: mmalshareef@hotmail.com
الموقع على الشبكة: WWW. ALTAREEKH. com



تمهيد

وصف كتاب «الوافي بالوفيات» والسبب الداعي لتهذيبه:

هذا الكتاب درة فاخرة، وكنز ثمين، جمع فيه المصنف آلافاً من تراجم الرجال والنساء، من القرن الأول إلى القرن الثامن، مراعياً إيرادَ أسمائهم على ترتيب الحروف الهجائية، ويقع في ثلاثين مجلداً كبيراً، وقد عُني فيه مصنِّفه بالأدب واللغة والأشعار، مع عنايته بالتواريخ والأخبار، فالناظر فيه يقف على جملة من العلوم والفنون، وينزه الطَرْف في جنات وعيون.

وهنا يبرز سؤال مهم: لماذا جرى التهذيب لهذا الكتاب؟ خاصة أنه يتناول المدة نفسها-تقريباً- التي يتناولها كتاب «**سير أعلام النبلاء**» والمصنف قد عاصر الحافظ الذهبي مؤلف السير؟ وأقول-والله الموفق-: إن الداعي لتهذيب الكتاب جملة أمور، منها:

١- إن الحافظ الذهبي ذكر كثيراً من التراجم، من القرن الأول إلى الثامن، مختصرة، وقد بسط كثيراً منها الصلاح الصفدي، وأكثرها مهم؛ فلذلك عمدت إلى المقارنة بين التراجم في الكتابين، واصطفيت التراجم المهمة التي لم يذكرها الذهبي على الوجه المناسب.

٢- قد فات الحافظَ الذهبي جملة من التراجم المهمة التي ذكرها الصلاح الصفدي فاصطفيتها في التهذيب.

٣- والحافظ الذهبي قد أولى عنايته بالمحدِّثين، وأفرد لهم الصفحات المطولة في السير، بينما لم يفعل الشيء نفسه في طوائف أهل العلم الأخرى، أما الصفدي فهو أديب لغوي؛ وقد أكثر من ذكر الأدباء

واللغويين وعدد كبير من أصحاب العلوم المتنوعة، فكان كتابه بهذا مكملاً لكتاب الحافظ الذهبي -رحمهما الله تعالى- ولا يُستغنى بواحد منهما عن الآخر.

٤- الصحوة المعاصرة تقل عنايتها بالأدب والأشعار، ولا تكاد تلتفت إلى أهمية ذلك في البناء اللغوي والعاطفي للناس، وهذا الكتاب قد حوى جملة وافرة من الشعر وفنون الأدب والنقد البلاغي، على وجه لا أعرفه في كتاب تاريخي آخر، حتى صار أشبه بكتب الأدب منه بكتب التاريخ، فاخترت عدداً من القصائد المناسبة وأودعتها في التهذيب، وكذلك اخترت بعض الأبيات الشعرية في بعض الموضوعات، وذكرت جملة من النقد الأدبي الذي أورده المصنف.

هذه الأسباب الأربعة -إضافة إلى السبب الأصلي، وهو طول الكتاب وعدم قدرة أكثر أهل العصر على قراءته- هي التي دعتني لاختصار هذا السِّفر المهم والعِلْق النفيس الذي فيه من الأخبار الحسان الشيء الكثير.

ميزات كتاب الوافي وجوانب الضعف فيه:

للوافي ميزات كثيرة قد ذكرتها من قبل وهي: اهتمامه بكثير من طبقات العلماء في فنون شتى، وتوسعه في ذكر الأشعار وفنون الأدب، وبسطه لتراجم مهمة وتوسعه فيها، أما جوانب الضعف فيه فهي الآتي، والله أعلم:

١- المؤلف ليس بنقادة للأخبار التاريخية، فهو هنا مفارق للحافظ الذهبي وصنيعه الرائع في السير، وتدقيقه ونقده للأخبار؛ وهذا لأن الصفدي قد جرد همه للأدب والشعر فلم يلتفت لقضية

تمحيص الأخبار وتدقيقها إلا نادراً، أما نقد الشعر فهو فيه الإمام الذي لا يبارى ولا يجارى.

٢- قد أكثر المصنف جداً من ذكر أشعار أهل الفساد والإباحة والمجون، إلى الحد الذي يخشى فيه على قارئ الكتاب من التأثر بما يقرأ من هذا السقوط المريع في ذلك المستنقع الآسن، وأنا أعفي القارئ من ذكر نماذج لهذا الفحش؛ إذ لا يمكن إيراده؛ لكنه يدور حول الزنا واللواط وشرب الخمور واستسهال كل ذلك وإيراده في ثنايا الأشعار – غالباً- والنثر، قليلاً أو نادراً، والعجيب من الصفدي كيف أقدم على هذا وسود به صفحات طويلة من كتابه، لكن هذا مذهب للأدباء القدامى والمحدثين معروف مشهور، سآتي على ذكره بالتفصيل ونقده في مقدمة كتاب سيصدر قريباً، إن شاء الله - تعالى- وهذه أكبر جوانب الضعف في الكتاب بلا شك.

٣- فيه جملة من الأخبار التي لا تصح، والأحاديث الضعيفة والموضوعة.

هذا ولا يَغُرنّ القراءَ ما ذكرته لهم من نقائص، فإني – والله – لم أقرأ كتاباً في التراجم أحلى وألذّ لنفسي منه، فهو من النفائس المذخورة والكرائم المجهولة.

عملي في الكتاب:

١. اعتمدت «نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء» أصلاً، فما كان في «الوافي»مذكوراً في «النزهة» فقد تركته، وما انفردبه «الوافي» أوردته، وما كان من تراجم في الوافي بها زيادات مهمة ليست في

«النزهة» فإني أوردها، وإنما فعلت هذا طلباً للاختصار حتى لايطول التهذيب فيذهب المقصود.

٢. حذفت الفحش والمجون، وحذفت الأخبار الضعيفة والغريبة، وما لا يهم عموم القراء، وأبقيت ما أظنه نافعاً مفيداً، على الوجه الذي ذكرته آنفاً.

٣. أبقيت معظم مقدمة الصفدي لنفاستها، ولتنوع مباحثها، وأهميتها للمبتدئ ولغيره.

٤. عملت فهرست موسعاً للفوائد يمكّن القارئ من الوقوف على بغيته منه.

٥. أبقيت على النافع المهم من تعليقات المحققين، وأضفت إليها جملة وافرة مما رأيته مهماً لشرح ما قد يغمض من المتن أو يدق معناه.

٦. شرحت الغريب، وخرجت الآيات وجملة من الأحاديث.

ملحظ:

اعتمدت في تهذيب الكتاب على طبعة دار: فرانز شتاينر بفيسْبَادن؛ لجودة تحقيقها – في جانب ضبط النص فقط –، وقد اطلعت على طبعة دار إحياء التراث العربي ببيروت أيضاً، فوجدتها مليئة بآلاف الأخطاء المطبعية، وفي سياق بعض أخبارها غموض يدل على سقط أو تصرف، فلم ألتفت إليها، واعتمدت الطبعة التي ذكرتها أولاً، لكن طبعة فيسبادن ناقصة إذ بقي مجلدان تقريباً لم يطبعا فاستفدت من طبعة دار إحياء التراث؛ إذ هي كاملة.

ترجمة الصفدي

هو خليل بن أيبك بن عبدالله، صلاح الدين الصفدي، أديب بارع، مؤرخ، كثير التصانيف الممتعة، شارك في الفنون.

ولد في صفد بفلسطين عام ٦٩٦هـ وإليها نسبته، وتعلم في دمشق، ثم ولع بالأدب وتراجم الأعيان، وتولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب، ثم وكالة بيت المال في دمشق، فتوفي فيها عام ٧٦٤هـ وكتب الخط الجديد، وقال الشعر الحسن، وأكثر جداً من النظم والنثر والترسل، وكان محبباً إلى الناس، حسن المعاشرة، جميل المودة، وكان قد ثقل سمعه في آخر حياته. له زهاء مائتي كتاب في التراجم والتاريخ واللغة والأدب وغيرها. رحمه الله رحمة واسعة[1] .

---

(١) وانظر ((طبقات الشافعية الكبرى)) للسبكي: ١٠/ ٥-٣٢، و ((الدرر الكامنة)) لابن حجر: ٢/ ١٧٦-١٧٧، و ((الأعلام)) للزركلي: ٢/ ٣١٥-٣١٦.

مقدمة المصنف

بسم الله الرحمن الرحيم

عونك اللهم وعفوك

الحمد لله الذي قهر العباد بالموت، ونادى بالفَناء في فِنائهم، نحمده على نعمه التي جعلت بصايرنا تجول في مرآة العبر، وتقف بمشاهدة الآثار على أحوال مَن غبر.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تقر له بالبقاء السرمد، وتجرد من التوحيد سيوفاً، لم تزل في مفارق أهل الشرك تُغمد، وتبعث لنا في ظلمات اللحود أنواراً لا تخبو أشعتها ولا تخمد، ونشهد أن محمداً -سيدنا- عبده ورسوله الذي أنذر به القوم اللُدّ[1]، وأنزل عليه في محكم كتابه العزيز ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾[2]، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين خفقَتْ بهم عَذبات الإسلام، ونُشرت أعلام عِلمهم حتى استبانت للهدى أعلام، واتضحت بهم غُرَر الزمن، حتى انقضت مُدَدُهم فكأنها وكأنهم أحلام، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، وبعد:

فلما كانت هذه الأمة -المرحومة- خير أمة أخرجت للناس، علماؤها

---

(١) أي الشديدي الخصومة.

(٢) سورة الأنبياء: ٣٤.

كأنبياء بني إسرائيل، وفضلاؤها أربوا على حكماء الهند واليونان في التعليم والتعليل، كم فيهم من فرد جمع المفاخر، وكاثرت مناقبه البحور الزواخر، وغدا في الأوائل وهو إمام فات سوابق الأواخر:

إذا قال لم يترك مقالاً لقايل   بملتئمات لا يُرى بينها فصلا

كفى وشفى ما في النفوس فلم يدع   لذي إربة في القول جدّاً ولا هزلا

جمع المؤرِّخون-رحمهم الله تعالى- أخبار تلك الأحبار، ونظموا سلوك تلك الملوك، وصانوا فصوص تلك الفصول، فوقفت على تواريخ ماتت أخبارها في جلدها، ودخلت بتسطيرها الذي لا يبلى جنّةَ خلدها.

ورأيتُ كلاًّ ما يعلل نفسَهُ   بتَعِلّةٍ وإلى الممات يصير

ووجدت النفسَ تستروح إلى مطالعة أخبار من تقدّم، ومراجعة آثار من خرب رَبْع عمره وتهدَّم؛ لأن المطّلع على أخبار من درج، ووقائع من غاب في غاب الموت وما خرج، ومآثر من رقى إلى سماء السيادة وعرج، ومناقب من ضاق عليه خِناق الشدّة إلى أن فتح له باب الفرج، يعود كأنه عاصر أولئك، فكأنما أولئك القوم لِداته وأترابه، ومن ساءه منهم أعداؤه، ومن سرّه أحبابه، لكنهم درجوا في الطليعة من قبله، وأتى هو في الساقة على مَهله:

وما نحن إلاّ مثلهم غير أنهم   مضوا قبلنا قدماً ونحن على الأثر

والتاريخ للزمان مرآة، وأخبار الماضين لمن عاقر الهموم ملهاة:

لولا أحاديث أبقتها أوائلنا   من النَدَى والرَدَى لم يُعرف السمرُ

وما أحسن قول الأرّجانيّ:

إذا عرف الإنسان أخبار من مضى   توهّمته قد عاش في أوّل الدهر

وتحسبه قد عاش آخر دهره إلى الحشر أن أبقى الجميل من الذكر

فقد عاش كلَّ الدهر من كان عالماً كريماً حليماً فاغتنم أطول العمر

وربما أفاد التاريخ حزماً وعزماً، وموعظة وعلماً، وهمَّة تُذهبُ همّاً، وبياناً يزيل وهناً ووَهماً، وصبراً يبعثه التأسي بمن مضى، واحتساباً يوجب الرضا بما مرّ وحلا من القضا:

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾[1].

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[2].

فأحببت أن أجمع من تراجم الأعيان من هذه الأمّة الوَسَط، وكَمَلة هذه الملة التي مدّ الله - تعالى- لها الفضل الأوفى وبسط، ونجباء الزمان وأمجاده، ورؤوس كل فضل وأعضاده، وأساطين كلّ علم وأوتاده، وأبطال كل ملحمة وشجعان كل حرب، وفرسان كل معرك، لا يسلمون من الطعن ولا يخرجون عن الضرب، ممن وقع عليه اختيار تتبعي واختباري، فلا أغادر أحداً من الخلفاء الراشدين، وأعيان الصحابة والتابعين، والملوك والأمراء، والقضاة والعمال والوزراء، والقراء والمحدثين والفقهاء والمشايخ والصلحاء، وأرباب العرفان والأولياء، والنحاة والأدباء والكتاب والشعراء، والأطباء والحكماء والألباء والعقلاء، وأصحاب النِّحل والبدع والآراء، وأعيان كل فن اشتهر ممن أتقنه من الفضلاء من كل نجيب مجيد ولبيب مفيد، ولم أخِلَّ بذكر وفاة أحد منهم إلا فيما ندر وشذ.

---

(١) سورة هود: ١٢٠.

(٢) سورة يوسف: ١١١.

أردت النفع به للمحدّث والأديب، والرغبة فيه للّبيب والأريب، وجعلت ترتيبه على الحروف وتبويبه، وتذهيب وضعه بذلك وتهذيبه.

وسردت ذكر المحمدين إلى عصري[1]، وأبناء زماني الذين أينع زهرهم في روض دهري، ثم أذكر الباقين من حرف الألف إلى الياء على توالي الحروف.

وقد قدّمت قبل ذلك مقدمة فيها فصولٌ فوائدها مهمة، وقواعدها يملك الفاضلُ بها من الإتقان أَزمَّة[2]، وقد سمّيته «**الوافي بالوفيات**» ومن الله -تعالى- أطلب الإغاثة بالإعانة، وأستمدّ منه التوفيق لطريق الإنابة والإبانة، وأستعينه على زمان غلبَتْ فيه الزَمانة[3]، لا ربَّ غيره يُنَوِّلُ العبدَ مُناه وأمانه، ولا إله إلا هو سبحانه، هو حسبي ونعم الوكيل.

***

---

(١) كان عدد من المصنفين يبدأون بمن اسمه محمد تأدباً ثم يسردون باقي التراجم على حروف الهجاء، وبعضهم كان يبدأ بمن اسمه عبدالله إذا جاء إلى حرف العين ثم يسرد باقي من اسمه يبدأ بالعين على الترتيب؛ وتأدباً أيضاً.

(٢) جمع زمام، وهو الحبل.

(٣) الزمانة: الأمراض المزمنة.

المقدمة وفيها فصول:

الفصل الأول

كانت العرب تؤرِّخ في بني كنانة من موت كعب بن لـؤيّ، فلمـا كـان عام الفيل أرَّخت منه، وكانت المدّة بينهما مائة وعشرين سنة، وأما الـزبير ابن بكّار فذكر أنها كانت تؤرِّخ بوفاة هشام بن المغـيرة تـسع سـنين إلى أن كانت السنة التي بَنوا فيها الكعبة فأرّخوا بها، انتهى.

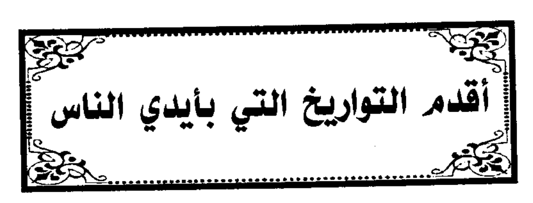
وأرخ بنو إسماعيل -عليه السلام- من نار إبراهيم -عليه الـسلام- إلى بنائه البيت، ومن بنائه البيت إلى تفرّق مَعَـدّ، ومـن تفـرق معـد إلى مـوت كعب بن لؤيّ.

وكانت العرب -قديماً- تؤرّخ بـالنجوم، وهـو أصـلُ قولـك: نجّمـتُ على فلانٍ كذا حتى يؤدّيه في نجوم[1].

* * *

---

(١) أي أقساط.



أقدم التواريخ التي بأيدي الناس

زعم بعضهم أن أقدم التواريخ تاريخ القبط؛ لأنه بعد انقضاء الطوفان.

وأقرب التواريخ المعروفة تاريخ يزدجرد بن شهريار الملك الفارسي، وهذا هو تاريخ أرّخه المسلمون عند افتتاحهم بلاد الأكاسرة، وهي البلاد التي تسمّى: بلاد إيران شهر.

وأما التاريخ المعتضدي فما أظنّه تجاوز بلاد العراق.

وفيما بين هذه التواريخ تواريخ القبط والروم والفرس وبني إسرائيل وتاريخ عام الفيل.

وأرخ الناس بعد ذلك من عام الهجرة. وأول من أرّخ الكتب من الهجرة عمر بن الخطاب ﵁ في شهر ربيع الأول سنة ست عشرة وكان سبب ذلك: أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر ﵁ أنه يأتينا من قِبَل أمير المؤمنين كتبٌ لا ندري على أيها نعمل قد قرأنا صكّاً منها محلّه شعبان، فما ندري أي الشعبانين الماضي أو الآتي فعمل عمر ﵁ على كَتْب التاريخ، فأراد أن يجعل أوله رمضان فرأى أن الأشهر الحُرُم تقع حينئذ في سنتين، فجعله من المحرم -وهو آخرها- فصيّره أولاً لتجتمع في سنة واحدة، وكان قد هاجر ﷺ يوم الخميس لأيام من المحرم، فمكث مهاجراً بين سَيْر ومُقام حتى دخل المدينة شهرين وثمانية أيام.

***

الفصل الثاني

في بيان العَلَم والكنية واللقب وكيفية ترتيب ذلك مع النسبة على اختلافهم المتنوّع:

اعلم أن الدالّ على معيَّن مطلقاً: إما أن يكون مصدَّراً بأب أو أُم: كأبي بكر وأبي الحسن، أو كأم كلثوم وأم سلمة.

وإما أن يُشعر برفعة المسمَّى: كأنف الناقة ومُلاعب الأسنّة وعروة الصعاليك وزيد الخيل، والرشيد والمأمون والواثق والمكتفي والظاهر والناصر وسيف الدولة وعضد الدولة، وجمال الدين وعز الدين، وإمام الحرمين وحُجّة الإسلام وملك النحاة.

وإما أن يُشعر بضَعة المسمَّى[1]: كجُحى، وشيطان الطاق، وأبي العبر، وجَحْظة والعَكَوَّك.

وقد لا يُشعر بواحد منهما بل أُجري عليه ذلك لواقعة جرت، مثل: غسيل الملائكة، وحميّ الدَبْر، ومُطَيّن، وصالح جَزَرة، والمُبرِّد وثابت قُطْنة، وذي الرُمّة، والصَعِق، وصُرَّ دُرَّ، وحَيْص بَيْص، فهذه الأقسام الثلاثة تسمى الألقاب.

وإلا فهو الاسم الخاصّ كزيد وعمرو وهذا هو العَلَم، وقد يكون العلم مفرداً كما تقدم، وقد يكون مركّباً إما من فعل وفاعل: كتأبّط شرّاً وبَرَقَ نَحْرُهُ، وإما من مضاف ومضاف إليه: كعبد الله، وإما من اسمين قد رُكّبا وجُعلا بمنزلة اسم واحد: كسيبويه.

---

(١) أي بحقارته.

والمفرد قد يكون مُرْتَجَلاً، وهو الذي ما استعمل في غير العَلَمية كمَذْحِج وأُدَد.

وقد يكون منقولاً إما من مصدر: كسعد وفضل، أو من اسم فاعل: كعامر وصالح، أو من اسم مفعول: كمحمد ومسعود، أومن أفعل تفضيل: كأحمد وأسعد، أو من صفة: كثقيف وهو الدَرِب بالأمور الظافر بالمطلوب، وسلول وهو الكثير السَلّ.

وقد يكون منقولاً من اسم عين: كأسد وصقر.

وقد يكون منقولاً من فعل ماضٍ: كأبان وشمّر، أو من فعل مضارع: كيزيد ويشكر.

ثمرة هذا المطلوب:

إذ قد عرفت العَلَم والكنية واللقب فسردها يكون على الترتيب: تقدم اللقب على الكنية، والكنية على العَلَم، ثم النسبة إلى البلد، ثم إلى الأصل، ثم إلى المذهب في الفروع، ثم إلى المذهب في الاعتقاد، ثم إلى العِلم أو الصناعة أو الخلافة أو السلطنة أو الوزارة أو القضاء أو الإمرة أو المشيخة أو الحجّ أو الحرفة، كلها مقدّم على الجميع فتقول في الخلافة: أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبو العباس أحمد السامرِّي -إن كان ولد بسرَّ من رأى- البغداديّ -فرقاً بينه وبين الناصر الأموي صاحب الأندلس- الشافعي الأشعري- إن كان يتمذهب في الفروع بفقه الشافعي ويميل في الاعتقاد إلى أبي الحسن الأشعري- ثم تقول: القرشي الهاشمي العباسي.

وتقول في السلطنة: السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس الصالحي -نسبةً إلى أستاذه الملك الصالح- التركي الحنفي البندقدار -أو السلاح دار-[1].

وتقول في الوزراء: الوزير فلان الدين أبو كذا فلان، وتسرد الجميع كما تقدّم ثم تقول: وزير فلان.

وتقول في القضاة كذلك: القاضي فلان الدين وتسرد الباقي كما تقدم.

وتقول في الأمراء كذلك الأمير: فلان الدين وتسرد الباقي إلى أن تجعل الآخر وظيفته التي كان يعرف بها قبل الإمرة مثل: الجاشنكير[2] أو الساقي أو غيرهما.

وتقول في أشياخ العلم:

العلاّمة أو الحافظ أو المُسنِد -فيمن عُمّر وأكثر الرواية - أو الإمام أو الشيخ أو الفقيه وتسرد الباقي إلى أن تختم الجميع: بالأصوليّ أو النحوي أو المنطقي.

---

(١) البندق دار : دار بمعنى صحاب، والبُندق هو ما يُرمى به الطيور ونحوها. وسلاح دار أي القائم على السلاح، وانظر((لسان العرب)): بندق، و ((المختصر في المسميات التاريخية)) لإبراهيم الأقصم: ٢١-٥٢.

(٢) هو الذي يتصدى لتذوق المأكول والمشروب قبل السلطان أو الأمير خوفاً من أن يُدس عليه فيه سم، ويتألف اللفظ من كلمتين فارستين: جاشا ومعناها الذوق، وكير أي المتعاطي ((معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي)) لدهمان : ٥٠.

وتقول في أصحاب الحِرَف:

فلان الدين وتسرد الجميع إلى أن تقول الحرفة إما البزّاز أو العطّار أو الخيّاط.

فإنْ كان النسب إلى أبي بكر الصديق ﷺ قلت: القرشي التيمي البكري؛ لأن قريشاً أعمّ من أن يكون تيميّاً، والتيمي أعمّ من أن يكون من ولد أبي بكر ﷺ.

وإن كان النسب إلى عمر بن الخطاب ﷺ قلت: القرشي العدوي العمري.

وإن كان النسب إلى عثمان بن عفان ﷺ قلت: القرشي الأموي العثماني.

وإن كان النسب إلى علي بن أبي طالب ﷺ قلت: القرشي الهاشمي العلوي.

وإن كان النسب إلى طلحة ﷺ قلت: القرشي التيميّ الطلحي.

وإن كان النسب إلى الزبير ﷺ قلت: القرشي الأسدي الزبيري.

وإن كان النسب إلى سعد بن أبي وقّاص ﷺ قلت: القرشي الزهري السعدي.

وإن كان النسب إلى سعيد ﷺ(١) قلت: القرشي العدوي السعيدي، إلا أنه ما نسب إليه-فيما أعلم- .

---

(١) هو سعيد بن زيد بن نفيل ﷺ .

وإن كان النسب إلى عبد الرحمن بن عوف ﷺ قلت: القرشي الزهري العوفي من ولد عبد الرحمن بن عوف.

وإن كان النسب إلى أبي عبيدة بن الجراح قلت: القرشي من ولد أبي عبيدة؛ على أنه ما أعقب.

هذا الذي ذكرته ههنا هو القاعدة المعروفة والجادّة المسلوكة المألوفة عند أهل العلم، وإن جاء في هذا الكتاب في بعض التراجم ما يخالف ذلك من تقديم وتأخير، فإنما هو سبق من القلم وذهول من الفكر، وإنما قررت هذه القاعدة ليُرَد ما خالف الأصل إليها، وبالله التوفيق.

الفصل الثالث: في الهجاء

وهو معرفة وضع الخط ورسمه، وحذف ما حذف وزيادة ما زيد، وإبدال ما أبدل واصطلاح ما تواضع عليه العلماء من أهل العربية والمحدثين والكتاب، وهذا الباب جليل في نفسه قَلّ من أتقنه، والمحدث والمؤرخ شديد الحاجة إليه، فأذكر ههنا مهم هذا الباب فأقول:

أكثر ما تجري أوضاع الكتابة -التي تحتاج إلى البيان- في الهمزة والألف والواو والياء.

الهمزة همزتان: همزة قطع، وهمزة وصل، فهمزة الوصل قد حذفت في مواضع منها: إذا اتصلت باسم الله تعالى -خاصة- نحو: بسم الله؛ لكثرة دورها في الكلام، ولم يفعلوا ذلك في باقي أسماء الله الحسنى في مثل: باسم ربك وباسم الرحمن، وأجاز الكسائي الحذف في هذا، فإن اتصلت بغير الباء لم تحذف: كاسم الله ولِاسم الله.

ومنها: همزة ابن إذا ما وقعت بين علمين، فتكتب: أحمد بن محمد، فإن كانت بين غير علمين: كعلم وكنية وبالعكس أو غير الكنية فتكتب: محمد ابن أبي بكر، ومحمد ابن جمال الدين ومحمد ابن الأمير وغيره، وبعضهم أجراها على الحذف في هذه المواطن، ولا أرضاه.

فإن وقع ابن أول السطر وهو بين علمين أثبتت ألفه، وبعضهم أجراه في ابنة فقال: فاطمة بنت محمد، ولا أراه؛ لقلته.

وجرت عادة المحدثين والمؤرِّخين والأدباء إذا جاء ذكر آية من القرآن الكريم أو حديث مشهور أو بيت شعر اشتهر، أو تقدم ذكره آنفاً، أن يذكر أول الآية ثم يقول: «الآيةَ» بالنصب؛ على إضمار: أريد أو أعني، وكذا يذكر لفظاً من الحديث ويقول: الحديثَ، وأول البيت ويقول: البيتَ وبعضهم يقرأ الآية ويكمل الحديث إن كان يحفظه، وهو الأحسن، وبعضهم يقتصر على لفظه كما هو مكتوب لكنه يحسن أن يقف عليه قليلاً.

***

الفصل الرابع

جرت عادة المؤرِّخين أنهم يرتبون مصنفاتهم إما على السنين، وهو الأليق بالتاريخ؛ لأن الحوادث والوقايع تجيء فيه مرتبة متتالية.

ومنهم من يرتبها على الحروف، وهو الأليق بالتراجم؛ فإن الرجل المذكور في الحرف يذكر ما وقع له في السنين المتعددة في موضعه دفعة واحدة، إما بإجمال-وهو الأكثر- وإما بتفصيل وهو قليل.

وأحسن ترتيب في الحروف ما رتب على حروف أهل المشرق، وهي ألف باء تاء ثاء جيم حاء خاء، ثم تسرد متماثلين متماثلين إلى كاف لام ميم نون هاء واو لام ألف ياء، وبعضهم قدم الواو على الهاء، ومنهم الجوهري في صحاحه[1].

فأما حروف المغاربة فإنهم وافقوا المشارقة من أولها إلى الزاي، ثم قالوا طاء ظاء كاف لام ميم نون صاد ضاد عين غين فاء قاف سين شين هاء واو ياء.

وترتيب المشارقة أحسن وأنسب؛ لأنهم أثبتوا الألف أولاً وأتوا بالباء والتاء والثاء ثلاثة وبعدها: جيم حاء خاء ثلاثة متشابهة في الصور أيضاً، ثم إنهم سردوها كل اثنين اثنين متشابهين إلى القاف وأتوا بعد ذلك بما لم يتشابه، فكان ذلك أنسب.

---

(١) معجم للعربية مشهور، اختصره الرازي في ((مختار الصحاح)).

وبعضهم رتب ذلك على حروف أبجد، وليس بحسن.

وبعضهم رتب ذلك على مخارج الحروف، وهم بعض أهل اللغة كصاحب المحكم والأزهري، والتحقيق أن تقول: همزة ألف باء تاء ثاء فإن الهمزة غير الألف وهذه النكتة تنفع من يرتب الشعر على القوافي فيذكر الهمزة أولاً والألف ثانياً ويجيء فيها المقصور كله.

كيفية ضبط حروف المعجم :

قالوا: الباء الموحدة، وبعضهم يقول: الباء ثاني الحروف.

والتاء المثناة من فوق؛ لئلا يحصل الشبه بالياء؛ فإنها مثناة ولكنها من تحت، وبعضهم قال: ثالث الحروف.

والثاء المثلثة، والجيم، والحاء المهملة، والخاء المعجمة والدال المهملة، والذال المعجمة، والراء، والزاي، وبعضهم يقول: الراء المهملة، والزاي المعجمة، والسين المهملة، والشين المعجمة، والصاد المهملة والضاد المعجمة والطاء المهملة والظاء المعجمة، والعين المهملة، والغين المعجمة، والفاء، والقاف، والكاف، واللام، والهاء، والواو، والياء المثناة من تحت، وبعضهم يقول: آخر الحروف.

تتمة:

إذا أرادوا ضبط كلمة: قيدوها بهذه الأحرف على هذه الصورة، فإن أرادوا لها زيادة بيان قالوا: على وزن كذا، فيذكرون كلمة توازنها، وهي أشهر منها كما إذا قيدوا: فَلُوّاً وهو: المهر، قالوا فيه: بفتح الفاء وضم

اللام وتشديد الواو على وزن عَـدُوّ، فحينئـذٍ يكـون الحـال قـد اتـضح، والإشكال قد زال.

الفصل الخامس: في فوائد التاريخ

منها واقعة رئيس الرؤساء[1] مع اليهودي الذي أظهر كتاباً فيه أن رسول الله ﷺ أمر بإسقاط الجزية عن أهل خيبر، وفيه شهادة الصحابة منهم: علي بن أبي طالب ﷺ فحمل الكتاب إلى رئيس الرؤساء، ووقع الناس به في حيرة، فعرضه على الحافظ أبي بكر خطيب بغداد[2]، فتأمله وقال: إن هذا مزور، فقيل له: من أين لك ذلك؟ فقال: فيه شهادة معاوية ﷺ وهو أسلم عام الفتح، وفتوح خيبر سنة سبع، وفيه شهادة سعد بن معاذ، ومات سعد ﷺ يوم بني قريظة قبل خيبر بسنتين، ففرج ذلك عن المسلمين غمّاً.

ورُوي عن إسماعيل بن عياش أنه قال: كنت بالعراق فأتاني أهل الحديث فقالوا: ههنا رجل يحدث عن خالد بن معدان، فأتيته فقلت: أي سنة كتبت عن خالد بن معدان؟ فقال: سنة ثلاث عشرة يعني ومائة، فقلت: إنك تزعم أنك سمعت منه بعد موته بسبع سنين؛ لأن خالداً مات سنة ست ومائة.

***

(١) هو أبو القاسم علي بن الحسن بن المُسْلمة، أبو هاشم، وزير القائم بأمر الله العباسي، رحمه الله تعالى.

(٢) أي الخطيب البغدادي العالم المشهور: أحمد بن علي بن ثابت، توفي سنة ٤٦٣، رحمه الله تعالى، انظر ترجمته في ((سير أعلام النبلاء)): ١٨/ ٢٧٠-٢٩٧.

الفصل السادس: في أدب المؤرِّخ

نقلت من خط الإمام العلامة الحجة شيخ الإسلام قاضي القضاة، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي[1] ما صورته قال:

يشترط في المؤرخ الصدق.

وإذا نقل يعتمد اللفظ دون المعنى[2].

وألاّ يكون ذلك الذي نقله أخذه في المذاكرة وكتبه بعد ذلك[3].

وأن يسمي المنقول عنه، فهذه شروط أربعة فيما ينقله.

ويشترط فيه -أيضاً- لما يترجمه من عند نفسه، ولما عساه يطول في التراجم من النقول ويقصر- أن يكون عارفاً بحال صاحب الترجمة علماً وديناً وغيرهما من الصفات، وهذا عزيز جداً[4].

---

(١) إمام مشهور قد عاصره الصفديّ، وهو مصري ثم شامي. توفي بمصر سنة ٧٥٦ رحمه الله تعالى. انظر ترجمته في ((شذرات الذهب)) لابن العمار: ١٠/ ١٨٠-١٨١.

(٢) في هذا الشرط نزاع والأصح أنه إذا عبر عنه بألفاظ قريبة جاز، والله أعلم.

(٣) حتى لا يفوت منه شيء، والمذاكرة أي المراجعة مع الأقران.

(٤) لذلك يصعب تطبيق هذا الشرط، والصحيح أنه يكتفي فيه بالمعرفة التي يجزم معها المؤرخ بصحة ما نقل.

وأن يكون حسن العبارة، عارفاً بمدلولات الألفاظ.

وأن يكون حسن التصور حتى يتصور حال ترجمته جميع حال ذلك الشخص، ويعبر عنه بعبارة لا تزيد عليه ولا تنقص عنه[1].

وألاَّ يغلبه الهوى فيخيل إليه هواه: الإطناب في مدح من يحبه، والتقصير في غيره، بل إما أن يكون مجرداً عن الهوى، وهو عزيز، وإما أن يكون عنده من العدل ما يقهر به هواه، ويسلك طريق الإنصاف.

فهذه أربعة شروط أخرى ولك أن تجعلها خمسة؛ لأن حسن تصوره وعلمه قد لا يحصل معهما الاستحضار حين التصنيف، فيجعل حضور التصور زايداً على حسن التصور والعلم فهي تسعة شروط في المؤرخ، وأصعبها: الاطلاع على حال الشخص في العلم؛ فإنه يحتاج إلى المشاركة في علمه والقرب منه حتى يعرف مرتبته.

وما ذكرت هذا الكلام إلا بالنسبة إلى تواريخ المتأخرين؛ فإنه قَلّ فيها اجتماع هذه الشروط، وأما المتقدمون فإني أتأدب معهم.

لكني رأيت -حال كتابتي هذه- شيئاً لا بأس بذكره هنا، وهو أن أبا الوليد الباجي المالكي حكى في كتابه المسمى: تاريخ الفقهاء، عن غيره أن يحيي بن معين ضعّف الشافعي، فبلغ ذلك أحمد بن حنبل، فقال: هو لا يعرف الشافعي ولا يعرف ما يقول، انتهى.

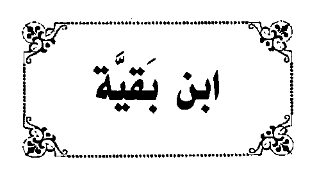
قلت: هذه الشروط تلزم الذي يعمل تأريخاً على التراجم، أما من

---

(١) هذا الشرط عسير التطبيق لكن يُسدد المؤرخ ويقارب.

يعمل تأريخاً على الحوادث، فلا يشترط فيه ذلك؛ لأنه ناقل الوقايع التي يتفق حدوثها فيشترط فيه أن يكون مثبتاً عارفاً بمدلولات الألفاظ، حسن التصور، جيد العبارة.

***



ابن بَقيَّة

محمد بن محمد ابن بَقيَّة[1] الوزير، أبو الطاهر نصير الدولة، وزير عز الدولة بُخْتُيار بن معز الدولة ابن بويه.

كان من جلة الوزراء وأكابر الرؤساء وأعيان الكرماء، وكان من أهل أوانا من عمل بغداد.

وفي أول أمره توصل إلى أن صار صاحب مطبخ معز الدولة، ثم تنقل في غير ذلك من الخِدَم، ولما مات معز الدولة حسنت حاله عند ولده عز الدولة، ورعى له خدمته لأبيه؛ فاستوزره في ذي الحجة سنة اثنتين وستين وثلثمائة، فقال الناس: من الغضارة[2] إلى الوزارة.

[١] وستر عيوبَه كرمُه؛ خَلَع في عشرين يوماً عشرين ألف خِلْعة[3].

[٢] وقال أبو إسحق الصابئ: رأيته في ليلة يشرب، كلما لبس خلعة خلعها على أحد الحاضرين فزادت على مائة، فقالت له مغنية: في هذه الخلع زنابير ما تدعك تلبسها، فضحك وأمر لها بحُقّة حليّ[4].

---

(١) جرت عادة بعض المصنفين أن يبدأ كتابه بذكر من اسمه واسم أبيه محمد، ثم يثني بمن اسمه محمد دون اسم أبيه، وصنيعهم هذا لمزيد التوقير للنبي الأعظم ﷺ وقد ذكر ذلك في المقدمة.

(٢) الغضارة: الطين اللزج الأخضر الحر. تتخذ منه الأواني وما يتصل بالمطبخ: ((المعجم الوسيط)): ٢/ ٦٥٤.

(٣) الخِلعة: اللباس من الحلة وغيره، وخلع أي ألبس.

(٤) الحقة: وعاء صغير.

ثم إنه قبض عليه لسبب يطول ذكره حاصله أنه حمله على محاربة ابن عمه عضد الدولة، فالتقيا على الأهواز وكسر عز الدولة، وفي ذلك يقول أبو عنان الطبيب بالبصرة:

أقام على الأهواز خمسين ليلة ... يدبر أمر الملك حتى تدمرا

فدبر أمراً كان أوله عمى ... وأوسطه بلوى وآخره خرى

ولما قبض عليه بمدينة واسط سمل عينيه ولزم بيته إلى أن مات عز الدولة، ولما ملك عضد الدولة بغداد طلبه؛ لما كان يبلغه عنه من الأمور القبيحة، منها أنه كان يسميه أبا بكر الغُدَدي تشبيهاً له برجل أشقر أنمش يبيع الغدد للسنانير، والظاهر أن أعداءه كانوا يفعلون به ذلك ويفتعلونه، فلما حضر ألقاه تحت أرجل الفيلة، فلما قتلته صلبه بحضرة البيمارستان العضدي ببغداد، وذلك يوم الجمعة لست خلون من شوال سنة سبع وستين وثلثمائة وكان عمره قد نيف على الخمسين.

[٣] ورثاه أبو الحسن محمد بن عمر بن يعقوب الأنباري أحد العدول ببغداد بقصيدة لم أر في مصلوب أحسن منها وأولها:

عُلُوٌّ في الحيوة وفي الممات ... بحق أنت إحدى المعجزات

كأن الناسَ حولك حين قاموا ... وفودُ نداك أيام الصلات

كأنك قائمٌ فيهم خطيباً ... وكلهمُ قيام للصلاة

مددت يديك نحوهمُ احتفاءً ... كمدِّكَها إليهم بالهبات

ولما ضاق بطن الأرض عن أن ... يضم عُلاكَ من بعد الممات

أصاروا الجو قبرك واستنابوا ... عن الأكفان ثوب السافيات[١]

(١) هي الريح إذا سفت التراب.

لعِظْمك في النفوس تبيت تُرعى		بحفاظٍ وحراس ثقات
وتُشعل عندك النيران ليلاً		كذلك كنت أيام الحياة
ركبتَ مطية من قبلُ زيد		علاها في السنين الماضيات
ولم أر قبل جذعك قط جذعاً		تمكن من عناق المكرمات
أسأت إلى النوائب فاستثارت		فأنت قتيل ثأر النائبات
وكنت تجير من صرف الليالي		فعَاد مطالباً لك بالتِرات[1]
وصير دهرك الإحسان فيه		إلينا من عظيم السيئات
وكنت لمعشر سعداً فلما		مضيت تفرقوا بالمُنْحِسات
غليل باطن لك في فؤادي		يخفف بالدموع الجاريات[2]
ولو أني قدرت على قيام		بفرضك والحقوق الواجبات
ملأت الأرض من نظم القوافي		ونحت بها خلاف النائحات
وما لك تربة فأقول تسقى		لأنك نصب هطل الهاطلات[3]
عليك تحية الرحمن تترى		برحمات غَوادٍ رائحات

وكتبها الشاعر المذكور ورمى بها نسخاً في شوارع بغداد فتداولها الأدباء إلى أن وصل خبرها إلى عضد الدولة وأنشدت بين يديه، فتمنى أن

---

(١) تِرات جمع ترة، ووتر فلاناً يتره وَتْرا، وترةً: قتل حميمه وأدركه بمكروه، والتِرة هنا بمعنى القتال والثأر، انظر ((المعجم الوسيط)):٢/ ١٠٢٠.

(٢) الغليل هنا بمعنى حرارة الحب والحزن، انظر ((القاموس المحيط)): ٤/ ٢٦.

(٣) الهطل: المطر المتتابع، النصب: العلم المنصوب أو ما يقال من بناء ذكرى لشخص أو حادثة: ((المعجم الوسيط)): ٢/ ٩٢٥،٩٨٨.

يكون هو المصلوب دونه وقال: عليّ بهذا الرجل، فطلب سنة كاملة واتصل الخبر بالصاحب ابن عبَّاد فكتب له إلى عضد الدولة بالأمان، فحضر إليه فقال له الصاحب: أنشدنيها، فلما بلغ:

ولم أر قبل جذعك قط جذعاً   تمكن من عناق المكرمات

قام إليه وقبل فاه وأنفذه إلى عضد الدولة، فقال له: ما حملك على رثاء عدوي؟ قال: حقوق وجبت، وأياد سلفت[1]، فجاش الحزن في قلبي فرثيت[2].

(١) الأيادي: النعم.

(٢) الوافي بالوفيات: ١/ ١٠٠-١٠٣.

أبو نصر الفارابي

محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، أبو نصر التركي الفارابي، الحكيمُ فيلسوف الإسلام.

قدم بغداد، وأدرك بها متَّى بن يونس الفيلسوف فأخذ عنه، وسار إلى حَرّان فلزم يوحنا بن حبلان النصراني، وأخذ عنه، وأتقن ببغداد اللغة، وقيل: إنه ما أخذ الفلسفة إلا من اللغة اليونانية؛ لأنه كان بها -وبغيرها- من اللغات عارفاً.

وكان قد برع في الحكمة، ومهر في الموسيقى، ويقال: إنه أول من وضع الآلة المعروفة (بالقانون) وركَّبها هذا التركيب.

[٤] وذكر القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان حكايته التي جرت له مع سيف الدولة ابن حمدان، وأنه دخل عليه بزيٍّ الأتراكِ -وكان لا يفارقه- فقال له: اقعد.

فقال: حيث أنا أوحيث أنت؟

فقال: حيث أنت.

فتخطى الناس حتى انتهى إلى مسند سيف الدولة، وزحمه فيه حتى أخرجه عنه، وكان على رأس سيف الدولة مماليك له معهم لسان خاص يسارهم به، فقال لهم بذلك اللسان: هذا الشيخ أساء الأدب فأَخْرِقوا به[١].

---

(١) أي أدِّبوه.

فقال له أبو نصر بذلك اللسان: إن الأمور بعواقبها، فعجب سيف الدولة وقال: أتحسن هذا اللسان.

فقال: أحسن أكثر من سبعين لساناً.

وأنه ناظر من كان في المجلس من أئمة كل فن فلم يزل كلامه يعلو وهم يستفِلون، إلى أن صمت الجميع، فعرض عليه سيف الدولة -بعد انصراف الفضلاء- الأكل والشرب فامتنع، فقال له: ولا تسمع؟ قال: نعم، فأحضر القيان فلم يحرك أحد آلته إلا وعابه أبو نصر، ثم أخرج من وسطه خريطة وأخرج منها عيداناً ركّبها ولعب بها، فأضحك كل من في المجلس، ثم فكّها وركبها غير التركيب الأول وحركها، فأبكى كل من في المجلس، ثم فكها وركبها غير ذلك التركيب ولعب بها وحركها، فأنامهم حتى البواب وخرج.

قلت: وهذه الواقعة ممكنة من مثل أبي نصر؛ لأنه إذا غنّى السامعين - مثلاً- بما لابن حجاج[١] من ذلك المجون الحلو في نغم فإن السامع يضحك، وإذا غنى بأشعار متيمي العرب والرقيق من فراقياتهم وحزنياتهم في نغم النوى -وما أشبه ذلك- فإن السامع يبكي.

وكان كثير الانفراد بنفسه، ولما قدم دمشق كان يلازم غياض[٢] السفرجل، وربما صنف هناك وقد ينام فتحمل الريح تلك الأوراق

(١) هو حسين بن أحمد بن الحجاج، النيلي البغدادي، شاعر فحل، غلب عليه الهزل، قال الذهبي عنه: ((سفيه الأدب وأمير الفُحْش، كان أمة وحده في نظم القبائح وخفة الروح))، دفن في بغداد عام ٣٩١هـ: ((الأعلام)): ٢/ ٢٣١.

(٢) غياض جمع غَيْضة وهي الموضع يكثر فيه الشجر ويلتف، والسفرجل: شجر مثمر من فصيلة الورديات: ((المعجم الوسيط)): ١/ ٤٣٥، ٢/ ٦٧٤.

وتنقلها من مكان إلى مكان، وقيل: إن السبب في وجود بعض مصنفاته فيها نقص هو ذلك؛ لأن الريح ربما أطارت تلك الأوراق بعضها من بعض، وكان لا يصنف إلا في الرقاع لا في الكراريس.

وكان أزهد الناس في الدنيا، وأجرى عليه سيف الدولة في كل يوم أربعة دراهم، وتوجه من دمشق إلى مصر ثم عاد إليها.

وقيل: إنه لما عاد من حرّان أقام ببغداد وأكب على مصنفات أرسطو، حتى مهر وأتقن الحكمة يقال: إن نسخة وجدت لكتاب "النفس" لأرسطو وعليها بخط أبي نصر الفارابي: قرأت هذا الكتاب مائتي مرة، وكان يقول: قرأت السماع الطبيعي لأرسطو أربعين مرة، وأنا محتاج إلى معاودته، وسئل :أأنت أعلم بهذا اللسان أم أرسطو؟ فقال: لو أدركته لكنت أكبر تلامذته.

وقال ابن صاعد القرطبي: بَزَّ جميع فلاسفة الإسلام، وأربى عليهم في تحقيق الفلسفة وشرح غامضها وكشف سرها، وقرب تناولها، وهو صحيح العبارة لطيف الإشارة، نبه على ما أعيى على الكندي وغيره من صناعة التحليل وأنحاء التعاليم، وأوضح مواد المنطق الخمسة وأفاد وجوه الانتفاع بها وعرف طرق استعمالها، وكيف تصرف صور القياس في كل مادة، فجاءت كتبه في ذلك الغاية الكافية والنهاية الفاضلة، انتهى، وألف ببغداد معظم كتبه.

وتوفي بدمشق في سنة تسع وثلاثين وثلاث مائة، وصلى عليه سيف الدولة في أربعة من خواصه وقد ناهز الثمانين، ودفن في مقابر باب الصغير، وفاراب وهي من بلاد الترك وتسمى الآن (أطرار)، وكان أبوه قائد جيش.

[٥] وقال ابن سينا: سافرت في طلب الشيخ أبي نصر وما وجدته وليتني وجدته فكانت حَصلتْ إفادة، وقال: قرأت كتاب«ما بعد الطبيعة» فما كنت أفهم ما فيه والتبس عليّ غرض واضعه، حتى قرأته أربعين مرة وصار محفوظاً وأيست من فهمه، وقلت: لا سبيل إلى فهمه، فبينا أنا يوماً- بعد صلاة العصر- في الوراقين وإذا بدلال ينادي على مجلد فعرضه عليّ فرددته رد متبرمٍ به، معتقدٍ أن هذا العلم لا فائدة فيه، فقال: اشتره فإني أبيعك إياه بثلاثة دراهم، فاشتريته فإذا هو من تصانيف أبي نصر في أغراض ذلك الكتاب فرجعت إلى بيتي وأسرعت قراءته، فانفتح عليّ في الوقت أغراض ذلك الكتاب وفهمته، وفرحت فرحاً شديداً، وتصدقت ثاني يوم على الفقراء بشيء كثير. انتهى.

ومن تصانيفه: «آراء المدينة الفاضلة»، وهو كتاب مليح، كلام جمعه من أقاويل النبي ﷺ يشير فيه إلى صناعة المنطق، وكتاب في الخطابة كبير عشرون مجلدة.

[٦] ومن دعائه أورده ابن أبي أصيبعة في «تاريخ الأطباء»:

اللهم إني أسألك يا واجب الوجود، ويا علة العلل(١) يا قديماً لم يزل، أن تعصمني من الزلل وأن تجعل لي من الأمل ما ترضاه لي من عمل، اللهم امنحني ما اجتمع من المناقب، وارزقني في أموري حسن العواقب، نجح مقاصدي والمطالب، يا إله المشارق والمغارب .

اللهم ألبسني حلل البهاء، وكرامات الأنبياء، وسعادة الأغنياء، وعلوم الحكماء، وخشوع الأتقياء، اللهم أنقذني من عالم الشقاء والفناء، واجعلني

---

(١) وصف الفارابي الله سبحانه وتعالى بصفات في هذا الدعاء ولقبه بألقاب على طريقة الفلاسفة، لكنها لا تسوغ في الشرع ألبتة، فافهم ذلك.

من إخوان الصفاء، وأصحاب الوفاء، وسكان السماء، مع الصديقين والشهداء، أنت الله الذي لا إله إلا أنت علة الأشياء، ونور الأرض والسماء، امنحني فيضاً من العقل الفعال[1]، يا ذا الجلال والإفضال، هذب نفسي بأنوار الحكمة، وأوزعني شكر ما أوليتني من نعمة، أرني الحق حقّاً وألهمني اتباعه، والباطل باطلاً واحرمني اعتقاده، هذب نفسي من طينة الهيولي، إنك أنت العلة الأولى[2].

إني دعوتك مستجيراً مذنباً فاغفر خطيئة مذنب ومقصر

هذب بفيض منك ربَّ الكل من كدر الطبيعة والعناصر عنصري

اللهم رب الأشخاص العُلوية، والأجرام الفلكية، والأرواح السماوية، غلبت على عبدك الشهوة البشرية، وحب الشهوات والدنيا الدنيّة، فاجعل عصمتك مَجِنّي[3] من التخبط وتقواك حصني من التفريط، إنك بكل شيء محيط.

اللهم أنقذني من أسر الطبائع الأربع[4]، وانقلني إلى جانبك الأوسع، وجوارك الأرفع.

اللهم اجعل الكفاية سبباً لقطع مذموم العلايق التي بيني وبين الأجسام الترابية، والهموم الكونية، واجعل الحكمة سبباً لاتحاد نفسي بالعوالم الإلهية، والأرواح السماوية.

---

(١)،(٢) الفلاسفة يلقبون الله تعالى بالعقل الفعال والعلة الأولى، وعلة العلل، واقرأ التعليق السابق.

(٣) المِجَن: الوقاية.

(٤) الطبائع الأربع عند الأقدمين هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، انظر ((المعجم الوسيط)): ط ب ع .

اللهم طهر بروح القدس الشريفة نفسي، وأَثْرِ بالحكمة البالغة عقلي وحسي، واجعل الملائكة بدلاً من عالم الطبيعة أنسي.

اللهم ألهمني الهدى وثبت إيماني بالتقوى، وبغِّض إلى نفسي حب الدنيا.

اللهم قوِّ ذاتي على قهر الشهوات الفانية، وألحق نفسي بمنازل النفوس الباقية، واجعلها من جملة الجواهر الشريفة العالية في جنة عالية. سبحانك اللهم سابق الموجودات التي تنطق بألسنة الحال والمقال، إنك مُعْطٍ كل شيء منها ما هو مستحقه بالحكمة، وجاعل الوجود لها بالقياس إلى عدمها نعمة ورحمة، فالذوات منها والأعراض مستحقة بآلائك، شاكرة فضائل نعمائك، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم، سبحانك اللهم وتعاليت، إنك الله الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد.

اللهم إنك قد سجنت نفسي في سجن من العناصر[1] الأربعة، ووكلت بافتراسها سباعاً من الشهوات، اللهم جُد لها بالعصمة وتعطّف عليها بالرحمة التي هي بك أليق، وبالكرم الفايض الذي هو منك أجدر وأخلق، وامنن عليها بالتوبة العايدة بها إلى عالمها السماوي، وعجل لها بالأوبة إلى مقامها القدسي وأطلع على ظلمائها شمساً من العقل الفعّال، وأمط عنها ظلمات الجهل والضلال، واجعل ما في قواها بالقوة كائناً بالفعل، وأخرجها من ظلمات الجهل إلى نور الحكمة وضياء العقل، الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور، اللهم أر نفسي صور

---

(١) كان الفلاسفة والحكماء يعتقدون أن كل شيء خلق من الماء والهواء والتراب والنار، فهذه هي العناصر الأربعة المقصودة.

الغيوب الصالحة في منامها، وبدلها من الأضغاث برؤيا الخيرات والبشرى الصالحة الصادقة في أحلامها، وطهرها من الأوساخ التي تأثرت بها عن محسوساتها وأوهامها، وأمط عنها كدر الطبيعة وأنزلها في عالم النفوس المنزلة الرفيعة، الله الذي هداني وكفاني وآواني(١).



أبو الحسن البصروي الشاعر

محمد بن محمد بن أحمد، أبو الحسن البصروي، وبُصرى: قرية بدجيل -دون عكبرا- كان شاعراً فصيحاً مطبوعاً.

[٧] له نوادر منها أنه قال له رجل: لقد شربت البارحة كثيراً فاحتجت للقيام للبول كل ساعة كأني جُدَيٌّ، فقال له: لم تصغر نفسك يا سيدنا؟! وتوفي ببغداد سنة ثلث وأربعين وأربع مائة.

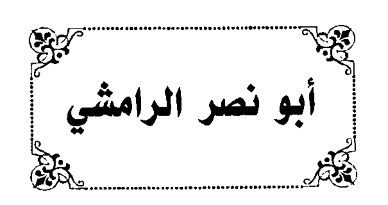
[٨] ومن شعره:

نرى الدنيا وزهرتها فنصبو ... وما يخلو من الشبهات قلبُ
فضول العيش أكثرها هموم ... وأكثر ما يضرك ما تحبُّ
فلا يغررك زخرف ما تراه ... وعيْشٌ ليِّن الأطراف رطبُ
إذا ما بُلغةٌ جاءتك عفواً ... فخذها فالغنى مرعىً وشرب
إذا حصل القليل وفيه سِلْم ... فلا تُردِ الكثير وفيه حرب(٢)

---

(١) الوافي بالوفيات:١/ ١٠٦- ١١٣.

(٢) الوافي بالوفيات:١/ ١٢٠.



أبو نصر الرامشي

محمد بن محمد بن أحمد، أبو نصر الرامشي النيسابوري المقرئ ابن بنت الرئيس منصور بن رامش.

قال الحافظ ابن عساكر:

كان عارفاً بالنحو وعلوم القرآن، توفي سنة تسعين وأربع مائة، طلب القراءات والحديث، وارتحل واجتمع بجماعة، وتخرّج به جماعة.

[٩] قال أبو سعد السمعاني: أنشد أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي إجازة، أنشدني أبو نصر محمد بن محمد بن أحمد لنفسه:

إن تُلقِك الغربةُ في معشر ... قد أجمعوا فيك على بغضهم

فدارهم ما دمتَ في دارهم ... وأرضهم ما دمت في أرضهم

قلت: يشبه قول محمد بن شرف القيرواني:

يا خايفاً من معشر ... قد اصطلى بنارهم

إن تخش من شَرارهم ... على يدي شِرارهم

أو تُرْمَ من أحجارهم ... وأنت في أحجارِهم[1]

فما بقيت جارَهم ... ففي هواهم جارِهم

وأرضهم في أرضهم ... ودارهم في دارهم

---

(١) الأحجار الأخرى: جمع حِجْر، والمقصود: مكانهم وبلادهم.

[١٠] وقال السمعاني: وأنشدنا سعيد بن محمد الملقاباذي قال: أنشدنا محمد ابن محمد بن أحمد النحوي إملاءً لنفسه:

وكنت صحيحاً والشباب منادِمي ... وأنهلني صفو الشباب وعلَّني
وزادت على خمس ثمانين حجة ... فجاء مشيبي بالضنا وأعلَّني
سئمت تكاليف الحياة وعيلتي ... وما في ضميري مِن عسى ولعلّني

ولقى في طوافه أبا العلاء المعري، وروى عنه من شعره(١).



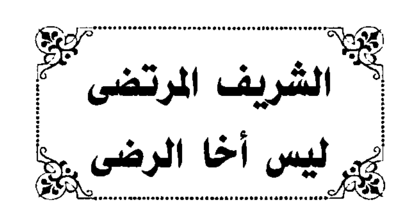
أبو الحسن الحجاجي المحدِّث

محمد بن محمد بن يعقوب، أبو الحسن النيسابوري، من ولد الحجاج ابن الجرَّاح.

[١١] قرأ القرآن وسمع الكثير، وكان صالحاً حافظاً ثقة صدوقاً، وكان نسيب الحاكم أبي عبد الله، أثنى عليه وقال في حقه:العبد الصالح الثبت الصدوق، كان من الصالحين المجتهدين في العبادة، صحبته نيفاً وعشرين سنة ليلاً ونهاراً، ما علمت الملايكة كتبت عليه خطيئة.

توفي سنة ثمان وستين وثلاث مائة(٢).

(١) الوافي بالوفيات:١/ ١٢٤، ١٢٥.
(٢) الوافي بالوفيات: ١/ ١٢٨.



الشريف المرتضى ليس أخا الرضى

محمد بن محمد بن زيد، الشريف أبو الحسن وأبو المعالي، ذو الشرفين العلوي الحسيني.

ولد ببغداد وسمع بها، وتخرج بالخطيب ولازمه، وروى الخطيب شيخه عنه، ورزق حسن التصنيف، وسكن آخر عمره سمرقند وقدم بغداد وأملى بها.

[١٢] وكان كثير الإيثار ينفذ في كل سنة إلى جماعة من العلماء ألف دينار أو خمس مائة دينار أو أكثر أو أقل، ويقول هذه زكاة مالي، وكان يملك قريباً من أربعين قرية، قبض عليه ملك سمرقند الخضر خاقان واصطفى أمواله وضياعه فصبر وحمد الله، وقيل: مُنع من الطعام إلى أن مات جوعاً.

[١٣] قال أبو العباس الجوهري: رأيت السيد المرتضى أبا المعالي بعد موته وهو في الجنة وبين يديه طعام، وقيل له: ألا تأكل؟ فقال: لا حتى يجيء ابني فإنه غداً يجيء، فلما انتبهت وذلك في رمضان سنة [بياض] وتسعين وأربع مائة، قتل ابنه أبو الرضا ذلك اليوم، وتوفي المرتضى المذكور سنة ثمانين وأربع مائة[١].

---

(١) الوافي بالوفيات: ١/ ١٤٣.

ابنَ لنْكَك

محمد بن محمد بن جعفر، ابن لنكك، بكافين بعد النون واللام: أبو الحسين من أهل البصرة. كان من النحاة الفضلاء والأدباء النبلاء.

[١٤] ومن شعره:

زمـــان قـــد تفـــرغ للفـــضول ... فـــسود كـــل ذي حمـــق جهـــول

إذا أحببـــــتم فيـــــه ارتفاعـــــاً ... فكونـــوا جـــاهلين بـــلا عقـــول

ومنه:

يعيـــب النـــاس كلـــهم الزمانـــا ... ومـــا لزماننـــا عيـــب ســـوانا

نعيـــب زماننـــا والعيـــب فينـــا ... ولـــو نطـــق الزمـــان إذاً هجانـــا

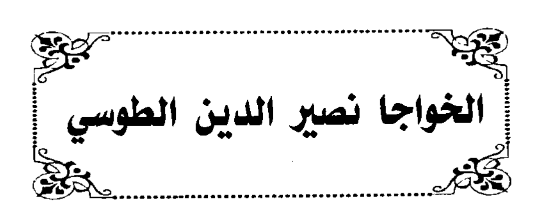
ذئـــاب كلنـــا في خلـــق نـــاس ... فـــسبحان الـــذي فيـــه برانـــا

يعـــاف الـــذئب يأكـــل لحـــم ذئـــب ... ويأكـــل بعـــضنا بعـــضاً عِيانـــا

قلت: شعر متوسط[١][٢].

(١) في هامش س: "أقول : بل لا بأس به".

(٢) الوافي بالوفيات: ١/ ١٥٦، ١٥٧.



الخواجا نصير الدين الطوسي

محمد بن محمد بن الحسن، نصير الدين أبوعبد الله الطوسي الفيلسوف صاحب علوم الرياضي والرصد.

كان رأساً في علم الأوائل، لاسيما في الإرصاد والمَجَسْطي[1] فإنه فاق الكبار، قرأ على المعين سالم بن بدران المصري المعتزلي الرافضي وغيره، وكان ذا حرمة وافرة ومنزلة عالية عند هولاكو وكان يطيعه فيما يشير به عليه والأموال في تصريفه، فابتنى بمدينة مراغة قبة ورصداً عظيماً، واتخذ في ذلك خزانة عظيمة فسيحة الأرجاء وملأها من الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة، حتى تجمع فيها زيادة على أربع مائة ألف مجلد، وقرر بالرصد المنجمين والفلاسفة والفضلاء وجعل لهم الجامكية[2].

[١٥] وكان حسن الصورة سمحاً كريماً جواداً حليماً حسن العشرة، غزير الفضائل جليل القدر داهية، حكى لي أنه لما أراد العمل للرصد رأى هولاكو ما ينصرف عليه فقال له: هذا العلم المتعلق بالنجوم ما فائدته؟ أيدفع ما قدر أن يكون؟ فقال: أنا أضرب لمنفعته مثالاً: القان يأمر من يطلع إلى أعلى هذا المكان، ويدعه يرمي من أعلاه طَسْت نحاس كبيراً، من غير أن يعلم به أحد، ففعل ذلك، فلما وقع ذلك كانت له وقعة عظيمة

---

(١) كتاب قديم في الهندسة والفلك وضعه بَطَليموس الفلكي المصري نحو سنة ١٤٠م، وترجم إلى العربية في عهد المأمون، وعُد حجة في بابه: ((المعجم الوسيط)): ٢/ ٨٥٥.

(٢) أي الراتب.

هايلة روعت كل من هناك، وكاد بعضهم يصعق وأما هو وهولاكو فإنهما ما تغير عليهما شيء؛ لعلمهما بأن ذلك يقع فقال له: هذا العلم النجومي له هذه الفايدة، يعلم المتحدث فيه ما يحدث فلا يحصل له من الروعة والاكتراث ما يحصل للذاهل الغافل عنه، فقال: لا بأس بهذا وأمره بالشروع فيه، أو كما قيل .

[١٦] ومن دهائه ما حكى لي أنه حصل له[1] غضب على علاء الدين الجويني -صاحب الديوان فيما أظن- فأمر بقتله، فجاء أخوه إليه وذكر له ذلك، وطلب منه إبطال ذلك، فقال: هذا القان وهؤلاء القوم إذا أمروا بأمر ما يمكن رده خصوصاً إذا برز إلى الخارج، فقال له: لابد من الحيلة في ذلك، فتوجه إلى هولاكو وبيده عكاز وسبحة واسطرلاب، وخلفه من يحمل مبخرة وبخوراً والنار تضرم، فرآه خاصة هولاكو الذين على باب المخيم فلما وصل أخذ يزيد في البخور ويرفع الاسطرلاب- ناظراً فيه- ويضعه، فلما رأوه يفعل ذلك دخلوا إلى هولاكو وأعلموه وخرجوا إليه فقالوا: ما الذي أوجب هذا؟

فقال: القان أين هو؟

قالوا له: جُوًّا.

قال: طيب معافى موجود في صحة؟

قالوا: نعم، فسجد شكراً لله - تعالى- وقال لهم: طيب في نفسه؟

قالوا: نعم، وكرر هذا.

---

(١) أي هولاكو.

وقال: أريد أرى وجهه بعيني، إلى أن دخلوا إليه وأعلموه بذلك، وكان وقت لا يجتمع فيه به أحد، فأمر بإدخاله فلما رآه سجد وأطال السجود فقال له: ما خبرك؟

قال: اقتضى الطالع في هذا الوقت أن يكون على القان فظع عظيم إلى الغاية؛ فقمت وعملت هذا وبخرت هذا البخور ودعوت بأدعية أعرفها، أسأل الله صرف ذلك عن القان، ويتعين الآن أن القان يكتب إلى سائر المملكة بإطلاق مَن في الاعتقال والعفو عمن له جناية، أو أمر بقتله لعل الله يصرف هذا الحادث العظيم، ولو لم أر وجه القان ما صدقت، فأمر هولاكو في ذلك الوقت بما قال، وأُطلق صاحب الديوان في جملة الناس، وهذا غاية في الدهاء بلغ به مقصده ودفع عن الناس أذاهم وعن بعضهم إزهاق أرواحهم.

[١٧] ومن حلمه ما وقفت له على ورقة حضرت إليه من شخص من جملة ما فيها يقول له: يا كلب يا ابن الكلب!! فكان الجواب: وأما قوله: كذا، فليس بصحيح؛ لأن الكلب من ذوات الأربع، وهو نابح طويل الأظفار، وأنا فمنتصب القامة بادي البشرة عريض الأظفار ناطق ضاحك، فهذه الفصول والخواص غير تلك الفصول والخواص، وأطال في نقض كل ما قاله هكذا برطوبة وتأنٍ غير منزعج ولم يقل في الجواب كلمة قبيحة.

ورأيت له شعراً كتبه لكمال الدين الطوسي على مصنف صنفه المذكور، وهو نظم منحط، ومن تصانيفه «كتاب المتوسطات بين الهندسة والهيئة» وهو جيد إلى الغاية، و «مقدمة في الهيئة»، وكتاباً وضعه للنصيرية وأنا أعتقد أنه ما يعتقده؛ لأن هذا فيلسوف وأولئك يعتقدون إلهية عليّ،

واختصر «المحصل» للإمام فخر الدين وهذبه وزاد فيه وشرح «الإشارات» ورد فيه على الإمام فخر الدين في شرحه وقال: هذا به جرح وما هو شرح؛ قال فيه: إني حررته في عشرين سنة، وناقض فخر الدين كثيراً، ولقد ذكره قاضي القضاة جلال الدين القزويني -رحمه الله- يوماً وأنا حاضر وعظمه -أعني الشرح- فقلت: يا مولانا ما عمل شيئاً؛ لأنه أخذ شرح الإمام وكلام سيف الدين الآمدي وجمع بينهما وزاده يسيراً، فقال: ما أعرف للآمدي في الإشارات شيئاً، قلت: نعم كتاب صنفه وسماه «كشف التمويهات عن الإشارات والتنبيهات» فقال: هذا ما رأيته.

[١٨] قال الشمس ابن المؤيد العرضي:

وكان مُنَجِّماً بعد أبيه، وكان يعمل الوزارة لهولاكو من غير أن يُدخل يده في الأموال، واحتوى على عقله حتى أنه لا يركب ولا يسافر إلا في وقت يأمره به، ودخل عليه مرة ومعه كتاب مصور في عمل الدرياق الفاروق، فقرأه عليه وعظمه عنده وذكر منافعه وقال: إن كمال منفعته أن تُسْحق مفرداته في هاون ذهب فأمر له بثلاثة آلاف دينار لعمل الهاون، وولاه هولاكو جميع الأوقاف في سائر بلاده.

وكان له في كل بلد نائب يستغل الأوقاف ويأخذ عشرها، ويحمله إليه ليصرفه في جامكيات[١] المقيمين بالرصد، ولما يحتاج إليه من الأعمال بسبب الإرصاد.

وكان للمسلمين به نفع -خصوصاً الشيعة والعلويين والحكماء- وغيرهم وكان يبرّهم ويقضي أشغالهم ويحمي أوقافهم، وكان مع هذا

---

(١) أي الرواتب.

كله فيه تواضع وحسن ملتقى.

قال شمس الدين الجزري: قال حسن بن أحمد الحكيم صاحبنا: سافرت إلى مراغة وتفرجت في هذا الرصد، ومتوليه صدر الدين علي ابن الخواجا نصير الدين الطوسي، وكان شاباً فاضلاً في التنجيم والشعر بالفارسية، فرأيت فيه من آلات الرصد شيئاً كثيراً منها: ذات الحلق وهي: خمس دوائر متخذة من نحاس: الأولى دائرة نصف النهار، وهي مركوزة على الأرض، ودائرة معدل النهار، ودائرة منطقة البروج، ودائرة العرض، ودائرة الميل، ورأيت الدائرة الشمسية يعرف بها سمت الكواكب، واصطرلاباً تكون سعة قطره ذراعاً واصطرلابات كثيرة، وكتباً كثيرة قال: وأخبرني شمس الدين ابن العرضي أن نصير الدين أخذ من هولاكو؛ بسبب عمارة هذا الرصد ما لا يحصيه إلا الله، وأقل ما كان يأخذ بعد فراغ الرصد لأجل الآلات وإصلاحها عشرون ألف دينار، خارجاً عن الجوامك[1] والرواتب التي للحكماء والقَوَمة.

[١٩] وقال الخواجا نصير الدين في الزَيْج الايلخاني: أنني جمعت لبناء الرصد جماعة من الحكماء، منهم المؤيد العرضي من دمشق والفخرالمراغي الذي كان بالموصل، والفخر الخلاطي الذي كان بتفليس، والنجم دبيران القزويني، وابتدأنا ببنائه في سنة سبع وخمسين وست مائة في جمادى الأولى بمراغة، والأرصاد التي بنيت قبلي -وعليها كان الاعتماد دون غيرها- هو رصد برجس وله -مذ بني- ألف وأربع مائة سنة، وبعده رصد بطليموس بمائتي سنة وخمس وثمانين سنة،

(١) أي الرواتب الثابتة كل شهر.

وبعده في ملة الإسلام رصد المأمون ببغداد وله أربع مائة سنة وثلثون سنة، والرصد البناني في حدود الشام، والرصد الحاكمي بمصر، ورصد بني الأعلم ببغداد، وأوفقها الرصد الحاكمي ورصد ابن الأعلم، ولهما مائتان وخمسون سنة وقال الأستاذون: إن إرصاد الكواكب السبعة لا يتم في أقل من ثلاثين سنة؛ لأن فيها يتم دور هذه السبعة، فقال هولاكو: اجهد في أن يتم رصد هذه السبعة في اثنتي عشرة سنة، فقلت له: أجهد في ذلك.

وكان النصير قد قدم من مراغة إلى بغداد ومعه جماعة كثيرة من تلامذته وأصحابه فأقام بها مدة أشهر ومات.

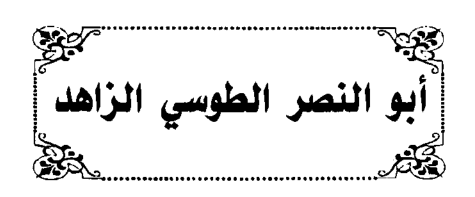
وخلف من الأولاد: صدر الدين علي، والأصيل حسن، والفخر أحمد، وولي صدر الدين علي بعد أبيه غالب مناصبه، فلما مات ولي مناصبه أخوه الأصيل، وقدم الشام مع غازان وحكم تلك الأيام في أوقاف دمشق وأخذ منها جملة ورجع مع غازان، وولي نيابة بغداد مدة فأساء السيرة فعزل وصودر وأهين، فمات غير حميد.

وأما أخوهما الفخر أحمد فقتله غازان لكونه أكل أوقاف الروم وظلم.

ومولد النصير بطوس سنة سبع وتسعين وخمس مائة، توفي في ذي الحجة سنة اثنتين وسبعين وست مائة ببغداد، وقد نيف على الثمانين أو قاربها، وشيعه صاحب الديوان والكبار، وكانت جنازة حفلة ودفن في مشهد الكاظم[1].

---

(١) الوافي بالوفيات:١/ ١٨٣- ١٨٩.=



أبو النصر الطوسي الزاهد

محمد بن محمد بن يوسف، أبو النصر الطوسي الزاهد العابد يصوم النهار ويقوم الليل، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويتصدق بما فضل عن قوته، رحل في طلب الحديث إلى العراق والشام ومصر والحجاز، وسمع الكثير.

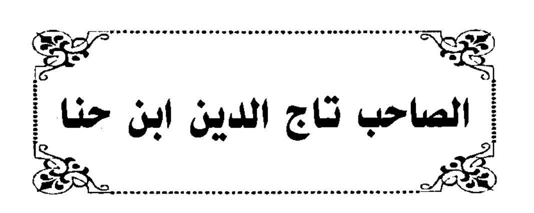
[٢٠] وجزّأ الليل ثلاثة أجزاء: جزءاً للقرآن وجزءاً للتصنيف وجزءاً للراحة.

توفي سنة أربع وأربعين وثلاث مائة.

[٢١] ورؤي في المنام فقال الرائي: وصلت إلى ما تطلبه؟ فقال: إي والله، أنا عند رسول الله ﷺ وبشر بن الحارث يحجبنا بين يديه ويرافقنا، وقد عرضت مصنفاتي كلها على رسول الله ﷺ فرضيها(١).

=قال ابن القيم رحمه الله: ((هذا الوزير نصير الدين، الفيلسوف، العالم الفلكي، الداهية، السمح الكريم، غزير الفضائل، كان نصير الشرك والكفر، الملحد، وزير الملاحدة، شفى نفسه من أتباع الرسول ﷺ وأهل دينه، فعرضهم على السيف، حتى شفى إخوانه من الملاحدة، واشتفى هو، فقتل الخليفة المستعصم والقضاة والفقهاء والمحدثين، واستبقى الفلاسفة، والمنجمين، والطبائعيين، والسحرة، ونصر في كتبه قدم العالم، وبطلان المعاد، وإنكار صفات الرب جل جلاله، واتخذ للملاحدة مدارس، ورام جعل إشارات إمام الملحدين (ابن سينا) مكان القرآن فلم يقدر على ذلك، فقال : هي قرآن الخواص، وذاك قرآن العوام، ورام تغيير الصلاة، وجعلها صلاتين، فلم يتم له الأمر، وتعلم السحر في آخر الأمر، فكان ساحراً يعبد الأصنام، انتهى، بتصرف من كتاب ((إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان)) لابن القيم الجوزية: ٢/ ٢٨٧.

(١) الوافي بالوفيات: ١/ ٢١٠.



الصاحب تاج الدين ابن حنا

محمد بن محمد بن علي المصري، الصاحب تاج الدين أبو عبد الله، ابن الصاحب فخر الدين ابن الوزير بهاء الدين، ابن حنا .

توفي سنة سبع وسبع مائة، حدّث بدمشق وبمصر، وانتهت إليه رياسة عصره بمصره، وكان ذا تصوُّن وسؤدد ومكارم وشكل حسن، وبزَّةٍ فاخرة إلى الغاية.

يتناهى في المطاعم والملابس والمناكح والمساكن، ومع ذلك صدقاته كثيرة، وتواضعه وافر، ومحبته في الفقراء والصلحاء زائدة.

[٢٢] وهو الذي اشترى الآثار النبوية-على ما قيل- بستين ألف درهم وجعلها في مكانه بالمعشوق-وهو المكان المنسوب إليه بالديار المصرية- وقد زرت هذه الآثار في مكانها ورأيتها وهي: قطعة من العَنَزَة[١] ومِزْود، ومِخصف ،وملقط، وقطعة من قصعة، وكحلت ناظري برؤيتها وقلت أنا:

أكرم بآثار النبي محمد ... من زارها استوفي السعود مزاره

ياعين دونك فالحظي وتمتعي ... إن لم ترَيْه فهذه آثاره

[٢٣] ورأى من العز والرياسة والوجاهة والسيادة ما لا رآه جده الصاحب بهاء الدين، ومن أحسن حركة اعتمدها ما حكاه لي القاضي شهاب الدين ابن فضل الله قال: اجتزت بتربته فرأيت في داخلها مكتباً

---

(١) أي العصا النبوية.

للأيتام وهم يكتبون القرآن في ألواحهم فإذا أرادوا مسحها غسلوا الألواح وسكبوا ذلك على قبره، فسألت عن ذلك فقيل لي: هكذا شرط في هذا الوقف، وهذا مقصد حسن وعقيدة صحيحة.

أخبرني القاضي شهاب الدين ابن فضل الله قال: أخبرني قاضي القضاة جلال الدين القزويني -رحمه الله- قال: وقفت على إقرار الصاحب بهاء الدين بأنه في ذمته للصاحب تاج الدين ولأخيه مبلغ ستين ألف دينار مصرية.

ومن وجاهته وعظمته في النفوس أنه لما نُكِب على يد الشجاعي، جرده من ثيابه وضربه مقرعة واحدة فوق قميصه، ولم يدعه الناس يصل إلى أكثر من ذلك مع جبروت الشجاعي وعتوه وتمكنه من السلطان.

وكان يتعاطى الفروسية ،ويحضر الغزوات، ويتصيد بالجوارح والكلاب، وقد مدحه الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين محمود -رحمه الله- بقصيدة عِدَّتها أزيد من ثمانين بيتاً.

[٢٤] وحكى لي المشار إليه سيادة كثيرة شاهدها منه، من ذلك أنه قال: دخلت يوماً إليه فلقيني إنسان -نسيت أنا اسمه- ومعه قصيدة قد امتدحه بها فقال لي: يا مولانا لي مدة ولم يتفق لي إلى الصاحب وصول، فأخذتها ودخلت إليه وقلت: بالباب شاعر قد مدح مولانا الصاحب فقال: يدخل، فأعطاه القصيدة فأنشدها ولم يمتنع من سماعها كما يفعله بعض الناس، فلما فرغت أخذها منه ووضعها إلى جانبه ولم يتكلم ولا أشار، فحضر خادم ومعه مبلغ مائتي درهم وتفصيلة فدفعها إليه، قلت: وهذا غاية في الرياسة من سماعها وعدم قوله أعطوه كذا، أو إشارة إلى

من يحضر فيسر إليه، وقيل عنه: إن جميع أحواله كذا لا يشير بشيء ولا يتكلم به في بيته وكل ما تدعو الحاجة إليه يقع على وفق المراد.

وحكى لي أنه أضاف جدَّه يوماً ووسع فيه فلما عاد إلى بيته أخذ الناس يعجبون من همته وكرم نفسه فقال الصاحب بهاء الدين: ليس ما ذكرتموه بعجيب؛ لأن نفسه كريمة ومكنته متسعة والعجب العجيب كونه طول هذا النهار، وما أحضره من المشروب والمأكول من الطعام والفاكهة والحلوى وغير ذلك على اختلاف أنواعه، ما قام من مكانه، ولا دعا خادماً فأسر إليه، ولا أشار بيده، ولا بطرفه، ولم يجئ إليه أحد من خدمه ولا أشار، وقيل: إنّ الناس تعجبوا على كثرتهم وشربهم الماء مبرداً في كيزان عامة ذلك النهار، فسئل عن ذلك فيما بعد فقال: اشترينا خمس مائة كوز وبعثنا إلى الجيران قليلاً قليلاً بردوا ذلك.

ولا شك في أنه كان عالي الهمة ممجداً مسوداً، ولكن لم يكن له دُربة والده في تنفيذ الوزارة فإنه وليها مرتين وما أنجب.

وكان له إنسان مرتب معه حمام -كحمام البطايق- مدرب إذا خرج من باب القرافة أطلق ما معه من الحمام، فيروح إلى الدار التي له فيعلم أهله بأنه قد خرج من القلعة، فيرمون الططماج والملوخية، وغير ذلك من أنواع المطجَّن وما شابهه، حتى إذا جاء وجد الطعام حاصلاً والسماط ممدوداً.

[٢٥] وقال السراج لما عمَّر الصاحب تاج الدين جامع دير الطين:

بنيتم على تقوى من الله مسجداً   وخير مباني العابدين المساجدُ

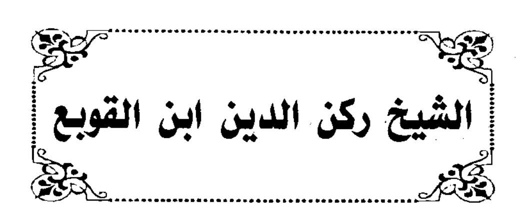
وأعلن داعيه الأذان فبادرت   إجابتَه الصمُ الجبال الجلامد

ونالت نواقيس الديارات وجمة   وخوف فلم يمدد إليهن ساعد

تبكى عليهن البطاريق في الدجى ... وهن لديهم ملقيات كواسد

بذا قضت الأيام ما بين أهلها ... مصائب قوم عند قوم فوائد

البيتان الأخيران للمتني من قصيدته المشهورة[1].



الشيخ ركن الدين ابن القويع

محمد بن محمد بن عبد الرحمن، التونسي، الشيخ الإمام العلامة المحقق البارع المتقن المفنن جامع أشتات الفضائل: ركن الدين أبو عبدالله الجعفري المالكي التونسي.

لم أر له نظيراً في مجموعه وإتقانه وتفننه واستحضاره واطلاعه، كل ما يعرفه يجيد فيه من أصول وحديث، وفقه وأدب ولغة ونحو وعروض، وأسماء رجال وتاريخ وشعر يحفظه للعرب والمولدين والمتأخرين، وطب وحكمة ومعرفة الخطوط -خصوصاً خطوط المغاربة- قد مهر في ذلك وبرع، وإذا تحدث في شيء من ذلك كله تكلم على دقائق ذلك الفن وغوامضه ونكته، حتى يقول القائل إنما أفنى عمره هذا في هذا الفن.

قال لي العلامة قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن السبكي الشافعي وهو ما هو: ما أعرف أحداً مثل الشيخ ركن الدين أو كما قال، وقد رأى جماعة ما أتى الزمان لهم بنظير بعدهم.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١/ ٢١٧-٢٢٥.

[٢٦] أخبرني الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس قال: قدم إلي الديار المصرية وهو شاب فحضر سوق الكتب والشيخ بهاء الدين ابن النحاس حاضر، وكان مع المنادي ديوان ابن هانئ المغربي، فأخذ الشيخ ركن الدين وأخذ يترنم بقول ابن هانئ:

فتكات لحظك أم سيوف أبيك وكؤس خمرك أم مراشف فيك

وكسر التاء وفتح الفاء والسين والفاء، فالتفت إليه الشيخ بهاء الدين وقال له: يا مولانا ذا نصب كثير، فقال له الشيخ ركن الدين -بتلك الحدة المعروفة منه والنفرة-: أنا ما أعرف الذي تريده أنت، من رفع هذه الأشياء على أنها أخبار لمبتدآت مقدرة. أي: أهذه فتكات لحظك؟ أم كذا أم كذا، وأنا الذي أقوله أغزل وأمدح وتقديره: أأقاسي فتكات لحظك؟أم أقاسي سيوف أبيك؟ وأرشف كؤس خمرك، أم مراشف فيك؟ فأخجل الشيخ بهاء الدين وقال له: يا مولاي فلأي شيء ما تتصدر وتشغل الناس؟ فقال: استخفافاً بالنحو واحتقاراً له، وإيش النحو في الدنيا، أو كما قال.

[٢٧] وأخبرني أيضاً قال: كنت أنا وشمس الدين ابن الأكفاني نأخذ عليه في المباحث المشرقية، فأبيت ليلتي أفكر في الدرس الذي نصبح نأخذه عليه، وأجهد قريحتي وأعمل تعقلي وفهمي إلى أن يظهر لي شيء أجزم بأن المراد به هذا، فإذا تكلم الشيخ ركن الدين كنت أنا في وادٍ في بارحتي وهو في واد، أو كما قال.

[٢٨] وأخبرني تاج الدين المراكشي قال: قال لي الشيخ ركن الدين: لما أوقفني الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس على السيرة التي عملها، علّمت فيها على مائة وأربعين موضعاً أو مائة وعشرين -السهو مني أوكما

قال- ولقد رأيته مرات يواقف الشيخ فتح الدين في أسماء رجال، ويكشف عليها فيظهر معه الصواب.

[٢٩] وأخبرني الشيخ فتح الدين قال: جاء إليه إنسان يصحح عليه في أمالي القالي فأخذ الشيخ ركن الدين يسابقه إلى ألفاظ الكتاب، فبهت ذلك الرجل فقال له: لي عشرون سنة ما كررت عليها، وكان إذا أنشده أحد شيئاً -في أي معنى كان- أنشد فيه جملة للمتقدمين والمتأخرين كأن الجميع كان البارحة يكرر عليه.

وتولى نيابة الحكم للقاضي المالكي بالقاهرة مدة ثم تركها تديناً منه، وقال: يتعذر فيها براءة الذمة، وكان سيرته فيها حسنة، لم يسمع عنه أنه ارتشى في حكم ولاحابى، وكان يدرس في المدرسة المنكتمرية بالقاهرة، ويدرس الطب بالبيمارستان المنصوري، وينام أول الليل ثم يستفيق وقد أخذ راحة، ويتناول كتاب الشفاء لابن سينا ينظر فيه لا يكاد يخل بذلك، قال الشيخ فتح الدين: قلت له يوماً: يا شيخ ركن الدين إلى متى تنظر في هذا الكتاب؟ فقال: إنما أريد أن أهتدي.

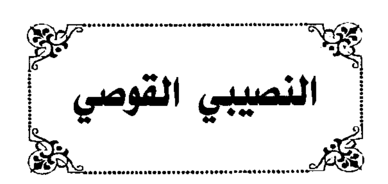
[٣٠] وكان فيه سأم وملل وضجر، حتى في لعب الشطرنج يكون في وسط الدست وقد نفضه وقطع لذة صاحبه، ويقول: سئمت سئمت، وكذلك في بعض الأوقات يكون في بحث وقد حرر لك المسألة وكادت تنضج، فيترك الكلام ويمضي.

وكان حسن التودد، يتردد إلى الناس ويهنيهم بالشهور والمواسم من غير حاجة إلى أحد؛ لأنه كان معه مال له صورة ما يقارب الخمسين ألف درهم، وكان يتصدق سراً على أناس مخصوصين، ولثغته بالراء قبيحة

يجعلها همزة، وكان إذا رأى أحد يضرب كلباً أو يؤذيه يخاصمه وينهره، ويقول: ليش تفعل ذا؟ أما هو شريكك في الحيوانية.

وكان خطه على وضع المغاربة وليس بحسن.

وتوفي الشيخ ركن الدين بالقاهرة سنة ثمان وثلاثين وسبع مائة، اعتل يومين ومضى إلى رحمة ربه الرحيم، ومولده سنة أربع وستين بتونس[1].



النصيبي القوصي

محمد بن محمد بن عيسى، الشيباني النصيبي ثم القوصي، الأديب الشاعر الفاضل المحدث .

حدث بالبخاري بقوص، وكان له مشاركة في النحو واللغة والتاريخ والبديع والعروض والقوافي، كثير المروءة ظاهر الفتوة ظريفاً لطيفاً خفيفاً له قدرة على ارتجال الحكاية المطولة والشعر، سريع النادرة، قال كمال الدين جعفر الأدفوي: شعره في ثلاث مجلدات وكان رزقه منه، يمتدح القضاة والأمراء والأكابر والتجار.

[٣١] قال: لما جئت إلى قوص وجدت بها الشيخ تقي الدين والشيخ جلال الدين الدشنائي فترددت إليهما فقال لي كل منهما كلاماً انتفعت به، فأما الشيخ تقي الدين فقال لي: أنت رجل فاضل والسعيد من تموت سيئاته بموته، لا تهج أحداً، فما هجوت أحداً، وأما الشيخ جلال الدين

---

(١) الوافي بالوفيات: ١/ ٢٣٨- ٢٤٧.

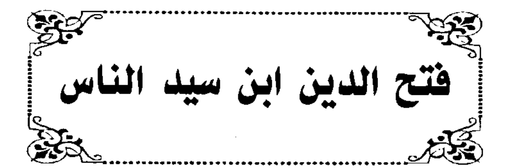
فقال لي: أنت رجل فاضل ومن أهل الحديث، ومع ذلك فأشاهد عليك شيئاً ما هو ببعيد أن يكون في عقيدتك شيء، وكنت متشيعاً فتبت من ذلك.

[٣٢] وقال: كنت مرة عند عز الدين البصراوي الحاجب بقوص فحضر الشيخ على الحريري وحكى أنه رأى درة تقرأ سورة يس فقلت: وكان غراب يقرأ سورة السجدة فإذا جاء عند آية السجدة سجد ويقول: سجد لك سوادي واطمأن بك فؤادي.

توفي بقوص سنة سبع وسبع مائة.

[٣٣] ومن شعره:

نعم هي دار من نهوى يقينا	وما نخشاه ساكنها يقينا
أنيخوا في معالمها المطايا	فديتكمُ لنشكو ما لقينا
ذكرنا حلو عيش مَرّ فيها	وما كنا له يوما نسينا
وكاسات المسرة دائرات	تحيينا شمالاً أو يميناً[1]



فتح الدين ابن سيد الناس

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ابن سيد الناس.

الشيخ الإمام العلامة الحافظ المحدث الأديب الناظم الناثر، فتح الدين أبو الفتح ابن الفقيه أبي عمرو ابن الحافظ أبي بكر اليعمري الربعي.

(١) الوافي بالوفيات: ١/ ٢٥٩، ٢٦٠.

كان حافظاً بارعاً، أديباً متفنناً، بليغاً ناظماً ناثراً، كاتباً مترسلاً، خطه أبهج من حدائق الأزهار، حسن المحاورة لطيف العبارة فصيح الألفاظ كامل الأدوات، جيد الفكرة صحيح الذهن، جميل المعاشرة لا تمل محاضرته، أدبه غض والإمتاع بأنسه نض، كريم الأخلاق كثير الحياء، زايد الاحتمال حسن الشكل والعِمة، قَلّ أن ترى العيون مثله:

[٣٤]له هزة من أريحية نفسه ... تكاد لها الأرض الجديبة تعشب

تجاوز غايات العقول مواهب ... تكاد لها لولا العيان تكذب

خلايق لو يلقى زياد مثالها ... إذاً لم يقل: أي الرجال المهذب

عجبت له لم يَزْهَ تيهاً بنفسه ... ونحن به نختال زهواً ونعجب

وهو من بيت رياسة وعلم، عنده كتب كثيرة وأصول جيدة، سمع وقرأ، وارتحل، وكتب وصنف، وحدث وأجاز وتفرد بالحديث في وقته.

[٣٥] قال الشيخ شمس الدين(١):

ولعل مشيخته يقاربون الألف، ونسخ بخطه واختار وانتقى شيئاً كثيراً ولازم الشهادة مدة، جالسته مرات وبت معه ليلة، وسمعت بقراءته على الرضى النحوي، وكان طيب الأخلاق بساماً صاحب دعابة ولعب ،وكان صدوقاً في الحديث حجة فيما ينقله، له بصر نافذ بالفن وخبرة بالرجال وطبقاتهم ومعرفة بالاختلاف، ويد طولى في علم اللسان ومحاسنه جمة. انتهى كلام الشيخ شمس الدين.

[٣٦] قلت :صحبته زماناً طويلاً ودهراً داهراً ونمت معه ليالي وخالطته أياماً وأقمت بالظاهرية-وهو بها شيخ الحديث- قريباً من سنتين

---

(١) أي الذهبي رحمه الله.

فكنت أراه في كثير من الأوقات، يصلي كل صلاة مرات كثيرة، فسألته يوماً عن ذلك فقال: إنه خطر لي يوماً أن أصلي كل صلاة مرتين ففعلت ذلك زماناً، ثم خطر لي أن أصلي كل صلاة ثلاث مرات ففعلت ذلك زماناً وخفَّ علي، ثم خطر لي أن أصلي كل صلاة أربع مرات ففعلت ذلك زماناً وخف علي فعله، وأنسيت هل قال لي: خمس مرات أو لا.

[٣٧] وكان صحيح القراءة سريعها كأنها السيل إذا تحدر، سريع الكتابة كتب ختمة في جمعة، وكان يكتب السيرة التي له في عشرين يوماً وهي مجلدان كبيران، وكان صحيح العقيدة جيد الذهن يفهم به النكت العقلية ويسارع إليها، ولكنه جمد ذهنه لاقتصاره به على النقل، وكان الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد يحبه ويؤثره ويركن إلى نقله، أخبرني من لفظه القاضي عماد الدين إسماعيل ابن القيسراني قال: كان الشيخ تقي الدين إذا حضرنا درسه وتكلم فإذا جاء ذكر أحد من الصحابة أو أحد من رجال الحديث قال: إيش ترجمة هذا يا أبا الفتح؟ فيأخذ فتح الدين في الكلام ويسرد والناس كلهم سكوت والشيخ مصغ إلى ما يقوله، انتهى.

[٣٨] قال لي: لم يكن لي في العروض شيخ ونظرت فيه جمعة فوضعت فيه مصنفاً وقد رأيت هذا المصنف، قلت: ولو كان اشتغاله بقدر ذهنه كان قد بلغ الغاية القصوى، ولكنه كان فيه لعب على أنه ما خلف مثله؛ لأنه كان متناسب الفضائل، وكان محظوظاً ما رآه أحد إلا أحبه.

[٣٩] كان الأمير علم الدين الدواداري يحبه ويلازمه كثيراً ويقضي أشغال الناس عنده ودخل به إلى السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين وقد امتدحه بقصيدة وقال: أحضرت لك هذا وهو كبير من أهل العلم، فلم يدعه السلطان يبوس الأرض وأجلسه معه على الطراحة، وهل قام له أو لا، أنا في شك من ذلك!! فلما رأى خطه وسمع كلامه

قال: هذا ينبغي أن يكون في ديوان الإنشاء فرتب في جملة الموقعين، فرأى فتح الدين الملازمة ولبس الخف والمهماز صعباً عليه فسأل الإعفاء من ذلك فقال السلطان: إذا كان لابد له من ذلك فيكون المعلوم له على سبيل الراتب، فرتب له إلى أن مات.

وتوفي -رحمه الله تعالى- سنة أربع وثلثين وسبع مائة، وكانت جنازته حفلة إلى الغاية شيعها القضاة والأمراء والجند والفقهاء والعوام، وتأسف الناس عليه(١).



بهاء الدين ابن النحاس

محمد بن إبراهيم بن محمد، الشيخ الإمام العلامة، حجة العرب، بهاء الدين أبو عبد الله ابن النحاس النحوي، شيخ العربية بالديار المصرية.

[٤٠] كان حسن الأخلاق منبسطاً على الإطلاق، متسع النفس في حالتي الغنى والإملاق، ذكي الفطرة، زكي المخالطة والعشرة، مطروح التكلف مع أصحابه، عديم التخلف عن أشكاله وأضرابه، ومع ذلك فلم يرزق أحد وجاهته.

وتوفي -رحمه الله تعالى- سنة ثمان وتسعين وست مائة بالقاهرة، ومولده بحلب، سنة سبع وعشرين وست مائة.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١/ ٢٨٩- ٣٠٠.

وكان من العلماء الأذكياء الشعراء، له خبرة بالمنطق، وكان -على ما قيل- يحفظ ثلث صحاح الجوهري[1] .

[٤١] وكان مطَّرحاً للتكلف صغير العمامة يمشي في الليل بين القصرين بقميص وطاقية فقط، وربما ضجر من الاشتغال فأخذ الطلبة ومشى بهم بين القصرين وألقى لهم الدروس.

وكان متين الديانة، وله أبهة وجلالة في صدور الناس، وكان بعض القضاة إذا انفرد بشهادة حكَّمه فيها وثوقاً بديانته.

[٤٢] واقتنى كتباً نفيسة، أخبرني الشيخ نجم الدين الصفدي- وكان ممن قرأ عليه- قال: قال الشيخ بهاء الدين: ما يزال عندي كتب بألف دينار، وأحضر سوق الكتب دايماً ولابد أن يتجدد لي علم بأتم كتاب ما سمعت به، انتهى.

[٤٣] ولم يتزوج قط، وكانت له أوراد من العبادة وكان يسعى في حوايج الناس ويقضيهم.

[٤٤] وأخبرني القاضي الرئيس عماد الدين ابن القيسراني أنه لم يكن يأكل العنب، قال: لأنه كان يحبه فآثر أن يكون نصيبه في الجنة.

[٤٥] وأخبرني الحافظ ابن سيد الناس قال: زكى بعض الفقهاء تزكية عند بعض القضاة ما زكاها أحد قط؛ لأنه أمسك بيد الذي زكاه وقال للقاضي: يا مولانا، الناس ما يقولون ما يؤمن على الذهب والفضة إلا حمار؟ قال: نعم، قال: وهذا حمار وانصرف، فحكم القاضي بعدالة ذلك الفقيه.

---

(١) في الهامش بغير خط المؤلف: وثلث سيبويه صح.

[٤٦] وأخبرني عنه غير واحد أنه لم يزل عنده في بيته من أصحابه ومن الطلبة من يأكل على مائدته، لا يدخر شيئاً ولا يخبأ عنهم، وهنا أناس يلعبون الشطرنج وهنا أناس يطالعون وكل واحد في شأنه، لا ينكر على أحد شيئاً ولم تزل أخلاقه مرتاضة حتى يكون وقت الاشتغال يتنكر، وكان لا يتكلم في حل النحو للطلبة إلا بلغة العوام لا يراعي الإعراب.

[٤٧] وكان كثير العبادة والمروءة والترحم على من يعرفه من أصحابه لا يكاد يأكل شيئاً وحده، ينهى عن الخوض في العقائد، وله ترداد إلى من ينتمي إلى الخير، وليَ التفسير بجامع ابن طولون وبالقبة المنصورية وله تصدير في الجامع الأقمر وتصادير بمصر، ولم يصنف شيئاً إلا ما وجدناه من إملائه على الأمير سنان الدين الرومي شرحاً لكتاب المقرب لابن عصفور، وذلك من أول الكتاب إلى باب الوقف أو نحوه.

[٤٨] وأنشدني شيخنا العلامة أثير الدين قال: أنشدني الشيخ بهاء الدين لنفسه:

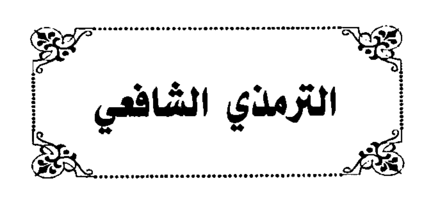
إني تركت لذا الورى دنياهم ... وظللت أنتظر الممات وأرقب

وقطعت في الدنيا العلايق ليس لي ... ولد يموت ولا عقار يخرب

قلت: وغالب روايات الشيخ أثير الدين كتبَ الأدب عنه، أعنى الشيخ بهاء الدين رحمه الله تعالى[1].

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢/ ١٠- ١٥.



الترمذي الشافعي

محمد بن أحمد بن نصر، الفقيه أبو جعفر الشافعي الترمذي.

[٤٩] لم يكن في وقته للشافعية مثله ورعاً ونقلاً ورياسة، سكن بغداد وحدث بها، وكان ثقة من أهل العلم والفضل، سئل عند موته عن حديث النزول فأجاب بجواب مالك -رحمه الله تعالى-.

[٥٠] قال محمد بن موسى بن حماد: إنه تقوت في سبعة عشر يوماً بخمس حبات أوثلاث حبات فقيل له: كيف عملت؟ قال: لم يكن عندي غيرها فاشتريت بها لفتاً فكنت آكل كل يوم واحدة، وقال أبو إسحق الزجاج النحوي: إنه كان مجرى عليه في كل شهر أربعة دراهم .

[٥١] وكان يقول: تفقهت على مذهب الإمام أبي حنيفة فرأيت النبي ﷺ في مسجد المدينة عام حججت، فقلت: يا رسول الله قد تفقهت بقول أبي حنيفة أفآخذ به؟ قال: لا، قلت: بقول مالك بن أنس؟ فقال: خذ منه ما وافق سنتي، قلت: فآخذ بقول الشافعي؟ فقال: ما بقوله إلا أنه أخذ بسنتي ورد على من خالفها، قال: فخرجت في أثر هذه الرؤيا إلى مصر وكتبت كتب الشافعي .

[٥٢] وقال الدارقطني: ثقة مأمون ناسك، وكان يقول: كتبت الحديث تسعاً وعشرين سنة.

ولد سنة مائتين وقيل: سنة عشر ومائتين، وتوفي سنة خمس وتسعين ومائتين، واختلط آخر عمره اختلاطاً عظيماً ومات ولم يغير شيبه، وهو صاحب وجه في المذهب.

[٥٣] قال محيي الدين النووي: إن أبا جعفر جزم بطهارة شعر رسول الله ﷺ وقد خالف في هذه المسألة جمهور الأصحاب[1].



أبو زيد الفاشاني الشافعي

محمد بن أحمد بن عبد الله، أبو زيد الفقيه الفاشاني الشافعي.

كان من الأئمة الأجلاء، حسن النظر مشهوراً بالعلم، حافظاً للمذهب وله فيه وجوه غريبة، ودخل بغداد وحدث بها ثم خرج إلى مكة وجاور بها سبع سنين، وحدث هناك بصحيح البخاري، وأبو زيد أجل من روى هذا الكتاب.

[٥٤] وقال أبو بكر الخباز :عادلتُ الفقيه أبا زيد من نيسابور إلى مكة فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة.

[٥٥] وقال أبو الحسن أحمد بن محمد الحاتمي الفقيه: سمعت أبا زيد يقول: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وأنا بمكة كأنه يقول لجبريل: يا روح الله، اصحبه إلى وطنه.

[٥٦] وكان في أول أمره فقيراً لا يقدر على شيء ويكتم باطن حاله، ثم أقبلت الدنيا عليه في آخر عمره وقد أسن وتساقطت أسنانه وبطلت

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢/ ٧٠، وما أحسن ما ذهب إليه رحمه الله تعالى.

آلته، وكان يقول للنعمة: لا بارك الله فيك أقبلتِ حيث لا ناب ولا نصاب.

قال الحاكم: كان من أئمة المسلمين ومن أحفظ الناس لمذهب الشافعي، توفي بمرو سنة إحدى وسبعين وثلاث مائة ومولده سنة إحدى وثلاث مائة[1].



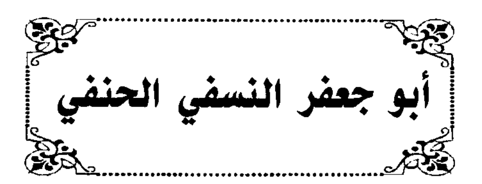
الخضري الشافعي

محمد بن أحمد، أبو عبد الله المروزي الفقيه الشافعي المعروف بالخضري، كان يضرب به المثل في قوة الحفظ وقلة النسيان، كان من كبار أصحاب القفال، وله في المذهب وجوه غريبة نقلها الخراسانيون، وكان ثقة في نقله وله معرفة بالحديث، ونسبته إلى الخضر بعض أجداده، توفي في عشر الستين والأربع مائة.

[٥٧] وسئل عن قلامة ظفر المرأة: هل يجوز للأجنبي النظر إليها؟ فأطرق الشيخ طويلاً ساكتاً، وكانت ابنة الشيخ أبي علي التستري تحته فقالت له: لم تتفكر! وقد سمعت أبي يقول في جواب هذه المسألة: إن كانت من قلامة أظفار اليدين جاز، وإن كانت من الرجلين لم يجز، وإنما كان كذلك؛ لأن يدها ليست بعورة، ففرح الخضري وقال: لو لم أستفد من اتصالي بأهل العلم إلا هذه المسألة لكانت كافية، قال ابن خلكان: هذا التفصيل -بين اليدين والرجلين- فيه نظر فإن أصحابنا قالوا: اليدان

(١) الوافي بالوفيات: ٢/ ٧١، ٧٢.

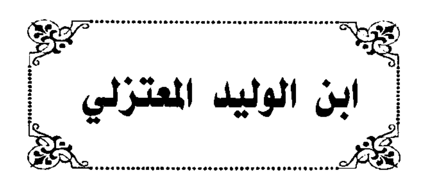
في الصلاة ليستا بعورة، فأما بالنسبة إلى نظر الأجنبي فما نعرف فرقاً بينهما فلينظر[1].



أبو جعفر النسفي الحنفي

محمد بن أحمد بن محمود، أبو جعفر النسفي الفقيه الحنفي، من ساكني نهر البزازين بالجانب الغربي من بغداد، كان من أعيان الفقهاء وله تعليقة في الخلاف مشهورة حسنة، وكان زاهداً ورعاً متعففاً فقيراً قنوعاً.

[٥٨] يحكي أنه بات ليلة مهموماً من الإضاقة وسوء الحال، فوقع في خاطره فرع من فروع مذهبه فأعجب به، فقام يرقص في داره ويقول :أين الملوك وأبناء الملوك فسألته زوجته عن ذلك، فأخبرها فتعجبت، توفي سنة أربع عشرة وأربع مائة[2].



ابن الوليد المعتزلي

محمد بن أحمد بن عبد الله، أبو علي المعتزلي شيخ المعتزلة الداعية إلى مذهبهم.

[٥٩] كان يدرس الاعتزال والحكمة فاضطره أهل السنة إلى أن لزم بيته، قال صاحب المرآة: خمسين سنة لا يتجاسر على الظهور، ولم يكن

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢/ ٧٢، ٧٣.

(٢) الوافي بالوفيات: ٢/ ٧٤.

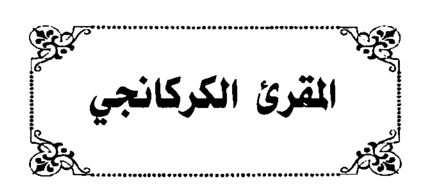
عنده من الحديث سوى حديث واحد رواه عن شيخه أبي الحسين البصري المعتزلي، ولم يرو غيره وهو قوله ﷺ **«إذا لم تستحي، فاصنع ما شئت»** فكأنهما خوطبا بهذا الحديث؛ لأنهما ما استحيا من بدعتهما.

[٦٠] كان القعنبي لم يسمع من شعبة غير هذا الحديث؛ لأنه قدم البصرة فصادف مجلس شعبة قد انقضى، ومضى إلى منزله فوجد الباب مفتوحاً وشعبة على البالوعة فهجم عليه من غير إذن وقال: أنا غريب وقد قصدتك من بلد بعيد لتحدثني، فاستعظم ذلك شعبة وقال: دخلت منزلي بغير إذني، وتكلمني وأنا على مثل هذه الحال؟ حدثنا منصور عن ربعي بن حراش عن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: **«إذا لم تستحي، فاصنع ما شئت»**، والله لا حدثتك غيره ولا حدثت قوماً أنت منهم، وحكى في هذه الواقعة غير هذا، والحديث صحيح اتفق البخاري ومسلم على إخراجه ولفظ الصحيح: **«إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى...»** الحديث.

[٦١] قال ابن عقيل: جرت مسألة بين أبي علي ابن الوليد وبين أبي يوسف القزويني في إباحة جماع الولدان في الجنة، فقال ابن الوليد: لا يمتنع أن يجعل ذلك من جملة اللذات في الجنة؛ لزوال المفسدة؛ لأنه إنما منع منه في الدنيا لما فيه من قطع النسل، وكونه محلاً للأذى، وليس في الجنة ذلك؛ ولهذا أبيح شرب الخمر لما أمن فيه السكر وغائلة العربدة وزوال العقل؛ فلذلك لم يمنع من الالتذاذ بها، فقال أبو يوسف: الميل إلى الذكور عاهة، وهو قبيح في نفسه؛ لأنه محل لم يخلق للوطء؛ ولهذا لم يبح في شريعة، بخلاف الخمر، وهو مخرج الحدث والجنة منزهة عن العاهات، فقال ابن الوليد: العاهة هي التلويث بالأذى، وإن لم يكن أذى لم يبق إلا مجرد الالتذاذ.

كان داعية إلى الاعتزال وتوفي سنة ثمان وسبعين وأربع مائة.

[٦٢] قال ابن النجار: قرأت في كتاب التاريخ لأبي الحسن محمد بن عبد الملك الهمذاني، وذكر وفاة أبي علي قال: ولم نعرف في أعمارنا مثل ورعه وقناعته، ولما توفي أبوه خلف مالاً جمّاً فتورع من أخذ سهمه، وقال: لم أتحقق أنه أخذ حراماً قط ولكني أعافه، ولما كبر وافتقر جعل ينقض داره ويبيع منها خشبة يتقوت بثمنها، وداره هذه كانت من حسان الدور[1].



المقرئ الكركانجي

محمد بن أحمد بن علي الكركانجي المروزي، الأستاذ المقرئ صاحب أبي الحسين الدهان.

كان إماماً في علوم القرآن، له في ذلك مصنفات، طوّف الكثير ورحل إلى العراق والشام والحجاز والسواحل.

توفي سنة أربع وثمانين وأربع مائة.

[٦٣] قال الكركانجي:

أردت أن أقرأ القرآن بالشام على بعض القراء برواية وقعت له عالية فامتنع علي ثم قال لي: تقرأ علي كل يوم عشراً وتدفع لي مثقالاً من الفضة، فقبلت ذلك منه قال: فلما وصلت إلى المفصل أذن لي كل يوم في قراءة سورة كاملة، وكنت أرسل غلماني في التجارة إلى البلاد وأقمت

(١) الوافي بالوفيات: ٢/ ٨٤-٨٦.

عنده سنة وخمسة أشهر حتى ختمت، واتفق أن لم يَرُدّ علي في هذه الرواية خلافاً؛ من جودة قراءتي، فلما قرب أن أختم الكتاب جمع أصحابه الذين قرأوا عليه في البلاد القريبة منه وأمرهم أن يحمل إلي كل واحد منهم شستكة[1] قيمتها دينار أحمر وفيها من دينارين إلى خمسة، وقال لهم: اعلموا أن هذا الشاب قرأ علي الرواية الفلانية، ولم يحتج أن أرد عليه وَوَزَنَ لي في كل يوم مثقالاً من الفضة وأردت أن أعرف حرصه في القراءة مع الجودة، ورد عليّ ما كان أخذ مني، ودفع إليَّ كل ما حمله أصحابه من الشساتك والذهب، فامتنعت فأظهر الكراهة حتى أخذت ما أشار إليه وخرجت من تلك البلدة.

[٦٤] وسأل يوماً أصحابه: أين في القرآن كلمة متصلة عشرة أحرف؟ فأفحمهم فقال: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[2].

ثم قال: فأين جاء في القرآن بين أربع كلمات ثمان نونات؟ فأفحمهم، فقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾[3].

وذكر السمعاني بإسناد أن الكركانجي قال: نصف القرآن: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ۝٧٤﴾[4]، النون والكاف من النصف الأول[5].

---

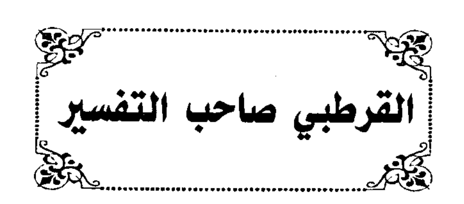
(١) قطعة قماش، وانظر((التكملة للمعاجم العربية)) لإبراهيم السامرائي:٢٩.

(٢) سورة النور: ٥٥.

(٣) سورة يوسف: ٢، ٣.

(٤) سورة الكهف: ٧٤.

(٥) الوافي بالوفيات:٢/ ٨٨، ٨٩.



القرطبي صاحب التفسير

محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الإمام العلامة أبو عبد الله الأنصاري الخزرجي القرطبي.

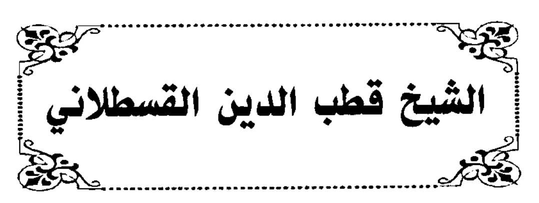
إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور فضله.

توفي أوائل سنة إحدى وسبعين وست مائة بمنية بني خصيب، من الصعيد الأدنى بمصر، وقد سارت بتفسيره الركبان وهو تفسير عظيم في بابه، وله «كتاب الأسنى في أسماء الله الحسنى» و «كتاب التذكرة» وأشياء تدل على إمامته وكثرة اطلاعه.

[٦٥] أخبرني من لفظه الشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمري قال: ترافق القرطبي المفسر والشيخ شهاب الدين القرافي في السفر إلى الفيوم، وكل منهما شيخ فنِّه في عصره: القرطبي في التفسير والحديث، والقرافي في المعقولات، فلما دخلاها ارتادا مكاناً ينزلان فيه فدُلا على مكان، فلما أتياه قال لهما إنسان: يا مولانا بالله لا تدخلاه؛ فإنه معمور بالجان، فقال الشيخ شهاب الدين للغلمان: ادخلوا ودعونا من هذا الهذيان، ثم إنهما توجها إلى جامع البلد إلى أن يفرش الغلمان المكان ثم عاد، فلما استقرا بالمكان سمعا صوت تيس من المعز يصيح من داخل الخرستان[١] وكرر ذلك الصياح، فامتقع لون القرافي وخارت قواه وبهت،

(١) الخرستان: بيت أو غرفة المؤونة، أي البيت الذي تحفظ فيه المؤونة والأدوات المختلفة التي تستعمل على المائدة، ((تكملة المعاجم العربية)) لدوزي: ٤/ ٥٥.

ثم إن الباب فتح وخرج منه رأس تيس وجعل يصيح، فذاب القرافي خوفاً، وأما القرطبي فإنه قام إلى الرأس وأمسك بقرنيه، وجعل يتعوذ ويبسمل ويقرأ: ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾[١]، ولم يزل كذلك حتى دخل الغلام ومعه حبل وسكين، وقال: يا سيدي تنح عنه، وجاء إليه أخرجه وأنكاه وذبحه، فقال له: ما هذا؟ فقال: لما توجهتما رأيته مع واحد فاسترخصته واشتريته لنذبحه ونأكله، وأودعته في هذا الخرستان، فأفاق القرافي من حاله وقال: يا أخي لا جزاك الله خيراً؛ ما كنت قلت لنا، وإلا طارت عقولنا أو كما قال[٢].



الشيخ قطب الدين القسطلاني

محمد بن أحمد بن علي، الإمام الزاهد قطب الدين أبو بكر القسطلاني التوزري الأصل المصري ثم المكي ابن الشيخ الزاهد أبي العباس.

ولد بمصر سنة أربع عشرة ونشأ بمكة، وسمع بها من جماعة، وقرأ العلم ودرّس وأفتى ورحل في طلب الحديث،وسمع من طائفة كثيرة ببغدادوالشام ومصر والموصل، واستجاز لأولاده السبعة: محمد والحسن وأحمد ومريم ورقية وفاطمة وعايشة وأسمع بعضهم.

---

(١) سورة يونس: ٥٩

(٢) الوافي بالوفيات: ٢/ ١٢٢، ١٢٣.

وكان شيخاً عالماً عاملاً زاهداً عابداً، جامعاً للفضائل كريم النفس كثير الإيثار حسن الأخلاق قليل المثل، طلب من مكة إلى القاهرة، وولي مشيخة الكاملية إلى أن مات، وله شعر مليح.

[٦٦] أخبرني الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس أن الشيخ قطب الدين كان يتوجه إلى أبي الهول-الذي عند أهرام مصر وهو رأس الصنم الذي هناك- ويعلو رأسه باللالكة ويقول: يا أبا الهول افعل كذا افعل كذا، قلت: رأيت جماعة من أهل مصر يعتقدون أن الشمس إذا كانت في الحمل وتوجه أحدهم إلى أبي الهول وبخر أمامه ووقف أمامه وقال ثلاثاً وستين مرة كلمات يحفظونها، ويقول معها: يا أبا الهول افعل كذا فزعموا أن ذلك يتفق وقوعه، وكأن الشيخ قطب الدين-رحمه الله- كان يفعل ذلك إهانة لأبي الهول، وعكساً لذلك المقصد الفاسد؛ لأن تلك لعلها تكون تعظيماً له ضرورة.

توفي الشيخ قطب الدين سنة ست وثمانين وست مائة.

[٦٧] ومن نظمه:

إذا كان أنسي في التزامي لخلوتي ... وقلبي عن كل البرية خال

فما ضرني من كان لي الدهرَ قالياً ... ولا سرني من كان فيّ موالي

[٦٨] أخبرني الشيخ أثير الدين شفاهاً قال: سمعت عليه الحديث وله تواليف لطيفة وكان بينه وبين ابن سبعين عداوة[1]؛ إذ كان ينكر عليه بمكة كثيراً من أحواله، وقد صنف في الطايفة التي يسلك طريقهم ابن سبعين وبدأ بالحلاج وختم بالعفيف التلمساني.

---

(١) وهو أحد الصوفية ممن يعتقد الحلول والاتحاد، والعياذ بالله.

[٦٩] وكان مأمّاً للمساكين والفقراء الواردين إلى القاهرة، يعمل لهم سماطاً يأكلون عنده ويبرهم ويعين كثيراً منهم على الحج[١].



السّرّاج النيسابوري

محمد بن إسحاق بن إبراهيم، أبو العباس السراج النيسابوري مولى ثقيف.

ولد سنة ثمان عشرة ومائتين، ورحل في طلب العلم إلى الأمصار: بغداد والكوفة والبصرة والحجاز، وعُني بالحديث وكان من المكثرين، صنف كتباً كثيرة وكان مجاب الدعوة.

[٦٩] قال: رأيتُ في المنام كأني أرقى في سلم طويل إلى السماء فصعدت تسعاً وتسعين درجة، فعاش تسعاً وتسعين سنة.

مات سنة ثلاث عشرة وثلاث مائة، سمع خلقاً كثيراً، وروى عنه البخاري ومسلم وغيرهما، واتفقوا على صدقه وفضله وثقته وورعه، قال الشيخ شمس الدين: هو محدث خراسان واسم أبي جده مهران.

[٧٠] قال: ختمت عن رسول الله ﷺ اثنتي عشرة ألف ختمة، وضحيتُ عنه اثنتي عشرة ألف أضحية، قال محمد بن أحمد الدقاق: رأيت السراج يضحي في كل أسبوع أو أسبوعين أضحية عن رسول الله ﷺ، قال أبو سهل الصعلوكي: كنا نقول السّرّاج كالسِراج[٢].

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢/ ١٣٢- ١٣٤.

(٢) الوافي بالوفيات: ٢/ ١٨٧، ١٨٨.

ابن بشير الحميري

محمد بن بشير الحميري البصري، أبو جعفر مولى بني سدوس، وقيل مولى بني هاشم، وقيل: هو من جذام. قال ابن المرزبان: وهو حكيم الشعر فصيح المعاني، قد سير أمثالاً في شعره، وكان أزرق أبرش وله مع أبي نواس أخبار.

[٧١] من شعره:

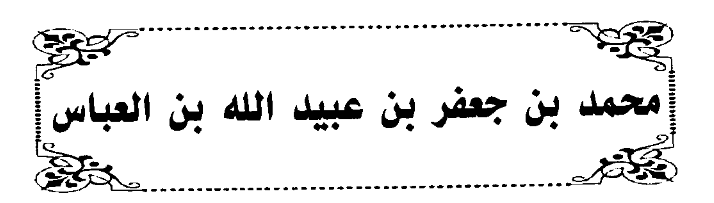
لا تيأسَنْ وإن طالت مطالبة	إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أَخْلِقْ بذي الصبر أن يحظى بحاجته	ومدمنِ القرع للأبواب أن يلجا
أبصر لرجلك قبل الخطو موقعها	فمن علا زلقاً عن غِرة زلجا
ولا يغرنْك صفو أنت شاربه	فربما صار بالتكدير ممتزجا

ومن شعره:

ويل لمن لم يرحمِ اللهُ	ومن تكون النار مثواه
كأنه قد قيل في مجلس	قد كنت آتيه وأغشاه
من طال في الدنيا به عمره	وعاش فالموت قصاراه
صار البشيري إلى ربه	يرحمنا الله وإياه[١]

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢/ ٢٥١، ٢٥٢.



محمد بن جعفر بن عبيد الله بن العباس

[٧٢] كان صاحب مروءة وفضل متصدياً لقضاء حوائج الناس، جواداً عاقلاً سمحاً.

وكانت له من المنصور منزلة ويعجب به ويلتذ بمحادثته، وكان لمكانته من المنصور يفزع الناس إليه بحوائجهم، فلما أفرط في ذلك حجبه المنصور عنه أياماً، ثم اشتاق إلى محادثته فقال: يا ربيع إن جميع اللذات عندي قد أخلقن(١) إلا محادثة محمد ومؤانسته، وقد كدرها عليّ بما يحملني من حوايج الناس؛ فاحتل عليه لعله يقصر من ذلك، فجاء الربيع إلى محمد وعاتبه واتفقا على أنه لا يحمل لأحد قصته، فلما غدا إلى المنصور بلغ الناس خبره فوقف له أرباب الحوايج على الطرق وبأيديهم الرقاع، فاعتذر إليهم فألحوا عليه فقال:

لست أكلم أمير المؤمنين في حاجة، فإن أحببتم أن تودعوا رقاعكم كمّي فافعلوا، فقذفوا بالرقاع في كمِّه ودخل على المنصور وهو في القبة فعاتبه وتحادثا ساعة، وكان المنصور يشرف على دجلة والفرات والبساتين والمزارع فقال له: ما ترى ما أحسن مشترفنا؟

فقال محمد: يا أمير المؤمنن ما بنت العرب والعجم في الإسلام والكفر مدينة أحسن منها، ولا أحصن ولا أجمع لخصال الخير، لكن ليس لي فيها ضيعة.

---

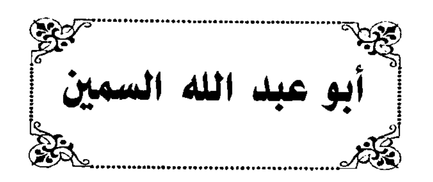
(١) أي بَلَيْنَ، بمعنى أن اللذات انقطعت عنه إلا....

فقال: أقطعتك ثلث ضياع في أكنافها، فاغد على أمير المؤمنين ليسجل لك بها، فبينا هو يحادثه إذ بدت الرقاع من كمه فضحك المنصور فقال له: ما هذه ؟فأخبره الخبر فقال له المنصور: أبيت يا ابن معلم الخير إلا كرماً ثم أمره فنثرها بين يديه، فوقع عليها وقضى حوايج أربابها، وتمثل بقول الشاعر:

[٧٣]لسنا وإن أحسابنا كرمت يوماً على الأحساب نتكل

نبني كما كانت أوايلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا

توفي محمد سنة اثنتين وستين ومائة[١].



أبو عبد الله السمين

محمد بن حاتم بن ميمون، أبو عبد الله السمين البغدادي.

[٧٤] كان صاحب غزو قال: التقينا الروم فأخذني روع فقلت لنفسي: أي كذابة أين ما كنت تدعين؟ ثم نزلت النهر واغتسلت وأخذت سلاحي وأتيت من وراء الروم وكبرت تكبيرة عظيمة، وكان النصر للروم فلما سمعوا التكبيرة ظنوا أن كميناً وراءهم فانهزموا ومنح الله المسلمين أكتافهم قتلاً وأسراً.

توفي سنة إحدى وستين ومائتين، روى عنه مسلم وأبو داود[٢].

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢/ ٢٨٨.

(٢) الوافي بالوفيات: ٢/ ٣١٥.

ابن السبل

محمد بن الحسين بن عبد الله، أبوعلي الشاعر الحكيم البغدادي.

توفي في المحرم سنة ثلاث وسبعين وأربع مائة ودفن بباب حرب.

كان شاعراً مجيداً له ديوان، وكان ظريفاً نديماً مطبوعاً.

[٧٥] من شعره:

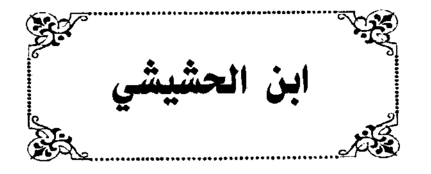
لا تظهــــرن لعــــاذل أو عــــاذر ... حاليــك في الـــسراء والـــضراء

فلرحمـــــة المتـــــوجعين حـــــزازة ... في القلـب مثـل شماتـة الأعـداء

[٧٦] وقوله:

يُفـني البخيـل بجمـع المـال مدتـه ... وللحــوادث والأيــام مــا يــدع

كـدودة القـز مـا تبنيـه يهـدمها ... وغيرهـا بالـذي تبنيـه ينتفـع [١]



ابن الحشيشي

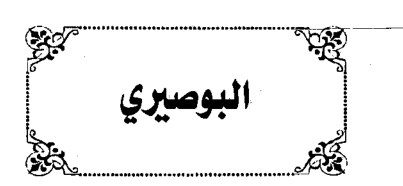
[٧٧] محمد بن الحشيشي شمس الدين الموصلي الرافضي.

قال الشيخ شمس الدين الذهبي ومن خطه نقلت:

حدثني الإمام محمد بنُ مُنتاب أن عز الدين يوسف الموصلي كتب إليه وأراني كتابه قال: كان لنا رفيق يشهد معنا في سوق الطعام يقال له الشمس بن الحشيشي كان يسب أبا بكر وعمر -رضي الله عنهما- ويبالغ، فقلت: يا

(١) الوافي بالوفيات: ٣/ ١١.

شمس، قبيح عليك أن تسب وقد شبت، مالك ولهم وقد درجوا من سبع مائة سنة والله يقول: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾[1]، فكان جوابه: والله إن أبا بكر وعمر وعثمان في النار، قال ذلك في ملأ من الناس، فقام شعر جسدي فرفعت يدي إلى السماء وقلت: اللهم يا قاهر فوق عباده، يا من لا يخفى عليه شيء، أسألك بنبيك إن كان هذا الكلب على الحق فأنزل بي آية، وإن كان ظالماً فأنزل به ما يعلم هؤلاء الجماعة أنه على الباطل في الحال، فورمت عيناه حتى كادت تخرج من وجهه واسود جسمه حتى بقي كالقبر وانتفخ وخرج من حلقه شيء يصرع الطيور، فحُمل إلى بيته فما جاوز ثلاثة أيام حتى مات، ولم يتمكن أحد من غسله مما يجري من جسمه وعينيه ودفن، وقال ابن منتاب: جاء إلى بغداد أصحابنا وحدثوا بهذه الواقعة وهي صحيحة، وتوفي سنة عشر وسبع مائة[2].



البوصيري

محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي شرف الدين، أبو عبد الله.

كان أحد أبويه من بوصير والآخر من دلاص، فركب له نسبة منهما وقال الدلاصيري ولكن اشتهر بالبوصيري وكانت له أشياء مثل هذا يركبها من لفظتين مثل قوله في كساءٍ له: كساط فقيل له: لماذا سميته بذلك؟ قال: لأني تارة أجلس عليه فهو بساط وتارة أرتدي به فهو كساء، وأهل العلم تسمي مثل هذا منحوتاً كقولهم: عبشمي نسبة إلى عبد

(١) سورة البقرة: ١٤١.

(٢) الوافي بالوفيات: ٣/ ٢٢، ٢٣.

شمس، وأظنه كان يعاني صناعة الكتابة في التصرف وباشر ذلك في الشرقية ببلبيس.

[٧٨] وله تلك القصيدة التي نظمها في مباشري الشرقية التي أولها:

فقدتُ طوايف المستخدمينا ... فلم أر فيهم رجلاً أميناً[١]

فقد عاشرتهم ولبثت فيهم ... مع التجريب من عمري سنينا

منها:

فكتاب الشمال همُ جميعا ... فلا صحبت شمالهم اليمينا

فكم سرقوا الغلال وما عرفنا ... بهم فكأنما سرقوا العيونا

ولولا ذاك ما لبسوا حريرا ... ولا شربوا خمور الأندرينا

وأقلام الجماعة جائلات ... كأسياف بأيدي لاعبينا

وقد ساوقتهم حرفاً بحرف ... فكل اسم يخطوا منه سينا

أمولاي الوزير غفلت عما ... يتم من اللئام الكاتبينا

تنسك معشر منهم وعُدوا ... من الزهاد والمتورعينا

وقيل لهم دعاء مستجاب ... وقد ملأوا من السحت البطونا

تفقهت القضاة فخان كل ... أمانته وسموه الأمينا

وما أخشى على أموال مصر ... سوى من معشر يتأولونا

يقول المسلمون لنا حقوق ... بها ولنحن أولى الآخذينا

وقال القبط نحن ملوك مصر ... وإنّ سواهمُ هم غاصبونا

---

(١) هذا دعاء عليهم بصيغة التمني، وتقديره: ليتني فقدتُ ....

وحللت اليهود بحفظ سبت | لهم مال الطوايف أجمعينا
وما ابن قَطيبةٍ إلا شريك | لهم في كل ما يتخطفونا
أغار على قرى فاقوسَ منه | بجور يمنع النوم الجفونا
وصيّر عينها حملاً ولكن | لمنزله وغلتها خزينا
وأصبح شغله تحصيل تبر | وكانت راؤه من قبل نونا
وقدّمه الذين لهم وصول | فتمم نقصه صلة الذينا
وفي دار الوكالة أي نهب | فليتك لو نهبت الناهبينا
فثم بها يهودي خبيث | يسوم المسلمين أذى وهُونا
إذا ألقى بها موسى عصاه | تلقفت القوافل والسفينا

وهي طويلة إلى الغاية، وقد اختصرت من أبياتها كثيراً، وله فيهم غير ذلك , وشعره في غاية الحسن واللطافة، عذب الألفاظ منسجم التركيب.

[٧٩] وقال في قصيدة أخرى أولها:

يا أيها المولى الوزير الذي | أيامه طايعةٌ أمرَه
ومن له منزلة في العلى | تكل عن أوصافها الفكره
إليك نشكو حالنا إننا | حاشاك من قوم أولي عسره
في قلة نحن ولكن لنا | عايلة في غاية الكثره
أُحدث المولى الحديث الذي | جرى لهم بالخيط والإبره
صاموا مع الناس ولكنهم | كانوا لمن أبصرهم عبره
إن شربوا فالبئر زير لهم | ما برحت والشربة الجَرّه

لهـم مـن الخبيـز مـصلوقة ... في كـل يـوم تـشبه النـشره
أقـول مهمـا اجتمعـوا حولهـا ... تنزهـوا في المـاء والخـضره
وأقبـل العيـد مـا عنـدهم ... قمـح ولا خبـز ولا فِطْـره
فـارحمهمُ إن عـاينوا كعكـة ... في يـد طفـل أو رأوا تمـره
تُـشْخَصُ أبـصارهم نحوهـا ... بـشهقة تتبعهـا زفـره
كـم قايـل يـا أبـا مـنهمُ ... قطعـت عنـا الخـير في كَـرّه
مـا صـرت تأتينـا بفلـس ولا ... بـدرهم وَرِق ولا نُقْـره
وأنـت في خدمـة قـوم فهـل ... تخـدمهم يـا أبتـا سُـخره
ويـوم زارت أمهـم أختهـا ... والأخـت في الغـيرة كالـضره
وأقبلـت تـشكو لهـا حالهـا ... وصـبرها مـني علـى العـشره
قالـت لهـا كيـف تكـون النسا ... كـذا مـع الأزواج يـا عُـرّة
قـومي اطلـبي حقـك منـه بـلا ... تخلـف منـك ولا فَتْـره
وإن تـأبى فخـذي ذقنـه ... وخلـصيها شـعرة شـعره
قالـت لهـا مـا هكـذا عـادتي ... فـإن زوجـي عنـده ضُـجْرَه
أخـاف إن كلمتـه كلمـة ... طلقـني قالـت لهـا بعـره
وهونـت قـدري في نفـسها ... فجـاءت الزوجـة محـترّه
فقـابلتني فتهـددتها ... فاسـتقبلت رأسـي بـآجُرّه
ودامـت الفتنـة مـا بيننـا ... مـن أول الليـل إلى بكـره
وحـق مـن حالتـه هـذه ... أن ينظـر المـولى لـه نظـره

كان البوصيري شيخاً مختصر الجرم، وكان فيه كرم، قلت: وأظن وفاته كانت في سنة ست وتسعين أو سبع وتسعين وست مائة أو ماحولهما، وللبوصيري في مديح النبي ﷺ قصايد طنانة منها قصيدة مهموزة أولها:

ليس ترقى رقيك الأنبياء

وقصيدة على وزن بانت سعاد أولها:

إلى متى أنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مسؤول

وقصيدته المشهورة بالبردة والتي أولها:

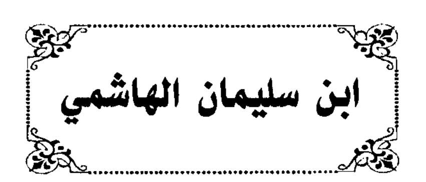
أمن تذكر جيرانٍ بذي سلم مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

[٨٠] قال البوصيري: كنت قد نظمت قصائد في مدح رسول الله ﷺ منها ما كان اقترحه علي الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير، ثم اتفق بعد ذلك أنه أصابني فالج أبطل نصفي ففكرت في عمل قصيدتي هذه البردة، فعملتها واستشفعت به إلى الله -عز وجل- في أن يعافيني وكررت إنشادها وبكيت ودعوت وتوسلت به(١) ونمت، فرأيت النبي ﷺ فمسح على وجهي بيده الكريمة وألقى عليّ بردة فانتبهت ووجدت فيّ نهضة فخرجت من بيتي ولم أكن أعلمت بذلك أحداً، فلقيني بعض الفقراء فقال: أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله ﷺ فقلت: أيها؟ فقال: التي أنشأتها في مرضك، وذكر أولها (وقال): والله لقد سمعنا البارحة وهي تنشد بين يدي رسول الله ﷺ ورأيته ﷺ يتمايل وأعجبته وألقى على من أنشدها بردة، فأعطيته إياها، وذكر الفقير ذلك فشاع المنام

---

(١) التوسل بذات النبي ﷺ أمر مختلف فيه بين العلماء فمنهم مجيز ومنهم مانع.

إلى أن اتصل بالصاحب بهاء الدين وزير الظاهر، فبعث إلي واستنسختها ونذر ألاَّ يسمعها إلا قائماً حافياً مكشوف الرأس، وكان يحب سماعها هو وأهل بيته. ثم إنه بعد ذلك أدرك سعدَ الدين المارقيَّ الموقعَ رمدٌ أشرف منه على العمى فرأى في المنام قائلاً يقول له: اذهب إلى الصاحب وخذ البردة واجعلها على عينيك تعافى بإذن الله تعالى، فأتى الصاحب وذكر منامه فقال: ما أعرف عندي من أثر النبي ﷺ بردة، ثم فكر ساعة وقال: لعل المراد قصيدة البردة، يا ياقوت قل للخادم يفتح صندوق الآثار ويخرج القصيدة من حق العنبر ويأت بها، فأتى بها فأخذها سعد الدين ووضعها على عينيه فعوفيتا ومن ثَمَّ سُميت البردة(١).



ابن سليمان الهاشمي

[٨١] محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، أبو عبد الله الهاشمي، وأمه أم حسن بنت جعفر بن حسن بن علي عليه السلام.

كان من وجوه بني العباس وأشرافهم.

ولد بالحميمة من أرض البلقاء سنة اثنتين وعشرين ومائة، وكان جواداً ممدحاً، ولاه أبو جعفر الكوفة والبصرة مرتين ووليها للهادي والرشيد، قدم على الرشيد معزياً في أخيه ومهنياً له بالخلافة فأكرمه وعظمه، وزاده على ولايته كور فارس والبحرين وعمان واليمامة والأهواز وكور دجلة، ولم يجتمع هذا لغيره وشيعه الرشيد إلى كلواذا وزوجه المهدي ابنته.

---

(١) الوافي بالوفيات: ٣/ ١٠٥- ١١٣.

[٨٢] وكان له خاتم من ياقوت أحمر لم يُر مثله فسقط من يده فطلبوه فلم يجدوه فقال: أطفئوا الشمع ففعلوا فرأوه.

وكان له خمسون ألف عبد منهم عشرون ألفا عتاقة.

وكانت به رطوبة وكان يتداوى بالمسك فيستعمل منه كل يوم عشرين مثقالاً ويتركه في عكن بطنه، وكانت غلته في كل يوم مائة ألف درهم.

[٨٣] وكان له لسان فيصعد المنبر بالبصرة فيأمر بالعدل والإحسان وينهى عن المنكر -مع ظلمه- فيقول أهل البصرة: ألا ترون ما نحن فيه من هذا الظالم الجاير؟ فاجتمعوا إلى أبي سعيد الضبعي وقالوا: كلِّمه، فلما صعد المنبر قال له: يا ابن سليمان لم تقولون ما لا تفعلون؟ يا ابن سليمان ليس بينك وبين أن تتمنى أنك لم تُخلق إلا أن يدخل ملك الموت من باب بيتك، فخنقته العبرة فلم يتكلم فقام أخوه جعفر إلى جانب المنبر وتكلم عنه فأحبه النساك حين خنقته العبرة وقالوا: مؤمن مذنب، وتوفي سنة ثلاث وسبعين ومائة، وأصابوا له من المال ستين ألف ألف درهم.

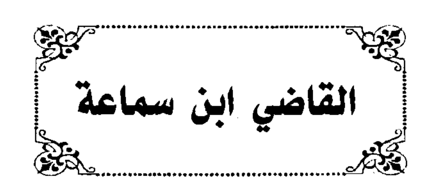
[٨٤] وقال الصوليّ: إن الرشيد فض ما خلَّفه محمد بن سليمان، وكان ثلاثة آلاف ألف دينار وكان مائة ألف دابة ما بين فرس وبغل وحمار وجمل، وذلك خارجاً عن الجواهر والضياع، ولما جاء المبلغ المذكور في السفن أمر به الرشيد ففرق على الندماء والمغنين، ولم يدخل منه إلى بيت ماله شيئاً، ووقفت جارية من جواريه على قبره وقالت:

[٨٥]أمسى التراب لمن هويت مُبَيِّتا ... إلق التراب وقل له حُيِّيتا

إنّا نحبك يا تراب وما بنا ... إلا كرامة من عليه حُثِيتا [1]

---

(١) الوافي بالوافيات: ٣/ ١٢١- ١٢٣.



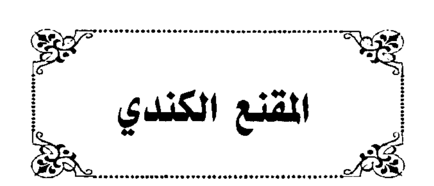
القاضي ابن سماعة

محمد بن سماعة بن عبد الله.

كان فاضلاً صاحب اختيارات في المذهب وروايات، وله المصنفات الحسان، وهو من الحفاظ الثقات.

[٨٦] كان يصلي كل يوم مائتي ركعة وقال: مكثت أربعين سنة لم تفتني التكبيرة الأولى إلا يوماً واحداً ماتت فيه أمي فاتتني صلاة الجماعة، فقمت فصليت خمساً وعشرين صلاة أريد بذلك الضعف فنمت فقيل لي: قد صليت ولكن كيف لك بتأمين الملائكة؟

ولي القضاء لهارون الرشيد بعد يوسف ابن أبي يوسف إلى أن ضعف بصره فعزله المعتصم، توفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين[١].



المقنع الكندي

محمد بن ظفر بن عمير وقيل: عميرة ينتهي إلى قحطان.

[٨٧] وكان محمد المذكور يعرف بالمقنع؛ لأنه كان أجمل الناس وجهاً وكان إذا سفر اللثام عن وجهه أصابته العين، وكان أمدَّ الناس قامة وأجملهم خلقاً، وكان إذا عِينَ يمرض ويلحقه عنت؛ فكان لا يمشي إلا

(١) الوافي بالوفيات: ٣/ ١٣٩، ١٤٠.

متقنعاً، وكان متخرقاً في العطاء سمحاً بالمال لا يرد سائلاً عن شيء حتى أتلف كل ما خلَّفه أبوه من مال فاستعلاه بنو عمه عمرو بن أبي شمر بأموالهم وجاههم ،وهوي بنت عمه عمرو فخطبها إلى إخوتها، فردوه وعيروه بتخرقه وفقره وما عليه من الدين فقال:

[٨٨]وإن الذي بيني وبين بني أبي وبين بني عمي لمختلفٌ جدا

فما أحمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

وليسوا إلى نصري سراعاً وإن همُ دعوني إلى نصر أتيتهمُ شَدا

وإن أكلوا لحمي وَفَرْتُ لحومهم وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

يعاتبني في الدَيْن قومي وإنما ديونيَ في أشياء تكسبهم حمدا

وقال عبد الملك بن مروان-وهو أول خليفة ظهر منه البخل-: أي الشعراء أفضل؟ فقال له كثير بن هراشة-يعرض ببخل عبد الملك-: أفضلهم المقنع الكندي حيث يقول:

[٨٩]إني أحرض أهل البخل كلهم لو كان ينفع أهل البخل تحريضي

ما قَلّ ما لي إلا زادني كرماً حتى يكون برزق الله تعويضي

والمال يرفع مَن لولا دراهمه أمسى يقلب فينا طرف مخفوض

لن تخرج البيض عفواً من أكفهم إلا على وجع منهم وتمريض

كأنها من جلود الباخلين بها عند النوائب تُحْذى بالمقاريض

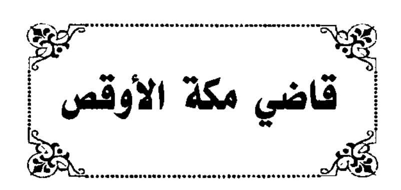
فقال عبد الملك وعرف ما أراده: الله أصدق من المقنع حيث قال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾[1].

---

(١) سورة الفرقان: ٦٧.

[٩٠] وهو القائل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ:

إن عليـــاً ســـاد بـــالتكرم	والحلـم عنـد غايـة الـتحلم
هــداه ربــي للــصراط الأقــوم	بأخــذه الحــل وتــرك المحــرم
كالليــث بــين اللبــوات الـضيغم	يرضـعن أشـبالاً ولـمَّـا تُفْطَــم[١]



قاضي مكة الأوقص

محمد بن عبد الرحمن بن هشام، أبو خالد القاضي المكي الأوقص.

ولي قضاء مكة.

[٩١] وكان قصيراً، دميماً جدّاً، وعنقه داخلاً وبدنه ومنكباه خارجان كأنهما رحيان، وكان الخصم إذا جلس بين يديه يرعد إلى أن يقوم، سمعته امرأة يوماً وهو يقول: اللهم أعتق رقبتي من النار فقالت: وأي رقبة لك؟

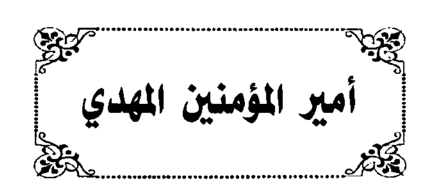
[٩٢] قالت له أمُّه: إنك خلقت خلقة لا تصلح معها لمعاشرة الفتيان، فعليك بالدين والعلم؛ فإنهما يتممان النقايص ويرفعان الخسايس، قال: فنفعني الله بما قالت، وتعلمت العلم حتى وليت القضاء.

توفي سنة تسع وستين ومائة[٢].

---

(١) الوافي بالوفيات: ٣/ ١٧٩، ١٨٠.

(٢) الوافي بالوفيات: ٣/ ٢٢٤.



أمير المؤمنين المهدي

محمد بن عبد الله أمير المؤمنين المهدي بن المنصور، ثالث خلفاء بني العباس.

مولده سنة سبع وعشرين ومائة، وأمه أم موسى بنت منصور الحميرية، كان جواداً ممدَّحاً، مليح الشكل محبباً إلى الرعية، قصاباً للزنادقة، روى عن أبيه وعن مبارك بن فضالة.

[٩٣] قال الشيخ شمس الدين[١]:

وما علمت قيل فيه جرحاً ولا تعديلاً، روى منصور بن أبي مزاحم ومحمد بن يحي بن حمزة عن يحيى بن حمزة قال: صلى بنا المهدي فجهر بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) فقلت: يا أمير المؤمنين ما هذا؟ فقال: حدثني أبي عن أبيه عن جده عن ابن عباس، أن النبي ﷺ صلى فجهر بـ(بسم الله الرحمن الرحيم) فقلت للمهدي: نأثره عنك؟ فقال: نعم، هذا إسناد متصل، قال الشيخ شمس الدين: لكن ما علمت أحداً احتج بالمهدي ولا بأبيه في الأحكام.

كان نقش خاتمه: (الله ثقة محمد وبه يؤمن).

قال الفلاس: ملك المهدي عشر سنين وشهراً ونصف شهر ومات لثمان بقين من المحرم سنة تسع وستين ومائة، وقالوا مات بما سبذان،

---

(١) أي الذهبي الإمام رحمه الله تعالى.

وعاش ثلاثاً وأربعين سنة، وعقد من بعده بالأمر لابنه موسى الهادي، ثم هارون الرشيد.

بويع له بمكة في المسجد الحرام عند وفاة المنصور في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة، وكانت خلافته على أصح الأقوال عشر سنين وشهراً ويوماً ثم بويع له ببغداد -على أصح الأقوال- يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة، ولما مات صلى عليه ابنه الرشيد هارون.

وكاتبه أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله بن يسار مولى عبد الله بن عصاه الأشعري، ثم يعقوب بن داود ثم الفيض بن الفضل بن الربيع مولاه، وحاجبه الحسن بن عثمان بن الفضل بن الربيع.

ومن شعره يخاطب جاريته:

[٩٤]أرى ماء وبي عطش شديد ... ولكن لا سبيل إلى الورود

أما يكفيك أنك تملكيني ... وأن الناس كلهم عبيدي

وأنك لو قطعت يدي ورجلي ... لقلت من الرضا أحسنت زيدي

[٩٥] وكتب إلى الخيزران وهي في منتزه له:

نحن في أفضل السرور ولكن ... ليس إلا بكم يتم السرور

عبت ما نحن فيه يا أهل ودي ... إنكم غبتمُ ونحن حضور

فأغِذّوا المسير بل إن قدرتم ... أن تطيروا مع الرياح فطيروا

[٩٦] دخل ابن الخياط المكي عليه فقبل يده ومدحه، فأمر له بخمسين ألف درهم، فلما قبضها فرقها على الناس وقال:

لمست بكفي كفه أبتغي الغنى ... ولم أدر أن الجود من كفه يعدي

فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفدت وأعداني فضيعت ماعندي

فبلغ المهدي ذلك فأعطاه لكل درهم ديناراً.

[٩٧] وعنفه والده المنصور لجزعه على جارية فقدها فقال له: كيف أوليك أمر الأُمَّة وأنت تجزع على أَمَة؟ فقال: لم أجزع على قيمتها وإنما أجزع على شيمتها.

[٩٨] جلس المهدي جلوساً عاماً فدخل عليه رجل وفي يده منديل فيه نعل، فقال: يا أمير المؤمنين هذه نعل رسول الله ﷺ قد أهديتها لك، فأخذها منه وقبل باطنها ووضعها على عينيه وأمر له بعشرة آلاف درهم، فلما خرج الرجل قال لجلسائه: أتروني أني أعلم أن رسول الله ﷺ لم يرها فضلاً عن أن يكون لبسها، ولو كذَّبناه لقال للناس: أتيت أمير المؤمنين بنعل رسول الله ﷺ فردها علي، وكان من يصدقه أكثر ممن يكذبه؛ إذ كان من شأن العامة الميل إلى أشكالها والنصرة للضعيف على القوي، وإن كان ظالماً فاشترينا لسانه وقبلنا هديته وصدقنا قوله، وكان الذي فعلناه أرجح وأنجح[1].

---

(١) الوافي بالوفيات: ٣/ ٣٠٠- ٣٠٢.



الجزيري

[٩٩] محمد بن عبد الله، أبو عبد الله الجزيري.

برع في العلم وطاف، وسمت همته إلى أن يحيي سنة مهدي المغرب[١]، وزعم أن عبد المؤمن وبنيه غيروا سيرته، فقام في قوم من البربر يعرفون بمزالة فخطبوا له واتبعوه، ثم خافوا عاقبة ذلك لما طُلب منهم فأشاروا عليه أن يختفي حتى يجد موضعاً يحميه، فرجع إلى بلاد الجزيرة بالأندلس، وأراد أن يظهر دعوته في جبال جزيرة الخضراء وخاطبهم في ذلك وانتسب إلى سعد ابن عبادة ﷺ فقالوا: هذا يريدنا لأمر تذهب فيه أموالنا وأرواحنا ولو كلفنا سعد بن عبادة هذا لم نلتفت إليه، فأيس منهم وصار إلى جهة بسطة فقعد في مسجد وأتاه أصحابه ببطيخ فجعلوا يأكلونه ويرمون قشوره في المسجد، فقال لهم رجل كان هنالك: ما رأيت أبعد منكم عن مروءة الدنيا والدين.

قالوا: وكيف ذلك؟

قال: أكلتم البطيخ وليس في المسجد غيري فلم تعرضوا علي، فعلمت أنكم لؤماء، ورأيتكم ترمون قشور البطيخ في بيت الله، فعلمت أنكم مستخفون بحرمته، فتردد فكري في أن تكونوا جهالاً أو زنادقة.

فقالوا له: لم يكن لك في الطعام نصيب فيلزمنا دعاؤك فأنت إذاً طفيلي، وبيت الله لعباده كلهم، وقشور البطيخ طاهرة فأنت إذاً فضولي، فعلا الكلام بينهم وكثر الصخب وأنكرتهم العامة فرفعوهم إلى الوالي،

---

(١) هو محمد بن تومرت.

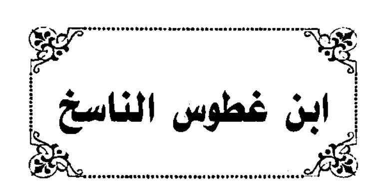
فبينا الوالي يكشف أحوالهم إذ وصله كتاب بأن الجزيري وأصحاباً له قد صاروا إلى جهتك، فبُثَّ العيون عليهم واسْتَقْرِ مظان اختفائهم فلعل الله يظفرك بهم ويطهر منهم البلاد والعباد، فقال الوالي: الله أكبر هذه حاجة أمير المؤمنين، ثم قرأ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾[1]، وقال لهم: كيف رأيتم استخفافكم ببيت الله وسوء أدبكم معه؟ وأنفذ بهم فضربت أعناقهم بعد ما كان الجزيري قد اشتهر أمره وعظم في النفوس قدره، فاهتم بأمره بنو عبد المؤمن وجعلوا عليه العيون في جميع بلادهم، وحصل في الأنفس منه أنه يتصور بصور الحيوانات المختلفة فكانت العوام يرجمون الكلاب والسنانير توهماً أنه تصور بصورة واحدة من تلك الحيوانات.

ومن شعره:

في أم رأسـي سـر	يبـدو لكـم بعـد حـين
لأطلـبن مـرادي	إن كـان سـعدي معـيني
أوْ لا فأُكتـبُ ممـن	سـعى لإظهـار ديـن[2]

(١) سورة آل عمران: ١٦٠.

(٢) الوافي بالوفيات: ٣/ ٣٥٠، ٣٥١.



ابن غطوس الناسخ

محمد بن عبد الله بن محمد، أبو عبد الله ابن غَطُّوس الأنصاري الأندلسي البلنسي الناسخ.

[١٠٠] قال ابن الأبار: انفرد في وقته بالبراعة في كتابة المصاحف ونقطها، يقال: إنه كتب ألف مصحف، ولم يزل الملوك والكبار ينافسون فيها إلى اليوم، وقد كان آلى على نفسه ألا يكتب حرفاً إلا من القرآن، وخلف أباه وأخاه في هذه الصناعة.

[١٠١] قلت: أخبرني من لفظه الشيخ الإمام الحافظ أبو الحسن علي ابن الصياد الفاسي بصفد سنة ست وعشرين وسبع مائة إنه كان له بيت فيه آلة النسخ والرقوق وغير ذلك لا يدخله أحد من أهله يدخله ويخلو بنفسه وربما قال لي: إنه كان يضع المسك في الدواة وكان مصحفه لا يهديه إلا بمائتي دينار وإن إنساناً جاء إليه من بلد بعيد-مسافة أربعين يوماً أو قال أكثر من ذلك- وأخذ منه مصحفاً ولما كان بعد مدة فكر في أنه وضع نقطاً أو ضبطاً على بعض الحروف في غير موضعه، وأنه سافر إلى تلك البلد وأتى إلى ذلك الرجل وطلب المصحف منه، فتوهم أنه رجع في البيع فقال: قبضتَ الثمن منيّ، فقال: لابد أن أراه، فلما أتى به إليه حك ذلك الغلط وأصلحه وأعاده لصاحبه ورجع إلى بلده أو كما قال.

[١٠٢] وقد رأيت أنا بخطه مصحفاً أو أكثر وهو قريب من حسن الوضع ورعاية المرسوم، ولكل ضبط لون من الألوان لا يخل، اللازورد للشدات والجزمات، واللّك للضمات وللفتحات والكسرات، والأخضر

للهمزات المكسورة، والأصفر للهمزات المفتوحة لا يخل بشيء من ذلك وليس فيه واو ولاألف ولا حرف ولا كلمة في الحاشية ولا تخريجة، وكأنه متى فسد معه شيء أبطل القائمة.

توفي المذكور سنة عشر وست مائة[1].



الشيخ جمال الدين ابن مالك

محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك، الإمام العلامة الأوحد جمال الدين أبو عبد الله الطائي الجياني الشافعي النحوي، نزيل دمشق.

ولد سنة إحدى وستمائة، وسمع بدمشق، وأخذ العربية عن غير واحد، وتصدر بحلب لإقراء العربية، وصرف همته إلى إتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية، وأربى على المتقدمين، وكان إماماً في القراءات وعللها صنف فيها قصيدة دالية مرموزة في قدر الشاطبية.

[١٠٣] وأما اللغة فكان إليه المنتهى فيها، أخبرني الشيخ الإمام شهاب الدين أبوالثناء محمود-رحمه الله- من لفظه قال: جلس يوماً وذكر ما انفرد به صاحب المحكم عن الأزهري في اللغة، قلت: وهذا أمر معجز؛ لأنه يريد ينقل الكتابين.

وأخبرني عنه أنه كان إذا صلى في العادلية- لأنه كان إمام المدرسةِ- يشيعه قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان إلى بيته تعظيماً له.

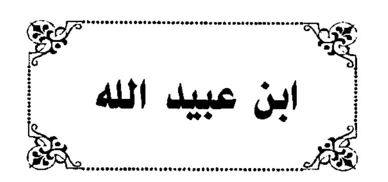
---

(١) الوافي بالوفيات: ٣/ ٣٥١، ٣٥٢.

[١٠٤] وأما النحو والتصريف فكان فيهما بحراً لا يشق لجّه، وأما إطلاعه على أشعار العرب التي يستشهد بها على النحو واللغة فكان أمراً عجيباً وكان الأئمة الأعلام يتحيرون في أمره، وأما الاطلاع على الحديث فكان فيه آية؛ لأنه أكثر ما يستشهد بالقرآن، فإن لم يكن فيه شاهد عدل إلى الحديث، وإن لم يكن فيه شيء عدل إلى أشعار العرب، هذا مع ما هو عليه من الدين والعبادة وصدق اللهجة، وكثرة النوافل وحسن السمت وكمال العقل، وانفرد عن المغاربة بشيئين: الكرم، ومذهب الشافعي.

أقام بدمشق مدة يصنف ويشغل بالجامع والتربة العادلية وتخرج به جماعة وكان نظم الشعر عليه سهلاً رجزه وطويله وبسيطه.

توفي سنة اثنتين وسبعين وست مائة بدمشق رحمه الله تعالى[١].



ابن عبيد الله

أبو بكر العرزمي، محمد بن عبيد الله، من اليمن من حضرموت، كوفي.

أدرك أول الدولة العباسية، ويكنى أبا بكر ويعرف بالعرزمي، جل شعره آداب وحكم.

[١٠٥] من شعره:

إن يحسدوني فإني غير لائمهم	**قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا**

---

(١) الوافي بالوفيات: ٣/ ٢٥٩- ٢٦٣.

فـدام لـي ولهـم مـا بـي ومـا بهـمُ ومـات أكثرنـا غيظـاً بمـا يجـد
أنـا الـذي وجـدوني في حلـوقهم لا أرتقـي صـادراً منهـا ولا أَرِدُ

[١٠٦] وقال:

أرى عاجزاً يـدعى جليـداً لغـشمه ولو كلف التقوى لكلـت مـضاربه
وعفًّـا يـسمَّى عـاجزاً لعفافـه ولولا التقى مـا أعجزتـه مذاهبه
ولـيس بعجـز المـرء أخطـأه الغنـى ولا باحتيالٍ أدرك المالَ كاسبُه [١]



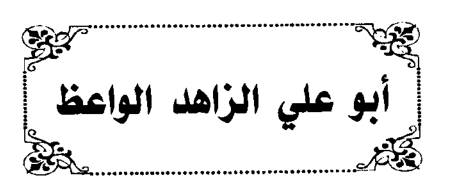
الهمذاني الفرضي المؤرخ

محمد بن عبد الملك بن إبراهيم، أبـو الحـسن الهمـذاني الفرضـي ابـن الشيخ أبـي الفـضل، جمـع تاريخـاً في الملـوك والـدول، تـوفي سـنة إحـدى وعشرين وخمس مائة.

وكـان فاضـلاً حـسن المعرفـة بـالتواريخ وأخبـار الـدول والملـوك والحوادث، قال ابن النجار: وبه ختم هذا الفن، وله مصنفات ملاح.

[١٠٧] قال: كان أبي إذا أراد أن يؤدبني يأخـذ العـصا بيـده ويقـول: نويت أن أضرب ابني تأديباً كما أمرني، وإلى أن تتم له النيـة أهـرب منـه، وكان والده رجلاً صالحاً ورعاً دعي إلى القضاء مراراً فلم يفعل[٢].

(١) الوافي بالوفيات: ٤/ ٢.
(٢) الوافي بالوفيات: ٤/ ٣٧، ٣٨.



أبو علي الزاهد الواعظ

محمد بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن، أبو علي الثقفي النيسابوري الزاهد الواعظ الفقيه، من ولد الحجاج بن يوسف.

[١٠٨] كان إماماً في أكثر علم الشرع، مقدماً في كل فن، عطَّل أكثر علومه واشتغل بالتصوف، ومع علومه خالف ابن خزيمة في مسائل، فألزم البيت ولم يخرج منه حتى مات سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة.

[١٠٩] كان يقول: يا من باع كل شيء بلا شيء، واشترى لا شيء بكل شيء.

[١١٠] أُفٍّ من أشغال الدنيا إذا أقبلت، وأفٍّ من حسراتها إذا أدبرت.

[١١١] العاقل لا يركن إلى شيء إذا أقبل كان شغلاً، وإذا أدبر كان حسرة.

[١١٢] وقال: ترك الرياء للرياء أقبح من الرياء [١].

---

(١) الوافي بالوفيات: ٤/ ٧٥.

الشريف محيي الدين ابن عدنان

محمد بن عدنان بن حسن، الشيخ الإمام العالم العابد، الشريف السيد محيي الدين العلوي الحسيني الدمشقي، الشيعي شيخ الإمامية.

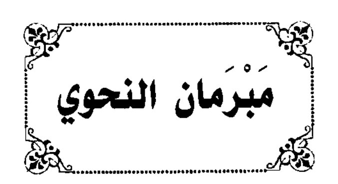
ولد سنة تسع وعشرين وست مائة.

[١١٣] ولي ابناه زين العابدين حسين وأمين الدين جعفر نقابة الأشراف فماتا واحتسبهما عند الله، أخبرني غير واحد أنهما لما مات كل واحد منهما كان مسجًّى قدامه وهو قاعد يتلو القرآن لم تنزل له دمعة عليه، وكان كل منهما رئيس دمشق، وولي النقابة في حياته ابن ابنه شرف الدين عدنان بن جعفر.

[١١٤] وكان محيي الدين ذا تعبد زائد وتلاوة وتأله وانقطاع بالمزة، أضر مدة. وكان يترضى على عثمان وغيره من الصحابة، ويتلو القرآن ليلاً ونهاراً، ويناظر منتصراً للاعتزال متظاهراً به، توفي سنة اثنتين وعشرين وسبع مائة[١].

---

(١) الوافي بالوفيات: ٤/ ٩٣.



مَبْرَمان النحوي

محمد بن علي بن إسماعيل، أبو بكر العسكري مصنف «شرح سيبويه» ولم يتمه.

[١١٥] لقَّبه المبرد: مَبْرَمان؛ لكثرة سؤاله وملازمته له، أفاد بالأهواز مدة. وكان دنيء النفس مهيناً يلح بالطلب من تلامذته، كان إذا أراد الحضور إلى منزله ركب في طبلية حمال من غير عجز به، وربما بال على الحمَّال فيصيح ذلك الحمال فيقول له: احسب أنك حملت رأس غنم، وربما كان يتنقل بالتمر ويحذف الطلبة بالنوى، أخذ عنه الكبار.

توفي سنة ست وعشرين وثلاثة مائة(١).



أبو بكر الكتاني الصوفي

محمد بن علي بن جعفر أبو بكر الكتاني.

أصله من بغداد وجاور بمكة حتى مات بها سنة اثنتين وثلاث مائة.

كان من خيار مشايخ الصوفية، وأحد الأئمة المشار إليهم في علوم الحقائق والزهد والعبادة، قال المرتعش: الكتاني سراج الحرم.

[١١٦] وقال السلمي: ختم الكتاني في الطواف اثنتي عشرة ألف ختمة.

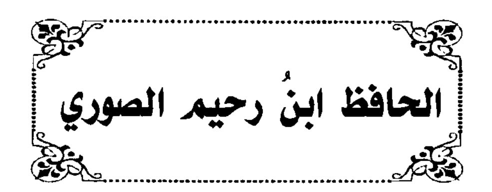
---

(١) الوافي بالوفيات: ٤/ ١٠٨، ١٠٩.

[١١٧] استأذن أمه في الحج فأذنت له، فلما دخل البادية أصاب ثوبه بول فقال: هذا خلل، فعاد إلى بيته وإذا أمه جالسة خلف الباب فقال: ما هذا؟ فقالت: اعتقدت مع الله تعالى أن لا أبرح من هذا المكان حتى تعود.

[١١٨] وقال: رأيت في منامي حوراء، ما رأيت في الدنيا أحسن منها فقلت: زوجيني نفسك، فقالت: اخطبني من سيدي، فقلت: ما مهرك؟ فقالت: حبس النفس عن مألوفاتها.

توفي سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة[1].



الحافظ ابنُ رحيم الصوري

محمد بن علي بن محمد بن رُحيم الحافظ، أبو عبد الله الصوري أحد أعلام الحديث.

سمع على كِبرَ وعُنِي بالحديث أتم عناية إلى أن صار فيه رأساً، وكان يسرد الصوم، ولم يكن له سوى عين واحدة، وعنه أخذ الخطيب علم الحديث، وله شعر رائق.

توفي سنة إحدى وأربعين وأربع مائة.

[١١٩] سمع بالكوفة من أكثر من أربع مائة شيخ، وكان هناك يظهر السنة ويترحم على الصحابة؛ فثاروا عليه ليقتلوه فالتجأ إلى أبي طالب ابن عمر العلوي فأجاره، وقال له: اقرأ علي فضائل الصحابة، فقرأ عليه

---

(١) الوافي بالوفيات: ٤/ ١١١، ١١٢.

فتاب من سبهم، وقال: قد عشت أربعين سنة في سبِّهم، أترى أعيش مثلها حتى أذكرهم بخير؟

وكان قد قسم أوقاته في نيف وثلاثين فناً، وكان حسن المحاضرة .

[١٢٠] ومن شعره:

قل لمن عاند الحديث وأضحى ... عائباً أهله ومن يدعيه

أبعلم تقول هذا أبِنْ لي ... أم بجهلٍ فالجهل خلق السفيه

أتعيب الذين هم حفظوا الدين ... من التُرّهات والتمويه

وإلى قولهم وما رددوه ... راجع كل عالم وفقيه

[١٢١] ومن شعره من أبيات:

تولى الشباب بريعانه ... وجاء المشيب بأحزانه

وإن كان ما جار في سيره ... ولا جاء في غير إبانه

ولكن أتى مؤذناً بالرحيل ... فويلي من قرب إيذانه

ولولا ذنوب تحملتها ... لما راعني حال إتيانه

ولكن ظهري ثقيل بما ... جناه شبابي بطغيانه[١]

(١) الوافي بالوفيات: ٤/ ١٢٨، ١٢٩.

أبو الفتح النطنزي

محمد بن علي بن إبراهيم بن أبي الفتح الكاتب، أبو الفتح النطنزي.

كان من البلغاء أهل النظم والنثر، سافر البلاد ولقي الأكابر وكان كثير المحفوظ، يحب العلم والسنة ويكثر الصدقة والصيام، ونادم الملوك والسلاطين، وكانت له وجاهة عظيمة عندهم، وكان تيَّاهاً عليهم، متواضعاً لأهل العلم، سمع الكثير بأصبهان وخراسان وبغداد ولم يمتَّع بالرواية، توفي في حدود الخمسين والخمس مائة.

[١٢٢] أورد له ابن النجار قوله:

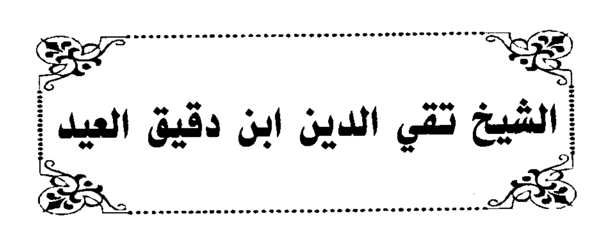
أقدم أستاذي على والدي وإن	تضاعف لي من والدي البر واللطف
فهذا مربي النفس والنفس جوهر	وذاك مربي الجسم وهو لها صدف

[١٢٣] وقوله:

يا طالباً للعلم كي يحظى به	دنيا ودينا حظوةً تعليه
اسمعه ثم احفظه ثم اعمل به	لله ثم انشره في أهليه[1]

---

(١) الوافي بالوفيات: ٤/ ١٦١، ١٦٢.



الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد

محمد بن علي بن وهب بن مطيع، الإمام العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبو الفتح، ابن دقيق العيد القشيري المنفلوطي المصري المالكي الشافعي، أحد الأعلام وقاضي القضاة.

ولد سنة خمس وعشرين بناحية ينبع، وتوفي يوم الجمعة حادي عشر صفر سنة اثنتين وسبع مائة.

سمع من عدة، وله التصانيف البديعة كـ «الإلمام» و «الإمام» شرحه ولم يكمل ولو كمل لم يكن للإسلام مثله، وكان يجيء في خمسة وعشرين مجلداً.

[١٢٤] وكان إماماً متفنناً، محدثاً، مجوّداً، فقيهاً مدققاً، أصوليّاً، أديباً نحويّاً شاعراً ناثراً، ذكيّاً غواصاً على المعاني، مجتهداً وافر العقل كثير السكينة بخيلاً بالكلام، تام الورع، شديد التدين، مديم السهر، مكباً على المطالعة والجمع، قَلّ أن ترى العيون مثله، وكان سمحاً جواداً، عديم الدعاوي، له اليد الطولى في الفروع والأصول، وبصر بعلل المنقول والمعقول.

[١٢٥] قد قهره الوسواس في أمر المياه والنجاسات وله في ذلك حكايات ووقائع عجيبة.

[١٢٦] وكان كثير التسري والتمتع، وله عدة أولاد ذكور بأسماء الصحابة العشرة.

تفقه بأبيه وبطائفة واشتهر اسمه في حياته وحياة مشايخه وتخرج به أئمة، وكان لا يسلك المراء في بحثه، بل يتكلم بسكينة كلمات يسيرة فلا يرادَّ ولا يراجع، وكان عارفاً بمذهبي مالك والشافعي، كان مالكيّاً أولاً ثم صار شافعيّاً قال: وافق اجتهادي اجتهاد الشافعي إلا في مسألتين: إحداهما أن الابن لا يزوِّج أمَّه والأخرى... [1] وحسبك بمن يتنزل ذهنه على ذهن الشافعي.

[١٢٧] وكان لا ينام الليل إلا قليلاً يقطعه بمطالعة وذكر وتهجد أوقاته كلها معمورة.

ولما طلع إلى السلطان حسام الدين لاجين قام له وخطا[2] عن مرتبته، وعزل نفسه عن القضاء مرات ثم يُسأل ويعاد إليه.

[١٢٨] وكان شفوقاً على المشتغلين كثير البر لهم.

[١٢٩] وقال قطب الدين: أتيته بجزء سمعه من ابن رواج والطبقة بخطه فقال: حتى أنظر، ثم عاد عليه فقال: هو خطي ولكن ما أحقق سماعي له ولا أذكره.

[١٣٠] وحكى قطب الدين السنباطي قال: قال الشيخ تقي الدين: لَكاتِبُ الشمال سنين لم يكتب عليَّ شيئاً، قلت: أخبرني بذلك الإمام العلامة قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن السبكي، قال: حكى لي ذلك السنباطي فاجتمعت به وقلت له: قال فلان عن فلان عن مولانا كذا وكذا؟ فقال: أظن ذلك، أو كذلك يكون المسلم، أو كما قال.

---

(١) هكذا بياض في الأصل مقدار نصف سطر.

(٢) خطا: أي مشى: ((المعجم الوسيط)): ١/ ٢٤٥.

[١٣١] وشعره في غاية الحسن في الانسجام والعذوبة وصحة المقاصد وغوص المعاني وجزالة الألفاظ ولطف التركيب، أخبرني الشيخ الإمام شهاب الدين أبو الثناء محمود قال: ما رأيت في أهل الأدب مثله، وناهيك بمن يقول شهاب الدين محمود في حقه هذا، وقال لي الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس وكان به خصيصاً: كان الشيخ تقي الدين ممتعاً إذا فتح له باب انقضت تلك الليلة في تلك المادة، حتى في شعر المتأخرين والعصريين، انتهى، قلت:

فهو الذي بَجِحَ الزمان بذكره وتزينت بحديثه الأخبار

قال القاضي شهاب الدين محمود: قال لي الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد يوماً قول أبي الطيب:

أو كان صادف رأس عازر سيفه في يوم معركة لأعيى عيسى

في هذا شيء غير إساءة الأدب، فأفكرت ساعة ثم قلت: نعم كون الموت ما يتفاوت أن كان بالسيف أو غيره، فالإحياء من الموت سبيل واحدة، فقال: أحسنت يا فقيه، أو كما قال، وهذه المؤاخذة لا تصدر إلا من أديب كبير كالجاحظ أو غيره.

[١٣٢] وأما ما كان يقع من الشيخ أثير الدين في حقه فله سبب أخبرني به الشيخ فتح الدين قال: كان الشيخ تقي الدين قد نزل عن تدريس مدرسة لولده-نسيت أنا المدرسة واسم ابنه- فلما حضر الشيخ أثير الدين درس قاضي القضاة تقي الدين ابن بنت الأعز، قرأ آية يفسرها درس ذلك اليوم وهي قوله تعالى﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ ﴾[1]، فبرز أبو حيان من الحلقة وقال: يا مولانا قاضي القضاة: قدموا أولادهم قدموا

(١) سورة الأنعام: ١٤٠.

أولادهم، يكرر ذلك، فقال قاضي القضاة: ما معنى هذا؟ قال: ابن دقيق العيد نزل لولده فلان عن تدريس المدرسة الفلانية، فنقل المجلس إلى الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد فقال: أما أبو حيان ففيه دعابة أهل الأندلس ومجونهم،وأما أنت يا قاضي القضاة فيبدل القرآن في حضرتك وما تنكر هذا الأمر!! فما كان إلا عن قليل حتى عزل ابن بنت الأعز من القضاء بابن دقيق العيد، فكان إذا خلا شيء من الوظائف التي تليق بالشيخ أثير الدين أبي حيان يقول الناس: هذه لأبي حيان يخرجها الشيخ تقي الدين لغيره، فهذا هو السبب الموجب لحط أبي حيان وشناعه عليه، وأهل العصر لا يرجع إلى جرحهم بعضهم بعضاً لمثل هذه الواقعة وأمثالها:

إن العرانين تلقاها مُحَسّدَةً ولا ترى للئام الناس حسادا[1]

[١٣٣] وما خلص ابن بنت الأعز من ضرب العنق إلا ابن دقيق العيد؛ لأن الوزير شمس الدين ابن السلعوس لما عمل على ابن بنت الأعز وعزله وسعى في عمل محاضر بكفره وأخذ خط الجماعة على المحاضر ولم يبق إلا خط ابن دقيق العيد أرسل إليه المحاضر مع نقباء، وقال: يا مولانا الساعة تضع خطك على هذه المحاضر، فأخذها وشرع يتأملها واحداً بعد واحد والنقباء يتواتر ورودهم بالحث والطلب والإزعاج، وأن الوزير في انتظار ذلك والسلطان قد حث في الطلب وهو لا ينزعج، وكلما فرغ محضراً دفعه إلى الآخر فقال: ما أكتب فيها شيئاً، قال الشيخ فتح الدين: فقلت له: يا سيدي لأجل السلطان والوزير، فقال: أنا ما أدخل في إراقة دم مسلم، قال: فقلت له: كنت تكتب خطك بذلك

(١) هم شُمّ الأنوف، الأعزاء.

وبما يخلص فيه، فقال: يا فقيه ما عقلي عقلك، هم ما يدخلون إلى السلطان ويقولون: قد كتب فلان بما يخالف خطوط الباقين، وإنما يقولون قد كتب الجماعة وهذا خط ابن دقيق العيد فأكون أن السبب الأقوى في قتله، قال: فأبطل إبطاله سعيهم وأطفأ من شواظ نارهم.

[١٣٤] وما أراه إلا أنه ممن بعثه الله تعالى على رأس كل مائة ليجدد لهذه الأمة دينهم؛ فإن الله بعث على رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز، وعلى رأس المائة الثانية الشافعي، وعلى رأس المائة الثالثة ابن سريج، وعلى رأس المائة الرابعة أبا حامد الإسفراييني، وعلى رأس المائة الخامسة أبا حامد الغزالي، وعلى رأس المائة السادسة الإمام فخر الدين الرازي، وعلى رأس المائة السابعة الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد، وأخبرني فتح الدين أنه ما كان يعجبه قول من يقول: «قاضي القضاة الشافعي» فإذا قلنا «قاضي القضاة الشافعية» قال: ايه هذا.

[١٣٥] أنشدني -من لفظه- الشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس قال: أنشدني شيخنا تقي الدين بن دقيق العيد لنفسه:

أأحبابَ قلبي والذين بذكرهم   وترداده طول الزمان تعلقي
لئن غاب عن عيني بديع جمالكم   وجار على الأبدان حكم التفرق
فما ضرنا بعد المسافة بيننا   سرائرنا تسري إليكم فنلتقي

[١٣٦] وبالسند المذكور له أيضاً:

قالوا فلان عالم فاضل   فأكرموه مثل ما يرتضي
فقلت لما لم يكن ذا تقى   تعارض المانع والمقتضي

[١٣٧] وبالسند المذكور له إجازة:

تهـيم نفـسي طربـاً كلمـا أسـتلمح الـبرق الحجازيَّـا

ويـستخف الوجـد عقلـي وقـد لبـست أثـواب الحِجَـى زيَّـا[1]

يـا هـل أُقَـضّي حـاجتي مـن منـى وأنحـر البُـزل المهاريّـا[2]

وأرتـوي مـن زمـزم فهـي لـي ألـذ مـن ريـق المَهَـى رِيّـا

[١٣٨] وبالسند المذكور له أيضاً:

تمنيـت أن الـشيب عاجـل لمـتي وقـرب مـني في صـباي مـزاره

لآخذ مـن عـصر الـشباب نـشاطه وآخذ من عـصر المشيب وقـارَه

[١٣٩] وأنشدني الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بـن نباتـة قـال: أنشدني الشيخ تقي الدين لنفسه:

أتعبـت نفـسك بـين ذلـة كـادحٍ طلب الحياة وبين حـرصٍ مؤمَّـلِ

وأضعت نفـسك لاخلاعـة مـاجن حـصلت فيـه ولا وقـار مبجَّـل

وتركت حظ النفس في الـدنيا وفي الأخـرى ورحـت عـن الجميع بمعـزَل

[١٤٠] وبالسند المذكور له أيضاً:

لعمري لقـد قاسـيت بـالفقر شـدة وقعـت بهـا في حـيرة وشـتات

فإن بحت بالشكوى هتكـت مروءتـي وإن لم أبح بالـصبر خفـت ممـاتي

فـأعظم بـه مـن نـازل بملمـة يزيـل حيـائي أو يزيـل حيـاتي

---

(١) الحجا أي العقل.

(٢) الإبل.

وأخبرني الشيخ فتح الدين أن الشيخ تقي الدين كان مُغرىً بالكيمياء[1] معتقداً صحتها قال:لأنه اتفق في مدينة قوص-لما كانوا بها- من صنعها بحضوره وحكى لي الواقعة بطوله.

[١٤١] ومن شعر الشيخ تقي الدين قدس الله روحه:

قد جرحتنا يد أيامنا ... وليس غير الله من آس
فلا تُرَجِّ الخلق في حاجة ... ليسوا بأهل لسوى الياس
ولا تزد شكوى إليهم فلا ... معنى لشكواك إلى قاس
وإن تخالط منهمُ معشراً ... هويت في الدين على الراس
يأكل بعضٌ لحم بعضٍ ولا ... يحسب في الغيبة من باس
لا ورعٌ في الدين يحميهمُ ... عنها ولا حشمة جُلاّس
لا يعدم الآتي إلى بابهم ... من ذلة الكلب سوى الخاسي
فاهرب من الناس إلى ربهم ... لا خير في الخلطة بالناس

[١٤٢] قال كمال الدين جعفر الأدفوي: حكى القاضي شهاب الدين ابن الكوبك التاجر الكارمي-رحمه الله- قال: اجتمعت به مرة فرأيته في ضرورة فقلت: يا سيدنا ما تكتب ورقة لصاحب اليمن!! اكتبها وأنا أقضي فيها الشغل، فكتب ورقة لطيفة فيها:

تجادل أرباب الفضائل إذ رأوا ... بضاعتهم موكوسة الحظ في الثمن
وقالوا عرضناها فلم نُلْفِ طالباً ... ولا من له في مثلها نظر حسن
ولم يبق إلا رفضها واطِّراحها ... فقلت لهم لا تعجلوا السوق باليمن

---

(١) أي تحويل المعادن إلى ذهب ونحو ذلك.

وأرسلها إليه فأرسل لـه مـائتي دينـار، واسـتمر يرسـلها إلى أن مـات صاحب اليمن.

[١٤٣] وقال كمال الدين أيضاً: قال لي عبد اللطيف ابن القفـصي: هجوته مرة فبلغه، فلقيته في الكاملية فقال: بلغني أنك هجـوتني أنـشدني، فأنشدته أولها:

قاضـــي القـــضاة أعـــزل نفـــسه لمـــا ظهـــر للنـــاس نحـــسه

إلى آخرها، فقال: هجوت جيداً.

[١٤٤] وأخبرني برهان الدين إبراهيم المصري الحنفي الطبيب، وكان قد استوطن قوص سنين قال: كنت أباشر وقفاً فأخذه مني شمـس الـدين محمد ابن أخي الشيخ ولاه لآخر فعز علي ونظمت أبياتا في الشيخ فبلغتـه فأنا أمشي مرة خلفه، وإذا به قد التفـت إلـي وقـال: يـا فقيـه بلغـني أنـك هجوتني، فسكت فقال: أنشدني، وألح علي فأنشدته الأبيات وهي:

وَلِيـتَ فـولّى الزهـد عنـك بأسـره وبان لنا غير الـذي كنـت تظهـر

ركنت إلى الـدنيا وعاشـرت أهلـها ولوكان عن جبرٍ لقد كنت تعـذر

فسكت زماناً وقال: ما حملك على هذا؟ فقلت: أنـا رجـل فقـير وأنـا أباشر وقفاً أخذه مني فلان، فقـال: مـا علمـتُ هـذا، أنـت علـى حالـك، فباشرت الوقف مدة وخطر لي الحج فجئت إليه أستأذنه فـدخلت خلفـه فالتفت إلي فقال: أمعك هجـو آخـر؟ فقلـت: لا ولكـني قـصدت الحـج وجئت أستأذن سيدي، فقال: مع السلامة ما يغيّر عليك.

[١٤٥] قلت: ولقد وقفت له على جواب طويل كتبه في درج إلى الأمير سيف الدين منكوتمر نائب السلطنة لحسام الدين لاجين وكان عند أستاذه

الجزء الذي لا يتجزأ، وقد كتب فيه بعد البسملة: ورد على العبد الفقير محمد بن علي مخاطبة الأمير الكبير سيف الدين ووقف عليها وعجب منها لأمرين، ثم إنه يذكر كل فصل ويجيبه عنه إلى أن قال في آخر ذلك: فكتب الأمير إلي كتاباً يُكتب إلى من ليس عنده من الدين شيء، ولو كان الأمير عرف مني ارتكاب الكبائر الموبقات ما زاد على ما فعل، وعلى الجملة فإن الله تعالى أمر نبيه بالمباهلة والملاعنة في الدين فقال لأهل الكتاب: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1]، فنمتثل أمر الله لرسوله ونقول: اللهم يا شديد البطش يا جبار يا قهار يا حكيم يا قوي يا عزيز يا قوي يا عزيز يا قوي يا عزيز، قد نُسِبتُ إلى أكل الحرام من مال المدارس الغائبة وإلى أمور أنت عالم بسرها، فإن كان ذلك في علمك صحيحاً فاجعل لعنتك ولعنة ملائكتك والناس أجمعين علي، وإن لم يكن صحيحاً فاجعلها على من افترى علي بها، وإن كان الولد قد فعل ما قيل من أخذ البراطيل[2] فاجعلها عليه، وإن لم يكن فاجعلها على من افترى عليه، فهذا إنصاف وامتثال لما أمر الله به ورسوله، وربك بالمرصاد والشكوى إلى الله الحكم العدل، قيل: إنه لم يلبث بعد ذلك إلا أسبوعاً أو قريباً منه حتى قتل السلطان أستاذه وقتل هو أيضاً[3]؟

---

(١) سورة آل عمران: ٦١.

(٢) أي الرشوة، ومفرد: بِرْطِيل: ((المعجم الوسيط)): ١/ ٤٩.

(٣) الوافي بالوفيات: ٤/ ١٩٣- ٢٠٩.



الواقدي

محمد بن عمر بن واقد الأسلمي مولاهم المعروف بالواقدي، الإمام أبو عبد الله المدني.

روى عن خلائق وكتب ما لا يوصف كثرةً.

ولد سنة تسع وعشرين ومائة.

وهو-مع عظمته في العلم- ضعيف، ولي القضاء أربع سنين ببغداد للمأمون، وكان عالماً بالمغازي والسيرة والفتوح والأحكام واختلاف الناس، توفي ببغداد سنة سبع ومائتين، وحاصل الأمر أنه مجمع على ضعفه، وأجود الروايات عنه رواية ابن سعد في الطبقات.

[١٤٦] كان يقول: ما من أحد إلا وكتبه أكثر من حفظه، وحفظي أكثر من كتبي، ويقال إنه حمل كتبه على مائة وعشرين وقراً، ويقال: إن المأمون قال له: لابد أن تصلي غداً بالناس الجمعة، فقال: والله ما أحفظ سورة الجمعة، قال: أنا أحفظك فجعل يلقنه السورة حتى يبلغ النصف منها فإذا حفظه ابتدأ بالنصف الثاني، فإذا حفظ الثاني نسي الأول فأتعب المأمون ونعس، فقال لعلي بن صالح: حفظه أنت، قال علي: فلم يحفظ واستيقظ المأمون ولم يحفظ فقال المأمون: هذا رجل يحفظ التأويل ولا يحفظ التنزيل، اذهب فصل بهم واقرأ أي سورة أردت.

قال الواقدي: صار إليَّ من السلطان ست مائة ألف درهم ما وجبت علي فيها زكاة، ومات وهو على القضاء وليس له كفن، فبعث المأمون بأكفانه.

[١٤٧] قال المفضل بن غسان عن أبيه قال: صليت خلف الواقدي صلاة الجمعة فقرأ: (إن هذا لفي الصحف الأولى صحف عيسى وموسى)[١].



محمد بن عمر بن يحيى الزيدي العلوي، أبو الحسن الكوفي نزيل بغداد.

كان رئيس الطالبيين مع كثرة الضياع والمال، قبض عليه عضد الدولة وسجنه وأخذ أمواله وبقي إلى أن أطلقه شرف الدولة ولده، يقال: إنه لما صادره أخذ منه ألف ألف دينار عيناً.

توفي سنة تسعين وثلاث مائة.

سمع أبا العباس ابن عقدة وطبقته وروى عنه أبو العلاء الواسطي وشيوخ الخطيب.

[١٤٨] رفع أبو الحسن علي بن طاهر عامل سقي الفرات إلى شرف الدولة أن الشريف زرع في سنة ثمان وسبعين وثلاثة مائة: ثمان مائة ألف جريب، وأنه يستغل ضياعه ألفي ألف دينار وبلغ الشريف ذلك فدخل على شرف الدولة وقال: يا مولانا، والله ما خاطبت بـ: مولانا ملكاً سواك ولا قبلت الأرض لملك غيرك؛ لأنك أخرجتني من محبسي وحفظت روحي ورددت عليّ ضياعي، وقد أحببت أن أجعل لك النصف مما أملك

(١) الوافي بالوفيات: ٤/ ٢٣٨- ٢٤٠.

وأكتبه باسم ولدك وجميع ما بلغك عني صحيح، فقال له شرف الدولة: لو كان ارتفاع ملكك أضعافه كان قليلاً، وقد وفر الله مالك عليك، وأغنى ولدي عنك، فكن على حالك، وهرب ابن طاهر إلى مصر فلم يعد حتى مات الشريف.

[١٤٩] ولما بنى داره بالكوفة كان فيها حائط عال فسقط من الحائط بنَّاء وقام سالماً، فعجب الناس وعاد البنَّاء ليصلح الحائط، فقال له الشريف: قد بلغ أهلك سقوطك وهم لا يصدقون بسلامتك وكأني بالنوائح وقد أتين إلى بابي، فاذهب إليهم ليطمئنوا ويصدقوا أنك في عافية وارجع إلى عملك، فخرج البنَّاء إلى أهله مسرعاً فلما بلغ عتبة الباب عثر فوقع ميتاً(١).

الإمام فخر الدين الرازي

محمد بن عمر بن الحسين، الإمام العلامة فريد دهره ونسيج وحده فخر الدين أبو عبد الله القرشي التيمي البكري، الطبرستاني الأصل الرازي المولد، ابن خطيب الري الشافعي الأشعري.

[١٥٠] علاّمة العلماء والبحر الذي ... لا ينتهي ولكل بحر ساحل
ما دار في الحنك اللسان وقلبت ... قلماً بأحسن من ثناه أنامل

ولد سنة أربعة وأربعين وخمس مائة.

واشتغل على والده الإمام ضياء الدين، وكان من تلامذة محيي السنة أبي محمد البغوي، وكان إذا ركب يمشي حوله نحو ثلاث مائة تلميذ فقهاء

---

(١) الوافي بالوفيات: ٤/ ٢٤٤، ٢٤٥.

وغيرهم، وكان خوارزم شاه يأتي إليه، وكان شديد الحرص جدّاً في العلوم الشرعية والحكمة.

[١٥١] اجتمع له خمسة أشياء ما جمعها الله لغيره-فيما علمته- من أمثاله وهي: سعة العبارة في القدرة على الكلام، وصحة الذهن والاطلاع الذي ما عليه مزيد، والحافظة المستوعبة والذاكرة التي تعينه على ما يريده في تقرير الأدلة والبراهين، وكان فيه قوة جدلية ونظره دقيق، وكان عارفاً بالأدب له شعر بالعربي ليس في الطبقة العليا ولا السفلى، وشعر بالفارسي لعله يكون فيه مجيداً، وكان عبل البدن ربع القامة كبير اللحية في صورته فخامة، كانوا يقصدونه من أطراف البلاد على اختلاف مقاصدهم في العلوم وتفننهم، فكان كل منهم يجد عنده النهاية فيما يرومه منه.

ورزق الإمام فخر الدين السعادة العظمى في تصانيفه وانتشرت في الآفاق، وأقبل الناس على الاشتغال بها ورفضوا كتب الأقدمين.

وكان في الوعظ باللسانين[١] مرتبة عليا، وكان يلحقه الوجد حال وعظه.

ويحضر مجلسه أرباب المقالات والمذاهب ويسألونه، ورجع بسببه خلق كثير من الكرامية وغيرهم إلى مذهب السنة، وكان يلقب بهراة شيخ الإسلام، يقال إنه حفظ «الشامل في أصول الدين» لإمام الحرمين.

[١٥٢] قصد خوارزم وقد تمهر فجرى بينه وبين أهلها كلام فيما يرجع إلى العقيدة فأخرج من البلد وقصد ما وراء النهر، فجرى له أيضاً ما جرى بخوارزم فعاد إلى الري.

---

(١) العربي والفارسي.

[١٥٣] وكان بها طبيب حاذق له ثروة وله بنتان فزوجهما بابني فخر الدين، ومات الطبيب فاستولى على جميع نعمته، ومن ثم كانت له النعمة، ولما وصل السلطان شهاب الدين الغوري -صاحب غزنة- بالغ في إكرامه وحصلت له أموال عظيمة منه، وعاد إلى خراسان واتصل بالسلطان خوارزم شاه محمد بن تكش، وحظي عنده وأظنه توجه رسولاً منه إلى الهند.

[١٥٤] وهو أول من اخترع هذا الترتيب في كتبه وأتى فيها بما لم يسبق إليه؛ لأنه يذكر المسألة ويفتح باب تقسيمها وقسمة فروع ذلك التقسيم ويستدل بأدلة السبر والتقسيم فلا يشذ منه عن تلك المسألة فرع لها بها علاقة، فانضبطت له القواعد وانحصرت معه المسائل.

[١٥٥] وكان ينال من الكرامية وينالون منه.

[١٥٦] ذكرت هنا ما يحكى من أنه رُفع لبعض الوعاظ -ممن يحسده- ورقة فيها: إن زوجتك تزني هي وبناتك، وأولادك يفسقون ويفعلون ويصنعون... وأشياء من هذه المادة، فقرأها في نفسه وقال: يا جماعة، هذه الورقة فيها سب أهل البيت وذمهم العنوا من كتبها، فقال الناس كلهم: لعنه الله.

[١٥٧] ولما توفي الإمام فخر الدين بهراة في دار السلطنة يوم عيد الفطر سنة ست وست مائة كان قد أملى رسالة على تلميذه ومصاحبه إبراهيم بن أبي بكر بن على الأصبهاني تدل على حسن عقيدته وظنه بكرم الله تعالى ومقصده بتصانيفه والرسالة مشهورة ولولا خوف الإطالة لذكرتها، ولكن منها:

وأقول: ديني متابعة سيد المرسلين، وقائد الأولين والآخرين إلى حظائر قدس رب العالمين، وكتابي هو القرآن العظيم، وتعويلي في طلب الدين عليهما، اللهم يا سامع الأصوات، ويا مجيب الدعوات، ويا مقيل العثرات، ويا راحم العبرات، ويا قيام المحدثات والممكنات، أنا كنت حسن الظن بك، عظيم الرجاء في رحمتك، وأنت قلت: «**أنا عندَ ظنِّ عبدِي بي، فليظن بي خيراً**»، وأنت قلت: ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ** ﴾[1]، وأنت قلت: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ** ﴾[2]، فهب أني ما جئت بشيء فأنت الغني الكريم، وأنا المحتاج اللئيم، وأعلم أنه ليس لي أحد سواك، ولا أحد كريم سواك، ولا أحد محسن سواك، وأنا معترف بالزلة والقصور، والعيب والفتور، فلا تخيب رجائي، ولا ترد دعائي، واجعلني آمناً من عذابك قبل الموت، وعند الموت، وبعد الموت، وسهل عليّ سكرات الموت، وخفض عني نزول الموت، ولا تضيق علي سبب الآلام والأسقام، فإنك أرحم الراحمين، ثم قال في آخرها:

واحملوني إلى الجبل المصاقب لقرية مزداخان وادفنوني هناك، وإذا وضعتموني في اللحد فاقرؤوا علي ما تقدرون عليه من آيات القرآن العظيم، ثم ردوا علي التراب بالمساحي، وبعد إتمام ذلك قولوا مبتهلين إلى الله مستقبلين القبلة على هيئة المساكين المحتاجين: يا كريم يا كريم، يا عالماً بحال هذا الفقير المحتاج أحسن إليه، واعطف عليه، فأنت أكرم الأكرمين وأنت أرحم الراحمين، وأنت الفعال به وبغيره ما تشاء، فافعل به ما أنت أهله فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة. انتهى.

---

(١) سورة النمل: ٦٢.

(٢) سورة البقرة: ١٨٦.

قلت: ومن وقف على هذه الألفاظ علم ما كان عليه هذا الإمام من صحة الاعتقاد ويقين الدين واتباع الشريعة المطهرة.

[١٥٨]صلاة وتسليم وروح عليه وممدود من الظل سَجْسَجُ

[١٥٩] وأكثر شناع عليه لخصومه أنه أكثر من إيراد الشبه والأدلة للخصوم ولم يجب عنها بطائل، حضرت أنا والشيخ فتح الدين ابن سيد الناس -رحمه الله- عند الشيخ أثير الدين أبي حيان، فجاء ذكر الإمام فخر الدين فذكر ابن سيد الناس أن ابن جبير ذكر عنه في رحلته قال:

ثم دخلت الري فوجدت ابن خطيبها قد التفت عن السنة وشغلهم بكتب ابن سينا وأرسطو، فقال لي الشيخ أثير الدين فيما بيني وبينه: كان فلان -شذ عني الشك مني لا من الشيخ أثير الدين- وأظنه الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد يقول: فخر الدين، وإن كان قد أكثر من إيراد شبه الفلاسفة وملأ بها كتبه، فإنه قد زلزل قواعدهم، قلت: الأمركما قال؛ لأنه إذا ذكر الفلاسفة أو غيرهم من خصومه شبهة ثم أخذ في نقضها، فإما أن يهدمها ويمحوها ويمحقها، وإما أن يزلزل أركانها.

[١٦٠] ولما مات الإمام فخر الدين خلف ثمانين ألف دينار سوى الدواب والعقار وغير ذلك، وخلف ولديْن الأكبرمنهما تجند في حياة أبيه وخدم خوارزم شاه، والآخر اشتغل ولم نعلم له ترجمة وأظنه الذي صنف له «الأربعين في أصول الدين» لكنه قال: لأكبر أولادي محمد، والله أعلم، وكان الإمام له في أيامه صورة كبيرة وجلالة وافرة وعظمة زائدة.

[١٦١] ذكر ابن مسدي في معجمه عن ابن عنين -رحمه الله- يقول: سمعت أبا المحاسن محمد بن نصر الله ابن عنين -رحمه الله- يقول: كنت

بخراسان في مجلس الفخر الرازي إذ أقبلت حمامة يتبعها جارح، فسقطت في حجر الرازي وعاذت به وهو على منبره فقمت وأنشدت بديهاً:

يا ابن الكرام المطعمين إذا شَتَوا ... في كل مسغبة وثلج خاشف

والعاصمين إذا النفوس تطايرت ... بين الصوارم والوشيج الراعف

مَن نبّأ الوَرْقاء[1] أن محلكم ... حرم وأنك ملجأ للخائف

وافت إليك وقد تدانى حتفها ... فحبوتها ببقائها المستأنف

ولو أنها تُحبى بمال لانثنت ... من راحتيك بنائل متضاعف

جاءت سليمانَ الزمان حمامة ... والموت يلمع من جناحي خاطف

فخلع عليه جبة كانت عليه، قال: فكان هذا سبباً لإقبال السعود علي وتسنّي الآمال لدي. انتهى، واقترح الإمام عليه قصيدة في كل كلمة منها سين، فنظمها ابن عنين وأولها:

مرسى السيادة سُنّةٌ سيفية ... محروسة مسعودة التأسيس

واقترح عليه قصيدة أخرى في كل كلمة منها حاء فنظمها أيضا وأولها:

حَيَّى محل الحاجبية بالحمى ... والسفحَ سَيْحُ مُدَلَّحٍ سَحّاحِ

وقال ابن عنين: حصلت ببلاد العجم من جهة فخر الدين وبجاهه نحواً من ثلاثين ألف دينار، ذكر ذلك ابن أبي أصيبعة في تاريخه.

[١٦٢] وحكى لي بعض الأفاضل أن بعض الملوك-أُنسيته- سأله أن يضع له شيئاً في الأصول يقرأه فقال له: بشرط أنك تحضر إلي درسي وتقرأه علي، فقال: نعم، وأزيدك على هذا، فوضع له «المحصل» قال

---

(١) أي الحمامة.

الحاكي، والعهدة عليه في ذلك: أن السلطان كان يجيء ويقف ويأخذ مداسه -يعني مداس الإمام- ويحمله في كمه ويسمع الدرس في الكتاب، قلت: إذا كان السلطان كذلك كيف لا يرغب أهل العلم ويزدادون نشاطاً ويجتهدون في طلب الغايات.

[١٦٣] وقال لي يوماً الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس: ما أعجب إلا من فخر الدين كونه وضع تفسيراً، أنت من أين!! والتفسير من أين!! كما أعجب من تقي الدين ابن تيمية كونه يرد على فخر الدين وابن سينا، فقلت له: ما القياس صحيحاً ولا المسألتان متقابلتين؛ لأن الإمام إذا عمل تفسيراً يحسن أن يقول: قال فلان كذا وقال فلان كذا، فينقل أقوال المفسرين، ولكن إذا أخذ الآية وذكر أدلة الشافعية منها وأدلة الحنفية منها، وبحث بين الفريقين من هو الذي يجري معه في ذلك الميدان، وإن كان الشيخ تقي الدين أقعد بعلم الرواية.

[١٦٤] وقلت يوماً للشيخ الإمام العلامة قاضي القضاة أبي الحسن علي السبكي: قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية -وقد ذكر تفسير الإمام-: فيه كل شيء إلا التفسير، فقال قاضي القضاة: ما الأمر كذا إنما فيه مع التفسير كل شيء. انتهى.

[١٦٥] ومن شعر الإمام فخر الدين ما أنشده ابن أبي أصيبعة قال: أنشدني بديع الدين البندهي قال: أنشدني الإمام فخر الدين لنفسه:

فلو قنعت نفسي بميسور بُلْغةٍ ... لما سبقت في المكرمات رجالها

ولو كانت الدنيا مناسبة لها ... لما استحقرت نقصانها وكمالها

ولا أرمق الدنيا بعين كرامة ... ولا أتوقى سوءها واختلالها

وذاك لأني عارف بفنائها ... ومستيقن ترحالها وانحلالها

أروم أموراً يصغر الدهر عندها … وتستعظم الأفلاك طُرّاً وصالها

[١٦٦] ومنه:

نهاية إقدام العقول عقال … وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا … وحاصل دنيانا ردى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول دهرنا … سوى أن جمعنا فيه قلت وقالوا

وكم قد رأينا من رجال ودولة … فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا

وكم من جبال قد علت شرفاتها … وِعالٌ فزالت والجبال جبال

[١٦٧] وله قصيدة نونية طويلة سماها «الهادية للتقليد المؤدية إلى التوحيد» أولها:

يا طالب التوحيد والإيمان … أبشر بكل كرامة وأمان

واعلم بأن أجل أبواب الهدى … تقرير دين الله بالبرهان

[١٦٨] ورجمه الكرامية يوماً على المنبر، وزرَّقوا عليه من سقاه السم- والله أعلم- فمات من ذلك[١].



القرشي

محمد بن عيسى بن طلحة التيمي القرشي.

[١٦٩] روى عنه الزبير بن بكار قوله:

ولا تعجل على أحد بظلم … فإن الظلم مرتعه وخيمُ

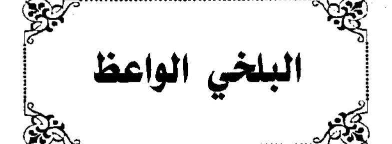
---

(١) الوافي بالوفيات: ٤/ ٢٤٨-٢٥٩.

ولا تفحـــش وإن ملئـــت غيظـــاً على أحـد فـإن الفحـش لُـومُ
ولا تقطـع أخـاً لـك عنـد ذنـب فـإن الـذنب يغفـره الكـريم
ولكــــن داو عودتــــه بَرقْــــع كمـا قـد يُرْقَـعُ الخَلَـق القـديم
ولا تجـزع لريـب الـدهر واصـبر فـإن الـصبر في العقبـى سـليم
فمـــاجزعٌ بمغـــنٍ عنـــك شـــيئاً ولا مـا فـات ترجعـه الهمـوم

[١٧٠] وقال:

لا تلـــم المـــرء علـــى فعلـــه وأنـــت منـــسوب إلى مثلـــه
مـــن ذم شـــيئاً وأتـــى مثلـــه فإنمـــا أزرى علـــى عقلـــه(١)



البلخي الواعظ

محمد بـن الفـضل بـن العبـاس، أبـو عبـد الله البلخـي الزاهـد الحـبر الواعظ.

كان سيداً عارفاً، نزل سمرقند وتلك الديار.

[١٧١] و وعظ مرة فمات أربعة أنفس.

وتوفي سنة تسع عشرة وثلاثة مائة.

(١) الوافي بالوفيات: ٤/ ٢٩٦.

[١٧٢] وقال: ما خطوت أربعين سنة لغير الله، وما نظرت أربعين سنة في شيء فاستحسنته حياء من الله، وما أمليت على ملكيّ منذ ثلاثين سنة خطيئة، ولو فعلت ذلك لاستحييت منهما[١].



أبو العيناء

محمد بن القاسم بن خلاد، اليمامي الهاشمي مولى المنصور البصري الأخباري، أبو العيناء.

مولده سنة إحدى وتسعين ومائة، وتوفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين.

وكان قبل العمى أحول.

[١٧٣] قال ياقوت: قرأت في تاريخ دمشق قرأت على زاهر بن طاهر عن أبي بكر البيهقي: حدثنا أبو عبد الله الحافظ: سمعت عبد العزيز بن عبدالملك الأموي يقول: سمعت إسماعيل بن محمد النحوي يقول: سمعت أبا العيناء يقول: أنا والجاحظ وضعنا حديث فدك وأدخلناه على الشيوخ ببغداد فقبلوه إلا ابن شيبة العلوي قال: لا يشبه آخر هذا الحديث أوله، فأبى أن يقبله.

[١٧٤] وكان جد أبي العيناء الأكبر لقي علي بن أبي طالب فأساء المخاطبة بينه وبينه فدعا عليه علي بالعمى له ولولده من بعده، فكل من عمي من ولد أبي العيناء فهو صحيح النسب فيهم .

---

(١) الوافي بالوفيات: ٤/ ٣٢٢.

وقال المبرد: إنما صار أبو العيناء أعمى بعد أن نيف على الأربعين وخرج من البصرة واعتلت عيناه فرمي فيهما بما رمي، والدليل على ذلك قول أبي علي البصير فيه:

قد كنت خفت يد الزما ... ن عليك إذ ذهب البصر
لم أدر أنك بالعمى ... تغنى ويفتقر البشر

[١٧٥] وقال أحمد بن أبي دؤاد: ما أشد ما أصابك من ذهاب بصرك؟

قال: أُبدأ بالسلام وكنت أحب أن أكون أنا المبتدئ، وأحدث من لا يقبل على حديثي ولو رأيته لم أقبل عليه.

فقال له ابن أبي دؤاد: أما من بدأك بالسلام فقد كافأته بجميل نيتك له، ومن أعرض عن حديثك فما أكسب نفسه من سوء الأدب أكثر مما نالك من سوء الاستمالة، فأنشد أبو العيناء:

إن يأخذ الله من عيني نورهما ... ففي لساني وسمعي منهما نور
قلب ذكي وعقل غير ذي دَخَل ... وفي فمي صارم كالسيف مأثور

[١٧٦] قال المتوكل: أشتهي أن أنادم أبا العيناء إلا أنه ضرير، فقال أبو العيناء: إن أعفاني أمير المؤمنين من رؤية الأهلة ونقش الخواتيم فإني أصلح.

[١٧٧] وخاصم يوماً علويّاً فقال له العلوي: أتخاصمني وأنت تقول في صلاتك «اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد» فقال له: لكني أقول «الطيبين الطاهرين» فتخرج أنت منهم.

[١٧٨] وصار يوماً إلى باب صاعد بن مخلد فاستأذن عليه فقيل: هو مشغول بالصلاة، ثم استأذن بعد ساعة فقيل له كذلك، فقال: لكل جديد لذة، وقد كان قبل الوزارة نصرانيّاً.

[١٧٩] ومر بباب عبد الله بن منصور- وكان مريضاً وقد صلح- فقال لغلامه: كيف خبر مولاك؟ فقال: كما تحب، فقال: مالي لا أسمع الصراخ عليه.

[١٨٠] ولقيه بعض أصحابه في السَحَر فجعل صاحبه يعجب من بكوره فقال أبو العيناء: أراك تشركني في الفعل وتفردني بالعجب.

[١٨١] واجتمع أبو هِفَّان وأبو العيناء على مائدة فقال أبو هفان: هذه أشد حرّاً من مكانك في لظى، فقال أبو العيناء: بردها بشيء من شعرك.

[١٨٢] وقال له المنتصر بن المتوكل : يا أبا العيناء ما أحسنُ الجواب؟ فقال: ما أسكت المُبْطِل وحير المحق، فقال: أحسنت والله.

[١٨٣] ودخل على ابن منارة الكاتب وعنده ابن المرزبان، فأراد العبث به ابن المرزبان فقال له ابن منارة: لا تفعل، فلم يقبل، فلما جلس قال له: يا أبا العيناء لم لبست جباعة؟ فقال: وما الجباعة؟ قال: التي ليست بجبة ولا دراعة، فقال أبو العيناء: ولم أنت صفديم؟ ثم قال: وما الصفديم؟ ثم قال: الذي ليس بصفعان ولا نديم، فوجم لذلك وضحك أهل المجلس.

[١٨٤] وقال: عشقتني امرأة بالبصرة من غير أن تراني وإنما كانت تسمع كلامي وعذوبته فلما رأتني استقبحتني وقالت: قبحه الله، هذا هو؟ فكتبت إليها:

ونبئتهــــا لمـــا رأتـــني تنكـــرت وقالت ذميم أحول ما لـه جـسم
فـإن تنكـري مـني احـولالاً فـإني أديـب أريـب لا عيـيٌ ولا فـدم

فوقعت في الرقعة: ألِديوان الرسائل أريدك أم لنفسي؟

وقال جحظة: أنشدنا أبو العيناء لنفسه:

حمـــدت إلهـــي إذ مُنِيْـــت بحبهـــا **على حول يغني عن النظر الشَزَر**[1]
نظـــرت إليهـــا والرقيـــب يظـــنني نظرت إليه فاسترحت من العـذر

وقال الخطيب:

مولد أبي العيناء بالأهواز ومنشأه بالبصرة، وبها كتب الحديث وطلب الأدب، وكـان مـن أحفـظ النـاس وأفـصحهم لـساناً وأسـرعهم جوابـاً وأحضرهم نادرة، وانتقل من البصرة إلى بغداد وكتب عنه أهلها ولم يـسند من الحديث إلا القليل، والغالب على رواياته الأخبار والحكايـات، وقـال الدارقطني: ليس بالقوي في الحديث[2].

(١) أي نظر الخلسة.

(٢) الوافي بالوفيات: ٤/ ٣٤١- ٣٤٤.

العَنْتَري الطبيب

محمد بن المجلي بن الصائغ، أبو المؤيد الجزري الطبيب المعروف بالعنتري؛ لأنه كان في أول الأمر يكتب سيرة عنتر.

كان طبيباً مشهوراً عالماً مذكوراً حسن المعالجة فيلسوفاً متميزاً في الأدب.

[١٨٥] له شعر حسن منه قوله الأبيات السائرة التي منها:

أقلل نكاحك ما استطعت فإنه ... ماء الحياة يراق في الأرحام

توفي سنة ستين وخمس مائة تقريباً.

[١٨٦] ومن شعره:

أبلغ العالمين عنيَ أني ... كل علمي تصور وقياس
قد كشفت الأشياء بالفعل حتى ... ظهرت لي وليس فيها التباس
وعرفت الرجال بالعلم لما ... عرف العلمَ بالرجال الناس

[١٨٧] ومنه:

قالوا أرضيت وأنت أعلم ذا الورى ... بحقائق الأشياء عن باريها
تجتاب أبواب الخمول فقلت عن ... كره ولست كجاهل راضيها
لي همة مأسورة لو صادفت ... سعداً بغير عوائق تثنيها
ضاق الفضاء بها فلا تَسْطيعها ... لعلوها الأفلاك أن تحويها
ما للمقاصد جمة ومقاصدي ... ناط القضاء بها الفضا والتيها

أطـوي الليـالي بـالمنى وصـروفها تَنـشُرُنِي أضـعاف مـا أطويهـا
أنـي علـى نـوب الزمـان لـصابر إمـا سـتُفني العمـر أو يفنيهـا
أمـا الـذي يبقـى فقـد أحرزتـه والفانيـات فمـا أفكـر فيهـا

[١٨٨] ومنه:

بـني كـن حافظـاً للعلـم مطرحـاً جميع ما الناس فيه تَكْتَسِبْ نـسبا
فقد يسود الفتـى مـن غـير سـابقة للأصل بالعلم حتى يبلغ الـشهبا
غَـذِّ العلـوم بتـذكار تعـش أبـداً فالنار تخمـد مهمـا لم تجـد حطبـا
إني أرى عدم الإنسان أصـلح مـن عمرٍ به لم ينل علمـاً ولا نَـشَبا[١]
قـضى الحيـاة فلمـا مـات شـيعه جهل وفقـر لقـد قـضاهما نـصبا

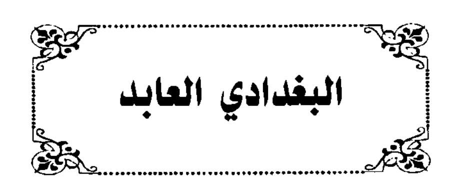
[١٨٩] ومنه:

مـن لـزم الـصمت اكتـسى هيبـة تخفـي عـن النـاس مـساويه
لـسان مـن يعقـل في قلبـه وقلـب مـن يجهـل في فيـه[٢]

---

(١) المال.

(٢) الوافي بالوفيات: ٤/ ٣٨٤- ٣٨٦.



البغدادي العابد

محمد بن مصعب، أبو جعفر البغدادي.

[١٩٠] كان أحد العباد المذكورين والقراء المعروفين، أثنى عليه الإمام أحمد ووصفه بالسنة وقال: كان رجلاً صالحاً يقص في المسجد ويدعو، جاءني وكتب عني الحديث، كان يقول: يا رب أخبأني تحت عرشك، وكان يقول: يا نفس ابن مصعب من أين لك في النار برادة؟ ثم رفع صوته وقرأ ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾[١].

[١٩١] كان مجاب الدعوة بلغ المأمون عنه شيء فأمر بحبسه فلما دخله رفع رأسه إلى السماء وقال: أقسمت عليك إن حبستني عندهم الليلة، فأخرج في جوف الليل وصلى الغداة في منزله.

اتفقوا على صدقه وثقته.

وتوفي سنة ثمان وعشرين ومائتين[٢].

---

(١) سورة الكهف: ٢٩.

(٢) الوافي بالوفيات: ٥/ ٣٣.

ابن بهلول الحمصي

محمد بن مصفى بـن بهلـول القرشـي الحمـصي، روى عنـه أبـو داود والنسائي وابن ماجه، اعتل بالجحفة ومات بمنى.

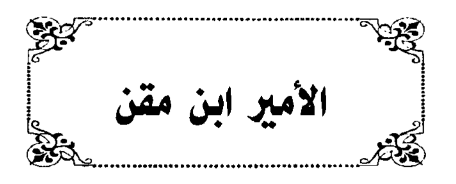
[١٩٢] قال محمد بن عوف: رأيته في المنام فقلت: يا أبا عبد الله أليس قدمت إلى ما صرت؟

قال: إلى خير ومع ذلك فنحن نرى ربنا كل يوم مرتين.

فقلت: يا أبا عبد الله صاحب سنة في الدنيا والآخرة.

قال: فتبسم إلي.

توفي سنة ست وأربعين ومائتين(١).



الأمير ابن مقن

محمد بن مقن بـن المقلـد، أبـو عبـد الله الأمـير، كانـت إليـه الإمـارة بسامراء وأعمالها.

وكان أديباً شاعراً من بيت إمارة وتقدُّم.

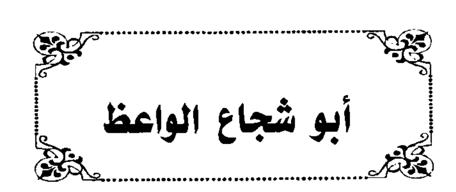
[١٩٣] كان فيه شح وإمساك، وكان إذا فرغ من طعامه نثر الخبـز في الجفان وخلطه بالماء الحار وصب عليه الأمراق الحامـضة والحلـوة البـاردة والحارة ويحضر الضعفاء للأكل، فقيل له: لو أفردت كل طعام لكان أحب

---

(١) الوافي بالوفيات: ٥/ ٣٣.

إليهم، فقال: هذا لا يأكله إلا مضطر إليه، وإذا ميزنا الأطعمة رغب فيها من لا حاجة له بها.

[١٩٤] حدث أبو الحسن ابن الصناديقي البزاز قال: قلت له يوماً: أيها الشيخ الأمير بالذي يغفر ذنبك -وكان يحب يدعى له بذلك- أنت فيمن قلع الحجر الأسود، فأمسك، وكررت عليه القول وكان في الموضع غُلَيِّم من صبيان البادية فقال: الحق بأهلك يا غليم، وأخذ بكتفي وجعل يضرب رأسي بعمود البيت ويقول: كنت فيمن رده يا فضولي، ويكرر القول والفعل(١).



أبو شجاع الواعظ

محمد بن المنجح بن عبد الله، أبو شجاع الواعظ.

تفقه وسافر إلى الشام في سنة أربعين وخمس مائة، ووعظ بدمشق وأقام بها مدة، وخرج إلى بعلبك وولي القضاء بها، وصرف عنها بعد مدة وعاد إلى بلاد الجزيرة، وكتب بيده الكتب الكبار وقدم بغداد ووعظ بها، وعاد إلى بلاد الجزيرة، ثم عاد إلى بغداد، وكان فقيهاً فاضلاً حسن الكلام في المناظرة أديباً مليح الشعر لطيفاً ظريفاً سمع الحديث.

[١٩٥] من شعره:

عذيري من زمن كلما ... شددت عرى أملي حلها

---

(١) الوافي بالوفيات: ٥/ ٥٣.

عـرائس فكـري قـد عنـست لأنـي عـدمت لهـا أهلـها
ونفـسيَ تنهـل مـن مـورد تـرى المـوت في الـوِرْد إن علـها
عليهـا مـن الـدهر أثقالـه ولا يغلـط الـدهر يومـاً لهـا

[١٩٦] ولما كان بواسط طاب وعظه لجماعة فسألوه أن يجلس لهم الأسبوع مرتين، فكان كلما عين لهم يوماً يحتجون بأن القراء يكونون فيه: يوماً في ختمة ديوان الخلافة، ويوماً في ختمة ديوان الإمارة، ويوماً عند ابن الغزنوي، ويوماً عند غيره، إلى أن ذكروا الأيام كلها، فأطرق ثم قال: لو عرفت هذا كنت أتيتكم معي بيوم من بغداد، وتوفي سنة إحدى وثمانين وخمس مائة ودفن بالشونيزية[١].

الوزير عميد الملك الكُنْدُري

محمد بن منصور بن محمد-ومنهم من قال: منصور بن محمد، والأول أصح- الوزير عميد الملك أبو نصر الكندري، وزير طُغْرُلبك.

كان من رجال الدهر جوداً وسخاء وكتابة وشهامة، استوزره طغرلبك ونال عنده الرتبة العليا، وهو أول وزير كان لبني سلجوق، ولولم يكن له منقبة إلا صحبة إمام الحرمين.

[١٩٧] قال ابن الأثير: كان الوزير شديد التعصب على الشافعية كثير الوقيعة في الشافعي، و بلغ من تعصبه أنه خاطب السلطان ألب رسلان في لعن الرافضة على المنابر بخراسان، فأذن له في ذلك فأضاف إليهم

---

(١) الوافي بالوفيات: ٥/ ٦٥، ٦٦.

الأشعرية فأنف من ذلك أئمة خراسان، منهم أبو القاسم القشيري وإمام الحرمين وغيرهما وفارقوا خراسان وكان قد تاب فيما بعد ذلك من الوقيعة فيهم، فلما جاءت الدولة النظامية أحضر من انتزح منهم وأحسن إليهم، وكان الوزير عميد الملك ممدحاً قصده الشعراء ومدحوه، ولم يزل الوزير عميد الملك في دولة طُغْرُلْبك عظيم الجاه وافر الحرمة إلى أن توفي طغرلبك.

[١٩٨] وقام بالمملكة من بعده ابن أخيه ألب رسلان، فأقره وزاده إكراماً، ثم إنه سيره إلى خوارزم شاه ليخطب له ابنته، فأرجف أعداؤه أن الوزير خطبها لنفسه وشاع ذلك، فعمد إلى لحيته فحلقها وإلى مذاكيره فجبَّها، وكان ذلك سبباً لسلامته، فنظم الباخرزي أبو الحسن علي في ذلك:

قالوا محا السلطان عنه بعدكم	سمة الفحول وكان قَرْماً[1]
قلت اسكتوا فالآن زاد فحولة	لما اغتدى من أنثييه عاطلا
فالفحل يأنف أن يسمى بعضه	أنثى لذلك جذه مستأصلا

وهو معنى جيد.

ثم إن ألب رسلان عزله لسبب يطول شرحه، وولى نظام الملك وحبس عميد الملك بنيسابور في دار عميد خراسان، ثم نقله إلى مرو الروذ وحبسه في دار فيها عياله، ولما أحس بالقتل دخل إلى حجرة، وأخرج كفنه وودع عياله وأغلق باب الحجرة واغتسل وصلى ركعتين وأعطى الذي هم بقتله مائة دينار، وقال: حقي عليك أن تكفنِّي في هذا الثوب الذي غسلته

(١) القرم :السيد.

بماء زمزم، وقال: لجلاده: قل للوزير: بئس ما فعلت!! علّمت الأتراك قتل الوزراء وأصحاب الديوان ومن حفر مَهواة وقع فيها، ومن سن سنة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، فقال الباخرزي مخاطباً للسلطان:

[١٩٩]وعمكَ أدناه وأعلى محله   وبوأه من ملكه كنفاً رحبا
قضى كل مولى منكما حق عبده   فخوله الدنيا وخولته العقبى

وقتل سنة ست وخمسين وأربع مائة.

[٢٠٠] أورد له ابن الجوزي في «المرآة» قوله:

الموت مر ولكني إذا ظمئت   نفسي إلى العز تستحلي لمشربه
رياسةٌ باض في رأسي وساوسها   تدور فيه وأخشى أن تدور به

[٢٠١] وقوله عندما قتل:

إن كان بالناس ضيق عن مزاحمتي   فالموت قد وسع الدنيا على الناس الناس
قضيت والشامت المغرور يتبعني   إن المنية كاس كلنا حاسِ

والعجب أن ألب رسلان ونظام الملك ماتا مقتولين، ومن العجائب أن آلات التناسل من الكندري مدفونة بخوارزم، ودمه مصبوب بمرو الروذ، وجسده مقبور بقرية كندر من طريثيث، وجمجمته ودماغه مدفونان بنيسابور، وسوأته محشوة بالتبن نقلت إلى كرمان ودفنت هناك، وفي ذلك يقول الباخرزي:

[٢٠٢] مفرقاً في الأرض أجزاؤه   بين قرى شتى وبلدان
جَبٌّ بخوارزم مذاكيره   طغرل ذاك الملك الفاني

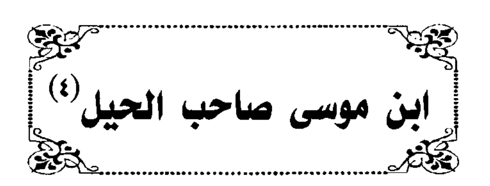
ومَصٍّ مرو الروذ من جيده ... معصفراً يخضبها قان

والشخص في كندر مستبطَن ... وراء أرماس وأكفان[1]

ورأسه طار فلهفي على ... مجثمه في خير جثمان

فلّوا بنيسابور مضمونه ... وقِحْفه الخالي بكرمان[2]

والحكم للجبار فيما مضى ... وكل يوم هو في شان [3]



ابن موسى صاحب الحيل[4]

[٢٠٣] محمد بن موسى بن شاكر.

أحد الإخوة الثلاثة الذين تنسب إليهم حيل بني موسى، وأخواه أحمد والحسن. كانت لهم همم علية في تحصيل العلوم القديمة؛ أنفذوا إلى بلاد الروم من أحضرها لهم، وأحضروا النقلة من أطراف البلاد بالبذل السنيِّ، وكان الغالب عليهم الهندسة والحيل في جر الأثقال والموسيقى والنجوم، ولهم في الحيل كتاب عجيب مشهور.

كان المأمون مغرى بعلوم الأوائل وتحقيقها ورأى فيها أن دور كرة الأرض أربعة وعشرون ألف ميل، كل ثلاثة أميال فرسخ فيكون المجموع

---

(١) أرماس جمع رمس وهو القبر.

(٢) القحف : مؤخر الرأس.

(٣) الوافي بالوفيات: ٥/ ٧١- ٧٤.

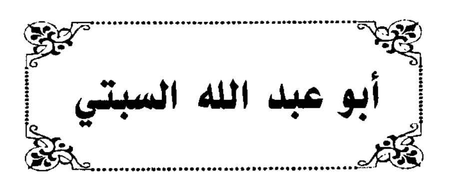
(٤) المقصود بالحيل هنا هي صناعة الآلات والعمل الهندسي.

ثمانية آلاف فرسخ، بحيث لو وضع طرف حبل على أي نقطة كانت وأدير الحبل على كرة الأرض، حتى انتهى بالطرف الآخر إلى تلك النقطة ومسح الحبل كان طوله أربعة وعشرين ألف ميل، فسأل بني موسى المذكورين عن حقيقة ذلك فقالوا له: نعم هذا قطعي.

فقال: اعملوا الطريق التي ذكرها المتقدمون حتى يتحرر لنا ذلك، فسألوا عن الأرض المتساوية فدلوا على صحراء بسنجار أو وطأة الكوفة، فأخذوا معهم جماعة يثق بهم المأمون وبمعرفتهم وتوجهوا إلى صحراء سنجار، فوقفوا في موضع منها وأخذوا ارتفاع القطب الشمالي، وجعلوا في ذلك الموضع وتداً وربطوا فيه حبلاً طويلاً، ثم توجهوا إلى الجهة الشمالية على الاستواء من غير انحراف حسب الإمكان، فلما فرغ الحبل نصبوا وتداً آخر وربطوا فيه حبلاً آخر، وفعلوا فعلهم الأول ولم يزالوا كذلك إلى موضع أخذوا فيه ارتفاع القطب المذكور فوجدوه قد زاد درجة، فمسحوا ذلك القدر الذي قدروه من الأرض بالحبال فبلغ ستة وستين ميلاً وثلثي ميل، فعلموا أن كل درجة من الفلك يقابلها من الأرض ستة وستون ميلاً وثلثا ميل، ثم عادوا إلى الموضع الأول وفعلوا في جهة الجنوب كما فعلوه في جهة الشمال، وأخذوا الارتفاع في موضع فوجدوا القطب فيه قد نقص درجة، ومسحوا الحبال فوجدوا القدر الثاني من الجنوب كالقدر الأول من الشمال، فعلموا أن حسابهم صح وأن الذي ذكره أرباب الهيئة في ذلك محقق، فحضروا إلى المأمون وعرفوه ما اتفق فجهزهم إلى وطأة الكوفة وقال: افعلوا فيها كما فعلتم في صحراء سنجار، فتوجهوا وفعلوا ما فعلوه هناك، فطابق فعلهم ما رأوه في صحراء سنجار وتوافق الحسابان، فعادوا إلى المأمون وأعلموه ما صح معهم فعلم صحة ما حرره القدماء.

ولبني موسى المذكورين أوضاع غريبة وأشياء عجيبة في جر الأثقال، وقال لي بعض الأذكياء أن الأعمال الثقيلة والعمائر الجبارة كلها عملت بالطليات والبكر من جر الأثقال.

توفي محمد بن موسى المذكور سنة تسع وخمسين ومائتين[1].



أبو عبد الله السبتي

محمد بن موسى بن عفان السبتي، أبو عبد الله، كان من أعرف الناس بالتواريخ وجمع من كتب التاريخ ما لم يجمعه أحد.

[٢٠٤] وكان لا يعير كتاباً، ويكتب على كتبه:

إني حلفت يميناً غير كاذبة ... أن لا أعير كتابي الدهر إنسانا

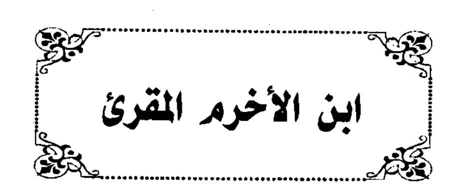
إلا برهن وأيمان مغلظة ... كيلا يضيع كتابي أينما كانا

توفي سنة إحدى وتسعين وأربع مائة[2].

---

(١) الوافي بالوفيات: ٥/ ٨٤، ٨٥.

(٢) الوافي بالوفيات: ٥/ ٩١.



ابن الأخرم المقرئ

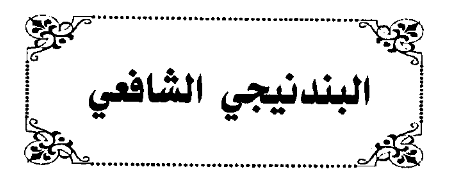
محمد بن النضر بن مر الربعي المقرئ المعروف بابن الأخرم، من أهل دمشق.

كان أحد الأئمة في علم القراءات والتفسير والعربية، وقدم بغداد أيام أبي بكر بن مجاهد، وأمر ابن مجاهد أصحابه فقرأوا عليه. وكان متواضعاً حسن الخلق منبسطاً.

[٢٠٥] يعين من يقرأ عليه بالإشارة بيده وفيه: مرة إلى الضم، ومرة إلى الفتح، ومرة إلى الكسر، ومرة إلى الإدغام ومرة إلى الإظهار، بإشارات عرفت منه وفهمت عنه.

توفي سنة اثنتين وأربعين وثلاث مائة.

[٢٠٦] وكان يوماً صائفاً فصعدت غمامة على جنازته من المصلى إلى قبره[١].



البندنيجي الشافعي

محمد بن هبة الله بن ثابت، الإمام أبو نصر البندنيجي الشافعي.

كان من أكبر أصحاب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، سمع وحدث.

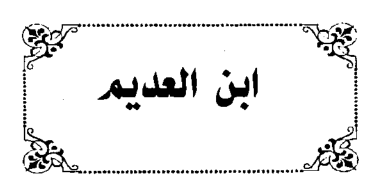
---

(١) الوافي بالوفيات: ٥/ ١٣١.

[٢٠٧] كان يقرأ في كل أسبوع ستة آلاف مرة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[(١)].

[٢٠٨] ويعتمر في رمضان ثلاثين عمرة، وهو ضرير يؤخذ بيده.

توفي بمكة سنة خمس وتسعين وأربع مائة[(٢)].



ابن العديم

محمد بن هبة الله بن أحمد، العقيلي الحلبي، أبو غانم.

كان فقيهاً فاضلاً زاهداً عفيفاً سمع أباه وغيره، وولي قضاء حلب وأعمالها وخطابتها في أيام تاج الدولة تتش سنة ثمان وثمانين وأربع مائة، ولم يزل قاضياً إلى أن عزله رضوان لما خطب للمصريين وولى القضاء الزوزني العجمي، ولما أعيدت الخطبة للعباسيين أعيد أبوغانم للقضاء وجاء التقليد من بغداد بالقضاء والحسبة.

وكان حنفي المذهب.

[٢٠٩] كان يوماً قد صلى بالجامع وخلع نعليه قرب المنبر -وكانا جديدين- فلما قضى الصلاة وقام ليلبسهما وجد نعليه العتيقين مكانهما، فسأل غلامه عن ذلك فقال: جاء إلينا واحد الساعة وطرق الباب وقال: يقول لكم القاضي: أنفذوا إليه مداسه العتيق فقد سرق مداسه الجديد، فضحك وقال: جزاه الله خيراً فإنه لص شفوق وهو في حل منه.

توفي أبو غانم سنة أربع وثلاثين وخمس مائة[(٣)].

---

(١) سورة الإخلاص: ١.

(٢) الوافي بالوفيات: ٥/ ١٥٦.

(٣) الوافي بالوفيات: ٥/ ١٥٨، ١٥٩.

الأندلسي الشاعر

محمد بن ولاَّد، أبو بكر من أهل شلطيش بغرب الأندلس .

[٢١٠] وكان لابن ولاد حفيد صغير يتعلم في المكتب فتغدى معه يوماً فقال له:

أجز:

أكلنا الخبز مصبوغاً بزيتِ

فقال الصبي:

غداء نافعاً في وسط بيتِ

فقال ابن ولاد:

فلو شيءٌ يرد الميت حيًّا

فقال الصبي:

لكان الخبز يحيي كل ميتِ

[٢١١] ووجد بخطه بعد موته:

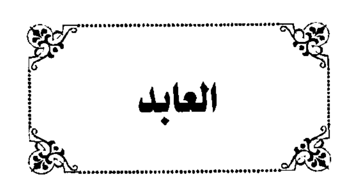
أرجوك يا رب في سري وفي علني ... إن الرجاء إليك اليوم يحملني

من ذا يؤنسني في القبر منفرداً ... إن لم تكن أنت يا مولاي تؤنسني

وسوف يضحك خِلٌ قد بكى جزعاً ... بعدي ويسلو الذي قد كاني يندبني

ذنبي عظيم ومنك العفو ذو عظم ... فكيف يا رب من عفو تخيبني

سميت نفسك رحماناً فقد وثقت   نفسي بأنك يا رحمان ترحمني[1]



العابد

محمد بن وهب، أبو جعفر العابد صاحب الجنيد.

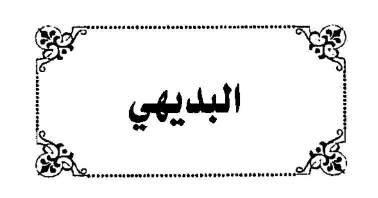
[٢١٢] قال: سافرت لألقى أبا حاتم العطار الزاهد البصري فطرقت عليه بابه فقال: من؟ فقلت: رجل يقول ربي الله، ففتح الباب ووضع خده على التراب وقال: طأ عليه؛ فهل بقي في الدنيا من يحسن أن يقول ربي الله؟.

توفي سنة إحدى وسبعين ومائتين، وغسله الجنيد وصلى عليه، ودفنه إلى جانب سري السقطي[2].

---

(١) الوافي بالوفيات: ٥/ ١٧٦، ١٧٧.

(٢) الوافي بالوفيات: ٥/ ١٧٧.



البديهي

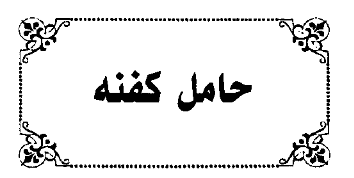
محمد بن وهيب البديهي.

[٢١٣] حضر مجلس بعض الفقهاء في عقد نكاح، فقالِ له الفقيه: لو أملكتك عقد هذا النكاح لشاركتنا في الحسنة، فقال له: نعم، كيف تريد ذلك نظماً أو نثراً؟ فاقترحوه نظماً فقال: هات كاتباً، فأملى عليه نظماً ذكر الشروط والتاريخ وكل ما له علاقة بالصداق لم يتردد فيه ولا أبطأ كأنه يتلوه من حفظه، فبهت القوم وقال له الفقيه: أمرك والله عجيب!! كاد-لولا المشاهدة- ألا أصدقه، وركب إلى المنصور بن أبي عامر فأخبره بالمجلس وأراه الشعر، فعجب من ذلك وأمر له بصلة حملت إليه، وكان عدة ما ارتجله ثلاثين بيتاً منها:

لأصدقَ عبدُ الله نجل محمد	فتى أموي زوجَه البكر مريما
وأمهرها عشرين عجَّلَ نصفها	دنانير يحويها أبوها مسلَّما
وأنكحها منه أبوها محمد	سلالة إبراهيم من حيٍّ خثعما
وباقي صداق البكر باق إلى مدى	ثلاثة أعوام زماناً متمَّما
مؤخرة عنه يؤدي جميعها	إذا لم يكن عند التطلب معدَما
ومن شرطها أن لا يكون مؤجلاً	لها أبداً عن دارها أين يمَّما
وألا يُرى حتماً بشيء يضيرها	يصرف فيه الدهر كفَّاً ولا فما

وكان ابن وهيب إذا جلس ابن أبي عامر للشعراء، وأذن لهم في الإنشاد بدأ ابن وهيب ينشده بديهة، فلا تأتيه نوبته حتى يفرغ كما أراده،

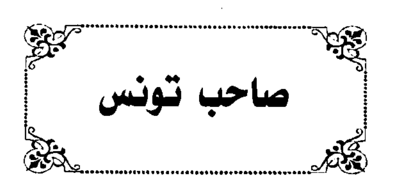
ويقوم فينشده وإن مداده ما جف[1].



حامل كفنه

محمد بن يحيي البغدادي، حامل كفنه، توفي في سنة ثلاثة مائة أو ما دونها.

[٢١٤] قال أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب: بلغني أن المعروف بـ (حامل كفنه) توفي وغسل وكفن وصلي عليه ودفن، فلما كان أول الليل جاءه نباش فنبش عليه، فلما حل أكفانه ليأخذها استوى قاعداً فخرج النباش هارباً منه فقام وحمل كفنه وخرج من القبر، وجاء إلى منزله وأهله يبكون فدق الباب عليهم فقالوا: من أنت؟ فقال: أنا فلان، فقالوا له: لا يحل لك أن تزيدنا على ما بنا، فقال: يا قوم افتحوا فأنا والله فلان، فعرفوا صوته ففتحوا له الباب وعاد حزنهم فرحاً، وسمي من يومه حامل كفنه[2].



صاحب تونس

محمد بن يحيى بن عبد الواحد، الأمير المستنصر أبو عبد الله بن الأمير أبي زكرياء الهنتاتي.

---

(١) الوافي بالوفيات: ٥/ ١٨٠.

(٢) الوافي بالوفيات: ٥/ ١٨٨، ١٨٩.

ولي أبوه يحيى مدة ومات سنة سبع وأربعين وهما بربريان موحدان صاحبا تونس وأجل ملوك الغرب في زمانهما، كان جده الشيخ عمر الهنتاتي من العشرة أصحاب ابن تومرت، وكان محمد ملكاً عظيماً شجاعاً سؤوساً متحيِّلاً على بلوغ قصده، يقتحم الأخطار.

[٢١٥] وهو ذو غرام بالعمارات واللذات تزف إليه كل ليلة جارية.

وقتل عميه لما تملك وأباد جماعة من الخوارج، وكانت أسلحة الجيش كلها في خزائنه فإذا وقع أمر أخرجها، ولم يكن لجنده إقطاع بل يجمع ارتفاع البلاد ويأخذ لنفسه الربع والثمن وينفق ما بقي فيهم كل عام نفقات، روى عنه الخطيب أبو بكر بن سيد الناس، توفي سنة خمس وسبعين وست مائة.

[٢١٦] أخبرني الشيخ أثير الدين من لفظه قال: أخبرني رئيس الأدباء أبو الحسن حازم أنه قال: كنت أسائر المستنصر ونحن في البستان الذي أنشأه ظاهر تونس فكنّا نتمالط[١] في الشعر، يبدأ هو بالبيت وأتمه أنا، وأبدأ أنا ويتمه هو، وكان مائلاً إلى الفقه على طريقة أهل الحديث، وأنشدني أثير الدين من لفظه قال: أنشدني صاحبنا أبو عمرو ابن الحافظ أبي بكر بن سيد الناس قال: أنشدني أبي قال: أنشدنا المستنصر بالله أبو عبد الله ملك إفريقية لنفسه:

[٢١٧]**ما لي عليك سوى الدموع معين** إن كنت تغدر في الهوى وتخون

مَن منجدي غير الدموع وإنها لمغيثة مهما استغاث حزين

---

(١) أملط الشاعر: أجرى المصراع الثاني بعدما قال صاحبه المصراع الأول، ومالطه ممالطة: قال الشاعر نصف بيت وأتمّه الآخر: ((المعجم الوسيط)): ٢/ ٨٨٥.

الله يعلـــــم أن مـــــا حمّلـــتني صـعب ولكـن في رضـاك يهـون

[٢١٨] وقال: أخبرني أبو الزهر أن المستنصر كان في بعض متصيداته فكتب لأبي عبد الله بن أبي الحسين يأمره بإحضار الأجناد لأخذ أرزاقهم:

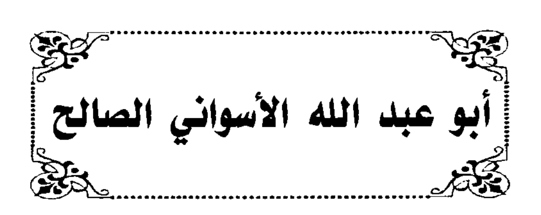
ليحـــضر كـــل ليـــث ذي منـــال زكـــا فرعـــاً لإســـداء النـــوال
غـدا يـوم الخمـيس فمـا شـغلنا بأُسْد الوحش عن أُسْد الرجـال

انتهى ما قاله أثير الدين.

[٢١٩] وكان والده يحيى قد صنع داراً عظيمة تحت الأرض، وأودع فيها من أنواع الأموال والسلاح ما جعله عدة وذخيرة لسلطانه، ولم يـترك على وجه الأرض مَن له علم بهـذا الموضـع إلا صـاحب وزارة الفـضل، وهو أبو عبد الله ابن الحسين بن سعيد، فلما جرت الفتنة واستقرت قـدم ابن يحيى في السلطنة- وكان الوزير المذكور ممن سخط عليه وقبض علـى دياره وأمواله وصيره كالمحبوس- كتب الوزير إليه رقعة وطلب الاجتمـاع به في مصلحة الدولة فأحضره وسأله فقال: إن المرحوم صنع تحت الأرض داراً أودعها نفائس أمواله وليس يعرفها غيري ووصاني أنـه إذا انتقـل إلى جوار ربه-إذ توقع أن تقع فتنة بين أقاربه- وقال: إذا انقضت سنة واستقر الأمر لأحد من ولدي أومن تتيقن أنه يصلح لأمر المسلمين، فأطلعه علـى هذه الذخائر؛ فربما فنيت الأموال بالفتنة فلا يجد القائم بالأمر ما يصلح به الدولة إذا تفرغ للتدبير والسياسة، ففرح السلطان وبـادر إلى تلـك الـدار فرأى ما ملأ عينه وسر قلبه، وخـرج الـوزير والخيـل تجنـب أمامـه وبـدَر الأموال[1] بين يديه، وأعاد الوزير إلى أحسن حالاته، وقـال الـسلطان: إن

(١) أي أوعية الأموال.

من أوجب شكر الله عليّ أن أفتتح المال بأن أؤدي منه للرعية -الذين نهبت دورهم واحترقت في الفتنة التي كانت بيني وبين أقاربي- ما خسروه، وأمر بالنداء فيهم وأحضرهم وكل من حلف على شيء قبضه وانصرف[1].



أبو عبد الله الأسواني الصالح

محمد بن يحيى بن أبي بكر صفي الدين، أبو عبد الله الأسواني الهرغي نزيل إخميم.

[٢٢٠] كان مشهوراً بالصلاح يعتقد الناس بركته وينقلون عنه مكاشفات وكرامات، قال الفاضل كمال الدين جعفر الأدفوي: وكان يدعي أنه يرى النبي ﷺ ويجتمع به.

قال: حكى عنه شيخنا العالم الفقيه تاج الدين محمد ابن الدشنائي قال: كنت أسمع به فأشتهي رؤيته، فلما اتفق سفري إلى إخميم توجهت إليه فتكلم إلى أن قال: ما يبقى في النار أحد، فقلت: ولا اليهود ولا النصارى؟ فقال: ولا اليهود ولا النصارى، قال: قلت له: الله تعالى قال كذا!! وقال: ﷺ كذا!! قال: كنت أعتقد ما تعتقده إلى أن وجدت النبيﷺ- أو قال: جاءني النبي ﷺ- وقال لي كذا، فتألمت منه وقمت، ورجعت إلى قوص واجتمعت بوالدي فقال لي: وصلت إلى إخميم؟

---

(١) الوافي بالوفيات: ٥/ ٢٠٢- ٢٠٤.

فقلت: نعم.

قال: فاجتمعت بأبي عبد الله الأسواني؟

قلت: نعم.

فقال: ما قال؟

فحكيت له فتبسم فقال: حضرت أنا والشيخ تقي الدين عنده وجرى مثل ذلك ونازعناه طويلاً فقال: يا أصحابنا ما يبقى في النار إلا هذان الرجلان.

قال: وحكى لي صاحبنا الشيخ الفقيه شرف الدين محمد بن الفاسح الإخميمي قال: جرى شيء من ذلك عند شيخنا ابن دقيق العيد فقال: كان في بلدك من يقول هذه المقالة: فقلت: من سيدي؟ فقال: عجيب تعرفني أذكر أحداً.

وبلغت مقالته بعض قضاة القضاة فأرسل إلى قاضي إخميم أن يحضره ويعمل معه الشرع، وكان الحاكم بها ابن المطوع وكان عاقلاً فيه سياسة فأحضره والعوام تعتقده فقال: يا شيخ أبا عبد الله ما نتوب كلنا إلى الله تعالى؟ فقال: نعم نقول كلنا: اللهم إنا نتوب إليك، فقال ذلك، وتركه وكتب إلى قاضي القضاة أنه أحضره وأنه تاب، وذكر حاله وقيام العوام معه وما ينقل عنه من خبر.

وتوفي بإخميم سنة ست وثمانين وست مائة ودفن برباطه بها، ومولده سنة اثنتين وست مائة، وأبوه أبو زكرياء من المغرب قدم أسوان وأقام بها، وتوفي سنة تسع عشرة وست مائة.

[٢٢١] قال الفاضل كمال الدين جعفر الأدفوي: ووجدت بخط

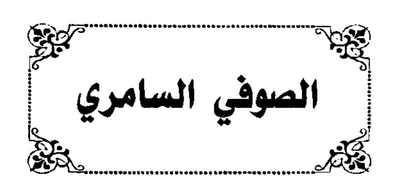
الكمال ابن البرهان: سمعت الشيخ أبا عبد الله يقول:

دخلت دمشق فحضرت مجلس واعظ كان معظمّاً فيها فقال: ليس أحد يخلو من هوى.

فقال له شخص: ولا رسول الله؟

فقال: ولا رسول الله.

فأنكرت عليه، فقال: قال ﷺ «**حُبِّب إلي من دنياكم ثلاث**» فقلت: هذا عليك؛ لأنه ما قال أحببت، ثم فارقته ورأيت قائلاً يقول لي في النوم أو قال: قال رسول الله ﷺ: قد ضربنا عنقه، فخرج من دمشق فقتل[(١)].



الصوفي السامري

محمد بن يعقوب بن الفرج، أبو جعفر الصوفي السامري.

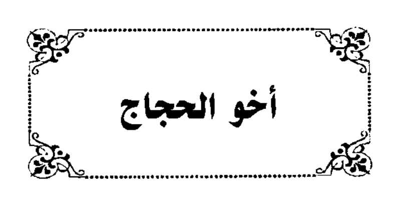
ورث مالاً كثيراً فأنفقه في طلب العلم وعلى الفقراء والزهاد والصوفية والمحدثين، توفي بالرملة سنة إحدى وسبعين ومائتين.

[٢٢٢] قال بيان بن أحمد: دخلت عليه في مصر وهو في بيت مملوء كتباً فقلت له: اختصر لي من هذه الكتب كلمتين أنتفع بهما، فقال: ليكن همك مجموعاً فيما يرضي الله -تعالى- فإن اعترض عليك شيء فتب من وقتك[(٢)].

---

(١) الوافي بالوفيات: ٥/ ٢٠٨- ٢١٠.

(٢) الوافي بالوفيات: ٥/ ٢٢٢.



أخو الحجاج

محمد بن يوسف الثقفي أخو الحجاج.

توفي سنة مائة أو ما قبلها.

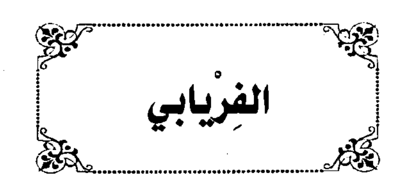
قدم أميراً على اليمن ولما قتل ابن الزبير بعث الحجاج بكفه إليه، فعلقها بصنعاء وكان طاووس ووهب بن منبه يصليان خلفه، واستعمل طاووساً اليماني على الصدقات ثم قال له: ارفع حسابك، فقال له: وأي حساب لك عندي؟ أخذتها من الأغنياء ودفعتها إلى الفقراء.

[٢٢٣] وكان محمد يسب عليّاً -رضوان الله عليه- على المنبر ويأمر بذلك، وأخذ حُجْراً المدني -وكان رجلاً صالحاً- فأقامه عند المنبر وقال: سب أبا تراب، فقال: إن الأميرمحمداً أمرني أن أسب عليّاً فالعنوه لعنه الله، فتفرق الناس على ذلك، ولم يفهمها إلا رجل واحد، وكان علي ﷺ قال لحجر هذا: كيف بك إذا قمت مقاماً تؤمر فيه بلعني؟ قال: أو يكون ذلك؟ قال: نعم، سُبَّني ولا تتبرأ مني.

[٢٢٤] وكان عمر بن عبد العزيز ﷺ يقول: الحجاج بالعراق، ومحمد باليمن، وعثمان بن حيان بالحجاز، والوليد بالشام، وقرة بن شريك بمصر امتلأت بلاد الله جوراً.

[٢٢٥] وقدم محمد من اليمن بهدايا عظيمة فأرسلت أم البنين إلى محمد أن أرسل إلي بالهدية، فقال: لا حتى يراها أمير المؤمنين، فغضبت، ورآها الوليد فبعث بها إليها فقالت: لا حاجة لي بها فقد غصبها من أموال الناس وأخذها ظلماً، فسأله الوليد فقال: معاذ الله، فأحلفه بين

الركن والمقام خمسين يميناً أنه ما ظلم أحداً، ولا غصبه، فأخذها الوليد وبعث بها إلى أم البنين، ورجع محمد إلى اليمن فأصابه داء فتقطعت أمعاؤه وأعضاؤه ومات[1].



الفِرْيابي

محمد بن يوسف بن واقد، أبو عبد الله الفريابي.

ولد سنة عشرين ومائة، كان عالماً زاهداً ورعاً، من الطبقة السادسة.

[٢٢٦] قال: رأيت في المنام أني دخلت كرماً فيه عنب، فأكلت من عنبه كله إلا الأبيض، فقصصت رؤياي على سفيان الثوري، فقال: تصيب من العلوم كلها إلا الفرائض فإنها جوهر العلم، كما أن العنب الأبيض جوهر العنب، وكان كما قال.

روى عن الثوري وغيره وروى عنه الإمام أحمد وغيره.

قال البخاري: كان الفريابي من أفضل أهل زمانه، وكان ثقة صدوقاً مجاب الدعوة.

توفي سنة اثنتي عشرة أو ثلاث عشرة ومائتين[2].

---

(١) الوافي بالوفيات: ٥/ ٢٤٢.

(٢) الوافي بالوفيات: ٥/ ٢٤٣.

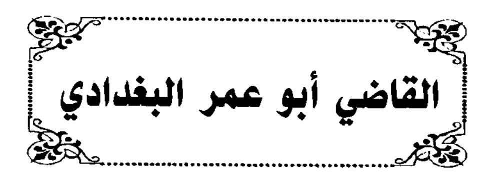


ابن الطباع المحدث

محمد بن يوسف بن عيسى، أبو بكر ابن الطباع.

[٢٢٧] قدم سر من رأى فنزل في البغويين فاجتمع الناس والمحدثون إليه، فسمع محمد بن عبد الله بن طاهر الضوضاء، فقال: ما هذا؟ قالوا: كلام المحدثين عند ابن الطباع، فكتب إليه يطلبه إليه، فكتب إليه: أما بعد، فأكرمك الله كرامة تكون لك في الدنيا عزّاً وفي الآخرة حرزاً، لم أتخلف عنك صيانة بل ديانة؛ لأن العلم يؤتى ولا يأتي، فلما قرأها محمد قال: صدق، ثم صار إليه هو وبنوه فحدثه عامة الليل ثم قام محمد وانصرف، وقال لحاجبه: سله ما يريد؟ فقال ابن الطباع: قل له يبعث لنا ما نتغطى به من البرد، فأرسل إليه بمطرف خز يساوي خمس مائة دينار.

توفي سنة سبع وسبعين ومائتين[١].



القاضي أبو عمر البغدادي

محمد بن يوسف بن يعقوب، الأزدي مولاهم، أبو عمر البغدادي القاضي.

توفي سنة عشرين وثلاث مائة، ولد سنة ثلاث وأربعين ومائتين.

---

(١) الوافي بالوفيات: ٥/ ٢٤٣،٢٤٤.

سمع الشيوخ ولقي العلماء، لم يكن له نظير في الحكام عقلاً وحلماً وذكاءً وتمكناً وإيجازاً للمعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة، وصفه الخطيب بأوصاف جميلة من الجود والفضل والحياء والكرم والإحسان إلى القاصي والداني.

واستخلف لأبيه يوسف على القضاء بالجانب الشرقي من بغداد، وكان يحكم بين أهل مدينة المنصور رياسة، وبين أهل الجانب الشرقي نيابة.

وصُرف هو ووالده، ثم تولى زمن المقتدر قضاء الجانب الشرقي من بغداد، وعدة نواح من السواد والشام والحرمين واليمن وغير ذلك، ثم قُلِّد قضاة القضاة سنة سبع عشرة وثلاث مائة.

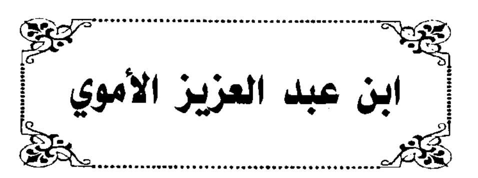
وحمل الناس عنه علماً كثيراً من الحديث والفقه، وصنف مسنداً كبيراً.

ولم ير الناس ببغداد أحسن من مجلسه، كان يجلس للحديث وعن يمينه أبو القاسم ابن منيع -وهو قريب من أبيه في السن والسند- وعن يساره ابن صاعد، وأبو بكر النيسابوري بين يديه، وسائر الحفاظ حول سريره وما عثروا عليه بخطأ قط لا في رواية الحديث ولا في أحكامه.

[٢٢٨] حضر عنده يوماً ثوبٌ يمانٍ قيمته خمسون ديناراً وعنده جماعة من أصحابه وشهوده الذين يأنس بهم، فاستحسنوه فقال: عليَّ بالقلانسي، ففصله قلانس على عددهم، وقال: لو استحسنه واحد منكم وهبته له فلما اشتركتم في استحسانه وجب قسمته بينكم، وهو لا يقوم بملابسكم فجعلته قلانس لكم.

[٢٢٩] ورؤي في المنام بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: أدركتني دعوة العبد الصالح إبراهيم الحربي، وكانا قد اجتمعا في مكان

فقال القاضي لغلامه: ارفع نعلي إبراهيم في منديلك، ففعل، فلما قام الحربي قال القاضي لغلامه: قدم نعلي إبراهيم، فأخرجهما من المنديل فقال إبراهيم للقاضي: رفع الله قدرك في الدنيا والآخرة[1].



ابن عبد العزيز الأموي

آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي، أبو عمر .

[٢٣٠] كان من فحول الشعراء، توفي في عشر الستين ومائة، كان يشرب الخمر ويفرط في المجون، فأخذه المهدي وجلده ثلاث مائة سوط على أن يقر بالزندقة، فقال: والله ما أشركت بالله طرفة عين ومتى رأيت قريشيّاً تزندق؟ قال: وأين قولك؟

اسقني واسق غُصيْنا لا تَبع بالنقد دَيْنا

اسقنيها مزة الطعم تريك الشين زينا

فقال: لئن كنت قلت ذلك فما هو مما يشهد على قائله بالزندقة!.

فقال: فأين قولك؟

اسقني واسق خليلي في مدى الليل الطويل

منها:

لونها أصفر صاف وهي كالمسك الفتيل

(١) الوافي بالوفيات: ٥/ ٢٤٥،٢٤٦.

في لسان المرء منها مثل طعم الزنجبيل
ريحها ينفح مسكاً ساطعاً من رأس ميل
من ينل منها ثلاثاً يَنْس منهاج السبيل
قل لمن يلحاك فيها من فقيه أو نبيل
أنت دعها وارج أخرى من رحيق السلسبيل

وهي أبيات طويلة ساقها صاحب الأغاني فقال: كنت في فتيان قريش أشرب النبيذ وأقول ما قلت على سبيل المجون، والله ما كفرت بالله قط ولا شككت فيه، فخلّى سبيله ورق له.

آدم هذا أحدُ مَنْ مَنَّ عليه السفاح لما قتل من وجد منهم.

وهو القائل من أبيات:

شربت على تذكر عهد كسرى شراباً لونه كالأرجوان
ورحت كأنني كسرى إذا ما علاه التاج يوم المهرجان

[٢٣١] وهو القائل:

أحبك حبين لي واحد وآخر إنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الطباع فشيء خصصت به عن سواكا
وأما الذي هو حب الجمال فلست أرى الحسن حتى أراكا
ولست أمنّ بهذا عليك لك المن في ذا وهذا وذاكا

[٢٣٢] واستأذن يوماً على يعقوب بن الربيع وكان يعقوب على شراب وكان آدم قد تاب، فقال يعقوب: ارفعوا الشراب فإن هذا قد تاب، وأحسبه يكره أن يراه فرفع وأذن له، فلما دخل عليه قال: ﴿إِنِّي

﴿لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾[1] قال يعقوب: هو الذي وجدت، ولكننا ظننا أنه الذي يثقل عليك لتركك الشراب، قال: أي والله إنه ليثقل عليَّ، قال: فهل قلت في ذلك شيئاً منذ تركته؟ قال: قلت:

ألا هل فتىً عن شربها اليوم صابر ليجزيه يوماً بذلك قادر
شربت فلما قيل ليس بنازع نزعت وثوبي من أذى اللوم طاهر[2]

إبراهيم بن أحمد بن محمد

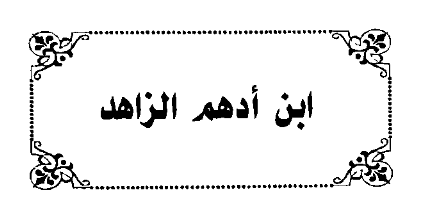
أبو طاهر العكبري، ولد سنة عشر وخمس مائة، وتوفي سنة اثنتين وتسعين وخمس مائة.

[٢٣٣] رأى في منامه كأنه يقرأ سورة يس، وهي اثنتان وثمانون آية، ويقال: إنه من قرأها في منامه عاش بعدد آيها سنين، فمات وله اثنتان وثمانون سنة، وكذا يقال: إنه من قرأ أول ما نزل من القرآن طال عمره، ومن قرأ آخر ما نزل من القرآن قصر عمره[3].

(١) سورة يوسف: ٩٤.

(٢) الوافي بالوفيات: ٥/ ٢٩٤-٢٩٧.

(٣) الوافي بالوفيات: ٥/ ٣٠٨.



ابن أدهم الزاهد

إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر، أبو إسحاق العجلي، - وقيل: التميمي - البلخي الزاهد أحد الأعلام.

روى عن أبيه ومنصور ومحمد بن زياد الجمحي وأبي إسحاق وأبي جعفر الباقر ومالك بن دينار والأعمش.

[٢٣٤] قال الفضل بن موسى: حج أدهم بأم إبراهيم وهي حبلى فولدت إبراهيم بمكة، فجعلت تطوف به على الخلق في المسجد تقول: ادعو لابني أن يجعله الله -تعالى- عبداً صالحاً، وأخباره مشهورة في مبدأ تزهده وطريقُه مذكورة معلومة.

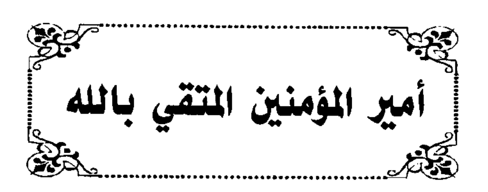
[٢٣٥] قيل: غزا في البحر مع أصحابه فاختلف في الليلة التي مات فيها إلى الخلاء خمساً وعشرين مرة كل مرة يجدد الوضوء فلما أحس بالموت قال: أوتروا لي قوسي، وقبض عليها وتوفي وهي في كفه، فدفن في جزيرة في البحر في بلاد الروم.

[٢٣٦] قال إبراهيم بن بشار الصوفي: كنت ماراً مع إبراهيم فأتينا على قبر مسنم فترحم عليه، وقال: هذا قبر حميد بن جابر أمير المدن كلها، كان غارقاً في بحار الدنيا ثم أخرجه الله منها، بلغني أنه سُرَّ ذات يوم بشيء ونام فرأى رجلاً بيده كتاب فناوله إياه وفتحه فإذا فيه كتاب بالذهب مكتوب: لا تؤثرن فانياً على باق ولا تغترن بملكك، فإن ما أنت فيه جسيم إلا أنه عديم، وهو ملك لوًلا أنه هُلْك، وفرح وسرور إلا أنه لهو وغرور، وهو يوم لو كان يوثق له بغد، فسارع إلى أمر الله، فإن الله تعالى

قال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾(1)، فانتبه فزعاً وقال: هذا تنبيه من الله وموعظة، فخرج من ملكه وقصد هذا الجبل وعبد الله فيه حتى مات.

[٢٣٧] وقال: رأيت في النوم كأن قائلاً يقول لي: أيحسن بالحر المريد أن يتذلل للعبيد، وهو يجد عند مولاه كل ما يريد؟.

وقال النسائي: إبراهيم أحد الزهاد مأمون ثقة، قال الدارقطني: ثقة، قال البخاري: مات سنة إحدى وستين ومائة، وقال ابن يونس: سنة اثنتين، وسيرته في «تاريخ دمشق» ثلاث وثلاثون ورقة، وهي طويلة في «حلية الأولياء»(2).



أمير المؤمنين المتقي بالله

إبراهيم بن جعفر، أمير المؤمنين أبو إسحاق المتقي بالله بن المقتدر بن المعتضد.

[٢٣٨] ولد سنة سبع وتسعين ومائتين، واستخلف سنة تسع وعشرين وثلاث مائة بعد أخيه الراضي بالله، فوليها إلى سنة ثلاث وثلاثين، ثم إنهم خلعوه وسملوا عينيه(3)، وبقي في قيد الحياة.

(١) سورة آل عمران: ١٣٣.
(٢) الوافي بالوفيات: ٥/ ٣١٨، ٣١٩.
(٣) أي أذهبوهما بحديدة محماة.

وكان حسن الجسم مشرباً حمرة، أبيض أشقر الشعر بجعودة، أشهل العينين، وكان فيه دين وصلاح وكثرة صلاة وصيام لا يشرب الخمر، وتوفي في السجن سنة سبع وخمسين وثلاث مائة -رحمه الله تعالى- وكان قد خلع وكحل يوم السبت لعشر بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مائة، وكان خلافته ثلاث سنين وأحد عشر شهراً، وكانت وفاته بعد خمس وعشرين سنة من خلعه.

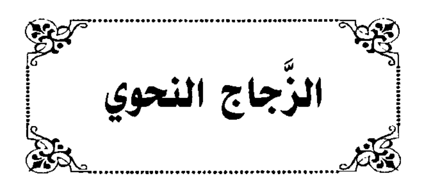
[٢٣٩] وكانت أيامه منغصة عليه لاضطراب الأتراك، حتى إنه فر إلى الرقة فلقيه الإخشيذ صاحب مصر وأهدى له تحفاً كثيرة وتوجع لما ناله من الأتراك ورغبه في أن يسير معه إلى مصر، فقال: كيف أقيم في زاوية من الدنيا وأترك العراق متوسطة الدنيا وسرتها ومقر الخلافة وينبوعها؟ ولما خلا بخواصه قالوا له: الرأي أن تسير معه إلى مصر لتستريح من هؤلاء الذين يحكمون عليك، فقال: كيف يحسن في رأيكم أنا نتمكن مع حاشية غريبة منا عرية عن إحساننا الوافر إليها، وقد رأيتم أن خواصنا- الذين هم برأي العين منا ومستغرقون في إحساننا- لما تحكموا في دولتنا ووجدوا لهم علينا مقدرة كيف عاملونا، فكيف يكون حالنا في ديار قوم إنما يرون أنهم خلصونا مما نزل بنا؟

ثم سار حتى قدم بغداد بعد أن خاطبه توزون أمير الأتراك وحلف له ألاَّ يغدر به، وزينت له بغداد زينة يضرب بها المثل، وضرب له القباب العجيبة في طريقه فلما وصل إلى السندية على نهر عيسى قبض عليه توزون وسمله، وبايع المستكفي من ساعته ودخل بغداد في تلك الزينة، فكثر تعجب الناس من ذلك، وقال المتقي لله في ذلك:

[٢٤٠]كحلونـــا ومـــا شـــكو نـــا إلـــيهم مـــن الرمـــد[١]

ثـــم عـــاثوا بنـــا ونحـــ ـــن أســـود وهـــم نَقَـــد[٢]

كيـــف يغـــتر مـــن أُقِمْـــ ـــنا وفي دســـتنا قعـــد[٣]



الزَّجاج النحوي

إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج النحوي.

قال الخطيب: كان من أهل الدين والفضل، حسن الاعتقاد، جميل المذهب، وله مصنفات حسان في الأدب، توفي سنة إحدى عشرة وثلاث مائة وهو أستاذ أبي علي الفارسي.

[٢٤١] قال: كنت أخرط الزجاج فاشتهيت النحو فلزمت المبرِّد، وكان لا يعلّم إلا بأجرة فقال لي: أي شيء صناعتك؟

قلت: أخرط الزجاج وكسبي كل يوم درهم ودانقان، أو درهم ونصف، وأريد أن تبالغ في تعليمي وأنا أعطيك كل يوم درهماً، وألتزم بذلك أبداً إلى أن يفرق الموت بيننا استغنيت عن التعليم أو احتجت إليه.

فكان ينصحني في التعليم حتى استقللت، وأنا أعطيه الدرهم كل يوم، فجاءه كتاب من بعض بني مارقة من الصراة يلتمسون نحويّاً لأولادهم

(١) كحلونا: أي أعمَوْنا.

(٢) النقد : الزيف.

(٣) الدست هو سرير الملك، الوافي بالوفيات: ٥/ ٣٤١، ٣٤٢.

فقلت له: أسْمِنِي لهم، فأسماني فخرجت فكنت أعلمهم وأنفذ إليه كل شهر ثلاثين درهماً وأزيده ما أقدر عليه.

ومضت مدة فطلب منه عبيد الله بن سليمان مؤدباً لابنه القاسم فقال: لا أعرف إلا رجلاً زجاجاً بالصراة مع بني مارقة، فكتب إليهم فأحضرني وأسلم إليّ القاسم، فكان ذلك سبب غنائي، فكنت أعطي المبرد ذلك الدرهم إلى أن مات ولا أخليه من التفقد بحسب طاقتي.

[٢٤٢] فكنت أقول للقاسم بن عبيد الله: إن بلغك الله الوزارة ماذا تصنع بي؟ فيقول: ما أحببت.

فأقول له: تعطيني عشرين ألف دينار وكانت غاية أمنيتي، فلما ولي القاسم الوزارة وأنا نديمه وملازمه هبته أن أذكّره، فلما كان اليوم الثالث من وزارته قال لي: يا أبا إسحاق لم أرك تذكرني بالنذر، فقلت: عولت على رعاية الوزير، فقال لي: إنه المعتضد ولولاه ما تعاظمني دفع ذلك إليك في مكان واحد، ولكني أخاف أن يصير لي معه حديث في ذلك فاسمح بأخذه متفرقاً.

فقلت: يا سيدي أفعل.

فقال: اجلس للناس وخذ رقاعهم في الحوائج الكبار واستجعل عليها ولا تمتنع من مسألتي شيئاً تخاطب فيه صحيحاً كان أو محالاً إلى أن يحصل لك مال النذر، فكنت أعرض عليه كل يوم رقاعاً فيوقع لي فيها، وربما قال: كم ضمن لك على هذا؟ فأقول: كذا وكذا، فيقول: غُبنت، هذا يساوي كذا وكذا، ارجع فاستزد، فأراجع القوم ولا أزال أماكسهم حتى أبلغ الحد الذي رسمه، فحصل عندي عشرون ألف دينار وأكثر في مديدة، فقال لي بعد شهور: يا أبا إسحاق: حصل مال النذر؟ فقلت: لا،

فسكت، وكنت أعرض عليه ويسألني في كل شهر ونحوه: حصل المال؟ فأقول: لا؛ خوفاً من انقطاع الكسب، إلى أن حصل لي ضعف ذلك، فسألني يوماً فاستحييت من الكذب المتصل فقلت: قد حصل ذلك ببركة الوزير.

فقال: فرجت والله عني وقد كنت مشغول القلب إلى أن يحصل لك، ثم وقع لي إلى خازنه بثلاث آلاف دينار صلة فأخذتها، وامتنعت عن أن أعرض عليه شيئاً، فلما كان من الغد جئت وجلست على رسمي فأومأ إلي أن هات ما معك، فقلت: ما أخذت من أحد شيئاً؛ لأن النذر حصل.

فقال: يا سبحان الله :أتراني أقطع عنك شيئاً قد صار لك عادة وعلمه الناس وصارت لك به وجاهة ومنزلة وللناس غدو ورواح إلى بابك ولا يعلم السبب، فيظن ذلك لضعف جاهك عندي، اعرض علي على رسمك وخذ بلا حساب، فقبلت يده وباكرت إليه بالرقاع ولم أزل كذلك إلى أن مات.

[٢٤٣] وقال ياقوت الحموي: قال ابن بشران: كان أبو إسحاق الزجاج ينزل بالجانب الغربي من بغداد بالموضع المعروف بالدُّويرة، وأنشدتُ له:

قعودي لا يرد الرزق عني	ولا يدنيه إن لم يُقْضَ شَيٌّ
قعدت فقد أتاني في قعودي	وسرت فعافني والسير لي
فلما أن رأيت القصد أدنى	إلى رشدي وأن الحرص غَيٌّ
تركت لمُدْلج دَلَجَ الليالي	ولي ظل أعيش به وفَيٌّ[1]

---

(١) الفي : الظل.

وقد ذكر ياقوت في «تاريخ الأدباء» له سبب اتصال الزجاج فيما بعد بالمعتضد[1].



النحوي القيرواني

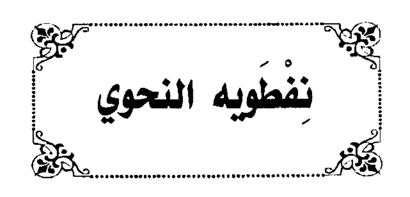
إبراهيم بن قَطَن المهري القيرواني، أخو أبي الوليد عبد الملك القيرواني.

[٢٤٤] ذكره الزبيدي، في كتابه فقال: قرأ إبراهيم النحو قبل أخيه أبي الوليد، وكان سبب طلب أبي الوليد النحو: أن أخاه إبراهيم رآه يوماً وقد مد يده إلى بعض كتبه يقلبه، فأخذ أبو الوليد منها كتاباً ينظر فيه فجذبه منه وقال له: ما لك ولهذا؟ وأسمعه كلاماً، فغضب أبو الوليد لما قابله به أخوه، وأخذ في طلب العلم حتى علا عليه وعلى أهل زمانه واشتهر ذكره وسما قدره فليس أحد يجهل أمره، ولا يعرف إبراهيم من الناس إلا القليل، وكان إبراهيم يرى رأي الخوارج الإباضية، وكان في حدود الخمسين والمائتين تقريباً[2].

---

(١) الوافي بالوفيات: ٥/ ٣٤٧- ٣٥٠.

(٢) الوافي بالوفيات: ٦/ ٩٤.



نِفْطَويه النحوي

إبراهيم بن محمد بن عرفة العتكي الواسطي، أبو عبد الله نفطويه.

قال ابن خالويه: ليس في العلماء من اسمه إبراهيم وكنيته أبو عبد الله سوى نفطويه، قيل: إنه من ولد المهلب بن أبي صفرة.

سكن بغداد، وصنف التصانيف، وكان متفنناً في العلوم ينكر الاشتقاق ويحيله، وكان يحفظ «نقائض جرير والفرزدق» و «شعر ذي الرُّمة».

[٢٤٥] تفقه على مذهب داود ورأس فيه، وكان ديناً ذا سنة ومروة وفتوة وكيس وحسن خلق، وكانت بينه وبين محمد بن داود الظاهري مودة أكيدة وتصاف تام، ولما مات تفجع عليه نفطويه، وجزع جزعاً عظيماً، ولم يجلس للناس سنة كاملة، ثم جلس بعد ذلك فقيل له في ذلك فقال: إن أبا بكر ابن داود قال لي يوماً وقد تجارينا حفظ عهود الأصدقاء: أقل ما يجب للصديق على صديقه أن يتسلى سنة كاملة عملاً بقول لبيد:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

فحزنا عليه سنة كاملة كما شرط[1].

[٢٤٦] قال ابن شاذان: بكّر يوماً نفطويه إلى درب الروّاسين، فلم يعرف الموضع فقال لرجل يبيع البقل: أيها الشيخ: كيف الطريق إلى درب الرواسين؟

---

(١) الحداد لا يجوز أكثر من ثلاثة أيام إلا للمرأة على زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام، ولعله لم يفعله من باب الحداد.

قال: فالتفت البقلي إلى جار له فقال: يا فلان ألا ترى إلى هذا الغلام فعل الله به وصنع قد احتبس علي، قال: وما الذي تريد منه؟ فقال: عَوّق السِّلْقَ[1] علي فما عندي ما أصفع به هذا العاض بظر أمه، فانسل نفطويه ولم يجبه.

[٢٤٧] قال ياقوت في «معجم الأدباء» وقد صيره ابن بسام نفطويه بضم الطاء وتسكين الواو وفتح الياء فقال:

رأيت في النوم أبي آدما	صلى عليه الله ذو الفضل
فقال أبلغ ولدي كلهم	من كان في حزن وفي سهل
بأن حَوّا أمهم طالق	إن كان نِفْطُوَيَهُ من نسلي

انتهى كلام ياقوت -رحمه الله-.

[٢٤٨] وأستغرب ما وقع من ابن بسام وهذه عادة المحدثين، فإنهم لا ينطقون بهذه الأسماء التي آخراها «ويه» إلا على هذه الصيغة- ما خلا إسحاق بن راهويه فإنهم لا يقولون إلا إسحاق بن راهوَيْه - بفتح الواو وسكون الياء- على أنه اسم صوت فرأوا التجنب من التلفظ بلفظة «ويه» فيقولون سيبُويَه وحمّويه وزنجويه ودرستويه.

[٢٤٩] وكان نفطويه مع كونه من أعيان العلماء غير مكترث بإصلاح نفسه، وكان يفرط به الصِنان[2] فلا يغيره، فحضر يوماً مجلس حامد ابن العباس وزير المقتدر فتأذى هو وجلساؤه بصِنانه فقال الوزير: يا غلام أحضرنا مرتكاً[3]، فجاء به فبدأ الوزير بنفسه فتمرتك وأداره على جلسائه

---

(١) عوق أي تأخر، السلق: نوع من النبات.

(٢) الرائحة السيئة.

(٣) مَرْتَك وِزان جعفر مايعالج به الصنان وهو معرب. انظر: ((المصباح المنير))٢/ ٥٦٧، ((المعرب)) للجواليقي بتحقيق أحمد شاكر: ٣١٧.

فتمرتكوا وفطنوا ما أراد بنفطويه، فقال نفطويه: لا حاجة لي به، فراجعه فأبى فاحتد حامد ابن العباس وقال: يا عاض كذا من أمه، إنما تمرتكنا من أجلك؛ فإنا تأذينا بصنانك، قم لا أقام الله لك وزناً أخرجوه عني وأبعدوه حتى لا أتأذى به.

[٢٥٠] وكان نفطويه يقول بقول الحنابلة إن الاسم هو المسمَّى، وجرت بينه وبين الزجاج مناظرة أنكر عليه الزجاج على ذلك موافقته الحنابلة، قلت: الاسم غير المسمى وإلا لزمهم أن من يقول «النار» أن يحترق فمه، والصحيح أنه قد يجيء في مواطن ويراد به المسمى، كقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[1].

[٢٥١] قال الثعالبي: لقب نفطويه لدمامته وأُدْمته تشبيهاً له بالنفط، وفيه يقول محمد بن زيد بن علي بن الحسين المتكلم الواسطي صاحب «الإمامة» وكتاب «إعجاز القرآن»:

من سره أن لا يرى فاسقاً ... فليجتهد أن لا يرى نفطويه
أحرقه الله بنصف اسمه ... وصَيّر الباقي صراخاً عليه

ولد سنة أربع وأربعين ومائتين بواسط -وقيل سنة خمس- وتوفي في صفر سنة ثلاث وعشرين وثلاث مائة، رحمه الله تعالى[2].

---

(١) سورة الأعلى: ١.

(٢) الوافي بالوفيات: ٦/ ١٣٠- ١٣٣.

ابن المبارك اليزيدي

إبراهيم بن يحيى بن المبارك، هو أبو إسحاق ابن أبي محمد اليزيدي.

جعل الرشيد ولده المأمون في حجر أبي محمد و اختص هو وولده بالمأمون، وكان فيهم أدب ومروة.

[٢٥٢] قال ابن عساكر في «تاريخه» بإسناد رفعه إلى إبراهيم ابن أبي محمد عن أبيه قال: كنت مع أبي عمرو ابن العلاء في مجلس إبراهيم بن عبدالله بن حسن بن علي بن أبي طالب -عليهم السلام- فسأله عن رجل من أصحابه فقده، فقال لبعض من حضره: اذهب فسل عنه؟ فرجع فقال: تركته يريد أن يموت؟ قال: فضحك منه بعض القوم وقال: في الدنيا إنسان يريد أن يموت؟! فقال إبراهيم: لقد ضحكتم منها غريبة إنّ يريد ههنا بمعنى: «يكاد» قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾[١] قال: فقال أبو عمرو: لا نزال بخير ما دام فينا مثلك[٢].



ابن قُرْقول

إبراهيم بن يوسف بن عبد الله، أبو إسحاق ابن قرقول الحَمْزي.

كان فاضلاً وصحب جماعة من العلماء بالأندلس.

---

(١) سورة الكهف: ٧٨.

(٢) الوافي بالوفيات: ٦/ ١٦٥، ١٦٦.

ولد بالمرية سنة خمس وخمس مائة وتوفي بفاس -رحمه الله- سنة تسع وستين وخمس مائة.

وكان رحالاً في طلب العلم فقيهاً نظاراً أديباً حافظاً بصيراً بالحديث، صنف وكتب الخط الأنيق.

[٢٥٣] ولما حضرته الوفاة تلا سورة الإخلاص وجعل يكررها بسرعة، ثم إنه تشهد ثلاث مرات وسقط على وجهه ساجداً ومات[1].



أبو رياش

أحمد بن إبراهيم، أبو رياش الشيباني.

قال ياقوت في «معجم الأدباء»: توفي -فيما ذكره أبو غالب همام ابن الفضل بن مهذب في «تاريخه»- سنة تسع وأربعين وثلاث مائة.

[٢٥٤] كان يقال إنه يحفظ خمسة آلاف ورقة لغة، وعشرين ألف بيت شعر إلا أن أبا محمد المافروخي أبرَّ عليه؛ لأنهما اجتمعا أول ما تشاهدا بالبصرة فذاكرا أشعار الجاهلية، وكان أبو محمد يذكر القصيدة فيأتي أبو رياش على عيونها فيقول أبو محمد: لا إلا أن تهذها من أولها إلى آخرها فينشد معه ويتناشدان إلى آخرها، ثم أتى أبو محمد بعدة بقصائد لم يتمكن أبو رياش أن يأتي بها إلى آخرها.

---

(١) الوافي بالوفيات: ٦/ ١٧١.

[٢٥٥] وكان طويل الشخص، جهير الصوت، يتكلم بكلام البادية، ويظهر أنه على مذهب الزيدية، ويتزوج كثيراً ويطلق، وكان عديم المروة، وسخ اللبسة، كثير التقشف، قليل التنظف.

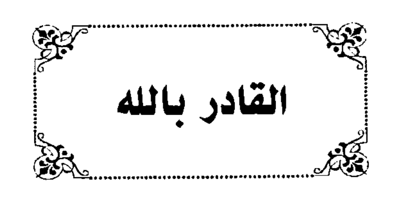
[٢٥٦] وكان شرهاً في الطعام، سيئ الأدب في المؤاكلة، دعاه يوماً أبو يوسف الزيدي -والي البصرة- إلى مائدته فمد يده إلى قطعة لحم فانتهشها، ثم ردها إلى القصعة وكان بعد ذلك إذا حضر مائدته هيأ له طبقاً يأكل فيه وحده، ودعاه -يوماً- الوزير المهلبي فبينا هو يأكل إذ به امتخط في منديل الغَمَر وبصق فيه، وأخذ زيتونة من قصعة فغمزها بعنف حتى طفرت نواتها فأصابت وجه الوزير.

[٢٥٧] قال أبو رياش: مدحت الوزير المهلبي فتأخرت عني صلته فقلت:

وقائلةٍ: قد مدحت الوزير	وهو المؤمل والمستماح
فماذا أفادك ذاك المديح	وهذا الغدو وذاك الرواح
فقلت لها: ليس يدري امرؤ	بأي الأمور يكون الصلاح
عليّ التقلب والاضطرابُ	جهدي وليس عليّ النجاح

وكان أبو رياش أول أمره جنديّاً وكان يتعصب على أبي تمام الطائي[1].

(١) الوافي بالوفيات: ٦/ ٢٠٥- ٢٠٧.



القادر بالله

أحمد بن إسحاق أمير المؤمنين القادر بالله، أبو العباس ابن إسحاق.

بويع بالخلافة عند القبض على الطائع في حادي عشر شهر رمضان سنة إحدى وثمانين وثلاث مائة.

ومولده سنة ست وثلاثين، وأمه يمنى مولاة عبد الواحد بن المقتدر، كانت دينة خيرة معمرة، توفيت سنة تسع وتسعين وثلاث مائة.

[٢٥٨] وكان أبيض كث اللحية طويلها يخضب شيبه، وكان من أهل الستر والصيانة وإدامة التهجد، وصنف كتاباً في «الأصول» ذكر فيها فضل الصحابة وإكفار المعتزلة والقائلين بخلق القرآن، وكان ذلك الكتاب يقرأ في كل جمعة في حلقة من أصحاب الحديث بجامع المهدي، ويحضر الناس مدة خلافته وهي إحدى وأربعون سنة وثلاثة أشهر.

[٢٥٩] توفي ليلة الإثنين الحادي عشر من ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربع مائة ودفن بدار الخلافة، وصلى عليه ولده الخليفة القائم بعده: القائم بأمر الله ظاهراً، والخلق وراءه وكبر عليه أربعاً ولم يزل إلى أن نقل ليلاً في تابوته إلى الرصافة ودفن بها، عاش سبعاً و ثمانين سنة إلا شهراً وثمانية أيام -رحمه الله تعالى- ولم يبلغ أحد من الخلفاء قبله هذا العمر ولا قام في الخلافة هذه المدة.

[٢٦٠] ومن شعر القادر:

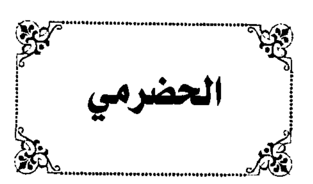
ما الزهد أن تمنع الدنيا فترفضها ولا تزال أخا صوم حليفَ دُعا

وإنما الزهـد أن تحـوي الـبلاد وأر   قاب العباد فتلفـى عـادلاً ورعـا

[٢٦١] وبينمـا القـادر ذات ليلـة يمـشي في أسـواق بغـداد إذ سمـع شخصاً يقول لآخر: قد طالت علينا دولة هذا الشؤم، وليس لأحـد عنـده نصيب، فأمر خادماً كان معهم أن يتوكل به ويحضره بين يديه فما شك أن يبطش، فسأله عن صنعته فقال: إني كنت من السعاة الـذين يـستعين بهـم أرباب هذا الأمر على معرفة أحوال النـاس-يريـد أصـحاب المطالعـات- فمذ ولي أمير المؤمنين أقصانا وأظهـر الاسـتغناء عنّـا، فتعطلـت معيـشتنا وانكسر جاهنا عند الناس.

فقال له: أتعرف من في بغداد من السعاة؟

قال: نعم، فأحضر كاتباً فكتب أسمـاءهم وأمـر بإحـضارهم ثـم إنـه أجرى لكل واحد منهم معلوماً ونفاهم إلى الثغور القاصية، ورتبهم هنـاك عيوناً على أعداء الدين، ثم التفت إلى من حوله وقال: اعلموا أن أولائك ركّب الله فيهم شرّاً وملأ صدورهم حقداً على العالم، ولابد لهم من إفراغ ذلك الشر، فالأولى أن يكون ذلك في أعداء الدين ولا نـنغص بهـم علـى المسلمين[١].



الحضرمي

أحمد بن إسماعيل الحضرمي، أبو الحسن من أهل البصرة.

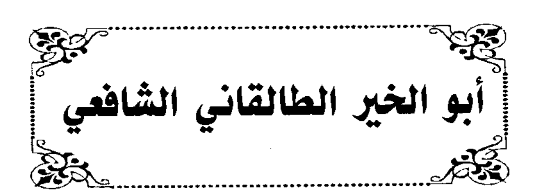
[٢٦٢] وهو القائل:

كـم المقـام وكـم تعتاقـك العلـل   ما ضاقت الأرض في الـدنيا ولا الـسبل

---

(١) الوافي بالوفيات: ٦/ ٢٣٩- ٢٤١.

إن كنت تعلـم أن الأرض واسـعة فيهـا لغـيرك مرتـاد ومرتحـل
فارحـل فـإن بـلاد الله مـا خلقـت إلا ليُسلك منها السهل والجبل
الله قد عوض الحسنى فما برحـت عنـدي لـه نعـم تـترى وتتـصل
إن ضاق بي بلد أعرضت عنه وإن فيه نبا منـزل بـي كـان لـي بـدل
وإن تغـير لـي عـن وده رجـل أصفى المودة لي من بعـده رجـل
لا تمـتهن أبـداً وجهـاً لـذي طمـع فمـا لوجهـك نـور حـين ينبـذل
وابغ المكاسب مِن أرضى مطالبهـا وحيث يجمل حتى ينفـد الأجـل
فكم تـرى دولاً كانـت علـى قـدم زالت سريعاً وجاءت بعدها دول[1]



أبو الخير الطالقاني الشافعي

أحمد بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن العباس، أبو الخير القزويني.

الإمام العامل الزاهد، رئيس أصحاب الشافعي.

كان إماماً في المذهب والخلاف والنظر والأصول والحديث والتفسير والوعظ والزهد، رحل من بلده قزوين إلى نيسابور فأقام بها عند الفقيه محمد بن يحيى، وقرأ عليه ولازمه حتى برع وصار أحد معيدي دروسه.

وقدم بغداد فحج وعاد إلى بلده، ثم قدمها ثانياً سنة خمس وخمسين وخمس مائة وعقد بها مجلس التذكير ونفقوا كلامه وأقبلوا عليه لحسن

---

(١) الوافي بالوفيات: ٦/ ٢٥٠.

سمته وكثرة محفوظه وجودة إيراده، ثم عاد إلى بلده وعاد إلى بغداد بعد الستين وخمس مائة وولي التدريس بالنظامية وحدث بالكتب الكبار.

[٢٦٣] قال: لما كنت بنيسابور عند محمد بن يحيى -وأنا صبي- كان من عادته أنه في كل أسبوع يأخذ على الفقهاء ما حفظوه، وكنت غير جيد الحفظ فطالبني مرة بعد مرة وأنا لا أقدر على حفظه، فأمرني بالانتقال من عنده والاشتغال على غيره كعادته، فنقلت قماشي عند بعض الفقهاء إلى أن أسكن في مكان، فاشتغلت ذلك النهار وأدركني المساء فأخفيت نفسي في أتون طباخ ونمت، فرأيت النبي ﷺ وهو واقف عليَّ فقال لي: يا أحمد لم لا تذهب إلى المدرسة وتشتغل؟ فقلت: يا رسول الله إنه لا يأتي مني شيء وقد اجتهدت فلم أفلح، فقال لي: بل قم واذهب إلى المدرسة، قال: فأعدت عليه الكلام ثانياً فقال لي: افتح فاك قال ففتحته فتفل فيه ثم قال لي: اذهب فقلت: يا رسول الله إني أخاف من الشيخ ومن قصور فهمي وقلة حفظي ومعرفتي، فقال لي: افتح فاك، ففتحته مرة ثانية فتفل فيه مرة ثانية، ثم انتبهت وقت السحر وأتيت المدرسة ووقفت أكرر على المدرس، فإذا هو محفوظ لي، وخرج الشيخ فرآني فقال لي: هل حفظت شيئاً؟ قلت: نعم، وأعدت عليه الدروس كلها حفظاً جيداً من غير تتعتع ولا توقف فقال لي: أحسنت بارك الله فيك، مثلك من يصلح لصحبتنا، وأقمت عنده مستقيم الفهم سريع الإدراك كثير الحفظ.

وكان من عادة الشيخ أن يصلي الجمعة عند الإمام عبد الرحمن الأكاف الزاهد، ويكون الفقهاء في خدمته، وتجارى الفقهاء في مسألة خلاف فتكلم الشيخ عبد الرحمن وسكت الجماعة إعظاماً، وأنا؛ لصغر سني وحدة ذهني أعترض عليه وأنازعه، والفقهاء يشيرون إلي بالإمساك، وأنا لا ألتفت إليهم فقال لهم الشيخ عبدالرحمن: دعوه فإن هذا الكلام

الذي يقوله ليس منه، إنما هو من الذي علمه، قال: ولم تعلم الجماعة ما أراد، وفهمت وعلمت أنه مكاشَف.

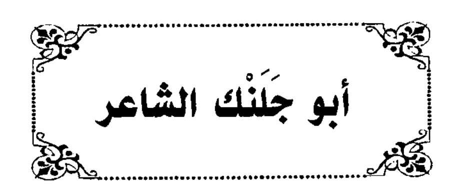
[٢٦٤] ولما ولي تدريس النظامية كان في الحمام فمضى إلى دار الوزارة فخُلِع عليه ورُتِّب مدرساً، فلما استقر على كرسي التدريس وقُرِئت الربعة ودعي دعاء الختمة فقبل ما شرع في إلقاء الدرس التفت إلى الجماعة وقال لهم: من أي كتب التفسير تحبون أن أذكر؟ فعينوا كتاباً، وفعل مثل ذلك في المذهب والخلاف فلم يذكر لهم إلا ما اختاروه وعينوه، فقال: من أي سورة تريدون أن أذكر؟ فأشاروا إليه فذكر من تلك السورة ومن ذلك التفسير فأعجب الحاضرون منه، وعلموا كثرة اطلاعه، وساق له محب الدين بن النجار في «الذيل» عجائب من هذا النوع.

[٢٦٥] ثم إنه ترك بغداد وعاد إلى قزوين، فقال له بعض أصحابه منكراً توجهه من بغداد مع الوجاهة التي له فيها فقال: معاذ الله أن أسكن في بلد يسب فيه أصحاب رسول الله ﷺ وكان ذلك في أيام ابن الصاحب.

توفي سنة تسع وثمانين وخمس مائة[1].

---

(١) الوافي بالوفيات: ٦/ ٢٥٣- ٢٥٥.



أبو جَلَنْك الشاعر

أحمد بن أبي بكر شهاب الدين، أبـو جَلَنْـك الحلـبي الـشاعر المـشهور بالعشرة والنوادر والفضيلة.

[٢٦٦] وفيه همة وشجاعة، نزل من قلعة حلب للإغارة علـى التتـار فوقع في فرسه سهم فوقع وبقي راجلاً، وكان ضخماً فأسروه وأُحضر بين يدي مقدم التتار، فـسأله عـن عـسكر المـسلمين فكثـرهم ورفـع شـأنهم، فضرب عنقه سنة سبع مائة[1].



معز الدولة

أحمد بن بويه الديلمي، السلطان معز الدولة أبو الحسين.

قدم إلى بغداد سنة أربع وثلاثين، ومات بـالبطن سـنة سـت وخمـسين وثلاث مائة، وعهد إلى ولده عز الدولة أبي منصور بختيار.

[٢٦٧] وقيل إنه لما احتضر أحضر بعض العلمـاء وتـاب علـى يـده، وسأله عن الصحابة فذكر لـه سـوابقهم وأن عليّـاً زوج بنتـه مـن فاطمـة بعمر - رضي الله عنه - فاستعظم ذلك وقال: مـا علمـت بهـذا، وتـصدق بـأموال

(١) الوافي بالوفيات: ٦/ ٢٧١، ٢٧٢.

عظيمة وأعتق غلمانه وأراق الخمور ورد كثيراً من المظالم، وكان الرفض في آخر أيامه ظاهراً ببغداد.

ويقال إنه بكى حتى أغمي عليه وندم على الظلم.

وتوفي سابع عشرين شهر ربيع الآخر عن ثلاث وخمسين سنة بعلّة الذَرَب[1]، وكانت دولته اثنتين وعشرين سنة.

وكان قد رد المواريث إلى ذوي الأرحام.

وكان يقال له: الأقطع؛ لأنه وقعت فيه عدة ضربات من الأكراد وطارت يده اليسرى وبعض أصابع اليمنى وسقط بين القتلى ثم سلم بعد ذلك وملك بغداد بغير كلفة، ودفن بمشهد بني له في مقابر قريش.

[٢٦٨] وذكر أبو الفرج ابن الجوزي في «شذور العقود» أن معز الدولة كان يبيع الحطب على رأسه في أول أمره، ثم ملك هو وإخوته البلاد وآل أمرهم إلى ما آل، وكان أصغر إخوته.

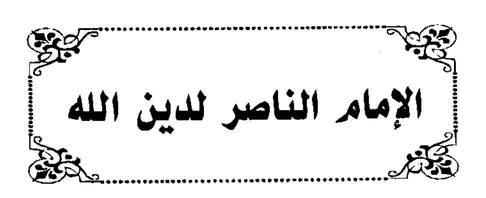
[٢٦٩] قال أبو الحسين أحمد العلوي: بينا أنا في داري على دجلة بمشرعة القصب في ليلة ذات غيم و رعد وبرق سمعت صوتاً من هاتف يقول:

لما بلغتَ أبا الحسين	ن مرادَ نفسك في الطلب
وأمنت من حدث الليا	لي واحتجبت عن النُوَب
مدت إليك يد الردى	وأُخذت من بيت الذهب

قال: فإذا بمعز الدولة قد توفي في تلك الليلة[2].

(١) الإسهال.

(٢) الوافي بالوفيات: ٦/ ٢٧٨، ٢٧٩.



الإمام الناصر لدين الله

أحمد بن الحسن أمير المؤمنين الإمام الناصر لدين الله، أبو العباس ابن الإمام المستضيء ابن الإمام المستنجد.

[٢٧٠] ولد يوم الاثنين عاشر رجب سنة ثلاث وخمسين وخمس مائة، وبويع له في أول ذي القعدة سنة خمس وسبعين، وتوفي سلخ رمضان سنة اثنتين وعشرين وست مائة، وكانت خلافته سبعاً وأربعين سنة، وكان أبيض اللون تركي الوجه مليح العينين أنور الجبهة أقنى الأنف خفيف العارضين أشقر اللحية رقيق المحاسن، نقش خاتمه «رجائي من الله عفوه».

[٢٧١] أجاز له جماعة، وأجاز هو لجماعة من الكبار فكانوا يحدثون عنه في حياته ويتنافسون في ذلك، وما غرضهم العلو ولا الإسناد وإنما غرضهم التفاخر وإقامة الشعار والوهم.

[٢٧٢] ولم يل الخلافة أحد أطول مدة منه إلا ما ذكر عن العبيديين فإنه بقي الأمر بديار مصر للمستنصر نحواً من ستين سنة وكذا بقي الأمير عبد الرحمن أبو الحكم الأندلسي.

وكان أبوه المستضيء قد تخوفه فاعتقله ومال إلى أخيه أبي منصور، وكان ابن العطار و أكثر الدولة وحظية المستضيء بنفشا والمجد ابن الصاحب مع أبي منصور، ونفر يسير مع أبي العباس، فلما بويع أبو العباس قبض على ابن العطار وسلمه إلى المماليك فأخرج بعد سبعة أيام ميِّتاً وسحب في الأسواق، وتمكن المجد ابن الصاحب وزاد وطغى إلى أن قُتل.

قال عبداللطيف: وكان الناصر شاباً مرحاً عنده ميعة الشباب يشق الدروب والأسواق أكثر الليل والناس يتهيبون لقاءه، وظهر التشيع بسبب ابن الصاحب ثم انطفى بهلاكه، وظهر التسنن المفرط ثم زال، وظهرت الفتوة والبندق[1] والحمام الهادي وتفنن الناس في ذلك، ودخل فيه الأجلاء ثم الملوك.

وكان الناصر قد خطب لولده الأكبر أبي نصر بولاية العهد ثم ضيق عليه لما استشعر منه وعين أخاه، ثم ألزم أبا نصر بأن أشهد على نفسه أنه لا يصلح وأنه قد نزل عن الأمر، وأكبر الأسباب في نفور الناصر من ولده: الوزير نصير الدين بن مهدي العلوي.

ولم يزل الإمام الناصر مدة حياته في عز وجلالة وقمع الأعداء والاستظهار على الملوك لم يجد ضيماً ولا خرج عليه خارجي إلا قمعه ولا مخالف إلا دمغه، ومن أضمر له سوءاً رماه الله بالخذلان.

[٢٧٣] قال محب الدين ابن النجار:

حدثني حماد بن أبي البركات الفتح -وكان صدوقاً متديناً- قال: حدثني الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب الشام وديار مصر، وكنت قد دخلت عليه وأعطيته مكتوباً من الديوان، قال: وصل إلينا من عندكم رجل يعرف بأبي رشيد بن أبي منصور البوشنجي، واتصل بخدمتنا وصار له اختصاص بنا وتقرب إلينا وحسن حاله فأرسلته إلى الديوان العزيز في رسالة فمضى وعاد وأنا نازل على صور من ساحل الشام محاصر لها، فاتصل بنا إلى العسكر وأدى جواب الرسالة فقلت له:

---

(١) المقصود بالفتوة هنا أفعال الكرم والمروءة، والبندق ما يرمى به الطير ونحوه.

كيف تركت أمير المؤمنين؟ فأجاب بما لا يجوز التفوه به وظن أن ذلك يسرني فزبرته ونهيته عن ذلك وقلت له: هذا بيت مؤيد محروس من الله مَن قصده بسوء عاد عليه، ثم إنه خرج متوجهاً إلى الموضع الذي فيه رحله فلما فارقناه قليلاً أتاه سهم غرب فيه ياسيج[1] فدخل في صدره وخرج من ظهره وخر صريعاً في الحال، وحمل إلى رحله وتسابق الغلمان إلي بالحال فعجبت من تعجيل الله سبحانه عقوبته. انتهى.

[٢٧٤] وكان الإمام الناصر شديد الاهتمام بالملك ومصالحه، لا يكاد يخفى عليه شيء من أمور رعيته كبارهم وصغارهم، وأصحاب أخباره في أقطار البلاد يوصلون إليه أحوال الملوك الظاهرة والباطنة، وكانت له حيل لطيفة ومكايد خفيفة وخدع لا يفطن لها أحد، يوقع الصداقة بين ملوك متعادين ويوقع العداوة مع ملوك متفقين وهم لا يشعرون، ولما دخل رسول صاحب مازندران بغداد كان يأتيه ورقة كل صباح بما عمل في الليل، وصار يبالغ في الكتم والورقة تأتيه، فاختلى ليلة بامرأة دخلت إليه من باب السر فصبحته الورقة بذلك وفيها «كان عليكم دواج[2] فيه صورة الفيلة» فتحير وخرج من بغداد وهو لا يشك أن الخليفة يعلم الغيب؛ لأن الإمامية يعتقدون أن الإمام المعصوم يعلم ما في الحامل وما وراء الجدار، وأتى رسول خوارزم شاه برسالة مخفية وكتاب مختوم فقيل له: ارجع قد عرفنا ما جئت به، فرجع يظن أنهم يعلمون الغيب.

[٢٧٥] ورفع من المطالعات أن رجلاً كان واقفاً والعسكر خارج إلى ششتر، في قوة الأمطار وشدة الشتاء والبرد فقال: كنت أريد من الله –

---

(١) ياسيج: لفظة فارسية تعني سهماً محدد الرأس وربما كان اسم الملك مكتوباً عليه.

(٢) الدّواج: ضرب من الثياب.

تعالى- من يخبرني إلى أين يمضي هؤلاء المدابير ويسفقني مائة خشبة، فلم تزل عين الرافع ترقب القائل حتى وصل مستقره؛ خشية أن يطلب، فأمر الناصر في الحال أن يحضره الوزير ويضربه مائة خشبة، فإذا تمت أعلمه إلى أين يذهب العسكر!! فلما ضربه المائة وهو لا يعلم علام ضُرب، نسي أن يعلمه إلى أين يذهب العسكر! فما انفصل عن المكان المذكور حتى تذكر الوزير ذلك فقال: ردوه! فعاد مرعوباً خشية أن يزاد عقوبة فلما وصل قال له الوزير:

قد أمر مولانا-صلوات الله عليه- أن نعلمك بعد أدبك إلى أين يمضي العسكر، والعسكر يمضي إلى ششتر فقال: لا كتب الله عليهم سلامة، فغلب ضحك الحاضرين، ورفع الخبر إلى الناصر فقال: يغفر له سوء أدبه بحسن نادرته ولطف موقعها، ويدفع إليه مائة دينار عدد الخشب الذي ضرب به، ويحكى عنه من هذه المادة غرائب وعجائب.

[٢٧٦] وكان يعطي في مواطن عطاء من لا يخاف الفقر، وجاء رجل ومعه ببغاء من الهند تقرأ: «قل هو الله أحد» تحفة للخليفة فأصبحت ميتة فجاءه فراش يطلب منه الببغاء فبكى وقال: الليلة ماتت، فقال: عرفنا بموتها وكم كان في ظنك أن يعطيك؟ فقال: خمس مائة دينار، فقال: خذ هذه خمس مائة دينار فإنه علم بحالك منذ خرجت من الهند.

[٢٧٧] وقال أبو المظفرسبط ابن الجوزي: قلَّ بصر الخليفة في الآخر- وقيل ذهب جملة- وكان خادمه رشيق قد استولى على الخلافة وأقام مدة يوقع عنه، وكان بالخليفة أمراض منها: عسر البول والحصر ووجد منه شدة وشق ذكره مراراً وما زال يعتريه حتى قتله.

وقال شمس الدين الجزري، حدثني والدي قال: سمعت الوزير مؤيد الدين بن العلقمي لما كان على الأستاذ داريه يقول: إن الماء الذي يشربه الإمام الناصر كانت تجبيه الدواب من فوق بغداد بسبعة فراسخ ويغلى سبع غلوات كل يوم غلوة، ثم يجلس في الأوعية سبعة أيام ثم يشرب منه، وبعد هذا ما مات حتى سُقي المُرْقِدَ[1] ثلاث مرات وشق ذكره وأخرج منه الحصى.

وقال الموفق: أما مرض موته فسهو ونسيان بقي منه ستة أشهر ولم يشعر أحد بكنه حاله من الرعية، حتى خفي عن الوزير وأهل الدار.

وكان له جارية قد علمها الخط بنفسه فكانت تكتب مثل خطه فتكتب على التوقيع بمشورة قهرمانة الدار.

ولما مات بويع لولده أبي نصر ولقب الظاهر بأمر الله، وكانت مدة خلافته تسعة أشهر.

[٢٧٨] وقال ابن الأثير: بقي الناصر عاطلاً عن الحركة بالكلية ثلاث سنين، قد ذهب إحدى عينيه وفي الآخر أصابه دوسنطاريا عشرين يوماً ولم يطلق في مرضه شيئاً مما كان أحدثه من الرسوم، وكان يسيء السيرة، خرب في أيامه العراق وتفرق أهله في البلاد، وأخذ أموالهم وأملاكهم قال: وكان يفعل الشيء وضده وجعل همته في رمي البندق والطيور المناسيب وسراويلات الفتوة.

ونقل الظهير الكازروني في «تأريخه» قال الشيخ شمس الدين وأجاز لي: إن الناصر في وسط خلافته هم بترك الخلافة والانقطاع إلى التعبد،

---

(١) أي المخدر.

وكتب عنه ابن الضحاك توقيعاً فقرئ على الأعيان، وبنى رباطاً للفقراء واتخذ إلى جانب الرباط داراً لنفسه كان يتردد إليها ويحادث الصوفية، وعمل له ثياباً كثيرة بزي الصوفية، قال الشيخ شمس الدين، ثم ترك ذلك كله وملّ، الله يسامحه.

قال ابن النجار:

وملك من المماليك ما لم يملكه من تقدمه من الخلفاء والملوك، وخطب له بالأندلس والصين، وكان أسد بني العباس، وقيل إنه بلغه أن شخصاً يرى خلافة يزيد فأحضره ليعاقبه فقيل له: أتقول بصحة خلافة يزيد؟ فقال: أنا أقول إن الإمام لا ينعزل بارتكاب الفسق، فأعرض عنه وأمر بإطلاقه وخاف المحاققة.

[٢٧٩] ومن شعر الناصر ردّاً على من ادَّعى أنه شيعي:

زعموا أنني أحب عليّاً ... صدقوا كلهم لدي عليُّ

كل من صاحب النبي ولو طر ... فةَ عين فحقه مَرْعِيُّ

فلقد قَلّ عقل كل غبي ... هو من شيعة النبي بَرِيُّ

[٢٨٠] ومنه أيضاً:

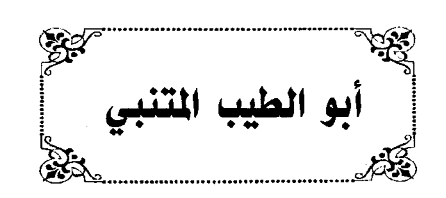
إن طال عمري فما قصرتُ في كرم ... ولا حراسة ملكي من أعاديه

عرب وعجم وروم كلهم طمعوا ... فلم يفوزوا بشيء غير تمويه

بُلِيت حتى بأدنى الناس من خَلَدي خَلَدي ... يريد موتي وبالأعمال أفديه

يشير بذلك إلى ولده الظاهر محمد(١).

(١) الوافي بالوفيات: ٦/ ٣١٠- ٣١٥.



أبو الطيب المتنبي

أحمد بن الحسين بن الحسن، أبو الطيب الجعفي الكوفي المتنبي الشاعر.

ولد سنة ثلاث وثلاث مائة، وأكثر المقام بالبادية لاكتساب اللغة، ونظر في فنون الأخبار وأيام الناس والأدب، وقال الشعر في صغره حتى بلغ الغاية وفاق أهل عصره، ولم يأت بعده مثله، ومدح الملوك وسار شعره في الدنيا، قال ضياء الدين ابن الأثير: سافرت إلى مصر ورأيت الناس يشتغلون بشعر المتنبي فسألت القاضي الفاضل فقال: إن أبا الطيب ينطق عن خواطر الناس.

[٢٨١] وكان قد خرج إلى كلب فادعى فيهم أنه علوي ثم ادعى النبوة إلى أن أشهد عليه بالكذب بالدعوتين وحبس دهراً وأشرف على القتل ثم استتابوه وأطلقوه.

ثم إنه تنبأ في بادية السماوة فخرج إليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الإخشيد فأسره بعد أن شرد من معه ثم حبسه دهراً فاعتل وكاد يتلف ثم استتيب بمكتوب.

وقيل إنه قال: أنا أول من تنبأ بالشعر، ثم التحق بالأمير سيف الدولة ابن حمدان وحظي عنده ثم فارقه.

ودخل مصر سنة ست وأربعين وثلاث مائة ومدح كافوراً الإخشيدي، وكان يقف بين يديه وفي رجليه خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ثم يركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق، ولما لم

يرضه هجاه وفارقه ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلاث مائة، ووجه كافور الإخشيدي خلفه رواحل إلى جهات شتى فلم يُلحَق.

وكان كافور وعده بولاية بعض أعماله فلما رأى تعاطيه في شعره وسموه بنفسه خافه وعوتب فيه فقال: يا قوم من ادعى النبوة بعد النبي ﷺ أما يدعي المملكة مع كافور فحسبكم.

وكان لسيف الدولة مجلس يحضره العلماء في ليلة النحر فيتكلمون بحضرته فوقع بين المتنبي وبين ابن خالويه كلام فوثب ابن خالويه على المتنبي فضربه في وجهه بمفتاح فشجه، وخرج ودمه يسيل، وغضب وخرج إلى مصر.

ولما فارق مصر قصد بلاد فارس، و مدح عضد الدولة ابن بويه فأجزل جائزته، ورجع من عنده قاصداً بغداد ثم إلى الكوفة في شعبان لثمان خلون منه فعرض له فاتك بن أبي جهل الأسدي في عدة من أصحابه، وكان مع المتنبي جماعة أيضاً فقتل المتنبي وابنه محسَّد وغلامه مفلح بالقرب من النعمانية بمكان يقال له: الصافية وقيل: عند دير العاقول.

ذكر ابن رشيق في «العمدة» لما فر أبو الطيب-حين رأى الغلبة- قال له غلامه: لا يتحدث [الناس] عنك بالفرار أبداً وأنت القائل:

فالخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فكرَّ راجعاً وقتل سنة أربع وخمسين وثلاث مائة لست بقين من شهر رمضان وقيل غير ذلك من شهر رمضان.

[٢٨٢] ويقال: إن أبا علي الفارسي قال له يوماً: كم لنا من الجموع على وزن فِعْلَى؟ فقال المتنبي في الحال: حِجْلَى وظِرْبَى، فقال أبو علي: فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال على أن أجد لهذين الجمعين ثالثاً فلم أجد، وحسبك من يقول أبو علي في حقه هذه المقالة، وحجلى: جمع حَجَل، وهو الطائر المعروف، وظِرْبى: جمع ظَرِبان، على وزن قَطِران وهي دويبة منتنة الرائحة.

ولما كان بمصر كان له صديق يغشاه في علته فلما أبلَّ انقطع عنه فكتب إليه: وصلتني وصلك الله معتلاً وقطعتني مبلاًّ، فإن رأيت ألاَّ تحبب العلة إليَّ ولا تكدر الصحة عليَّ فعلت إن شاء الله -تعالى-.

[٢٨٣] وقال النامي الشاعر: كنت أشتهي أن أكون قد سبقته إلى معنيين قالهما ما سُبِقَ إليهما، أحدهما:

رماني الدهر بالأرزاء حتى ... فؤادي في غشاء من نبال

فصرت إذا أصابتني سهام ... تكسرت النصال على النصال

والآخر قوله:

في جحفل ستر العيونَ غبارُه ... فكأنما يبصرون بالآذان

[٢٨٤] وقال علي بن ظافر في «الذيل على بدايع البدائه»: حكى أبو الحسين المؤدب قال: كنت ببغداد في داري أنسخ شيئاً فدخل أبو الطيب- رحمه الله تعالى- فقلت: يا أبا الطيب، إن في شعرك كلَّ مليح إلا أنك تذكر مصراعاً في معنى فخرج في المصراع الآخر إلى غيره، فقال لي: أين؟ قلت، في قولك:

لهوى القلوب سريرة لا تعلم

وانتظرنا أن يتم المصراع الآخر كشف السريرة فقلت:

عرضاً نظرت وخلت أني أسلم

ما في هذا معنى يطابق المصراع الأول، فخجل من ذلك وتمشى في الدار وأنا أنسخ ثم عاد إلي وقال: اكتب:

هوى القلوب سريرة لا تعلم   كم حار فيه عالم متكلم
والناس مختلفون في تحقيقه   وصحيحه فيما أتوه توهم
كل يقول ولا يصحّح قوله   وعلى النجوم يحيل من يتنجم
وإذا تفكر في الحقائق عاقل   ضعفت قواه وخانه ما يعلم
وما فاتني من كل علم سره   ومن الحقائق ما يصان ويكتم
والعلم بحر والقرائح ليلة   ومن العناء لزوم ما لا يلزم

[٢٨٥] ويقال إن أباه كان سقاء بالكوفة وإلى هذا أشار القائل فيه:

أي فضل لشاعر يطلب الفضـ   ـل من الناس بكرة وعشيًّا
عاش حيناً يبيع في الكوفة الما   ء وحيناً يبيع ماء المُحيَّا

ولابن حجاج فيه أهاجٍ كثيرة وقصائد مطولة في ديوانه، ورثاه جماعة.

[٢٨٦] والناس مختلفون في شعره فمنهم من يرجحه على أبي تمام الطائي، ومنهم من يرجح أبا تمام عليه، والأذكياء والغالب مع المتنبي، أخبرني الشيخ الإمام فتح الدين ابن سيد الناس قال: قلت للشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد: يا سيدي: الشيخ شهاب الدين ابن النحاس يرجح أبا تمام على المتنبي أيش عندك في ذا؟ فسكت -وكان قليل الكلام- فأعدت عليه القول فقال: كذا يا فقيه.

[٢٨٧] وقال القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان -رحمه الله تعالى-: قال لي أحد المشايخ الذين أخذت عنهم: وقفت له على أكثر من أربعين شرحاً - يعني لديوانه- ما بين مطولات ومختصرات ولم يفعل هذا بديوان غيره وعد ذلك من سعادته. انتهى.

[٢٨٨] قال سبط ابن الجوزي في «المرآة»:

مدح عضد الدولة فأعطاه ما قيمته ثلاثون وقال له: امض وأحضر عيالك، وقال: قبل هذا وصله بثلاثة آلاف دينار وثلاث خلع، كل خلعة سبع قطع وثلاثة أفراس كل فرس بسرج محلي، ثم دس عليه من سأله فقال له: أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة؟ فقال: هذا أجزل إلا أنه عطاء متكلف وسيف الدولة يعطي طبعاً، فغضب عضد الدولة وأذن لقوم من بني ضبة فقتلوه.

وقال: قال المتنبي لكافور: وَلِّني صيدا، فقال: كيف أوليك وفي رأسك ما فيه؟ من كان يطيقك بعد هذا؟

[٢٨٩] قال سبط ابن الجوزي: وكان المتنبي قد تلا على أهل البوادي كلاماً زعم أنه قرآن نزل عليه وهو «والنجم السيار، والفلك الدوار، والليل والنهار إن الإنسان لفي أخطار، امض على سَننك، واقف أثر من كان قبلك من المرسلين، فإن الله قامع بك زيغ من ألحد في دينه، وضل عن سبيله».

[٢٩٠] ويقال إنه أخذ من سيف الدولة في مدة أربع سنين خمساً وثلاثين ألف دينار، وكان ينشده مدحه قاعداً، ويقال: إنه لما ارتحل من شيراز سأله الخفراء أن يعطيهم خمسين درهماً ليخفروه فلم يفعل فقتل[١].



بديع الزمان الهمذاني

أحمد بن الحسين بن يحيى، أبو الفضل بديع الزمان الهمذاني.

سكن هراة، كان متعصباً لأهل الحديث والسنة، قال ياقوت: لم يستقص أحد خبره أحسن مما اقتصه الثعالبي -وكان قد لقيه وكتب عنه- قال: بديع الزمان، ومعجزة همذان، ونادرة الفلك، وبكر عطارد، وفرد الدهر، وغرة العصر، ولم نر نظيره في الذكاء وسرعة الخاطر، وشرف الطبع، وصفاء الذهن، وقوة النفس، ولم يدرك نظيره في طرف النثر وملحه، وغرر النظم ونكته.

[٢٩١] وكان صاحب عجائب وبدائع، فمنها أنه كان يُنْشَدُ الشعر لم يسمعه قط وهو أكثر من خمسين بيتاً مرة واحدة فيحفظها كلها ويؤديها من أولها إلى آخرها لا يخرم حرفاً، وينظر في الأربعة والخمسة الأوراق من كتاب -لم يعرفه ولا رآه- نظرة واحدة خفيفة ثم يهذُّها عن ظهر قلبه هذّاً ويسردها سرداً، وهذه حاله في الكتب الواردة وغيرها، وكان يُقترح عليه عمل قصيدة وإنشاء رسالة في معنى بديع وباب غريب فيفرغ منها في الوقت والساعة، وكان ربما كتب الكتاب المقترح عليه فيبتدئ بآخره وهلم

(١) الوافي بالوفيات: ٦/ ٣٣٦- ٣٤٦.

جرا إلى أوله ويخرجه كأحسن شيء وأملحه، ويوشح القصيدة الفريدة من قيله بالرسالة الشريفة من إنشائه، فيقرأ من النظم النثر ويروي من النثر النظم، ويُعطَى القوافي الكثيرة فيصل بها الأبيات الرشيقة، ويقترح عليه كل عويص وعسير من النظم والنثر، فيرتجله أسرع من الطرف على ريق لا يبلعه ونفس لا يقطعه، وكلامه كله عفو الساعة وفيض اليد ومسارقة القلم ومسابقة اليد للفم وكان يترجم ما يقترح عليه من الأبيات الفارسية المشتملة على المعاني الغريبة بالأبيات العربية فيجمع فيها بين الإبداع والإسراع إلى عجائب كثيرة لا تُحصَى ولطائف تطول أن تستقصى، وكان مع ذلك مقبول الصورة حسن العشرة.

فارق هَمَذان سنة ثمانين وثلاث مائة، وورد حضرة الصاحب ابن عباد فتزود من ثمارها وحسن آثارها، ثم قدم جرجان وأقام بها مدة على مداخلة الإسماعيلية، والتعيش في أكنافهم، واختص بالدَّهخداه أبي سعيد محمد بن منصور، ونفقت بضاعته لديه، وورد إلى نيسابور ونشر بها بزه وأظهر طرزه وأملى أربع مائة مقامة نحلها أبا الفتح الإسكندري في الكُدْية وغيرها.

[٢٩٢] وشجر بينه وبين أبي بكر الخوارزمي ما كان سبباً لهبوب ريح الهمذاني وعلو أمره، وقد أورد مما جرى بينهما جملة في كتاب «معجم الأدباء» لياقوت منها قال: جمع السيد-نقيب السادة بنيسابور- أبو علي بينهما فترفّع الخوارزمي فبعث إليه السيد مركوبه فحضر مع جماعة من تلاميذه فقال له البديع: إنما دعوناك لتملأ المجلس فوائد وتذكر الأبيات الشوارد والأمثال الفوارد، ونناجيك فنسعد بما عندك، وتسألنا فتسر بما عندنا، ونبدأ بالفن الذي ملكت زمامه وطار به صيتك وهو الحفظ إن شئت والنظم إن أردت، والنثر إن اخترت والبديهة إن نشطت، فهذه

دعواك التي تملأ منها فاك، قال: فأحجم الخوارزمي عن الحفظ لكبر سنه ولم يُحِل في النثر قِداحاً وقال: أبادهك، فقال البديع: الأمر أمرك يا أستاذ، فقال له الخوارزمي: أقول لك ما قال موسى للسحرة: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾[1] فقال البديع:

الشعر أصعب مذهباً ومصاعداً ... من أن يكون مطيعه في فَكِّه

والنظم بحر والخواطر معبر ... فانظر إلى بحر القريض وفُلكِه

فمتى تراني في القريض مقصراً ... عَرّضتُ أُذْن الامتحان لعركِه

وهي أبيات كثيرة فيها مدح الشريف والمفاخرة وتهجين الخوارزمي، فقال الخوارزمي أبياتاً ولكن ما أبرزها من الغلاف، فقال البديع: أما تستحي أن يكون السنور أعقل منك؛ لأنه يجعر فيغطيه بالتراب.

فقال لهما الشريف: انسجا على منوال المتنبي:

أرقٌ على أرقٍ ومثلي يأرقُ

فابتدأ أبو بكر الخوارزمي وقال:

فإذا ابتدهتُ بديهة يا سيدي ... فأراك عند بديهتي تتقلق

ما لي أراك ولست مثلي في الورى ... متموهاً بالترهات تُمْخِرق

ونظم أبياتاً ثم اعتذر فقال: هذا كما يجيء لا كما يجب، فقال البديع: قبل الله عذرك، لكنك وقعت بين قافات خشنة كل قاف كجبل قاف، فخذ الآن جزاء عن قرضك وأداء لفرضك:

مهلاً أبا بكر فزندك أضيق ... واخرس فإن أخاك حي يرزق

---

(١) سورة طه: ٦٦.

يــا أحمقــاً وكفــاك تلــك فــضيحة   جربــت نــار معرَّتــي هــل تحــرِق

فقال الخوارزمي: «أحمقاً» لا يجوز فإنه لا ينصرف، فقال له البـديع: لا نـزال نـصفعك حتـى ينـصرف وتنـصرف معـه، وللـشاعر أن يـردّ مـا لا ينصرف وإن شئت قلت «ياكودناً»، وسرد المجلـس بكمالـه يـاقوت وهـذا القدر كاف.

[٢٩٣] وساق له مزدوجة يمدح فيها الصحابة ويهجو الخوارزمي ويجيبـه عن قصيدة رويت له في الطعن عليهم- رضي الله عنهم - أولها:

وكلـــــني بــــــالهم والكآبــــةْ   طعَّانـــــة لعَّانـــــة ســـــبَّابةْ
للـــسلف الـــصالح والـــصحابةْ   أســـاء سمعـــاً فأســـاء جابـــةْ[1]

[٢٩٤] ورسائله مدونة مشهورة، وهي في غاية الفصاحة والبلاغة منها:

الماء إذا طال مكثه ظهر خبثه، وإذا سكن متنه تحرك نتنـه، وكـذا الـضيف يسمج لقاؤه إذا طال ثواؤه، ويثقل ظله إذا انتهى ملحه.

[٢٩٥] ومنها:

حضْرته التي هي كعبة المحتاج، لا كعبة الحجاج، ومشعر الكرم، لا مـشعر الحرم، ومنى الضيف، لا منى الخيف، وقبلة الصلات، لا قبلة الصلاة.

[٢٩٦] وله تعزية:

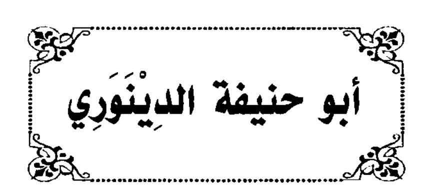
الموت خطب قد عظم حتى هان، ومسٌّ قد خشن حتى لان، والدنيا قـد تنكرت حتى صار الموت أخف خطوبها، وخبثت حتى صـار أصـغر ذنوبهـا فلينظر يمنة، هل يرى إلا محنة، ثم ينظر يسرة، هل يرى إلا حسرة.

---

(١) أي أساء السمع فأساء الجواب.

وله كل معنى فائق في كل لفظ رائق من النظم والنثر وأخباره كثيرة.

[٢٩٧] قال الحاكم: سمعت الثقات يحكون أنه مات من السكتة وعجل دفنه فأفاق في قبره، وسُمع صوته بالليل وأنه نبش عنه فوجدوه قد قبض على لحيته ومات من هول القبر، وكانت وفاته بهراة سنة ثمان وتسعين وثلاث مائة[1].



أبو حنيفة الدِيْنَوَرِي

أحمد بن داود بن وَنَنْد.

أخذ عن البصريين والكوفيين، وكان نحويّاً لغويّاً، مهندساً، منجماً حاسباً، راوية ثقة فيما يرويه ويحكيه.

توفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين.

[٢٩٨] قال ياقوت في «معجم الأدباء»: قال أبو حيّان في كتاب «تفريط الجاحظ» ومن خطه الذي لا أرتاب به نقلت قال: قلت لأبي محمد الأندلسي -يعني عبد الله بن حمود الزبيدي وكان من عداد أصحاب السيرافي-:

قد اختلف أصحابنا في مجلس أبي سعيد السيرافي في بلاغة الجاحظ وأبي حنيفة صاحب «النبات» ووقع الرضا بحكمك فما قولك؟ فقال: أنا أحقر نفسي عن الحكم لهما وعليهما، فقيل: لابد من قول، قال: أبو

---

(١) الوافي بالوفيات: ٦/ ٣٥٥- ٣٥٨.

حنيفة أكثر بداوة وأبو عثمان أكثر حلاوة، ومعاني أبي عثمان لائطة بالنفس سهلة في السمع، ولفظ أبي حنيفة أغرب وأعذب وأدخل في أساليب العرب.

[٢٩٩] قال أبو حيان:

والذي أقوله وأعتقده وآخذ به أني لم أجد في جميع من تقدم وتأخر ثلاثة لو اجتمع الثقلان على تقريظهم ومدحهم ونشر فضائلهم في أخلاقهم وعلمهم ومصنفاتهم ورسائلهم مدى الدنيا إلى أن يأذن الله بزوالها، لما بلغوا آخر ما يستحقه كل واحد منهم، أحدهم هذا الشيخ الذي أنشأنا له هذه الرسالة وبسببه جُشِّمنا هذه الكلفة-أعني أبا عثمان عمرو بن بحر-.

والثاني: أبو حنيفة: أحمد بن داود الدينوري؛ فإنه من نوادر الرجال، جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب، له في كل فن ساق وقدم ورواء وحكم، وهذا كلامه في «الأنواء» يدل على حظ وافر من علم النجم وأسرار الفلك، فأما كتابه في «النبات» فكلامه فيه في عروض كلام أبدي بدويٍّ، وعلى طباع أفصح عربيٍّ، ولقد قيل لي: إنه له كتاب يبلغ ثلاثة عشر مجلداً في القرآن ما رأيته وإنه ما سبق إلى ذلك النمط، هذا مع ورعه وزهده وجلالة قدره.

والثالث: أبو زيد أحمد بن سهل البلخي[1]؛ فإنه لم يتقدم له شبيه في الأعصر الأُوَل، ولا يظن أنه يوجد له نظير في مستأنف الدهر، ومن تصفح كلامه في كتاب: «أقسام العلوم» وفي كتاب: «أخلاق الأمم» وفي:

(١) ستأتي ترجمته بعد هذه، إن شاء الله.

«نظم القرآن» وفي كتاب: «اختيار السير» وفي: «رسائله» إلى إخوانه وجوابه عما يسأل عنه ويُبْدَه به، علم أنه بحر البحور وأنه عالم العلماء، وما رئي في الناس من جمع بين الحكمة والشريعة سواه، وإن القول فيه لكثير.

[٣٠٠] قال ياقوت: قرأت في كتاب ابن فورجة المسمى «بالفتح على أبي الفتح»[١] في تفسير قول المتنبي:

فدع عنك تشبيهي بما وكأنه فما أحد فوقي وما أحد مثلي

وقال فيه ما لم يرضه ابن فورجة ونسبه إلى أنه سأل عنه أبا الطيب فأجاب بهذا الجواب، فأورد ابن فورجة هذه الحكاية:

زعموا أن أبا العباس المبرد ورد الدينور زائراً لعيسى بن ماهان فأول ما دخل عليه وقضى سلامه قال له عيسى: أيها الشيخ ما الشاة المجثمة التي نهى النبي ﷺ عن أكل لحمها؟ فقال: هي الشاة القليلة اللبن مثل اللَّجْبة، فقال: هل من شاهد؟ قال: نعم قول الراجز:

لم يبق من آل الحميد نسمه إلاعُنَيْزٌ لَجْبَةٌ مُجَثَّمَه

فإذا بالحاجب يستأذن لأبي حنيفة الدينوري، فلما دخل قال له: أيها الشيخ ما الشاة المجثمة التي نهينا عن أكل لحمها؟ فقال: هي التي جثمت على ركبها وذبحت من خلف قفاها، فقال: كيف تقول وهذا شيخ أهل العراق -يعني المبرد- يقول: هي مثل اللجبة، وهي القليلة اللبن، وأنشده الشاهد، فقال أبو حنيفة: أيمان البيعة تلزم أبا حنيفة، إن كان هذا التفسير سمعه هذا الشيخ أو قرأه، وإن كان البيتان إلا لساعتهما هذه، فقال المبرد:

---

(١) أي عثمان بن جنيّ.

صدق الشيخ أبو حنيفة فإنني أنفت أن أردَ عليك من العراق وذكري ما قد شاع فأول ما تسألني عنه لا أعرفه، فاستحسن منه هذا الإقرار وترك البهت، قال ابن فورجة: وأنا أحلف بالله العلي إن كان أبو الطيب قط سئل عن هذا البيت فأجاب بهذا الجواب الذي حكاه ابن جني، وإن كان إلا متزيداً مبطلاً فيما يدعيه، عفا الله عنه، فالجهل والإقرار به أحسن من هذا[١].



أبو زيد البلخي

أحمد بن سهل البلخي.

كان فاضلاً قَيِّماً بجميع العلوم القديمة والحديثة، يسلك في مصنفاته طريقة الفلاسفة إلا أنه بأهل الأدب أشبه، وكان معلماً للصبيان، ثم رفعه العلم، وقد وصفه أبو حيان التوحيدي، وقد ذكرت ذلك في ترجمة أبي حنيفة الدينوري.

[٣٠١] حُكي عنه أنه قال: كان للحسين بن علي المروروذي وأخيه صعلوك صلات يجريانها علي دائماً، فلما صنفت كتابي في «البحث عن التأويلات» قطعاها عني، وكان لأبي علي محمد بن أحمد بن جَيْهَان وزير نصر بن أحمد الساماني جوار يدرها عليَّ، فلما صنفت كتاب «القرابين والذبائح» حرمنيها، قال فكأن الحسين قرمطيّاً، وكان الجيهان ثنويّاً، قال محمد بن إسحاق النديم: كان أبو زيد يُرْمَى بالإلحاد.

---

(١) الوافي بالوفيات: ٦/ ٣٧٧- ٣٧٩.

ولد أبو زيد البلخي بقرية تدعى: شامستيان، وكان يعلم بها الصبيان فيما قيل، وكان يميل إليها ويحبها؛ ولذلك لما حسنت حاله اعتقد بها ضيعته ووكل بها همته، وكانت تلك الضياع باقية بأيدي أحفاده وأقاربه إلى أن خربت بلخ.

[٣٠٢] وقيل: إن الأمير أحمد بن سهل بن هاشم كان ببلخ وعنده أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي، وأبو زيد في ليلة من الليالي وفي يد الأمير عقد لآلئ نفيسة تتلألأ ويتوهج نورها، قد حملت إليه من بلاد الهند حين افتتحت فأفرد الأمير منها عشر حبات وناولها أبا القاسم، وأفرد عشراً وناولها أبا زيد وقال: هذه اللآلئ في غاية النفاسة فأحببت أن أشرككما فيها ولا أستبد بها، فشكرا له ذلك، ثم إن أبا القاسم وضع لآلئه بين يدي أبي زيد وقال: إن أبا زيد مهتم بشأنها فأردت أن أصرف ما برني به الأمير إليه، فقال الأمير: نِعْم ما فعلت، ورمى بالعشرة الباقية إلى أبي زيد وقال: خذها فلست في الفتوة بأقل حظاً ولا أوكس سهماً من أبي القاسم، فلا تُغبنن عنها فإنها ابتيعت للخزانة بثلاثين ألف درهم، فباعها بثمن جليل وصرفه في ثمن الضيعة التي اشتراها.

وكان أبو زيد رَبعة نحيفاً مصفاراً أسمر جاحظ العين فيها تأخر وميل وبوجهه آثار جدري، وهو صموت سِكّيت ذو وقار وهيبة.

دخل العراق وأخذ عن العلماء وطوف البلدان وتتلمذ لأبي يوسف يعقوب الكندي، وحصل من عنده علوماً جمة وتعمق في الفلسفة وهجم على أسرار التنجيم والهيئة، وبرز في علم الطب وبحث عن أصول الدين أتم بحث وأبعد استقصاء.

ولقد جرى ذكره في مجلس الإمام أبي بكر أحمد بن محمد بن العباس البزار -وكان الإمام ببلخ والمفتي بها- فأثنى عليه خيراً، وقال: إنه كان قويم المذهب حسن الاعتقاد لم يعرف بشيء في ديانته كما ينسب إليه من نسب إلى علم الفلسفة، وكل من حضر من الأفاضل أثنى عليه ونسبه إلى الاستقامة والاستواء، وإنه لم يعثر له -مع ما له من المصنفات الجمة- على كلمة تدل على قدح عقيدته؛ ومن حسن عقيدته أنه كان لا يثبت من علم النجوم الأحكام بل كان يثبت ما جرى عليه الحسبان.

[٣٠٣] وكان أبو زيد في أول الأمر قد خرج إلى العراق في طلب الإمام؛ لأنه كان أولاً يرى رأي الإمامية، ولما ورد أحمد بن سهل بن هاشم المروزي إلى بلخ واستولى تخومها، راود أبا زيد على أن يستوزره فأبى عليه، فاتخذ أبا القاسم الكعبي وزيراً وأبا زيد كاتباً، ورزق أبي القاسم ألف درهم ورقاً ورزق أبي زيد خمس مائة درهم، وكان أبو القاسم يأمر الخازن بزيادة مائة درهم لأبي زيد من رزقه، فيتناول أبو زيد ست مائة درهم وأبو القاسم تسع مائة درهم ويأخذ لنفسه مكسرة ويأمر لأبي زيد بالوضح الصحاح[1].

وحكى أبو محمد الحسن بن محمد الوزيري، وكان لقي أبا زيد وتتلمذ له قال: كان أبو زيد ضابطاً لنفسه قليل البديهة، نزر الشعر واسع الكلام في الرسائل والتأليفات، إذا أخذ في الكلام أمطر اللآلئ المنثورة، وكان قليل المناظرة حسن العبارة.

[٣٠٤] وكان يتنزه عما يقال في القرآن إلا الظاهر المستفيض من التفسير والتأويل والمشكل من الأقاويل، ويتحرج أيضاً عن تفضيل بعض

---

(١) بعض الدراهم تكون مطموسة أو مكسورة.

الصحابة على بعض وعن مفاخرة العرب والعجم ويقول: ليس في هذه المناظرات ما يجدي طائلاً ولا يتضمن حاصلاً؛ لأن الله تعالى يقول في القرآن: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾[1] الآية، وأما الصحابة فقوله ﷺ: **«أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»**[2] وكذلك العربي والشعوبي فإن الله تعالى قال: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾[3] وقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[4].

[٣٠٥] وقال بعض أهل الأدب: اتفق أهل صناعة الكلام على أن متكلمي العالم ثلاثة: الجاحظ وعلي بن عبيدة اللطفي وأبو زيد البلخي، فمنهم من يزيد لفظه على معناه وهو الجاحظ، ومنهم من يزيد معناه على لفظه وهو علي بن عبيدة، ومنهم من توافق لفظه ومعناه وهو أبو زيد.

[٣٠٦] ولما دخل أبو زيد على أحمد بن سهل المروزي أول دخوله سأله عن اسمه؟ فقال: أبو زيد، فعجب أحمد بن سهل من ذلك وعد ذلك سقطة منه، فلما خرج ترك خاتمه في مجلسه فأبصره فازداد تعجباً وأخذه ونظر في نقش خاتمه وقلب فصه فإذا فيه «أحمد بن سهل» فعلم حينئذ أنه إنما أجاب بكنيته للموافقة الواقعة بين اسمه واسمه.

---

(١) سورة الزمر: ٢٨.

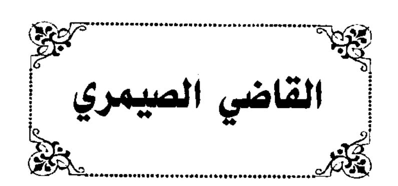
(٢) انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني: ١/٥٨ فقد حكم عليه بالضعف، وقال العجلوني في ((كشف الخفاء)): ١/١٣٢: رواه البيهقي، وأسنده الديلمي عن ابن عباس بلفظ (أصحابي بمنزلة النجوم في السماء....).

(٣) سورة المؤمنون: ١٠٢.

(٤) سورة الحجرات: ١٣.

وتوفي يوم الجمعة ضحوة لعشر بقين من ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة.

[٣٠٧] استدعى صاحب خراسان أبا زيد إلى بخارى ليستعين به على سلطانه، فلما بلغ جيحون ورأى تَغَطْمُط[١] أمواجه وجرية مائه وسعة قطره كتب إليه: إن كنت استدعيتني لما بلغك من صائب رأيي فإني إن عبرت هذا النهر فلست بذي رأي، ورأيي يمنعني من عبوره، فلما قرأ كتابه عجب منه وأمره بالرجوع إلى بلخ[٢].



القاضي الصيمري

أحمد بن سيار بن محمد الصيمري، أبو بكر القاضي.

قلد قضاء الجانب الشرقي في بغداد، ثم قلد قضاء الحريم بدار الخلافة ثم عزل عنه وقلد القضاء بطريق خراسان، وكان أديباً فاضلاً وله نظم .

[٣٠٧] وكان له هيبة ومنظر عظيم وجثة مهولة ولحية طويلة، فتقدم إليه امرأتان ادعت إحداهما على الأخرى، فقال القاضي أبو بكر: ما تقولين في دعواها؟

فقالت: أفزع! أيد الله القاضي.

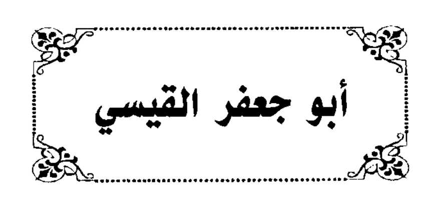
فقال القاضي: مم ذا؟

(١) غطغط البحر: أي علت أمواجه: ((المعجم الوسيط)): ٢/ ٦٦٢.

(٢) الوافي بالوفيات: ٦/ ٤٠٩- ٤١١.

فقالت: لحية طولها ذراع، ووجهٌ طوله ذراع، ودَنّيّة[1] طولها ذراع، فأخذتني هيبتها، فرفع القاضي دنيته من رأسه وحطها على الأرض، وغطى لحيته بكمه، وقال لها: قد نقصتك ذراعين، أجيبي عن دعواها.

توفي سنة ثمان وستين وثلاث مائة[2].



أبو جعفر القيسي

أحمد بن صابر القيسي، أبو جعفر.

أخبرني العلامة أثير الدين أبو حيان قال: كان المذكور رفيقاً للأستاذ أبي جعفر ابن الزبير شيخنا، وكان كاتباً مترسلاً شاعراً حسن الخط، على مذهب أهل الظاهر، وذكر أنه كان كاتباً للأمير أبي سعيد فرج ابن السلطان الغالب بالله بن الأحمر ملك الأندلس.

[٣٠٨] خرج أبو جعفر من الأندلس؛ وسبب خروجه منها أنه كان يرفع يديه في الصلاة -على ما صح في الحديث- فبلغ ذلك السلطان أبا عبد الله فتوعده بقطع يديه، فضج من ذلك وقال: إن إقليماً يمات فيه سنة رسول الله ﷺ حتى يتوعد بقطع اليد ممن يقيمها لجدير أن يرحل منه، فخرج وقدم ديار مصر وسمع بها الحديث، وكان فاضلاً نبيلاً.

(١) عمامة طولها نحو شبرين تتخذ من ورق وفضة على عيدان وتُغشى بالسواد: انظر ((التكملة للمعاجم العربية)) إبراهيم السامرائي: ٨٥.

(٢) الوافي بالوفيات: ٦/ ٤١٣، ٤١٤.

[٣٠٩] وأنشدني أثير الدين للمذكور أيضاً:

لـــولا ثـــلاث هـــن والله مـــن ... أكـــبر آمـــاليَ في الـــدنيا

حـــج لبيـــت الله أرجـــو بـــه ... أن يقبـــل النيـــة والـــسعيا

والعلـــم تحـــصيلاً ونـــشراً إذا ... رويـــت أوسـعت الـــورى ريـــا

وأهـــــل ود أســــأل الله أن ... يمتـــع بالبقيـــا إلى اللقيـــا

ما كنت أخشى الموت أنَّى أتى ... بـــل لم أكـــن ألتـــذ بالمحيـــا

[٣١٠] وأنشدني أثير الدين لنفسه في هذه المادة:

أمـــا إنـــه لـــولا ثـــلاث أحبهـــا ... تمنيـت أنـي لا أُعَـد مـن الأحيـا

فمنهـــا رجـــائي أن أفـــوز بتوبـــة ... تكفـر لـي ذنبـاً وتُـنجح لـي سـعيا

ومنهن صون النفس عن كـل جاهـل ... لئـيم فـلا أمـشي إلى بابـه مـشيا

ومنهن أخـذي للحـديث إذا الـورى ... نـسوا سـنة المختـار واتبعـوا الرأيـا

أنـــترك نـــصاً للرســـول ونقتـــدي ... بشخص لقد بدلت بالرشد الغيا(١)

أمير المؤمنين المعتضد بالله

أحمد بن طلحة أمير المؤمنين المعتضد بالله، أبو العباس ابن ولي العهد أبي أحمد الموفق بالله ابن المتوكل.

---

(١) الوافي بالوفيات: ٦/ ٤١٨، ٤١٩.

ولد اثنتين وأربعين ومـائتين أيـام جـده، وتـوفي سـنة تـسع وثمـانين ومائتين.

قدم دمشق لحروب خمارويه الطولوني وهزمه على حمص.

وكان قد استخلف بعد عمه المعتمد في شهر رجب سنة تسع وسـبعين ومائتين.

كان شجاعاً مهيباً أسمر نحيفاً معتدل الخلق أقنى الأنف إلى الطول مـا هو، وكان في مقدم لحيته امتداد وفي مقدم رأسه شامة بيضاء؛ ولذلك لقب الأغر، ظاهر الجبروت وافر العقل شـديد الوطـأة، مـن أفـراد خلفـاء بـني العباس.

[٣١١] كـان يقـدم علـى الأسـد وحـده لـشجاعته، قـال خفيـف السمرقندي: كنت معه في الصيد وانقطع عنا العسكر، فخرج علينا أسـد، فقال: أفيك خير؟ قلت: لا، قال: ولا تمسك فرسـي؟ قلـت: بلـى، ونـزل وتحزم وسل سيفه وقصد الأسد فقصده وتلقاه بسيفه فقطع عـضده فنـشأ على الأسد بها فضربه ضربة فلقت هامته، ومسح سيفه في صوفه وركب، وصحبته إلى أن مات ما سمعته يذكر ذلك لقلة احتفاله بذلك.

وكان يبخل ويجمع المال .

[٣١٢] وولي حرب الزَنْج وظفر بهم، وفي أيامه سكنت الفتن لفـرط هيبته، وكان يسمى السفاح الثاني؛ لأنه جدد ملك بني العباس، وكـان قـد خلق وضعف وكاد يزول؛ لأنه كان في اضطراب من وقت موت المتوكل.

وكانت أيامه طيبة كثيرة الأمن والرخاء، وسقَّط المكوس ونشر العـدل ورفع المظالم عن الرعية، وأنشأ قصراً أنفق عليه أربع مائة ألف دينار.

[٣١٣] وكان مزاجه قد تغير من إفراطه في الجماع وعدم الحمية؛ بحيث إنه أكل في علته زيتوناً وسمكاً وشكوا في موته فتقدم الطبيب فجس نبضه ففتح عينه ورفس الطبيب فدحاه أذرعاً فمات الطبيب، ثم مات المعتضد، وقيل إنه غم في بساط إلى أن مات، وبويع ابنه المكتفي فكانت ولاية المعتضد تسع سنين وتسعة أشهر وأياماً، وكانت أمه يقال لها ضرار توفيت قبل خلافته في آخر سنة ثمان وتسعين، وهو أحد من ولي الخلافة ولم يكن أبوه خليفة وهم: السفاح، والمنصور، والمستعين، والمعتضد.

[٣١٤] وكان المعتضد حسن الميل إلى آل رسول الله ﷺ لرؤيا رآها.

وكاتبه أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب ثم ابنه القاسم بن عبيد الله.

ونقش خاتمه «فوضت أمري إلى الله» وقيل: «أحمد يؤمن بالله» وقيل: «الحمد لله الذي ليس كمثله شيء وهو خالق كل شيء».

[٣١٥] وتزوج قطر الندى بنت خمارويه، أصدقها ألف ألف درهم، وأنفذ الحسين بن عبد الله الجوهري -المعروف بابن الجصاص- فحملها إليه.

[٣١٦] ومن شعره:

غلب الشوق اصطباري	لتباريح الفراق
إن جسمي حيث ما سر	ت وقلبي بالعراق
أملك الأرض ولا أم	لك دفع الاشتياق

[٣١٧] وحكى ابن حمدون النديم أن المعتضد كان قد شرط علينا أنا إذا رأينا منه شيئاً تنكره نفوسنا نقوله له، وإن اطلعنا له على عيب واجهناه به، قال: فقلت له يوماً:

يا مولانا في قلبي شيء أردت سؤالك عنه منذ سنين.

قال: ولم أخرته إلى الآن؟

قلت: لاستصغاري قدري ولهيبة الخلافة.

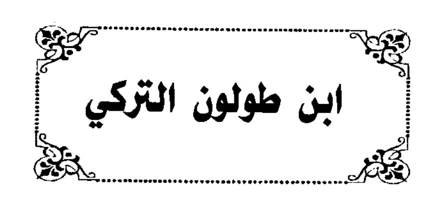
قال: قل ولا تخف.

قلت: اجتاز مولانا ذلك اليوم ببلاد فارس فتعرض الغلمان للبطيخ الذي كان في تلك الأرض فأمرت بضربهم وحبسهم، وكان ذلك كافياً، ثم أمرت بصلبهم وكان ذنبهم لا يجوز عليه الصلب.

فقال: أو تحسب أن المصلوبين كانوا أولئك الغلمان؟ وبأي وجه كنت ألقى الله -تعالى- يوم القيامة لو صلبتهم جزاء البطيخ؟ وإنما أمرت بإخراج قوم من قطاع الطريق قد وجب عليهم القتل وأمرت أن يلبسوا أقبية الغلمان وقلانسهم إقامة للهيبة في قلوب العسكر ليقولوا إذا صلب أخص غلمانه على غصب البطيخ فكيف يكون على غيره؟ وكذلك أمرت بتلثيمهم ليستتر أمرهم على الناس[١].

---

(١) الوافي بالوفيات: ٦/ ٤٢٨- ٤٣٠.



ابن طولون التركي

أحمد بن طولون التركي، أبو العباس أمير الشام والثغور ومصر.

ولاه المعتز بالله مصر، ثم استولى على دمشق والشام وأنطاكية والثغور في مدة شغل الموفق بن المتوكل بحرب الزنج.

[٣١٨] كان أحمد بن طولون عادلاً جواداً شجاعاً متواضعاً حسن السيرة صادق الفراسة، يباشر الأمور بنفسه ويعمر البلاد ويتفقد أحوال رعاياه، ويحب أهل العلم، وكانت له مائدة يحضرها كل يوم الخاص والعام، وكان له في كل شهر ألف دينار للصدقة، فقال له وكيله: إني تأتيني المرأة وعليها الإزار وفي يدها خاتم ذهب فتطلب مني أفأعطيها؟ فقال: من مد يده إليك أعطه.

[٣١٩] وبنى الجامع المنسوب إليه بظاهر القاهرة، قال القضاعي في كتاب «الخطط»: شرع في عمارته سنة أربع وستين ومائتين، وفرغ منه في سنة ست وستين ومائتين وأنفق على عمارته مائة ألف وعشرين ألف دينار.

وأُري في النوم كأنه يمشمش عظماً فقال له العابر: لقد سمَتْ همّة مولانا إلى مكسب لا يشبه خَطَرُه، فأخذ الذهب وتصدق به.

[٣٢٠] وكان صحيح الإسلام إلا أنه كان طائش السيف، سفاكاً للدماء، قال القضاعي: أحصى من قتله بالسيف صبراً وكان جملتهم مع من مات في حبسه ثمانية عشر ألفاً.

[٣٢١] وعن محمد بن على المادرائي قال: كنت أجتاز بتربة أحمد بن طولون فأرى شيخاً يلازم القبر ثم إني لم أره مدة ثم رأيته فسألته عن ذلك فقال: كان له علينا بعض العدل إن لم يكن الكل؛ فأحببت أن أصله بالقراءة، قلت: فلم انقطعت؟ قال: رأيته في النوم وهو يقول لي: أحب ألاَّ تقرأ عندي فما تمر بآية إلا قرعت بها وقيل لي: أما سمعت هذه؟!.

[٣٢٢] وكان أحمد بن طولون أطيب الناس صوتاً بالقراءة، فإنه حفظ القرآن وأتقنه وطلب العلم، وتنقلت به الأحوال إلى ملك مصر وعمره أربعون سنة، سنة أربع وخمسين مائتين فملكها بضع عشرة سنة.

[٣٢٣] وخلف من الذهب الأحمر عشرة آلاف ألف دينار وأربعة وعشرين ألف مملوك، وخلف ثلاثة وثلاثين ولداً ذكراً وأنثى، وست مائة بغل، وقيل إن خراج مصر في أيامه كان أربعة آلاف ألف دينار وثلاث مائة ألف دينار، وولد بسامرًّا في شهر رمضان سنة عشرين ومائتين.

[٣٢٤] وكان أبوه مملوكاً أهداه نوح بن أسد الساماني إلى المأمون في جملة رقيق ومات طولون سنة أربعين ومائتين، وقيل سنة ثلاثين، ويقال: إن طولون تبنى أحمد ولم يكن ابنه، ويقال: كان اسم أم أحمد هاشم، وكان طولون تركيّاً من جنس يقال لهم طُغُزْغُز[1].

وكان أحمد قد سأل الوزير عبيد الله بن يحيي بن خاقان فوقَّع له برزقه على الثغر، وكانت أمه مقيمة بسر من رأى فبلغه أنها باكية فرجع إليها مع رفقة فخرج عليهم جماعة من الأعراب فقاتلهم أشد قتال وانتصر عليهم، وخلص من أيديهم أموالاً حملها إلى المستعين فحسن مكانه عنده ووصله

---

(١) وهم يعرفون بالأُزبك.

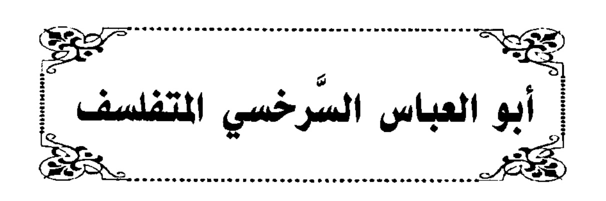
بجملة من المال، ووهبه جارية هي أم ابنه خمارويه، فلما خلع الأتراك المستعين فأحدروه إلى واسط قالوا له: من تختار أن يكون في صحبتك؟ فقال: أحمد بن طولون، فبعثوه معه وأحسن صحبته، ثم كتب الأتراك إلى ابن طولون بقتل المستعين وقالوا له: إن قتلته وليناك واسط، فقال: لا يراني الله أقتل خليفة بايعته، فأنفذوا إلى المستعين سعيداً الحاجب فقتله وحمل رأسه إلى بغداد، فدفن ابن طولون جثته هناك بعد أن غسلها، وعاد إلى سُر مَن رَأى، فزادت محلته عند الأتراك واشتهر بحسن المذهب؛ فولوه مصر نيابة عن أميرها، فلما دخلها قال: غاية ما وعدت على قتل المستعين ولاية واسط فتركت ذلك لأجل الله فولاني مصر والشام.

[٣٢٥] وحكى بعض المتصوفة أنه رأى أحمد بن طولون في النوم بحال حسنة وهو يقول: ما ينبغي لمن سكن الدنيا أن يحقر حسنة فيدعها، ولا سيئة فيأتيها، عدل بي عن النار إلى الجنة بتثبتي على متظلم عَيِيٍّ اللسان شديد التهيب، فسمعت منه وصبرت عليه حتى قامت حجته وتقدمت بإنصافه، وما في الآخرة على رؤساء الدنيا أشد من الحجاب عن الملتمسي الإنصاف.

توفي سنة سبعين ومائتين، وقام بعده ولده خُمارويه[١].

---

(١) الوافي بالوفيات: ٦/ ٤٣٠- ٤٣٢.



أبو العباس السَّرخسي المتفلسف

أحمد بن الطيب السرخسي، يُعرف بابن الفرانقي، أحد العلماء الفهماء الفصحاء البلغاء المتقين، له في علم الأثر باع طويل وفي علوم الحكماء ذهن ثاقب، وهو تلميذ الكندي.

له في كل فن تصانيف ومجاميع.

وكان أحد ندماء المعتضد المختصين به فأنكر منه بعض شأنه فأذاقه حمامه، وكان قد ولي الحسبة يوم الاثنين، والمواريث يوم الثلاثاء، وسوق الرقيق يوم الأربعاء لسبع خلون من شهر رجب سنة اثنتين وثمانين ومائتين، وفي يوم الاثنين لخمس خلون من جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين غضب عليه المعتضد وضرب مائة سوط وحول إلى المطبق، وفي سنة ست وثمانين مات.

[٣٢٦] قيل إنه دعا الخليفة المعتضد إلى الإلحاد فقال له: يا هذا أنا ابن عم صاحب هذه الشريعة، وأنا الآن منتصب منصبه فألحد حتى أكون مَنْ؟ قال المعتضد: كان قال لي أحمد بن الطيب: إن الخلفاء لا تغضب وإذا غضبت لم ترض، فعاملته بذلك، وقال له: لك سالف خدمة فاختر أي قتلة تحب أن أقتلك، قال: أختار أن تطعمني اللحم المكبب وتسقيني الشراب العتيق حتى أسكر وتفصدني في يدي، ففعل به ذلك، وظن أحمد أن دمه إذا انقطع مات في الحال بغير ألم، فانعكس عليه ذلك فنزف دمه وبقى معه بقية وغلبت عليه الصفراء وصار كالمجنون يضرب برأسه

الحيطان ويصيح ويستغيث لفرط الألم ويعدو في محبسه ساعات كثيرة، فبلغ ذلك المعتضد، فقال: هو الذي اختار هذا.

[٣٢٧] وكان لأحمد مجلس يجتمع إليه الناس ويبحثون معه، فسأله يوماً المعتضد عما جرى له في ذلك المجلس فقال: يا أمير المؤمنين مر بي فيه اليوم أمر ظريف، دخل إليّ في جملة الناس رجل لا أعرفه، له رواء وهيبة وتوسمت أنه من أهل المعرفة، وقعد لا ينطق من أول المجلس إلى آخره، فلما انصرف الناس لم ينصرف، فقلت له: ألك حاجة؟

قال: نعم تخلي لي نفسك، فأبعدت غلماني وبقيت وحدي.

فقال: أنا رجل أرسلني الله إلى هذا البشر، وقد بدأت بك لفضلك وأملت أن أجد عندك معونة، فقلت له: يا هذا أما علمت أني مسلم أعتقد أنه لا نبوة بعد رسول الله ﷺ؟

فقال: علمت ذلك، وما جئتك إلا ببرهان ومعجزة: هل لك في الوقوف على معجزتي؟ فأردت أن أعلم كل ما عنده، فقلت له: هاتها.

فقال: تحضرني سطلاً فيه ماء، فأحضرت ذلك، فأخرج من كمّه حجرين أصمين أشد ما يكون من الحجارة فقال، خذهما، فأخذتهما فقال: ما هما؟ فقلت: حجران، فقال لي: رُمْ كسرهما، فرمت ذلك فتعذر لشدة صلابتهما فقال: ضعهما بيدك في السطل وغطه بمنديل، ففعلت من حيث لم يتول هو شيئاً من الأمر ولا قرب من السطل، وأقبل يحدثني فوجدته ممتعاً كثير الحديث سديد العبارة حسن البيان صحيح النقل لا أنكر منه شيئا، فلما طال الأمر قلت له: فأي شيء بعد هذا؟

فقال: أخرج لي الحجرين، فكشفت السطل وطلبتهما فلم أجدهما وتحيرت، وقلت له: ليس في السطل شيء.

فقال: أما في هذا إعجاز؟

فقلت له: بقيت عليك واحدة وهي أني آتيك بحجرين من عندي، فقال لي: وهكذا قال أصحاب موسى له إذ جاءهم بعصاه، نريد أن تكون هذه العصا من عندنا؟! فتوقفت عن جوابه لأفكر فيه فقام وقال لي: فكر في أمرك وأعود إليك، فندمت على تركه بعد انصرافه وأمرت غلماني فتتبعوه في كل طريق فلم يجدوه.

قال القاسم بن عبيد الله: قال لي المعتضد: أتدري ما أراد أحمد بن الطيب-لعنه الله- بهذا الحديث؟ فقلت: لا يا أمير المؤمنين، فقال: إنما أراد أن سبيل موسى-عليه السلام- في العصا سبيل هذا الرجل في الحجرين وأن الجميع بحيلة، فأحسست بما ذهب إليه، وكان ذلك من أكبر ما نقمه عليه المعتضد.

[٣٢٨] وفيه يقول أبو أحمد يحيى بن علي النديم:

يا من يصلي رياء	ويظهر الدين سُمعَهْ
وليس يعبد رباً	ولا يدين بشِرعه
قد كنت عطلتَ دهراً	فكيف أسلمت دَفْعه
لو ظَلْتَ في كل يوم	مصلياً ألف ركعه
وصمت دهرك لا مفـ	ـطراً لعيد وجمعه
ما كنت في الكفر إلا	كالنار في رأس تَلْعَه
تقرأ القرآن ولو تسـ	ـطيع فرقت جمعه
وإن سمعت بحق	حاولت بالزور دفعه
قل لي أبعد اتباع الـ	ـكندي تعمر ربعه

وتـــــستقي الكفــــر منـــــه ولا تحـــــــاذر شُـــــنْعه

أظهــــرت تقــــوى ونـــــسكاً أيهـــــاتَ في الأمـــــر صَـــنعه

ولـــــو بـــــدا لـــــك ســـلح منـــــه لآثـــــرت لَطْعَـــــه

فـــــارجع إلى مـــــذهب الـــشيـ ـــــخ رُبّ صَـــكٌ برجعـــه

فمـــــا تقـــــاك مليحـــــاً ولـــــيس كفـــــرك بدعـــه

ولـــــيس مـــــن ألـــــسن النـــا س للمـــــرائين منعـــــه [(١)]

أبو الفضل ابن أبي طاهر

أحمد بن طيفور أبو الفضل ابن أبي طاهر، مروروذي الأصل، أحد البلغاء الشعراء الرواة من أهل الفهم المذكورين بالعلم، وهو صاحب كتاب «تاريخ بغداد في أخبار الخلفاء والأمراء وأيامهم».

توفي سنة ثمانين ومائتين ومولده سنة أربع ومائتين مدخل المأمون إلى بغداد.

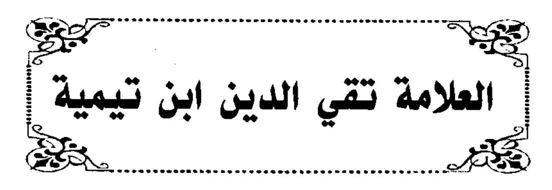
وكان مؤدب كتّاب عاميّاً، ثم تخصص وجلس في سوق الوراقين في الجانب الشرقي.

[٣٢٩] قال صاحب كتاب «الباهر» جعفر بن حمدان: ولم أر ممن شهر بمثل ما شهر به من التصنيف للكتب وقول الشعر أكثر تصحيفاً منه ولا أبلد علماً ولا ألحن، ولقد أنشدني شعراً يعرضه عليّ في إسحاق بن أيوب لحن

(١) الوافي بالوفيات: ٧/ ٧، ٨.

في بضعة عشر موضعاً منه، وكان أسرق الناس لنصف بيت وثلث بيت، وكذا قال لي البحتري فيه، وكان مع هذا جميل الأخلاق ظريف العشرة.

[٣٣٠] حدث أبو هفان قال: كنت أنزل في جوار المعلّى بن أيوب صاحب العرض والجيش أيام المأمون، وكان أحمد بن أبي طاهر ينزل عنده فأضقنا إضاقة شديدة، فقلت لابن أبي طاهر: هل لك في شيء لا بأس به، تدعني حتى أسجيك وأمضي إلى المعلى، فأُعلمه أن لي صديقاً قد توفي، فآخذ منه ثمن كفن فننفقه، فقال: نعم، وجئت إلى وكيل المعلى فعرفته خبرنا فصار معي إلى منزلي، فتأمل ابنَ أبي طاهر، ثم نقر أنفه فضرط، فقال لي: ما هذا؟! فقلت: هذه بقية من روحه كرهت نكهته فخرجت من استه، فضحك وعَرّف المعلى خبرنا فأمر لنا بجملة دنانير(١).



العلامة تقي الدين ابن تيمية

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني ابن تيمية، الشيخ الإمام، العالم العلامة، المفسر، الفقيه المجتهد، الحافظ المحدث، شيخ الإسلام، نادرة العصر ذو التصانيف والذكاء والحافظة المفرطة تقي الدين أبو العباس، ابن العالم المفتي شهاب الدين ابن الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات مؤلف «الأحكام»، وتيمية: لقب لجده الأعلى.

(١) الوافي بالوفيات: ٧/ ٨، ٩.

ولد بحران عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين، وتحول به أبوه إلى دمشق سنة سبع وستين وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبع مائة.

[٣٣١] سمع من خلق كثير، وبالغ وأكثر، وقرأ بنفسه على جماعة، وانتخب ونسخ عدة أجزاء و «سنن أبي داود» ونظر في الرجال والعلل، وصار من أئمة النقد ومن علماء الأثر مع التدين والتأله والذكر، والصيانة والنزاهة عن حطام هذه الدار والكرم الزائد.

[٣٣٢] ثم إنه أقبل على الفقه ودقائقه وغاص على مباحثه ونظر في أدلته وقواعده وحججه والإجماع والاختلاف، حتى كان يُقضى منه العجب إذا ذكر مسألة من الخلاف واستدل ورجح واجتهد، حكى لي أنه قال يوماً للشيخ صدر الدين ابن الوكيل: يا صدر الدين أنا أنقل في مذهب الشافعي أكثر منك، أو كما قال.

[٣٣٣] وقال الشيخ شمس الدين[1]: ما رأيت أحداً أسرع انتزاعاً للآيات الدالة على المسألة التي يوردها منه، ولا أشد استحضاراً لمتون الأحاديث وعزوها إلى الصحيح أو المسند أو السنن كأن ذلك نصب عينه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة حلوة وإفحام للمخالف.

[٣٣٤] وكان آية من آيات الله تعالى في التفسير والتوسع فيه، لعله يبقى في تفسير الآية المجلس والمجلسين، قلت: حكى لي من سمعه يقول: إني وقفت على مائة وعشرين تفسيراً، أستحضر من الجميع الصحيح الذي فيها، أو كما قال.

---

(١) أي الذهبي، الإمام، رحمه الله تعالى.

[٣٣٥] قال الشيخ شمس الدين: وأما أصول الدين ومعرفة أقوال الخوارج والروافض والمعتزلة والمبتدعة، فكان لا يشق فيها غباره.

[٣٣٦] هذا مع ما كان عليه من الكرم الذي لم أشاهد مثله قط، والشجاعة المفرطة والفراغ عن ملاذ النفس: من اللباس الجميل والمأكل الطيب والراحة الدنيوية.

قلت: حُكي لي عنه أن والدته طبخت يوماً قرعية ولم تذقها أولاً وكانت مرة فلما ذاقتها تركتها على حالها فطلع إليها وقال: هل عندك ما آكل؟

قالت: لا إلا أنني طبخت قرعاً كان مرّاً.

فقال: أين هو؟ فأرته المكان الذي فيه تلك القرعية فأحضرها وقعد أكلها إلى أن شبع، وما أنكر شيئاً منها، أو كما قيل.

[٣٣٧] وحُكي لي عنه أنه كان قد شكا إليه إنسان أو جماعة من قطلوبك الكبير وكان المذكور فيه جبروت على أخذ أموال الناس واغتصابها، - وحكاياته في ذلك مشهورة - فقام يمشي إليه فلما دخل إليه وتكلم معه في ذلك قال له قطلوبك: أنا الذي أريد أجيء إليك؛ لأنك رجل عالم زاهد، يعرِّض بقولهم: إذا كان الأمير بباب الفقير فنعم الأمير ونعم الفقير، فقال له: قطلوبك، لا تعمل علي دركواناتك[1]، موسى كان خيراً مني وفرعون كان شرّاً منك وكان موسى كل يوم يجيء إلى باب فرعون مرات في كل يوم ويعرض عليه الإيمان، أو كما قيل.

---

(١) بمعنى الخداع والحيلة.

[٣٣٨] وحكى لي عنه الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية قال: كان صغيراً عند بني المنجا فبحث معهم فادعوا شيئاً أنكره، فأحضروا النقل فلما وقف عليه ألقى المجلد من يده غيظاً، فقالوا له: ما أنت إلا جريء ترمي المجلد من يدك وهو كتاب علم، فقال سريعاً: أيما خير أنا أو موسى؟ فقالوا: موسى، فقال: أيما خير هذا الكتاب أو ألواح الجوهر التي كان فيها العشر كلمات؟ قالوا: الألواح، فقال: إن موسى لما غضب ألقى الألواح من يده، أو كما قال.

[٣٣٩] وحكى لي عنه أيضاً قال: سأله فلان -أُنسيته- فقال: أنت تزعم أن أفعالك كلها من السنة!! فهذا الذي تفعله بالناس من عرك آذانهم من أين جاء هذا في السنة؟ فقال: حديث ابن عباس في الصحيحين: قال: صليت خلف رسول الله ﷺ ليلاً فكنت إذا أغفيت أخذ بأذني أو كما قال.

[٣٤٠] قال الشيخ شمس الدين: وصنف في فنون العلم، ولعل تواليفه وفتاويه في الأصول والفروع والزهد واليقين والتوكل والإخلاص وغير ذلك تبلغ ثلاث مائة مجلدة.

[٣٤١] وكان قوالاً بالحق نهاء عن المنكر ذا سطوة وإقدام وعدم مداراة، ومسائله المفردة يحتج لها بالقرآن والحديث أو بالقياس ويناظر عليها وينقل فيها الخلاف ويطيل البحث أسوة من تقدمه من الأئمة، فإن كان أخطأ فله أجر واحد وإن كان أصاب فله أجران.

[٣٤٢] وكان أبيض، أسود الرأس واللحية قليل الشيب، شعره إلى شحمة أذنيه، كأن عينيه لسانان ناطقان، ربعة من الرجال، بعيدَ ما بين

المنكبين، جهوري الصوت، فصيح اللسان، سريع القراءة، تعتريه حدة ثم يقهرها بحلم وصفح.

[٣٤٣] توفي محبوساً في قلعة دمشق على مسألة الزيارة[١]، وكانت جنازته عظيمة إلى الغاية، ودفن في مقابر الصوفية، صلى عليه الشيخ علاء الدين قاضي القضاة القونوي، ولم يصل عليه جمال الدين بن جمله، انتهى كلام الشيخ شمس الدين.

قلت: رحمهم الله أجمعين، هم الآن قد رأوا عين اليقين فيما كانوا فيه يختلفون.

[٣٤٤] وما أظنه رأى مثله في الحافظة والاطلاع، وأرى أن مادته كانت من كلام ابن حزم حتى شناعه على من خالفه، وكان مغرىً بسبٍّ ابن عربي محيي الدين والعفيف التلمساني وابن سبعين وغيرهم من الذين ينخرطون في سلكهم[٢]، وربما صرَّح بسب الغزالي وقال: هو قلاووز الفلاسفة، أو قال ذلك عن الإمام فخر الدين، سمعته يقول: الغزالي في بعض كتبه يقول: «الروح من أمر ربي» وفي بعضها يدس كلام الفلاسفة ورأيهم فيها، وكذلك الإمام فخر الدين الرازي كان كثير الحط عليه، وكان مسلطاً على هؤلاء الفقراء الأحمدية واليونسية والقرندلية[٣] وغيرهم من هؤلاء المبتدعة.

[٣٤٥] حكى لي أنه جاء إليه بعض الأحمدية وقال ما يقولونه على العادة في دخول التنور من بعد ثلاثة أيام وقود النار فيه فقال له: أنا ما أكفلك ذلك، ولكن دعني أضع هذه الطوافة في ذقنك، فجزع ذلك الفقير

---

(١) أي زيارة النبي ﷺ وشد الرحال إليها.

(٢) أي من أهل الحلول والاتحاد، والعياذ بالله.

(٣) جماعات من الصوفية المنحرفة.

وأبلس، قلت: وقد نقل الشيخ -رحمه الله تعالى- هذا من قول بعض الشعراء في النار التي يزعم النصارى أنها تنزل يوم سبت النور من المساء إلى القمامة بالقدس:

لقد زعم القسيس أن إلهه ينزل نوراً بكرة اليوم أو غد

فإن كان نوراً فهو نور ورحمة وإن كان ناراً أحرقت كل معتد

يقربها القسيس من شعر ذقنه فإن لم تحرقها وإلا اقطعوا يدي

[٣٤٦] وسمعته يقول عن نجم الدين الكاتبي المعروف بدبيران -بفتح الدال المهملة وكسر الباء الموحدة- وهو الكاتبي وهو صاحب التواليف البديعة في المنطق، فإذا ذكره لا يقول إلا دُبَيران بضم الدال وفتح الباء، وسمعته يقول: ابن المنجس، يريد: ابن المطهر الحلي.

[٣٤٧] وكانت سمعته في البلاد البعيدة أكثر وأكبر وأشهر مما هي بالشام خصوصاً بلده دمشق، وكتب رسالة إلى صاحب قبرس يأمره فيها بالرفق بالأسارى المسلمين وتخفيف الوطأة عنهم، وقص عليه أقوالاً من كلام المسيح -عليه السلام- مثل قوله: (من ضربك على خدك الأيمن فدر له الخد الأيسر)، وأشباه ذلك، فقيل إنه خفف عنهم وعمر لهم جامعاً، على ما قيل.

[٣٤٨] وطلب إلى مصر أيام ركن الدين بيبرس الجاشنكير وعقد له مجلس في مقالة قال بها فطال الأمر وحكموا بحبسه فحبس بالإسكندرية، ثم إن الملك الناصر لما جاء من الكرك أخرجه فيما أظن.

[٣٤٩] ولم يزل العوام بمصر يعظمونه إلى أن أخذ في القول على السيدة نفيسة فأعرضوا عنه.

[٣٥٠] ورأيته مرات بمدرسة القصاعين وبالحنابلية جُوًّا باب الفراديس، وكان إذا تكلم أغمض عينيه وازدحمت العبارة على لسانه فرأيت العجب العجيب، والحبر الذي ما له مشاكل في فنونه ولا ضريب، والعالم الذي أخذ من كل شيء بنصيب، سهمه للأغراض مصيب، والمناظر الذي إذا جال في حومة الجدال رمى الخصوم من مباحثه باليوم العصيب:

وعاينت بدراً لا يرى البدر مثله وخاطبت بحراً لا يرى البَرَّ عائمُه

[٣٥١] أخبرني المولى علاء الدين علي بن الآمدي وهو من كبار كتاب الحساب، قال: دخلت يوماً إليه أنا والشمس النفيس عامل بيت المال، ولم يكن في وقته أكتب منه، فأخذ الشيخ تقي الدين يسأله عن الارتفاع وعما بين الفذلكة واستقرار الجملة من الأبواب، وعن الفذلكة الثانية وخصمها وعن أعمال الاستحقاق، وعن الختم والتوالي وما يطلب من العامل، وهو يجيبه عن البعض ويسكت عن البعض ويسأله عن تعطيل ذلك إلى أن أوضح له ذلك وعلله قال: فلما خرجنا من عنده قال لي النفيس: والله تعلمت اليوم منه ما لا كنت أعلمه، انتهى ما ذكره علاء الدين.

[٣٥٢] وسألته في سنة ثماني عشرة أو سبع عشرة وسبع مائة وهو بمدرسته بالقصاعين عن قوله تعالى ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾[1]، فقلت له: المعروف بين النحاة أنّ الجمع لا يوصف إلا بما يوصف به المفرد من الجمع بالمفرد من الوصف، فقال: كذا هو، فقلت: ما مفرد متشابهات؟ فقال: متشابهة، فقلت: كيف تكون الآية الواحدة في نفسها متشابهة، وإنما

(١) سورة آل عمران: ٧.

يقع التشابه بين آيتين؟ وكذا قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾(1) كيف يكون الرجل الواحد يقتتل مع نفسه؟ فعدل بي من الجواب إلى الشكر، وقال: هذا ذهن جيد ولو لازمتني سنة لانتفعت.

[٣٥٣] وسألته في ذلك المجلس عن تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ إلى قوله: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(2)، فأجاب بما قاله المفسرون في ذلك: وهو آدم وحواء، وأن حواء لما أثقلت بالحمل أتاها إبليس في صورة رجل وقال: أخاف من هذا الذي في بطنك أن يخرج من دبرك أو يشق بطنك وما يدريك لعله يكون بهيمة أو كلباً، فلم تزل في هم حتى أتاها ثانياً وقال: سألت الله -تعالى- أن يجعله بشراً سويّاً وإن كان كذلك سميه عبد الحارث، وكان اسم إبليس في الملائكة الحارث، فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾(3)، وهذا مروي عن ابن عباس ﷺ.

فقلت له: هذا فاسد من وجوه؛ لأنه -تعالى- قال في الآية الثانية: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(4)، فهذا يدل على أن القصة في حق جماعة.

الثاني: أنه ليس لإبليس في الكلام ذكر.

الثالث: أن الله تعالى علم آدم الأسماء كلها فلابد وأنه كان يعلم أن اسم إبليس الحارث.

---

(١) سورة القصص: ١٥.
(٢) سورة الأعراف: ١٨٩- ١٩٠.
(٣) سورة الأعراف: ١٩٠.
(٤) سورة الأعراف: ١٩٠.

الرابع: أنه تعالى قال: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾[1]، وهذا يدل على أن المراد به: الأصنام؛ لأن «ما» لما لا يعقل، ولو كان إبليس لقال «من» التي هي لمن يعقل.

فقال رحمه الله تعالى: فقد ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بهذا: قصي؛ لأنه سمى أولاده الأربعة عبد مناف وعبد العزى، وعبد قصي وعبد الدار، والضمير في «يشركون» له ولأولاده من أعقابه الذين يسمون أولادهم بهذه الأسماء وأمثالها.

فقلت له: وهذا أيضاً فاسد؛ لأنه تعالى قال: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾[2]، وليس كذلك إلا آدم؛ لأن الله -تعالى- خلق حواء من ضلعه.

فقال رحمه الله تعالى: المراد بهذا أن زوجه من جنسه عربية قرشية، فما رأيت التطويل معه.

[٣٥٤] وسألته في ذلك المجلس عن قول المتكلمين في الواجب والممكن لأنهم قالوا: الواجب ما لا يتوقف وجوده على وجود ممكنه، والممكن ما يتوقف وجوده على وجود واجبه، فقال رحمه الله: هذا كلام مستقيم، فقلت: هذا القول هو عين القول بالعلة والمعلول فقال: كذا هو، إلا أن ذلك علة ناقصة ولا يكون علة تامة إلا بانضمام إرادته، فإذا انضمت الإرادة إلى وجود الواجب تعين وجود الممكن.

[٣٥٥] ثم اجتمعت به بعد ذلك مرات عديدة وكان إذا رآني قال: أيش حس الإيرادات؟ أيش حس الأجوبة؟ أيش حس الشكوك؟ أنا أعلم

---

(١) سورة الأعراف: ١٩١.
(٢) سورة الأعراف: ١٨٩.

أنك مثل القدر التي تغلي تقول: بق بق بق، أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها، لازمني لازمني تنتفع، وكنت أحضر دروسه ويقع لي في أثناء كلامه فوائد لم أسمعها من غيره ولا وقفت عليها في كتاب، رحمه الله تعالى.

وعلى الجملة فما رأيت ولا أرى مثله في اطلاعه وحافظته، ولقد صدق ما سمعنا به عن الحفاظ الأول.

[٣٥٦] وكانت هممه علية إلى الغاية؛ لأنه كان كثيراً ما ينشد:

تموت النفوس بأوصابها ولم تشك عوادها ما بها

وما أنصفت مهجة تشتكي هواها إلى غير أحبابها

وينشد أيضاً:

من لم يُقَدْ ويُدَس في خيشومه رَهَجُ الخميس فلن يقود خميسا[1]

[٣٥٧] وكان في ربيع الأول سنة ثمان وتسعين قد قام عليه جماعة من الشافعية وأنكروا عليه كلامه في الصفات، وأخذوا فتياه الحموية وردوا عليه فيها وعملوا له مجلساً فدافع الأفرم عنه ولم يُبلغهم فيه أرباً، ونودي في دمشق بإبطال العقيدة الحمويَّة فانتصر له جاغان المشد، وكان قد مُنع من الكلام، ثم إنه جلس على عادته يوم الجمعة وتكلم، ثم حضر عند قاضي القضاة إمام الدين وبحثوا معه وطال الأمر بينهم، ثم رجع القاضي إمام الدين وأخوه القاضي جلال الدين وقالوا: من قال عن الشيخ تقي الدين شيئاً عزرناه.

---

(١) الخميس: الجيش، والرهج: الغبار.

ثم إنه طلب إلى مصر هو و القاضي نجم الدين بن صصري فانتصر له الأمير سيف الدين سلاَّر، وحط الأمير ركن الدين الجاشنكير عليه وعقدوا له مجلساً انفصل على حبسه فحبس في خزانة البنود، ثم نقل إلى الإسكندرية، ثم أفرج عنه وأقام بالقاهرة مدة ثم اعتقل أيضاً، ثم أفرج عنه وحضر إلى دمشق، فلما كان في أيام القاضي جلال الدين تكلموا معه في مسألة الزيارة، وكتب في ذلك إلى مصر فورد مرسوم السلطان باعتقاله في القلعة فلم يزل معتقلاً بها إلى أن مات سنة ثمان وعشرين وسبع مائة.

[٣٥٨] ورأيته بعد موته-رحمه الله تعالى- في المنام كأنه في جامع بني أمية وأنا في يدي صورة عقيدة ابن حزم الظاهري الذي ذكرها في أول «المحلى» وقد كتبتها بخطي وكتبت في آخرها:

وهذا نص ديني واعتقادي وغيري ما يرى هذا يجوز

وقد أوقفته على ذلك فتأملها ورآها ولم يتكلم بشيء.

[٣٥٩] ومن نظم الشيخ تقي الدين – رحمه الله تعالى- على لسان هؤلاء الفقراء المجردين وغيرهم:

والله ما فقرنا اختيار وإنما فقرنا اضطرار

جماعة كلنا كسالى وأكلنا ما له عيار

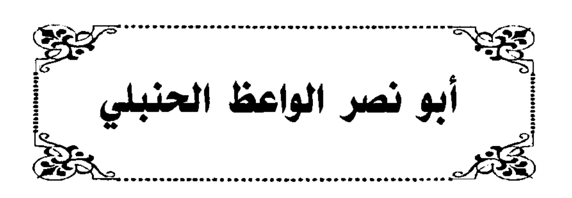
تسمع منا إذا اجتمعنا حقيقة كلها فشار

وله أجوبة سؤالات كان يُسألها نظماً فيجيب عنها نظماً أيضاً، وليس هذا موضع إيراد ذلك، ومدحه جماعة من أهل عصره.

ولما دخل مصر امتدحه العلامة أثير الدين أبو حيان بأبيات، ولما توفي-رحمه الله- رثاه جماعة[1].

---

(١) الوافي بالوفيات: ٧/ ١٥- ٣٣.



أبو نصر الواعظ الحنبلي

أحمد بن عبد الرحمن بن عمر.

حفظ القرآن وجوده وقرأ بالروايات الكثيرة، وتفقه على مذهب أحمد بن حنبل، وتكلم في مسائل الخلاف ووعظ على المنبر وأسمعه والده الكثير، وطلب بنفسه وقرأ على المشايخ وكتب بخطه كثيراً، وكان حسن الطريقة متديناً.

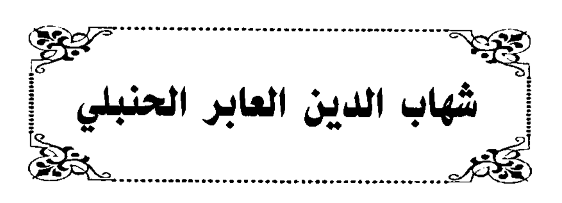
[٣٦٠] مات شابّاً وقد جاوز العشرين، مولده سنة ثمانين وخمس مائة وتوفي سنة إحدى وست مائة.

[٣٦١] قال محب الدين بن النجار:

ورأيته في المنام وعليه ثياب فاخرة فسألته: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، وقليل العمل ينفع عند الله، وسألته عن عذاب القبر: أحق هو؟ قال: لا، فقلت له مرة ثانية: عذاب القبر حق، وجبذته جبذة شديدة كالمنكر عليه، فقال لي: أنا ما رأيته، فقلت له: منكر ونكير؟ قال: أي: والله حق نزلا عليّ وسألاني [1].

---

(١) الوافي بالوفيات: ٧/ ٤٥- ٤٦.



شهاب الدين العابر الحنبلي

أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم، الشيخ الإمام شهاب الدين المقدسي النابلسي الحنبلي، مفسر المنامات.

ولد بنابلس سنة ثمان وعشرين، وسمع بمصر وبالإسكندرية، وروى الكثير بدمشق والقاهرة.

[٣٦٢] وكان إليه المنتهى في تعبير الرؤيا واشتهر عنه في ذلك عجائب، ويخبر صاحب الرؤيا بالمغيبات التي لا يقتضيها المنام أصلاً، وكان بعض الناس يعتقدون فيه الكشف والكرامات وبعضهم يقول: ذلك مستنبط من المنامات، وبعضهم يقول: كهانات وإلهامات، ولكل منهم في دعواه شبه وعلامات.

قال الشيخ شمس الدين: حدثني الشيخ تقي الدين ابن تيمية أن الشهاب العابر كان له رَئِيّ من الجن يخبره بالمغيبات، وأما الرجل فكان صاحب أوراد وصلاة ومقامات وما برح على ذلك حتى مات، صنف في التعبير مقدمة سماها «البدر المنير» قرأها عليه الشيخ علم الدين البرزالي.

قال الشيخ شمس الدين[١]: وسمعنا منه أجزاء، وكان عارفاً بالمذهب، وولي التدريس بالجوزية، لما قدم علينا ونزل بها، وكان شيخاً حسن البشر وافر الحرمة، معظمّاً في النفوس أقام بمصر مدة، وقام له بها سوق وارتبط عليه بها جماعة ثم رُسم بتحويله من القاهرة، وتوفي بدمشق سنة سبع

---

(١) أي الذهبي، الإمام رحمه الله تعالى.

وتسعين وست مائة وحضر جنازته ملك الأمراء والقضاة والأكابر، قلت: وكان قد ارتبط عليه بالقاهرة من الأمراء أمير يعرف بالطبرس، وهو الذي عمر المجنونة التي على الخليج ظاهر القاهرة، ولهذا الشيخ عمّرها.

[٣٦٣] وأخبرني الحافظ فتح الدين ابن سيد الناس قال: كنت عنده يوماً فجاء إليه إنسان وقال له: رأيت كأني صرت أترجة فقال: أترجة ا ت ر ج ة، وعدها على أصابعه خمسة أحرف، أنت تموت بعد خمسة أيام، فقال لي بعض من حضر -ذكره ولكن أنسيته أنا-: القاعدة عند أرباب التعبير أنه من رأى أنه صار ثمرة تؤكل فإنه يموت، وهذه زيادة من عنده، يعني عد حروف الأترجة.

[٣٦٤] وحكى لي عنه بهاء الدين أبو بكر ابن غانم موقّع صفد قال: كنا عنده بدمشق وجاء إليه اثنان فقال له أحدهما: رأيت رؤيا وقصها فقال له: ما رأيت شيئاً وإنما تريد الامتحان، فخرجا بعدما اعترفا، فقلنا له: من أين لك هذا؟ قال: لما تكلما نظرت في ذيل أحدهما نقطة دم، فذكرت الآية وهي قوله تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾[1]، فاتفق أن رأيت أحدهما فيما بعد فسألته عن القضية فقال: لما اجتزنا عليه ذكرنا أمره الغريب وقلنا نمتحنه وصنفنا رؤيا للوقت فكان ما سمعت، فقلت: إنه قال كذا وكذا، فقال: صدق، ونحن داخلون إليه كان إنسان في الطريق يذبح فروجاً فرمى به فلوثنا به بالدم.

[٣٦٥] وحكى لي أيضاً قال: جاء إليه إنسان وقال له: رأيت كأن في داري شجرة يقطين قد نبتت فقال له: أعندك جارية غير الزوجة؟ قال: نعم، قال: بعني إياها، فقال: ما هذا؟ قال: الذي تسمعه، فقال:

---

(١) سورة يوسف: ١٨.

إنها ملك زوجتي، فقال: قل لها تبيعني إياها، فراح وعاد فقال: إنها لم تبعها، فقال: قل لها بكسب مائتي درهم، فعاد وقال: لم تبعها، فألح عليه، فقال: إنها لم تبعها، فقال: أما الآن فقد آن تعبير رؤياك، امض إلى هذه الجارية واعتبرها، فتوجه وعاد وقال: إنه كان عبداً وزوجتي تكتمني أمره وتلبسه لباس النساء.

[٣٦٦] وأخبرني غيره عنه قال: جاء إليه إنسان وقال له: رأيت كأني قد وضعت رجلي على رأسي، فقال له: أفسر لك هذه الرؤيا بيني وبينك أو في الظاهر؟ فقال: بل في الظاهر، فقال له: أنت كنت من ليال تشرب الخمر وسكرت ووطئت أمك، فاستحيا ومضى.

[٣٦٧] وأخبرني عنه الشيخ الحافظ علاء الدين مغلطاي شيخ الحديث بظاهرية بين القصرين بالقاهرة قال: جاء إليه إنسان وقال له: رأيت قائلاً يقول لي: اشرب شراب الهكاري، فقال له: فؤادك يوجعك، قال: نعم، قال: اشرب العسل تبرأ، فسئل: من أين لك هذا؟ قال: سمعتهم يقولون: شراب الديناري ولم اسمع بالهكاري، فرجعت إلى الحروف فوجدته شراب الهك أري، والأري هو العسل وذكرت الحديث قوله عليه السلام: **«كذب بطن أخيك، اسقه العسل»** [1].

(١) الوافي بالوفيات: ٧/ ٤٨- ٥١.



أحمد بن زيدون

أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون، المخزومي الأندلسي القرطبي أبو الوليد.

أثنى عليه ابن بسام في «الذخيرة» وابن خاقان في «قلائد العقيان» وكان من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة، بَرَع أدبه وجاد شعره وعلا شأنه وانطلق لسانه ثم انتقل عن قرطبة إلى المعتضد بن عباد صاحب إشبيلية سنة إحدى وأربعين وأربع مائة فجعله من خواصه يجالسه في خلوته ويركن إلى إشارته، وكان معه في صورة وزير.

[٣٦٨] وكان أولاً قد انقطع إلى ابن جهور-أحد ملوك الطوائف المتغلبين بالأندلس- فخف عليه وتمكن منه واعتمد عليه في السفارة بينه وبين ملوك الأندلس، فأعجب به القوم وتمنوا ميله إليهم لبراعته وحسن سيرته، فاتفق أن نقم عليه ابن جَهْوَر فحبسه واستعطفه ابن زيدون بفنون النظم والنثر، من ذلك رسالته التي أولها: يا مولاي وسيدي الذي ودادي له، واعتمادي عليه، واعتدادي به، ومنها:

إن سلبتني-أعزك الله- لباس إنعامك، وعطلتني من حلي إيناسك، وأظمأتني إلى برد إسعافك، وغضضت عني طرف حمايتك، بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلي فيك، وأحس الجماد باستحمادي لك، وسمع الأصم ثنائي عليك، ولا غرو، فقد يغص بالماء شاربه، ويقتل الدواء المستشفي به، ويؤتى الحذر من مأمنه، وتكون منية المتمني في أمنيته، والحَيْن(١) قد يسبق جهد الحريص.

---

(١) أي الموت.

كل المصائب قد تمر على الفتى وتهون غير شماتة الحساد

إني لأتجلد وأُري الحاسدين أني لا أتضعضع، وأقول: هل أنا إلا يد أدماها سوارها!! وجبين عض به إكليله، ومشرفي ألصقه بالأرض صاقله، وسمهري عرضه على النار مثقفه، وعبد ذهب فيه سيده مذهب الذي يقول:

فقسا ليزجره ومن يك حازماً فليقس أحياناً على من يرحم

منها:

حنانيك، بلغ السيل الزبى، ونالني ما حسبي به وكفى، وما أراني إلا لو أمرت بالسجود لآدم فأبيت واستكبرت، وقال لي نوح: ﴿ٱرْكَب مَّعَنَا﴾[1]، فقلت: ﴿سَآوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾[2]، وأمرت ببناء الصرح لعلي أطلع إلى إله موسى، وعكفت على العجل، واعتديت في السبت، وتعاطيت فعقرت الناقة، وشربت من النهر الذي ابتلي به جنود طالوت، وقدمت الفيل لأبرهة، وعاهدت قريشاً على ما في الصحيفة، وتأولت في بيعة العقبة، ونفرت إلى العير ببدر، واعتزلت بثلث الناس يوم أحد، وتخلفت عن صلاة العصر في بني قريظة، وجئت بالإفك على عائشة، وأنفت من إمارة أسامة، وزعمت أن إمارة أبي بكر فلتة، ورويت رمحي من كتيبة خالد، ومزقت الأديم الذي بارك الله فيه، وضحيت بالأشمط الذي عنوان السجود به[3] وبذلت لقطام[4]:

---

(١) سورة هود: ٤٢.

(٢) سورة هود: ٤٣.

(٣) هو عثمان ﷺ.

(٤) الخارجية التي طلبت أن يكون مهرها قتل علي ﷺ.

ثلاثـــة آلاف وعبـــداً وقينـــة وضـربَ علـيٍ بالحسام المسمم

وكتبت إلى عمر بن سعد: أن جَعْجِعْ بالحسين، وتمثلت عندما بلغني من وقعة الحرة:

ليـت أشـياخي ببـدر شـهدوا جزع الخزرج مـن وقـع الأَسَلْ

ورجمت الكعبة، وصلبت العائذ بها على الثنية، لكان فيما جرى عليّ ما يحتمل أن يسمى نكالاً ويدعى -ولو على المجاز- عقاباً:

وحـسبك مـن حـادث بـامرئ تـرى حاسـديه لـه راحمينـا

هـذا جـزء منهـا وكلـها في غايـة الحسن مـن هـذا النمط، وختمهـا بقصيدة أولها:

الهـوى في طلـوع تلـك النجـوم والمنـى في هبـوب ذاك النـسيم

سَـرَّنا عيـشنا الرقيـق الحواشـي لـو يـدوم الـسرور للمـستديم

وقد أثبت هذه الرسالة بكمالها مـع القـصيدة ابـن ظـافر، في «نفـائس الذخيرة» وما أَجْدَتْ هذه الرسالة عليه شيئاً، فلما أعياه الخطب هرب من محبسه واتصل بابن عباد، وكتب إلى بعض أصدقائه رسالة يعتذر فيها مـن هروبه من السجن في غاية الحسن.

[٣٦٩] وله الرسالة التي كتبها علـى لـسان ولادة بنـت المـستكفي إلى الوزير أبي عامر ابن عبدوس، يتهكم به فيها، ووجد مكان القول ذا سعة، وتلعب فيها بأطراف الكلام وأجاد فيها ما شـاء، وكـل رسـائله مـشحونة بفنون الأدب ولمع التواريخ والأمثال من كلام العرب نثراً ونظمـاً، وأنـت ترى هذا السحر كيف يخدعك ويهز عطفـك، ولـيس فيـه سـجع تروجـه القوافي على النفوس ولكن هذه القدرة على البلاغة، قال بعـض الـوزراء

بإشبيلية: عهدي بأبي الوليد ابن زيدون قائماً على جنازة بعض حرمه والناس يعزونه -على اختلاف طبقاتهم- فما سمعته يجيب أحداً بما أجاب به غيره؛ لسعة ميدانه وحضور جنانه، وله مع ولادة بنت المستكفي أخبار.

ولم يزل عند عباد وابنه المعتمد قائم الجاه وافر الحرمة إلى أن توفي سنة ثلاث وستين وأربع مائة، وكانت وفاته بالبيرة وسيق إلى قرطبة ودفن بها، ومولده سنة أربع وخمسين وثلاث مائة.

وكان يخضب بالسواد.

وكان له ولد يقال له: أبو بكر تولى وزارة المعتمد وقتل يوم أخذ يوسف بن تاشفين قرطبة من ابن عباد.

[٣٧٠] ومن شعره -أعني أبا الوليد- النونية المشهورة التي أولها:

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا ... وآن من طيب دنيانا تلاقينا

واشتهرت إلى أن صارت محدودة[1] يقال: ما حفظها أحد إلا ومات غريباً.

وقال بعض الأدباء: من لبس البياض، وتختم بالعقيق، وقرأ لأبي عمرو، وتفقه للشافعي، وروى شعر ابن زيدون فقد استكمل الظرف، وكان يسمى بحتري الغرب؛ لحسن ديباجة نظمه وسهولة معانيه. وتمام القصيدة النونية لا بأس بذكره وهو:

من مبلغ الملبسينا بانتزاحهمُ ... ثوباً مع الدهر لا يبلى ويبلينا

إن الزمان الذي مازال يضحكنا ... أنساً بقربهمُ قد عاد يبكينا

---

(١) المحدودة أي المصروفة عن الخير، والمعنى مفسر بعد ذلك في السياق: وانظر ((لسان العرب)): ح د د.

بنتم وبنَّا فما ابتلت جوانحنا شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا
تكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضي علينا الأسى لولا تأسينا
حالت لفقدكمُ أيامنا فغدت سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا
إذ جانب العيش طلق من تألفنا ومورد اللهو صاف من تصافينا
وإذ هصرنا غصون الأنس دانية قطوفها فاجتنينا منه ما شينا
لِيُسْقَ عهدكمُ عهدُ السرور فما كنتم لأرواحنا إلا رياحينا
لا تحسبوا نأيكم عنَّا يغيرنا أن طالما غيَّرالنأْيُ المحبينا
والله ما طلبت أرواحنا بدلاً منكم ولا انصرفت عنا أمانينا
يا ساري البرق غاد القصر فاسق به من كان صرف الهوى والود يسقينا
ويا نسيم الصبا بلغ تحيتنا مَن لو على البعد حيّاً كان يحيينا[1]

أبو العلاء المعرِّي

أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري التنوخي، من أهل معرة النعمان المشهور صاحب التصانيف المشهورة.

[٣٧١] كان عجباً في الذكاء المفرط والحافظة، قال أبو سعد السمعاني في كتاب «النسب»:

(١) الوافي بالوفيات: ٧/ ٨٧-٩٢.

ذكر تلميذه أبو زكرياء التبريزي أنه كان قاعداً في مسجده بمعرة النعمان بين يدي أبي العلاء، يقرأ شيئاً من تصانيفه قال: وكنت قد أقمت عنده سنين ولم أر أحداً من أهل بلدي، فدخل المسجد مغافصة بعض جيراننا للصلاة فرأيته و عرفته فتغيرت من الفرح، فقال لي أبو العلاء: أيش أصابك؟ فحكيت له أني رأيت جاراً لي بعد أن لم ألق أحداً من أهل بلدي سنين.

فقال لي: قم فكلمه، فقلت: حتى أتمم السبق، فقال لي: قم أنا أنتظر لك، فقمت وكلمته بلسان الأذربية شيئاً كثيراً إلى أن سألت عن كل ما أردت، فلما رجعت وقعدت بين يديه قال لي: أي لسان هذا؟

قلت: هذا لسان أذربيجان، فقال لي: ما عرفت اللسان ولا فهمته غير أني حفظت ما قلتما، ثم أعاد علي اللفظ بعينه من غير أن ينقص منه أو يزيد عليه جميع ما قلت وقال جاري، فتعجبت غاية التعجب كيف حفظ ما لم يفهمه.

قلت: وهذا معجز فإنه بلغنا عن جماعة من الحفاظ وما يحكى عن البديع الهمذاني والأنباري وغير هؤلاء، وهو أمر قريب من الإمكان؛ لأن حفظ ما يفهمه الإنسان ويعرف تراكيبه أو مفرداته سهل، وأما أنه يحفظ ما لم يسمعه ولا يعلم له مفرداً ولا مركباً وهو أقل ما يكون أربعمائة سطر من سؤال غائب عن أهل بلده سنين وجوابه، وللناس حكايات يضعونها في عجائب ذكائه وهي مشهورة، أظنها مستحيلة، وكان اطلاعه على اللغة وشواهدها أمراً باهراً.

ولد سنة ثلاث وستين وثلاث مائة بالمعرة، وتوفي سنة تسع وأربعين وأربع مائة، وجدِّر من السنة الثالثة من عمره فعمي منه، وكان يقول: لا

أعرف من الألوان إلا الأحمر؛ لأني ألبست في الجدري ثوباً مصبوغاً بالعصفر لا أعقل غير ذلك.

قال الحافظ السِلَفي: أخبرني أبو محمد عبد الله بن الوليد بن غريب الأيادي أنه دخل مع عمه على أبي العلاء يزوره فرآه قاعداً على سجادة لبد وهو شيخٌ فانٍ فدعا لي ومسح على رأسي، قال: وكأني أنظر إليه الساعة وإلى عينيه: إحداهما نادرة والأخرى غائرة جداً وهو مجدر الوجه نحيف الجسم. انتهى.

[٣٧٢] وقال أبو منصور الثعالبي: وكان حدثني أبو الحسن الدلفي المصيصي الشاعر، وهو ممن لقيته قديماً وحديثاً في مدة ثلاثين سنة قال: لقيت بمعرة النعمان عجباً من العجب: رأيت أعمى شاعراً ظريفاً يلعب بالشطرنج والنرد، ويدخل في كل فن من الجد والهزل، يكنى أبا العلاء، وسمعته يقول: أنا أحمد الله على العمى كما يحمده غيري على البصر. انتهى.

وهو من بيت علم وفضل ورياسة، له جماعة من أقاربه قضاة وعلماء وشعراء مثل: سليمان بن أحمد بن سليمان جده قاضي المعرة، وولي القضاء بحمص، ووالده عبد الله بن سليمان كان شاعراً، وأخيه محمد بن عبد الله، وكان أسن من أبي العلاء، وله شعر، وأبي الهيثم أخي أبي العلاء وله شعر، وجاء من بعده جماعة من أهل بيته وُلُّوا القضاء وقالوا الشعر ورأسوا، وقال أبو العلاء الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة، أو اثنتي عشرة سنة.

[٣٧٣] ورحل إلى بغداد، ثم رجع إلى المعرة، وكان رحيله إليها سنة ثمان وتسعين وثلاث مائة، وأقام ببغداد سنة وسبعة أشهر، وقصد أبا

الحسن علي بن عيسى الربعي النحوي ليقرأ عليه، فلما دخل عليه قال له: ليصعد الاصطبل، فخرج مغضباً ولم يعد إليه، والاصطبل في لغة أهل الشام: الأعمى، كذا قال ياقوت، وقال: لعلها معربة.

ودخل على المرتضى أبي القاسم فعثر برجل فقال: من هذا الكلب؟ فقال أبو العلاء: الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً، وسمعه المرتضى وأدناه فاختبره فوجده عالماً مشبعاً بالفطنة والذكاء فأقبل عليه إقبالاً كثيراً.

[٣٧٤] وكان المعري يتعصب لأبي الطيب ويفضله على بشار وأبي نواس وأبي تمام، وكان المرتضى يبغضه ويتعصب عليه، فجرى يوماً ذكره فتنقصه المرتضى وجعل يتبع عيوبه، فقال المعري: لو لم يكن للمتنبي من الشعر إلا قوله:

لك يا مُنازِل في القلوب مَنازِل

لكفاه فضلاً، فغضب المرتضى وأمر به فسحب برجله وأخرج من مجلسه، وقال لمن بحضرته:أتدرون أي شيء أراد الأعمى بذكر هذه القصيدة، فإن لأبي الطيب ما هو أجود منها لم يذكرها؟ فقيل: النقيب السيد أعرف، فقال: أراد قوله في هذه القصيدة:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

ولما رجع المعري لزم بيته وسمى نفسه: رهين المحبسين، يعني حبس نفسه في المنزل وحبس بصره بالعمى.

[٣٧٥] وكان قد رحل أولاً إلى طرابلس وكانت بها خزائن كتب موقوفة، فأخذ منها ما أخذ من العلم، واجتاز باللاذقية، ونزل ديراً كان به

راهب له علم بأقاويل الفلاسفة، سمع كلامه فحصل له بذلك شكوك، والناس مختلفون في أمره، والأكثرون على إكفاره وإلحاده، أورد له الإمام فخر الدين في كتاب «الأربعين» قوله:

قلتم لنا صانع قديم ... قلنا صدقتم كذا نقول

ثم زعمتم بلا زمان ... ولا مكان ألا فقولوا

هذا كلام له خبيء ... معناه ليست لنا عقول

ثم قال الإمام فخر الدين: وقد هذى هذا في شعره.

[٣٧٦] وأما ياقوت فقال: وكان متهماً في دينه يرى رأي البراهمة، لا يرى إفساد الصورة، ولا يأكل لحماً ولا يؤمن بالرسل ولا البعث والنشور.

[٣٧٧] قال القاضي أبو يوسف عبد السلام القزويني: قال لي المعري: لم أهجُ أحداً قط، فقلت له: صدقت إلا الأنبياء-عليهم السلام- فتغير لونه أو قال وجهه.

[٣٧٨] ودخل عليه القاضي المنازي فذكر له ما يسمعه عن الناس من الطعن عليه ثم قال: ما لي وللناس وقد تركت دنياهم، فقال له القاضي: وأخراهم، فقال: يا قاضي: وأخراهم!! وجعل يكررها.

[٣٧٩] قال ابن الجوزي: وحُدثنا عن أبي زكريا أنه قال: قال لي المعري: ما الذي تعتقد؟ فقلت في نفسي: اليوم يبين لي اعتقاده، فقلت له: ما أنا إلا شاك، فقال: وهكذا شيخك.

[٣٨٠] وأما الشيخ شمس الدين[1] فحكم بزندقته في ترجمته له وطولها وذكر له فيها قبائح، وأظن الحافظ السلفي قال: إنه تاب وأناب، وأما الباخرزي فقال في حقه: ضرير ما له في أنواع الأدب ضريب، ومكفوف في قميص الفضل ملفوف، ومحجوب خصمه الألد محجوج، قد طال في ظلال الإسلام آناؤه، ولكن ربما رشح بالإلحاد إناؤه، وعندنا خبر بصره، والله العالم ببصيرته، والمطلع على سريرته، وإنما تحدثت الألسن بإساءته لكتابه الذي زعموا أنه عارض به القرآن وعنونه بـ «الفصول والغايات» محاذاة للسور والآيات، وأظهر من نفسه تلك الخيانة، حتى قال فيه القاضي أبوجعفر محمد بن إسحاق البحاثي الزوزني قصيدة أولها:

كلب عوى بمعرة النعمان ... لما خلا عن ربقة الإيمان

أمعرةَ النعمان ما أنجبتِ إذ ... أخرجتِ منك معرة العميان

[٣٨١] وأما ابن العديم فقال في المصنف المذكور الذي له في أمر المعري: قرأت بخط أبي اليسر شاكر بن عبد الله بن سليمان المعري أن المستنصر صاحب مصر بذل لأبي العلاء المعري ما ببيت المال بالمعرة من الحلال فلم يقبل منه شيئاً وقال:

لا أطلب الأرزاق والـ ... ـمولى يفيض علي رزقي

إن أُعط بعض القوت أعـ ... ـلم أن ذلك فوق حقي

[٣٨٢] قال: وقرأت بخط أبي اليسر المعري في ذكره: وكان يُرمى من أهل الحسد له بالتعطيل، ويعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الأشعار، يضمنونها أقاويل الملحدة قصداً لهلاكه وإيثاراً لإتلاف نفسه، فقال :

---

(١) أي الذهبي، الإمام، رحمه الله تعالى.

حـاول إهـواني قـوم فمـا واجهـتهم إلا بـإهوان

يحرشـوني بـسعاياتهم فغـيروا نيـة إخـواني

لـو اسـتطاعوا لوشـوا بـي إلى الـ ـمريخ في الـشهب وكيـوان

وقال أيضاً:

غَرِيَـت بـذمي أمـة وبحمـد خالقهـا غريـتُ

وعبـدت ربـي مـا استطعـ ـت ومـن بريَّتِـه بَريـت

وفَـرَتْني الجهـال حـا شـدة علـي ومـا فريـت

سـعروا علـي فلـم أحـس وعنـدهم أنـي هَوِيـتُ

وجميـع مـا فـاهوا بـه كـذب لعمـرك حنبريـت

انتهى.

[٣٨٣] قلت: الموضوع على لسانه فلعله لا يخفى على من له لب، وأما الأشياء التي دوّنها وقالها في «لزوم ما لا يلزم» وفي «استغفر واستغفري» فما فيه حيلة وهو كثير، فيه ما فيه من القول بالتعطيل والاستخفاف بالنبوات، ويحتمل أنه ارعوى وتاب بعد ذلك كله.

وحُكي لي عن الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني -رحمه الله- أنه قال في حقه: هو جوهرة جاءت إلى الوجود وذهبت، وسألت الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس فقلت له: ما كان رأي الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد في أبي العلاء؟ فقال: كان يقول: هو في حيرة، قلت: وهذا أحسن ما يقال في أمره؛ لأنه قال في داليته التي في «سقط الزند»:

خلـق النـاس للبقـاء فـضلَّت أمـة يحـسبونهم للنفـاد

إنمـــا ينقلـــون مـــن دار أعمـــا ل إلى دار شــــقوة أو رشـــاد

ثم قال في «لزوم ما لا يلزم»:

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحق لسكان البسيطة أن يبكـوا

تحطمنـــا الأيـــام حتـــى كأننـــا زجاج ولكن لا يعـاد لنـا سبك

وهـذه الأشـياء كـثيرة في كلامـه وهـو تنـاقض منـه: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾[1].

[٣٨٤] ومكث مدة خمس وأربعين سنة لا يأكل اللحم تـديناً، ولا مـا تولد من الحيوان رحمة للحيـوان وخوفـاً مـن إزهـاق النفـوس، قـال ابـن الجوزي: وكان يمكنه ألاَّ يذبح رحمة فأما ما ذبحه غيره فـأي رحمـة بقيـت؟ انتهى، ولقيه رجل فقال له: لم لا تأكل اللحم؟ فقال: أرحم الحيوان، قـال له: فما تقول في السباع التي لا طعام لها إلا لحوم الحيوان؟ فإن كان ذلـك خالق فما أنت بأرأف منـه، وإن كانـت الطبـاع المحدثـة لـذلك، فمـا أنـت بأحذق منها ولا أتقن، فسكت.

ولما مات رثاه علي بن همام، فقال من قصيدة طويلة:

إن كنـت لم تُـرِق الـدماء زهـادة فلقد أرقت اليوم مـن عـيني دمـا

سَـيَّرت ذكـرك في الـبلاد كأنـه مـسك فـسامعة يُـضمِّخ أو فمـا

وأرى الحجـــيج إذا أرادوا ليلـــة ذكراك أوجب فديـةً مـن أحرمـا

ولما وقف داعي الدعاة أبو نصر هبة الله بـن موسـى بـن أبـي عمـران بمصر على قوله:

---

(١) سورة الحج: ٧٦.

غـدوت مـريض العقـل والـرأي لتخـبر أنبـاء العقـول الـصحائح

فلا تأكلن مـا أخـرج المـاء ظالـماً ولا تبغ قوتاً من غريض الـذبائح

ولا تَفْجَعَـنّ الطـير وهـي غوافـل بما وضعت فـالظلم شـر القبـائح

ودع ضَرَبَ النحل الذي بكرت له كواسب من أزهار نبتٍ فوائح[1]

كتـب إليـه يقـول: أنـا ذلـك المـريض عقـلاً ورأيـاً، وقـد أتيتـك مستـشفياً فاشفني، وجرت بينهمـا مكاتبـات كـثيرة مـن أسئلة وأجوبـة، انقطـع الخطـاب بينهما على المـساكنة، وقـد سـردها ملخـصاً الغـرض منهـا يـاقوت في «معجـم الأدباء».

[٣٨٥] وقال أبـو غالـب ابـن مهـذب المعـري في «تاريخـه»: في سـنة سـبع عشرة وأربع مائة، صاحت امرأة في جامع المعرَّة، وذكـرت أن صـاحب المـاخور أراد أن يغتـصبها نفـسها، فنفـر كـل مـن في الجـامع وهـدموا المـاخور وأخـذوا خشبه ونهبوه، وكان أسد الدولة في نـواحي صـيدا فجـاء واعتقـل مـن أعيانهـا سبعين رجلاً، وذلك برأي وزيـره بـادرس بـن الحـسن الأسـتاذ وأوهمـه أن في ذلك إقامة الهيبة، قال: ولقد بلغني أنه دعـي لهـؤلاء المعـتقلين بآمـد وميافـارقين على المنابر وقطـع علـيهم بـادرس ألـف دينـار[2]، وخـرج الـشيخ أبـو العـلاء المعري إلى أسد الدولة صالح وهو بظاهر المعرة، فقال له: مولانا الـسيد الأجـل أسد الدولة ومقـدمها وناصـحها كالنهـار المـاتع اشـتد هجـيره وطـاب أبـرداه، وكالسيف القطاع لان صفحه وخشن حـدَّاه ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾[3] فقال صالح: قد وهبتهم لك أيها الشيخ، ولم يعلـم أبـو العـلاء

---

(١) ضرب النحل: عسل النحل.

(٢) أي غرامة.

(٣) سورة الأعراف: ١٩٩.

أن المال قد قطع عليهم، وإلا كان قد سأله فيه، ثم قال أبياتاً فيها:

بُعثْتُ شفيعاً إلى صالح ... وذاك من القوم رأيٌ فسد

فيسمع مني سجع الحمام ... وأسمع منه زئير الأسد

وكان أكله العدس، وحلاوته التين، ولباسه القطن، وفراشه اللباد، وحصيره بردية، وشعره كثير إلى الغاية وأحسنه «سقط الزند».

[٣٨٦] ومن نظم أبي العلاء المعري:

قد أورقت عمُدُ الخيام وأعشبت ... قُلَل الجبال ولون رأسي أغبرُ

ولقد سلوت عن الشباب كما سلا ... غيري ولكن للحزين تذكر

[٣٨٧] ومنه قصيدته التي أولها:

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل ... عفاف وإقدام وحزم ونائل

منها:

تعد ذنوبي عند قوم كثيرة ... ولا ذنب لي إلا العلى والفواضل

كأني إذا طُلت الزمان وأهله ... رجعت وعندي للأنام طوائل

وقد سار ذكري في البلاد فمن لهم ... بإخفاء شمسٍ ضوؤها متكامل

يَهُمُّ الليالي بعضُ ما أنا مضمر ... ويثقل رضوى بعض ما أنا حامل

وإني وإن كنت الأخير زمانه ... لآت بما لم تستطعه الأوائل

وإن كان في لبس الفتى شرف له ... فما السيف إلا غمده والحمائل

ولما رأيت الجهل في الناس فاشياً ... تجاهلت حتى ظُن أني جاهل

فوا عجباً كم يدعي الفضلَ ناقص ... ووا أسفاً كم يظهر النقص فاضل

وكيـف تنـام الطـير في وكناتهـا وقد نصبت للفرقدين الحبائـل[1]

إذا وصـف الطـائيَّ بالبخـل مـادرٌ وعـير قَـسّاً بالفهاهـة باقـل[2]

وقال السها للشمس: أنـت خفيـة وقال الدجى: يا صبح لونـك حائـل

وطاولت الأرض الـسماء سـفاهة وفاخرت الشُهْبَ الحصى والجنـادل

فيـا مـوت زر إن الحيـاة ذميمـة ويا نفس جِدِّي إن دهرك هـازل

[٣٨٨] ومنه قوله:

إلى الله أشـكو أنـني كـل ليلـة إذا نمت لم أعـدم خـواطر أوهـام

فـإن كـان شـراً فهـو لا بـد واقـع وإن كان خـيراً فهـو أضـغاث أحـلام

[٣٨٩] ومنه قوله:

اضرب وليـدك تأديبـاً علـى رشـد ولا تقـل هـو طفـل غـير محتلم

فُـربّ شَـقٍ بـرأسٍ جَـرّ منفعـة وقس على شق رأس الـسهم والقلم

[٣٩٠] قـال في «المـرآة» سـبط ابـن الجـوزي، قـال الغزالـي: حـدثني يوسف بن علي بأرض الهركار، قال:

دخلت معرة النعمان وقد وشـى وزيـر محمـود بـن صـالح -صـاحب حلب -إليه بأن المعري زنديق لا يرى إفساد الـصور، ويـزعم أن الرسـالة تحصل بصفاء العقل، فأمر محمود بحمله إليه من المعرة وبعث خمسين فارساً ليحملوه، فأنزلهم أبو العـلاء دار الـضيافة فـدخل عليـه عمـه مـسلم بـن

---

(١) الوكنات: الأعشاش، والفرقدان: الشمس والقمر، والحبائل: الأشراك.

(٢) مادر أحد البخلاء، وقس هو ابن ساعدة الإيادي البليغ المشهور، وباقل أحد الموصوفين بالعَيّ.

سليمان وقال: يا ابن أخي قد نزلت بنا هذه الحادثة، الملك محمود يطلبك، فإن منعناك عجزنا، وإن أسلمناك كان عاراً علينا عند ذوي الذمام، ويركب تنوخاً الذل والعار، فقال له: هون عليك يا عم، فلا بأس علينا فلي سلطان يذب عني، ثم قام واغتسل وصلى إلى نصف الليل، ثم قال لغلامه:

انظر إلى المريخ أين هو.

فقال: في منزلة كذا و كذا.

فقال: زنه واضرب تحته وتداً وشد في رجلي خيطاً واربطه إلى الوتد، ففعل غلامه ذلك فسمعناه وهو يقول:

يا قديم الأزل، يا علة العلل، يا صانع المخلوقات، وموجد الموجودات، أنا في عزك الذي لا يرام، وكنفك الذي لا يضام، الضيوف الضيوف، الوزير الوزير، ثم ذكر كلمات لا تفهم، وإذا بهدَّة عظيمة فسُئل عنها فقيل: وقعت الدار على الضيوف الذين كانوا بها فقتلت الخمسين، وعند طلوع الشمس وقعت بطاقة من حلب على جناح طائر، لا تزعجوا الشيخ فقد وقع الحِمام[1] على الوزير.

قال يوسف بن علي: فلما شاهدت ذلك دخلت على المعري فقال: من أين أنت؟ فقلت: من أرض الهركار، فقال: زعموا أني زنديق، ثم قال: اكتب، وأملى علي، وذكر أبياتاً من قصيدة ذكرتها أنا وأولها:

أستغفر الله في أمني وأوجالي ... من غفلتي وتوالي سوء أعمالي

قالوا هرمت ولم تطرق تهامة في ... مشاة وفد ولا ركبان أجمال

---

(١) أي الموت.

فقلـت إنـي ضـرير والـذين لهـم ... رأي رأوا غير فرض حجُ أمثـالي

ما حج جدي ولم يحج أبـي وأخـي ... ولا ابن عمي ولم يعرف منىً خالي

وحج عنهم قـضاء بعـدما ارتحلـوا ... قوم سيقضون عني بعـد ترحـالي

فـإن يفـوزوا بغفـران أفـز معهـم ... أو لا فـإني بنـار مثلـهم صـال

ولا أروم نعيمـاً لا يكـون لهـم ... فيه نصيب وهم رهطي وأشكالي[1]

فهـل أسـر إذا حُمّـت محاسـبتي ... أم يتقضى الحكم تعتابي وتـسآلي

من لـي برضـوانَ أدعـوه فيرحمـني ... ولا أنادي مـع الكفـار أمثـالي[2]

بـاتوا وحتفـي أمـانيهم مُـصَوِّرة ... وبـت لم يخطـروا مـني علـى بـال

وفوقـوا لـي سـهاماً مـن سـهامهم ... فأصـبحتْ وُقَّعـاً عـني بأميـال

فمـا ظنونـك إذ جنـدي ملائكـة ... وجنـدهم بـين طـواف وبقّـال

لقيتهم بعـصا موسـى الـتي منعـت ... فرعون مُلكـاً ونَجّـت آل إسـرال

أقـيم خمـسي وصـوم الـدهر آلفـه ... وأدمـن الـذكر أبكـاراً بآصـال

عيدين أفطـر في عـامي إذا حـضرا ... عيد الأضاحي يقفو عيـد شـوال

إذا تنافـست الجهـال في حلـل ... رأيتني من خسيس القطن سربالي

لا آكـل الحيـوان الـدهرَ مـأثرة ... أخاف من سوء أعمـالي وآمـالي

---

(١) أعوذ بالله من الضلال.

(٢) رواه القطفي :(التعريف :٥٩).

من لي برضوان أدعوه أرحمه ولا أنادي مع الكفار يا مالِ، وهو أشبه وأنسب لما جاء في رسالة الغفران، ومعنى : يامال : يا مالك وهو ترخيم لاسم مالك خازن النار.

وأعبـــد الله لا أرجـــو مثوبتـــه   لكـن تعبـد إكـرام وإجـلال[1]

أصـون ديـنيَ عـن جُعْـل أؤملـه   إذا تعبـــد أقـــوام بأجعـــال

[٣٩١] ومن شعره:

رددت إلى مليـك الخلـق أمـري   فلـم أسـأل متـى يقـع الكـسوف

وكـم سـلم الجهـول مـن المنايـا   وعوجـل بالحِمـام الفيلـسوف[2]

أخذه من قول المتنبي وهو أحسن:

يمـوت راعـي الـضأن في جهلـه   ميتـــةَ جـــالينوسَ في طبـــه

وربمـــا زاد علـــى عمـــره   وزاد في الأمـــن علـــى ســـربه

[٣٩٢] وقال المعري:

إذا مـــا ذكرنـــا آدمـــاً وفعالـــه   وتزويجـه لابنيـه بنتيـه في الخنـا

علمنا بأن الخلـق مـن نـسل فـاجر   وأن جميع الخلق من عنـصر الزنـا

فأجابه القاضي أبو محمد الحسن بن أبي عقامة من اليمن:

لعمـرك أمـا فيـك فـالقول صـادق   وتكذب في الباقين مَـن شَـطَّ أو دنـا

كـــذلك إقـــرار الفتـــى لازم لـــه   وفي غيره لغـو كـذا جـاء شـرعنا

[٣٩٣] ومن شعر المعري:

صـرف الزمـان مفـرق الإلفـين   فـاحكم إلهـي بـين ذاك وبـيني

أنهيـت عـن قتـل النفـوس تعمـداً   وبعثـت تقبـضها مـع الملكـين

---

(١) رجاء المثوبة هو طريقة الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾.

(٢) الحِمام: الموت.

وزعمـــت أن لهـــا معـــاداً ثانيـــاً ما كـان أغناها عـن الحـالين(١)

[٣٩٤] ومن شعر المعري أيضاً:

يد بخمس مئين من عَسْجد فُـدِيت ما بالها قطعـت في ربـع دينـار(٢)

تحكُّـم مـا لنـا إلا الـسكوت لـه وأن نعـوذ بمولانـا مـن النـار

قال ياقوت: لأن المعري حمار لا يفقه شيئاً، وإلا فالمراد بهـذا بـين، لـو كانت اليد لا تقطع إلا في سرقة خمسمائة دينار لكثر سرقة ما دونها طمعاً في النجاة، ولو كانت اليد تفدى بربع دينار لكثر من يقطعها ويـؤدي ربـع دينار دية عنها، نعوذ بالله من الضلال. انتهى.

قلت: وقال الشيخ علم الدين السخاوي يجيب المعري ردّاً عليه:

صيانة العرض أغلاهـا وأرخـصها صيانة المال فافهم حكمة الباري(٣)



شمس الدين الخابوري

أحمد بن عبد الله بن الـزبير الخـابوري الإمـام المقـرئ المجـود، شمـس الدين خطيب حلب ومقرئها.

كان إماماً ماهراً محرراً للقـراءات ووجوههـا وعللـها، مليـح الـشكل قوي الكتابة، صاحب نوادر وخلاعة وظرف، وله في ذلك حكايـات، قـرأ القراءات على السخاوي وغيره وسمع بحران، وبحلب وببغداد وبدمشق.

---

(١) أعوذ بالله، فهذا كفرٌ بَيِّن.

(٢) العسجد : الذهب.

(٣) الوافي بالوفيات: ٧/ ٩٤- ١١٠.

ومولده بالخابور سنة ست مائة، وأسند عنه القراءات والشاطبية الشيخ يحيى المنبجي ورواها عنه سنة أربع وستين وذلك قبل موته بدهر، سمع منه المِزِّي وابن الظاهري وولده أبو عمرو والبرزالي وابن شامة وغيرهم، توفي بحلب سنة تسعين وست مائة وصُلي عليه بدمشق.

[٣٩٥] ومن نوادره أنه كان له صاحب قطان يجلس على دكانه فاتفق أن جاءه إلى الدكان وماوجده فقعد ينتظره، وكان أيام حلج القطن لما يدور الفلاحون يحلجون القطن بالأجرة، فجاء إليه بعض الفلاحين وقال: يا سيدي عندك قوطين حتى أحلجَ -وأشبع الضمة في قطن على القاف إلى أن نشأت واوا- فقال له الخابوري: لا والله ما عندي إلا قوط واحد، وأنا الذي أحلجه.

[٣٩٦] وحكي عنه أنه كان أيام قراسنقر بحلب مستوفٍ على الأوقاف يهودي فضايق الفقهاء وأهل الأوقاف وشدد عليهم، فشكوه إلى قراسنقر وعزله، ثم إن اليهودي سعى وبرطل[1] ثم تولى وعاملهم أشد من المرة الأولى، فشكوه فعزله، ثم تولى فشكوه فعزله، ثم سعى وتولى فضاق الفقهاء وقالوا: ما لنا في الخلاص منه غير الخطيب شمس الدين، فجاءوا إليه فقال:

ما أصنع بهذا الكلب ابن الكلب؟

فقالوا: ما له غيرك.

فقال: يدبر الله، وأمر غلامه أن يأخذ سجادته ودواة وأقلاماً وورقاً ومصحفاً على كرسي وقال له: توجه بهذا إلى كنيس اليهود وافرش لي

(١) أي بذل مالاً رشوة.

السجادة، وكان ذلك بعد عصر الجمعة، فحضر الشيخ وجلس على السجادة وفتح المصحف من أوله وأخذ يقرأ فجاء اليهود ورأوه وما أمكنهم يقولون له شيئاً؛ لأنه خطيب البلد، وهو ذو وجاهة فضاق عليهم الوقت وأرادوا الدخول في السبت وانحصروا، فقالوا له: يا سيدي قد قرب أذان المغرب، ونريد نغلق الكنيسة فقال: أبيت فيها؛ لأني نذرت أن أنسخ هذا المصحف هنا، فضاقوا وضجوا وقالوا: يا سيدي والله ما نطيق هذا وغداً السبت، فقال: كذا اتفق ولابد من المقام هنا إلى أن يفرغ المصحف، فدخلوا عليه وقبلوا أقدامه وأقسموا عليه فقال: ولابد؟ قالوا: نعم، قال: التزموا لي بأن تحرموا هذا المستوفي حتى لا يعود يباشر الأوقاف، فألزموا الديان أن حرّم اليهودي واستراح المسلمون منه[1].



ابن ميكال الأمير

أحمد بن علي بن إسماعيل بن عبد الله بن ميكال الأمير، أبو نصر النيسابوري، العريض الجاه إنسان عين آل ميكال.

توفي سنة ست وأربع مائة.

[٣٩٧] وله شعر رائق من ذلك أبيات منها:

وإذا الكريم مضى وولى عمره ... كفل الثناء له بعمر ثان

(١) الوافي بالوفيات: ٧/ ١٢٤، ١٢٥.

[٣٩٨] كان بمكة سنة حج فيها الأستاذ أبو علي الدقاق[1]، فالتقى به وحضر عنده وشاوره في أن يقيم بمكة سنة مجاوراً، فقال له الأستاذ: إن احترام البيت يقل بطول المقام، ولأن تنصرف إلى أهلك وبيتك، وقلبك إلى الكعبة، خير من أن تلازم الكعبة وقلبك إلى أهلك وبيتك، كما تقول لأن تكون في السوق وقلبك في الصلاة خير من أن تكون في الصلاة وقلبك في السوق، فقال الأمير: يا أستاذ نحن حيثما كنا فالقلب معنا، فسكت الأستاذ، ووقع منه كلام الأمير بموقع[2].



ابن بَرْهان الشافعي

أحمد بن علي بن محمد بن برهان، الوكيل أبوالفتح الفقيه الشافعي.

تفقه في صباه على مذهب أحمد بن حنبل على ابن عقيل، ثم تمذهب للشافعي وقرأ على أبي بكر الشاشي والغزالي والكيا الطبري.

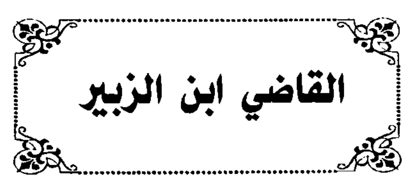
وكان ذكياً حاذق الذكاء حُفَظة، لا يسمع شيئاً إلا حفظه، ولم يزل يبالغ في الطلب والاشتغال، والحفظ والتنقيح والتحقيق وحل المشكلات واستخراج المعاني، حتى صار يضرب به المثل في تبحره في الأصول والفروع، وصار إماماً كبيراً من أئمة المسلمين، وولي التدريس بالنظامية وعزل ثم أعيد ثم عزل بعد يوم.

---

(١) صوفي مشهور.

(٢) الوافي بالوفيات: ٧/ ٢٠٣.

[٣٩٩] وكان الطلبة يقصدونه من البلدان إلى أن صار جميع نهاره وقطعة من الليل مستوعباً للأشغال وإلقاء الدروس، وطلب منه درس في «الإحياء» للغزالي فلم يكن له وقت إلى أن سألوه أن يكون الدرس نصف الليل فأجاب، سمع الحديث الكثير بنفسه وحدث باليسير، توفي سنة عشرين وخمس مائة، وله «الوجيز في أصول الفقه»(١).



القاضي ابن الزبير

أحمد بن علي بن إبراهيم بن الزبير الغساني الأسواني المصري، القاضي الرشيد أبو الحسين.

كان كاتباً شاعراً، فقيهاً، نحويّاً لغويّاً عروضياً، منطقياً مؤرخاً، مهندساً، طبيباً، موسيقاراً، منجماً، مفنناً، وهو من بيت كبير بالصعيد معروف بالمال، ولي النظر بثغر الإسكندرية بغير اختياره، وله تواليف التحق فيها بالأوائل المجيدين.

قتل ظلماً وعدواناً في محرم سنة اثنتين وستين وخمس مائة.

[٤٠٠] من شعره قوله:

سمحنا لدنيانا بما بخلت به   علينا ولم نحفل بجل أمورها

فيا ليتنا لما حُرِمنا سرورها   وقتنا أذى آفاتها وشرورها

[٤٠١] ومنه قوله:

---

(١) الوافي بالوفيات: ٧/ ٢٠٧، ٢٠٨.

ولمـــا نزلنـــا في ظـــلال بيـــوتهم أمنًا ونلنا الخصب في زمن مَحْلِ[1]

ولـــو لم يـــزد إحـــسانهم وجميلـــهم على الـبر مـن أهلـي حـسبتهمُ أهلـي

قلت: فيه زيادة ومبالغة على بيتي الحماسة المشهورين وهما:

نزلـــت علـــى آل المهلـــب شـــاتياً بعيداً عن الأوطان في زمـن محـل

فمـا زال بـي إحـسانهم وجميلـهم وبـرهمُ حتـى حـسبتهم أهلـي

[٤٠٢] ومنه قوله:

جَلّت لديّ الرزايا بل جَلَت هممي وهل يضر جِلاء الـصارم الـذَكَر[2]

غـيري يغـيره عـن حـسن شـيمته صرف الزمان وما يأتي من الغِيَر

لـو كانـت النـار للياقوت محرقـة لكـان يـشتبه اليـاقوت بـالحجر

لا تُغْـــرَرَنّ بأطمـــاري وقيمتهـــا فإنمـا هـي أصـداف علـى درر

ولا تظن خفـاء الـنجم مـن صـغر **فالذنب في ذاك محمول على البصر**

[٤٠٣] ومنه أيضاً قوله:

لئن خاب ظـني في رجائـك بعـدما ظننت بأني قـد ظفـرت بمنـصف

فإنـــك قـــد قلـــدتني كـــل منـــة ملكت بها شكري لدى كل موقف

لأنـك قـد حـذرتني كـل صـاحب وأعلمتني أن ليس في الأرض من يفي

[٤٠٤] وكان السبب في تقدمه في الدولة المصرية أنه دخل بعد مقتل الظافر إلى مصر وقد جلس الفائز وعليه أطمار رثة وطيلسان صوف

---

(١) أي جَدْب.

(٢) أي السيف.

أخضر، فحضر المأتم وقد حضر شعراء الدولة فأنشدوا مراثيهم على مراتبهم فقام في آخرهم وأنشد قصيدة أولها:

ما للرياض تميل سكراً هل سقيت بالمزن خمرا

إلى أن وصل إلى قوله:

أفكربلاء بالعرا ق وكربلاء بمصر أخرى

فذرفت العيون وعج القصر بالبكاء والعويل وانثالت عليه العطايا من كل جانب، من الأمراء والخطايا، وحمل الوزير إلى منزله جملة من المال، وقال: لولا المأتم لجاءتك الخِلع.

وكان على جلالته أسود الجلد جهم الوجه ذا شفة غليظة وأنف مبسوط سمج الخلق كخلقة الزنوج، قصيراً.

[٤٠٥] قال ياقوت في «معجم الأدباء» :حدثني الشريف محمد بن عبد العزيز الإدريسي، عن أبيه قال: كنت أنا والرشيد والفقيه سليمان الديلمي نجتمع بالقاهرة في منزل، فغاب عنا الرشيد يوماً، وكان ذلك في عنفوان شبابه: فجاءنا وقد مضى معظم النهار، فقلنا له: ما أبطأ بك عنا؟

فتبسم وقال: لا تسألوا عما جرى، فقلنا: لابد، وألححنا عليه، فقال: مررت اليوم بالموضع الفلاني، وإذا امرأة شابة صبيحة الوجه وضيئة المنظر حسانة الخلق ظريفة الشمائل، فلما رأتني نظرت إلي نظر مطمع لي في نفسها، فتوهمت أنني وقعت منها بموقع ونسيت نفسي، وأشارت إلي بطرفها فتبعتها وهي تدخل في سكة وتخرج من أخرى، حتى دخلت داراً وأشارت إليَّ فدخلت ورفعت النقاب عن وجه كالقمر في ليلة تمامه، ثم صفقت بيديها منادية: يا ست الدار، فنزلت إليها طفلة كأنها فلقة قمر، فقالت لها:

إن رجعت تبولين في الفراش تركت سيدنا القاضي يأكلك، ثم التفتت إلي وقالت: لا أعدمني الله فضل سيدنا القاضي أدام الله عزه، فخرجت وأنا خزيان خجل لا أهتدي الطريق.

قلت: ومن هنا نقل الصاحب بهاء الدين زهير تلك الحكايات التي كان يضعها على نفسه.

[٤٠٦] وفي القاضي الرشيد-رحمه الله تعالى- يقول محمود بن قادوس الشارع يهجو:

إن قلت من نار خلقـ ... ـتَ وفُقْتَ كل الناس فهما

قلنا صدقت فما الذي ... أطفاك حتى صرت فحما

[٤٠٧] وقال فيه أيضاً:

يا شبه لقمان بلا حكمة ... وخاسراً في العلم لا راسخا

سلخت أشعار الورى كلها ... فصرت تدعى الأسود السالخا

[٤٠٨] ولما اتصل بملوك مصر وتقدم أنفذوه رسولاً إلى اليمن، ثم قلد قضاءها ولقب بقاضي قضاة اليمن وداعي دعاة الزمن، ثم سمت نفسه إلى الخلافة فسعى فيها وأجابه قوم إلى ذلك وسلموا عليه بها وضربت له السكة على الوجه الواحد «قل هو الله أحد»، وعلى الآخر «الإمام الأمجد أبو الحسين أحمد» ثم قبض عليه ونفذ مكبلاً إلى قوص فدخلها وهو مغطى الوجه وهم ينادون عليه بين يديه: هذا عدو السلطان أحمد بن الزبير، وكان الأمير بها طرخان سليط اللسان، وكانت بينهما ذحول[1] قديمة فحبسه في المطبخ، وكان ابن الزبير قد تولى المطبخ قديماً، فقال الشريف الأخفش يخاطب ابن رزيك:

---

(١) أي ثارات.

تــولى علــى الــشيء أشــكاله فيــصبح هــذا لهــذا أخــا
أقــام علــى المطــبخ ابــن الزبيــ ر فــولى علــى المطــبخ المطبخــا

فقال بعض الحاضرين لطرخان: ينبغي أن تحسن إليه؛ لأن أخاه المهذب قريب من قلب الصالح وما يستبعد أن يستعطفه عليه فتقع في خجل، فلم يمض على ذلك غير ليلة أو ليلتين حتى ورد كتاب الصالح على طرخان يأمره بالإحسان إليه، فأحضره من محبسه مكرماً فجاء إليه وزاحمه في رتبته.

[٤٠٩] وأما سبب مقتله فلميله إلى أسد الدين شيركوه، لما قدم مصر ومكاتبته له فاتصل ذلك بشاور وزير العاضد، فطلبه فاختفى بالإسكندرية، واتفق التجاء صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى الإسكندرية ومحاصرتها، فخرج ابن الزبير متقلداً سيفاً وقاتل بين يديه وكان معه مدة مقامه، فتزايد وجد شاور وجَدَّ في طلبه فظفر به، فأمر بركوبه على جمل وعلى رأسه طرطور ووراءه جِلواز(١) ينال منه، وهو ينشد:

إن كــان عنــدك يــا زمــان بقيــة ممــا تهــين بــه الكــرام فهاتهــا

ثم يهمهم بتلاوة القرآن، ثم إنه بعد إشهاره بمصر والقاهرة أمر أن يصلب شنقاً، فلما وصل إلى مكان شنقه جعل يقول لمن تولى ذلك: عجل عجل فلا رغبة لكريم في حياة بعد هذه الحال، ثم صلب، وما مضى على ذلك إلا مديدة حتى قتل شاور وسُحِب، فاتفق أن حفر له ليدفن فوجد

---

(١) شرطي.

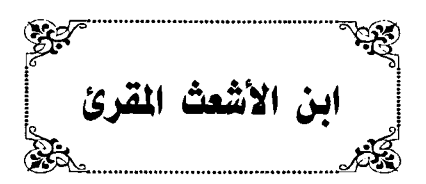
الرشيد بن الزبير مدفوناً فدفنا معا، ثم نقل كل واحد منهما إلى تربة بقرافة مصر والقاهرة.

ولما دخل اليمن رسولاً قال بعض شعراء اليمن يخاطب صاحب مصر وكان قد لقب علم المهتدين:

بعثت لنا علم المهتدين ولكنه علم أسود

يريد أن أعلامكم بيض والسود إنما هي لبني العباس.

[٤١٠] وزعم بعضهم أن عمارة اليمني سعى في أمره مع شاور سعياً عظيماً إلى أن صلب القاضي الرشيد-رحمه الله تعالى-، وقال له: هذا أبو الفتن ما برح يثير الكبائر ويجر الجرائر، يعني لميله إلى شيركوه، فإن كان ذلك صحيحاً فبحق ما صلب الفقيه عمارة اليمني، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى، فإن المجازاة من جنس العمل والمرء مقتول بما قتل به(١).



ابن الأشعث المقرئ

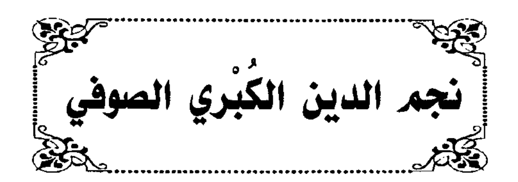
أحمد بن عمر بن الأشعث-ويقال ابن أبي الأشعث- أبو بكر المقرئ السمرقندي.

سكن دمشق مدة وقرأ بها على الحسن بن علي الأهوازي وسمع منه ومن الحسين بن محمد بن أحمد الحلبي، وأحمد بن عبد الرحمن التميمي وغيرهم.

(١) الوافي بالوفيات: ٧/ ٢٢٠- ٢٢٥.

[٤١١] وكان يكتب المصاحف وهو يُقرئ القرآن، قدم بغداد واستوطنها إلى أن مات سنة تسع و ثمانين وأربع مائة، كان يكتب مليحاً طريقة الكوفة، ويكتب المصاحف من خاطره، فإذا فرغ من الوجه كتب الوجه الآخر إلى أن يجف ثم يكتب الوجه الذي بينهما، فلا يكاد يزيد ولا ينقص، ويكتب في قطع كبير وصغير، وكان ينسخ ويقرئ جماعة بروايات مختلفة ويرد على المخطئ منهم، ويقرأ هو لنفسه، وكان له في ذلك كل عجيبة.

[٤١٢] قال محب الدين ابن النجار: أخبرنا أبو البركات الأمين بدمشق قال: أنا عمي أبو القاسم الحافظ، قال: سمعت الحسن بن قبيس يذكر أنه -يعني أبا بكر السمرقندي- خرج مع جماعة إلى ظاهر البلد في فرجة فقدموه يصلي بهم وكان مزاحاً، فلما سجد بهم تركهم في الصلاة وصعد في شجرة، فلما طال عليهم انتظاره رفعوا رؤوسهم فلم يجدوه في مصلاه وإذا به في الشجرة يصيح مثل السنانير، فسقط من أعينهم[(١)]، وخرج إلى بغداد وترك أولاده بدمشق[(٢)].



نجم الدين الكُبْري الصوفي

أحمد بن عمر بن محمد الزاهد الشيخ نجم الدين الكبري، أبو الجناب الخيوقي الصوفي شيخ خوارزم.

---

(١) إنا لله وإنا إليه راجعون!!.

(٢) الوافي بالوفيات: ٧/ ٢٥٨.

قال أبو العلاء الفرضي: إنما هو نجم الكبراء ثم خفف وغير، وخيوق: قرية من خوارزم.

طاف البلاد وسمع الحديث واستوطن خوارزم وصار شيخ تلك الناحية، ملجأ الغرباء عظيم الجاه لا يخاف في الله لومة لائم، سمع بالإسكندرية وبهمذان من الحافظ أبي العلاء، وقال ابن نقطة: هو شافعي المذهب إمام في السنة، وقال غيره: إنه فسر القرآن في اثنى عشر مجلداً.

[٤١٣] قال الشيخ شمس الدين(١): كان شيخنا عماد الدين الحزامي يعظمه، ولكن في الآخر رأى له كلاماً فيه شيء من لوازم الاتحاد، وهو- إن شاء الله تعالى- سالم من ذلك؛ فإنه محدث عارف بالسنة والتعبد كبير الشأن.

[٤١٤] ومن مناقبه أنه استشهد في سبيل الله -تعالى- لما قاتل التتار على باب خوارزم.

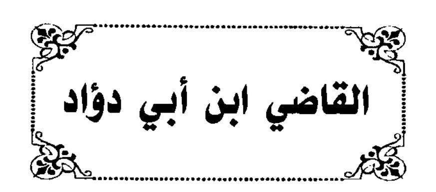
[٤١٥] واجتمع به الإمام فخر الدين الرازي وفقيه آخر وقد تناظرا في معرفة الله تعالى وتوحيده، فأطالا الجدال فسألا الشيخ نجم الدين عن علم المعرفة فقال: واردات ترد على النفوس تعجز النفوس عن ردها، فسأله الإمام فخر الدين: كيف الوصول إلى إدراك ذلك؟ قال: تترك ما أنت فيه من الرئاسة والحظوظ، أو كما قال، فقال: هذا ما أقدر عليه، وانصرف.

وأما رفيقه فإنه تزهد وتجرد وصحب الشيخ، ففتح الله عليه.

---

(١) أي الذهبي الإمام رحمه الله تعالى.

توفي الشيخ نجم الدين سنة ثماني عشرة وست مائة[1].



القاضي ابن أبي دؤاد

أحمد بن فرج بن جرير ينتهي إلى معد بن عدنان.

أصله من قرية بِقِنِّسْرين، وتجر أبوه إلى الشام وكان معه حدثاً، فنشأ في طلب العلم وخاصة الفقه والكلام، وصحب هياج بن العلاء السلمي وكان من أصحاب واصل بن عطاء، فصار إلى الاعتزال.

قال أبو العيناء: ما رأيت رئيساً قط أفصح ولا أنطق من ابن أبي دؤاد.

وولي القضاء للمعتصم والواثق، وكان داعية إلى القول بخلق القرآن وكان موصوفاً بالجود والسخاء وحسن الخلق وغزارة الأدب.

[٤١٦] قال الصولي: كان يقال: أكرم من كان في دولة بني العباس: البرامكة ثم ابن أبي دؤاد، ولولا ما وضع به نفسه من محبة المحنة لاجتمعت الألسن عليه ولم يضف إلى كرمه كرم أحد.

[٤١٧] وقال عون بن محمد الكندي: لعهدي بالكرخ وأن رجلاً لو قال ابن أبي دؤاد مسلم لقتل في مكانه، ثم وقع الحريق في الكرخ وهو الذي لم يكن مثله قط، كان الرجل يقوم في صينية في شارع الكرخ فيرى السفن في دجلة، فقال ابن أبي دؤاد للمعتصم:

---

(١) الوافي بالوفيات: ٧/ ٢٦٣، ٢٦٤.

يا أمير المؤمنين رعيتك في بلد آبائك ودار ملكهم نزل بهم هذا الأمر فاعطف عليهم بشيء تفرقه فيهم يمسك أرماقهم ويبنون به ما انهدم، فلم يزل ينازله حتى أطلق له خمسة آلاف ألف درهم، فقال: يا أمير المؤمنين، إن فرّقها غيري خفت أن لا يقسم بالسوية فقال: ذلك إليك، فقسمها على مقادير ما ذهب منهم وغرم من ماله جملة، فقال عون: لعهدي بعد ذلك بالكرخ لو قال: زرّ ابن أبي دؤاد وَسِخٌ لقتل.

[٤١٨] وقال أبو العيناء: كان الأفشين يحسد أبا دلف للعربية والشجاعة، فاحتال عليه حتى شهد عليه بخيانة وقتل فأخذه ببعض أسبابه وجلس له وأحضر السياف، وبلغ ابن أبي دؤاد الخبر، فركب في وقته مع من حضر من عدوله، فدخل على الأفشين وقد جيء بأبي دلف ليقتل فوقف ثم قال: إني رسول أمير المؤمنين إليك وقد أمرك أن لا تحدث في أبي دلف حدثاً حتى تسلمه إلي، ثم التفت إلى العدول وقال:

اشهدوا أني أديت رسالة أمير المؤمنين وأبو دلف حي معافى، فقالوا: شهدنا، فلم يقدر الأفشين عليه، وصار ابن أبي دؤاد إلى المعتصم من وقته وقال: يا أمير المؤمنين قد أديت عنك رسالة لم تقلها لي ما أعتد بعمل خير خيراً منها وإني لأرجو لك الجنة بها، ثم أخبره الخبر فصوب رأيه ووجه: أحضر أبا دلف، فأطلقه ووهب له، وعنف الأفشين فيما عزم عليه.

[٤١٩] وكان المعتصم قد اشتد غيظه على محمد بن الجهم البرمكي، فأمر بضرب عنقه، فلما رأى ابن أبي دؤاد ذلك وأن لا حيلة له فيه وقد شد برأسه وأقيم في النطع وهز له السيف، قال ابن أبي دؤاد:

وكيف تأخذ ماله إذا قتلته؟

قال: ومن يحول بيني وبينه؟

قال: يأبى الله ذاك ويأباه رسوله ويأباه عدل أمير المؤمنين، فإن المال للوارث إذا قتلته حتى تقيم البينة على ما فعله، وأمره في استخراج ما اختانه أقرب عليك وهو حي، فقال: احبسوه حتى يناظر فتأخر أمره على مال حمله وخلص محمد.

وله في ترجمته في «تاريخ ابن خلكان» وغيره عدة مناقب من هذا النوع.

وقال الحسين بن الضحاك الشاعر المشهور لبعض المتكلمين: ابن أبي دؤاد عندنا لا يعرف اللغة، وعند الفقهاء لا يحسن الفقه، وعندكم لا يعرف الكلام، وهو عند المعتصم يعرف هذا كله.

[٤٢٠] وقال إبراهيم بن الحسن: كنا عند المأمون فذكروا من بايع من الأنصار ليلة العقبة فاختلفوا في ذلك، ودخل ابن أبي دؤاد فعدهم واحداً واحداً بأسمائهم وكُناهم وأنسابهم، فقال المأمون: إن استجلس الناس فاضلاً فمثل أحمد، فقال ابن أبي دؤاد: إذا جالس العالم خليفة، فمثل أمير المؤمنين؛ الذي يفهم عنه ويكون أعلم منه بما يقوله.

[٤٢١] وكان الواثق قد أمر ألاَّ يرى أحد من الناس محمد بن عبد الملك الزيات الوزير إلا قام له، فكان ابن أبي دؤاد إذا رآه قام واستقبل القبلة فصلى، قال ابن الزيات:

صلى الضحى لما استفاد عداوتي ... وأراه ينسك بعدها ويصوم

لا تعدمنّ عداوة مسمومة ... تركتك تقعد تارة وتقوم

[٤٢٢] وهجا بعض الشعراء ابن الزيات بقصيدة عددها سبعون بيتاً فبلغ الخبر ابن أبي دؤاد فقال:

أحسن من سبعين بيتاً هجا جمعك معناهن في بيت

ما أحوج الناس إلى مطرة تغسل عنهم وضر الزيت

فبلغ الخبر ابن الزيات فقال: إن بعض أجداد القاضي كان يبيع القار، وقال:

يا ذا الذي يطمع في هجونا عرضت بي نفسك للموت

الزيت لا يزري بأحسابنا أحسابنا معروفة البيت

قيرتم الملك فلم يُنْقه حتى غسلنا القار بالزيت

وأصابه فالج بعد موت الوزير ابن الزيات بمائة يوم وأيام، وقيل بخمسين وقيل بسبعة وأربعين يوماً، وولي موضعه ولده أبو الوليد محمد.

[٤٢٣] ولما مات القاضي أحمد بن أبي دؤاد حضر ببابه جماعة وقالوا: يدفن من كان على ساقةِ الكرم وتاريخ الأدب ولا يتكلم فيه؟ إن هذا وهن وتقصير، فلما طلع سريره قام إليه ثلاثة منهم فقال أحدهم:

اليوم مات نظام الملك واللسن ومات من كان يُستَعدى على الزمن

وأظلمت سُبُل الآداب إذ حُجِبَت شمس المكارم في غيم من الكفن

وتقدم الثاني فقال:

ترك المنابر والسرير تواضعاً وله منابر لو يشا وسرير

ولغيره يُجبى الخراج وإنما تجبى إليه محامد وأجور

وتقدم الثالث فقال:

وليس فتيق المسك ريح حنوطه ولكنه ذاك الثناء المخلف

وليس صرير النعش ما تسمعونه ولكنه أصلاب قوم تَقَصَّفُ

[٤٢٤] وقال أبو العيناء: ما رأيت في الدنيا أقوم على أدب من ابن أبي دؤاد، ما خرجت من عنده يوماً قط فقال: يا غلام خذ بيد هذا، بل قال: يا غلام اخرج معه، فكنت أنتقد هذه الكلمة عليه فلا يخلّ بها ولا أسمعها من غيره.

وابن أبي دؤاد أول من فتح الكلام مع الخلفاء، وكان الناس لا يبدأونهم بالكلام إلا جواباً.

[٤٢٥] مدحه جماعة من الشعراء، فمن ذلك أبو تمام الطائي، ومن قوله فيه قصيدته التي منها:

لقد أَنْست مساوئَ كل دهر محاسن أحمد بن أبي دؤاد

متى تحلل به تحلل جناباً رضيعاً للسواري والغوادي

[٤٢٦] منها:

وما سافرت في الآفاق إلا ومن جدواك راحلتي وزادي

مقيم الظن عندك والأماني وإن قَلِقَتْ ركابي في البلاد

وله فيه غير ذلك، وللشعراء فيه مدائح عظيمة.

[٤٢٧] تصدى للإمام أحمد بن حنبل وقام في أمره وإلزامه بالقول بخلق القرآن، قال خالد بن خداش:

رأيت في المنام كأن آتياً أتاني بطبق فقال: اقرأه، فقرأت: بسم الله الرحمن الرحيم، ابن أبي دؤاد يريد أن يمتحن الناس فمن قال: القرآن كلام الله لبس خاتم ذهب فصّه ياقوتة حمراء وأدخله الله الجنة وغفر له،

ومن قال القرآن مخلوق جعلت عينه عين قرد، وعاش بعد ذلك يوماً أو يومين ثم يصير إلى النار، ورأيت قائلاً يقول: مسخ ابن أبي دؤاد ومسخ شعيب وأصاب ابن سماعة فالج، وأصاب آخر الذبحة ولم يسم.

قال الشيخ شمس الدين[1]: هذا منام صحيح الإسناد.

توفي ابن أبي دؤاد سنة أربعين ومائتين[2].

أبو الحسن العطار الوكيل

أحمد بن الحسن بن محمد العطار، أبو الحسن ابن أبي يعلى الوكيل.

[٤٢٨] قرأ القرآن وسمع الحديث، قرأ عليه القرآن جماعة، وكان عالماً بالوكالة والشروط، متبحراً في إبطال الحقوق وإثبات الباطل، وله في ذلك حكايات، كان إذا حمل إليه محضر كتب خطه فيه، ثم إذا حمل إليه بعد ذلك محضر آخر خلاف الأول، كتب خطه فيه أيضاً، فقيل له في ذلك فقال: ما تدرون أيش أكتب فيه، أنا أكتب فيه: ما ذكر صحيح وكتب فلان، ومقصودي نفي الصحة، وهم يظنون أنني أشهد بصحته.

[٤٢٩] وطلق رجل امرأته فتزوجت بزوج بعد يوم، فجاء الزوج إلى القاضي أبي عبد الله ابن البيضاوي وكان على القضاء بربع الكرخ وشرح له الحال، فأحضرها القاضي و أركبها حماراً وأمر أن يطاف بها في السوق، فجاءت إلى ابن المحسن الوكيل وأعطته مبلغاً من المال، فجاء إلى القاضي

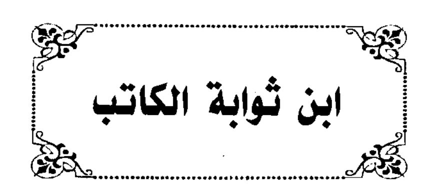
---

(١) أي الذهبي، الإمام.

(٢) الوافي بالوفيات: ٧/ ٢٨١- ٢٨٥.

وقال: يا سيدنا القاضي: الله الله لا يسمع الناس بهذا فيظنون أنك لا تعرف هذا، إن هذه المرأة كانت حاملاً فطلقها زوجها أمس ووضعت حملها البارحة ومات الصبي وتزوجت اليوم، ألا يجوز هذا؟ فسكت القاضي وتخلصت المرأة بقوله.

توفي سنة سبع وسبعين وأربع مائة[١].



ابن ثوابة الكاتب

أحمد بن محمد بن ثوابة بن خالد الكاتب، أبو العباس.

[٤٣٠] كان من جلة الكتاب وأعيانهم، له الرسائل الحسنة والنظم الجيد، طلب كاتباً يوقع بين يديه فجيء بفتى فكتب بين يديه، فقال: أرني ما كتبت، فأراه فقال: الوجه صبيح والخط مليح غير أنك تقصر الممدود وهو أقربها، وتمد المقصور وهو أبعدها، وتصل مقطوعاً وتقطع موصولاً، فالق ثعلبنا أو مُبَرِّدنا[٢] ليسكنا مَيْدك ويقيما أَوَدَك، وليكن منك عودة إلينا تجد ما ترغب إليه لدينا، فقال الفتى: أو غير هذا أعزك الله، قال: هاته إن كان لك صلاحاً ولنا رضى، قال: لا أعود إليك أبداً وقطع الله يدي إن كَتبتُ لك حرفاً، ووثب فخرج، فاستكتبه إبراهيم بن المدبِّر ووصله وقال: هذا لجوابك لابن ثوابة.

---

(١) الوافي بالوفيات: ٧/ ٣٠٤، ٣٠٥.

(٢) ثعلب والمبرد إماماان في اللغة مشهوران.

[٤٣١] قال أبو عبد الله ابن أبي عوف البزوري: دخلت على ابن ثوابة وكان محبوساً فقال لي: أتحفظ عني؟ قلت: نعم، فقال:

عواقب مكروه الأمور خيار وأيام شيء لا يدوم قصار

وليس بباق بؤسها ونعيمها إذا كَرّ ليل ثم كر نهار

[٤٣٢] ويقال إن جده يونس كان حجاماً يعرف بلبابة وقيل أمهم اسمها لبابة وأصلهم نصارى، وكان أبو العباس من الثقلاء البغضاء، وله كلام مدون مستهجن مستثقل، منه: عليَّ بماء ورد لأغسل فمي من كلام الحاجم، ومنه: لما رأى أمير المؤمنين الناس تدَرْأسُوا وتدَقْلموا وتدبْسقُوا وتَذوْزَروا تَدسْفَن.

[٤٣٣] قال رشيق الخادم: كنا في مجلس صاعد فسأل عن رجل فقال أبو الصقر: أُنفي، يريد نُفي، فقال ابن ثوابة: في الخراء، فسمعها فقال أبو الصقر: كيف نكلم من حقه أن يشد ويحد؟

فقال ابن ثوابة: وهذا أيضاً من جهلك، إن من يحد لا يشد ومن يشد لا يحد، ثم ضرب الدهر ضربانه فرأيت ابن ثوابة قد دخل إلى أبي الصقر بواسط فوقف بين يديه ثم قال:أيها الوزير: ﴿ قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾[1] فقال له أبو الصقر: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾[2] يا أبا العباس، ثم رفع مجلسه وقلده وضاعف وزاد في الدعاء له، فما زال والياً إلى أن مات في سنة ثلاث وسبعين ومائة.

---

(١) سورة يوسف:٩١.

(٢) سورة يوسف:٩٢.

قلت: قول ابن ثوابة: في الخراء-لما قال أبو الصقر- لا يصح التنديد فيه؛ لأن الأنف بفتح الهمزة وهو في كلام أبي الصقر بضم الهمزة؛ لأنه فعل مغير لما لم يسم فاعله من النفي.

[٤٣٤] قال الصولي: وكان أبو العيناء يعادي ابن ثوابة لمعاداة أبي الصقر فاجتمعا في مجلس بعقب ما اتفق لابن ثوابة مع أبي الصقر في مجلس صاعد فتلاحيا، فقال له ابن ثوابة:

أما تعرفني؟

فقال: بلى أعرفك، ضيق العطن، كثير الوسن، قليل الفطن، خاراً على الذقن، قد بلغني تعديك على أبي الصقر، وإنما حلم عنك لأنه لم ير عزّاً فيذله ولا علوّاً فيضعه ولا مجداً فيهدمه، فعاف لحمك أن يأكله وسهك دمك أن يسفكه، فقال له: اسكت فما تساب اثنان إلا غلب ألأمهما، قال أبو العيناء: لهذا غلبت بالأمس أبا الصقر، فأسكته.

[٤٣٥] ولأحمد بن علي المادرائي الكوكبي الأعور في ابن ثوابة أهاجٍ منها:

بني ثوابة أنتم أثقل الأمم جمعتمُ ثِقَلَ الأوزار والتُخَم

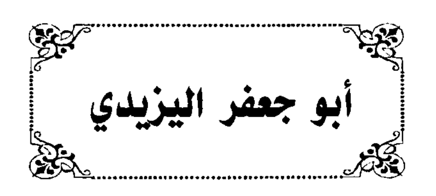
أُهاضُ حين أراكم في بشامتكم على القلوب وإن لم أُوتَ من بشم

كم قائل حين غاظته كتابتكم لو شئتَ يا رب ما علمتَ بالقلم

ولجماعة فيه أهاج كثيرة[1].

---

(١) الوافي بالوفيات: ٧/ ٣٦٨- ٣٧٠.



أبو جعفر اليزيدي

أحمد بن محمد بن أبي محمد يحيى اليزيدي، أبو جعفر النحوي.

كان جده من ندماء المأمون، وسمع أحمد جده يحيى وأبا زيد الأنصاري، وكان مقرئاً، روى عنه أخواه عبيد الله والفضيل ابنا محمد وابن أخيه محمد بن العباس.

مات سنة ستين ومائتين.

[٤٣٦] دخل يوماً على المأمون وهو بقارا يريد الغزو فأنشده يمدحه:

يا قصرُ ذا النخلات من بارا ... إني حننت إليك من قارا

أبصرت أشجاراً على نهر ... فذكرت أشجاراً وأنهارا

لله أيام نعمت بها ... في القُفْص أحياناً وفي بارا

إذ لا أزال أزور غانية ... ألهو بها وأزور خمارا

لا أستجيب لمن دعا لهدى ... وأجيب شطَّاراً وذعارا

أعصي النصيح وكل عاذلة ... وأطيع مزماراً وأوتارا

قال: فغضب المأمون وقال: أنا في وجه عدو أحض الناس على الغزو، وأنت تذكرهم نزههم ببغداد، قلت: الشيء بتمامه، ثم أنشدته:

فصحوت بالمأمون من سكري ... ورأيت خير الأمر ما اختارا

ورأيت طاعته مؤدية ... للفرض إعلاناً وإسرارا

فخلعت ثوب الهزل من عنقي ... ورضيت دار الخلد لي دارا

وظللــت معتــصماً بطاعتــه وجــواره وكفــى بــه جــارا
إن حــل أرضــاً فهــي لــي وطــن وأســير عنهــا حيثمــا ســارا

فقال يحيى بن أكثم: ما أحسن ما قال يا أمير المؤمنين، أخبر أنه كان في سكر وخسار فترك ذلك وارعوى وآثر طاعة خليفته وعلم أن الرشد فيها، فسكن وأمسك.

[٤٣٧] ولأبي جعفر هذا بيت جمع فيه حروف المعجم كلها وهو:

ولقــد شــجتني طَفْلَــةٌ بــرزت ضــحى كالشمس خثماء العظام بذي الغضا[١]

قلت: ألطف من هذا وأحسن قول ابن حمديس الصقلي:

مزرفن الصدغ يسطو لحظه عبثاً بالخلق جذلان إن أشك الهوى ضحكا
لا تعرضــن لــورد فــوق وجنتــه فإنمــا نَــصَبَتْه عينــه شــركا

المراد البيت الأول.

[٤٣٨] ولليزيدي:

إذا أظلــم الــشيب رأس الفتــى فثــار لــه وهــو غــض الــشباب
فأحــــسن حالاتــــه ســــتره لــــيترك أحبابــــه في ارتيــــاب
فــإن طــال عمــر فــترك الخــضاب أولى بــه لانقــضاء التــصابي[٢]

---

(١) الطَفْلة : الفتاة البيضاء.

(٢) الوافي بالوفيات: ٧/ ٣٨٨- ٣٩٠.



الوائلي

أحمد بن محمد بن شراعة بن ثعلبة الوائلي.

[٤٣٩] قال صاحب الأغاني: كان شاعراً جيد الشعر جزله كالبدوي في مذهبه، وكان جواداً لا يسأل ما يقدر عليه إلا يسمح به، وقف عليه سائل يوماً فرمى إليه بنعله وانصرف حافياً وعثر فدميت إصبعه فقال:

ألا لا أبالي في العلى ما لقيته ... وإن نقبت نعلاي أو حفيت رجلي

فلم تر عيني قط أحسن منظراً ... من الرجل تدمي في المواساة والبذل

ولست أبالي من تأوّبَ منزلي ... إذا بقيت عندي السراويل أو نعلي

[٤٤٠] وبلغه أن أخاه قال: إن أخي مجنون قد أفقرنا ونفسه فقال:

أإن كنت في الفتيان ألوث سيداً ... شديد شحوب اللون مختلف العصب

فما لك من مولاك إلا حفاظه ... وما المرء إلا باللسان أو القلب

سَما الأصغران الذائدان عن الفتى ... مكارهه والصاحبان على الخطب

فإلا أُطق سعي الكرام فإنني ... أفكُّ عن العاني وأصبر في الحرب

وله في هذا الأنموذج كثير.

[٤٤١] وقصد الحسن بن رجاء فصادف على بابه دِعْبِلاً وجماعة من الشعراء، وقد اعتل عليهم بدَيْن لزمه ومصادرة فكتب إليه:

المال والعقل شيء يستعان به ... على المقام بأبواب السلاطين

وأنت تعلم أني منهما عَطِل ... إذا تأملتني يا ابن الدهاقين

هل تعلم اليوم في الأهواز من رجل   سواك يصلح للدنيا وللدين

فوعده وعداً ثم تدافع، فكتب إليه:

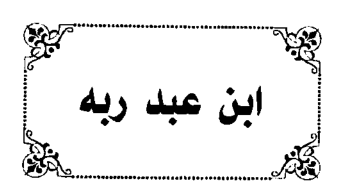
أذنت جنتي بأمر قبيح   من فراقي للطيلسان المليح

أنت روح الأهواز يا ابن رجاء   أي شيء يعيش إلا بروح

فأذن للجماعة وقضى حوائجهم.

[٤٤٢] وكان بينه وبين قوم من بني عمه وحشة فصالحوه ثم دعوه إلى وليمة فأنف من طعامهم وقال: أمثلي يخرج من ضرام إلى طعام، ومن شتيمة إلى وليمة، وما لي ولكم مثلاً إلا قول المتلمس:

فإن تقبلوا بالود نقبل بمثله   وإلا فإنا نحن آبى وأشمس[١]



ابن عبد ربه

أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم، مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية الأموي.

مولده سنة ست وأربعين ومائتين، وتوفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة عن إحدى وثمانين سنة وثمانية أشهر وثمانية أيام.

[٤٤٣] كنيته أبو عمر، قال الحميدي: من أهل العلم والأدب والشعر، وهو صاحب كتاب «العقد» في الأخبار، مقسم على عدة فنون، وسمى كل باب منه على نظم العقد كالواسطة والزبرجدة والياقوتة والزمردة وما أشبه ذلك.

---

(١) الوافي بالوفيات: ٧/ ٤٠٤، ٤٠٥.

وبلغني أن الصاحب بن عباد سمع بكتاب «العقد» فحرص حتى حصله، فلما تأمله قال: هذه بضاعتنا ردت إلينا، ظننت أن هذا الكتاب يشتمل على شيء من أخبار بلادهم، وإنما هو مشتمل على أخبار بلادنا لا حاجة لنا فيه فرده.

قال الحميدي:

وشعره كثير مجموع ورأيت منه نيفاً وعشرين جزءاً من جملة ما جمع للحكم بن عبد الرحمن الناصر الأموي، وبعضها بخطه، وكانت له بالعلم جلالة وبالأدب رئاسة وشُهِر مع ديانته وصيانته واتفقت له أيام ولايات للعلم فيها نَفَاقٌ، فَسادَ بعد الخمول وأثرى بعد فقر، إلا أنه غلب عليه الشعر، ويقال: إنه أول من نظم الموشحات بالمغرب.

[٤٤٤] وقسم كتاب العقد على خمسة وعشرين كتاباً كل منها جزءان فجاء خمسون جزءاً كل كتاب باسم جوهرة فأولها اللؤلؤة في السلطان، الفريدة في الحروب، الزبرجدة في الأجواد، الجمانة في الوفود، المرجانة في مخاطبة الملوك، الياقوتة في العلم والأدب، الجوهرة في الأمثال، الزمردة في المواعظ، الدرة في النوادب و المراثي، اليتيمة في الأنساب، العسجدة في كلام الأعراب، المجنبة في الأجوبة، الواسطة في الخطب، المجنبة الثانية في التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتبة، العسجدة الثانية في الخلفاء وأيامهم، اليتيمة الثانية في أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة، الدرة الثانية في أيام العرب ووقائعهم، الزمردة الثانية في فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه، الجوهرة الثانية في أعاريض الشعر وعلل القوافي، الياقوتة الثانية في علم الألحان واختلاف الناس فيه، المرجانة الثانية في النساء وصفاتهن، الجمانة الثانية في المتنبئين والممرورين والطفيليين،

الزبرجدة الثانية في النُّتَف والهدايا والتحف والفكاهات والملح، الفريدة الثانية في الهيئات واللباس والطعام والشراب، اللؤلؤة الثانية في طبائع الإنسان وسائر الحيوان وتفاضل البلدان.

[٤٤٥] وله أشعار سماها الممحصات؛ وذلك أنه نفض كل قطعة قالها في صباه وغزله بقطعة في المواعظ والزهد، ومن ذلك:

ألا إنما الدنيا غضارة أَيْكَةٍ ... إذا اخضر منها جانب جف جانب[1]

هي الدار ما الآمال إلا فجائع ... عليها ولا اللذات إلا مصائب

وكم سخنت بالأمس عين قريرة ... وقرت عيون دمعها الآن ساكب

فلا تكتحل عيناك منها بعبرة ... على ذاهب منها فإنك ذاهب

[٤٤٦] وقال في المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الأموي من أبيات:

بالمنذر بن محمد ... شرفت بلاد الأندلس

فالطير فيها ساكن ... والوحش فيها قد أنس

قال الوزير المغربي في كتاب «أدب الخواص»:

وشقت هذه القصيدة عند انتشارها على المعز أبي تميم معد[2]، وساءه ما تضمنته من الكذب والتمويه، إلى أن عارضها شاعره الإيادي التونسي بأبيات أولها:

رَبْعٌ لميّة قد درس ... واعتاض من نطقٍ خَرَسْ

---

(١) الأيكة: البستان كثير الشجر.

(٢) هو الخليفة العبيدي الفاطمي الضال المبتدع.

[٤٤٧] وقال وهو آخر ما قاله:

بليت وأبلتني الليالي بكَرّها ... وصَرْفان للأيام مُعْتَوِران

وما ليَ لا أبلى لسبعين حِجة ... وعشرٍ أتت من بعدها سنتان[١]

وأصابه الفالج قبل وفاته بأعوام.

[٤٤٨] وكان ابن عبد ربه صديقاً لأبي محمد يحيى القلفاط الشاعر، ثم فسد ما بينهما وتهاجيا، وكان السبب في ذلك أن ابن عبد ربه مر به يوماً وكان في مشيه اضطراب فقال: أبا عمر ما علمت أنك آدر[٢] إلا اليوم؛ لما رأيت مشيك.

فقال له ابن عبد ربه: كذبتك عرسك أبا محمد.

فعز على القلفاط كلامه وقال له: أتتعرض للحُرم؟ والله لأرينك كيف الهجاء، ثم صنع فيه قصيدة أولها:

يا عرس أحمد إني مزمع سفراً ... فودعيني سراً من أبي عمرا

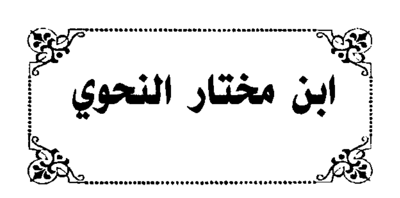
ثم تهاجيا بعد ذلك، وكان القلفاط يلقبه بطلاس؛ لأنه كان أطلس اللِّحية ويسمي كتاب «العقد» حبل الثوم[٣].

---

(١) كَرّ الليالي: تتابعها، ومعتوران: اعتوروا الشيء: تداولوه فيها بينهم، تعاونوا عليه. والصَرْفان: الليل والنهار، والمراد: تتابع الليل والنهار، وانظر ((لسان العرب)): ع و ر، ص ر ف.

(٢) أي كبير الخصية.

(٣) الوافي بالوفيات: ٨/ ١٠- ١٤.



ابن مختار النحوي

أحمد بن محمد بن جعفر بن مختار الواسطي، أبوعلي النحوي العدل ابن أخي أبي الفتح محمد بن محمد بن جعفر بن مختار النحوي.

مات بعد الخمسمائة.

وكان منزله مألفاً لأهل العلم، وكان من الشهود المعدلين.

[٤٤٩] وكان طحاناً، دخل في بعض الأوقات عسكر الأعاجم ونهبوا قطعة من واسط ونهبوا دكانه ونزلوا داره، قال الشريف عبدالوهاب بن أبي غالب عن الشريف أبي العلاء بن التقي: فدخلت معه إليهم نستعطفهم أن يردوا عليه بعض ما أخذوا له، فلم نر لذلك وجهاً فخرجنا وهو يقول:

تذكرت ما بين العذيب وبارق ... مجرَّ عوالينا ومجرى السوابق

ثم التفت إلي وقال: ما العامل في الظرف في هذا البيت؟ فقلت له: يا سيدي ما أشغلك ما أنت فيه عن النحو والنظر؟ فقال: يا بني ما يفيدني إذا حزنت؟.

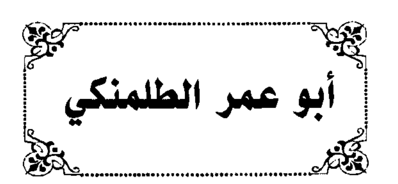
[٤٥٠] ومن شعره ما أنشده الحافظ السلفي:

كم جاهل متواضع ... ستر التواضع جهله

ومميز في علمه ... هدم التكبر فضله

فدع التكبر ما حييـ ... ـت ولا تصاحب أهله

فـــالكبر عيـــب للفتـــى   أبـــداً يقـــبح فعلـــه[1]



أبو عمر الطلمنكي

أحمد بن محمد بن عبد الله أبو عمر المعافري الأندلسي الطلمنكي المقرئ نزيل قرطبة.

صنف كتباً حساناً نافعة على مذاهب السنة ظهر فيها علمه، كان ذا عناية تامة بالأثر، قديم الطلب، عالي الإسناد، وكان سيفاً مجرداً على أهل الأهواء والبدع.

[٤٥١] قال ابن بشكوال: أخبرني أبو القاسم إسماعيل بن عيسى بن محمد بن بقي الحجاري، عن أبيه قال: خرج علينا أبو عمر الطلمنكي يوماً ونحن نقرأ عليه فقال: اقرأوا وأكثروا فإني لا أتجاوز هذا العام، فقلنا له: ولِمَ يرحمك الله؟ قال: رأيت البارحة في منامي من ينشدني:

اغتنمـــوا الـــبر بـــشيخ ثـــوى   ترحمـــه الـــسُوقَة والـــصِيد[2]

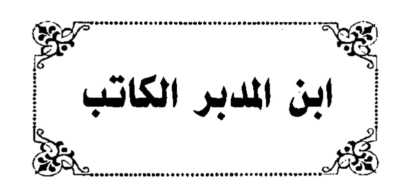
قـــد خـــتم العمـــر بعيـــد مـــضى   لـــيس لـــه مـــن بعـــده عيـــد

فتوفي في ذلك العام، في ذي الحجة سنة تسع وعشرين وأربعمائة[3].

(١) الوافي بالوفيات: ٨/ ١٤، ١٥.

(٢) أي العوام والسادة.

(٣) الوافي بالوفيات: ٨/ ٣٢، ٣٣.



ابن المدبر الكاتب

أحمد بن محمد بن عبيد الله المدبر الكاتب، أبو الحسن.

تقلد ديوان الخراج والضياع مجموعين للمتوكل إلى غير ذلك من الأعمال الجليلة، ثم تمالأ عليه الكتاب فأخرجوه إلى الشام والياً عليها فكسب بها مالاً عظيماً، ثم قتله أحمد بن طولون فيما قَبْل سبعين ومائتين تقريباً، وكان فاضلاً يصلح للقضاء، وللبحتري فيه مدائح، مات تحت العذاب.

[٤٥٢] وكتب إلى عبيد الله يستعطفه عند مطالبة وقعت عليه أيام المتوكل:

معاذي وجاري وجهك اليوم إنه ... هو الوجه من يطلب به النُجْحَ ينجح

وعدلك مبسوط وأمنك شامل ... وحلمك من ثَهْلان أوفى وأرجح[١]

ومالك مبذول وفعلك فاضل ... وزَندك يوري المكرمات ويقدح

وإن قلت لم تصعب عليك مقالة ... بحق كضوء الصبح بل هو أوضح

[٤٥٣] وقال المعتصم يوماً للفضل بن مروان، وقد أراد الخروج إلى القاطول: غلماني تحت السماء ما لهم شيء يكنهم، فابن لهم غداً أربعة آلاف بيت، فخرج مفكراً، فلقيه أحمد بن المدبر فسأله عن غمه فقال: إنما أمرك أن تشتري لهم أربعة آلاف لبادة ليستكنوا فيها فاشترى لهم ما وجد،

---

(١) ثهلان :اسم جبل.

وتقدم في عمل الباقي لمن بقي، فلما أصبح المعتصم ورآها على غلمانه قال للفضل: أحسنتَ، بهذا أمرتك.

[٤٥٤] وقيل: إن أحمد بن المدبر قال: حبست في حبس لابن طولون ضيق وكان فيه خلق وبعضنا على بعض، فحبس معنا أعرابي، فلم يجد مكاناً يقعد فيه فقال: يا قوم لقد خفت من كل شيء ألا أني ما خفت قط ألا يكون لي موضع من الأرض في الحبس أقعد فيه، ولا خطر ذلك ببالي، فاستعيذوا بالله من حالنا.

[٤٥٥] وقال يموت ابن المزرع : كان أحمد بن المدبر إذا مدحه شاعر لم يرض شعره، قال لغلامه: امض به إلى الجامع فلا تفارقه حتى يصلي مائة ركعة ثم خله، فتحاماه الشعراء إلا الأفراد المجيدون، فجاءه الجمل المصري واسمه: حسين فاستأذنه في النشيد فقال: قد عرفت الشرط؟ قال: نعم، قال: فهات إذاً، فأنشده:

أردنا في أبي حسن مديحاً ... كما بالمدح تنتجع الولاة
فقلنا أكرم الثقلين طراً ... ومن كفاه دجلة والفرات
فقالوا يقبل المدحات لكن ... جوائزه عليهن الصلاة
فقلت لهم وما يغني عيالي ... صلاتي إنما الشأن الزكاة
فيأمر لي بكسر الصاد منها ... فتضحى لي الصلاة هي الصِلات

فضحك وقال له: من أين لك هذا؟

قال: من قول أبي تمام الطائي:

هن الحَمامُ فإن كسرت عِيافَةً ... من حائهن فإنهن حِمامُ

فاستظرفه ووصله[1].



ابن مزدئن الزاهد

أحمد بن محمد بن علي بن مزدئن، أبو علي القومساني النهاوندي الزاهد.

سكن أنبط: قرية من همذان، روى وحدث.

[٤٥٦] قال شيرويه: سمعت أبا جعفر محمد بن الحسين الصوفي يقول: سمعت الأبهري يقول: سمعت أبا علي القومساني يقول:

رأيت رب العزة في المنام سنة إحدى وثمانين فناولني كوزين شبه القوارير فشربت منهما فانتبهت و أنا أتلو هذه الآية: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[2].

ورأيت مرة رب العزة في المنام في أيام القحط فقال لي: يا أبا علي لا تشغل خاطرك فإنك عيالي، وعيالك عيالي، وأضيافك عيالي.

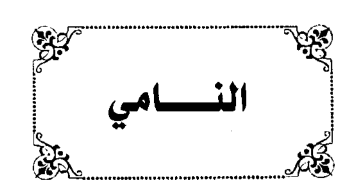
توفي سنة سبع وثمانين وثلاثمائة[3].

---

(١) الوافي بالوفيات: ٨/ ٣٨- ٤٠.

(٢) سورة الإنسان: ٢١.

(٣) الوافي بالوافيات: ٨/ ٦٤.



النامي

أحمد بن محمد بن هارون الدارمي المصيصي المعروف بالنامي، الشاعر المشهور.

كان من المفلقين من شعراء عصره وخواصِّ مدَّاح سيف الدولة، وكان عنده تلو أبي الطيب في المنزلة والرتبة، وكان فاضلاً أديباً بارعاً عارفاً باللغة والأدب، وله «أمالي» أملاها بحلب.

اختلف في وفاته فقيل: سنة سبعين وثلاثمائة أو إحدى وسبعين، وقيل: سنة سبع وسبعين وعمره تسعون سنة.

وله مع المتنبي وقائع ومعارضات في الأناشيد.

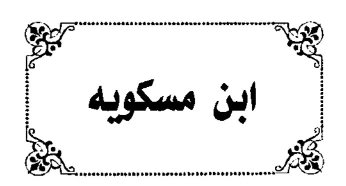
[٤٥٧] وقال أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الصقر الكاتب:

كان أبو العباس النامي بطيء الخاطر سديد القول، إذا أراد أن يعمل شعراً خلا خلوة طويلة أياماً وليالي، فإن نطقت في داره جارية أو غلام كاد يقتله وانقطع خاطره، وإذا أراد أن يعمل قصيدة جمع جميع ما للعرب والمحدثين من الشعر على وزن تلك القصيدة وجعله حوله ونظر فيه حتى يجتلب معانيه، وكانت ترتفع له القصيدة في سبعة أشهر أو أكثر، وتحدث الحادثة عند سيف الدولة من فتح أو هدية أو قصة أو عيد أو غير ذلك فيعمل الشعراء وينشدونه في الحال أو بعد يوم أو يومين، فإذا كان بعد ثلاثة أشهر أو أربعة أو سبعة أو أكثر بحسب ما ترتفع إليه.

جاء واستأذنه في الإنشاد فيكايده سيف الدولة ويقول له: في أي فتح وأي قصة؟ ولا يزال به ويريه أنه أنسي تلك الحال لبعدها توبيخاً إلى أن يكاد يبكي، فيقول: نعم هاتها الآن. وربما اغتاظ لطول العهد وخروج الزمان عن الحد فلا يأذن له أصلاً، قال:

وكنت قائماً بين يدي سيف الدولة وقد ولد له ولد قبل ذلك بسبعة أشهر فجاء النامي فاستأذنه في إنشاد تهنئة بالمولود، فقال له سيف الدولة: يا أبا العباس الصبي قد حان له أن نسلمه إلى الكتاب، فما زال يضرع إلى أن أذن له فأنشده.

قال: وقال لي النامي: كنت البارحة أعمل شعراً فصقع ديك[1] فانقطع خاطري[2].



ابن مسكويه

أحمد بن محمد بن يعقوب أبو علي الخازن، مات سنة إحدى وعشرين وأربعمائة.

قال أبو حيان في كتاب «الإمتاع» وقد ذكر طائفة من متكلمي زمانه ثم قال: وأما مسكويه ففقير بين أغنياء، وعيي بين أبيناء.

[٤٥٨] وقال الثعالبي: في الذروة العليا من الفضل والأدب والبلاغة والشعر، وكان في ريعان شبابه متصلاً بابن العميد مختصاً به، وفيه يقول:

---

(١) أي رفع صوته.

(٢) الوافي بالوفيات: ٨/ ٩٦- ٩٩.

لا يعجبنك حسن القصر تنزله　　فضيلة الشمس ليست في منازلها

لو زيدت الشمس في أبراجها مائة　　ما زاد ذلك شيئاً في فضائلها

ثم تنقلت به أحوال جليلة في خدمة بني بويه والاختصاص ببهاء الدولة، وعظم شأنه وارتفع مقداره فترفع عن خدمة الصاحب ولم ير نفسه دونه، ولم يخل من نوائب الدهر حتى قال ما هو متنازع بينه وبين نفر من الفضلاء:

من عذيري من حادثات الزمان　　وجفاء الإخوان والخلان

وكان مسكويه مجوسيّاً وأسلم وكان عارفاً بعلم الأوائل، ولابن مسكويه كتاب: «الفوز الأكبر» وكتاب: «الفوز الأصغر» وصنف في التاريخ كتاب: «تجارب الأمم» ابتدأه من بعد الطوفان إلى سنة تسع وستين وثلاثمائة.

وله كتاب: «أنس الفريد» وهو مجموع يتضمن أخباراً وأشعاراً مختارة وحكماً وأمثالاً غير مبوب، وكتاب: «المستوفي» أشعار مختارة، وكتاب: «السير» ذكر ما يسير به الرجل نفسه من أمور دنياه، مزجه بالأثر والآية والحكمة الشعر، وكان ابن العميد اتخذه خازناً لكتبه.

وللبديع الهمذاني إليه رسالة أجابها ابن مسكويه وذكرهما ياقوت في ترجمة ابن مسكويه في «معجم الأدباء».

[٤٥٩] ولابن مسكويه عهد وهذا نصه:

«هذا ما عاهد عليه أحمد بن محمد، وهو يومئذ آمن في سربه، معافى في جسمه، عنده قوت يومه، لا يدعوه إلى هذه المعاهدة ضرورة نفس ولا

بدن، ولا يريد بها مراءاة مخلوق ولا استجلاب منفعة ولا دفع مضرة، عاهد على:

أن يجاهد نفسه ويتفقد أمره فيعف ويشجع ويحكم، علامة عفته أن يقتصد في مآرب بدنه حتى لا يحمله الشره على ما يضر جسمه أو يهتك مروءته، وعلامة شجاعته أن يحارب دواعي نفسه الذميمة حتى لا تقهره شهوة قبيحة ولا غضب في غير موضعه، وعلامة حكمته أن يستبصر في اعتقاداته حتى لا يفوته بقدر طاقته شيء من العلوم والمعارف الصالحة، ليصلح أولاً نفسه ويهذبها ويحصل له من هذه المجاهدة ثمرتها التي هي العدالة، وعليه أن يتمسك بهذه التذكرة ويجتهد في القيام بها والعمل بموجبها، وهي خمسة عشر باباً:

إيثار الحق على الباطل في الاعتقاد، والصدق على الكذب في الأقوال، والخير على الشر في الأفعال، وكثرة الجهاد الدائم لأجل الحرب الدائم بين المرء ونفسه، والتمسك بالشريعة ولزوم وظائفها، وحفظ المواعيد حتى ينجزها، وأول ذلك ما بيني وبين الله جل وعز قلة الثقة بالناس بترك الاسترسال، محبة الجميل لأنه جميل لا لغير ذلك، الصمت في أوقات حركة النفس للكلام حتى يستشار فيه العقل، حفظ الحال التي تحصل في شيء حتى تصير ملكة ولا تفسد بالاسترسال، الإقدام على كل ما كان صواباً، الإشفاق على الزمان الذي هو العمر؛ ليستعمل في المهم دون غيره، ترك الخوف من الموت والفقر؛ لعمل ما ينبغي وترك التواني، ترك الاكتراث لأهل الشر والحسد؛ لئلا يشتغل بمقابلتهم وترك الانفعال لهم، وحسن احتمال الغنى والفقر والكرامة والهوان لجهة وجهه، ذكر المرض وقت الصحة والهم وقت السرور والرضى عند الغضب ليقل

الطغي والبغي، قوة الأمل وحسن الرجاء والثقة بالله -عز وجل- وصرف جميع البال إليه.

وهذا ابن مسكويه معدود في فلاسفة الإسلام(١).



أبو العباس العباسي الحويزي

أحمد بن محمد بن محمد أبو العباس العباسي، من أهل الحويزة من خوزستان.

[٤٦٠] قدم بغداد وتفقه بالنظامية، وكانت له معرفة بالأدب ونُقول، واختص بالديوان، ورتب ناظراً في الأعمال، وعلت منزلته، وظلم الناس وتعدى وارتكب العظائم، وكان مع ذلك عابداً قانتاً متهجداً كثير البكاء والخشوع والأوراد، وربما أتاه الأعوان فقالوا: إن فلاناً ضربناه ضرباً عظيماً ولم يحمل شيئاً وهو عاجز، فيبكي ويقول: يا سبحان الله قطعتم عليّ وردي، واصلوا عليه الضرب، ثم يعود إلى ورده، ولا يخون في مال الدولة حتى في الشيء اليسير.

[٤٦١] هجم عليه الحمام ثلاثة من الشراة(٢) فقطعوه بالسيوف.

وكان الحويزي من نهر يقال له نهر العباس فلذلك سمي العباسي.

---

(١) الوافي بالوفيات: ٨/ ١٠٩- ١١١.

(٢) أي من الخوارج.

وأعوذ بالله من هذا الظلم المموه بالعبادة، وذلك البغي المستور بالبكاء الكاذب.

[٤٦٢] ولما أخرج الحويزي ليدفن ضرب الناس تابوته بالآجر، ولو لم يكن الأستاذدار معه أحرق تابوته[١].



الوزير ابن الفرات

أحمد بن محمد بن موسى بن الفرات أبو العباس، أخو الوزير أبي الحسن علي، وهو الأكبر.

[٤٦٣] كان أكتب أهل زمانه، وأحسنهم حالاً في تنفيذ الأمور والأعمال وأعلمهم بالدنيا ومبلغ ارتفاعها حتى وقع الإجماع عليه، وكان أحسن الناس حفظاً لكل شيء من سائر العلوم والآداب، وكان قد وظف على نفسه درسه فيقوم من مجلسه كثيراً إلى بيت له فيه دفاتر العلوم فينظر فيها ويدرس، وكان أعلم الناس بالفقه على سائر المذاهب.

[٤٦٤] ولما قدم الوزير عبيد الله بن سليمان من الجبل أيام المعتضد صار إليه أبو العباس وأبو الحسن ابنا الفرات في عشي يوم فوجداه يميز أعمالاً وكتباً وبين يديه كانون عظيم يحرق فيه ما لا يحتاج إليه، فدفع إلى أبي العباس إضبارة ضخمة وقال: هذه يا أبا العباس رقائع وسعايات بك

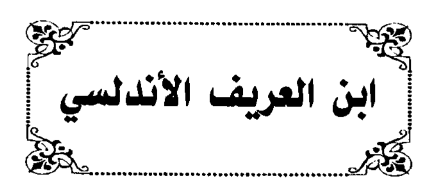
---

(١) الوافي بالوفيات: ٨/ ١٢٠- ١٢٢.
والأستاذ دار بضم الهمزة هو لقب مملوكي يطلق على القائم على الشؤون الخاصة للسلطان، والأستادارية وظيفة موضوعها التحدث في أمر بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب والحاشية والغلمان، وله حديث مطلق وتصرف تام في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من النفقات والكسوة، وما يجري مجرى ذلك، ودار بالفارسية تعني صاحب أو مسؤول. ((معجم الألفاظ التاريخية)) لدهمان: ١٥.

وبأخيك؛ من أسبابكما وثقاتكما وصنائعكما، وردت عليَّ بالجبل فخبأتها لك لتعرف بها من يبتغي أن تحترس منه، وتقابل كل أحد بما يستحقه، فأكثر أبو العباس في شكره والدعاء له، وبدأ أبو الحسن فقرأ شيئاً من الإضبارة، فانتهره أبو العباس وقال:

لا تقرأ شيئاً منها وأخذها فطرحها في الكانون، وقال: ما كنت لأقابل نعمة الله علي بما وهبه لي من تفضل الوزير بما يوجب الإساءة إلى أحد، ولا حاجة بي إلى قراءة ما يوحشني من أسبابي ويجر عليهم إساءة مني، فلما نهضنا قال عبيد الله بن سليمان: أردت التفرد بمكرمة فسبقني أبو العباس إليها وزاد فيها.

توفي سنة إحدى وتسعين ومائتين(١).



ابن العريف الأندلسي

أحمد بن محمد بن موسى الصنهاجي الأندلسي المربي المعروف بابن العريف.

كان من كبار العلماء الصالحين والأولياء المتورعين، وله المناقب المشهورة وله كتاب «المجالس» وغيره من الكتب المتعلقة بطريق القوم(٢)، وبينه وبين القاضي عياض بن موسى مكاتبات، وكان عنده مشاركة في أشياء من العلوم وعناية بالقراءات وجمع للروايات واهتمام بطرقها وحملها، وكان العباد والزهاد يألفونه ويحمدون صحبته.

---

(١) الوافي بالوفيات:٨/ ١٣١- ١٣٣.

(٢) أي الصوفية.

[٤٦٥] قال ابن خَلِّكان: حكي بعض المشايخ الفضلاء أنه رأى بخطه فصلاً في حق أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري الأندلسي فقال له: كان لسان ابن حزم المذكور وسيف الحجاج ابن يوسف شقيقين؛ وإنما قال ذلك لأن ابن حزم كثير الوقوع في الأئمة المتقدمين والمتأخرين لم يكد يسلم منه أحد.

[٤٦٦] وسُعي بابن العريف إلى صاحب مراكش فأحضره إليها فمات فاحتفل الناس بجنازته، وظهرت له كرامات، وندم عليٌّ بن يوسف بن تاشفين -صاحب مراكش- على استدعائه.

وتوفي سنة ست وثلاثين وخمسمائة بمراكش، رحمه الله تعالى.

[٤٦٦] ومن شعره:

شَدوا المطيَّ وقد نالوا المنى بمنى	وكلهم بأليم الشوق قد باحا
سارت ركائبهم تندى روائحها	طيباً بما طاب ذاك الوفد أشباحا
نسيم قبر النبي المصطفى لهم	رَوْحٌ إذا شربوا من ذكره راحا
يا واصلين إلى المختار من مضر	زرتم جسوماً وزرنا نحن أرواحا
إنا أقمنا على عذر وعن قدر	ومن أقام على عذر كمن راحا

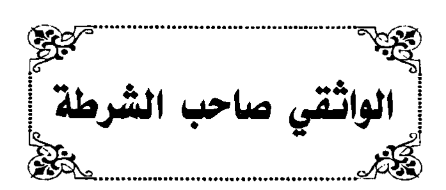
[٤٦٧] ولابن العريف أيضاً إيراد ابن الأبار:

إذا نزلت بساحتك الرزايا	فلا تجزع لها جزع الصبي
فإن لكل نازلة عزاء	بما قد كان من فقد النبي

[٤٦٨] وأورد له أيضاً:

إن لم أمت شوقاً إليك فإنني	سأموت شوقاً أو أموت مَشُوقا

ألبستني ثوب الضنى فعشقته من ذا رأى قبلي ضنى معشوقا
لا قَرّ قلبي في مقر جوانحي إن لم يطر قلبي إليك خفوقا
وبرئت من عيني إذا هي لم تَدَع للدمع في مجرى الدموع طريقا
بحلاوة الإخلاص جُد لي بالرضى إني رأيتك بالعباد رفيقا(١)



الواثقي صاحب الشرطة

أحمد بن محمد بن يحيى أبو الحسن الواثقي، صاحب الشرطة ببغداد أيام المكتفي بالله.

[٤٦٩] عمل اللصوص في أيامه عملة عظيمة، فاجتمع التجار له وتظلموا إلى المكتفي فألزمه بإحضار اللصوص أو غرامة المال، فقامت قيامته، وكان يركب بنفسه ويختفي ويطوف أنصاف النهار وأنصاف الليل مع نفر من رجاله، فاجتاز يوماً في زقاق خال في بعض أطراف بغداد فدخله فرأى على بعض أبواب الدور شوك سمكة كبيرة تقدير السمكة أن يكون فيها مائة وعشرون رطلاً، فقال لمن بين يديه:

ألا ترون إلى هذه السمكة كم يكون ثمن هذه؟

فقالوا: دينار، فقال: أهل هذا الزقاق ما حالهم حال من يأكل السمكة بدينار؛ لأنه زقاق قريب من الصحراء لا ينزله من معه شيء، وهذه بلية

(١) الوافي بالوفيات: ٨/ ١٣٣، ١٣٤.

يجب كشفها، فاستبعدوا القضية، فقال: اطلبوا لي امرأة من الدرب، فاستسقي له ماء من غير ذلك الباب، فلم يزالوا يطلبون منها شربة بعد شربة، والوالي يسأل ويفحص عن دار دار وهي تخبره إلى أن قال لها: فهذه الدار من يسكنها؟

فقالت: لا والله ما أدري غير أن فيها خمسة شباب أغمار كأنهم تجار نزلوا ههنا منذ شهر لا نراهم يخرجون نهاراً إلا في كل مدة طويلة، وهم مجتمعون يأكلون ويشربون ويلعبون الشطرنج والنرد ولهم صبي يلعب معهم ويخدمهم، وإذا كان الليل انصرفوا إلى دار لهم في الكرخ، على ما نسمعهم يقولون، ولا يبيتون عندنا ويدعون الصبي في الدار يحفظها، فإذا كانوا سُحَيْراً[1] جاءوا ونحن نائمون، فقال الوالي: توكلوا بحوالي الدار ودعوني على بابها، وأنفذ في الحال يستدعي برجال ورقّاهم إلى سطوح الجيران ودق هو الباب فخرج الصبي ودخل الرجال الدار فما فاتهم من القوم أحد وحملهم إلى مجلس الشرطة وقررهم فوجدهم أصحاب الجناية، فارتجع منهم أكثر ما كانوا أخذوه ودلوه على بقية أصحابهم فتتبعهم.

توفي الواثقي سنة أربع وتسعين ومائتين[2].

---

(١) تصغير سحر.

(٢) الوافي بالوفيات: ٨/ ١٣٥، ١٣٦.



أبو الريحان البيروني

أحمد بن محمد، أبو الريحان البيروني الخوارزمي.

قال ياقوت: بيرون معناه بالفارسية: بَرًّا، وسألت بعض الفضلاء عن ذلك فزعم أن مقامه بخوارزم كان قليلاً وأهل خوارزم يسمون الغريب بهذا الاسم، كأنه لما طالت غربته صار غريباً، وما أظنه أنه يراد به إلا أنه يراد به أنه من أهل الرستاق يعني: أنه من برا البلد، وقال غيره: بيرون من بلاد الهند. انتهى(١).

توفي أبو الريحان في عشر الثلاثين والأربعمائة.

[٤٧٠] عاصر ابن سيناء وبينهما أسولة وجوابات، ولما صنف كتاب: «القانون المسعودي» أجازه السلطان بحمل فيلٍ من نقده الفضِّي فرده إلى الخزانة بعذر الاستغناء عنه.

وكان مكبّاً على تحصيل العلوم، لا يكاد يفارق القلم يده ولا عينه النظر في الكتب وقلبه الفكر إلا في يومي النوروز والمهرجان.

[٤٧١] حدَّث القاضي كثير بن يعقوب النحوي البغدادي عن الفقيه أبي الحسن علي بن عيسى الولواجي قال: دخلت على أبي الريحان وهو يجود بنفسه وقد حشرج نفسه وضاق به صدره، فقال لي في تلك الحال:

---

(١) في حاشية المخطوطة، بخط مغاير كتب ما يلي: ((بيرون مدينة في السند، وهي طيبة فيها غرائب وعجائب، وكان أبو الريحان قصيراً أسمر اللون كث اللحية كبير البطن، وكان من أجلاء المهندسين سافر في طلب العلم في بلاد الهند أربعين سنة)).

كيف قلت لي يوماً في حساب الجَدّات الفاسدة؟

فقلت له إشفاقاً عليه: أفي هذه الحالة؟

قال: يا هذا، أودِّع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة ألا يكون خيراً من أن أخليها وأنا جاهل بها؟ فأعدت ذلك عليه وحفظ وعلمني ما وعد، وخرجت من عنده، وأنا في الطريق فسمعت الصراخ عليه.

[٤٧٢] وبلغ من حظوته عند الملوك أن شمس المعالي قابوساً أراد أن يستخلصه لنفسه على أن تكون له الإمرة المطاعة في جميع ما يحويه ملكه ويشتمل عليه ملكه فأبى ولم يطاوعه، ولما سمح للملوك الخوارزمشاهية بذلك أنزله في داره معه ودخل خوارزمشاه يوماً وهو يشرب على ظهر الدابة فأمر باستدعائه من الحجرة فأبطأ قليلاً فتصور الأمر على غير صورته وثنى العنان نحوه ورام النزول، فسبقه أبو الريحان إلى البروز، وناشده الله ألاَّ يفعل فتمثل خوارزمشاه:

العلم من أشرف الولايات يأتيه كل الورى ولا يأتي

ثم قال: لولا الرسوم الدنيوية لما استدعيتك فالعلم يعلو ولا يعلى.

[٤٧٣] وكان لما توجه السلطان محمود إلى غزنة واستولى على خوارزم قبض عليه وعلى أستاذه عبد الصمد الحكيم، واتهمه بالقرمطة والكفر وأذاقه الحِمام[1] وهمَّ أن يلحق به أبا الريحان فقيل له: إن هذا إمام وقته في علم النجوم والملوك لا يستغنون عن مثله، فأخذه معه و دخل به بلاد الهند وأقام بينهم وتعلم لغتهم واقتبس علومهم، وأقام بغزنة حتى مات بها عن سن عالية.

---

(١) أي الموت.

وكان حسن المحاضرة طيب العشرة خليعاً في ألفاظه عفيفاً في أفعاله لم يأت الزمان بمثله علماً وفهماً.

[٤٧٤] وأورد له ياقوت في «معجم الأدباء» قوله:

ومن حام حول المجد غير مجاهد ... ثوى طاعماً للمكرمات وكاسيا

وبات قرير العين في ظل راحة ... ولكنه عن حلة المجد علريا

قلت: يريد قول الحطيئة يهجو:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

[٤٧٥] وأورد له أيضاً:

فلا يغررك مني لين مَسِّي ... تراه في دروسي واقتباسي

فإني أسرع الثقلين طُرّاً ... إلى خوض الردى في وقت باس

[٤٧٦] وأورد له أيضاً:

تنغص بالتباعد طيب عيشي ... فلا شيء أمر من الفراق

كتابك إذ هو الفَرَجُ المُرَجّى ... أَطَبُّ لما أَلَمّ من الفراق[1]

[٤٧٧] وأورد له يمدح أبا الفتح البستي:

مضى أكثر الأيام في ظل نعمة ... على رتب فيها علوت كراسيا

فآل عراق قد غذوني بدرِّهم ... ومنصور منهم قد تولى غراسيا

وأولاد مأمون وفيهم عَلِيُّهم ... تبدّى بصنع صار للحال آسيا

وآخرهم مأمون رفه حالتي ... ونوه باسمي ثم رأّس راسيا

---

(١) أي كتابك معالج لألم الفراق.

ولم ينقبض محمود عني بنعمة ... فأقنى وأغنى مغضياً عن مِكاسيا

عفا عن جهالاتي وأبدى تكرماً ... وطرَّى بجاهٍ رونقي ولباسيا

عفاءٌ على دنياي بعد فراقهم ... وواحزني إن لم أزر قبر آسيا

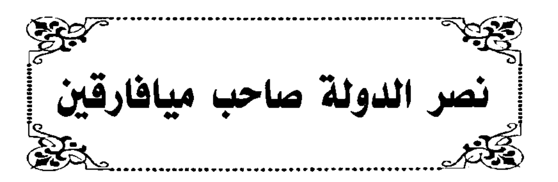
ولما مضوا واعتضْتُ منهم عصابةً ... دعوا بالتناسي فاغتنمت التناسيا

وخُلِّفت في غَزْنين لحماً كمضغة ... على وَضَم للطير للعلم ناسيا

فأبدلت أقواماً وليسوا كمثلهم ... معاذ إلهي أن يكونوا سواسيا

وهي طويلة.

[٤٧٨] قلت: شعر جيد، ويا عجباً كل العجب من نظم مثل هذا الرجل هذا النظم!!؛ إذ ليس هذا فنه ولا عرف به، ذلك فضل الله[(١)].



نصر الدولة صاحب ميافارقين

أحمد بن مروان بن دوستك الكردي الحميدي نصر الدولة، صاحب ميافارقين وديار بكر.

ملك البلاد بعد قتل أخيه أبي سعيد منصور في قلعة الهتاخ، قيل إنه الذي قتل أخاه.

[٤٧٩] وكان رجلاً مسعوداً، عالي الهمة، حسن السياسة كثير الحزم، قضى من اللذات وبلغ من السعادة ما يقصر عنه الوصف، ونقل ابن

(١) الوافي بالوفيات: ٨/ ١٣٨- ١٤٢.

الأزرق في «تاريخه» أنه لم يصادر أحداً في أيامه غير شخص واحد وقص قصة لا حاجة إليها، وأنه لم تفته صلاة الصبح مع انهماكه في اللذات، وكان له ثلاثمائة وستون جارية يخلو كل ليلة من السنة مع واحدة منهن ولا تعود النوبة إليها إلا بعد سنة، وقسم أوقاته في مصالح دولته ولذاته والاجتماع بأهله وألزامه، وخلف أولاداً كثيرة.

وقصده شعراء عصره ومدحوه.

ووزر له الوزير أبو القاسم المغربي مرتين، و فخر الدولة ابن جهير وهما وزيرا خليفتين.

توفي سنة ثلاث وخمسين و أربعمائة، قتل في قصره بالسِّدلِّي وعاش سبعاً وسبعين سنة، وكانت إمارته اثنتين وخمسين سنة.

[٤٨٠] قال سبط ابن الجوزي في «المرآة»:

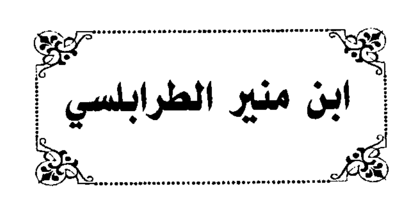
وكان عنده الحبل الياقوت الأحمر الذي كان لبني بويه وأنفذه إلى طغرلبك مع هدايا كثيرة تساوي ثلاثمائة ألف دينار ومع مائة ألف دينار عيناً.

وكان مُدارياً؛ إذا قصده عدو يقول: كم مقدار ما ينفق لرده؟ فإذا قيل: مائة ألف دينار مثلاً بعث بها إلى العدو فيدفع شره ويأمن على عسكره من المخاطرة، وتزوج عدة من بنات الملوك، وكان في قصره ثلاثة آلاف جارية عمالات يبلغ شِرى الجارية الواحدة من ألف دينار إلى خمسة عشر ألف دينار، وملك خمسمائة سرية سوى توابعهن وخمسمائة خادم، وكان في مجلسه من الأواني والآلات والجواهر ما يزيد على مائتي ألف دينار.

[٤٨١] ورخصت الأسعار في زمانه وتظاهر الناس بالأموال، ووفد إليه الشعراء وسكن عنده العباد، وبلغه أن الطيور تخرج من الجبال إلى القرى في الشتاء فتصاد فأمر بفتح الأهراء وأن يحمل إليها من الأهراء ما يشبعها، وكانت الطيور في ضيافته طول عمره ولا يتجاسر أحد أن يصيد طيراً، وقيل لبعض أصحابه: إن أيام نصر الدولة كانت ثلاثا وخمسين سنة، فقال: لا بل مائة وست سنين، فقيل له: وكيف؟ قال: لأنه لياليه كانت أحسن من أيامه.

[٤٨٢] ووفد عليه منجم حاذق من الهند فأكرمه، فقال له يوماً: أيها الأمير يخرج على دولتك بعدك رجل قد أحسنت إليه وأكرمته، فيأخذ الملك من ولدك ويقلع البيت ولا يلبث إلا مدة يسيرة وتؤخذ منه، ففكر ساعة، وكان الوزير ابن جهير واقفاً على رأسه، فرفع رأسه إليه وقال: إن كان هذا صحيحاً فهو هذا الشيخ: فقبل ابن جهير الأرض وقال: الله الله يا مولانا ومن أنا؟! قال: بلى إن ملكت فأحسن إلى ولدي، وكان ابن جهير قد اطلع على الخزائن والذخائر وارتفاع البلاد، قال ابن جهير لبعض أصحابه: من يوم قال المنجم ما قال وقع في قلبي صحة كلامه، وكان الأمر كما قال[1].

(١) الوافي بالوفيات: ٨/ ١٧٦، ١٧٧.



ابن منير الطرابلسي

أحمد بن منير بن أحمد الطرابلسي الملقب: مهذب الملك عين الزمان، الشاعر المشهور ديوانه.

كان أبوه ينشد الأشعار ويغني في أسواق طرابلس، ونشأ أبو الحسين ولده وحفظ القرآن وتعلم اللغة والأدب وقال الشعر، وقدم دمشق وسكنها.

[٤٨٣] وكان رافضياً، كثير الهجاء خبيث اللسان، ولما كثر ذلك منه سجنه بوري بن أتابك طُغْتَكين صاحب دمشق مدة وعزم على قطع لسانه، ثم شفع فيه يوسف بن فيروز الحاجب فنفاه، فلما ولي ابنه إسماعيل عاد إلى دمشق فتغير عليه لشيء بلغه فتطلبه وأراد صلبه فهرب إلى حماة وشيزر وحلب، ثم قدم دمشق صحبة نور الدين، ثم رجع مع العسكر إلى حلب ومات بها، وكان بينه وبين أبي عبد الله محمد بن نصر ابن صغير القيسراني مكاتبات وأجوبة ومهاجاة، وكانا مقيمين في حلب متنافسين في صنعتهما على عادة المتماثلين.

[٤٨٤] ومن شعره:

وإذا الكريم رأى الخمول نزيله	في منزل فالحزم أن يترحلا
كالبدر لما أن تضاءل جدَّ في	طلب الكمال فحازه متنقّلاً
سفهاً بحلمك إن رضيت بمشرب	رنْقٍ ورزق الله قد ملأ الملا[1]

(١) الرنق: الكدر.

لا تحسبن ذهاب نفسك ميتة | ما الموت إلا أن تعيش مذللا
للقفر لا للفقر هبها إنما | مغناك ما أغناك أن تتوسلا
لا ترض من دنياك ما أدناك من | دنسٍ وكن طيفاً جلا ثم انجلى
وصل الهجير بهجر قوم كلما | أمطرتهم عسلاً جنوا لك حنظلا
مِن غادرٍ خَبُثت مغارس وُدِّه | فإذا محضتَ له الوفاء تأولا
لله علمي بالزمان وأهله | ذنب الفضيلة عندهم أن تكملا
طبعوا على لؤم الطباع فخيرهم | إن قلت قال وإن سكتَّ تقولا
أنا من إذا ما الدهر هم بخفضه | سامته همته السماك الأعزلا
زعمٌ كمُنبلج الصباح وراءه | عزم كحد السيف صادف مقتلا

[٤٨٥] وقال ابن عساكر في «تاريخ دمشق»:

حدث الخطيب السديد أبو محمد عبد القاهر بن عبد العزيز خطيب حماة قال: رأيت أبا الحسين ابن منير الطرابلسي في النوم بعد موته وأنا على قُرنة بستان مرتفعة فسألته عن حاله وقلت له: اصعد إلى عندي.

فقال: ما أقدر من رائحتي.

فقلت: تشرب الخمر؟

فقال: شرّاً من الخمر يا خطيب.

فقلت: ما هو؟

قال: تدري ما جرى علي من هذه القصائد التي قلتها في مثالب الناس؟

فقلت: ما جرى عليك منها؟

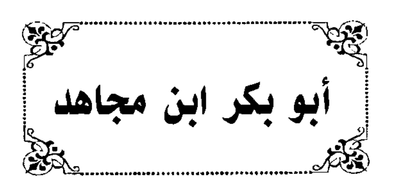
فقال: لساني قد طال وثخن وصار مد البصر وكلما قرأت قصيدة منها قد صارت كلاباً تتعلق في لساني، وأبصرته حافياً عليه ثياب رثة إلى الغاية وسمعت قارئاً يقرأ من فوقه: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ﴾[1] ثم انتبهت مرعوباً.

[٤٨٦] قال ابن خَلِّكان-رحمه الله-: زرت قبره ورأيت عليه مكتوباً:

من زار قبري فليكن موقناً ... أن الذي لاقيت يلقاه

فيرحم الله امرءاً زارني ... وقال لي يرحمك الله

ولد ابن منير سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة، وتوفي سنة ثمان وأربعين وخمسمائة وقيل: سنة سبع، ودفن بجبل جوشن بحلب[2].



أبو بكر ابن مجاهد

أحمد بن موسى بن العباس البغدادي، شيخ القراء في عصره ومصنف: «السبعة».

سمع جماعة وحدث عنه آخرون، وكان ثقة مأموناً.

توفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، ومولده سنة خمس وأربعين.

[٤٨٧] وقال ثعلب في سنة ست وثمانين ومائتين: ما بقي في عصرنا هذا أعلم بكتاب الله من أبي بكر ابن مجاهد.

---

(١) سورة الزمر: ١٦.

(٢) الوافي بالوفيات: ٨/ ١٩٣- ١٩٧.

[٤٨٨] وحدث الحسين بن محمد بن خلف المقرئ قال: سمعت أبا الفضل الزهري يقول: انتبه أبي في الليلة التي مات فيها أبو بكر بن مجاهد فقال: يا بني ترى من مات الليلة فإني رأيت في منامي كأن قائلاً يقول: قد مات الليلة مقوم وحي الله منذ خمسين سنة، فلما أصبحنا إذا ابن مجاهد قد مات.

وقال ابن مجاهد: رأيت رب العزة في المنام فختمت عليه ختمتين فلحنت في موضعين فاغتممت لذلك فقال لي: يا ابن مجاهد: الكمال لي، الكمال لي.

[٤٨٩] وكان كثيراً ما ينشد:

إذا عقد القضاء عليك أمراً   فليس يحله إلا القضاء

[٤٩٠] وحضر هو وجماعة من أهل العلم في بستان فانبسط وداعب وقال -وقد لاحظه بعضهم-: التعاقل في البستان كالتخالع في المسجد.

[٤٩١] وقال التنوخي: بلغني عن ابن مجاهد أنه قال: الناس أربعة: مليح يتبغض فيحتمل لملاحته، وبغيض يتملح فذاك الحمى والداء الذي لا دواء له، وبغيض يتبغض فيعذر لأنه طبعه، ومليح يتملح فذاك الحياة الطيبة.

[٤٩٢] وكان له الجاه العريض عند السلطان[١].

(١) الوافي بالوفيات: ٨/ ٢٠٠، ٢٠١.

أبو عون الكاتب الأنباري

أحمد ابن أبي النجم هلال مولى بني سليم، أبو عون الكاتب الأنباري. كان متكلماً مترسلاً شاعراً وله كتاب «في التوحيد وأقاويل الفلاسفة».

[٤٩٣] ذكره المرزباني في «معجم الشعراء» وقال: هو القائل في حاتم ابن الفرح وكان أبو شبل البرجمي الشاعر في قدمته سُرَّ مَن رأى نزل عليه، وكان أبو شبل أهتم[١] فقال فيه أبو عون:

لحاتم في بخله فطنة ... أدق حِسّاً من خُطا النمل
قد جعل الهتمان ضيفانه ... فصار في أمن من الأكل
ليس على خبز امرئ ضيعة ... آكله عظمُ أبو شبل
كم قدر ما تحمله كفه ... إلى فمٍ مِن سِنِّه عطلُ
فحاتم الجود أخو طيِّئٍ ... كان وهذا حاتم البخل

توفي سنة إحدى وسبعين ومائتين وله أربع وسبعون سنة.

وكان أبو عون وعماه صالح وماجد كلهم شعراء.

[٤٩٤] ولأبي عون أيضاً:

هزئت أن رأت مشيبي وهل غيـ ... ـر المصابيح زينة للسماء
إنما الشيب في المفارق كالنو ... ر بدا والشباب كالظلماء

---

(١) أي منزوع الثنايا العليا.

لم أبـدِّل بالـشيب إذا شـبت إلا عِمَّـة مـن عمـائم الحكمـاء
منحـت سـؤدداً وحِليـةَ مجـد ووقـارٍ بـادٍ علـى العظمـاء
إن عمـراً عوضـت منه مـن المـو ت بشيب من أعظـم النعمـاء [1]

السبتي العباسي

أحمد بن هارون الرشيد ابن المهدي ابـن المنصور العباسـي المعـروف بالسبتي الزاهد، عرف بهذه النسبة؛ لأنه كان لا يظهر إلا يوم السبت.

[٤٩٥] روى محب الدين بن النجار بسنده إلى أبي بكر بـن محمـد بـن الحسين الآجري قال: سمعت أبا بكر بن أبي الطيب يقول: بلغنا عن عبد الله بن الفرج العابد، قال:

احتجت إلى صانع يصنع لي شيئاً فأتيت السوق فإذا في آخرهم شـاب مصفر بين يديه زنبيل كبير ومـرو [2] وعليـه جبـة صـوف ومئـزر صـوف، فقلت له: تعمل؟

قال: نعم.

قلت: بكم؟

قال: بدرهم ودانق.

فقلت له: قم حتى تعمل.

---

(١) الوافي بالوفيات: ٨/ ٢٠٩، ٢١٠.

(٢) المَرْو: حجر أبيض رقيق يُقدح به ويذبح به، وانظر ((لسان العرب)): م ر و.

قال: على شريطة إذا كان وقت الظهر تطهرت وصليت في المسجد جماعة ثم أعود وكذلك العصر.

قلت: نعم، فجئنا المنزل ووافقته على ما ينقله فجعل يعمل ولا يكلمني بشيء، حتى أذن الظهر فاستأذنني فأذنت له فصلى ورجع وعمل عملاً جيداً إلى العصر فلما أذن فعل كالظهر ولم يزل يعمل إلى آخر النهار فأعطيته أجرته وانصرف.

فلما كان بعد أيام احتجنا إلى عمل فقالت زوجتي: اطلب ذلك الصانع الشاب فإنه نصحنا، فجئت إلى السوق فلم أره فسألت عنه فقالوا: لا نراه إلا من السبت إلى يوم السبت فأتيت يوم السبت، وصادفته فقلت: تعمل؟

فقال: قد عرفت الأجرة والشرط.

قلت: نعم، فقام وعمل كما عمل في اليوم الأول، فلما وزنت الأجرة زدته فأبى أن يأخذ الزيادة فألححت عليه فضجر وتركني ومضى، فغمَّني ذلك وتبعته وداريته حتى أخذ أجرته فقط.

فلما كان بعد مدة احتجنا إليه فمضيت يوم السبت فلم أصادفه، فسألت عنه فقيل: هو عليل، فأتيته وهو في بيت عجوز فاستأذنت ودخلت عليه فسلمت وقلت: ألك حاجة؟

قال: نعم إن قبلت.

قلت: نعم.

قال: إذا أنا مت فبع هذا المرو واغسل جبتي هذه الصوف وهذا المئزر وكفني بهما، وافتق جيب الجبة فإن فيها خاتماً فخذه وقف للخليفة الرشيد في موضع يراك وأره الخاتم وسلمه إليه ولا يكون هذا إلا بعد دفني.

قلت: نعم، ولما مات فعلت ما أمرني ورصدت الرشيد في يوم ركوبه وجلست في الطريق له، فلما دنا قلت: يا أمير المؤمنين لك عندي وديعة ولوحت بالخاتم، فأُخذت وحُملت حتى دخل داره ثم دعاني خلوة وقال: من أنت؟

قلت: عبد الله.

قال: هذا الخاتم من أين لك؟

فحدثته قصة الشاب فجعل يبكي حتى رحمته، فلما أنس بي قلت: يا أمير المؤمنين: مَن هو لك؟ قال: ابني ولد قبل أن ألـيَ الخلافة ونشأ نَشَأً حسناً وتعلم القرآن والعلم ولما وليت الخلافة تركني ولم ينل من دنياي شيئاً، فدفعت إلى أمه هذا الخاتم وهو ياقوت له قيمة كبيرة وقلت: ادفعي هذا إليه، وكان بها باراً، لعله يحتاج إليه وينتفع به، وتوفيت أمه فما عرفت له خبراً إلا ما أخبرتني به أنت، ثم قال: إذا كان الليل اخرج معي إلى قبره، فلما كان الليل مشى معي وحده وجلس على قبره وبكى بكاءً شديداً، فلما طلع الفجر رجعنا، ثم قال لي: تعاهدني في بعض الأيام حتى أزور قبره فكنت أتعاهده.

قال محب الدين بن النجار: عبد الله بن الفرج العابد راوي هذه الحكاية هو أبو محمد القنطريّ، كان من أعيان الزهاد وكان بشر بن الحارث يزوره ولم يسم ابن الرشيد في هذه الرواية.

قلت: وقد اختصرت بعض ألفاظها ولم أخل بالمعنى المقصود منها لطولها قليلاً.

توفي أحمد السبتي في سنة أربع وثمانين ومائة، رحمه الله تعالى[1].



ملك التتار

أحمد بن هولاكو بن تولي قان بن جنكزخان، ملك التتار.

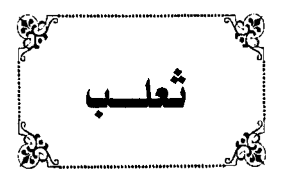
[٤٩٦] كان ملكاً شهماً، خبيراً بأمور الرعايا، سالكاً أحسن المسالك لا يصدر عنه إلا ما يوافق الشريعة النبوية، يعتمد عليها وينقاد إليها في جميع حركاته بطريق الشيخ عبد الرحمن، فإنه كان قد أقبل عليه وامتثل ما يأمره به، وكان يأمره بمصالحة المسلمين والدخول في طاعتهم والعمل على مراضيهم وأن يكونوا كلهم شيئاً واحداً، ولم يزل عليه إلى أن أجاب إلى مصالحة الملك المنصور سيف الدين قلاوون، وكتب على يد الشيخ عبد الرحمن كُتُباً بديعة دالة على دخوله في الإسلام واتباعه أوامر الله تعالى في الحلال والحرام، وتوجه بها الشيخ فلما وصل الشام بلغه وفاة أحمد بن هولاكو، فبطل ما كان جاء به ووقع أجرهما على الله تعالى، وبقي الشيخ بعده مدة يسيرة وتوفي.

[٤٩٧] ولما مات أبغا تعصب جماعة لأحمد-وكان اسمه بكرار واسم أمه قبوخاتون نصرانية- وما هان على بعض المغل؛ لأنه ادعى أنه مسلم وحضر أخوه قُنغرطاي وقال لأرغون: إن أبغا شرط في الياسة[2] أنه إذا

(١) الوافي بالوفيات: ٨/ ٢٢١- ٢٢٣.

(٢) الياسة أو الياسق هو الشريعة التي يتحاكم إليها التتار.

مـات مـا يقعـد عوضـه الأكـبر ومـن خـالف يمـوت، وكتبـوا إلى الملـوك ليحضروا ويكتبوا خطوطهم بالرضى بملك أحمد فقـالوا: إن قـدرتهم قـد ضعفت ورجالهم قتلوا وإن المسلمين في قوة وأنه لا حيلـة في هـذا الوقـت أتم من إظهار الإسلام والتقرب إلى السلطان الملك المنصور سيف الـدين قلاوون، وكان بين أرغون بن أبغا وبـين الـسلطان عـداوة شـديدة، فـسير أحمد عسكراً نحو أرغون مقدار أحد عشر ألف فارس وقـدم علـيهم علـي ناق أحد خواصـه، فقـصدوا أرغـون ونزلـوا قريبـاً منـه، فركـب أرغـون وكبسهم فقتل منهم ألفي فارس وبلغ ذلـك أحمـد فركـب في أربعـين ألفـاً وقصد جهة خراسان فالتقى هو وأرغون وقتل من عسكر أرغون أكثر من النصف، وضربت البشائر في بلاد العجم، وأمسك خمـسة مـن الأمـراء في المصاف وقررهم فاعترفوا أن أرغون طلب العبور إلى إيلجان فمنعه جماعة من أصحاب الملك أحمد، فأمسك اثني عشر أميراً من كبار المغل وقيـدهم، فعند ذلك قام المغل عليه وجاهروه، فهرب ثم أخـذ وأحـضر إلى أرغـون فقتله، واستبد أرغون بالملك، وقيل في كيفية قتله غـير ذلـك، وكـان قتلـه سنة ثلاث وثمانين وستمائة(١).



ثعلب

أحمد بن يحيى بن سيار أبو العباس ثعلب الشيباني مـولاهم، النحـوي اللغوي إمام الكوفيين في النحو واللغة والثقة والديانة.

ولد سنة مائتين، ومات سنة إحدى وتسعين ومائتين، رأى أحد عـشر خليفة أولهم المأمون وآخرهم المكتفي.

---

(١) الوافي بالوفيات: ٨/ ٢٢٧، ٢٢٨.

وثقل سمعه قبل موته.

[٤٩٨] خلَّف أحداً وعشرين ألف درهم وألفي دينار، ودكاكين بباب الشام قيمتها ثلاثة آلاف دينار، وضاع له قِبَل أبي أحمد الصيرفي ألف دينار، ورد ماله على ابنته.

[٤٩٩] وسمع خلقاً كثيرين، وكان يقول: سمعت من القواريري مائة ألف حديث.

[٥٠٠] قال العجوري: صرت إلى المبرد مع القاسم والحسن ابني عبيد الله بن سليمان بن وهب، فقال لي القاسم: سله عن شيء من الشعر، فقلت: ما تقول أعزك الله في قول أوس:

وغيَّرها عن وصلها الشيب إنه　　　شفيع إلى بيض الخدود مدرب

فقال: بعد تمكث وتمهل وتمطق: يريد أن النساء أنسن به فصرن لا يستترن منه، ثم صرنا إلى أبي العباس أحمد بن يحيى، فلما غص المجلس سألته عن البيت فقال، قال ابن الأعرابي: إن الهاء في «إنه» للشباب وإن لم يجر له ذكر لأنه عُلِمَ، والتفت إلى القاسم والحسن وقلت: أين صاحبنا من صاحبكم.

[٥٠١] وقال ابن فارس: كان أبو العباس ثعلب لا يتكلف الإعراب، كان يدخل المجلس فنقوم له فيقول: أَقعدوا أَقعدوا بفتح الألف.

وقال غيره: كان يقتر على نفسه في النفقة.

[٥٠٢] وقال الصولي: كنا عند ثعلب فقال له رجل: المسجد هذا معروف فما المصدر؟ قال: مصدره السجود، قال: فعرفني ما لا يجوز من ذا، فقال: لا يقال مسجَد وضحك، وقال هذا يطول إن وصفنا ما لا

يجوز، وإنما يوصف الجائز ليدل على أن غيره لا يجوز، ومثل ذلك أن ماسويه وصف لإنسان دواء ثم قال له:

كُل الفرُّوج وشيئاً من الفاكهة.

فقال: أريد أن تخبرني بالذي لا آكل.

فقال: لا تأكلني ولا حماري ولا غلامي، واجمع كثيراً من القراطيس وبكر إليَّ فإن هذا يكثر إن وصفته لك.

[٥٠٣] وأجرى له محمد بن عبد الله بن طاهر لأجل ابنه طاهر في كل يوم سبع وظائف من الخبز الخشكار، ووظيفة من الخبز السميد وسبعة أرطال لحم، وعلوفة رأس وألف درهم كل شهر، وأقام كذلك ثلاث عشرة سنة.

[٥٠٤] وقرأ القطربي على أبي العباس بيت الأعشى:

فلو كنت في حُب ثمانين قامة ورقيت أسباب السماء بسلم

فقال أبو العباس: خرب بيتك!! أرأيت حُبّاً قط ثمانين قامة[1]؟ إنما هو: جُب.

[٥٠٥] وكان بين المبرد وثعلب منافرات كثيرة فجاء رجل إلى ثعلب فقال له: يا أبا العباس قد هجاك المبرد، فقال: بماذا؟ فأنشده:

أقسم بالمبتسم العذب ومشتكى الصب إلى الصب

لو أخذ النحو عن الرب ما زاده إلا عمى القلب

فقال: أنشدني من أنشده أبو عمرو بن العلاء:

---

(١) الحب هو الزير.

يشتمني عبد بني مِسْمع فصنت عنه النفس والعرضا
ولم أجبه لاحتقاري به من ذا يعض الكلب إن عضا

[٥٠٦] وقال بعض أصحابه يرثيه:

مات ابن يحيى فماتت دولة الأدب ومات أحمد أنحى العُجْمِ والعرب
فإن تولى أبو العباس مفتقداً فلم يمت ذكره في الناس والكتب

[٥٠٧] قال أبو بكر ابن مجاهد المقرئ: قال لي ثعلب: يا أبا بكر اشتغل أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا، واشتغل أصحاب الفقه بالفقه ففازوا، واشتغل أصحاب الحديث بالحديث ففازوا، واشتغلت أنا بزيد وعمرو فليت شعري ماذا يكون حالي في الآخرة؟ فانصرفت من عنده فرأيت النبي ﷺ تلك الليلة في المنام فقال لي: أقرئ أبا العباس عني السلام وقل له: أنت صاحب العلم المستطيل.

[٥٠٨] وقال أبو عمر المطرز: كنت في مجلس أبي العباس ثعلب فسأله سائل عن شيء فقال: لا أدري، فقال له: أتقول لا أدري وإليك تضرب أكباد الإبل! وإليك الرحلة من كل بلد؟ فقال أبو العباس: لو كان لأمك بعدد لا أدري بعر لاستغنت.

[٥٠٩] وسئل عن قولهم: لا أكلمك أصلاً، قال: معناه أقطع ذلك من أصله[١].

---

(١) الوافي بالوفيات: ٨/ ٢٤٣، ٢٤٤.



ابن فضل الله

أحمد بن يحيى بن فضل الله القاضي شهاب الدين، أبو العباس ابن القاضي أبي المعالي محيي الدين القرشي العدوي العمري.

هو الإمام الفاضل، البليغ المفوَّه، الحافظ حجة الكتاب، إمام أهل الآداب، أحد رجالات الزمان كتابة وترسلاً، وتوصلاً إلى غايات المعالي وتوسلاً.

[٥١٠] ولا أعتقد أن بينه وبين القاضي الفاضل من جاء مثله، على أنه قد جاء مثل تاج الدين بن الأثير ومحيي الدين بن عبد الظاهر وشهاب الدين محمود وكمال الدين بن العطار وغيرهم، هذا إلى ما فيه من لطف أخلاق وسعة صدر وبشر محيا، رزقه الله أربعة أشياء لم أرها اجتمعت في غيره وهي:

الحافظة، قلما طالع شيئاً إلا وكان مستحضراً لأكثره، والذاكرة التي إذا أراد ذكرى شيء من زمن متقدم كان ذلك حاضراً كأنه إنما مر به بالأمس، والذكاء الذي تسلط به على ما أراد، وحسن القريحة في النظم والنثر، أما نثره فلعله في ذروة كان أوج الفاضل لها حضيضاً ولا أرى أحداً يلحقه فيه جودةً وسرعةَ عمل لما يحاوله في أي معنى أراد، وأي مقام توخاه، وأما نظمه فلعله لا يلحقه فيه إلا الأفراد، وأضاف الله -تعالى- له إلى ذلك كله حسن الذوق الذي هو العمدة في كل فن.

[٥١١] وهو أحد الأدباء الكَمَلة الذين رأيتهم، وأعني بالكملة الذين يقومون بالأدب علماً وعملاً في النظم والنثر ومعرفة بتراجم أهل

عصرهم ومن تقدمهم على اختلاف طبقات الناس، وبخطوط الأفاضل وأشياخ الكتابة، ثم إنه يشارك مَن رأيْتُه من الكملة في أشياء، ويتفرد عنه بأشياء بلغ فيها الغاية وقصر ذلك عن شأوه؛ لأنه جود فن الإنشاء: النثر وهو فيه آية، والنظم وساير فنونه، والترسل البارع عن الملوك، ولم أر من يعرف تواريخ ملوك المغل من لدن جنكزخان وهلم جرًّا معرفته، وكذلك ملوك الهند الأتراك، وأما معرفة الممالك والمسالك وخطوط الأقاليم ومواقع البلدان وخواصها فإنه فيها إمام وقته، وكذلك معرفة الاسطرلاب وحل التقويم وصور الكواكب، وقد أذن له العلامة الشيخ شمس الدين الأصبهاني في الإفتاء على مذهب الإمام الشافعي ﷺ فهو حينئذ أكمل الكملة الذين رأيتهم.

[٥١٢] ولقد استطرد الكلام يوماً إلى ذكر القضاة فسرد ذكر القضاة الأربعة الذين عاصرهم شاماً ومصراً وألقابهم وأسماءهم وعلامة كل قاضٍ منهم، حتى إني ما كدت أقضي العجب مما رأيت منه، واتفق يوماً آخر أنه احتجت إلى كتابة صداق لبنت شمس الدين بن الشيرازي، فذكر على الفور اسمها واسم أبيها وسرد نسبه فجئت إلى البيت وراجعت تعاليقي ومسوداتي فكان الأمر كما ذكر لم يُخِلّ باسم ولا لقب ولا كنية.

ولد بدمشق ثالث شوال سنة سبعمائة وتوفي -رحمه الله تعالى- يوم عرفة سنة تسع وأربعين وسبعمائة.

قرأ العربية والفقه والعروض والأدب وقرأ جملة من المعاني والبيان، وقرأ الأصول وأخذ اللغة، وسمع بدمشق والحجاز ومصر والإسكندرية وبلاد الشام، وأجاز له جماعة.

وصنف «فواضل السمر في فضائل آل عمر» أربع مجلدات، وكتاب «مسالك الأبصار» في عشرة كبار وهو كتاب حافل ما أعلم أن لأحد مثله، و«الدعوة المستجابة» مجلد و «صبابة المشتاق» ديوان كامل في المدائح النبوية و «سفرة السفرة» و «دمعة الباكي» و «يقظة الساهر» وقرأتهما عليه، و «نفحة الروض» وغير ذلك، ونظم كثيراً من القصائد والأراجيز والمقطعات والدوبيت والموشح والبليق والزجل، وأنشأ كثيراً من التقاليد والمناشير والتواقيع ومكاتبات الملوك وغير ذلك، وسمعت من لفظه غالب ما أنشأه، وكتب قُدَّامي كثيراً فيأتي بما يبهر العقول، لم أر لأحد قدرته على ذلك.

[٥١٣] ولما وقع الطاعون بدمشق سنة تسع وأربعين وسبعمائة قلق وتطير كثيراً وراعى القواعد الطبية، وانجمع عن الناس وانعزل وعزم على الحج، واشترى الجمال وبعض الآلات، ثم إنه بطل ذلك وتوجه بزوجته- ابنة عمه- إلى القدس الشريف وولديه، وصاموا هناك رمضان فماتت زوجته هناك ودفنها بالقدس في شهر رمضان، وحضر إلى دمشق وهو طائر العقل، فيوم وصوله برد وحصل له حمى وأضعفته إلى أن توفي-رحمه الله وسامحه- يوم عرفة سنة تسع وأربعين وسبعمائة، ودفن عند والده وأخيه بدر الدين محمد بالصالحية.

فرحم الله ذلك الوجه، وبلغه ما يرجوه، وضوأه بالمغفرة يوم تبيض وجوه وتسود وجوه[1].

---

(١) الوافي بالوفيات: ٨/ ٢٥٢- ٢٦٩.

ابن أبي خالد وزير المأمون

أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن، أبو العباس ابن أبي خالد الأحول الكاتب مولى عاصم بن الوليد بن عتبة بن ربيعة، أصله من الأردن.

كاتب كتب لأمراء دمشق وترقت حاله إلى أن وزر للمأمون بعد الحسن بن سهل أخي ذي الرياستين وكان يكني والده ولا يسميه خوفاً من المأمون.

[٥١٤] قال الصولي: حدثني القاسم بن إسماعيل: سمعت إبراهيم ابن العباس يقول: بعثني أحمد بن أبي خالد إلى طلحة بن طاهر، فقال لي: قل له: ليست لك ضيعة بالسواد(١) وهذه ألف ألف درهم بعثت بها إليك لم أبعث بها جاهاً، ولا مالاً واشتر بها ضيعة، ووالله لئن فعلت لَتَبَرَّنّي وإن عصيت لتعصيني، فردها وقال: أنا أقدر على مثلها وأخذها، واغتنام الحال بيننا يرتفع عن أن يزيد في الوداد أو ينقصه ردها، قال إبراهيم: فما رأيت أكرم منهما.

[٥١٥] وكان أحمد سيء اللقاء عابس الوجه يَهِرُّ في وجه الخاص والعام، غير أن فعله أحسن من لقائه، وكان من عرف أخلاقه وصبر على مداراته نفعه وأكسبه، وركب من داره يريد دار المأمون فلما رأى كثرة الناس حوله قال: قد ضيقتم عليَّ طريقي، وشغلتموني عن خدمة

---

(١) أي الريف في العراق، وسمي بذلك لأنه من شدة خضرته يبدو من بعيد أسود داكناً، وسواد كل شيء ما حوله من البساتين: نخلها وشجرها، وقيل: السواد هو ما حول الكوفة من قرى وبساتين، انظر ((لسان العرب)): س و د.

السلطان، فقال له رجل عمريّ: احمد الله فقد أعطاك ما لم يعطه نبيه، عليه السلام.

قال: وما ذاك؟

قال: لأنه يقول: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[1] وأنت فظ غليظ، ونحن نتكاثر عليك!.

قال: فما حاجتك؟

قال: ترتيبي في دار أمير المؤمنين.

قال: قد فعلت.

قال: وتقضي ديني.

قال: كم هو؟

قال: ثلاثين ألف درهم.

قال: قد قضيته.

[٥١٦] وكان شَرِهاً وحكاياته في ذلك معروفة، فأجرى المأمون عليه كل يوم ألف درهم لمائدته لئلا يشره إلى طعام الناس ويمد عينيه إلى هدية تأتيه حتى قال فيه دِعْبل:

شكرنا الخليفة إحرازه ... على ابن أبي خالد نُزْلَه
فكف أذاه عن المسلمين ... وصَيَّر في بيته أكله
وقد كان يقسم أشغاله ... فصيّرَ في نفسه شغله

---

(١) سورة آل عمران: ١٥٩.

[٥١٧] وقال: قرأ ابن أبي خالد على المأمون قصص الناس وجاع، فمرت به قصة فيها فلان ابن فلان اليزيدي فقرأه الثريدي، فقال الخليفة:

يا غلام صحفة مملوءة ثريداً لأبي العباس فإنه أصبح جائعاً.

فقال: ما أنا بجائع، ولكن صاحب القصة أحمق نقط على الياء ثلاث نقط فقال: ما أنفع حمقه لك، وأحضرت الصحفة فخجل أحمد، فقال المأمون: بحياتي عليك إلا ما ملت إليها، فأكل حتى اكتفى وغسل يده وعاود القراءة، فمرت به قصة وعليها فلان ابن فلان الحمصي فقرأها الخبيصي، فقال المأمون:

يا غلام: جام مملوء خبيصاً[1].

فقال: يا سيدي صاحب القصة أحمق فتح الميم سِنَّتَين.

فقال: لولا حمقه وحمق صاحبه مت أنت اليوم جوعاً، فأُتي بالجام الخبيص فقال له المأمون: بحياتي عليك إلا ما ملت إليه، فأكل وغسل يده وعاود القراءة فما صحف حرفاً حتى انقضى المجلس.

[٥١٨] وقال ابن أبي خالد: كنت بين يدي المأمون أكلمه فحضرتني عطسة فرددتها، ففهم المأمون ذلك فقال: يا أحمد لم فعلت ذلك؟ أما علمت أنه ربما قَتَل، ولسنا نحمل أحداً على هذه الخطة، فدعوت له وقلت له: يا أمير المؤمنين: ما سمعت كلمة لملك أشرف من هذه، قال: بلى كلمة هشام[2] حين أراد الأبرش الكلبي أن يسوي عليه ثوبه فقال له هشام: إنا لا نتخذ الإخوان خَوَلاً[3].

---

(١) نوع من الحلوى.

(٢) هشام بن عبدالملك الخليفة الأموي.

(٣) الخَوَل: اسم يقع على العبيد والإماء، وانظر ((لسان العرب)): خ و ل.

ولما توفي سنة اثنتي عشرة ومائتين صلى عليه المأمون ووقف على قبره فلما دلي فيه قال: رحمك الله، أنت والله كما قال الشاعر:

أخو الجد إن جد الرجال وشمروا وذو باطل إن كان في القوم باطل

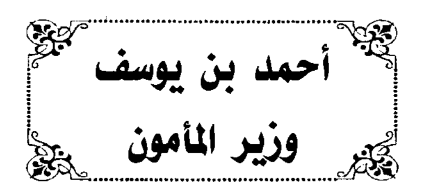
[٥١٩] وكان السبب في اتصال أحمد بن أبي خالد بالمأمون أن الرشيد لما قتل جعفراً وسخط على البرامكة، شخص إلى الرقة وحمل يحيى وولده الفضل إلى حبس الرقة، فاتصل بأحمد خبرهما فلم يزل يحتال في الوصول إليهما إلى أن تهيأ له ذلك، فدخل على يحيى وعرفه قصده إياهما فشكر له يحيى ذلك وقال: كنت أحب لو قصدتني وقت الإمكان لنقدر على مكافأتك، فشكر له أحمد ذلك وسأله المن عليه بقبول شيء حمله إليه وتضرع له، فدافعه يحيى وقال: نحن في كفاية، فألح عليه فسأله عن مقداره فقال: عشرة آلاف درهم.

فقال يحيى: قد قبلت ذلك ووقع موقعه فادفعه إلى هذا السجان ليصرفه في نفقاتنا، وقال له يحيى:

إن حالنا لا تقوم بمكافأتك، ولكني أكتب لك كتاباً إلى رجل سيقوم بأمر الخليفة الذي يملك الأمر بخراسان، فأوصل كتابي إليه فإنه يقوم بحقك، وكتب له على قريطيس أحرفاً يسيرة وطواه ووضع عليه خاتمه وقال: إذا شئت فامض مصاحباً في ستر الله، وانصرف أحمد بن أبي خالد في شأنه.

فلما تقلد الفضل بن سهل أمر المأمون وظهر على الأمين قصد أحمد ابن أبي خالد خراسان وأوصل الكتاب إلى الفضل، فلما قرأه استبشر وظهر السرور في وجهه وأمره بالمصير إلى منزله، فلما وصلا وخلا به اعتنقه وقبله وقال له: أنت أعظم خلق الله علي منة وأجلهم عندي يداً،

وأمر بإنزاله منزلاً يتخذ له ويفرش له فيه فرش وما يحتاج إليه، وجهز إليه تخوت ثياب وخمسين ألف درهم واعتذر إليه بضيق الحال، ثم إنه وصفه للمأمون وقرظه وأثنى عليه كثيراً وأوصله إلى المأمون، ثم إنه قلده خراسان وما وراء النهر[1].



أحمد بن يوسف
وزير المأمون

أحمد بن يوسف بن القاسم الكاتب القفطي أبو جعفر، من أهل الكوفة.

كان يتولى ديوان الرسائل للمأمون، وكان أخوه القاسم بن يوسف يدعي أنه من بني عجل ولم يدع أحمد ذلك، قال المرزباني: كان مولى لبني عجل ومنازلهم الكوفة، وزر أحمد للمأمون بعد أحمد ابن أبي خالد، ومات سنة ثلاث عشرة، وكان أحمد وأخوه شاعرين أديبين وأولادهما جميعاً أهل أدب يطلبون الشعر والبلاغة.

[٥٢٠] وقال الصولي: أول ما ارتفع به أحمد بن يوسف أن طاهراً أمر الكتاب لما قتل المخلوع[2] أن يكتبوا إلى المأمون فأطالوا، فقال طاهر: أريد أخصر من هذا، فوصف له أحمد بن يوسف فأحضره لذلك، فكتب:

«أما بعد: فإن المخلوع وإن كان قسيم أمير المؤمنين في النسب واللحمة، فقد فرق حكم الكتاب بينه وبينه في الولاية والحرمة؛ لمفارقته

(١) الوافي بالوفيات: ٨/ ٢٧٢- ٢٧٤.

(٢) أي الخليفة الأمين.

عصمة الدين وخروجه عن إجماع المسلمين، قال الله -عز وجل- لنوح -عليه السلام- في ابنه: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾[1] ولا صلة لأحد في معصية الله، ولا قطيعة ما كانت في ذات الله، وكتبتُ إلى أمير المؤمنين وقد قتل الله المخلوع، وأحصد لأمير المؤمنين أمره وأنجز له وعده، فالأرض بأكنافها أوطأ مهادٍ لطاعته وأتبع شيء لمشيئته، وقد وجهت إلى أمير المؤمنين بالدنيا وهو رأس المخلوع، وبالآخرة وهي البردة والقضيب، فالحمد لله الآخذ لأمير المؤمنين بحقه، والكائد له من خان عهده ونكث عقده، حتى رد الألفة وأقام به الشريعة، والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته» فرضي طاهر بذلك ونفذه، ووصل أحمد بن يوسف وقدمه.

[٥٢١] وأهدى أحمد بن يوسف هدية إلى المأمون في يوم نيروز وكتب معها:

على العبد حق فهو لا شك فاعله ... وإن عظم المولى وجلت فضائله
ألم ترنا نهدي إلى الله ماله ... وإن كان عنه ذا غنى فهو قابله
ولو كان يُهدى للكريم بقدره ... لقصر فضل المال عن وسائله
ولكننا نهدي إلى من نعزه ... وإن لم يكن في وسعنا ما يعادله

[٥٢٢] وقال موسى بن عبد الملك: وهب لي أحمد بن يوسف ألف ألف درهم في مرات.

[٥٢٣] حكى علي بن يحيى ابن أبي منصور أن المأمون كان إذا تبخر طُرح العود والعنبر، فإذا تبخر أمر بإخراج المجمرة ووضعها تحت الرجل

---

(١) سورة هود: ٤٦.

من جلسائه إكراماً له، فحضر أحمد بن يوسف يوماً وتبخر المأمون على عادته ثم أمر أن يوضع المجمر تحت أحمد بن يوسف فقال: هاتوا إذاً المردود[1]، فقال: ألنا يقال هذا ونحن نصل رجلاً واحداً بستة آلاف ألف دينار؟ إنما قصدنا إكرامك وأن أكون أنا وأنت قد اقتسمنا بخوراً واحداً، يُحضَر عنبر، فأُحضر منه شيء في غاية الجودة في كل قطعة ثلاثة مثاقيل، وأمر أن تطرح قطعة في المجمر ويبخر بها أحمد ويدخل رأسه في زِيقه[2] حتى ينفد بخورها، وفعل به ذلك وبقطعة ثانية وثالثة وهو يصيح ويستغيث، وانصرف إلى منزله وقد احترق دماغه واعتل ومات[3].

[٥٢٤] وكانت له جارية يقال لها: نسيم كان لها من قلبه مكان خطير فقالت ترثيه:

ولو أن ميتاً هابه الموت قبله ... لما جاءه المقدار وهو هيوب
ولو أن حياً قبله صانه الردى ... إذاً لم يكن للأرض فيه نصيب

[٥٢٥] وقالت ترثيه أيضاً:

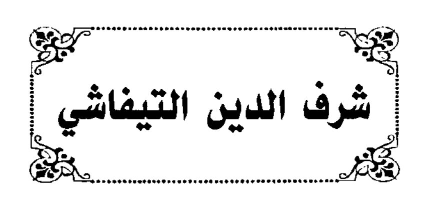
نفسي فداؤك لو بالناس كلهم ... ما بي عليك تمنوا أنهم ماتوا
وللورى موتة في الدهر واحدة ... ولي من الهم والأحزان موتات[4]

(١) لم يتبين لي المعنى، وإن لم يكن في الكلمة تصحيف ولا تحريف فلعل المعنى أن يكون: هاتوا الباقي من البخور الذي يرد بعد استعماله، والله أعلم

(٢) الزِيق: هو ما أحاط بالعنق من القميص.

(٣) أعوذ بالله من هذا الظلم والبغي، وعجيب أن يصدر هذا من المأمون وهو رأس في العفو!!.

(٤) الوافي بالوفيات: ٨/ ٢٧٩- ٢٨٢.



شرف الدين التيفاشي

أحمد بن يوسف بن أحمد القيسي.

توفي شرف الدين التيفاشي بالقاهرة سنة إحدى وخمسين وستمائة.

[٥٢٦] ومن شعره في الزلزلة:

أما تـرى الأرض في زلزالهـا عجبـاً ... تدعو إلى طاعة الرحمن كـل تقـي

أضـحت كوالـدة خرقـاءَ مرضـعة ... أولادَهـا دَرَّ ثـدي حافـل غَـدِقِ

قد مهدتهم مهـاداً غـير مـضطرب ... وأفرشـتهم فراشـاً غـير مـا قلـق

حتى إذا أبصرت بعـض الـذي كرهـت ... ممـــا يـــشق مـــن الأولاد في خُلُـــقِ

هزت بهـم مهـدها شـيئاً تنهـنههم ... ثم استشاطت وآل الطبع للخرق

فصكت المهد غضبى فهـي لافظـة ... **بعضاً على بعض من شدة النَزَقِ**[1]

---

(١) الوافي بالوفيات: ٨/ ٢٨٨، ٢٨٩.



علم الدين ابن الصاحب

[٥٢٧] أحمد بن يوسف بن عبد الله بن شكر، الشيخ علم الدين ابن الصاحب المصري الفقير المجرد.

اشتغل في صباه وحصل ودرس، وكان ذكيّاً فاضلاً إلا أنه تجرد وتمفقر[1] وأطلق طباعه، وكان يجارد الرؤساء وغيرهم ويركب في قفص حمّال ويتضارب الحمالون على حمله؛ لأنه كان مَهْما فتح له من الرؤساء كان للذي يحمله فيستمر راكباً في القفص والحمال يدور به في أماكن الفرج والنزه، وكان يتعمم بشرطوط طويل جدّاً دقيق العرض ويعاشر الحرافيش.

وله أولاد رؤساء.

توفي سنة ثمان وثمانين وستمائة.

أخبرني من لفظه الشيخ الإمام نجم الدين أبو محمد الحسن خطيب صفد قال: رأيته أشقر أزرق العين عليه قميص أزرق وبيده عكازه حديد. انتهى.

[٥٢٨] وله نكت بديعة على رأي المصريين منها: أنه حضر يوماً بعض الدرس والنقيب يقول بسم الله فلان الدين القليوبي، بسم الله فلان الدين الدمنهوري، بسم الله فلان الدين المنوفي، بسم الله فلان الدين

---

(١) أي تصوف.

البهنسي ويذكر نسب كل منهم إلى بلدة من الريف، فقال ابن الصاحب: وَا لَك أهذه مدرسة وإلاَّ منفض كتان؟! يعني أنهم فلاحون.

[٥٢٩] ومنها أنه حضر يوماً درس بعض المدارس وبحثوا في شيء خبطوا فيه، فقام من بينهم وجلس في حلقة الدرس مشيراً إلى أنه يبول فقيل له: ما هذا؟! فقال: لا بأس بالرجل يبول بين غنمه وبقره.

[٥٣٠] ومنها: أنه دخل يوماً إلى مدرسة فسمعهم من الدهليز وهم يغتابونه، فلما دخل أخذ يبول عليهم فقالوا له: ما هذا؟! فقال: كل ما أكل لحمه فبوله طاهر.

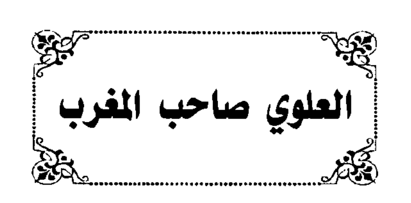
[٥٣١] ومنها أنه ركب يوماً حماراً للفرجة تسلمه من المكاري وتوجه به إلى بَرّا باب اللوق، فتسيَّب الحمار على ماجور فيه حشيش فأكله وشربه، فجاء صاحبه إليه وقال: يا سيدي أفقرني حمارك هذا وأكل بضاعتي.

فقال له: خذ صريمته فأخذها، فلما كان بعد ساعة انسطل الحمار ونام وعجز عن الحركة، وأراد ابن الصاحب الدخول إلى المدينة فعجز الحمار عن القيام؛ لأنه شرب ماجور حشيش فحمله على حمار آخر وقال للمكاري: خذ برذعته، وجاء وهو خلفه فقام إليه المكاري الأول فقال: يا سيدي أين حماري الذي ركبته من عندي؟

فقال: أنا ما رأيت لك حماراً وما أعطيتني إلا حريفاً، على أنه حريف كيِّس ما غرم عليه أحد شيئاً، انسطل بصريمته وركب ببرذعته[1].

---

(١) الوافي بالوفيات: ٨/ ٢٩٢- ٢٩٤.
ولم يسبق لي معنى الحريف هنا، فالكلمة في القاموس تعني الطعام الذي يحرف الفم: الحِرِّيف، والحرف: الناقة، والله أعلم.



العلوي صاحب المغرب

إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - .

[٥٣٢] ذكره المرزباني في «معجم الشعراء» وأورد له قوله:

لو مال صبري بصبر الناس كلهم ... لكَلَّ في لوعتي أو ضل في جزعي

وما أزيغ إلى يأس ليُسْليني ... إلا تحول بي يأسي إلى الطمع

وكيف يصبر من ضُمت أضالعه ... على وساوس همٍ غير منقطع

إذا الهموم توافت بعد هدأتها ... عادت عليه بكأس مُرة الجُرَع

نأى الأحبة واستبدلتُ بعدهم ... همّاً مقيماً وشملاً غير مجتمع

كأنني حين يُجري الهم ذكرهم ... على ضميريَ مخبول من الخدع

تأوي همومي إذا حركتُ ذكرهم ... إلى جوانح جسم دائم الوجع

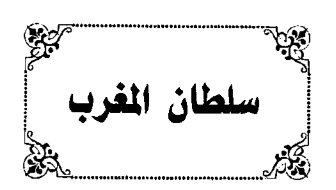
[٥٣٣] قال أبو هاشم صاحب شرطة إدريس بن إدريس، قال لي يوماً: اخرج بنا إلى ساحل البحر لنصلي فخرجنا، فقام يصلي وقمت ناحية فأقبل نفر نحونا فقال: يا داود هؤلاء إباضية، يعني: خوارج، جاءوا ليغتالوني.

قلت: فأنا لهم، قال: لا، أنا فأخذ السيف والدرقة وقصدهم، فقتل منهم سبعة فأدبر الباقون، فرجع إليَّ فأعطاني السيف وقال:

أليس أبونا هاشم شد أزره ... وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب

فلسنا نَمَلُّ الحرب حتى تملنا ... ولا نتشكى ما نلاقي من النكب

وحصلت لإدريس مملكة سنية، وخطب لنفسه بالخلافة، وكان فصيحاً شاعراً.[1]



سلطان المغرب

إدريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي ابن أبي طالب ﷺ هو والد إدريس المذكور آنفا.

[٥٣٤] كان قد خرج مع الحسين صاحب فخ، فلما قتل الحسين هرب إلى مصر، وكان على بريدها واضح مولى صالح بن المنصور، وكان يميل إلى آل أبي طالب فحمله على البريد إلى المغرب، فوصل إلى أرض طنجة فنزل بمدينة يقال لها: لبلة فاستجاب له من بها وبنواحيها من البربر، وبلغ الهادي فقتل واضحاً وصلبه.

ويقال إن هارون هو الذي قتله، ودس موسى أو هارون إلى إدريس الشماخ اليماني مولى المهدي فدخل الغرب و أظهر أنه طبيب، فأحضره إدريس وأقام عنده وأنس به فشكا إليه مرضاً في أسنانه فأعطاه سَنُوناً[2] مسموماً وقال له: إذا طلع الفجر فاستن به، وهرب الشماخ من وقته، فلما طلع الفجر استن به وجعل يردده في فيه فسقط فوه ومات وطُلب الشماخ فلم يقدر عليه، وخرج إلى إفريقية وبها إبراهيم بن الأغلب عامل

(١) الوافي بالوفيات: ٨/ ٣١٤، ٣١٥.

(٢) أي: سواكاً.

الهادي فأقام عنده، وكتب إلى هارون يخبره بموت إدريس، فبعث له صلة سنية وولاه بريد مصر.

[٥٣٥] فقال بعض الشعراء ويقال إنه الهادي أو الرشيد:

أتظن يا إدريس أنك مفلت ... كيد الخلافة أو يقيك فرار

إن السيوف إذا انتضاها سخطه ... طالت وقُصِّر دونها الأعمار

ملك كأن الموت يتبع أمره ... حتى تخال تطيعه الأقدار

ولما هلك إدريس ولي مكانه ابنه إدريس بن إدريس المذكور، وأقام أولادهم بالمغرب مدة، وكانت وفاة إدريس سنة تسع وستين ومائة، وكان قد قوي أمر إدريس حتى ملك جميع الغرب الأقصى، وكان مقداماً شجاعاً ذا رأي، كريماً وأعقب أولاداً خطب لهم بالخلافة في أكثر المغرب.

[٥٣٦] ومن شعره:

غَرّبتُ كي أُغْرِبَ في ثورة ... أشفي بها كل فتى ثائر

لا خير في العيش لمن يغتدي ... في الأرض جاراً لامرئ جائر

والأرض ما وسّعها ربها ... إلا لتبدو همة السائر

لا بُلِّغَت لي مهجة سؤلها ... إن لم أوف الكيل للغادر

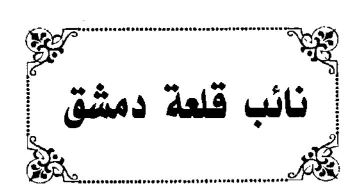
[٥٣٧] وقال ابنه إدريس بن إدريس يرثيه:

روحي الفداء لما جاءت منيته ... يرمي بها بلدٌ ناءٍ إلى بلد

فاختلست نفسه منه مخاتلة ... حتى تخلّى من الأموال والولد

أهدى إليه المنايا ذو قرابته ... بغير جرم سوى البغضاء والحسد

لـئن ظفـرتم بيـوم قتلنـا غلبـاً	إنا لنرجو مـن الـرحمن فـوز غـد
حتـى يزيـل أقـل الحـق أكثـره	ويشرب الكأس ساقينا يداً بيد[1]



نائب قلعة دمشق

أرجواش الأمير علم الدين سنجر المنصوري، نائب قلعة دمشق من أيام أستاذه المنصور.

كان شهماً شجاعاً مهيباً لم يخرج مدة ولايته من القلعة ولا سير، وقيده الأشرف وألبسه عباءة ليقتله ثم عفا عنه، ثم إنه خلع عليه في رمضان سنة تسعين وستمائة وأعاده إلى نيابة قلعة دمشق، وكان فعل به ذلك بعد عوده من عكا. وكان أعور.

[٥٣٨] ولقد حفظ القلعة-بل قلاع الشام -نوبة غازان وحوصر ونهض أتم نهوض، وقام أكمل قيام، وساس الرعية، وعظم في النفوس، و ثبت ثباتاً كليّاً، وتسلق التتار من دار السعادة وطلعوا سطحها وتسلطوا على القلعة ورموها بالنشاب فرمى عليهم قوارير النفط فاحترقت الأخشاب وسقطت السقوف بهم، وفعل ذلك بدار الحديث الأشرفية والعادلية وكل ما تسلط على القلعة، وعلى الجملة فلولا ما اعتمده من الهمة والثبات ملك التتار الشام جميعه.

[٥٣٩] وكانت عنده سلامة باطن إلى الغاية، حكى لي عنه عبد الغني الفقير المعروف قال: لما مات الملك المنصور قال لي: أحضر لي مقرئين

---

(١) الوافي بالوفيات: ٨/ ٣١٨، ٣١٩.

يقرأون ختمة للسلطان فأحضرت إليه جماعة فجعلوا يقرأون على العادة فأحضر دبوساً وقال:

كيف يكون للسلطان هذه القراءة؟ يقرأون عالياً، فضجوا بالقراءة جهدهم وطاقتهم، فلما فرغوا منها قلت: يا خوند[1]، فرغت الختمة، فقال: يقرأون أخرى فقرأوها، فلما فرغوها أعلمته.

قال: وا لك السما ثلاثة والأرض ثلاثة والأيام ثلاثة والمعادن ثلاثة وكل ما في الدنيا ثلاثة ثلاثة، يقرأون أخرى فقلت: اقرأوها واحمدوا الله على أنه ما علم أن هذه الأشياء سبعة سبعة، فلما فرغوا الثالثة وقد هلكوا من صراخهم قال: دعهم عندك في الترسيم إلى بكرة وروح اكتب عليهم حجة بالقسامة الشريفة بالله تعالى وبنعمة السلطان أن ثواب هذه الختمات لمولانا السلطان الملك المنصور، ففعلت ذلك وجئت إليه بالحجة فقال: هذا جيد أصح الله أبدانكم، وصرف لهم أجرتهم.

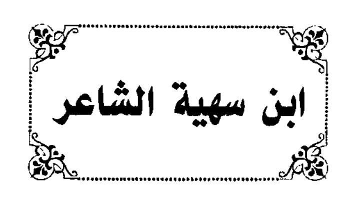
وله عنه حكايات كثيرة كان يحكيها عنه تدل على تغفل كثير.

توفي في ذو الحجة سنة إحدى وسبعمائة[2].

---

(١) هي لفظة تعظيم معناها: يا رئيس.

(٢) الوافي بالوفيات: ٨/ ٣٣٨، ٣٣٩.



ابن سهية الشاعر

أرطأة بن زفر بن عبد الله من غطفان، وكنيته أبو الوليد، عاش مائة وثلاثين سنة.

[٥٤٠] دخل على عبد الملك فقال له: ما بقي من شعرك؟ فأنشد:

رأيت المرء تأكله الليالي ... كأكل الأرض ساقطة الحديد

وما تبغي المنية حين تأتي ... على نفس ابن آدم من مزيد

وأعلم أنها ستكر حتى ... توفي نذرها بأبي الوليد

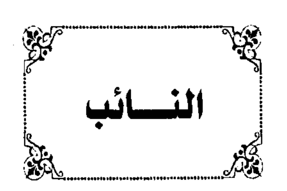
فارتاع عبد الملك؛ لأنه كان يكنى أبا الوليد، فقال أرطأة: يا أمير المؤمنين إنما عنيت نفسي، فقال عبد الملك: وأنا والله سيمر بي ما مر بك.

توفي أرطأة سنة ست وثمانين للهجرة، كذا قاله سبط ابن الجوزي.

[٥٤١] وقال صاحب الأغاني: أرطأة بن عبد الله بن مالك الذبياني، شاعر فصيح إسلامي جواد كان يقال له: ابن سهية، دخل على عبد الملك ابن مروان فقال له: كيف حالك؟ فقال: ضعفت أوصالي وضاع مالي وقل منِّي ما كنت أحب كثرته وكثر ما كنت أحب قلته، قال: فكيف أنت في شعرك؟ قال: والله يا أمير المؤمنين ما أطرب ولا أغضب ولا أرغب ولا أرهب، وما يكون الشعر إلا من هذه النتائج الأربع على أني القائل: رأيت المرء تأكله الليالي... (الأبيات)[1].

---

(١) الوافي بالوفيات: ٨/ ٣٤٨،٣٤٩.



أرغون الأمير سيف الدين الناصري، نائب الممالك الإسلامية.

اشتراه الملك المنصور سيف الدين قلاوون لولده الملك الناصر فربي معه وألف به، وولاه السلطان الملك الناصر النيابة بمصر، وكان رئيساً كبيراً في بيت أستاذه يخضع له الكبار ويقولون بمقالته، وكان تركيّاً فصيحاً مليح الشكل أنبل الناصرية وأميزهم.

[٥٤٢] تفقه لأبي حنيفة وأذنوا له بالإفتاء، قال لي الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس: كان يعرف مذهب أبي حنيفة ودقائقه ويقصر فهمه في الحساب إلى الغاية، وسمع البخاري من ابن الشحنة بقراءة فتح الدين وكتبه بخطه في مجلدة واحدة في الليل على ضوء القنديل، واقتنى الكتب الكثيرة وغوي بها وحصل منها جملة كبيرة إلى الغاية، حكي لي أنه لما كان في حلب وسمع بموت قجليس الناصري جهز إلى مصر في البريد مبلغ ألفي دينار لمشتري كتب من تركته، وجهز إلى بغداد.

استنسخ فتاوى ابن قاضي خان، وعلم الناس رغبته فيها فجبيت إليه ثمراتها من كل فج، ولما حضر إلى دمشق متوجهاً إلى حلب صلى خلف الشيخ نجم الدين القحفيزي إمام جامع الأمير سيف الدين تنكز -رحمه الله- وهو حنفي المذهب أنكر عليه تقدمه في المحراب وخروجه عن الصف؛ لأنه خلاف المذهب.

وحكى أنه بحث معه يوماً لما كان السلطان بدمشق ولم يكن إذا ذاك نائباً فقال له الشيخ نجم الدين: أنت ما تبحث إلا بالصدر، حتى يجيء

صدر الدين وأبحث معك، لأن أرغون كان يحب صدر الدين ابن الوكيل ويؤثره، وكان له حنو زائد على الشيخ أثير الدين أبي حيان وعلى الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس، وخلص لهم المدارس.

[٥٤٣] وكان فهماً يقظاً ناب في المملكة بمصر زماناً في سنة إحدى عشرة تقريباً إلى سنة سبع وعشرين وسبعمائة وتوجه إلى الحجاز سنة ست وعشرين، فلما غاب عمل عليه القاضي فخر الدين ناظر الجيش؛ لأنه كان يكرهه فما حضر إلا وقد تغير عليه السلطان، ولما أراد الدخول إليه خرج إليه بكتمر الساقي وتركه عنده في البيت ثلاثة أيام وقد أخذ سيفه، ثم إنه أخرجه مع الأمير سيف الدين أيتمش إلى حلب نائباً وجهز قبله أُلجاي الدوادار، فساق في يومين وثلاث ليال إلى حلب.

فأقام بحلب نائباً مدة، ثم إنه أحضره السلطان إلى مصر فأقام عنده أياماً، ولما رآه بكيا طويلاً ثم أعاده إلى محل نيابته، ولم يزل بها إلى أن مات بحلب في أوائل سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة في ربيع الأول.

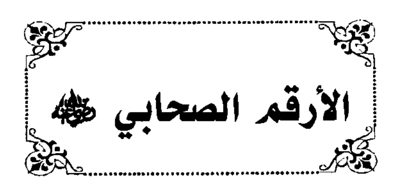
[٥٤٤] ومدة نيابته بها لم يسفك بها دماً ولا قطع سارقاً؛ لأنه كان رحيماً رقيق القلب لا يعاقب على زلة(١)، ولما كان بمصر كان يصد السلطان ويمنعه عن أشياء يرومها.

[٥٤٥] ولما عزم على إيصال نهر الساجور إلى حلب قيل له إن أحداً ما تحرك في أمره إلا ومات؛ ولذلك لم يتحرك فيه قراسنقر ولا الطباخي، ولما تحرك فيه سودي مات وما دخل البلد، فقال: أنا أكون فداء المسلمين، وأقام شخصاً من جهته اسمه أرغون، فلما وصل النهر أصابه ألم عظيم

---

(١) هذه الرحمه لاتجوز؛ لأن فيها تعطيلاً للحدود.

طول به وجهز إليه السلطان طبيبه صلاح الدين ابن البرهان فلم يصل إلى دمشق حتى مات-رحمه الله تعالى- ودفن بتربة اشتريت له بحلب، وكان له من العمر بضع وأربعون سنة[1].



الأرقم الصحابي ﷺ

الأرقم بن أبي الأرقم بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، واسم أبي الأرقم عبد مناف، والأرقم من الطبقة الأولى من المهاجرين الأولين من كبار الصحابة.

أسلم بعد سبعة وكان سبع الإسلام، وقيل بعد عشرة، واستخفى رسول الله ﷺ في داره من قريش، وداره بمكة على الصفا، وكان قد أسلم فيها جماعة؛ لأن رسول الله ﷺ كان يدعو إلى الله فيها، والأرقم صاحب حلف الفضول، وهاجر إلى المدينة وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وأسلم في داره حمزة وعمر-رضي الله عنهما- وأعيان الصحابة.

وتصدق الأرقم بهذه الدار على ولده، ولم تزل في أيدي ولده إلى زمن أبي جعفر، وكان إذا حج ينظر إليها في طوافه وسعيه، فلما نزل محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بالمدينة كان عمار بن عبيد الله بن الأرقم فيمن بايعه ولم يخرج معه، فتعلق عليه أبو جعفر بذلك وكتب إلى عامله بالمدينة فكبله بالحديد وحبسه حتى باعه نصيبه منها بمائة ألف درهم، ثم تتبع إخوته حتى اشترى الجميع ووهبها لابنه المهدي ووهبها المهدي للخيزران أم موسى وهارون، فعرفت بها وقيل دار الخيزران فبنت بها

---

(١) الوافي بالوفيات: ٨/ ٣٥٨- ٣٦٠.

مسجداً وانتقلت إلى جعفر بن موسى الهادي، ثم بعدُ اشتراها غسان بن عباد من ولد جعفر بن موسى.

توفي الأرقم سنة خمس وخمسين من الهجرة، وقيل سنة ثلاث وله بضع وثمانون سنة[1].



أزهر السمان

أزهر بن سعد السمان الباهلي بالولاء البصري.

روى عن حميد الطويل، وروى عنه أهل العراق.

[٥٤٦] كان يصحب المنصور قبل أن يلي الخلافة، فلما وليها جاءه أزهر مهنئاً بالخلافة فحجبه المنصور فترصد له يوم جلوسه العام وسلم عليه فقال له المنصور: ما جاء بك؟ قال: جئت مهنئاً بالأمر.

فقال المنصور: أعطوه ألف دينار وقولوا له: قد قضيت وظيفة الهناء فلا تعد، فمضى وعاد في قابل فحجبه فدخل عليه في مثل ذلك المجلس وسلم عليه، فقال: ما جاء بك؟

قال: سمعت أنك مرضت فجئت عائداً، فقال: أعطوه ألف دينار، وقد قضيت وظيفة العيادة فلا تعد إليَّ فإني قليل الأمراض.

فمضى وعاد في قابل، فقال له في مثل ذلك المجلس: ما جاء بك؟ قال: سمعت منك دعاء فجئت لأتعلمه منك.

---

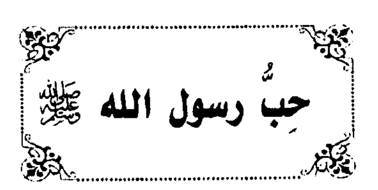
(١) الوافي بالوفيات: ٨/ ٣٦٣، ٣٦٤.

فقال له: يا هذا إنه غير مستجاب، إني دعوت به في كل سنة ألاَّ تأتيني وأنت تأتي.

له وقائع وحكايات مأثورة.

توفي سنة ثلاث ومائتين، وقيل سنة سبع.

وكان ثقة نبيلاً عمَّر أربعاً وتسعين سنة، وروى عنه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي[1].



حِبُّ رسول الله ﷺ

أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي أبو زيد وقيل: أبو محمد، حِبُّ رسول الله ﷺ وابن حبِّه ومولاه، قال: كان النبي ﷺ يأخذني والحسن ويقول: **«اللهم إني أحبهما فأحبهما»**، وأمه أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته.

[٥٤٧] وكان أسود كالليل وكان أبوه أبيض أشقر، قال إبراهيم بن سعد، قالت عائشة رضي الله عنها: دخل مُجَزِّز المدلجي القائف على رسول الله ﷺ فرأى أسامة وزيداً وعليهما قطيفة قد غطيا رؤسهما وبدت أقدامهما فقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض، فسر النبي ﷺ وأعجبه ذلك.

وتوفي سنة أربع وخمسين للهجرة على الصحيح، روى عنه الجماعة كلهم.

وبعث رسول الله ﷺ أسامة في جيش فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فطعن الناس فيه؛ لأنه كان ابن مولى ولم يبلغ عشرين سنة، وبلغ رسول الله ﷺ وهو في

---

(١) الوافي بالوفيات: ٨/ ٣٧٢.

مرضه وصعد المنبر (الحديث).

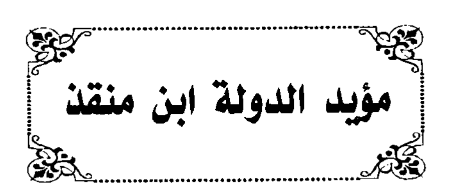
[٥٤٨] وكان رسول الله ﷺ يمسح الومص من عينيه، وقالت عائشة- ﵂-: عثر أسامة على عتبة الباب-أو أسكفة الباب- فشج وجهه فقال رسول الله ﷺ **«يا عائشة أميطي عنه الدم»**، قالت: فتقذرته، فجعل رسول الله ﷺ يمص شجته ويمجه ويقول: **«لوكان أسامة جارية لكسوته وحليته حتى أنفّقه»**.

سكن بعد النبي ﷺ وادي القرى ثم رجع إلى المدينة، فمات بالجرف في آخر خلافة معاوية سنة ثمان أو سنة تسع وخمسين للهجرة.

[٥٤٩] حدث حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه أن النبي ﷺ أخَّر الإفاضة من عرفة من أجل أسامة بن زيد ينتظره، فجاء غلام أسود أفطس، فقال أهل اليمن: إنما حبسنا من أجل هذا، قال: فلذلك كفر أهل اليمن من أجل هذا، قال يزيد بن هارون: يعني ردتهم أيام أبي بكر.

[٥٥٠] وفرض عمر بن الخطاب لأسامة بن زيد خمسة آلاف ولابن عمر ألفين، فقال ابن عمر: فضلت علي أسامة وقد شهدت ما لم يشهد فقال: إن أسامة كان أحب إلى رسول الله ﷺ منك، وأبوه كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك[1].

(١) الوافي بالوفيات: ٨/ ٣٧٣-٣٧٥.



مؤيد الدولة ابن منقذ

أسامة بن مرشد بن علي ينتهي إلى قحطان، مجد الدين، مؤيـد الدولـة أبو المظفر.

ولد سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وتوفي سنة أربع وثمانين وخمسمائة، ودفن بدمشق بجبل قاسيون.

وفي بيته بني منقذ جماعة فضلاء، لم يزل بنو منقذ مالكين حصن شـيزر معتصمين بحصانتها حتى جاءت الزلزلة سنة نيف وخمسين فخرب حصنها وذهب حسنها، وتملكها نور الدين الشهيد عليهم، وأعاد بناءهـا فتـشعبوا شعباً، وتفرقوا أيدي سبا، وكان هذا الأمير -مجـد الـدين- مـن أكـابر بـني منقذ وشجعانهم وعلمائهم.

له تصانيف عديدة في فنون الأدب، وسكن دمشق مـدة، ثـم نبـت بـه كما تنبو الديار بالكريم فانتقـل إلى مـصر، فبقـى بهـا مـؤمراً مـشاراً إليـه بالتعظيم، وكان قدومه أيام الظـافر ابـن الحـافظ، والـوزير يـوم ذاك ابـن السلار العادل فأحسن إليه، ولم يزل إلى أيام الصالح ابن رزيـك، ثـم عـاد إلى دمشق وسكنها، ثم رماه الزمان إلى حصن كيفـا فأقـام بـه حتـى ملـك السلطان صلاح الدين دمشق فاستدعاه وهو شيخ قد جاوز الثمانين.

وروى عنه ابن عـساكر وأبـو سـعد الـسمعاني، وأبـو المواهـب ابـن صصرى والحافظ عبد الغني وولده الأمير أبو الفوارس مرهف.

[٥٥١] وملكت نسختين بديوانه وهما بخط يده نقلت من أحدهما في ضرس قلعه وهو مشهور:

وصاحبٍ لا أمل الدهر صحبته   يشقى لنفعي ويسعى سعي مجتهد
لم ألقه مذ تصاحبنا فمذ وقعت   عيني عليه افترقنا فرقة الأبد

[٥٥٢] ونقلت منه قوله:

وما أشكو تلون أهل ودي   ولو أَجْدَتْ شَكِيَّتُهم شكيتُ
مللت عتابهم ويئست منهم   فما أرجوهمُ فيمن رجوت
إذا أدمت قوارصهم فؤادي   صبرت على الأذية وانطويت
وجئت إليهمُ طَلْقَ المحيا   كأني لا سمعت ولا رأيت
تجنوا لي ذنوباً ما جنتها   يداي ولا أمرت ولا نهيت
ولا والله ما أضمرت غدراً   كما قد أظهروه ولا نويت
ويوم الحشر موعدنا وتبدو   صحيفة ما جنوه وما جنيت

[٥٥٣] قال العماد الكاتب: وأنشدني له في نور الدين الشهيد:

سلطاننا زاهد والناس قد زهدوا   له فكل على الخيرات منكمش
أيامه مثل شهر الصوم خالية   من المعاصي وفيها الجوع والعطش[١]

[٥٥٤] وله القصيدة الميمية التي كتبها من مصر إلى دمشق في أيام بني الصوفي وضمنها كثيراً من قصيدة المتنبي وهي:

وُلُّوا فلما رجونا عدلهم ظلموا   فليتهم حكموا فينا بما علموا
ما مر يوماً بفكري ما يريبهم   ولا سعت بي إلى ما ساءهم قدم[٢]

---

(١) يعرِّض بما يُظن من بخل نور الدين، وحاشاه فقد كان لاينفق إلا في الحق والخير، أحسبه كذلك والله تعالى حسيبه.

(٢) الوافي بالوفيات: ٨/ ٣٧٨-٣٨١.



إسحاق النديم

إسحاق بن إبراهيم بن ميمون الموصلي النديم المشهور صاحب الغناء، كنيته أبو محمد، وكان الرشيد إذا أراد أن يولع به كناه أبا صفوان.

[٥٥٥] كان له نظراء في علومه وأما الغناء فلم يكن له فيه نظير، سبق الأولين وقصر عنه المتأخرون، وكان أكره الناس للغناء والتسمي به ويقول: وددت أن أُضْرَبَ كلما أراد مني من يندبني أن أغَني وكلما قال قائل إسحاق الموصلي المغني عشر مقارع، لا أطيق أكثر من هذا، وأُعفى من الغناء والنسبة إليه.

وكان المأمون يقول: لولا ما سبق لإسحاق على ألسنة الناس وشهر به من الغناء عندهم لوليته القضاء بحضرتي؛ فإنه أولى به وأحق وأعف وأصدق تديناً وأمانة من هؤلاء القضاة.

[٥٥٦] وحدث المرزباني عن محمد بن عطية الشاعر قال:

كنت عند يحيى بن أكثم في مجلس له يجتمع إليه فيه أهل العلم وحضره إسحاق فجعل يناظر أهل الكلام حتى انتصف منهم، ثم تكلم في الفقه فأحسن واحتج، ثم تكلم في الشعر واللغة ففاق من حضر، فأقبل على يحيى بن أكثم وقال: أعز الله القاضي أفي شيء مما ناظرت فيه تقصير؟

قال: لا والله.

قال: فما بالي أقوم بسائر العلوم قيام أهلها وأنسب إلى فن واحد قد اقتصر الناس عليه؟ قال العطوي: فالتفت إليّ يحيى بن أكثم وقال:

جوابه في هذا عليك، وكان العطوي من أهل الجدل والكلام، فالتفت إلى إسحاق وقلت: أخبرني يا أبا محمد: إذا قيل: من أعلم الناس بالشعر واللغة أيقولون إسحاق أم الأصمعي وأبو عبيدة؟ قال: بل الأصمعي وأبو عبيدة.

قال: فإن قيل: من أعلم الناس بالنحو أيقولون إسحاق أم الخليل وسيبويه؟ قال: بل الخليل وسيبويه.

قال: فإن قيل: من أعلم الناس بالأنساب أيقولون إسحاق أم ابن الكلبي؟ قال: بل ابن الكلبي.

قال: فإن قيل: من أعلم الناس بالكلام أيقولون إسحاق أم أبو الهذيل والنظام؟ قال: بل أبو الهذيل والنظام.

قال: فإن قيل: من أعلم الناس بالفقه أيقولون إسحاق أم أبو حنيفة وأبو يوسف؟ قال: بل أبو حنيفة وأبو يوسف.

قال: فإن قيل: من أعلم الناس بالحديث أيقولون إسحاق أم علي بن المديني ويحيى بن معين؟ قال: بل علي بن المديني ويحيى بن معين.

قال: فإذا قيل: من أعلم الناس بالغناء أيجوز أن يقول قائل فلان أعلم من إسحاق؟ قال: لا، قلت: فمن ههنا نسبت إلى ما نسبت إليه؛ لأنه لا نظير لك فيه وأنت في غيره لك نظراء، فضحك وقام وانصرف، فقال يحيى بن أكثم: لقد وفيت الحجة وفيها ظلم قليل لإسحاق؛ لأنه ربما ماثل أو زاد على من فضلته عليه، وإنه ليقِلّ في الزمان نظيره.

[٥٥٧] وسأل إسحاق الموصلي المأمون أن يكون دخوله إليه مع أهل العلم والأدب لا مع المغنين وإذا أراد الغناء غناه، فأجابه إلى ذلك، ثم سأله بعد ذلك أن يكون دخوله مع الفقهاء فأذن له في ذلك فكان يدخل ويده في يد القضاة حتى يجلس بين يدي المأمون، ثم مضت على ذلك مدة فسأله لبس السواد يوم الجمعة والصلاة معه في المقصورة فضحك المأمون وقال: ولا كل هذا يا أبا إسحاق، وقد اشتريت منك هذه المسألة بمائة ألف درهم، وأمر له بها.

[٥٥٨] وقال الأصمعي: خرجت مع الرشيد إلى الرقة فلقيت إسحاق فقلت له: هل حملت شيئاً من كتبك؟ فقال: حملت ما خف، فقلت: كم مقداره؟ قال: ثمانية عشر صندوقاً، فعجبت وقلت: إذا كان هذا ما خف فكيف يكون ما ثقل؟ فقال: أضعاف ذلك.

وقال إبراهيم الحربي: كان ثقة عالماً، وقال الخطيب: كان حلو النادرة حسن المعرفة جيد الشعر مذكوراً بالسخاء له «كتاب الأغاني» الذي رواه عنه ابن حماد.

سمع من مالك وهشيم وسفيان بن عيينة وبقية وأبي معاوية والأصمعي وجماعة، وكان ابن الأعرابي يصف إسحاق بالعلم والصدق والحفظ.

[٥٥٩] وقال إسحاق: رأيت كأن جريراً ناولني كبة شعر فأدخلتها في فمي فقال العابر: هذا رجل يقول من الشعر ما شاء.

نادم إسحاق جماعة من الخلفاء.

[٥٦٠] وكان له غلام يستقي الماء لأهل بيته فقال له يوماً: ليس في هذا البيت أشقى منك ومني: أنت تطعمهم الخبز وأنا أسقيهم الماء، فضحك وأعتقه.

[٥٦١] حدثت شهوات جارية إسحاق التي كان أهداها إلى الواثق أن محمد الأمين لما غناه إسحاق لحنه في شعره:

يا أيها القائم الأمين فدت نفسك نفسي بالأهل والولد

بسطت للناس إذ وليتهم يداً من الجود فوق كل يد

فأمر له بألف ألف درهم فأُريتها وقد أدخلت إلى دارنا يحملها مائة فراش.

[٥٦٢] وحدث إسحاق قال: ذكر المعتصم يوماً وأنا بحضرته بعض أصحابه وقد غاب عنه فقالوا: تعالوا حتى نقول ما يصنع في هذا الوقت، فقالوا كذا، وقالوا كذا، فبلغت النوبة إليَّ، فقال: قل يا إسحاق.

قلت: إذاً أقول فأصيب.

قال: أتعلم الغيب؟

قلت: لا ولكني أفهم ما يصنع وأقدر على معرفته، قال: فإن لم تصب؟ قلت: فإن أصبت؟ قال: لك حكمك، وإن لم تصب؟ قلت: لك دمي.

قال: وجب.

قلت: وجب.

قال: فقل، قلت: يتنفس، قال: فإن كان ميتاً؟ قلت: تحفظ الساعة التي تكلمت فيها، فإن مات قبلها أو فيها فقد قمرتني، قال: أنصفت، قلت: فالحكم، قال: احتكم ما شئت، قلت: ما أحتكم إلا رضاك يا أمير المؤمنين، قال: إن رضاي لك، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم، أترى مزيداً؟

قلت: ما أولاك يا أمير المؤمنين بذاك.

قال: فإنها مائتا ألف، أترى مزيداً؟

قلت: ما أحوجني لذلك.

قال: ثلاثمائة ألف. أترى مزيداً؟

قلت: ما أولاك بذاك يا أمير المؤمنين.

فقال: يا صفيق الوجه ما نزيد على هذا.

[٥٦٣] وحدث إسحاق قال: ما وصلني أحد من الخلفاء بمثل ما وصلني به الواثق ولا كان أحد يكرمني إكرامه، ولقد غنيته:

لعلك إن طالت حياتك أن ترى بلاداً لها مبدى لليلى ومحضر

فاستعاده مني جمعة لا يشرب على غيره، ثم وصلني بثلاثمائة ألف درهم.

وما وصل إلى أحد من الخلفاء والبرامكة وغيرهم ما وصل إلى إسحاق، وأخباره في «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني مطولة جدّاً.

[٥٦٤] وله أشعار رائقة، منها قوله:

إذا كانت الأحرار أصلي ومنصبي ودافع ضيمي خازم وابن خازم

عطست بأنف شامخ وتناولت ... يداي الثريا قاعداً غير قائم

[٥٦٥] وقوله:

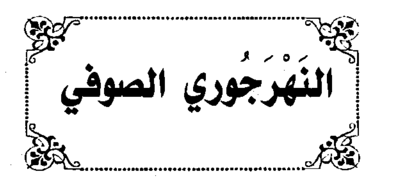
حننت إلى أُصَيْبية صغار ... وشاقك منهم قرب المزار

وأبرح ما يكون الشوق يوماً ... إذا دنت الديار من الديار

وأشعاره كثيرة مذكورة في الأغاني، ومولده سنة خمسين ومائة أو بعدها، وتوفي سنة خمس وثلاثين ومائتين.

[٥٦٦] وكان إسحاق قد سأل الله - تعالى- ألا يميته بعلة القُولَنج لما رأى ما لاقى منه أبوه إبراهيم؛ لأنه مات به، فرأى في منامه: قد أجيبت دعوتك ولست تموت بالقولنج[1] بل بغيره بل بضده، فأخذه لما مات الذرب[2].

وكان يتصدق عن كل يوم يعجز فيه عن الصلاة بمائة درهم[3].



النَهْرَجُوري الصوفي

إسحاق بن محمد أبو يعقوب النهرجوري من كبار مشايخ الصوفية وعلمائهم.

جاور بمكة سنين كثيرة ومات بها سنة ثلاثين وثلاثمائة.

---

(١) القُولنج: مرض معوي يؤلم يصعب معه خروج البراز والريح، وسببه التهاب القولون: انظر((المعجم الوسيط)): قولنج.

(٢) الذَرَب: فساد المعدة.

(٣) الوافي بالوفيات: ٨/ ٣٨٨- ٣٩٢.

[٥٦٧] من كلامه: مفاوز الدنيا تقطع بالأقدام، ومفاوز الآخرة تقطع بالقلوب.

[٥٦٨] وقال: العابد يعبد الله -تعالى- تخويفاً، والعارف يعبده تشريفاً.

[٥٦٩] وقال: احترزوا من الناس بسوء الظن بأنفسكم لا بالناس.

[٥٧٠] وقال: من كان شبعه بالطعام لم يزل جائعاً، ومن كان غناه بالمال لم يزل فقيراً، ومن قصد بحاجته الخلق لم يزل محروماً، ومن استعان على أمره بغير الله لم يزل مخذولاً.

[٥٧١] وقال: الدنيا بحر والآخرة ساحل، والتقوى هي المركب والناس سفرٌ.

[٥٧٢] وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾[1]: لو جعلوا ثمنه الكونين لكان بخساً في جنب مشاهدته.

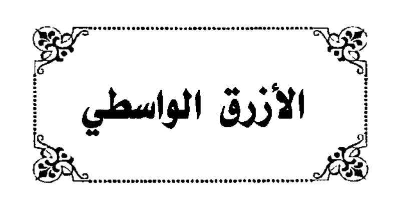
[٥٧٣] ولما كان في النزع قيل له: قل: لا إله إلا الله، فقال: إياي تعني؟ وعزة من لا يذوق الموت ما بقي بيني وبينه إلا حجاب العزة، ثم طفئ من وقته.

وكان النهرجوري قد صحب سهلاً التستري والجنيد، رحمهم الله تعالى[2].

---

(١) سورة يوسف: ٢٠.

(٢) الوافي بالوفيات: ٨/ ٤٢٣، ٤٢٤.



إسحاق بن يوسف بن محمد، أبو محمد الأزرق الواسطي.

[٥٧٤] كان من الثقات العابدين، مكث عشرين سنة لم يرفع رأسه إلى السماء حياء من الله.

روى عنه خلق كثير.

[٥٧٥] قالت له أمه: يا بني قد عزمت على الحج وقد بلغني أن بالكوفة رجلاً يستخف بأصحاب الحديث، فأسألك بحقي عليك ألاَّ تسمع منه شيئاً، قال إسحاق: فدخلت الكوفة فإذا الأعمش قاعد وحده، فوقفت على باب المسجد وقلت: أمي والأعمش؟! وقد قال النبي ﷺ: **«طلب العلم فريضة على كل مسلم»**، فدخلت المسجد وسلمت عليه فقلت: يا أبا محمد حدثني فإني رجل غريب، فقال: من أين أنت؟

قلت: أنا من واسط.

قال: وما اسمك؟

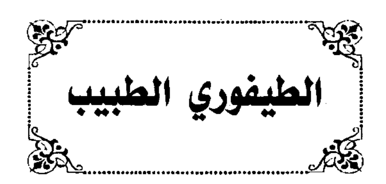
قلت: إسحاق بن يوسف الأزرق.

قال: فلا حييت ولا حييت أمك، أليس حرمت عليك ألاَّ تسمع مني شيئاً؟

قلت: يا أبا محمد، ليس كل ما بلغك يكون حقاً.

قال: لأحدثنك بحديثٍ ما حدثت به أحداً قبلك، فحدثني عن أبي أوفى، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«الخوارج كلاب النار»**.

توفي إسحاق سنة خمس وتسعين ومائة[1].



الطيفوري الطبيب

إسرائيل بن زكرياء الطيفوري، كان طبيب الفتح بن خاقان، جليل القدر عند الخلفاء والملوك، وكان المتوكل يرى له كثيراً ويعتمد عليه.

[٥٧٦] قال إسحاق بن علي الرهاوي في كتاب: «أدب الطبيب»:

لما احتجم المتوكل بغير إذن إسرائيل وجد عليه، فاشترى غضبه بثلاثة آلاف دينار وضيعة تغل له في السنة خمسين ألف درهم وهبها له وسجل له عليها، وكان متى ركب إلى دار المتوكل يكون موكبه مثل موكب الأمراء وأجلاء القُوَّاد وبين يديه أصحاب المقارع، وأقطعه المتوكل قطيعة بسر من رأى، وأمر صقلاب وابن الجيري بأن يركبا معه ويدور جميع سر من رأى حتى يختار المكان الذي يريده، فركبا بين يديه، واختار من الحيز خمسين ألف ذراع، ودفع إليه ثلاثمائة ألف درهم للنفقة عليه[2].

---

(١) الوافي بالوفيات: ٨/ ٤٣١.

(٢) الوافي بالوفيات: ٩/ ١١، ١٢.

ابن منصور النحوي

أسعد بن نصر بن الأسعد العبرتي النحوي من أهل باب الأزج[1]. كانت له معرفة تامة بالأدب، قرأ النحو واللغة وتصدر للإقراء، توفي سنة تسع وثمانين وخمسمائة.

[٥٧٧] ومن شعره:

تفــتر عــن ثغرهــا فيبــدو ... منابــت الــدر في العقيــق

يرشــف مــن فوقــه رضــاب ... ألــذ طعمــاً مــن الرحيــق

تــسترت بالنقــاب كــيلا ... تقتــل مَــنْ مَــرّ في الطريــق

وكيــف يخفــي النقــاب منهــا ... شمــساً تبــدت لــدى الــشروق

[٥٧٨] ومنه أيضاً (من الرمل):

قــل لمــن يــشكو زمانــاً ... حــاد عمــا يرتجيــه

لا تــضيقن إذا جــا ... ء بمــا لا تــشتهيه

ومتــى نابــك دهــر ... حالــت الأحــوال فيــه

فــوض الأمــر إلى اللــ ... ـه تجــد مــا تبتغيــه

وإذا علقــت آمــا ... لــك فيــه ببنيــه

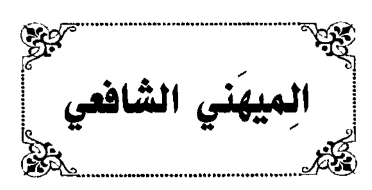
حــرت في قــصدك حتــى ... قيــل: مــا ذا بنبيــه[2]

---

(١) أي بغداد.

(٢) أي ليس هذا بنبيه.

قلت: شعر جيد[١].



المِيهَني الشافعي

أسعد بن أبي نصر بن أبي الفضل العمري، أبو الفتح الميهني الفقيه الشافعي.

كان من الأئمة الكبار فضلاً ونبلاً، وله «التعليقة» المشهورة، سكن بغداد مدة ودرس بالنظامية، وعزل عن التدريس ثم أعيد إليه، تفقه بمرو ثم رحل إلى غزنة واشتهر بتلك الديار وشاع فضله.

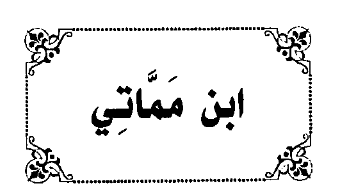
اشتغل الناس عليه وانتفعوا بطريقته الخلافية، وتوفي بهمذان سنة سبع وعشرين وخمسمائة.

[٥٧٩] وكان يخدمه فقيه من أهل قزوين، قال: كنا معه في بيت لما أن قرب أجله، فقال لنا: اخرجوا من هنا، فخرجنا، فوقفت على الباب فسمعته يلطم وجهه ويقول: يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله، وجعل يبكي ويلطم وجهه ويرددها إلى أن مات[٢].

---

(١) الوافي بالوفيات: ٩/ ١٦، ١٧.

(٢) الوافي بالوفيات: ٩/ ١٧، ١٨.



ابن مَمَّاتِي

أسعد أبو المكارم ابن الخطير أبي سعيد مهذب بن مثنا، الكاتب الشاعر.

كان ناظر الدواوين بالديار المصرية، وفيه فضائل وله مصنفات عديدة.

كان أحد رؤساء الأعيان، وأصله من نصارى أسيوط قدموا مصر وخدموا بها وولوا الولايات.

[٥٨٠] قال الوزير جمال الدين القفطي:

بلغني أن بعض تجار الهند قدم إلى مصر ومعه سمكة مصنوعة من عنبر قد تأنق فيها وطيبت ورصعت بالجواهر، فعرضها على بدر الجمالي فسامها من صاحبها، فقال: لا أنقصها من ألف دينار شيئاً، فأعيدت إلى تاجرها، فقال له أبو المليح: أرني هذه السمكة فرآها فطلب بيعها، فقال: لا أنقصها من ألف دينار شيئاً، فوزن له فيها الألف دينار وتركها عنده، فاتفق أن شرب يوماً فقال لندمائه:

قد اشتهيت سمكاً، هاتم المقلى والنار حتى نقليه بحضرتنا، فجاؤوه بمقلى حديد وفحم، وجاء بتلك السمكة العنبر فوضعها في المقلى فجعلت تتقلى وتفوح روائحها حتى لم يبق بمصر دار إلا دخلها تلك الرائحة، وكان بدر الجمالي جالساً وتزايدت الروائح فاستعدى خُزَّانه وأمرهم بفتح خزائنه وتفتيشها خوفاً من حريق يكون قد وقع فيها، فوجدوها سالمة، فقال:

ويحكم، انظروا ما هذا! فتتبعوا ذلك حتى وقفوا على حقيقة الخبر فأعلموه بذلك، فقال: هذا النصراني الفاعل الصانع أكل أموالي واستبد

بالدنيا دوني، فلما كان من الغد دخل عليه فقال له: ويلك، أستعظم - وأنا ملك- شِرى سمكة بألف دينار وأتركها وتشتريها أنت!! ولم يكفك ذلك حتى تقليها وتذهبها ضياعاً في ساعة واحدة وهي بألف دينار مصرية، ما فعلت هذا إلا وقد نقلت بيت مالي إليك.

فقال: والله ما فعلت هذا إلا محبة لك وغيرة عليك، فإنك اليوم سلطان نصف الدنيا، وهذه السمكة لا يشتريها إلا ملك فخفت أن يذهب بها إلى بعض الملوك ويخبره أنك استعظمتها ولم تشترها، فأردت عكس الأمر عليه وأعلمته أنك لم تتركها إلا احتقاراً لها، ولم يكن لها عندك مقدار، وأن كاتباً نصرانيّاً من كتابك اشتراها وأحرقها، فيشيع ذكرك ويعظم عند الملوك قدرك، فاستحسن بدر ذلك منه وأمر له بضعفي ثمنها وزاد في رزقه.

[٥٨١] وأما المهذب والده الخطير-وكان كاتب الجيش بمصر أواخر دولة الفاطميين- فقصده الكتّاب وجعلوا له حديثاً[1] عند صلاح الدين أو عمه أسد الدين، فخاف المهذب، فجمع أولاده ودخل على السلطان وأسلموا على يده، فقبلهم وأحسن إليهم وزاد في ولاياتهم، وجب الإسلام ما قبله، فقال ابن الذروي (من الكامل):

لم يُسلم الشيخ الخطيـ	ـر لرغبة في دين أحمد
بل ظن أن محاله	يُبقي له الديوان سرمد
والآن قد صرفوه عنـ	ـه فدينه بالعود أحمد

---

(١) لعل المعنى أنهم وشوا به إلى صلاح الدين أنه كان كاتب العبيديين الفاطميين الذين أسقط صلاح الدين رحمه الله دولتهم.

قال ياقوت: ووجد بخط ابن مماتي: (من الكامل):

صـــــح التمثـــــل في قديـــــــــ ـــــم الـــدهر أن العـــود أحمـــد

[٥٨٢] وكان الخطير يوماً جالساً في ديوانه في حجرة موسومة بديوان الجيش من قصر السلطان بمصر، وكان بها رخام وتنميق، فجاءه قوم وأقاموه، فقال: ما الخبر؟

فقالوا: قد تقدم الملك العادل بأخذ رخام هذه الحجرة، فخرج منكسفاً وقال: استجيبت فينا دعوة، وما أظنني أجلس في ديوان بعدها، أما سمعتم إذا بالغوا في الدعاء علينا قالوا: خرب الله ديوانه، وما بعد الخراب إلا اليباب، ثم دخل منزله وحم فلم يخرج منه إلا ميتاً، فلما مات خلفه ابنه الأسعد صاحب الترجمة.

[٥٨٣] وأما أسعد المذكور فإنه خلف أباه الخطير على ديوان الجيش وتصدر فيه مدة طويلة، واختص بصحبة القاضي الفاضل ونفق عليه وحظي عنده، فقام بأمره ونبه على قدره، وصنف له عدة تصانيف باسمه، ولم يزل على ذلك إلى أن ملك العادل ابن أيوب مصر، وكان في نفس الصاحب صفي الدين بن شكر من أسعد؛ لأنه وقعت منه إهانة في حقه فحقدها عليه، ولما ورد ابن شكر إلى القاهرة أقبل على ابن مماتي المذكور إقبالاً عظيماً وأقره على وظائفه وتركه على ذلك سنة، ثم عمل له المؤامرات ووضع له المحالات وأكثر فيه التأويلات، ولم يلتفت إلى أعذاره، ونكبه نكبة قبيحة، وأحال عليه الأجناد فقصدوه وطالبوه واشتكوه إلى ابن شكر فحكمهم فيه، قال أسعد بن مماتي:

فآل أمري إلى أن علقت على باب داري في يوم واحد إحدى عشرة مرة، فلما رأوا أن لا وجه لي قالوا: تحيَّل ونجِّم هذا المال[1].

فقلت: أما المال فلم يبق عندي مال، ولكن إن أطلقت استجديت ممن يخافني ويرجوني، فنجموا عليّ المال وأطلقت فاستترت وقصدت القرافة وأخفيت نفسي في مقبرة الماذرائيين وأقمت بها سنة، وضاق الأمر علي فهربت إلى الشام على اجتهاد من الستر والخفاء، فلحقني في الطريق فارس مجدٌّ فسلَّم علي ودفع إلي كتاباً ففضضته وإذا هو من ابن شكر يقول فيه:

لا تحسب أن استتارك خفي علي فكانت أخبارك تأتيني كل يوم بيومه، وقد كنت في قبور الماذرائيين بالقرافة منذ يوم كذا واجتزت ورأيتك، ولما هربت الآن علمت خبرك ولم أرد ردك، ولو شئت رددتك، ولو علمت أنه بقي لك مال أو حال ما تركتك، ولم يكن ذنبك عندي ما أبلغ في مقابلته عدم روحك، وإنما كان مقصودي أن تعيش خائفاً فقيراً غريباً مهججاً في البلاد، فلا تظن أنك هربت مني بمكيدة خفيت علي، فاذهب إلى غير دعة الله، قال: وتركني القاصد وعاد فوقفت مبهوتاً إلى أن وصلت إلى حلب.

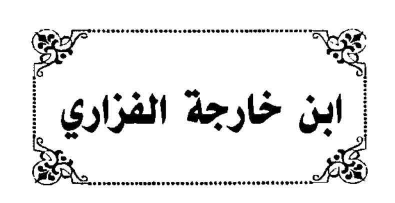
ولما وصل إلى حلب تلقاه الظاهر غازي بالإكرام، وأجرى عليه في كل شهر عشرة دنانير غير بر وألطاف، وأقام عنده على قدم العطلة من سنة أربع وستمائة إلى أن مات سنة ست وستمائة بحلب.

وإنما قيل لجده أبي المليح: «مماتي» لأنه وقع في مصر غلاء عظيم وكان كثير الصدقة والإطعام خصوصاً لصغار المسلمين، وكانوا إذا رأوه نادى كل واحد منهم «مماتي» فاشتهر به[2].

---

(١) أي ادفعه على أقساط.

(٢) الوافي بالوفيات: ٩/ ١٩- ٢٧.



ابن خارجة الفزاري

أسماء بن خارجة بن حصن الفزاري أحد الأجواد من الطبقة الأولى من التابعين من الكوفة، كنيته أبو حسان.

كان قد ساد الناس بمكارم الأخلاق.

[٥٨٤] حكى ابن عساكر قال: أتى الأخطل الشاعر إلى عبد الملك بن مروان في حمالات تحملها عن قومه فأبى أن يعطيه شيئاً، فسألها بشر بن مروان أخا عبد الملك، فقال له كما قال عبد الملك، فأتى أسماء بن خارجة فتحمل عنه الكل، فقال (من الوافر):

إذا ما مات خارجة بن حصن ... فلا مطرت على الأرض السماء

ولا رجع البشير بغنم جيش ... ولا حملت على الطهر النساء

فيوم منك خير من رجال ... كثير حولهم نَعَم وشاء

فبورك في بنيك وفي بنيهم ... وإن كثروا ونحن لك الفداء

وبلغ الشعر عبد الملك بن مروان فقال: عرض بنا الخبيث في شعره.

قلت: كذا رواه الرواة، فحذف المضاف وأبقى المضاف إليه، لأنه أراد أسماء بن خارجة، وماذا عليه لو كان قال: «إذا ما مات أسماء بن حصن»؟! فإن نسبته إلى جده أهون من حذف اسمه وإقامة اسم أبيه مقامه، فإن الإضافة إلى الأجداد أمر مشهور، على أنه كان يأتي بنوع من البديع وهو الجناس بين أسماء والسماء في قافية البيت.

[٥٨٥] وحكى أبو اليقظان قال: دخل أسماء بن خارجة على عبد الملك بن مروان فقال له: بم سدتَ الناس؟

فقال: هو من غيري أحسن.

فقال له: بلغني عنك خصال شريفة، وأنا أعزم عليك إلا ذكرت بعضها.

فقال: أما إذ عزمت علي فنعم.

فقال عبد الملك: هذه أولها.

فقال أسماء: ما سألني أحد حاجة إلا ورأيت له الفضل علي، ولا دعوت أحداً إلى طعام إلا ورأيت له المنة علي، ولا جلس إلي رجل إلا ورأيت له الفضل علي، ولا تقدمت جليساً بركبة قط، ولا قصدني قاصد في حاجة إلا وبالغت في قضائها، ولا شتمت أحداً قط لأنه إنما يشتمني أحد رجلين: إما كريم فكانت منه هفوة فأنا أحق بغفرها، وإما لئيم فأصون عرضي عنه.

فقال له عبد الملك: حُقَّ لك أن تكون سيداً.

[٥٨٦] وقال ابن الكلبي:

خرج أسماء في أيام الربيع إلى ظاهر الكوفة، فنزل في رياض مُعْشِبة وهناك رجل من بني عبس نازل، فلما رأى قباب أسماء وأبنيته قوض أبنتيه ليرحل، فقال له أسماء: ما شأنك؟

فقال: لي كلب هو أحب إلي من ولدي وأخاف أن يؤذيكم فيقتله بعض غلمانكم.

فقال له: أقم وأنا ضامن لكلبك، ثم قال لغلمانه: إذا رأيتم كلبه قد ولغ في قدوري وقصاعي فلا تهيجوه! وأقام على ذلك مدة، ثم ارتحل أسماء، ونزل الروضة رجل من بني أسد وجاء الكلب على عادته فضربه الأسدي فقتله، فجاء العبسي إلى أسماء فقال له: أنت قتلت كلبي.

قال: وكيف؟

قال: عودته عادة ذهب يرومها من غيرك فقتل، فأمر له بمائة ناقة دية الكلب.

[٥٨٧] ولما أراد أسماء أن يهدي ابنته إلى زوجها قال لها: يا بنية كوني لزوجك أمة يكن لك عبداً، ولا تدني منه فيملك، ولا تتباعدي عنه فيتغير عليك، وكوني له كما قلت لأمك (من الطويل):

خذي العفو مني تستديمي مودتي ... ولا تنطقي في سَوْرتي حين أغضب[١]

فإني رأيت الحب في الصدر والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

[٥٨٨] وقال الرياشي: قال أسماء بن خارجة لامرأته: اخضبي لحيتي، فقالت: إلى كم ترقع منك ما خَلِق؟ فقال (من البسيط):

عيرتِني خَلَقاً أبديت جدته ... وهل رأيت جديداً لم يعد خلقا[٢]

كما لبست جديدي فالبسي خلقي ... فلا جديد لمن لم يلبس الخلقا

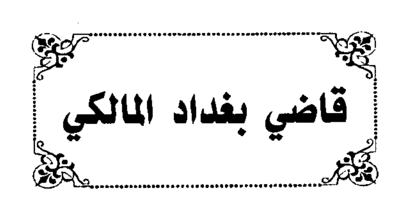
توفي وهو ابن ثمانين سنة في سنة ست وستين للهجرة[٣]

---

(١) السَّوّرة :شدة الغضب.

(٢) الخَلَق: القديم البالي.

(٣) الوافي بالوفيات: ٩/ ٥٩، ٦٠.



قاضي بغداد المالكي

إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل أبو إسحاق الأزدي، مولى آل جرير بن حازم من أهل البصرة.

توفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين فجأة -ومولده سنة مائتين- لبس سواده ليخرج إلى الجامع فيحكم ولبس أحد خفيه وأراد أن يلبس الآخر فمات، وهو قاضٍ على جانبي بغداد جميعاً.

وكان فاضلاً عالماً متفنناً فقيهاً على مذهب مالك، شرح مذهبه ولخصه واحتج له، وصنف «المسند» وكتباً عديدة في علوم القرآن وصنف موطأه و كتاباً في الرد على محمد بن الحسن نحو مائتي جزء لم يتم، و:«أحكام القرآن» لم يسبق إليه، و:«معاني القرآن».

وكان وافر الحرمة، ظاهر الحشمة، وكان أبو بكر بن مجاهد يصف كتابيه: «أحكام القرآن» و «القراءات» وقال مرات: القاضي إسماعيل أعلم مني بالتصريف.

وبلغ من العمر ما صار به واحداً في عصره في علو الإسناد، وكان الناس يصيرون إليه فيقتبس كل فريق علماً لا يشاركه فيه الآخر.

[٥٨٩] وتولى في خلافة المتوكل لما مات سوار بن عبد الله، ولم يعزله أحد من الخلفاء غير المهتدي، فإنه نقم على أخيه حماد بن إسحاق شيئاً فضربه بالسياط وعزل إسماعيل إلى أن قتل المهتدي وولي المعتمد فأعاده إلى القضاء.

ولم يزل على قضاء جانبي بغداد إلى أن مات، ولم يقلد قضاء القضاة؛ لأن الحسن بن أبي الشوارب كان قاضي القضاة وإقامته بسر من رأى.

ولما مات إسماعيل بقيت بغداد ثلاثة أشهر بغير قاض حتى ضج الناس ورفع الأمر إلى المعتضد، فاختار عبيد الله بن سليمان ثلاثة قضاة: أبا حزم وعلي بن أبي الشوارب ويوسف- وهو ابن عم إسماعيل- فولي أبو حازم الكرخ، وابن أبي الشوارب مدينة المنصور، ويوسف الجانب الشرقي.

[٥٩٠] ودخل عليه عبدون بن صاعد الوزير -وكان نصرانيّاً- فقام له القاضي ورحب به فرأى إنكار الشهود ومن حضره، فلما خرج من عنده قال لهم: قال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾[1] وهذا الرجل يقضي حوائج المسلمين، وهو سفير بيننا وبين خليفتنا، وهذا من البر، فسكت الجماعة.

[٥٩١] قال المُبرِّد: لما توفيت والدة القاضي رأيت من وله ما لم يقدر على ستره، وكان كلٌّ يعزيه لا يسلو، فسلمت عليه وأنشدته (من المتقارب):

لعمري لئن غال رَيْبُ الزمان ... فساء لقد غال نفساً حبيبه

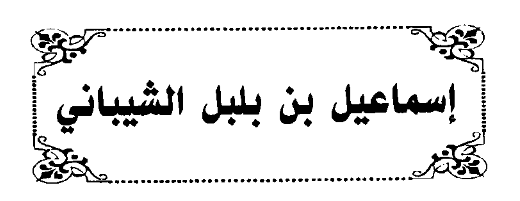
ولكن علمي بما في الثوا ... ب عند المصيبة ينسي المصيبه

فتفهم كلامي واستحسنه وكتبهما، وزالت عنه تلك الكآبة وانبسط[2].

---

(١) سورة الممتحنة: ٨.

(٢) الوافي بالوفيات: ٩/ ٩١- ٩٣.



إسماعيل بن بلبل الشيباني

أبو الصقر الكاتب.

كان بليغاً كاتباً شاعراً أديباً، كريماً جواداً ممدحاً.

ولي الوزارة للمعتمد سنة خمس وستين ومائتين، فبقي مدة يسيرة ثم عزل، ثم وليها ثانية سنة خمس وستين ومائتين في شوال، ثم عزل في شهر رمضان سنة ست وستين ونفي إلى بغداد، ثم أعيد إلى الوزارة نوبة ثالثة حين قبض على صاعد بن الوزير -ولقب بالشكور- وذلك في ثالث عشر شهر رجب سنة اثنتين وسبعين ومائتين بواسط.

وكان واسع النفس، وظيفته في كل يوم سبعون جدياً، ومائة حمل ومائة رطل من سائر الحلوى.

[٥٩٢] ولم يزل على وزارته إلى أن توفي الموفق أخو المعتمد وبعد موته بيومين لخمس ليال بقين من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين قبض أحمد بن الموفق الملقب بالمعتضد -وعمه المعتمد هو الخليفة- على أبي الصقر الوزير وكبَّله بالحديد وألبسه جبة صوف مغموسة بدبس وماء الأكارع وتركه في الشمس، وعذبه بأنواع العذاب إلى أن هلك، وكانت وزارته الثالثة خمس سنين وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوماً.

[٥٩٣] ولما مات رآه إبراهيم الحربي -أو غيره من العلماء الصلحاء- في منامه فقال له: ما فعل الله بك يا أبا الصقر؟ قال: غفر لي بما لقيت، ولم يكن الله -عز وجل- ليجمع عليَّ عذاب الدنيا والآخرة.

[٥٩٤] ولما قصد صاعد الوزير إسماعيل بن بلبل لزم داره، وكان له حمل قد قرب وضعه، فطلب منجماً يأخذ مولده فأُتي به، فقال بعض من حضر: هاهنا أعرابي عائف ليس في الدنيا أحذق منه، فأحضره، فلما دخل قال له إسماعيل: تدري لماذا طلبناك؟

فقال: نعم، فأدار عينه في الدار فقال: لتسألني عن حمل.

فقال: أي شيء هو؟ أذكر أم أنثى؟

فأدار عينه فقال: ذكر.

فقال للمنجم: ما تقول في هذا؟

قال: هذا جهل! فبينا هم كذلك إذ طار زنبور على رأس إسماعيل، وغلام يذب عنه فقتله، فقام الأعرابي فقال: قتلت والله المتزنر[1] ووليت مكانه ولي حق البشارة، وجعل يرقص وإسماعيل يسكنه، فبينا هم كذلك إذ وقعت الصيحة بخبر الولادة وقالوا: مولود ذكر، فسر إسماعيل بذلك لإصابة العائف، ووهبه شيئاً، وما مضى على ذلك إلا دون الشهر حتى استدعى الموفق إسماعيل وقلده الوزارة وسلم إليه صاعداً، فكان يعذبه إلى أن قتله، ولما سلم إليه صاعد ذكر كلام العائف فأحضره وقال: أخبرني من أين علمت ما قلته لي ذلك اليوم، وليس لك علم بالغيب؟

فقال: نحن نتفاءل ونزجر، وأنت سألتني أولاً فتلمحت الدار فوقعت عيني على برادة عليها كيزان معلقة في أعلاها فقلت: حمل، ثم قلت لي: أذكر هو أم أنثى؟ فتلمحت فرأيت فوق البرادة عصفوراً ذكراً فقلت:

---

(١) أي النصراني الذي يلبس الزُّنّار، والزنار هو الحزام الذي يشد في وسط الرجل فوق ثيابه. وأراد الأعرابي أن الوزير النصراني سيموت وسيتولى إسماعيل مكانه.

ذكر، ثم طار الزنبور عليك وهو مخصر، والنصارى يتخصرون بالزنانير، والزنبور عدو يريد أن يلسعك، وصاعد نصراني الأصل وهو عدوك، فزجرت أن الغلام لما قتله أنك ستقتله، فاستحسن ذلك ووهبه شيئاً صالحاً وصرفه.

[٥٩٥] قال أبو العباس ابن الفرات:

كنت حاضرَ مجلس إسماعيل بن بلبل في وزارته وقد جلس مجلساً عاماً، فدخل إليه المتظلمون والناس على طبقاتهم فنظر في أمورهم، فما انصرف أحد منهم إلا بولاية أو صلة أو قضاء حاجة أو بر أو إنصاف من مظلمة أو توقيع في مصلحة ضيعةٍ أو نظرٍ في خراج أو حال يسره، وبقي رجل فقام إليه من آخر المجلس وسأله تسبيب إجارة ضيعة.

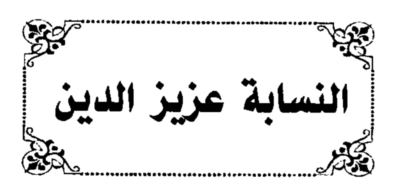
فقال: إن الأمير -يعني الموفق- أمرني أن لا أسبب شيئاً إلا عن أمره، وأنا أكتب إليه في ذلك.

فقال الرجل: متى تركني الوزير أو أخر حاجتي فسد حالي، فقال لأبي مروان عبد الملك بن محمد: اكتب حاجته في التذكرة التي تحضرني لتكون فيما أكاتب به الأمير، فولى الرجل غير بعيد، ثم رجع فقال: أيأذن لي الوزير في الكلام؟

[٥٩٦] فقال: قل، فأنشأ يقول:

ليس في كل دولة وأوان	تتهيأ صنائع الإحسان
وإذا أمكنتك يوماً من الدهـ	ـر فبادر بها صروف الزمان
وتشاغل بها ولا تَلْهُ عنها	حذراً من تعذر الإمكان

قال: فقال لي: يا أبا العباس اكتب لي بتسبيب إجارة ضيعته الساعة، وأمر هارون بن عمران الجهبذ أن يدفع إليه من يومه من ماله خمسمائة دينار، قال: فخرجت فكتبت له ذلك وقبض المال من وقته، وأخباره في المكارم كثيرة[1].



النسابة عزيز الدين

إسماعيل بن الحسين بن محمد ينتهي إلى الحسين بن علي بن أبي طالب ﵄، كنيته أبو طالب، عزيز الدين المَرْوَزي العلوي النسابة.

مولده سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، وورد بغداد سنة سبع وتسعين وخمسمائة صحبة الحاج ولم يحج، وقرأ الأدب والفقه والحديث، وسمع بنيسابور وبالري وببغداد وبشيراز وهراة وتستر ويزد.

قال ياقوت في: «معجم الأدباء»: وهذا السيد اجتمعت به في مرو سنة أربع عشرة وستمائة فوجدته كما قيل:

قد زرته فوجدت الناس في رجل والدهر في ساعةٍ والفضل في دار

وأثنى عليه ثناء كثيراً و وصفه بعلوم كثيرة.

[٥٩٧] وقال: حدثني -رحمه الله- قال: ورد الفخر الرازي إلى مرو، وكان من جلالة القدر وعظم الذكر وضخامة الهيبة بحيث لا يراجع في كلامه، ولا يتنفس أحد بين يديه، فترددت للقراءة عليه، فقال لي يوماً:

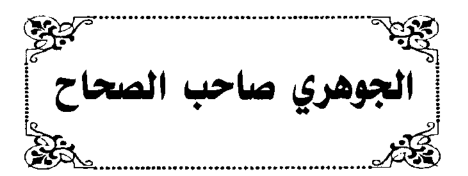
---

(١) الوافي بالوفيات: ٩/ ٩٥- ٩٧.

أحب أن تصنف لي كتاباً لطيفاً في أنساب الطالبيِّين لأنظر فيه، فقلت: أتريده مشجراً أم منثوراً؟

فقال: المشجر لا ينضبط بالحفظ، وأنا أريد شيئاً أحفظه، فصنفت له المصنف الفخري، فلما وقف عليه نزل عن طرّاحته وجلس على الحصير وقال: اجلس على هذه الطراحة، فأعظمت ذلك فانتهرني نهرة عظيمة مزعجة، وزعق علي وقال:

اجلس بحيث أقول لك! فتداخلني -علم الله- من هيبته ما لم أتمالك إلا أن جلست حيث أمرني، ثم أخذ يقرأ عليَّ ذلك الكتاب وهو جالس بين يدي ويستفهمني عما يستغلق عليه إلى أن أنهاه قراءة، فلما فرغ منه قال: اجلس الآن حيث شئت، فإن هذا علم أنت أستاذي فيه وأنا أستفيد منك وأُتلمذ لك، وليس من الأدب إلا أن يجلس التلميذ بين يدي الأستاذ[1].



الجوهري صاحب الصحاح

إسماعيل بن حماد أبو نصر الفارابي الجوهري.

صاحب كتاب «الصحاح في اللغة» الذي يضرب به المثل في حفظ اللغة وحسن الكتابة، يذكر خطه مع خط ابن مقلة ومهلهل واليزيدي.

وكان يؤثر الغربة على الوطن، دخل بلاد ربيعة ومضر في طلب الأدب، ولما قضى وطره من قطع الآفاق والأخذ عن علماء الشام والعراق عاد إلى خراسان، فأنزله أبو الحسين الكاتب عنده، فسكن

(١) الوافي بالوفيات: ٩/ ١٠٨- ١١٠.

نيسابور يصنف اللغة ويعلم الكتابة وينسخ الخِتَم[1]، ومن العجب أن المصريين يروون «الصحاح» عن ابن القطاع ولا يرويه أحد بخراسان، وقد قيل: إن ابن القطاع ركب له إسناداً بالصحاح لما رأى رغبة المصريين فيه، وفي «الصحاح» أشياء لا ريب أنه نقلها من صحف فصحَّف فيها، فانتدب لها علماء مصر وأصلحوا أوهاماً فيها.

[٥٩٨] وقيل: إنه اختلط بأخَرَة، قال: ابن القفطي: مات متردياً من سطح داره بنيسابور، وقيل: إنه تَسَوْدَنَ[2] وعمل له دُفَّيْن وشدهما كالجناحين وقال: أريد أن أطير، وقفز فهلك.

وقيل: إن «الصحاح» كان قد بقي منه قطعة مسودة فبيضها تلميذه إبراهيم ابن صالح الوراق، فغلط في أماكن حتى إنه قال في «سقر» إنه بالألف واللام، وهذا يدل على أنه لم يقرأ القرآن، وقال: «الجراضلُ الحبلُ» فصيرهما كلمة واحدة بضاد معجمة والحبل بالحاء المهملة، وإنما هو: الجرُّ أصل الجَبَل.

وقال ياقوت: قال محمود بن أبي المعالي الحواري في كتاب: «ضالة الأديب من الصحاح والتهذيب»: إن هذا الكتاب، أعني: «الصحاح» قرئ على مصنفه إلى باب الضاد فحسب، وبقي أكثر الكتاب على سواده ولم يقدر له تنقيحه ولا تهذيبه؛ فلهذا يقول في باب السين: قيس أبو قبيلة، من مضر واسمه إلياس بنقطتين تحتها، ثم يقول في فصل النون من هذا الباب: الناس بالنون: اسم قيس عيلان، فالأول سهو والثاني صحيح،

---

(١) جمعة ختمة أي المصاحف.

(٢) أي جُنّ.

ومن زعم أنه سمعه من الجوهري زيادة على: أول الكتاب إلى باب الضاد فهو مكذوب عليه.

وتوفي صاحب «الصحاح» سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة.

ومن تصانيفه: كتاب في العروض جيد سماه «عروض الورقة» وكتاب في النحو، وهذا الكتاب المشهور الذي رزق من السعادة ما لا رزقه غيره لقرب تناوله.

[٦٠٠] ومن شعر صاحب «الصحاح»:

لو كان لي بد من الناس ... قطعت حبل الناس باليأس

العز في العزلة لكنه ... لابد للناس من الناس

[٦٠١] ومنه:

وها أنا يونس في بطن حوت ... بنيسابور في ظل الغمام

فبيتي والفؤاد ويوم دَجْن ... ظلام في ظلام في ظلام

[٦٠٢] ومنه:

زعم المُدامةَ شاربوها أنها ... تنفي الهموم وتطرد الغمَّا[1]

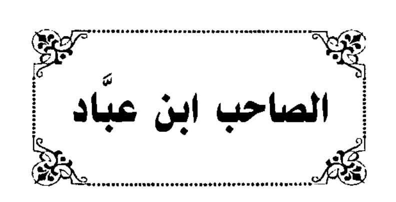
صدقوا هفت بعقولهم وبدينهم ... وتوهموا أن السرور لهم تَمَّا

سلبتهم أديانهم وعقولهم ... أرأيت عادم ذيْنِ مغتما؟[2]

---

(١) المُدام: الخمر.

(٢) الوافي بالوفيات: ٩/ ١١١-١١٤.



الصاحب ابن عبَّاد

إسماعيل بن عباد بن العباس بن عباد الوزير الملقب بالصاحب، كافي الكفاة أبو القاسم، من الطالقان وهي ولاية بين قزوين وأبهر، وهي عدة قرى يقع عليها هذا الاسم، وبخراسان بلدة غير هذه يقع عليها هذا الاسم خرج منها جماعة من العلماء.

كان أبو القاسم وزير مؤيد الدولة بن ركن الدولة بن بويه وأخيه فخر الدولة، كانت وزارته ثماني عشرة سنة وشهراً واحداً، وهو أول من سُمي الصاحب من الوزراء؛ لأنه صحب مؤيد الدولة من الصبا وسماه الصاحب فغلب عليه هذا اللقب، وقيل: لأنه كان صاحب ابن العميد.

توفي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة.

[٦٠٣] وكان من أهل العلم، وصنف كتاباً في أحكام القرآن نصر فيه مذهب الاعتزال.

[٦٠٤] ولما مات الصاحب أبو القاسم إسماعيل أغلقت له مدينة الري، واجتمع الناس على باب قصره ينتظرون خروج جنازته، وحضر مخدومه فخر الدولة وسائر القواد وقد غيروا لباسهم، فلما خرج نعشه صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة وقبلوا الأرض(١).

[٦٠٥] وقال أبو القاسم ابن أبي العلاء الشاعر الأصبهاني: رأيت في المنام كأن قائلاً يقول لي: لِمَ لم ترث الصاحب مع فضلك وشعرك؟

---

(١) تقبيل الأرض عادة جرى عليها بعض أهل ذلك الزمان، وهي عادة قبيحة، مخالفة للشرع.

فقلت: ألجمتني كثرة محاسنه فلم أدر بما أبدأ منها، وخفت أن أقصر وقد ظن بي الاستيفاء لها، فقال: أجز ما أقوله، فقلت: قل، فقال (من الطويل):

ثوى الجود والكافي معاً في حُفيرة

فقلت: ليأنس كل منهما بأخيه

فقال: هما اصطحبا حيين ثم تعانقا

فقلت: ضجيعين في لحد بباب ذريه

فقال: إذا ارتحل الثاوون عن مستقرهم

فقلت: أقاما إلى يوم القيامة فيه

[٦٠٦] وكان الصاحب نادرة عصره وأعجوبة دهره في الفضائل والمكارم، أخذ الأدب عن ابن العميد وابن فارس وسمع من أبيه ومن غير واحد، وحدّث وأملى، واتخذ لنفسه بيتاً سماه بيت التوبة وجلس فيه أسبوعاً وأخذ خطوط الفقهاء بصحة توبته، وخرج متحنكاً متطلساً بزي أهل العلم وقال للناس:

قد علمتم قدمي في العلم، فكل أقر له بذلك، وقال: قد علمتم أني متلبس بهذا الأمر الذي أنا فيه وجميع ما أنفقته من صغري إلى وقتي هذا من مال أبي وجدي، ثم مع هذا كله لا أخلو من تبعات أشهد الله وأشهدكم أني تائب إلى الله -عز وجل- من كل ذنب أذنبته، ولبث في ذلك البيت أسبوعاً ثم خرج فقعد للإملاء، وحضر الناس الكثير إلى الغاية كان المستملي الواحد لا يقوم بالإملاء حتى انضاف إليه ستة كل يبلّغ صاحبه، وكان الأول ابن الزعفراني الحنفي وكان إذ ذاك رئيسهم فما

بقي في المجلس أحد من أهل العلم إلا وقد كتبه حتى القاضي عبد الجبار وهو قاضي القضاة بالري.

[٦٠٧] وقال الصاحب:

حضرت مجلس ابن العميد عشية من عشايا رمضان وقد حضره الفقهاء والمتكلمون للمناظرة وأنا إذ ذاك في ريعان شبابي، فما تقوض المجلس وانصرف القوم إلا وقد حل الإفطار فأنكرت ذلك في نفسي واستقبحت إغفاله أمر إفطار الحاضرين مع وفور رياسته و اتساع حاله، واعتقدت أن لا أخل بما أخل به إذا قمت مقامه، فكان الصاحب لا يدخل عليه أحد في رمضان بعد العصر كائناً من كان فيخرج من داره إلا بعد الإفطار عنده، وكانت داره لا تخلو كل ليلة من ليالي رمضان من ألف نفس مفطرة، وكانت صدقاته وقرباته تبلغ في شهر رمضان مبلغ ما يطلقه في السنة كلها.

[٦٠٨] وكان في الصغر إذا أراد المضي إلى المسجد ليقرأ تعطيه والدته ديناراً في كل يوم ودرهماً وتقول له: تصدق بهذا على أول فقير تلقاه، فجعل هذا دأبه في شبابه إلى أن كبر وماتت والدته، وهو على هذا يقول للفرّاش في كل ليلة: اطرح تحت المطرح ديناراً ودرهماً لئلا ينساه فبقي على هذا مدة، ثم إن الفراش نسى ليلة من الليالي أن يطرح له الدرهم والدينار فانتبه وصلى وقلب المطرح ليأخذ الدرهم والدينار فما رآهما، فتطير من ذلك وظن أنه لقرب أجله، فقال للفراشين:

شيلوا كل ما هنا من الفرش وأخرجوه وأعطوه لأول فقير تلقونه؛ حتى يكون كفارة لتأخير هذا، فلقوا أعمىً هاشميّاً يتكئ على يد امرأة فقالوا: تقبل هذا.

فقال: ما هو؟

فقالوا: مطرح ديباج ومخاد ديباج[1] فأغمي عليه، فأعلموا الصاحب بأمره فأحضره وسقاه شراباً بعدما رش عليه الماء فلما أفاق سأله، فقال:

اسألوا هذه المرأة إن لم تصدقوني.

فقال له: اشرح.

فقال: أنا رجل شريف ولي ابنة من هذه المرأة خطبها رجل فزوجناه، ولي سنين آخذ القدر الذي يفضل عن قوتنا أشتري لها به قطعة صفراء وطفرية وما أشبه ذلك، فلما كان البارحة قالت أمها: اشتهيت لها مطرح ديباج ومخاد ديباج فقلت: من أين لي ذلك؟ وجرى بيني وبينها خصومة إلى أن سألتها أن تأخذ بيدي وتخرجني حتى أمضي على وجهي، فلما قال لي هؤلاء هذا الكلام حق لي أن يُغشى علي، فقال: لا يكون الديباج إلا مع ما يليق به، هاتم[2] الأنماطيين فجيء بهم فاشترى منهم الجهاز الذي يليق بذلك المطرح، وأحضر زوج الصبية ودفع إليه بضاعة سنية.

[٦٠٩] واستدعى في بعض الأيام شراباً فأحضروا قدحاً، فلما أراد أن يشربه قال له أحد خواصه: لا تشربه فإنه مسموم، وكان الغلام الذي ناوله واقفاً فقال للمحذر له: ما الشاهد على صحة قولك؟

قال: تجربه في الذي ناولك إياه.

---

(١) الديباج: نوع من الحرير، والمطَرح أي الفراش الذي يطرح في الأرض، والمخاد جمع مخدة، ولعلها ما نسميه اليوم بالمساند، والأنماطيون هم الذي يتّجرون بالبسط والفرش، وانظر((لسان العرب)): ن م ط.

(٢) لغة في هاتوا.

فقال: لا أستجيز ذلك ولا أستحله.

فقال: فجربه في دجاجة، قال: التمثيل بالحيوان لا يجوز، ورد القدح وأمر بقلبه، وقال للغلام: انصرف عني ولا تدخل داري، وأمر بإقرار جارية وجرايته عليه وقال: لا يدفع اليقين بالشك، والعقوبة بقطع الرزق نذالة.

[٦١٠] وقال الصاحب:

أنفذ إليّ أبو العباس تاش الحاجب رقعة في السر بخط صاحبه نوح بن منصور ملك خراسان يريدني فيها على الانحياز بحضرته ليلقي إلي مقاليد ملكه ويعتمدني لوزارته ويحكمني في ثمرات بلاده، قال: فكان فيما اعتذرت إليه من تركي امتثال أمره: طول ذيلي وكثرة حاشيتي وصبيتي، وحاجتي لنقل كتبي خاصة إلى أربعمائة جمل، فما الظن بما يليق بها من تجمل مثلي؟.

[٦١١] وكان يقول لجلسائه:

نحن بالنهار سلطان وبالليل إخوان، وكان مكي المنشد قديم الصحبة للصاحب والخدمة فأساء إليه غير مرة، فلما كثر ذلك منه أمر بحبسه في دار الضرب وكانت في جواره، فاتفق أن الصاحب صعد سطح داره وأشرف على دار الضرب فناداه مكي: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾[1] فضحك الصاحب وقال: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[2] ثم أمر بإطلاقه.

[٦١٢] ودخل إلى الصاحب رجل لا يعرفه فقال: أبو من؟ فأنشد الرجل (من الطويل):

---

(١) سورة الصافات: ٥٥.

(٢) سورة المؤمنون: ١٠٨.

وتتفق الأسماء في اللفظ والكنى كثيراً ولكن لا تلاقى الخلائق

فقال له: اجلس يا أبا القاسم.

[٦١٣] وقال الصاحب: ما قطعني إلا شاب ورد علينا إلى أصبهان بغدادي، فقصدني فأذنت له، وكان عليه مرقعة وفي رجليه نعل طاق، فنظرت إلى حاجبي فقال له وهو يصعد إلي: اخلع نعلك، فقال: ولم؟ لعلي أحتاج إليها بعد ساعة، فغلبني الضحك وقلت: أتراه يريد أن يصفعني؟ .

[٦١٤] ويقال إن ابن أبي الحظيري أتى إليه يوماً فقام له، فمر مسرعاً لأجله فضرط فقال: يا مولانا الصاحب: هذا صرير التخت، فقال: بل صفير التحت، فذهب وقد استحيى وانقطع، فكتب إليه:

قل للحظيري لا تذهب على خجل من ضرطة أشبهت ناياً على عود

فإنها الريح لا تستطيع تمسكها إذ لست أنت سليمان بن داود

[٦١٥] وكان الصاحب قد ولى عبد الجبار الأسداباذي[1] قضاء القضاة بهمذان والجبال، فاستقبله يوماً ولم يترجل له، وقال: أيها الصاحب، أريد ان أترجل للخدمة ولكن العلم يأبى ذلك، وكان يكتب في عنوان كتابه: «إلى الصاحب داعيه عبد الجبار بن أحمد» ثم كتب «وليه عبد الجبار بن أحمد» ثم كتب «عبد الجبار بن أحمد» فقال الصاحب لندمائه: أظنه يؤول أمره إلى أن يكتب «الجبار».

[٦١٦] وقال ابن بابك: سمعت الصاحب يقول: مُدحتُ -والعلم عند الله- بمائة ألف قصيدة شعراً، عربية وفارسية، وقد أنفقت أموالي

---

(١) هو عبدالجبار الهمذاني العالم المعتزلي المعروف، توفي سنة ٤١٥.

على الشعراء والأدباء والزوار والقصاد، ما سررت بشعر ولا سرني شاعر كما سرني أبو سعيد الرستمي الأصبهاني بقوله:

ورث الوزارة كابراً عن كابر موصولة الإسناد بالإسناد

[٦١٧] ووقّع إلى أبي الحسن الشقيقي البلخي: من نظر لدينه نظرنا لدنياه، فإن آثرت العدل والتوحيد بسطنا لك الفضل والتمهيد، وإن أقمت على الجبر فما لكسرك جبر[1].

[٦١٨] ولما كان ببغداد قصد القاضي أبا السائب عتبة بن عبيد لقضاء حقه، فتثاقل في القيام له وتحفز تحفزاً أراه به ضعفاً عن حركته وقصور نهضته، فأخذ الصاحب بضبعه وأقامه وقال: نعين القاضي على قضاء حقوق إخوانه، فخجل القاضي أبو السائب واعتذر إليه.

[٦١٩] ووجد يوماً بعض ندمائه متغير السحنة، فقال: ما الذي بك؟ قال: حَما، فقال له الصاحب: قه، فقال له النديم: وه، فاستحسن ذلك منه وخلع عليه.

قلت: إنما قال له الصاحب «قه» لأنه لا يقال في ذلك إلا حُمَيّا فأضاف إليها القاف والهاء لتصير «حماقة»، فلطف النديم وظرّف في زيادة الواو والهاء ليصير ذلك «قهوه».

[٦٢٠] وسأل أبا الحسن علي بن عيسى الربعي عن مسألة فأجاب جواباً أخطأ فيه، فقال له: أصبتَ، فقبل الأرض شكراً، فلما رفع رأسه قال له: عين الخطأ.

---

(١) هذا لأن الصاحب معروف بالاعتزال، والعدل والتوحيد من أصول المعتزلة.

[٦٢١] وعزل الصاحب عاملاً بقُمٍّ فكتب إليه: أيها العامل بقم، قد عزلناك فقم.

[٦٢٢] وقال الصاحب يوماً:

كان أبو الفضل -يعني ابن العميد- سيداً ولكن لم يشق غبارنا، ولا أدرك شَوارنا، ولا فسخ عِذارنا، ولا عرف غِرارنا[1]، لا في علم الدين ولا فيما يرجع إلى نفع المسلمين، فأما ابنه فقد عرفتم قدره في هذا وفي غيره، طياش قلاش ليس عنده إلا قاش وقماش، مثل ابن عياش، والهروي الحواش، وولدت والشعرى في طالعي، ولولا دقيقة لأدركت النبوة، وقد أدركت النبوة إذ قمت بالذب عنها والنصرة لها، فمن ذا يجارينا أو يمارينا أو يبارينا أو يغارينا ويسارينا ويشارينا؟[2].

[٦٢٣] ولم يكن الصاحب يقوم لأحد من الناس ولا يشير إلى القيام، ولا يطمع أحد في ذلك منه من أرباب السيوف أو الأقلام أميراً كان أو مأموراً.

[٦٢٤] ونزل بالصيمرة عند عوده من الأهواز، فدخل عليه شيخ من المعتزلة زاهد يُعرف بعبد الله بن إسحاق فقام له، فلما خرج قال: ما قمت لأحد مثل هذا القيام منذ عشرين سنة!، وإنما فعل ذلك لزهده؛ لأنه كان أحد أبدال دهره.

[٦٢٥] وأما أبو حيان التوحيدي فإنه أَمْلى -في ذمِّه وذم ابن العميد- مجلدة سماها «ثلب الوزيرين» أتى فيها بقبائح، فمن ذلك ما ذكره في حق

---

(١) الشوار: الهيئة، والعِذار هنا: العزيمة، والغِرار: النهج والمثال. انظر: ((المعجم الوسيط)): ش و ر، ع ذ ر، غ ر ر.

(٢) هذا فخر مكروه، فيه جرأة وتعد.

الصاحب أنه ناظر بالري يهودياً -هو رأس الجالوت- في إعجاز القرآن، فراجعه اليهودي فيه طويلاً وماتنه قليلاً وتنكد عليه حتى احتد، وكاد ينقد، فلما علم أنه قد سجر تنوره وأسعط أنفه قال:

أيها الصاحب فلم تنقد وتستشيط وتلتهب وتختلط؟ كيف يكون القرآن عندي آية ودلالة ومعجزة من جهة نظمه وتأليفه؟ فإن كان النظم والتأليف بديعين وكان البلغاء -فيما يُدّعى- عنه عاجزين وله مذعنين، وها أنا أصدق عن نفسي وأقول: ما عندي أن رسائلك وكلامك وفِقَرَك وما تؤلفه وتُبادِهْ به[1] نظماً ونثراً هو فوق ذلك أو مثل ذلك وقريب منه وعلى حال ليس يظهر لي أنه دونه، وأن ذلك سيستعلي عليه بوجه من وجوه الكلام أو بمراتب من مراتب البلاغة، فلما سمع ابن عباد هذا فتر وخمد وسكن عن حركته وانخمص ورمه به وقال: ولا هكذا، يا شيخ، كلامنا حسن وبليغ، وقد أخذ من الجزالة حظّاً وافراً ومن البيان نصيباً ظاهراً ولكن القرآن له المزيَّة التي لا تجهل والشرف الذي لا يخمل، وأين ما خلقه الله[2] على أتم حسن وبهاء مما يخلقه العبد بطلب وتكلف؟ هذا كله يقوله وقد خبأ حميه وتراجع مزاجه وصارت ناره رماداً، مع إعجاب شديد قد شاع في أعطافه وفرح غالب قد دب في أسارير وجهه؛ لأنه رأى كلامه شبهة لليهود وأهل الملل.

وقال: كان ينشد شعره وهو يلوي رقبته ويجحظ حدقته وينزي أطراف منكبيه ويتشايل ويتمايل كأنه: ﴿ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[3].

---

(١) من البديهة.

(٢) هذا لأنه كان معتزلياً ، وإلا فالقرآن كلام الله غير مخلوق.

(٣) سورة البقرة: ٢٧٥.

وقال:

دخل يوماً دار الإمارة الفيرزان المجوسي في شيء خاطبه به، فقال: إنما أنت مجش محش مخش لا تهش ولا تبش ولا تمتش، قال الفيرزان: أيها الصاحب، برئت من النار إن كنت أدري ما تقول، إن كان رأيك أن تشتمني فقل ما شئت بعد أن أعلم، فإن العِرْض لك والنفس لك فداء: لستَ من الزنج ولا من البربر، كلمنا على العادة التي عليها العمل، والله ما هذا من لغة آبائك الفرس ولا من أهل دينك من أهل السواد، وقد خالطنا الناس فما سمعنا منهم هذا النمط، فقام الصاحب مغضباً.

قال:

وكان كلفه بالسجع في الكلام والقلم عند الجد والهزل يزيد على كلف كل من رأيناه، قلت لابن المسيب: أين يبلغ ابن عباد في عشقه للسجع؟

قال: يبلغ به ذلك لو أنه رأى سجعة ينحل بموقعها عروة الملك ويضطرب بها حبل الدولة، ويحتاج من أجلها إلى غرم ثقيل وكلفة صعبة وتجشُّم أمور وركوب أهوال لكان لا يخفُّ عليه أن يفرج عنها ويخليها، بل يأتي بها ويستعملها ولا يعبأ بجميع ما وصفت من عاقبتها.

وقال فيه بعض الشعراء (من الكامل):

متلقبٌ كافي الكفاة وإنما ... هو في الحقيقة كافر الكفار
السجع سجع مُهَوَّس والخط خـ ... ـط مُنَقْرَسٍ والعقل عقل حمار

[٦٢٦] قلت:

وعلى الجملة، هو من رجالات الوجود وأين آخر مثله؟ ولكن أبو حيان زاد في التمالي عليه لنقص حظ ناله منه، فتمحل له مثالب، وادعى له معايب:

لو أراد الأديب أن يهجو البد	ر رماه بالخطة الشنعاء

[٦٢٧] ومن شعر الصاحب:

ولما تناءت بالأحبة دارهم	وصرنا جميعاً من عيان إلى وهم
تمكن مني الشوق غير مسامح	كمعتزلي قد تمكن من جهمي

[٦٢٨] ومنه:

وقائلة: لم عرتك الهموم	وأمرك متمثل في الأمم؟
فقلت: ذريني على غصتي	فإن الهموم بقدر الهمم[1]

أبو العتاهية

إسماعيل بن القاسم بن سويد مولى عنزة المعروف بأبي العتاهية.

مولده بعين التمر ونشأ بالكوفة وسكن بغداد، وكان يبيع الجرار. [٦٢٩] واشتهر بمحبة عتبة جارية المهدي وأكثر تشبيبه وتشبيهه فيها، فمن ذلك قوله (من الكامل):

أعلمتُ عتبة أنني	منها على شرف مطل
وشكوت ما ألقى إليـ	ـها والمدامع تستهل

(١) الوافي بالوفيات: ٩/ ١٢٥- ١٤٠.

حتـــى إذا برمـــت بمـــا أشـكو كمـا يـشكو الأقـل

قالــت: فــأي النـاس يعــلم مـا تقـول؟ فقلـت: كـل

[٦٣٠] واستأذن أن يهدي إلى المهدي في النيروز والمهرجان فأذن له، فأهدى في أحدهما برنية ضخمة فيها ثوب ناعم مطيب وكتب في حواشيه (من السريع):

نفسي بشيء من الدنيا معلقة الله والقائم المهدي يكفيها

إني لأيأس منها ثم يطمعني فيها احتقارك بالدنيا وما فيها

فهم بدفع عتبة إليه، فجزعت وقالت: يا أمير المؤمنين، حُرمتي وخدمتي! أفتدفعني إلى رجل قبيح المنظر بائع جرار متكسب بالشعر؟ فأعفاها، وقال: املأوا له البرنية مالاً، فقال للكتاب: أمر لي بدنانير، فقالوا: ما ندفع ذلك إليك، ولكن إن شئت أعطيناك دراهم، إلا أن يفصح بما أراد، فاختلف في ذلك حولاً، فقالت عتبة: لو كان عاشقاً كما يزعم لم يكن يختلف منذ حول في التمييز بين الدراهم والدنانير، وقد أعرض عن ذكري صفحاً.

[٦٣١] وقال في عمر بن العلاء (من الكامل):

إني أمنت من الزمان وصرفه لما علقت من الأمير حبالا

لو يستطيع الناس من إجلاله تَخِذوا له حر الخدود نعالا[1]

إن المطايا تشتكيك لأنها قطعت إليك سباسباً ورمالا

فإذا وردن بنا وردن خفائفاً وإذا صدرن بنا صدرن ثقالا

---

(١) أي اتخذوا.

فأبطأ بره عنه قليلاً، فكتب إليه (من الطويل):

أصابت علينا جودك العين يا عمر فنحن لها نبغي التمائم والنُشَر

سنرقيك بالأشعار حتى تملها وإن لم تفق منها رقيناك بالسور

فأعطاه سبعين ألف درهم وخلع عليه حتى عجز عن القيام، فغار الشعراء لذلك فجمعهم ثم قال: يا معشر الشعراء: عجباً لكم! ما أشد حسدكم بعضاً لبعض إن أحدكم يأتينا يمدحنا بقصيدة يشبب فيها بصديقته خمسين بيتاً فما يبلغنا حتى تذهب لذاذة مدحه ورونق شعره، وقد أتانا أبو العتاهية فشبب بأبيات يسيرة ثم قال... وأنشد الأبيات.

[٦٣٢] وقال أشجع السلمي:

أذن الخليفة المهدي للناس في الدخول عليه، فدخلنا وأمرنا بالجلوس، فاتفق أن جلس إلى جانبي بشار بن برد، وسمع بشار حسّاً فقال لي: من هذا؟

فقلت: أبو العتاهية.

فقال: أتراه ينشد في هذا المحفل؟

فقلت: أحسبه سيفعل.

قال: فأمره المهدي أن ينشد فأنشد (من المتقارب):

ألا ما لسيدتي؟ ما لها تدل وأحمل إدلالها

وإلا ففيم تجنت ولا جنيت سقى الله أطلالها

ألا إن جارية للإما م قد أسكن الحسن سربالها

مشت بين حورٍ قصار الخُطا ... تجاذب في المشي أكفالها[1]

وقد أتعب الله نفسي بها ... وأتعب باللوم عُذالها

فقال بشار: ويحك يا أخا سليم: ما أدري من أي أمريه أعجب: أمن ضعف شعره أم تشبيبه بجارية الخليفة ويسمعه ذلك بإذنه! حتى أتى على قوله (من المتقارب):

أتته الخلافة منقادة ... إليه تجرر أذيالها

فلم تك تصلح إلا له ... ولم يك يصلح إلا لها

ولو رامها أحد غيره ... لزلزلت الأرض زلزالها

ولو لم تطعه بنات القلوب ... لما قبل الله أعمالها

وإن الخليفة من بغض «لا» ... إليه ليبغض من قالها

فقال بشار: ويحك يا أشجع هل طار الخليفة عن فرشه؟

قال أشجع: فوالله ما انصرف أحد عن ذلك المجلس بجائزة غير أبي العتاهية.

[٦٣٣] ونسك آخر عمره، وقال في الزهد أشعاراً كثيرة.

[٦٣٤] وقد عجز الرواة أن يضبطوا شعر بشار بن برد والسيد الحميري وأبي العتاهية لكثرة أشعارهم، ولُقِّب أبا العتاهية لاضطرابٍ كان فيه، وقيل: بل كان يحب الخلاعة والمجون فلقب بذلك لعتوِّه، وكان أبو نواس يعظمه ويخضع له ويقول: والله ما رأيته إلاتوهمت أني أرضي وأنه سماوي.

---

(١) الكَفَل هو العَجُز، وهو مؤخرة الشخص: وانظر ((لسان العرب)): ك ف ل.

[٦٣٥] وحُكي أن أباه كان حجاماً؛ ولذلك قال (من الطويل):

ألا إنما التقوى هي العزم والكرم وحبك للدنيا هو الفقر والعدمْ
وليست على عبدٍ تقيٍّ نقيصة إذا صحح التقوى وإن حاك أو حجمْ

[٦٣٦] ومن شعره (من الطويل):

إذا المرء لم يعتق من المال نفسه تملكه المال الذي هو مالكه
ألا إنما مالي الذي أنا منفق وليس لي المال الذي أنا تاركه
إذا كنت ذا مال فبادر به الذي يحق وإلا استهلكته مهالكه

[٦٣٧] فقيل له لما أنشد هذه الأبيات: كيف تقول هذا وتحبس عندك سبعاً وعشرين بدرة في دارك لا تأكل منها ولا تشرب ولا تزكي؟ فقال: لهو الحق ولكني أخاف الفقر والحاجة، ولقد أشتري من عيد إلى عيد، ولقد اشتريت في يوم عاشوراء لحماً وتوابله بخمسة دراهم.

[٦٣٨] وكان له جار ضعيف الحال جدّاً متجمل يلتقط النوى، وكان يمر بأبي العتاهية، فيقول: اللهم أعنه على ما هو بسبيله! ويدعو له إلى أن مات الشيخ نحواً من عشرين سنة ولم يزده على الدعاء شيئاً فقيل له: يا أبا إسحاق، نراك تكثر الدعاء لذلك الشيخ وتزعم أنه فقير معيل فلم لا تتصدق عليه بشيء؟ فقال: أخشى أن يعتاد الصدقة، والصدقة آخر مكاسب العبد، وإن في الدعاء لخيراً كثيراً.

[٦٣٩] وقال محمد بن عيسى الحرقي -وكان جاراً لأبي العتاهية- قال: كان سائل من العيارين الظرفاء وقف على أبي العتاهية وجماعة جيرانه حوله، فسأله فقال: صنع الله لك، فأعاد السؤال ورد مثل ذلك، فأعاد الثالثة فرد مثل ذلك، فغضب وقال: ألست الذي يقول (من المديد):

كل حي عند ميتته حظه من ماله الكفن

قال: نعم.

قال: فبالله أتريد أن تُعدَّ مالك كله لثمن كفنك؟

قال: لا.

قال: بالله كم قدرت لكفنك؟

قال: خمسة دنانير.

قال: هي حظك إذاً من مالك؟

قال: نعم.

قال: فتصدق علي من غير حظك بدرهم واحد.

قال : لو تصدقت عليك لكان حظي.

قال: فاعمل على أن ديناراً من الخمسة وضيعته قيراط، وادفع إلي قيراطاً واحداً، وإلا فواحدة أخرى.

قال: وما هي.

قال: القبور تحفر بثلاثة دراهم فأعطني درهماً وأقيم لك كفيلاً بأني أحفر لك قبرك متى مت وتربح درهمين لم يكونا في حسابك، فإن لم أحفر لك رددته على ورثتك أو رده كفيلي عليهم.

فخجل أبو العتاهية وقال: اغرب قبحك الله وغضب عليك، وضحك جميع من حضر ومر السائل يضحك، فالتفت إلينا أبو العتاهية وقد اغتاظ فقال: من أجل هذا وأمثاله حُرِّمت الصدقة، فقلنا له: من

حرمها، ومتى حرمت؟ فما رأينا أحداً ادعى أن الصدقة حرمت قبله ولا بعده.

[٦٤٠] ولما حضرته الوفاة قال: أشتهي أن يجيء مخارق ويغني عند رأسي (من الطويل):

إذا ما انقضت عني من الدهر مدتي ... فإن عزاء الباكيات قليل

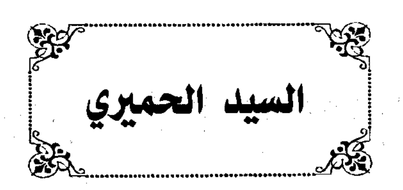
سيُعرض عن ذكري وتُنسى مودتي ... ويحدث بعدي للخليل خليل

والبيتان له من جملة أبيات.

[٦٤١] وأوصى أن يكتب على قبره (من الخفيف):

إن عيشاً يكون آخره المو ... ت لعيش معجل التنغيص

وكانت ولادته سنة ثلاثين ومائة، ووفاته سنة ثلاث عشرة ومائتين، وقيل: سنة إحدى عشرة ومائتين، وأخباره مستقصاة في «كتاب الأغاني»[1].



السيد الحميري

إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة، وجدُّه هذا هو يزيد بن مفرغ الحميري، أبو هاشم المعروف بالسيد الحميري.

[٦٤٢] كان شاعراً محسناً كثير القول إلا أنه رافضي جلد زائغ عن القصد، له مدائح جمة في أهل البيت -عليهم السلام-، وكان مقيماً

(١) الوافي بالوفيات: ٩/ ١٨٥- ١٩٠.

بالبصرة، قال له بشار بن برد: لولا أن الله تعالى شغلك بمديح أهل البيت لافتقرنا.

وكان أبواه يبغضان علياً، سمعهما يسبانه بعد صلاة الفجر فقال (من الخفيف):

لعن الله والديَّ جميعاً ثم أصلاهما عذاب الجحيم
حكما غدوة كما صليا الفجـ ـر بلعن الوصي باب العلوم[1]

وكان يرى رأي الكيسانية؛ لأنه يرى رجعة محمد بن الحنفية إلى الدنيا، وكان كُثَيِّر الشاعر يرى هذا الرأي، وكان السيد يعتقد أنه لم يمت وأنه في جبل رضوى بين أسد ونمر يحفظانه، وعنده عينان نضاختان يجريان بماء وعسل، ويعود بعد الغيبة فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، ويقال إن السيد اجتمع بجعفر الصادق فعرفه خطأه وأنه على ضلالة، فرجع وأناب.

وقال المرزباني في «معجم الشعراء»: يكنى أبا السيد.

وقال غير الأصمعي: إسماعيل بن محمد بن ودَّاع الحميري، وأمه من الحُدَّان تزوج بها أبوه؛ لأنه كان نازلاً فيهم، وقيل: إن أم هذه المرأة أو جدتها بنت ليزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري، وليس لابن مفرغ عقب من ولد ذكر، ولذلك يقول السيد (من البسيط):

إني امرؤ حميري حين تنسبني جدي رُعَيْنٌ وأخوالي ذوو يَزَنِ
ثم الولاء الذي أرجو النجاة به يوم القيامة للهادي أبي حسن

---

(١) الرافضة يزعمون أن النبي ﷺ أوصى لعلي ﷺ بالخلافة من بعده فقبحهم الله، وقبح ما جاؤوا به من إفك.

وكان السيد أسمر تام القامة ، حسن الألفاظ جميل الخطاب، وكان مقدماً عند المنصور والمهدي، وقيل: إنه مات أول أيام الرشيد سنة ثلاث وسبعين ومائة، وقيل: سنة ثمان، وقيل غير ذلك، وولد في أيام بني أمية سنة خمس ومائة.

[٦٤٣] وكان أحد الشعراء الثلاثة الذين لم يضبط الرواة ما هم من الشعر: هو وبشار وأبو العتاهية، وإنما مات ذكره وهجر الناس شعره؛ لإفراطه في سب الصحابة وبغض أمهات المؤمنين وإفحاشه في شتمهم وقذفهم والطعن عليهم، فتحامى الرواة شعره، قال أبو عثمان المازني: سمعت أبا عبيدة يقول: ما هجا بني أمية أحد كما هجاهم الدَّعيَّان: يزيد ابن مفرِّغ أول دولتهم وما عَمّهم، والسيد ابن محمد في آخرها وعَمّهم.

[٦٤٤] وقال السيد: جاء بي أبي وأنا صبي إلى محمد بن سيرين-قبل أن يموت بمدة- فقال: يا بني اقصص رؤياك.

فقلت: رأيت كأني في أرض سبخة وإلى جانبها أرض حسنة وفيها النبي ﷺ واقفاً وليس فيها نبت، وفي الأرض السبخة نخل وشوك، فقال لي: يا إسماعيل، أتدري لمن هذا النخل؟

قلت: لا، قال: هذا للمعروف بامرئ القيس بن حجر الكندي فانقله إلى هذه الأرض الطيبة التي أنا فيها، فجعلت أنقله إلى أن نقلت جميع النخل وحولت شيئاً من الشوك، فقال ابن سيرين لأبي:

أما ابنك فسيقول الشعر في مدح طهرة أبرار، فما مضت إلا مديدة حتى قلت الشعر.

وقال ابن سلام: وكانوا يرون أن النخل مدحه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وفاطمة وأولادها وأن الشوك حوله وما أمر بتحويله هو ما خلط به شعره من ثلب السلف.

[٦٤٥] وقال الصولي: حدثنا محمد بن الفضل بن الأسود، حدثنا علي بن محمد بن سليمان قال: كان السيد كيسانيّاً ثم رجع، وقال قصيدته التي أولها (من الطويل):

تجعفرت باسم الله والله أكبر وأيقنت أن الله يقضي ويقدر

[٦٤٦] وقال الصولي: كان السيد يزعم أن عليّاً -عليه السلام- سمى محمداً ابنه المهدي وأنه الذي بشر به النبي ﷺ أنه يخرج في آخر الزمان، وأنه حي بجبال رضوى على ما تقدم.

وقال الصولي: حدثنا أبو العيناء قال: السيد مذبذب يقول بالرجعة، وقال له رجل من ثقيف: بلغني يا أبا هشام أنك تقول بالرجعة، قال: هو ما بلغك، قال: فأعطني ديناراً بمائة دينار إلى الرجعة، فقال له السيد: على أن توثق لي بمن يضمن أنك ترجع إنساناً، أخاف أن ترجع قرداً أو كلباً فيذهب مالي.

[٦٤٧] قال الصولي: حدثنا العلالي، حدثنا محمد بن عبد الرحمان التميمي، حدثني أبي قال: سمعت أبا محمد عبد الله بن عطاء يقول: لما مات عمي محمد بن الحنفية كنت حاضراً فتوليته وغسلته وصليت عليه وواريته في حفرته، قال عبد الله بن عطاء، فسألني السيد الحميري، عن هذا الحديث فحدثته به، فقال لي: قد رجعت عن قولي ثم بلغني أنه قال بعد ذلك (من السريع):

يا عجباً لابن عطاء روى وربما صرح بالمنكر

عــن ســيد النــاس أبــي جعفــر　　فلــم يقــل صــدقاً ولم يَبْــرُرِ
دفنــت عمــي ثــم غادرتــه　　حليــف لــبن وتــراب ثــري
مــا قــال ذا قــط ولــو قالــه　　قلنـا: انتفـاء مـن أبـي جعفـر

[٦٤٨] ولما استقام الأمر لأبي العباس السفاح، خطب يوماً فأحسن الخطبة فلما نزل عن المنبر قام إليه السيد فأنشده:

دونكموهــا يــا بــني هاشــم　　فجــددوا مــن آيهــا الطامــسا!
دونكموهــا فالبــسوا تاجهــا　　لا تعــدموا مــنكم لهــا لابــسا!
دونكموهــا لا عــلا كعــب مــن　　أمــسى علــيكم ملكهــا نافــسا!
خلافــــة الله وســــلطانه　　وعنــصر كــان لكــم دارســا
قــد ساســها قــبلكم ساســة　　لم يتركــوا رطبــاً ولا يابــسا
لــو خــير المنــبر فرســانه　　مــا اختــار إلا مــنكمُ فارســا
فلــست مــن أن تملكوهــا إلى　　هبــوط عيــسى مــنكمُ آيــسا

فقال السفاح: سل حاجتك، فقال: ترضى عن سليمان بن حبيب بن المهلب وتوليه الأهواز، فأمر بذلك وأن يكتب عهده ويدفع إلى السيد، فأخذه وقدم به عليه فلما وقعت عينه عليه أنشده (من المتقارب):

أتينــاك يــا قــرم أهــل العــراق　　بخــير كتــاب مــن القــائم
أتينــاك مــن عنــد خــير الأنــا　　م ذاك ابــن عــم أبــي القاســم
يوليــك فيــه جــسام الأمــور　　فأنــت صــنيع بــني هاشــم
أتينــا بعهــدك مــن عنــده　　علــى مــن يليــك مــن العــالم

فقال له سليمان: شريف وشافع وشاعر ووافد ونسيب، سل حاجتك

فقال: جارية فارهة جميلة ومن يخدمها، وبدرة دراهم وحاملها، وفرس رائع وسائسه، وتخت من صنوف الثياب وحامله، قال: قد أمرت لك بجميع ما سألت، وهو لك عندي في كل سنة.

[٦٤٩] قال أبو ريحانة: وكان يُشار إليه في التصوف والورع، قال: حدثني رجل كان أبوه من جوار السيد قال: لما حضرته الوفاة جاءنا وليه فقال: هذا وإن كان مخلطاً فهو من أهل التوحيد وهو جاركم، فادخلوا إليه فلقنوه الشهادة، قال: فدخلنا إليه وهو يجود بنفسه، قال: فقلنا له: قل: «لا إله إلا الله» قال: فاسود وجهه وفتح عينيه، قال: ثم قال لنا ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾[1] قال: وخرجنا فمات من ساعته[2].



المزني الشافعي

إسماعيل بن يحيى أبو إبراهيم الفقيه المصري، المعروف بالمزني صاحب الشافعي ﷺ.

كان زاهداً، عالماً مجتهداً مناظراً محجاجاً غواصاً على المعاني الدقيقة، صنف كتباً كثيرة، قال الشافعي: المزني ناصر مذهبي.

[٦٥٠] وكان مجاب الدعوة، وكان يغسل الموتى تعبدّاً وديانة، وقال: تعانيت ذلك ليرق قلبي، فصار عادة وهو الذي غسل الشافعي.

وكان رأساً في الفقه ولم تكن له معرفة بالحديث كما ينبغي، وتوفي لست بقين من رمضان سنة أربع وستين ومائتين.

---

(١) سورة سبأ: ٥٤.

(٢) الوافي بالوفيات: ٩/ ١٩٦- ٢٠٢.

[٦٥١] وكان إذا فرغ من مسألة أودعها مختصره، قام إلى المحراب وصلى ركعتين شكراً لله تعالى، وقال أبو العباس بن سريج: يخرج «مختصر» المزني من الدنيا عذراء لم تفتض، وهو أصل الكتب المصنفة في مذهب الشافعي، وعلى مثاله رتبوا ولكلامه فسروا وشرحوا.

[٦٥٢] ولما ولي القاضي بكار بن قتيبة مصر وكان حنفي المذهب توقع الاجتماع بالمزني فلم يتفق، فاجتمعا في صلاة جنازة، فقال بكار لأحد أصحابه: سل المزني شيئاً حتى أسمع كلامه، فقال له ذلك الشخص:

يا أبا إبراهيم قد جاء في الأحاديث تحريم النبيذ وجاء تحليله أيضاً، فلم قدمتم التحريم على التحليل؟

فقال المزني: لم يذهب أحد من العلماء إلى أن النبيذ كان حراماً في الجاهلية ثم حلل، ووقع الاتفاق على أنه كان حلالاً ثم حرم، فهذا يعضد صحة الأحاديث بالتحريم، فاستحسن منه ذلك.

[٦٥٣] وكان المزني في غاية الورع، وبلغ من احتياطه أنه كان يشرب في جميع فصول السنة في كوز نحاس، فقيل له في ذلك فقال: بلغني أنهم يستعملون السرجين[١] في الكيزان والنار لا تطهرها.

[٦٥٤] وكان إذا فاتته صلاة جماعة صلاها منفرداً خمساً وعشرين صلاة؛ استدراكاً لفضيلة الجماعة[٢].

---

(١) السرجين: الزِّبْل من الروث وغيره.

(٢) الوافي بالوفيات: ٩/ ٢٣٨، ٢٣٩.



أبو فائد الشاعر

إسماعيل بن يسار النساء، إنما سمي أبوه يسار النساء؛ لأنه كان يصنع طعام العرس ويبيعه فيشتريه من أراد التعريس، وكان من موالي بني تيم، تيم قريش.

وكان إسماعيل منقطعاً إلى الزبير، من شعراء الدولة الأموية، وكان طيباً مليح الشعر.

[٦٥٤] قيل: إنه عادل مرة عروة بن الزبير في محمل، فقال عروة لبعض غلمانه، انظر كيف ترى المحمل، مال واعتدل، فقال إسماعيل: الله أكبر، ما اعتدل الحق والباطل قط قبل الليلة، فضحك عروة وكان يستطيبه.

[٦٥٥] وقال إسماعيل يفخر بالعجم على العرب (من الخفيف):

رب خالٍ متوج لي وعم ... ماجد المجتدى كريم النصاب

إنما سمي الفوارس بالفر ... س مضاهة رفعة الأنساب

فاتركي الفخر يا أُمام علينا ... واتركي الجور وانصفي بالصواب

إذ نربي بناتنا وتدسو ... ن سِفَاهاً بناتكم في التراب

فلما سمعه أشعب قال: يا أبا فائد: أراد القوم بناتهم لغيرما أردتموهن له، قال: وما ذاك؟ قال: دفن القوم بناتهم خوفاً من العار، وربيتموهن لتنكحوهن، فخجل إسماعيل وضحك من كان حاضراً.

[٦٥٦] ودخل على هشام بن عبد الملك وهو بالرصافة في خلافته جالس على بركة له في قصره، فاستنشده، وهو يرى أنه ينشده مديحاً له، فأنشده قوله يفخر بالعجم:

يا ربع رامة بالعلياء من رِيم ... هل ترجعن إذا حَيّيتُ تسليمي؟

منها:

أصلي كريم ومجدي ما يقاس به ... ولي لسان كحد السيف مسموم

أحمي به مجد أقوام ذوي حسب ... من كل قَرْم بتاج الملك معموم

جحاجحٍ سادةٍ بُلْخٍ مرازبة ... جردٍ عتاقٍ مساميح مطاعيم

من مثل كسرى وسابور الجنود معاً ... والهرمزان لفخر أو لتعظيم

أُسْد الكتائب يوم الروع إن زحفوا ... وهم أذلوا ملوك الترك والروم

فغضب هشام وقال: يا عاض بظر أمه، أعليَّ تفخر وإياي تنشد مدح نفسك وأعلاج قومك؟ غطوه في الماء، فغط حتى كادت تخرج نفسه، ونفي إلى الحجاز، وكان مبتلى بالعصبية للعجم، وكان لا يزال محروماً[(١)].



أسود بن سالم أبو محمد البغدادي الزاهد الورع.

كان بينه وبين معروف الكرخي مودة ومحبة ومصافاة.

---

(١) الوافي بالوفيات: ٩/ ٢٤١- ٢٤٤.

[٦٥٧] قال علي بن محمد الصفار: أنشدت للأسود ليلة: (من الوافر):

أمامي موقف قدام ربي يسائلني وإن كشف الغطاء
وحسبي أن أمر على صراط كحد السيف أسفله لظاء

فصرخ أسود وخر مغشيّاً عليه، فما أفاق حتى طلع الفجر.

قلت: لو قال الشاعر: «أسفله البلاء» لاستراح من مد المقصور؛ لأنه عيب فاحش.

[٦٥٨] وقال أبو محمد: ركعتان أصليهما أحب إلي من الجنة!!، فقيل له في ذلك فقال: دعونا من كلامكم، فإن الركعتين رضا ربي، والجنة رضا نفسي، ورضا ربي أحب إلي من رضا نفسي.

[٦٥٩] وكان يسرف في الوضوء ثم ترك، فقيل له في ذلك فقال: أرقت ليلة فهتف بي هاتف: يا أسود، ما تصنع؟ حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب قال: إذا جاوز الوضوء ثلاثاً لم يرفع إلى السماء.

فقلت: أجنِّي أم أنسي؟ فقال: هو ما تسمع، قال: فقلت: أنا تائب، فأنا اليوم يكفيني كف من الماء.

وكان صدوقاً، وتوفي سنة أربع عشرة ومائتين[١].

---

(١) الوافي بالوفيات: ٩/ ٢٥١، ٢٥٢.



النخعي

أسود بن يزيد بن قيس بن عبد الله بن مالك أبو عمر، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة.

[٦٦٠] كان يصوم الدهر ويصوم في الحر حتى يسود لسانه، وكان يصوم في السفر، فقيل له: لم تعذب هذا الجسد؟ فقال: إنما أريد الراحة، وذهبت إحدى عينيه من الصوم في الحر.

[٦٦١] وطاف بالبيت ثمانين حجة وعمرة، وكان يهل من الكوفة وحج سبعاً وسبعين حجة، وكان لا يصلي على من مات وهو موسر ولم يحج.

[٦٦٢] وكان يختم القرآن في شهر رمضان في كل ليلتين، وكانت عائشة-رضي الله عنها- تقول: ما بالعراق رجل أكرم علي من الأسود.

وكان يصفر رأسه ولحيته.

وكان يقال له: رأس مال أهل الكوفة.

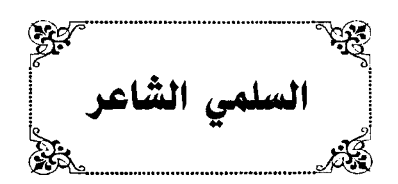
وانتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين، الأسود أحدهم.

سمع معاذاً باليمن-لما بعثه رسول الله ﷺ- وروى عن أبي بكر وعمر وعلي وابن مسعود وأبي موسى وسلمان وعائشة-رضي الله عنهم-.

وكان ثقة، وروى له البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

توفي-فيما يقال على خلاف- ما بين الثمانين والتسعين للهجرة.

وكنيته أبوعمرو، أخو عبد الرحمان ووالد عبد الرحمان، وابن أخي علقمة بن قيس، وخال إبراهيم النخعي[1].



السلمي الشاعر

أشجع بن عمرو السلمي من ولد الشريد بن مطرود.

ربي ونشأ بالبصرة ثم خرج إلى الرقة والرشيد بها، فمدح البرامكة وانقطع إلى جعفر خاصة وأصفاه مدحه، ووصله الرشيد وأعجبه مدحه وأثْرت حاله في أيامه وتقدم عنده.

[٦٦٣] قال عبد الله بن العباس الربيعي: إن أول من أدخل أشجع على الرشيد أنه خدم الفضل بن الربيع، وأنه وصفه للرشيد وقال: هو أشعر أهل هذا الزمان، وقد اقتطعه عنك البرامكة، فأمر بإحضاره وإيصاله مع الشعراء، فلما وصل إليه أنشده وذكر القصر الذي بناه (من الكامل):

قصر عليه تحية وسلام ... نشرت عليه جمالها الأيام

فيه اجتلى الدنيا الخليفة والتقت ... للملك فيه سلامة وسلام

تثني على أيامك الأيام ... الشاهدان الحل والإحرام

وعلى عدوك يا ابن عم محمد ... رصدان: ضوء الصبح والإظلام

فإذا تنبه رُعْتَه وإذا غفا ... سلت عليه سيوفَك الأحلام

---

(١) الوافي بالوفيات: ٩/ ٢٥٦، ٢٥٧.

فاستحسنها الرشيد وأمر له بعشرين ألف درهم.

وكان جعفر بن يحيى البرمكي يجري عليه في كل جمعة مائة دينار.

توفي أشجع - تقريباً- في حدود المائتين، وشعره وأخباره في «كتاب الأغاني» كثيرة[1].



الطمع

أشعب بن جبير، يعرف بابن حميدة المدني، الذي يضرب به المثل في الطمع.

[٦٦٤] وقيل له: ما بلغ بك من الطمع؟ قال: ما زفت امرأة بالمدينة إلا كنست بيتي رجاء أن تهدي إليَّ.

[٦٦٥] ومر برجل يعمل طبقاً فقال: وسِّعه فربما يهدون لنا فيه شيئاً.

[٦٦٦] وقيل: من عجائب أمره أنه لم يمت شريف قط بالمدينة إلا استعدى على وصيته-أو على وارثه- وقال: احلف أنه لم يوص لي بشيء قبل موته.

[٦٦٧] وكان زياد بن عبد الله الحارثي على شرطة المدينة، وكان مبخلاً على الطعام، فدعا أشعب في شهر رمضان ليفطر عنده، فقدمت إليه أول ليلة مصلية معقودة وكانت تعجبه، فأمعن فيها أشعب وزياد يلمحه، فلما فرغوا من الأكل قال زياد: ما أظن لأهل السجن إماماً

(١) الوافي بالوفيات: ٩/ ٢٦٥- ٢٦٧.

يصلي بهم في هذا الشهر فليصل بهم أشعب، فقال أشعب: أو غير ذلك أصلحك الله، قال: وما هو؟ قال: أن لا أذوق مصلية أبداً، فخجل زياد وتغافل عنه.

[٦٦٨] وقال أشعب: جاءتني جارية بدينار وقالت: هذا وديعة عندك، فجعلته بين ثني الفراش، فجاءت بعد أيام وقالت: الدينار، فقلت: ارفعي الفراش وخذي ولده، وكنت تركت إلى جانبه درهماً، فتركت الدينار وأخذت الدرهم، وعادت بعد أيام فوجدت معه درهماً آخر فأخذته، وعادت في الثالثة كذلك، فلما رأيتها في الرابعة تباكيت، فقالت: ما يبكيك؟ فقلت: مات دينارك في النفاس، فقالت: وكيف يكون للدينار نفاس؟ فقلت: يا فاسقة، تصدقين بالولادة ولا تصدقين بالنفاس؟!

[٦٦٩] وسأل سالم بن عبد الله بن عمر أشعب عن طمعه فقال: قلت لصبيان مرة: اذهبوا هذا سالم قد فتح بيت صدقة عمر حتى يطعمكم تمراً، فلما مضوا ظننت أن الأمر كان كما قلت لهم، فعدوت في إِثرهم.

[٦٧٠] وقيل له: ما بلغ من طمعك، قال: أرى دخان جاري فأثرد، وقيل له أيضاً ذلك فقال: ما رأيت اثنين يتساران إلا ظننت أنهما يأمران لي بشيء.

[٦٧١] ولما مات ابن عائشة المغني جعل أشعب يبكي ويقول: قلت لكم زوجوا ابن عائشة المغني من الشماسية حتى يخرج بينهما مزامير داود فلم تفعلوا، ولكن لا يغني حذر من قدر.

[٦٧٢] وخفف الصلاة مرة فقال له بعض أهل المسجد: خففت الصلاة جدّاً، فقال: إنها صلاة لم يخالطها رياء.

[٦٧٣] وقال له رجل كان صديق أبيه: كان أبوك عظيم اللحية، فمن أشبهت أنت؟ قال: أشبهت أمي.

[٦٧٤] وقال له رجل يوماً: ضاع معروفي عندك، قال: لأنه جاء من غير محتسب، ثم وقع عند غير شاكر.

[٦٧٥] وكان أشعب لا يغيب عن طعام سالم بن عبد الله بن عمر، فاشتهى سالم يوماً أن يأكل مع بناته فخرج إلى بستان، فخُبِّر أشعب بالقصة فاكترى جملاً بدرهم، فلما حاذى حائط البستان وثب عليه فصار عليه فغطى سالم بناته بثوبه وقال: بناتي، فقال أشعب: إنك لتعلم ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾[1].

وقيل: هو من موالي عثمان.

وتوفي سنة أربع وخمسين ومائة، وولد سنة تسع من الهجرة فعمر دهراً طويلاً.

وكان أشعب قد تعبد وقرأ القرآن وتنسك، وكان حسن الصوت بالقراءة، وكان ربما صلى بهم في المسجد وهو خال الواقدي.

[٦٧٦] قال سليمان الشاذكوني: كان لي ابن في المكتب وأشعب جالس عند المعلم فقرأ: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ﴾[2] فقام أشعب ولبس نعليه وقال: امش بين يدي، فقال: إنما أقرأ حزبي، فقال: قد علمت أنك لا تفلح لا أنت ولا أبوك.

[٦٧٧] قال المدائني: قال أشعب:

---

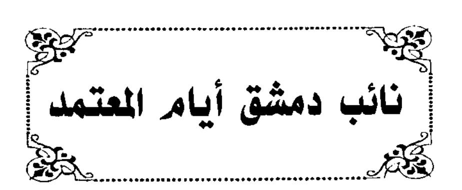
(١) سورة هود: ٧٩.

(٢) سورة القصص: ٢٥.

تعلقت بأستار الكعبة وقلت: اللهم، أذهب الحرص عني، فمررت بالقرشيين وغيرهم فلم يعطني أحد شيئاً، فجئت إلى أمي فقلت ذاك لها فقالت: والله لا تدخل بيتي أو ترجع فتستقيل الله تعالى، فرجعت فقلت: يا رب قد سألتك أن تخرج الحرص من قلبي، فأقلني، ثم رجعت فلم أمرّ بمجلس فيه قريش ولا غيرهم إلا سألتهم وأعطوني، ووُهِب لي غلام فجئت إلى أمي بحمار موقر، فقالت: ما هذا؟ فخفت إن أعلمتها أن تموت فقلت: وهبوا لي غين، قالت: ويلك وما غين؟ قلت: لام، قالت: وما لام؟ قلت: ألف، قالت: وأي شيء ألف؟ قلت: ميم، قالت: وأي شيء ميم؟ قلت: غلام، وسقطت مغشيّاً عليها ولو سميته أول سؤالها لماتت.

[٦٧٨] ورأى على عبد الله بن عمر كساء فقال: سألتك بوجه الله إلا أعطيتني هذا الكساء، فرمى به إليه، وكان يقول: حدثني عبد الله بن عمر وكان يبغضني.

وكان أشعب مجيداً في الغناء[١].



نائب دمشق أيام المعتمد

أماجور التركي أمير دمشق أيام المعتمد.

كان مهيباً شجاعاً، أمنت الطرق في أيامه والحجاج، وكان الشام أيامه مثل المهد.

(١) الوافي بالوفيات: ٩/ ٢٦٩- ٢٧٤.

[٦٧٩] بعث مرة جنديّاً إلى أذرعات في رسالة، فنزل اليرموك فصادف أعرابيّاً في قرية، فجلس الجندي إليه فمد الأعرابي يده ونتف من سبال الجندي خصلتي شعر، وعاد الجندي إلى دمشق، وبلغ الخبر أماجور فدعاه وسأله عن القصة فاعترف فحبسه، ثم استدعى بمعلم الصبيان وأعطاه مالاً، وقال له:

اذهب إلى المكان الفلاني وأظهر أنك تعلم الصبيان، فلابد أن ترى الأعرابي هناك فشاغله، وأعطاه طيوراً وقال: عرفني الأخبار يوماً بيوم، ففعل المعلم ما أمره فرأى الأعرابي وشاغله وأطلق الطيور، فركب أماجور بنفسه ووصل إليها في يوم واحد وأخذ الأعرابي مكتوفاً، ودخل دمشق وقال له: ما حملك على ما فعلت برجل من أولياء السلطان؟

قال: كنت سكراناً لم أعقل، فأمر بنتف كل شعرة فيه من أجفانه ولحيته ورأسه، وما ترك على جسمه شعرة، وضربه ألف سوط وقطع يديه ورجليه وصلبه[1]، وأخرج الجندي من الحبس وضربه مائة سوط وطرده عن الخدمة، وقال: أنت ما دافعت عن نفسك، فكيف تدافع عني؟

[٦٨٠] ولما مات أماجور في سنة أربع وستين ومائتين رؤي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر الله لي.

فقيل له: بماذا؟

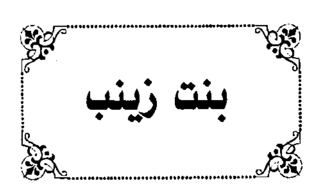
قال: بحفظي طرقات المسلمين والحجاج.

وبنى خاناً بالخواصين، بدمشق وكتب على بابه: «مائة سنة وسنة» فعاش بعد ذلك مائة يوم ويوم، رحمه الله تعالى[2].

---

(١) أعوذ بالله من هذه العقوبة الظالمة.

(٢) الوافي بالوفيات: ٩/ ٣٧٥، ٣٧٦.



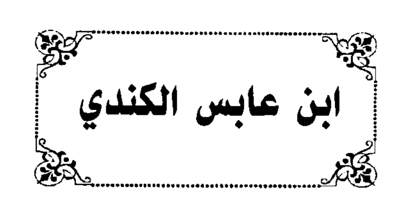
بنت زينب

أمامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف، أمها زينب بنت رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يحبها وربما حملها على عنقه في الصلاة.

عن عائشة أن رسول الله ﷺ أهديت له هدية فيها قلادة جزع فقال: «**لأدفعنها إلى أحب أهلي**»، فقال النساء: ذهبت بها ابنة أبي قحافة، فدعا أمامة بنت زينب فأعلقها في عنقها.

[٦٨١] وتزوجها علي بن أبي طالب بعد فاطمة، زوجها منه الزبير ابن العوام، وكان أبوها أبو العاص أوصى بها إلى الزبير، فلما حضرت عليّاً الوفاة قال لأمامة: إني لا آمن أن يخطبك هذا بعد موتي- يعني معاوية- فإن كان لك في الرجال حاجة فقد رضيت لك المغيرة بن نوفل عشيراً، فلما انقضت عدتها كتب معاوية إلى مروان أن يخطبها عليه، وبذل لها مائة ألف دينار، فلما خطبها أرسلت إلى المغيرة تقول: إن هذا قد أرسل يخطبني فإن كان لك بنا حاجة فأقبل، فأقبل وخطبها إلى الحسن بن علي، فزوجها منه، وتوفيت عنده في حدود الخمسين للهجرة[١].

(١) الوافي بالوفيات: ٩/ ٣٧٧،٣٧٨.



ابن عابس الكندي

امرؤ القيس بن عابس الكندي.

وفد على رسول الله ﷺ وخاصم إليه في أرض، ورجع إلى بلاده.

[٦٨٢] وثبت على إسلامه ولم يرتد مع من ارتد من كندة، وأنكر على الأشعث بن قيس ارتداده، وأسمعه كلاماً غليظاً.

ثم خرج إلى الشَّأم مجاهداً وشهد اليرموك، وكان نازلاً ببيسان من الشأم، فلما وقع طاعون عمواس أسرع في كندة، فقال امرؤ القيس:

رب خَودٍ مثل الهلال وبيضا ... ء كعوبٍ بالجِزع من عمواس

ومن شعره أيضاً:

دنت وظلال الموت بيني وبينها ... وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل

[٦٨٣] وكان له ﷺ غَناء في الردة، ولما أُخرج الكنديون عن الردة لِيُقتلوا، وثب على عمه ليقتله، فقال له عمه: ويحك يا امرأ القيس، أتقتل عمك؟ قال: أنت عمي والله ربي، وقتله.

[٦٨٤] وهو القائل:

ألا أبلغ أبا بكر رسولاً ... وأبلغها جميع المسلمينا

فليس مجاوراً بيتي بيوتاً ... بما قال النبي مكذبينا

ولا متبدلاً بالله رباً ... ولا متبدلاً بالدين دينا

[٦٨٥] وهو القائل:

قــف بالــديار وأنــت حــابس ... وتــأن إنــك غــير آنــس

مــاذا عليــك مــن الوقــو ... ف بهــا مــد الطَّللــين دارس

لعبــت بهــن العاصــفا ... ت الرائحــات مــن الــروامس

يــا رب باكيــة علــيّ ... ومنــشد لــي في المجــالس

لا تعجبــوا إن تــسمعوا ... هلك امرؤ القيس بن عابس[1]



الكلبي

امرؤ القيس بن عدي الكلبي.

قال عوف بن خارجة: إني لعند عمر بن الخطاب ﷺ في خلافته إذ أقبل رجل أَفْحَج أَجْلَى أَمْعَر[2] يتخطى رقاب الناس حتى قام بين يدي عمر، فحياه بتحية الخلافة، فقال له عمر: ممن أنت؟

قال: أنا امرؤ نصراني وأنا امرؤ القيس بن عدي الكلبي، فلم يعرفه عمر.

فقال رجل: هذا صاحب بكر بن وائل الذي أغار عليهم في الجاهلية يوم فلج.

---

(١) الوافي بالوفيات: ٩/ ٣٨١، ٣٨٢.

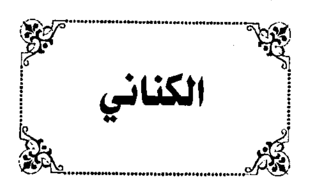
(٢) أفحج: أي تدانت صدور قدميه وتباعدت عقباه.

وأجلى: أي منحسر مقدم شعر رأسه.

وأمعر: قليل الشعر أو ذاهبه: انظر ((المعجم الوسيط)): ف ح ج، ج ل ء، م ع ر.

قال: فما تريد؟ قال: أريد الإسلام، فعرضه عليه عمر، فقبله، ثم دعا له برمح فعقد له على من أسلم بالشأم من قضاعة، فأدبر الشيخ واللواء يهتز على رأسه، قال عوف: فوالله، ما رأيت رجلاً لم يصل لله ركعة قط أُمِّر على جماعة من المسلمين قبله.

[٦٨٦] ونهض علي بن أبي طالب ﷺ من المجلس ومعه ابناه حسن وحسين-عليهما السلام- حتى أدركه، فأخذ بثيابه فقال: يا عم، أنا علي ابن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ وصهره، وهذان ابناي من ابنته وقد رغبنا في صهرك فأنكحنا، فقال: قد أنكحتك يا علي المحياة بنت امرئ القيس، وأنكحتك يا حسين الرباب بنت امرئ القيس(١).



الكناني

أمية بن الأشكر(٢) هو من كنانة من بني ليث، صحابي شاعر مخضرم، من سادات قومه.

[٦٨٧] كان له ولد اسمه كلاب هاجر في أيام عمر بن الخطاب ﷺ إلى المدينة فأقام بها مدة، ثم لقي ذات يوم طلحة والزبير فسألهما: أي الأعمال أفضل؟ فقالا: الجهاد، فسأل عمر ﷺ فأغزاه في جيش، وكان أبوه قد كبر وضعف فلما طالت غيبته قال (من الوافر):

لمن شيخان قد نشدا كلابا كتاب الله لو قبل الكتابا

---

(١) الوافي بالوفيات: ٩/ ٣٨٣.

(٢) وقيل الأسْكر.

أناديــــه فيعـــرض في إبـــاء فـلا وأبـي كـلاب مـا أصـابا

أتـــاه مهـــاجران تكنفـــاه ففــارق شـيخه خطـأ وخابـا

تركــت أبــاك مُرْعَــشة يــداه وأمـك مـا تُـسيغ لهـا شـرابا

وإنـك والتمـاس الأجـر بعـدي كبـاغي المـاء يتّبـع الـسرابا

فبلغت أبياته عمر ﷺ فلم يردد كلاباً، وطال مقامه فخلط جزعاً عليه، ثـم إنـه أتـاه يومـاً وهـو في مـسجد رسـول الله ﷺ وحولـه المهـاجرون والأنصار، فوقف عليه وأنشأ يقول (من الوافر):

أعـاذلَ قـد عـذلت بغـير قـدر ولا تـدرين عـاذلَ مـا ألاقـي[1]

فإمـا كنـت عـاذلتي فـردي كلابـاً إذ توجـه للعـراق

ولم أقـض اللُبانـة مـن كـلاب غـداة غـدٍ وآذن بـالفراق[2]

فتـى الفتيـان في يـسر وعـسر شـديد الـركن في يـوم التلاقـي

ولا وأبيـك مـا باليـتَ وَجـدي ولا شـفقي عليـك ولا اشـتياقي

وإبقـائي عليـك إذا شَـتونا وضَـمَّك تحت نحـري واعتنـاقي

فلـو فلـق الفـؤاد شـديدَ وَجْـد لهَـمَّ سـواد قلـبي بـانفلاق

سأسـتعدي علـى الفـاروق ربـاً لـه دفـع الحجـيج إلى سـياق

وأدعـو الله مجتهـداً عليـه بـبطن الأخـشبين إلى دُفـاق[3]

---

(١) في ((خزانة الأدب)): ٦/ ١٩: بغير علم.

(٢) في المصدر السابق: غداة غدا.

(٣) الأخشبان جبلان بمكة أحدهما أبو قبيس، ودُفاق: موضع قرب مكة: انظر ((معجم البلدان)): ١/ ١٢٢،٢/ ٤٥٧-٤٥٨.

إنِ الفـــاروق لم يـــردد كلابـــاً إلى شــــيخين هامُهمــــا زواق[1]

فبكى عمر ﷺ وأمر برد كلاب إلى المدينة، فلما قـدم دخـل إليـه فقـال: مـا بلغ من برك بأبيك؟

فقال: كنت أوثره وأكفيه أمـره، وكنـت أعتمـد-إذا أردت أن أحلـب لـه - أغزر ناقة في إبله وأسمنها فأريحهـا وأتركهـا حتـى تـستقر، ثـم أغـسل أخلافهـا حتى تبرد ثم أحتلب له فأسقيه، فبعث عمـر ﷺ إلى أبيـه مـن جـاء بـه وأدخلـه وقد ضعف بصره وانحنى، فقال: يا أبا كلاب، كيف أنت؟ فقـال: كمـا تـرى يـا أمير المؤمنين.

فقال: هل من حاجة؟

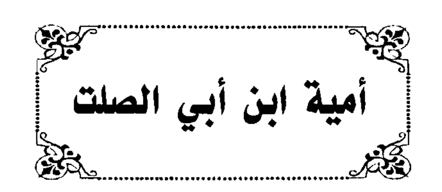
فقـال: كنـت أشـتهي أن أرى كلابـاً فأشمـه شمـة وأضـمه ضـمة قبـل أن أموت، فبكى عمر وقال: ستبلغ في هذا مـا تحـب، إن شـاء الله تعـالى، ثـم أمـر كلاباً أن يحتلب لأبيه ناقة، كما كان يفعل ويبعـث إلى أبيـه ففعـل، فناولـه عمـر الإناء وقال: دونك يا أبا كلاب، فلما أخـذه وأدنـاه إلى فمـه قـال: لعمـر الله يـا أمير المؤمنين إني لأشم رائحة كلاب من هـذا الإنـاء، فبكـى عمـر وقـال: هـذا كلاب حاضر عندك، فنهض إليه وقبله، وجعل عمر يبكي ومـن حـضره، فقـال لكـلاب: الـزم أبويـك، وأمـر لـه بعطائـه وأمـره بالانـصراف، فلزمهمـا إلى أن ماتا[2].

---

(١) الهام: جمع هامة، وهي الرأس.

الزواق معانيه تدور حول الزينة والنقش ولاوجه لها هنا إلا أن يكون النقش بالحناء للصداع، والله أعلم.

(٢) الوافي بالوفيات: ٩/ ٣٩٢- ٣٩٤.



أمية ابن أبي الصلت

واسم أبي الصلت عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف، من ثقيف.

[٦٨٨] كان أبوه شاعراً، وهو القائل من قصيدة يمدح ابن جدعان:

قومي ثقيف إن سألت وأسرتي ... وبهم أدافع ركن من عاداني

قوم إذا نزل الغريب بدارهم ... ردوه رب صواهل وقيان

لا ينكتون الأرض عند سؤالهم ... لتطلب العلاَّت بالعيدان(١)

اتفق العلماء على أنه أشعر ثقيف.

[٦٨٩] كان قد نظر في الكتب ولبس المسوح تعبداً وشك في الأوثان والتمس الدين وطمع في النبوة، فلما ظهر النبي ﷺ قيل له: هذا الذي كنت تستريب وتقول فيه، فحسده عدو الله وقال: إنما كنت أرجو أن أكونه، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ﴾(٢) وكان يحرض قريشاً بعد وقعة بدر، ورثى قتلى بدر بقصيدة منها (من الكامل):

ماذا ببدر والعقنـ ... ـقل من مرازبةٍ جحاجح

ونهى النبي ﷺ أن تروى.

---

(١) أي أن قومه إذا جاءهم طالب حاجة لا يحارون في شأنه ولا يؤخرونه بالتعليلات كفعل من يأخذ العود ويحفر به الأرض إذا حار ولم يدر ما يفعل.

(٢) سورة الأعراف: ١٧٥.

[٦٩٠] عن الزهري قال: خرج أمية في نفر فنزلوا، فأمَّ أمية وجهاً وصعد في كثيب، فرفعت له كنيسة فانتهى إليها، فإذا شيخ جالس فقال لأمية حين رآه: إنك لمتبوع، فمن أين يأتيك؟ قال: من شقّي الأيسر، قال: فأي الثياب أحب إليك أن يلقاك فيها؟ قال: السواد، قال: كدت والله أن تكون نبي العرب ولست به، هذا خاطر من الجن وليس بملك، وإن نبي العرب ﷺ صاحب هذا الأمر يأتيه من شقه الأيمن وأحب الثياب إليه أن يلقاه فيها البياض.

[٦٩١] عن عبد الرحمن بن أبي حماد قال: كان أمية جالساً فمرت به غنم فثغت منها شاة[١]، فقال للقوم: هل تدرون ما قالت الشاة؟ قالوا: لا، قال: إنها قالت لسخلتها[٢]: مرِّي لا يأكلك الذئب كما أكل أختك عام أول في هذا الموضع، فقام بعض القوم إلى الراعي فاستخبره، فكان الأمر كما قال.

[٦٩٢] عن أبي الأعرابي قال: خرج ركب من ثقيف إلى الشام وفيهم أمية، فلما قفلوا راجعين نزلوا منزلاً إذ أقبلت عظاية[٣] حتى دنت منهم، فحصبها بعضهم بشيء في وجهها فرجعت، وكفتوا سفرتهم ثم قاموا يرحلون ممسين، فطلعت عجوز وراء كثيب مقابل لهم تتوكأ على عصا، فقالت لهم: ما منعكم أن تطعموا رحيمة الجارية اليتيمة التي جاءتكم عُتيمة قالوا: وما أنت؟

---

(١) الثغاء :صوت الشاة.

(٢) السخلة : صغار الماعز أو الضأن.

(٣) مثل الوزغ.

قالت: أنا أمُّ العوَّام، أتيت منذ أعوام، أما ورب العباد، لتفترقن في البلاد! ثم ضربت بعصاها الأرض، ثم قالت: أطيلي إيابهم ونفري ركابهم، فوثبت الإبل كأن على كل بعير شيطاناً لم يملك منها شيء حتى افترقت في الوادي فجمعوها من آخر النهار ومن غد، فلما أناخوها ليرحلوها طلعت العجوز فضربت بعصاها الأرض وقالت كقولها، ففعلت الإبل كفعلها، فلم تجمع إلى الغد عشية، فلما أناخوها ليرحلوها خرجت العجوز ففعلت كفعلها في اليومين ونفرت الإبل، فقالوا لأمية: أين ما كنت تخبرنا عن نفسك؟

فقال: اذهبوا أنتم في طلب الإبل ودعوني، فتوجه إلى الكثيب الذي كانت تأتي منه العجوز حتى علاه وهبط منه إلى وادٍ، فإذا فيه كنيسة وقناديل، وإذا رجل مضطجع معرض على بابها وإذا رجل آخر جالس أبيض الرأس واللحية، فلما رأى أمية قال: إنك لمتبوع فمن أين يأتيك صاحبك؟

قال: من أذني اليسرى.

قال: فبأي الثياب يأمرك؟ قال: بالسواد.

قال: هذا من الجن، كدت أن تكونه، إن صاحب النبوة ﷺ يأتيه صاحبه من قبل أذنه اليمنى ويأمره بلبس البياض، فما حاجتك؟ فحدثه حديث العجوز، قال: صدقت، هي امرأة يهودية من الجن هلك زوجها منذ أعوام، وإنها لن تزال تفعل ذلك بكم حتى تهلككم إن استطاعت.

قال أمية: وما الحيلة؟

قال: اجمعوا ظهركم فإذا جاءتكم ففعلت كما كانت تفعل فقولوا لها: سبع من فوق سبع، باسمك اللهم، فلن تضركم، فرجع أمية إليهم وقد

جمعوا الظهر، فلما أقبلت قال لها ما أمره الشيخ فلم تضرهم، فلما رأت الإبل لم تتحرك قالت: قد عرفت صاحبكم ليبيضن أعلاه وليسودن أسفله، فأصبح أمية وقد برص في عذاره واسود أسفله فلما قدموا مكة ذكروا لهم هذا الحديث، فكان ذلك أول ما كتب أهل مكة في كتبهم «باسمك اللهم».

[٦٩٣] عن ثابت بن الزبير قال:

لما مرض المرض الذي مات فيه جعل يقول: قد دنا أجلي وهذه المرضة منيتي، وأنا أعلم أن الحنيفية حق ولكن الشك تداخلني في محمد[١]، فلما دنت وفاته أغمي عليه قليلاً ثم أفاق وهو يقول:

لبيكما لبيكما، ها أنذا لديكما، لا مال لي يفديني، ولا عشيرة تنجيني ثم أغمي عليه بعد ساعة، حتى ظن من حضره من أهله أنه قد قضى، ثم أفاق وهو يقول: لبيكما لبيكما، ها أنذا لديكما، لا بريء فأعتذر، ولا قوي فأنتصر، ثم إنه بقي يحدُّث من حضر ساعة ثم أغمي عليه مثل المرتين حتى يئسوا منه فأفاق وهو يقول: لبيكما لبيكما، ها أنذا لديكما (من الرجز):

إن تغفر اللهم تغفر جماً ... وأي عبدٍ لك لا ألما

ثم قضى نحبه.

[٦٩٤] وقيل: إن أمية بينا هو يشرب مع إخوان له في قصر بالطائف إذ سقط غراب على شرفة القصر فنعب نعبة، فقال: بفيك الكَثْكَث -وهو التراب- فقال له أصحابه: ما يقول؟

(١) إنما هو الحسد أعماه وأضله، نسأل الله العافية.

قال: يقول: إنك إذا شربت الكأس التي بيدك مت، فقلت: بفيك الكثكث، ثم نعب أخرى فقال أمية: بحقٍ ذلك، فقال أصحابه: ما يقول؟

قال: زعم أنه يقع على هذه المزبلة فيستثير عظماً فيبلعه فيشجى به فيموت، فقلت: بحقٍ ذلك، فوقع الغراب فأثار العظم وابتلعه فمات، فانكسر أمية ووضع الكأس التي بيده وتغير لونه، فقال له أصحابه: ما أكثر ما سمعنا مثل هذا منك باطلاً، فألحوا عليه حتى شرب الكأس فمال في شق وأغمي عليه، ثم أفاق فقال: لا بريء فأعتذر ولا قوي فأنتصر، ثم خرجت نفسه.

[٦٩٥] ومن شعره (من الخفيف):

كل عيش وإن تطاول يوماً ... صائرٌ مرةً إلى أن يزولا

ليتني كنت قبلما قد بدا لي ... في قنان الجبال أرعى الوعولا[١]

اجعل الموت نصب عينك واحذر ... غَولة الدهر إن للدهر غولا

[٦٩٦] ولما أنشد النبي ﷺ قول أمية (من البسيط):

الحمد لله مُمسانا ومُصبَحَنا ... بالخير صبحنا ربي ومسانا

رب الحنيفة لم تنضب خواتمها ... مملوءة طبّق الآفاق سلطانا

ألا نبي لنا منا يخبِّرنا ... ما بعد غايتنا من راس مَحيانا

بينا يربِّيننا آباؤنا هلكوا ... وبينما نقتني الأولاد أفنانا

وقد علمنا لو أن العلم ينفعنا ... أن سوف يلحق أخرانا لأُولانا

فقال النبي ﷺ: إن كاد أمية ليسلم.

---

(١) قنان الجبال: أي رؤوس الجبال.

[٦٩٧] وعتب على ابن له فأنشأ يقول: (من الطويل):

غـذوتك مولـوداً وعُلتـك يافعـاً تُعـلُّ بمـا أجـني عليـك وتنهـل

إذا ليلـة نابتـك بالـشكو لم أبـت لـشكوك إلا سـاهراً أتململ

كـأني أنـا المطـروق دونـك بالـذي طُرقت بـه دونـي فعينـاي تهمـل

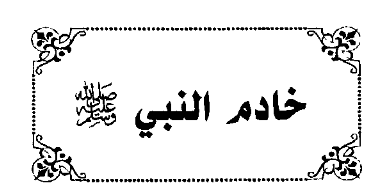
تخاف الردى نفسي عليك وإنهـا لـتعلم أن المـوت وقـت مؤجـل

فلمـا بلغـت الـسن والغايـة الـتي إليها مدى ما كنـت فيـك أؤمـل

جعلـت جزائـي غلظـة وفظاظـة كأنـك أنـت المـنعم المتفـضل

فليتـك إذ لم تـرع حـق أبـوتي فعلت كمـا الجـار المجاور يفعـل

ومات أمية بعد فتح حنين(١).



أنس بن مالك أبو حمزة الأنصاري النَجّاري الخزرجي.

خادم رسول الله ﷺ.

[٦٩٨] قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما ضربني ولا سبني ولا عبس في وجهي، رواه الترمذي بأطول من هذا.

[٦٩٩] وقال رسول الله ﷺ: **«اللهم أكثر ماله وولده»**، قال أنس: والله إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي يتعادون على نحو من مائة اليوم،

---

(١) الوافي بالوفيات: ٩/ ٣٩٥- ٤٠٠.

قال بعضهم: بلغ مائة وثلاث سنين.

وتوفي على الصحيح سنة ثلاثة وتسعين للهجرة.

[٧٠٠] قال علي بن زيد بن جدعان:

كنت في دار الإمارة والحجاج يعرض الناس أيام ابن الأشعث، فدخل أنس بن مالك، فلما دنا من الحجاج قال الحجاج: يا خبثة، جوال في الفتن، مرة مع علي بن أبي طالب ومرة مع ابن الزبير ومرة مع ابن الأشعث، والله لأستأصلنك كما تستأصل الصمغة، ولأجردنك كما يجرد الضب.

فقال له أنس: من يعني الأمير، أصلحه الله؟

قال: إياك أعني، أصم الله سمعك، فاسترجع أنس وشغل عنه، فخرج أنس وتبعته وقلت: ما منعك أن تجيبه؟

فقال: والله لولا أني ذكرت كثرة ولدي وخشيته عليهم لأسمعته في مقامي هذا ما لا يستحسن لأحد بعدي، وكتب إلى عبد الملك: بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الملك أمير المؤمنين من أنس بن مالك خادم رسول الله وصاحبه أما بعد، فإن الحجاج قال لي هجراً من القول وأسمعني نكراً ولم أكن لما قال أهلاً إنه قال لي كذا وكذا، وإني أقسمت بخدمتي لرسول الله ﷺ عشر سنين كوامل: لولا صبية صغار ما باليت أية قتلة قتلت، والله لو أن اليهود والنصارى أدركوا رجلاً خدم نبيهم لأكرموه، فخذ لي على يده، وأعنِّي عليه، والسلام.

فلما قرأ عبد الملك الكتاب استشاط غضباً وكتب إلى الحجاج: أما بعد: فإنك عبد من ثقيف طمحت بك الأمور، فعلوت فيها وطغيت حتى عدوت قدرك، وتجاوزت طورك يا ابن المستفرمة بعجم الزبيب، لأغمزنك غمز الليث ولأخبطنك خبطة، ولأركضنك ركضة تود معها لو أنك

رجعت في مخرجك من وجار أمك، أما تذكر حال آبائك ومكاسبهم بالطائف وحفرهم الآبار بأيديهم ونقلهم الحجارة على ظهورهم؟ أم نسيت أجدادك في اللؤم والدناءة وخساسة الأصل؟ وقد بلغ أميرَ المؤمنين ما كان منك إلى أبي حمزة أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ القريب، وصاحبه في المشهد والمغيب، جرأة منك على الله ورسوله وأمير المؤمنين والمسلمين، وإقداماً على أصحاب رسول الله ﷺ، فعليك لعنة الله مِن عبدٍ أخفش العينين، أصك الرجلين، ممسوح الجاعرتين[1]، لقد هممت أن أبعث إليك من يسحبك ظهراً لبطن حتى يأتي بك أبا حمزة فيحكم فيك بما يراه، ولو علم أمير المؤمنين أنك اجترمت إليه جرماً أو انتهكت له عرضاً غير ما كتب به إليه لفعل ذلك بك، فإذا قرأت كتابي هذا فكن له أطوع من نعله، واعرف حقه وأكرمه وأهله ولا تقصرن في شيء من حوائجه، فوالله لو أن اليهود رأت رجلاً خدم العزير، أو النصارى رجلاً خدم المسيح لوقروه وعظموه، فتباً لك لقد اجترأت ونسيت العهد، وإياك أن يبلغني عنك خلاف ذلك، فأبعث إليك من يضربك بطناً لظهر ويهتك سترك ويشمت بك عدوك، والْقَهُ في منزله متنصلاً إليه ليكتب إلي برضاه عنك ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[2]، وكتب عبد الملك إلى أنس: لأبي حمزة أنس بن مالك، خادم رسول الله ﷺ من عبد الملك، سلام عليك أما بعد، فإني قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت في أمر الحجاج، وإني والله ما

---

(١) أخفش أي صغير العينين، ضعيف البصر.

أصك الرجلين: مضطرب الركبتين والعرقوبين.

ممسوح الجاعرتين: ممسوح الوركين. انظر ((القاموس المحيط)): خ ف ش، ص ك ك، ج ع ر.

(٢) سورة الأنعام: ٦٧.

سلطته عليك ولا على أمثالك، وقد كتبت إليه ما يبلغك، فإن عاد لمثلها فعرفني حتى أحل به عقوبتي وأذله بسطوتي، والسلام عليكم.

ثم أرسل إلى إسماعيل بن عبد الله ابن أبي المهاجر ودفع إليه الكتابين، وقال:

اذهب إلى أنس والحجاج وابدأ بأنس وقل له: أمير المؤمنين يسلم عليك ويقول لك: قد كتبت إلى عبد بني ثقيف كتاباً إذا قرأه كان أطوع لك من أمتك، واستعرض حوائجه، فركب إسماعيل البريد، فلما دفع الكتاب إلى الحجاج جعل يقرأه ويتمعر وجهه ويرشح عرقاً ويقول: يغفر الله لأمير المؤمنين، ثم قال: نمضي إلى أنس، فقال له: على رسلك! ثم مضى إلى أنس وقال له: يا أبا حمزة، قد فعل أمير المؤمنين معك ما فعل، وهو يقرأ عليك السلام ويستعرض حوائجك، فبكى أنس وقال: جزاه الله خيراً، كان أعرف بحقي وأبر بي من الحجاج.

قال: وقد عزم الحجاج على المجيء إليك، فإن رأيت أن تتفضل عليه فأنت أولى بالفضل، فقام أنس ودخل إلى الحجاج فقام إليه واعتنقه وأجلسه على سريره، وقال: يا أبا حمزة: عجلت علي بالملامة وأغضبت أمير المؤمنين، وأخذ يعتذر إليه ويقول: قد علمت شغب أهل العراق وما كان من ابنك مع ابن الجارود ومن خروجك مع ابن الأشعث، فأردت أن يعلموا أني أسرع إليهم بالعقوبة إذا قلت لمثلك ما قلت.

فقال أنس: ما شكوت حتى بلغ مني الجهد، زعمت أننا الأشرار والله سمانا الأنصار، وزعمت أننا أهل النفاق ونحن الذين تبوأنا الدار والإيمان، والله يحكم بيننا وبينك، ما وكلتك إلى أمير المؤمنين إلا حيث لم

يكن لي به قوة ولا آوي إلى ركن شديد، ودعا لعبد الملك وقال: إن رأيت خيراً حمدت وإن رأيت شرّاً صبرت، وبالله استعنت.

وكتب الحجاج إلى عبد الملك: أما بعد، فأصلح الله أمير المؤمنين وأبقاه ولا أعدمناه، وصلني الكتاب يذكر فيه شتمي وتعييري بما كان قبل نزول النعمة بي من أمير المؤمنين، ويذكر استطالتي على أنس جراءة مني على أمير المؤمنين، وغِرة مني بمعرفة سطواته ونقماته، وأمير المؤمنين-أعزه الله- في قرابته من رسول الله ﷺ أحق من أقالني عثرتي وعفا عن جريمتي، ولم يعجل عقوبتي، ورأيه العالي في تفريج كربتي، وتسكين روعتي، أقاله الله العثرات، قد رأى إسماعيل ابن أبي المهاجر خضوعي لأنس وإعظامي إياه، واعتذر اعتذاراً كثيراً.

ولما قدم الحجاج العراق أرسل إلى أنس فقال: يا أبا حمزة، إنك قد صحبت رسول الله ﷺ ورأيت من عمله وسيرته ومنهاجه، فهذا خاتمي فليكن في يدك فأرى برأيك ولا أعمل شيئاً إلا بأمرك.

فقال له أنس: أنا شيخ كبير قد ضعفت ورققت وليس في اليوم ذاك، فقال: قد عملت لفلان وفلان، فما بالي أنا؟ فانظر إن كان في بنيك ممن تثق بدينه وأمانته وعقله، قال: ما في بني من أثق لك به، وكثر الكلام بينهما.

وقال يوماً من جملة كلامه:

لقد عبت فما تركت شيئاً، ولولا خدمتك لرسول الله ﷺ وكتاب أمير المؤمنين لكان لي ولك شأن من الشأن، فقال أنس: هيهات إني لما خدمت رسول الله ﷺ علمني كلمات لا يضرني معهن عتو جبار، فقال له الحجاج: يا عماه لو علمتنيهن، فقال: لست لذلك بأهل، فدس إليه

الحجاج ابنه محمداً **ومعه مائتي** ألف درهم، ومات الحجاج قبل أن يظفر بالكلمات، وهي:

«بسم الله على نفسي وديني، بسم الله على أهلي ومالي، بسم الله على كل شيء أعطاني، بسم الله خير الأسماء، بسم الله رب الأرض والسماء، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه داء، بسم الله افتتحت وعلى الله توكلت، والله ربي لا أشرك به أحداً، اللهم أنت جاري من كل شيء ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (السورة)، من خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي ومن تحتي».

وقال أنس:

دفنت من صلبي مائة ولد وإن نخلي يثمر في السنة مرتين، ولقد عشت حتى استحييت من أهلي، وأنا أرجو الرابعة، يعني: المغفرة؛ لأن النبي ﷺ قال: «**اللهم أكثر ماله وولده، وأطل عمره، واغفر له ذنبه، وبارك له فيما أعطيته**»، وكان أنس قد ختمه الحجاج في عنقه.

[٧٠١] وقال أنس: يقولون «لا يجتمع حب علي وعثمان في قلب رجل مؤمن» كذبوا والله لقد جمع الله حبهما في قلوبنا.

[٧٠٢] وقال ابن سعد: كان يصلي حتى تتفطر رجلاه دماً.

[٧٠٣] وكان مجاب الدعوة، يدعو فينزل الغيث.

[٧٠٤] وكان إذا أراد أن يختم القرآن جمع أهله وعياله وولده فيختم بحضرتهم.

[٧٠٥] وإذا خرج إلى قصره صلى على حماره تطوعاً يومئ إيماء.

[٧٠٦] وقال سبط ابن الجوزي: عامة الرواة على أنه لم يشهد بدراً، وقال: كان لجماعة مائة ولد، منهم أبو بكرة نفيع مولى رسول الله ﷺ وخليفة السعدي، وعبد الله بن عمر الليثي، وجعفر بن سليمان الهاشمي، لم يمت كل واحد من هؤلاء حتى رأى من صلبه مائة ولد، ويقال: إنه لا يعرف لهم سادس(١).



مكلم الذئب

أهبان بن الأكوع أبو عقبة، وكان يسكن بلاد أسلم.

[٧٠٧] فبينا هو يرعى غنماً بحرة الوبرة عدا الذئب على شاة منها، فأخذها منه، فتنحى الذئب وأقعى على ذنبه وقال: ويحك لِمَ تمنع مني رزقاً رزقنيه الله؟ فجعل أهبان يصفق بيده ويقول: تالله ما رأيت أعجب من هذا، فقال الذئب: إن أعجب من هذا رسول الله ﷺ بين هذه النخلات، وأومأ إلى المدينة، فحدر أهبان غنمه إلى المدينة، وأتى رسول الله ﷺ فحدثه الحديث، فعجب لذلك، وأمره إذا صلى العصر أن يحدث به أصحابه، ففعل.

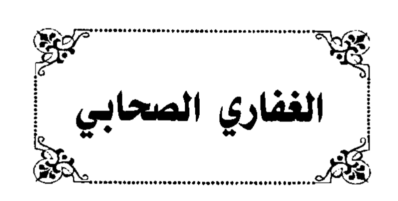
قال: وأسلم أهبان وصحب رسول الله ﷺ.

ثم نزل الكوفة وابتنى بها داراً في أسلم، وتوفي في خلافة معاوية، وحكى ابن سعد أيضاً عن عبدالله بن محمد بن الأشعث أنه قال: أنا أعلم بهذا من غيري: مكلم الذئب، أهبان بن عباد بن ربيعة بن كعب(٢).

---

(١) الوافي بالوفيات: ٩/ ٤١١- ٤١٦.

(٢) الوافي بالوفيات: ٩/ ٤٣٧، ٤٣٨.



الغفاري الصحابي

أهبان بن صيفي الغفاري، أبو مسلم البصري.

حديثه عن النبي ﷺ في الفتنة: **«اتخذ سيفاً من خشب»** ويقال فيه: وهبان ابن صيفي.

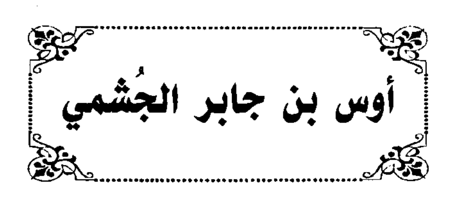
[٧٠٨] روت عنه ابنته عُديْسة: لما ظهر عليٌّ على البصرة سمع بأهبان بن صيفي فأتاه فقال له: ما خلفك عنّا؟ قال: خلفني عنك عهد عهده إليَّ رسول الله ﷺ أخوك وابن عمك، قال لي: **«إذا تفرقت الأمة فاتخذ سيفاً من خشب والزم بيتك»،** فأنا الآن قد اتخذت سيفاً من خشب ولزمت بيتي، فقال له علي: فأطع أخي وابن عمي رسول الله ﷺ، وانصرف عنه.

[٧٠٩] ولما حضرته الوفاة قال: كفنوني في ثوبين، قالت ابنته: فزدنا ثوباً ثالثاً فدفناه فيها، فأصبح ذلك الثوب على المِشْجب[١]، وهذا خبر رواه جماعة من ثقات البصريين وغيرهم[٢].

---

(١) أي العلاقة.

(٢) الوافي بالوفيات: ٩/ ٤٣٨، ٤٣٩.



أوس بن جابر الجُشمي

[٧١٠] يقول لعبد الله بن عامر بن كريز، لما قلده عثمان بن عفان خراسان يحضه على العدو من قصيدة (من الرجز):

قولا لعبد الله خير سامع ... وخير مولود وخير يافع
يا ابن كريز بن حبيب دافع ... عن حرم الإسلام والشرائع
لو كنت في دومة أو في فارع ... دونك حصن موصد المصارع
لم تنج من ريب المنون الواقع ... فامض فليس حذر بنافع
وانهض هُديتَ كالشهاب الساطع ... إلى خراسان ولا تدافع
واجمع جناحيك لها وشايع ... يفتح عليك الله خير صانع[١]

أبو الجوزاء

أوس بن خالد الربعي البصري أبو الجوزاء، من الطبقة الثانية من التابعين، قال: صحبت ابن عباس اثنتي عشرة سنة، فما بقي في القرآن آية إلا سألته عنها.

[٧١١] ولم يلعن أبو الجوزاء شيئاً قط ولا أكل طعاماً ملعوناً.

---

(١) الوافي بالوفيات: ٩/ ٤٤٤، ٤٤٥.

[٧١٢] وكان يقول: لأن تمتلئ داري قردة وخنازير، أحب إلي من أن أجاور رجلاً من أهل الأهواء.

[٧١٣] وكان يقول: ما ماريت أحداً قط، ولا كذبت أحداً قط.

[٧١٤] وكان يواصل في الصوم بين سبعة أيام ثم يقبض على ذراع الشاة فيكاد يحطمها.

وقال ابن سعد: خرج أبو الجوزاء مع ابن الأشعث، فقتل أيام الجماجم، سنة ثلاث وثمانين للهجرة[1].



أوس بن معبر بن لوذان القرشي الجمحي، مؤذن رسول الله ﷺ غلبت عليه كنيته وقيل: اسمه سمرة، وأخوه أنيس قتل كافراً، وأمهما امرأة من خزاعة، ولا عقب لهما.

[٧١٥] قال ابن محيريز: رأيت أبا محذورة وله شعرة، فقلت: يا عم ألا تأخذ من شعرك؟ فقال: ما كنت لآخذ شعراً مسح رسول الله ﷺ عليه ودعا فيه بالبركة.

[٧١٦] وكان أبو محذورة أحسن الناس أذاناً وأنداهم صوتاً، قال له عمر يوماً -وسمعه يؤذن-: كدت أن تنشق مُرَيْطاؤك[2].

وتوفي ﷺ بمكة سنة تسع وخمسين للهجرة.

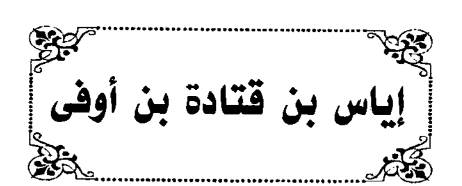
---

(١) الوافي بالوفيات: ٩/ ٤٤٦.

(٢) المريطاء: ما بين السرة والعانة: انظر ((المعجم الوسيط)): م ر ط.

[٧١٧] وقال أبو محذورة:

خرجت في نفر عشرة، فكنا في بعض الطريق حين قفل رسـول الله ﷺ مـن حـنين فـسمعنا صـوت المـؤذن-ونحـن متنكبـون- فـصرخنا نحكيـه ونستهزئ به، فسمع رسول الله ﷺ الصوت فأرسل إلينا إلى أن وقفنـا بـين يديه فقال: «**أيكم الذي سمعت صوته قد ارتفع؟**» فأشـار القـوم كلـهم إلـيَّ – وصدقوا – فأرسلهم وحبسني ثم قال: **«قـم فـأذّن بالـصلاة»** فقمـت ولا شيء أكره إلي من رسول الله ﷺ ولا مما يأمرني به، فقمت بين يديه فألقى علي التأذين هو بنفسه فقال: قل **«الله أكبر»** فذكر الأذان، ثم دعاني حـين قضيت التأذين فأعطاني صرة فيها شيء من فـضة، ثـم وضـع يـده علـى ناصيتي، ثم بين ثديي ثم على كبدي حتى بلغت يده سرتي ثم قـال: «**بارك الله فيك وبارك عليك**»، فقلت: يا رسول الله مرني بالتأذين بمكة، قـال: قـد أمرتك به، فذهب كل شيء كان في نفسي لرسول الله ﷺ من كراهة، وعاد ذلك كله محبة، فقدمت على عَتّاب بـن أُسـيد عامـل رسـول الله ﷺ بمكـة فأذنت معه بالصلاة عن أمر رسول الله ﷺ... وذكر تمام الخبر(١).



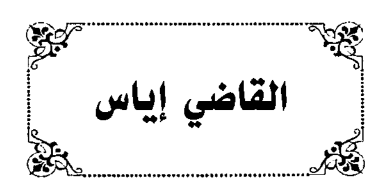
إياس بن قتادة بن أوفى

من بني مناة بن تميم من الطبقة الأولى من التابعين، وأمه الفارعة بنـت حميري. ولأبيه صحبة.

---

(١) الوافي بالوفيات: ٩/ ٤٥١، ٤٥٢.

[٧١٨] وكان إياس شريفاً، اعتم يوماً وهو يريد بشر بن مروان، فنظر في المرآة فإذا شيبة في ذقنه، فقال: يا جارية انظري من بالباب من قومي فدخلوا عليه، فقال: يا قوم إني كنت قد وهبت لكم شبابي فهبوا لي مشيبي، لا أراني حمير الحاجات وهذا الموت يقرب مني، ثم نفض عمامته واعتزل الناس يعبد ربه حتى مات سنة ثلاث وسبعين للهجرة، وقيل: سنة ثلاث وثمانين(١).



القاضي إياس

إياس بن معاوية بن قرة أبو واثلة البري المزني، قاضي البصرة وأحد الأعلام، روى عن أبيه وأنس بن مالك وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وغيرهم، وتوفي سنة إحدى وعشرين ومائة.

[٧١٩] قال عبد الله بن شوذب: كان يقال: يولد كل عام بعد المائة(٢) رجل تام العقل، وكانوا يرون إياس بن معاوية منهم، وكان أحد من يضرب له المثل في الذكاء والرأي و السؤدد والعقل.

[٧٢٠] وأول ما ولي القضاء ما قام حتى قضى سبعين قضية وفصلها.

[٧٢١] ثم خرج إياس من القضاء في قضية كانت، فاستعمل عديّ ابن أرطاة على القضاء الحسن البصري، وقد اختلفوا في هروبه من

---

(١) الوافي بالوفيات: ٩/ ٤٦٤، ٤٦٥.

(٢) هكذا وردت.

القضاء على أقوال: أحدها أنه رد شهادة شريف مطاع، فآلى أن يقتله فهرب.

[٧٢٢] وقال خالد الحذاء: قضى إياس بشاهد ويمين المدعي، وكان عمر بن عبد العزيز قد ولاه القضاء؛ لأنه كتب إلى نائبه بالعراق عدي بن أرطاة أن اجمع بين إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة الحَرَشي، فولِّ قضاء البصرة أنفذهما، فجمع بينهما فقال له إياس:

أيها الأمير، سل عني وعن القاسم فقيهي المصر: الحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وكان القاسم يأتيهما وإياس لا يأتيهما، فعلم القاسم أنه إن سألهما أشارا به، فقال: لا تسأل لا عنه ولا عني، فوالله الذي لا إله إلا هو إن إياس بن معاوية أفقه مني وأعلم بالقضاء، فإن كنت كاذباً فما يحل لك أن توليني، وإن كنت صادقاً فينبغي لك أن تقبل قولي، فقال له إياس: إنك جئت برجل أوقفته على شفير جهنم، فنجى نفسه منها بيمين كاذبة يستغفر الله منها وينجو مما يخاف، فقال عدي بن أرطاة: أما إذا فهمتها فأنت لها، فاستقضاه.

[٧٢٣] وقال إياس: ما غلبني قط سوى رجل واحد، وذاك أني كنت في مجلس القضاء بالبصرة فدخل علي رجل شهد عندي أن البستان الفلاني -وذكر حدوده- هو ملك فلان، فقلت له: كم عدد شجره؟ فسكت، ثم قال: منذ كم يحكم سيدنا القاضي في هذا المجلس؟ فقلت: منذ كذا، فقال: كم عدد خشب سقفه؟ فقلت له: الحق معك، وأجزت شهادته.

[٧٢٤] وقيل: إنه كان يوماً في موضع فحدث فيه ما أوجب الخوف، وهناك ثلاثة نسوة لا يعرفهن فقال: هذه حامل وهذه مرضع وهذه عذراء.

فقيل له: من أين علمت ذلك؟

قال: إن عند الخوف لا يضع الإنسان يده إلا على أعز ما له، الذي يخاف عليه، ورأيت الحامل قد وضعت يدها على جوفها، والمرضع وضعت يدها على ثديها، والعذراء وضعت يدها على فرجها.

[٧٢٥] ونظر يوماً وهو بواسط إلى آجُرَّة فقال: تحت هذه الآجرة دابة، فنزعوا الآجرة، فإذا تحتها حية مطوقة، فسألوه عن ذلك، فقال: إني رأيت ما بين الآجرتين ندياً، من بين جميع آجر تلك الرحبة، فعلمت أن تحتها شيئاً يتنفس.

[٧٢٦] ومر يوماً بمكان فقال: أسمع صوت كلب غريب، فقيل له في ذلك، فقال: عرفته بخضوع صوته، وشدة نباح غيره من الكلاب، فكشفوا عن ذلك فوجدوا كلباً مربوطاً والكلاب تنبحه.

[٧٢٧] وكان يوماً في برية فأعوزهم الماء، فسمع نباح كلب فقال: هذا على رأس بئر، فاستقروا النباح فوجدوه كما قال، فسألوه عن ذلك، فقال: لأني سمعت صوته كالذي يخرج من بئر.

[٧٢٨] وتحاكم إليه اثنان، فقال أحدهما: إني نزلت إلى النهر لأستحم ولي قطيفة خضراء جديدة وضعتها على جانب النهر، وجاء هذا وعليه قطيفة حمراء عتيقة فوضعها ونزل الماء، ولما طلعنا سبقني وأخذ القطيفة الخضراء، فقال: ألكما بينة؟ فقالا: لا، فأمر بمشط فحضر فمشطهما به،

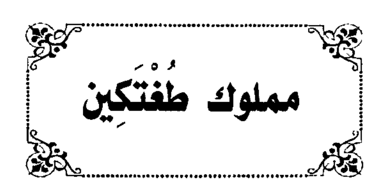
فلما فعله خرج الصوف الأخضر من رأس صاحب القطيفة الخضراء فأمر له بها.

[٧٢٩] ونظر يوماً إلى رجل فقال: هذا غريب من واسط، فقيه كتَّاب هرب منه عبد، فقيل له في ذلك فقال: أما أنه من أهل واسط فإن في ثيابه أثر تراب واسط، وأما أنه غريب فإنه يمشي ويسأل، وأما أنه فقيه كتاب فإنه لا يميل إلا إلى الصغار ولا يأنس إلا بهم ولا يسأل إلا منهم، وأما أنه هرب منه عبد فإنه إذا رأى أسود تلمحه ونظر إليه طويلاً.

[٧٣٠] وكان إياس يقول: كل من لم يعرف عيب نفسه فهو أحمق، فقيل له: فما عيبك؟ قال: كثرة الكلام.

وإياس في عدد السادات الطُلْس؛ لأنه لم يكن بوجهه نبات.

[٧٣١] وقال إياس في العام الذي مات فيه: رأيت في المنام كأني وأبي على فرسين فجريا معاً فلم أسبقه ولم يسبقني، وعاش أبي ستاً وسبعين سنة وأنا فيها، فلما كان آخر لياليه قال: أتدرون أي ليلة هذه؟ استكملت فيها عمر أبي، ونام فأصبح ميتاً[1].



مملوك طُغْتَكِين

أيلبا، مملوك طغتكين.

[٧٣٢] كان في خدمة شمس الملوك ابن أستاذه، فاتفق أن خرج شمس الملوك إلى صيدنايا يتصيد، وكانت سيرته قد ساءت، فانفرد شمس

(١) الوافي بالوفيات: ٩/ ٤٦٥- ٤٦٨.

الملوك فضربه أيلبا بالسيف ضربة هائلة، فانقلب السيف في يده، ورمى شمس الملوك بنفسه إلى الأرض، فضربه أخرى فوقعت في عنق الفرس، فأتلفته وحال بينهما الفرس، وانهزم أيلبا، وعاد إلى دمشق شمس الملوك سالماً.

وسار الغلمان في طلب أيلبا، فقاتلهم وظفروا به، فلما جاؤوا به إليه قال له: «ما الذي حملك على هذا؟» قال: «لم أفعله إلا تقرباً إلى الله - تعالى- لأريح المسلمين منك؛ لأنك قد ظلمت المساكين وضعفاء الناس، وإن معي فلاناً وفلاناً، وكلنا قد اتفقنا عليك» فجمع المتهمين، وقتل الكل صبراً وأول ما قتل أيلبا، ولم يكفه قتل المتهمين، حتى اتهم أخاه سونج فتركه في بيت وسد عليه الباب، فمات جوعاً، وذلك سنة ثمان وعشرين وخمس مائة[1].



الأسدي

أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي.

كان يسكن دمشق في القصاعين، ثم تحول إلى الكوفة، أخرج له الإمام أحمد في المسند حديثاً واحداً، قال: «قام رسول الله ﷺ خطيباً فقال: «**أيها الناس عدلت شهادة الزور إشراكاً بالله، ثلاثاً**» ثم قرأ ﴿**فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ**﴾[2].

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٢٥، ٢٦.

(٢) سورة الحج: ٣٠.

[٧٣٣] وقال مروان بن الحكم يوم المرج لأيمن: ألا تخرج معنا فتقاتل؟ فقال: لا، إن أبي وعمي سبرة شهدا بدراً مع رسول الله ﷺ، عهد إليَّ أبي أن لا أقاتل رجلاً يشهد أن لا إله إلا الله، فإن أتيتني ببراءة من النار، خرجت معك، فسبه مروان، قال: اذهب فلا حاجة لنا بك، فقال: (من الوافر):

ولست مقاتلاً رجلاً يصلي ... على سلطان آخر من قريش
له سلطانه وعلي إثمي ... معاذ الله من جهل وطيش
أأقتل مسلماً في غير شيء ... فليس بنافعي ما عشتُ عيشي

[٧٣٤] ودخل يوماً على عبد الملك، وكان شديد الشغف بالجماع، وقد ازداد به غراماً ولكنه ضعف عنه، فقال له: كيف قوتك يا أيمن؟

فقال: آكل الجذعة من الضأن بالصاع من البر، وأشرب العُسَّ المملوء أعبُّه عبّاً، وأرتحل البعير الصعب فأُنضيه، وأركب المهر الأَرِن[١] فأذلّله، وأفترع العذراء لا يقعدني عنها الكِبَر، ولا يمنعني منها إلا السِحْر[٢]، ولا ينقضي مني الوطر، فغاظ ذلك عبد الملك وحسده، ومنعه العطاء، وحجبه، وقصده بما يكره، فقالت له امرأته: ويحك اصدقني عن حالك، هل لك جرم؟

فقال: لا والله.

قالت: فأي شيء دار بينك وبين عبد الملك آخر ما لقيته؟ فأخبرها

---

(١) أي الصعب المعاند.

(٢) لعله: السِحْر، أو السَحَر: أي يمنعه عنها انقضاء الليل، وهو أقرب عندي، والله أعلم.

فقالت: من هنا أُتِيت، فدخلت على عاتكة زوجته، وقالت: أسألك أن تستعدي لي أمير المؤمنين على زوجي، قالت: وما له؟

قالت: ما أدري، أنا مع رجل أو حائط، ولا أدري أرجلاً هو أو امرأة، وله مدة لا أعرف له فراشاً، فسليه أن يفرق بيننا، فخرجت عاتكة إلى عبد الملك وذكرت له ذلك، فوجه إلى أيمن، فأحضره وسأله عما شكت منه، فاعترف بذلك، فقال له: أولم أسألك عام أول عن ذلك فوصفت كيت وكيت؟ فقال له: يا أمير المؤمنين، إن الرجل ليتجمل عند سلطانه، ويتجلد على أعدائه، بأكثر مما وصفت به نفسي، وأنا القائل (من المتقارب):

لقيت من الغانيات العجابا ... لو أدرك مني النساء الشبابا
ولكن جمعَ العذارى الحسان ... عناء شديد إذا المرء شابا
ولو كلت بالمد للغانيات ... وضاعفت فوق الثياب الثيابا
إذاً لا ينلهن من ذاك ذاك ... بغَيْنَك عند الأمير الكذابا[1]
يلذن بكل عصا ذائد ... ويصبحن كل غداة صعابا
إذا لم يخالَطن كل الخلاط ... أصبحن مُخْرَنْطَمات غضابا[2]
علام يُكحِلن حور العيون ... ويحدثن بعد الخضاب خضابا
ويعْرُكن بالمسك أجيادهن ... ويدنين عند الحجال العيابا[3]

(١) في ((الأغاني)): ٢٠/ ٣٢٢: إذا لم تُنلهن من ذاك ذاك، وهو أوضح مما هاهنا.

(٢) يخالطن: يجامعن، واخرنطم: أي غضب: وانظر ((لسان العرب)): خرطم.

(٣) الحجال: الأسرة ذوات الستور.

ويُـــبرقن إلا لمـــا تعلمـــون   فـلا تمنـع الغانيـات الـضرابا[1]

فجعل عبد الملك يضحك من قوله، ثم قال: أولى لك يـا ابـن خـريم، لقد لقيت منهن ترحاً، فما ترى أن أصنع بينك وبينها؟

قال: تستأجلها أجل العنين، فأداريها لعلـي أسـتطيع إمـساكها، قـال: أفعل ذلك، وردها إليه وأمر له بما فات من عطائه، وعاد إلى تقريبه وبره.

وكان أيمن يتشيع.

وتوفي سنة ست وثمانين للهجرة[2].



ابن القِرِّيّة

[٧٣٥] أيوب بن زيد بن قيس بـن زرارة بـن سـلمة بـن جـشم بـن مالك، ينتهي إلى عدنان، المعروف بابن القِرِّيـة، والقريـة: جدتـه واسمهـا: خُمامة بنت جشم بن ربيعة بن زيد مناة بن عوف بن سعد بن الخزرج.

كان أعرابيّاً أميّاً، وهو معـدود مـن جملـة خطبـاء العـرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة، كان قد أصابته السَّنة، فقدم عين التمر وعليها عامـل للحجاج بن يوسف، وكان العامل يغدي كل يـوم ويعـشي، فوقـف ابـن القرية ببابه، فرأى الناس يدخلون فقال: أين يدخل هؤلاء؟

قالوا: إلى طعام الأمير، فدخل فتغدى، وقال: أكل يوم يصنع الأمير ما أرى؟

---

(١) الضراب: أي الجماع، ويبرقن: أي يتزيّنّ.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٣٠- ٣٢.

فقيل: نعم، و كان يأتي كل يوم بابه للغداء والعشاء إلى أن ورد كتاب من الحجاج على العامل، وهو عربي غريب لا يدري ما هو، فأخَّر لـذلك طعامه فجاء ابن القِرِّيَةّ فلم ير العامل يتغدى، فقال: ما بال الأمير لا يأكل ولا يطعم؟ فقالوا: اغتم لكتاب ورد عليه مـن الحجـاج عربـي غريـب لا يدري ما هو.

قال: ليقرئني الأمير الكتـاب، فأنـا أفسره، إن شـاء الله تعـالى، وكـان خطيباً لَسِناً بليغاً فذكر ذلك للوالي فدعا به، فلما قرئ الكتاب عليه عرف الكلام وفسره للوالي حتى عرف جميـع مـا فيـه، فقـال لـه: أفتقـدر علـى جوابه؟

قال: لست أقرأ ولا أكتب، ولكن ادع كاتبـاً يكتـب مـا أمليـه، ففعـل فكتب جواب الكتاب، فلما قرئ الكتاب على الحجاج رأى كلامـا عربيّـاً غريباً، فعلم أنه ليس مـن كـلام كاتـب العامـل ولا كُتَّـاب الخـراج فـدعا برسائل عين التمر، فنظر فيها فرآهـا ليـست ككتـاب ابـن القريـة فكتـب الحجاج إلى العامل: أما بعد فقد أتاني كتابـك بعيـداً مـن جوابـك بمنطـق غيرك، فإذا نظرت إلى كتابي هذا فلا تضعه من يدك حتى تبعـث بالرجـل الذي صدر لك الكتاب، والسلام.

فقرأ العامل الكتاب على ابن القرية، وقال له: تتوجه نحوه.

قال: أقلني.

قال: لا بأس عليك، وأمر له بكسوة ونفقة وحملـه إلى الحجـاج، فلمـا دخل عليه قال: ما اسمك؟

قال: أيوب، قال: اسم نبي، وقال: أظنك أميّاً تحاول البلاغة ولا تستصعب عليك مقالها، وأمر له بنُزل ومنزل فلم يزل يزداد به عجباً حتى أوفده على عبد الملك بن مروان.

فلما خلع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي الطاعة بسجستان بعثه الحجاج إليه، فلما دخل عليه قال له: لتقومن خطيباً ولتخلعن عبد الملك ولتسبَّن الحجاج أو لأضربن عنقك، قال: أيها الأمير، إنما أنا رسول، قال: هو ما أقول لك، فقام وخطب وخلع عبد الملك وشتم الحجاج وأقام هنالك.

فلما انصرف ابن الأشعث مهزوماً كتب الحجاج إلى عماله بالري وأصبهان وما يليهما، أمرهم أن لا يمر بهم أحد من فُلِّ ابن الأشعث إلا بعثوا به أسيراً، وأُخذ ابن القرية فيمن أخذ فلما أُدخل على الحجاج قال: أخبرني عما أسألك عنه، قال: سلني عما شئت.

[٧٣٦] قال: أخبرني عن أهل العراق؟ قال: أسرع الناس إلى فتنة، وأعجزهم عنها.

قال: فأهل الشام؟ قال: أطوع الناس لخلفائهم.

قال: فأهل مصر؟ قال: عبيد من غلب.

قال: فأهل البحرين؟ قال: نبط استعربوا.

قال: فأهل عمان؟ قال: عرب استنبطوا.

قال: فأهل الموصل؟ قال: أشجع فرسان وأقتل للأقران.

قال: فأهل اليمن؟ قال: هم أهل سمع وطاعة ولزوم جماعة.

قال: فأهل اليمامة؟ قال: أهل جفاء واختلاف أهواء، وأصبر عند اللقاء.

قال: فأهل فارس؟ قال: أهل بأس شديد، وشر عتيد، وزيف كثير، وقِرى يسير.

قال: أخبرني عن العرب؟ قال: سلني.

قال: قريش؟ قال: أعظمها أحلاماً وأكرمها مقاماً.

قال: فبنو عامر بن صعصعة؟ قال: أطولها رماحاً، وأكرمها صباحاً.

قال: فبنو سليم؟ قال: أعظمها مجالس، وأكرمها محابس.

قال: فثقيف؟ قال: أكرمها جدوداً، وأكثرها وفوداً.

قال: فبنو زبيد؟ قال: ألزمها للرايات، وأدركها للتِرات[1].

قال: فقضاعة؟ قال: أعمها أخطاراً، وأكرمها نِجاراً، وأبعدها آثاراً[2].

قال: فالأنصار؟ قال: أثبتها مقاماً، وأحسنها إسلاماً، وأكرمها أياماً.

قال: فبكر بن وائل؟ قال: أثبتها صفوفاً، وأحدُّها سيوفاً.

قال: فعبد القيس؟ قال: أسبقها إلى الغايات، وأضربها تحت الرايات.

قال: فبنو أسد؟ قال: أهل عدد وجلد ونكد.

قال: فلخم؟ قال: ملوك وفيهم نُوك[3].

---

(١) الترات: الثارات.

(٢) النجار، الأصل.

(٣) أي حُمق.

قال: فجذام؟ قال: يوقدون الحرب ويسعرونها ويلقحونها ثم يمرونها.

قال: فبنو الحارث؟ قال: رعاة للقديم حماة للحزيم.

قال: فعُكّ؟ قال: ليوث جاهدة في قلوب فاسدة.

قال: فتغلب؟ قال: يصدقون إذا لقوا ضرباً، ويسعرون للأعداء حرباً.

قال: فغسان؟ قال: أكرم العرب أحساباً، وأثبتها أنساباً.

قال: فأي العرب كانت في الجاهلية أمنع من أن تضام؟ قال: قريش، وكانوا أهل ربوة لا يستطاع ارتقاؤها، وهضبة لا يرام انتزاؤها، في بلدة حكى الله ذمارها، ومنع جارها.

قال: فأخبرني عن مآثر العرب.

قال: كانت العرب تقول: حمير أرباب الملك، وكندة لباب الملل، ومَذْحِج أهل الطعان، وهمدان أحلاس الخيل، والأزد آساد الناس .

قال: فأخبرني عن الأرضين؟

قال: سلني.

قال: الهند؟ قال: بحرها در، وجبلها ياقوت، وشجرها عود، وورقها عطر، وأهلها طغام كقطيع الحمام.

قال: فخراسان؟ قال: ماؤها جامد، وعدوها جاحد.

قال: فعمان؟ قال: حرها شديد، وصيدها عتيد.

قال: فالبحرين؟ قال: كناسة بين المصرين.

قال: فاليمن؟ قال: أهل العرب وأهل البيوتات والحسب.

قال: فمكة؟ قال: رجالها علماء جفاة، ونساؤها كساة عراة.

قال: فالمدينة؟ قال: رسخ العلم فيها وظهر منها.

قال: فالبصرة؟ قال: شتاؤها جليد، وحرها شديد، وماؤها ملح، وحربها صلح.

قال: فالكوفة؟ قال: ارتفعت عن حر البحر وسفلت عن برد الشام، فطاب ليلها، وكثر خيرها.

قال: فواسط؟ قال: جنة بين حماة وكنَّة، قال: وما حماتها وكنتها؟ قال: البصرة والكوفة يحسدانها وما ضرها، و دجلة والزاب يتجاريان في إفاضة الخير عليها.

قال: فالشام؟ قال: عروس بين نسوة جلوس.

قال: ثكلتك أمك يا ابن القرية، لولا اتباعك لأهل العراق، وقد كنت أنهاك عنهم أن تتبعهم فتأخذ من نفاقهم، ثم دعا بالسياف وأومأ إلى السياف أن أمسك، فقال ابن القرية: ثلاث كلمات-أصلح الله الأمير- كأنهن ركبٌ وقوف يكنَّ مثلاً بعدي، قال: هات، قال: لكل جواد كبوة، ولكل صارم نبوة، ولكل حليم هفوة.

قال الحجاج: ليس هذا وقت المزاح، يا غلام: أوجب جرحه فضرب عنقه.

وقيل: إنه لما أراد قتله قال: العرب تزعم أن لكل شيء آفة، قال: صدقت العرب أصلح الله الأمير.

قال: فما آفة الحلم؟ قال: الغضب.

قال فما آفة العقل؟ قال: العجب.

قال: فما آفة الكرام؟ قال: مجاورة اللئام.

قال: فما آفة العلم؟ قال: النسيان.

قال: فما آفة السخاء؟ قال: المن عند البلاء.

قال: فما آفة الشجاعة؟ قال: البغي.

قال: فما آفة العبادة؟ قال: الفترة.

قال: فما آفة الذهن؟ قال: حديث النفس.

قال: فما آفة الحديث؟ قال: الكذب.

قال: فما آفة المال؟ قال: سوء التدبير.

قال: فما آفة الكامل من الرجال؟ قال: العُدم.

قال: فما آفة الحجاج بن يوسف؟

قال: أصلح الله الأمير لا آفة لمن كرم حسبه، وطاب نسبه، وزكا فرعه.

قال: امتلأت شقاقاً وأظهرت نفاقاً اضربوا عنقه، فلما رآه قتيلاً ندم، وكان قتله سنة أربع وثمانين للهجرة[1].

[٧٣٧] وسأله بعضهم عن الدهاء، ما هو؟

قال: تجرع الغصص، وتوقع الفرص.

[٧٣٨] ومن كلامه في صفة العي: التنحنح من غير داء، والتثاؤب من غير ريبة، والإكباب في الأرض من غير علة.

---

(١) قبح الله الحجاج إذ يقتل مثل هذا الذي لم أسمع بمثله قط ، فرحمه الله وغفر له.

وقال أبو الفرج الأصبهاني، في ترجمة مجنون ليلى بعد أن استوفي أخباره: وقد قيل: إن ثلاثة أشخاص شاعت أخبارهم واشتهرت أسماؤهم ولا حقيقة لهم، ولا وجود في الدنيا وهم: مجنون ليلى، وابن القرية، وابن أبي العقب الذي تنسب إليه الملاحم، وهو يحيى بن عبد الله ابن أبي العقب.

وقيل: إنه لما أُتي بابن القرية قال له الحجاج:

ألم تكن في خمول من الدعة، وعدم من المال، وكدر من العيش، وتضعضع من الهيئة، ويأس من بلوغ ما بلغت إليه، فوليتك ولاية الوالد، ولم تكن ولداً، وولاية الراجي عندك الخير، ولم أرجه عندك أبداً، حتى قمت خطيباً وقلت كذا وكذا، فقال: أيها الأمير، أتيت إنساناً في مَسْك[1] شيطان، فتهددني بتخويفه، وقهرني بسلطانه، فنطق اللسان بغير ما في القلب، والنصيحة لك ثابتة، والمودة باقية، قال: كذبت يا عدو الله، ثم سأله ما ذكرته، ورد جوابه كما ذكرت، وقيل:

[٧٣٩] قال له فيما سأله: فكيف رأيت خطبتي؟ فسكت، قال: أقسمت عليك إلا صدقتني، قال: تكثر الرد، وتشير باليد، وتقول أما بعد، فقال له الحجاج: فأنت ما تستعين بيدك في كلامك؟ قال: لا أصل كلامي بيدي حتى يضيق بي لحدي.

[٧٤٠] قال: فأخبرني عن أشعر بيت قالته العرب؟ قال: قول القائل (من الطويل):

فما حملت من ناقة فوق رحلها ... أبر وأوفى ذمة من محمد

---

(١) أي جلد.

وقيل إنه قال له: ما أعددت لهذا الموقف؟

قال: أصلح الله الأمير، ثلاث حروف، كأنهن ركب وقوف: دنيا وآخرة و معروف.

قال: اخرج مما قلت.

قال: أما الدنيا فمال حاضر، يأكل منه البر والفاجر، وأما الآخرة فميزان عادل وشهادة ليس فيها باطل، وأما المعروف فإن كان علي اعترفت به، وإن كان لي اعترفت.

قال: الآن تعترف إذا وقع عليك السيف، فقال الحجاج: لأزيرنك جهنم.

قال: فأرحني فإني أجد حرها، فضرب عنقه، فلما رآه يشحط في دمه ندم عليه وقال: لو تركناه لسمعنا كلامه[1].



نصير الدولة

باديس بن منصور بن بلكين بن زيري بن مناد أبو مناد الحميري الصنهاجي، والد المعز بن باديس.

كان باديس يتولى أفريقية نيابة عن الحاكم العبيدي صاحب مصر، ولقبه الحاكم نصير الدولة، وكانت ولايته بعد أبيه المنصور، وكان باديس ملكاً كبيراً حازم الرأي شديد البأس، إذا هز رمحاً كسره، ولم تزل أموره

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٣٩- ٤٥.

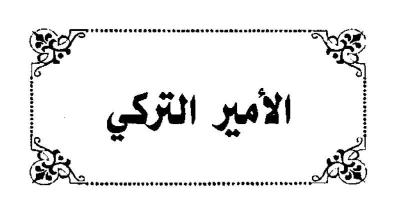
جارية على السداد.

[٧٤١] فلما كان يوم الثلاثاء تاسع عشرين ذي القعدة سنة ست وأربع مائة، أمر جنوده بالعرض، فعرضوا بين يديه وهو في قبة السلام جالس إلى وقت الظهر، وسره حسن عسكره وأبهجه زيهم وانصرف إلى قصره، وركب عشية ذلك النهار في أجمل مركوب، ولعب الجيش بين يديه، ورجع إلى قصره تام السرور، ومد السماط وأكل مع خاصته، فلما مضى نصف الليل من ليلة الأربعاء، قضى نحبه سلخ ذي القعدة سنة ست وأربع مائة، فأخفوا أمره، ورتبوا أخاه كرامت بن المنصور ظاهراً حتى وصل ولده المعز، فولوه وتم له الأمر.

وكان مولد باديس سنة أربع وسبعين وثلاث مائة.

[٧٤٢] وفي كتاب "الدول المنقطعة" أن سبب موته أنه قصد طرابلس ولم يزل على قرب منها عازماً على قتال أهلها، وحلف أنه لا يرحل عنها حتى يعيدها فُدْناً للزراعة لسبب اقتضى ذلك، فاجتمع أهل البلد عند ذلك إلى المؤدب محرز وقالوا: يا ولي الله، قد بلغك ما قاله باديس فادع الله أن يزيل عنا بأسه، فرفع يديه إلى السماء وقال: يا رب باديس :اكفنا باديس، فهلك في ليلته بالذبحة، والله أعلم[1].

(١) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٦٨، ٦٩.



الأمير التركي

بجكم، أبو الخير الأمير التركي، كان أمير الأمراء، قتل ملك بني بويه.

وكان عاقلاً يفهم العربية ولا يتكلم بها، بل بالترجمان ويقول: أخاف أن أخطئ والخطأ من الرئيس قبيح، وكان يقول: أنا وإن كنت لا أحسن العلم والأدب، فأحب ألا يكون في الأرض أديب ولا عالم إلا تحت ظلي.

وكان قد استوطن واسطاً وقرر مع الراضي أن يحمل إليه في كل سنة ثمان مائة ألف دينار.

وأظهر العدل، وكان يتولى رفع المظالم بنفسه، وبنى دار الضيافة للضعفاء والمساكين بواسط، وابتدأ بعمارة البيمارستان ببغداد، وهو الذي جدده عضد الدولة بالجانب الغربي.

[٧٤٣] وكانت له أموال عظيمة، وكان يأخذ الأموال في الصناديق والرجال في الصناديق ويتوجه بهم إلى البرية، فيفتح الصناديق عن الرجال، ويأمرهم بدفن المال في الصحراء، فإذا فرغوا أعادهم إلى الصناديق، ودخل بهم المدينة فلا يدرون مكان المال، وكان يقول: إنما أفعل هذا لأني أخاف أن يحال بين وبين داري، فضاعت بموته تلك الدفائن.

[٧٤٤] وجاء إليه صوفي فوعظه بالفارسية والعربية إلى أن أبكاه، فلما خرج من عنده أمر لغلام عنده أن يلحقه بألف درهم، وقال: ادفعها إليه، ثم إنه قال لمن عنده: هذا فقير ما يصنع بالدراهم؟ وما أظنه يأخذها، فلما عاد الغلام ويده فارغة قال: كلنا صيادون، ولكن الشباك تختلف.

[٧٤٥] وتوفي-رحمه الله- سنة تسع وعشرين وثلاث مائة، ولما قتله الأكراد نزل المتقي إلى داره ببغداد ونقل ما كان فيها، وحفر فيها أماكن فأخذ منها ما يزيد على ألفي ألف دينار عيناً وورقاً و قال للذين حفروا: «خذوا التراب بأجرتكم» فأبوا فأعطوا ألفي درهم، وغسل التراب فخرج منه ستة وثلاثون ألف درهم، وظهر له من الجوهر والياقوت والأواني والخيل والثياب والإماء والعبيد بمقدار ما وجد له من العين، ثم ظهر له بعد ذلك وبعد ما نهب من داره ما نهب ستة عشر قمقماً يحمل كل قمقم بالعتالين، وكان بين موت الراضي وقتل بجكم أربعة أشهر وأيام[١].



الطبيب

بختيشوع بن جرجس النصراني، رأس الأطباء وابن شيخهم.

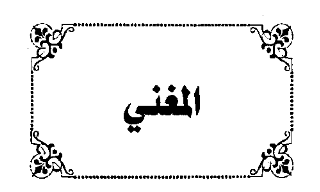
[٧٤٦] خدم الرشيد وتقدم في أيامه، امتحنه الرشيد أول قدومه بأن قدموا له قارورة فيها بول حمار، فقيل: ما يصلح لصاحب هذه القارورة؟ فقال: شعير جيد.

وبختيشوع معناه عبد المسيح، وهو لفظ سرياني.

توفي في حدود التسعين والمائة، وقيل: إنه مات بعد الرشيد وهو الصحيح[٢].

(١) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٧٧، ٧٨.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٨٩.



بديح، كان يلقب بالمليح، وهو مولى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وكانت له صنعة يسيرة.

[٧٤٧] وحكي أن عبد الله بن جعفر دخل على عبد الملك بن مروان وهو يتأوه فقال: يا أمير المؤمنين، لو أدخلت عليك من يؤنسك بأحاديث العرب وفنون الأسمار، قال: لست بصاحب هزل، والجد مع علتي أحجى بي.

قال: وما علتك؟

قال:هاج عرق النسا في ساقي هذه فبلغ مني.

فقال: إن بديحاً مولاي لأرقى خلق الله له، فوجه إليه عبد الملك، فأتى به سريعاً فقال: كيف رقيتك لعرق النسا؟

قال: أرقى الخلق له، فمد رجله فتفل عليها ورقاها مراراً فقال عبد الملك: الله أكبر وجدت خِفاً، يا غلام ادع فلانة تكتب الرقية، فإنا لا نأمن هيجها بالليل، فلا نذعر بديحاً، فلما جاءت الجارية قال بديح: يا أمير المؤمنين امرأته طالق إن كتبتها حتى تعجل جزائي، فأمر له بأربعة آلاف درهم، فلما صارت إليه قال: امرأته طالق إن كتبتها أو يصير المال في منزلي، فحمل إلى منزله، فلما أحرزه، قال: امرأته طالق إن كنت قرأت على ذلك إلا أبيات نصيب التي أغني بها وهي (من الطويل):

ألا إن ليلى العامرية أصبحت على النأي مني ذنب غيري تنقم

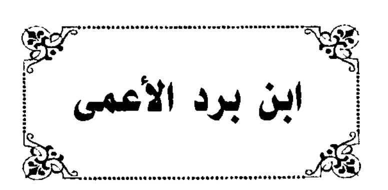
وما ذاك من شيء أكون اجترمته ... إليها فتجزيني به حيث أعلم
ولكن إنساناً إذا مل صاحباً ... وحاول صَرْماً لم يزل يتجرم[1]

فقال له: ويلك ما تقول؟

قال: امرأته طالق إن كان رقى إلا بما قال.

قال: فاكتمها علي.

قال: وكيف ذاك وقد سارت بها البُرُد[2] إلى أخيك بمصر، فطفق عبد الملك ضاحكاً يفحص برجليه[3].



ابن برد الأعمى

بشار بن بُرد بن يرجوخ العقيلي، مولاهم المشهور، الشاعر أبو معاذ المرعث، وهو الذي في أذنه رعثات، وهي القرط؛ لأنه كان في أذنه وهو صغير قرط.

ذكر صاحب الأغاني في كتابه في أسماء أجداد بشار ستة وعشرين جدّاً أسماؤهم أعجمية وذكر من أحواله وأخباره شيئاً كثيراً، ويقال إنه ولد على الرق وأعتقته امرأة عقيلية فنسب إليها، وكان أكمه، ولد أعمى، جاحظ العينين، قد تغشاهما لحم أحمر، كان ضخماً عظيم الخلق والوجه، مجدوراً طويلاً، وهو في أول مرتبة المحدثين من الشعراء المجيدين.

---

(١) الصرم: القطع.

(٢) البرد جمع البريد.

(٣) الوافي بالوفيات: ١٠/ ١٠٣، ١٠٤.

[٧٤٨] ومن شعره قوله:

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة … والأذن تعشق قبل العين أحياناً

قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم … الأذن كالعين توفي القلب ما كانا

وكان بشار يرى رأي الكاملية، وهم طائفة من الرافضة.

[٧٤٩] ووفد على المهدي وأنشده قصيدة يمدحه بها، منها من (الطويل):

إلى ملك من هاشم في نبوّة … ومن حمير في الملك والعدد الدَّثْرِ

من المشترين الحمد تندى من الندى … يداه ويندى عارضاه من العطر

فلم يحظ بمنه، فقال يهجوه: (من الخفيف):

خليفة يزني بعماته … يلعب بالدبوق والصولجان

أبدلنا الله به غيره … ودس موسى في حِرِ الخيزران[١]

وأنشدهما في حلقة يونس النحوي، فسعى به إلى وزيره يعقوب بن داود وكان بشار قد هجاه بقوله (من البسيط):

بني أمية هبوا طال نومكم … إن الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا … خليفة الله بين الناي والعود

فدخل الوزير يعقوب على المهدي وقال: يا أمير المؤمنين إن هذا الملحد الزنديق قد هجاك، قال: بم ذاك؟ فقال: لا أطيق قوله، فأقسم عليه فكتبهما فلما وقف عليهما كاد ينشق غيظاً، فانحدر إلى البصرة، فلما بلغ

---

(١) أي في فرَج الخيزران وهي امرأة المهدي.

البطيحة، سمع أذاناً في وقت ضحاء النهار، فقال: انظروا ما هذا، فإذا بشار سكران، فقال:

يا زنديق، عجبت أن يكون هذا غيرك، أتلهو بالأذان في غير وقت صلاة، وأنت سكران؟ وأمر بضربه، فضرب بالسياط بين يديه على صدر الحراقة سبعين سوطاً تلف منها، وكان إذا أصابه السوط قال: حَسٍّ -وهي كلمة تقولها العرب للشيء إذا أوجع- فقال بعضهم: انظروا إلى زندقته وكيف يقول: حس، ولا يقول: بسم الله.

فقال بشار: ويلك، أطعام هو فأسمي الله عليه؟

فقال له آخر: أفلا قلت: الحمد لله؟

فقال: أو نعمة هي فأحمد الله عليها؟

وبان الموت فيه فألقي في سفينة حتى مات سنة ثمان وستين ومائة وقد بلغ نيفاً وتسعين سنة، وقال في حال ضرب الجلاد له: ليت عيني أبي الشمقمق تراني حيث يقول (من مجزوء الرمل):

هللينه هللينه ... طعن قثّاة لتينة

إن بشار بن برد ... تيس أعمى في سفينة

[٧٥٠] وكان بشار يخاف لسان أبي الشمقمق ويصانعه في كل سنة بمبلغ من الذهب حتى يكف عنه.

ووجد في أوراقه مكتوب: إني أردت هجاء آل سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس فذكرت قرابتهم من رسول الله ﷺ فأمسكت عنهم، والله أعلم بحالهم، ويقال إن المهدي لما بلغه ذلك ندم على قتله.

وكان كثيراً ما ينشد قوله (من مجزوء الرمل):

ستـــترى حـــول ســـريري   حُـــسَّراً يلطمـــن لطمـــا
يـــا قتـــيلاً قتلتــه عبـــدة   الحـــــوراء ظلمـــا

عبدة: اسم محبوبته، ولما خرجت جنازته لم يتبعها إلا أمة سندية له عجماء تقول: واشيداه، واشيداه، بالشين المعجمة.

[٧٥١] ومن شعر بشار بن برد (من الخفيف):

يـا ابـنِ نِهْيـا رأسٌ علـيّ ثقيـلُ   واحتمال الرأسين خطب جليل
ادع غـيري إلى عبـادة الاثـنين   فـإني بواحـد مـشغول
يـا ابـن نهيـا برئـت منـك إلى اللـ   ـه جهـاراً وذاك مـني قليـل

فأشاع حماد عجرد هذه الأبيات عن بشار، وجعل حماد مكان (بواحد): عن واحد؛ ليصحح عليه الزندقة والكفر بالله، فما زالت الأبيات تدور أيدي الناس إلى أن انتهت إلى بشار، فاضطرب منها وجزع، وقال: أشاط ابن الزانية بدمي، والله، وغيَّرها حتى شهر في الناس ما يهلكني.

[٧٥٢] ومن شعره وهو في غاية الحكمة (من الطويل):

إذا بلـغ الـرأي المـشورة فاسـتعن   بحـزم نـصيح أو نـصاحة حـازم
ولا تحسب الشورى عليك غـضاضة   فـإن الخـوافي رافـد للقـوادم[1]
وخَـلِّ الهوينـا للـضعيف ولا تكـن   نؤومـاً فـإن الحـر لـيس بنـائم
وأَدْنِ مـن القربـى المقـرب نفـسه   ولا تُشهِدِ الشورى امـرأً غـير كـاتم

(١) الخوافي والقوادم من ريش جناح الطائر من مقدمته ومؤخرته.

وما خير كف أمسك الغُلُّ أختها وما خير سيفٍ لم يؤيَّد بقائم
فإنك لا تستطرد الهم بالمنى ولا تبلغ العليا بغير المكارم[1]



الحافي

بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء، أبو نصر المروزي، ثم البغدادي، الزاهد الكبير المعروف ببشر الحافي، هو ابن عم علي بن خشرم المحدث.

[٧٥٣] وكان عديم النظير زهداً وورعاً وصلاحاً، كثير الحديث، إلا أنه كان يكره الرواية، ويخاف من شهوة النفس، ويقول: أكره التحدث؛ لأن نفسي تريد أن أتحدث.

[٧٥٤] قال: شاطر سخيٌّ أحب إلى الله من صوفي بخيل[2].

[٧٥٥] وقال: إذا أعجبك الكلام فاصمت، وإذا أعجبك الصمت فتكلم.

[٧٥٦] رآه بعض الفقراء في منامه بعد موته فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ولكل من تبع جنازتي ولكل من أحبني إلى يوم القيامة.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٠/ ١٣٥- ١٤١.

(٢) الشاطر: قاطع الطريق.

توفي قبل المعتصم بستة أيام سنة سبع وعشرين ومائتين، وله خمس وسبعون سنة.

[٧٥٧] وكان من أولاد الرؤساء والكتاب، وسبب توبته أنه أصاب في الطريق ورقة فيها مكتوب بسم الله، وقد وطئتها الأقدام، فأخذها واشترى بدراهم كانت معه غالية وطيَّب الورقة وجعلها في شق حائط، فرأى في النوم كأن قائلاً يقول له: يا بشر، طيبت اسمي، لأطيبن اسمك في الدنيا والآخرة، فلما انتبه من نومه تاب.

[٧٥٨] ويحكى أنه أتى باب المعافى بن عمران فدق عليه الحلقة، فقيل: من؟ فقال: بشر الحافي، فقالت له بنت من داخل الدار: لو اشتريت نعلاً بدانقين لذهب عنك اسم الحافي، وإنما لقب الحافي؛ لأنه جاء إلى إسكاف يطلب منه شِسْعاً لأحد نعليه، فقال له الإسكافي: ما أكثر كلفتكم على الناس، فألقى النعل من يده والأخرى من رجله، وحلف لا يلبس نعلاً بعدها.

[٧٥٩] وقيل له: بأي شيء تأكل الخبز؟ فقال: أذكر العافية فأجعلها أُدْماً، وقال بعضهم: أذكر العافية فأجعلها إداماً.

[٧٦٠] وقال بعضهم: سمعت بشراً يقول لأصحاب الحديث: أدوا زكاة هذا الحديث، فقالوا: ما زكاته؟ فقال: اعملوا من كل مائتي حديث بخمسة أحاديث.

[٧٦١] وكان له ثلاث أخوات وهن: مضغة ومخة وزبدة، وكن زاهدات عابدات، وأكبرهن مضغة، فماتت قبل أخيها بشر، فحزن عليها حزناً عظيماً وبكى بكاء كثيراً، فقيل له في ذلك، فقال: قرأت في بعض

الكتب أن العبد إذا قصر في خدمة ربه سلبه أنيسه، وهذه أختي كانت أنيستي في الدنيا.

[٧٦٢] وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: دخلت امرأة على أبي فقالت له: يا أبا عبد الله إني امرأة أغزل في الليل على ضوء السراج، وربما طفئ السراج فأغزل على ضوء القمر، فهل علي أن أبين غزل السراج عن غزل القمر؟

فقال لها أبي: إن كان عندك فرق بينهما فعليك أن تبيني ذلك.

فقالت له: يا أبا عبد الله أنين المريض هل هو شكوى؟

فقال لها أبي: أرجو ألاَّ يكون شكوى، ولكن هو اشتكاء إلى الله تعالى، ثم انصرفت، فقال لي أبي:

يا بني ما سمعت إنساناً قط يسألني عن مثل ما سألت هذه المرأة، اتبعها، قال عبد الله: فتبعتها إلى أن دخلت دار بشر الحافي، فعلمت أن المرأة أخت بشر الحافي.

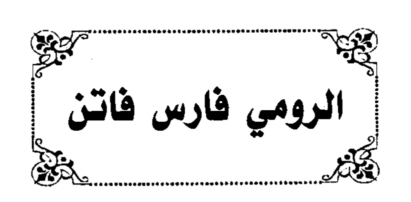
[٧٦٣] وقال بشر الحافي: تعلمت الورع من أختي؛ فإنها كانت تجتهد ألاَّ تأكل ما لمخلوق فيه صنع.

[٧٦٤] وأخرجت جنازته بعد صلاة الصبح في نهار صائف فما استقر في قبره إلى العتمة، وكان ابن المديني وأبو نصر التمار يصيحان في الجنازة: هذا والله شرف الدنيا قبل شرف الآخرة.

ورويت له المنامات الصالحة، وآثاره وأخباره كثيرة في رسالة القشيري وفي تاريخ ابن عساكر وغيره[١].

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٠/ ١٤٦- ١٤٨.



الرومي فارس فاتن

بشرى بن مسيس أبو الحسن الرومي الفاتني، مولى الأمير فاتن مولى المطيع لله.

[٧٦٥] أسر من بلد الروم وهو كبير أمرد، قال: فأهداني بعض بني حمدان لفاتن، فأدبني وأسمعني، وورد أبي بغداد سرّاً ليتلطف في أخذي، فلما رآني على تلك الصفة من الإسلام والاشتغال بالعلم يئس مني ورجع.

قال الخطيب: كتبنا عنه وكان صدوقاً، وتوفي يوم عيد الفطر سنة إحدى وثلاثين وأربع مائة[١].

الكبير التركي

بغا الكبير أبو موسى التركي أحد قواد المتوكل وأكبرهم، له فتوحات ووقعات، وكان مملوك الحسن بن سهل الوزير.

وكان يحمق ويجهل في رأيه، وقد باشر عدة حروب، وما جرح قط، وفيه دين وإسلام، توفي في حدود الخمسين والمائتين، وقيل: في سنة ثمان وأربعين ومائتين.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٠/ ١٥٩، ١٦٠.

[٧٦٦] وقيل: إنه كان يباشر الحروب ولم يكن يلبس سلاحاً وما جرح قط، فقيل له في ذلك فقال: الأجل جوشن[١]، وإني رأيت رسول الله ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله ادع لي، فقال: لا بأس عليك، أحسنت إلى رجل من أهل بيتي فعليك من الله واقية، والرجل الذي خلصه كان المعتصم قد أمره أن يلقيه إلى السباع، فلم يفعل.

وكانت وفاته في جمادى الآخرة، وكان يوماً مذكوراً[٢].



الشرابي

بغا التركي الصغير المعروف بالشرابي الأمير.

[٧٦٧] من كبار قواد المتوكل، وهو أحد من دخل عليه وفتك به، وغلب على المستعين هو ووصيف، حتى قال الشاعر في ذلك (من مجزوء الرجز):

خليفة في قفص بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له كما تقول الببغا

[٧٦٨] وخرج بغا على المعتز ونهب من الخزائن مائتي ألف دينار، وسار عازماً على الشر، فاختلف عليه أصحابه فكتب يطلب أماناً، وفارقه عسكره فانحدر في زورق فأخذته المغاربة فقتله الوليد، ونصب رأسه

---

(١) هكذا وردت.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٠/ ١٧٢، ١٧٣.

ببغداد وأعطى قاتله عشرة آلاف دينار، وكان ذلك في سنة أربع وخمسين ومائتين.

[٧٦٩] نقل الرواة أن بغا الصغير لما عزم على قتل المتوكل بتدبير ابنه المنتصر، دعا بباغر التركي بعدما ملأ عينه بالصلات وقال له: أنت تعلم تقديمي لك ومكانك عندي وأريد أن أسر إليك شيئاً.

قال: قل ما شئت.

قال: إن ابني قد فسد علي، وصح عندي أنه يريد سفك دمي، وأريد إذا دخل علي غداً وأنت حاضر إذا وضعت قلنسوتي عن رأسي إلى الأرض أن تقتله.

قال: نعم، فلما دخل عليه من الغد لم ينزع القلنسوة، فظن باغر أنه نسي فغمزه بحاجبه فلم ير العلامة، وانصرف ابنه.

فقال بغا: يا باغر إني فكرت في أنه حدث وولد وأريد أن أستصلحه، ثم أمسك عنه مديدة وقال له: إني أخي قد فسد علي وهو عازم على أن يقتلني وينفرد بمكاني، وأحب أن تبادر غداً إذا دخل علي وتقتله، وجعل له علامة فلما دخل عليه لم ير العلامة، ووقف حتى خرج أخوه.

فقال له: يا باغر هو أخي وعسى أن أستصلحه، وها هنا أمر هو أعظم وأكبر من هذا كله.

قال له باغر: وما هو؟

قال: المستنصر، قد صح عندي أنه عزم على الإيقاع بي وأريد قتله، فكيف ترى نفسك؟ ففكر ساعة ونكس رأسه طويلاً ثم قال: هذا لا يجيء منه شيء.

قال: ولم؟

قال: أتقتل الابن والأب باق، إذاً لا يستوي لك شيء ويقتلكم كلكم أبوه.

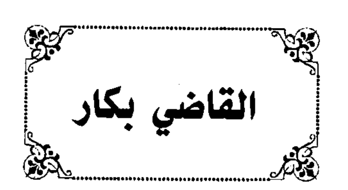
قال: فما الرأي؟

قال: تبدأ بالأب ويكون أمر الصبي أيسر.

قال: أو تفعل هذا، ويحك؟

قال: نعم، وأدخل أنا إلى قتله وأنت خلفي فإن قتلته وإلا فاقتلني أنت، وقل أراد أن يقتل مولاه، فعلم بغا الصغير أنه قاتله، فتمكن له التدبير على قتل المتوكل وقتلوه.

وحكى أن سيفويه قال على المنبر وهو يقص: في سلسلة ذرعها تسعون ذراعاً، فقال الناس: ما قال الله إلا: ﴿سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾!![1] قال: هذه أعدت لبغا وباغر ووصيف وأمثالهم وأما السبعون فلكم أنتم[2].



القاضي بكار

بكار، أبو بكرة بن قتيبة بن أبي برذعة بن عبيد الله بن بشير بن عبيد الله بن أبي بكرة، نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفي، صاحب رسول الله ﷺ.

كان حنفي المذهب، وتولى القضاء بمصر سنة ثمان-أو تسع- وأربعين

(١) سورة الحاقة: ٣٢.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٠/ ١٧٣- ١٧٥، وهذا لا يجوز من قائله، فإن كلام الله لا يلعب به.

ومائتين، وقيل: قدمها متوليّاً من قبل المتوكل يوم الجمعة لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة ست وأربعين ومائتين، وظهر من حسن سيرته وجمال طريقته ما هو مشهور.

[٧٧٠] له مع أحمد بن طولون أخبار ووقائع مذكورة، كان يدفع له كل سنة ألف دينار خارجاً عن المقرر له فيتركها بختمها ولا يتصرف فيها، فلما دعاه إلى خلع الموفق بن المتوكل والد المعتضد من ولاية العهد امتنع بكار من ذلك، فاعتقله أحمد وطالبه بجملة المبلغ فحمله إليه بختمه، وكان ثمانية عشر كيساً في كل كيس ألف دينار، فاستحيى أحمد منه، وأمره أن يسلم القضاء إلى محمد بن شاذان الجوهري ففعل وجعله كالخليفة له.

[٧٧١] وبقي مسجوناً مدة سنين، وكان يحدث من السجن في طاق لأصحاب الحديث؛ لأنهم شكوا إلى ابن طولون انقطاع سماع الحديث من بكار، وسألوه أن يأذن له في الحديث ففعل.

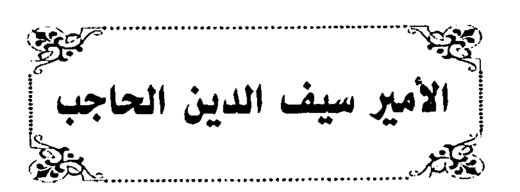
وكانت ولادته بالبصرة سنة اثنتين وثمانين ومائة.

قال ابن خلكان:

وتوفي وهو باق على القضاء مسجوناً يوم الخميس لست بقين من ذي الحجة سنة سبعين ومائتين، وقبره بمصر، وبقيت مصر بعده بلا قاض ثلاث سنين، وقبره بالقرب من قبر الشريف طباطبا مشهور هناك عند مصلى بني مسكين على الطريق تحت الكرم بينه وبين الطريق.

[٧٧٢] وكان القاضي بكار أحد البكائين التالين لكتاب الله -تعالى-، وكان إذا خلا من الحكم، تفرد بنفسه وعرض عليها قصص جميع من تقدم إليه وما حكم به وبكى، وكان يخاطب نفسه ويقول: بكار تقدم رجلان في كذا، وتقدم إليك خصمان في كذا وحكمت بكذا، فما يكون

جوابك غداً؟ وكان يكثر الوعظ للخصوم -إذا أرادوا اليمين- ويتلو عليهم قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا ﴾[1] إلى آخر الآية وكان يحاسب أمناءه في كل وقت ويسأل عن الشهود في كل وقت.[2]



الأمير سيف الدين الحاجب

بكتمر، الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب.

كان أولاً أمير آخور[3]، ثم قدم دمشق وتولى بها شد الدواوين أيام الأفرم، ولم يكن لأحد معه كلام، وكان عارفاً خبيراً بصيراً بالأحكام، دربا مثقفاً خيراً يرعى أصحابه ويقضي حوائجهم، ثم ولي الحجوبية، وتوجه إلى صفد كاشفاً أيام سنقر شاه على الأمير ناهض الدين عمر بن أبي الخير، مشد صفد، ونزل بالميدان، وكان معه القاضي معين الدين ابن حشيش، ونزل بالميدان وحرر الكشف ودققه حتى قال زين الدين عمر بن حلاوات مُوَقِّع صفد (من الكامل):

يا قاصداً صفداً فعد عن بلدةٍ	من جور بكتمر الأمير خراب
لا شافع تغني شفاعته ولا	جانٍ له مما جناه متاب
حشر وميزان ونشر صحائف	وجرائد معروضة وحساب
وبها زبانية تبث على الورى	وسلاسل ومقارع وعقاب

(١) سورة آل عمران: ٧٧.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٠/ ١٨٥، ١٨٦.

(٣) هو المشرف على اصطبل السلطان وخيوله، ويسكن في الاصطبل: انظر((معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي)): ٢٠.

ما فاتهم من كل ما وعدوا به   في الحشر إلا راحم وهاب

قلت: وهذه أبيات لسبط التعاويذي معروفة في ديوانه، وأولها (من الكامل):

يا قاصداً بغداد جز عن بلدة   للجور فيها زخرة وعباب

وهي سبعة عشر بيتاً قالها في الوزير ابن البلدي، فأتى ابن حلاوات بالبيت الأول وليس للفاء في قوله «فعد» محل.

ثم إن الأمير سيف الدين توجه مع السلطان لما جاء من الكرك إلى مصر وولاه، ثم ولاه الوزارة، ثم إنه قبض عليه وبقي في الاعتقال مدة سنة ونصف، ثم أخرجه وجهزه إلى صفد نائباً وأنعم عليه بمائة ألف درهم، وكان قد أخذ له مالاً كثيراً إلى الغاية، فأقام بها عشرة أشهر تقريباً، ثم طلب إلى مصر، وكان من جملة الأمراء الذين يجلسون، وإذا تكلم السلطان في المشورة لا يرد عليه أحد غيره؛ لما عنده من المعرفة والخبرة.

وكان قد تزوج ابنة الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك، وعمر له داراً ظاهر باب النصر على القاهرة وعمر هناك مدرسة إلى جانبها، وكان لأصحابه به نفع كبير بجاهه، لا يبخل على أحد ممن يعرفه بذلك، وإشاراته مقبولة عند أرباب الدولة.

ثم إنه سرق له من الخزانة مال كثير ادعى في الظاهر أنه مبلغ مائتي ألف درهم، وكان في الباطن على ما قيل سبع مائة ألف أو أكثر، فما جسر يقول الكل خوفاً من السلطان، وكان قدودار والي القاهرة، فرسم له السلطان بتتبع ذلك، فيقال إن القاضي فخر الدين وبكتمر الساقي

والجمالي الوزير عاملوا في الباطن عليه، وحمل إليهم بعض العملة فشرعوا يحجفون عن المتهمين، وإذا قال السلطان للوالي:

إيش عملت في عملة الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب؟

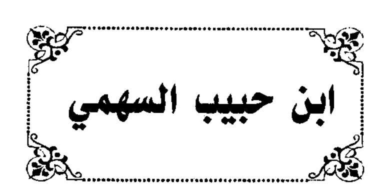
يقول القاضي فخر الدين: يا خوند: لعن الله ساعة هذه العملة، كل يوم يموت الناس تحت المقارع، وإلى متى يقتل المتهم الذي لا ذنب له! ثم في آخر الحال وقف الأمير سيف الدين بكتمر للسلطان في دار العدل وشكا وتضور، فخرج السلطان وأحضر الوالي وسبه وأظهر غيظاً عظيماً، فقال:

يا خوند، اللصوص الذين أمسكتهم وعاقبتهم أقروا بأن خزنداره سيف الدين بخشي اتفق معهم على أخذ المال وجماعة من ألزامه الذين في بابه، فقال السلطان للجمالي الوزير: احضر هؤلاء المذكورين وعاقبهم، فأحضرهم وعاقبهم وعصر هذا بخشي وكان عزيزاً عنده قد زوجه بنته، وهو واثق بعقله ودينه وأمانته فقال بخشي: يا خوند أنا والله الذي تحت يدي لأستاذي ما يعرفه ولا يدري كم هو، فما أحتاج أخلي غيري يأخذ معي ما أردت أن أسرقه، ولما بلغ الأمير سيف الدين عصر بخشي وجماعته علم أن ماله قد راح فحصل له غيظ عظيم وغم وغبن، فمات فجأة من الظهر إلى العصر سنة ثمان وثلاثين وسبع مائة.

[٧٧٤] وكان له حرص عظيم في جمع المال إلى الغاية مفرط، له الأملاك الكثيرة في كل مدينة في الشام وفي القاهرة ومصر، بحيث أن له في كل مدينة ديواناً فيه مباشرون، وله قدور فول وحمص، وغير ذلك من الأواني والآلات التي تُكْرى.

[٧٧٤] وكان مبخَّلاً جدّاً، حكى لي الشيخ فتح الدين قال: كنت عنده يوماً وبين يديه صغير من أولاده وهو يبكي ويتعلق في رقبته ويبوس صدره، فلما طال ذلك من الصغير قلت له: يا خوند، ما به؟ قال: شيطان يريد قصب مص، فقلت: يا خوند: اقض شهوته، فقال: يا بخشي، سير إلى السوق أربعة فلوس، هات له عوداً، فلما حضر العود وجدوا الصغير مما تعنى وتعذب قد نام، فقال الأمير: هذا قد نام، ردوا العود وهاتوا الفلوس.

وأخذ السلطان من ماله شيئاً كثيراً إلى الغاية[١].



بكر بن حبيب السهمي والد عبد الله بن بكر المحدث، ذكره الزبيدي، وغيره في النحويين، أخذ عن أبي إسحاق.

[٧٧٥] وقال ابن أبي إسحاق لبكر بن حبيب: ما ألحن في شيء؟

قال: تفعل.

فقال له: فخذ عليَّ كلمة.

قال: هذه واحدة، قل كلمةً[٢]، وقربت منه سنورة[٣]، فقال لها: اخسي، فقال له: أخطأت إنما هو اخسئي.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٠/ ١٩٠- ١٩٢.

(٢) كَلِمة وكِلْمة: كلاهما جائز.

(٣) الهرة.

[٧٧٦] وتوفي ابن لبعض المهالبة، فأتاه شبيب بن شيبة المنقري يعزيه وعنده بكر بن حبيب السهمي، فقال شبيب: بلغنا أن الطفل لا يزال محبنطئاً على باب الجنة يشفع لأبويه، فقال بكر: إنما هو محبنطياً، غير مهموز.

فقال شبيب: أتقول لي هذا وما بين لابتيها أفصح مني؟!

فقال بكر: وهذا خطأ ثان، ما للبصرة ولُلُوَب؟ لعلك غرك قولهم: ما بين لابتي المدينة -يريدون الحرة- وليس للبصرة حرة ولا لابة، والمحبنطي بغير همز: المنتصب للشيء المستبطئ له، وبالهمز: العظيم البطن المنتفخ.

[٧٧٧] وقال ابنه عبد الله: كان أبي يقول البيتين والثلاثة، وهو القائل (من الكامل):

سير النواعج في بلاد مضلة	يمشي الدليل بها على مِلمال
خير من الطمع الدني ومجلس	بفناء لا طلقٍ ولا مفضال
فاقصد لحاجتك المليك فإنه	يغنيك عن مترفع مختال[١]



المازني

بكر بن محمد بن عثمان المازني البصري النحو كان إمام عصره في النحو والآداب.

أخذ الأدب عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري وغيرهم، وأخذ عنه المُبَرِّد، وكان المبرد يقول: ما بعد سيبويه أعلم بالنحو من المازني، وله عنه روايات كثيرة.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٢٠٣، ٢٠٤.

قال أبو جعفر الطحاوي المصري:

سمعت القاضي بكار بن قتيبة قاضي مصر يقول: ما رأيت نحويّاً قط يشبه الفقهاء إلا حيان بن هرمة والمازني المذكور، قلت: لم يكن القاضي بكار قد عاصر أبا الفتح ابن جني ولا أبا علي الفارسي ولا ابن عصفور.

[٧٧٨] وكان المازني في غاية الورع، قصده بعض أهل الذمة ليقرأ عليه كتاب سيبويه، وبذل له مائة دينار في تدريسه إياه فامتنع، فقال له المبرد: جعلت فداءك، أترد هذه المنفعة مع فاقتك وشدة إضاقتك؟ فقال: إن هذا الكتاب يشتمل على ثلاثة مائة وكذا وكذا آية من كتاب الله -عز وجل- ولست أرى أن أمكّن منها ذميّاً غيرة على كتاب الله وحمية له.

قال المبرد: فاتفق أن غنت جارية بحضرة الواثق بقول العرجي (من الكامل):

أظلومَ إن مصابكم رجلاً يهدي السلام عليكم ظلم

قلت: كذا أورده: العرجي، وقال آخرون، وهو الصحيح: إنه للحارث بن خالد المخزومي.

عاد القول إلى كلام المبرد: فاختلف من بالحضرة في إعراب رجل، فمنهم من نصبه وجعله اسم إن، ومنهم من رفعه على أنه خبرها، والجارية مصرة على أن شيخها أبا عثمان المازني لقنها إياه بالنصب، فأمر الواثق بإشخاصه.

قال أبو عثمان: فلما مثلت بين يديه، قال: ممن الرجل؟

فقلت: من مازن.

قال: أي الموازن؟ أمازن تميم أم مازن قيس أم مازن ربيعة؟

قلت: من مازن ربيعة، فكلمني بكلام قومي وقال: با اسبك؟ لأنهم يقلبون الميم باء والباء ميماً، فكرهت أن أجيبه على لغة قومي لئلا أواجهه بالمكر. فقلت: بكر يا أمير المؤمنين، ففطن لما قصدته وتعجب منه، ثم قال: ما تقول في قول الشاعر: «أظلوم إن مصابكم رجلاً» أترفع رجلاً أم تنصبه؟ فقلت: بل الوجه النصب يا أمير المؤمنين.

فقال: ولم ذاك؟

قلت: إن مصابكم مصدر بمعنى: إصابتكم، فأخذ اليزيدي في معارضتي، قلت: هو بمنزلة قولك: إن ضربك زيداً ظلم، فالرجل: مفعول مصابكم، وهو منصوب به، والدليل عليه أن الكلام معلق إلى أن تقول: ظلم فيتم، فاستحسنه الواثق وقال: هل لك من ولد؟

قلت: نعم يا أمير المؤمنين، بنيَّة، قال: ما قالت لك عند مسيرك؟

قلت: أنشدت قول الأعشى (من المتقارب):

أيا أبتا لا تَرِمْ عندنا فإنا بخير إذا لم تَرِمِ

أرانا إذا أضمرتك البلا د نجفى ويُقطع منا الرحم

قال: فما قلت لها؟ قلت: قول جرير (من الوافر):

ثقي بالله ليس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح

قال: علي النجاح إن شاء الله تعالى، ثم أمر لي بألف دينار، وردني مكرماً، قال المبرد: فلما عاد إلى البصرة قال لي: كيف رأيت يا أبا العباس، رددنا لله مائة فعوضنا ألفاً.

[٧٧٩] وروى المبرد عنه أيضاً قال: قرأ علي رجل كتاب سيبويه في مدة طويلة، فلما بلغ آخره، قال لي: أما أنت فجزاك الله خيراً، وأما أنا فما فهمت منه حرفاً.

[٧٨٠] وقال الزبيدي: قال المازني: كنت بحضرة الواثق يوماً فقلت لابن قادم، وابن سعدان قد كابرني: كيف تقول نفقتك ديناراً أصلح من درهم؟ فقال:دينار بالرفع، قلت: فكيف تقول: ضربك زيداً خير لك، فتنصب زيداً؟ وطالبته بالفرق بينهما فانقطع، وكان ابن السكيت حاضراً، فقال الواثق: سله عن مسألة.

فقلت له: ما وزن نكتل من الفعل؟

فقال: نفعل، فقال الواثق: غلطت، ثم قال لي: فسره، فقلت: نكتل تقديره: نفتعل، وأصله: نكتيل، فانقلبت الياء ألفاً لفتحة ما قبلها، فصار لفظها: نكتال فأسكنت اللام للجزم؛ لأنه جواب الأمر فحذفت الألف لالتقاء الساكنين فقال الواثق: هذا الجواب لا جوابك يا يعقوب، فلما خرجنا قال لي ابن السكيت: ما حملك على هذا وبيني وبينك المودة الخالصة؟ فقلت: والله ما أردت تخطئتك ولم أظن أنه يغرب عنك.

[٧٨١] وقال المبرد: سألت المازني عن قول الأعشى (من الكامل):

هذا النهارَ بدا لها من همها ... ما بالها بالليل زال زوالها

فقال: نصب النهار على تقدير: هذا الصدود بدا لها النهار واليوم والليلة، والعرب تقول: زال وأزال بمعنى، فيقول: زال الله زوالها.

[٧٨٢] وحدث الزبيدي أيضاً قال: وقال المازني:

وحضرت يوماً أيضاً عند الواثق، فقال: يا مازني: هات مسألة وكان عنده نحاة الكوفة، فقلت:

ما تقولون في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[1] لِمَ لم يقل بغيَّة، وهي صفة لمؤنث؟ فأجابوا بجوابات غير مرضية، فقال الواثق: هات ما عندك.

فقلت: لو كانت بغي على تقدير: فعيل بمعنى فاعلة، لحقتها الهاء مثل: كريمة وظريفة، وإنما تحذف الهاء إذا كانت في معنى مفعولة، نحو المرأة قتيل، والكف خضيب، وبغي ههنا ليس بفعيل إنما هو فعول، وفعول لا تلحقه الهاء في وصف التأنيث نحو: «امرأة شكور» وبئر شَطُون[2]، إذا كانت بعيدة الرشاء، وتقدير بغي: بغوي، قلبت الواو ياء ثم أدغمت في الياء فصارت ياء ثقيلة نحو: سيد وميت، فاستحسن الجواب.

وساق ياقوت في معجم الأدباء للمازني من هذا الضرب كثيراً في ترجمته والاقتصار على هذا أولى.

[٧٨٣] وقال المازني: مررت ببني عقيل فإذا رجل أسود قصير أعور أبرص أكشف، قائم على تل سماد، وهو يملأ جَواليق[3] معه من ذلك السماد وهو يغني بأعلى صوته:

فإن تَصْرمي حبلي[4] وتستكرهي وصلي ... فمثلك موجود ولاتجدي مثلي

فقلت: صدقت والله، متى تجد ويحها مثلك.

فقال: بارك الله عليك وأسمعك خيراً، ثم اندفع ينشد (من الرجز):

يا ربة المِطْرف[5] والخلخال ... ما أنت من همي ولا أشغالي

---

(١) سورة مريم: ٢٨.

(٢) بعيد.

(٣) أي أوعية.

(٤) تصرمي: أي تقطعي.

(٥) المطرف: رداء أو ثوب من حرير.

مثلك موجود ومثلي غالي

وللمازني شعر قليل.

واختلف في تاريخ وفاته، فقيل سنة تسع أو ثمان وأربعين ومائتين، وقيل سنة ثلاثين ومائتين والله أعلم[1].



ابن النطاح

بكر بن النطاح الحنفي أبو وائل قيل: هو عجلي.

كان شاعراً حسن الشعر كثير التصرف فيه.

وكان صعلوكاً يصيب الطريق[2]، ثم أقصر عن ذلك.

[٧٨٤] وكان كثيراً ما يصف نفسه بالشجاعة والإقدام وهو القائل (من الطويل):

هنيئا لإخواني ببغداد عيدهم وعيدي بحلوان قراعُ الكتائب

وأنشدها أبا دُلَف فقال له: إنك لتكثر من وصف نفسك بالشجاعة، وما رأيت عندك لذلك أثراً قط ولا فيك.

فقال: أيها الأمير وأي عناء يكون عند الرجل الحاسر الأعزل؟

(١) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٢١١- ٢١٦.

(٢) أي يقطع الطريق.

فقال: أعطوه سيفاً وفرساً ودرعاً ورمحاً فأعطوه ذلك أجمع فأخذه وركب الفرس، وخرج على وجهه، فلقيه مال لأبي دلف يُحمل من بعض ضياعه فأخذه، وخرج جماعة من غلمانه ومانعوه فجرحهم جميعاً وقطعهم فانهزموا وسار بالمال، فلم ينزل إلا على عشرين فرسخاً. فلما اتصل خبره بأبي دلف قال: نحن جنينا على أنفسنا، وكنا أغنياء عن إهاجته، ثم كتب إليه بالإمارة وسَوّغه المال[1] وكتب إليه: صر إلينا فلا ذنب لك عندنا نحن هيجناك وحركناك، فرجع ولم يزل معه يمدحه حتى مات.

[٧٨٥] وكان قد لحق أبو دلف إنساناً قد أردف آخر خلفه فطعنهما يَشْكُّهما بالرمح[2] فتحدث الناس في ذلك فلما عاد دخل إليه بكر بن النطاح وأنشده (من الكامل):

قالوا أينظم فارسين بطعنة ... يوم اللقاء ولا يراه جليلا
لا تعجبوا لو كان مد قناته ... ميلاً إذاً نظم الفوارس ميلا

فأمر له أبو دلف بعشرة آلاف درهم.

[٧٨٦] وله فيها أيضاً (من الطويل):

له راحة لو أن معشار جودها ... على البَرِّ كان البر أندى من البحر
ولو أن خلق الله في جسم فارس ... وبارزه كان الخلي من العمر
أبا دلف بوركت في كل بلدة ... كما بوركت في شهرها ليلة القدر

[٧٨٧] وله فيه أيضاً (من الوافر):

---

(١) أي أباحه المال الذي سرقه منه.

(٢) أي أدخل الرمح في جسديهما.

إذا كان الشتاء فأنت شمس ... وإن حضر المصيف فأنت ظل

وما تدري إذا أعطيت مالاً ... أتكثر في سماحك أم تقل

فأعطاه عشرة آلاف درهم.

[٧٨٨] وقصد مالك بن طوق فمدحه فأثابه، فلم يرض ثوابه فخرج من عنده وكتب رقعة وبعث بها إليه فيها (من المتقارب):

فليت جَدا مالك كله ... وما يرتجى منه من مطلب

أصيب بأضعاف أضعافه ... ولم أنتجعه ولم أرغب

أسأت اختياري فقلّ الثواب ... ليَ الذنب جهلاً ولم يذنب

فلما قرأها وجه جماعة في طلبه وقال: الويل لكم إن فاتكم، فلحقوه وردوه إليه فلما رآه، قام إليها وتلقاه وقال: يا أخي عجلت علينا وما كنا نقتصر على ذلك وإنما بعثنا إليك نفقة وعولنا بك على ما يتلوها فاعتذر إليه، ثم أعطاه حتى أرضاه، فقال بكر بن النطاح يمدحه في ذلك (من الطويل):

فتى جاد بالأموال من كل جانب ... وأنهبها في عَوْده وبداته

فلو خذلت أمواله جود كفه ... لقاسم من يرجوه شطر حياته

فإن لم تجد في العمر قسمة باذل ... وجاز له الإعطاء من حسناته

لجاد بها من غير كفر بربه ... وشاركهم في صومه وصلاته

قلت: في قوله: من غير كفر بربه زيادة مليحة وهو من باب: حشو اللوزينج[1].

---

(١) اللوزينج: حلوى تتخذ من اللوز.

[٧٨٩] وقال (من الطويل):

كريم إذا ما جئت طالب فضله ... حباك بما تحوي عليه أنامله

ولو لم يكن في كفه غير نفسه ... لجاد بها فليتق الله سائله

وقد وجدت هذه الأبيات والثواني في قصيدتي أبي تمام المشهورتين: والقطعة الأولى أوردها صاحب الأغاني لابن النطاح، والبيتان الثانيان أوردهما المرزباني في معجمه لابن النطاح، وهما أخبر الناس بذلك وهذه مصالتة لا سرقة، وأما أبو الطيب، فإنه أخذه وقصر عنه حيث قال (من الوافر):

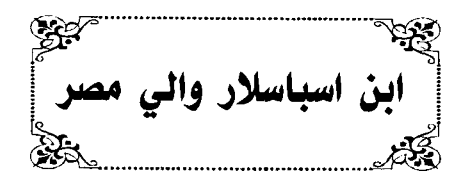
ولو يممتهم في يوم الحشر ... لأعطوك الذي صلوا وصاموا

ومن شعر بكر بن النطاح:

ملأت يدي من الدنيا مراراً ... فما طمع العواذل في اقتصادي[1]

وما وجبت علي زكاة مال ... وهل تجب الزكاة على جواد

وتوفي بكر بن النطاح في حدود المائتين[2].



ابن اسباسلار والي مصر

أبو بكر بن اسباسلار، الأمير سيف الدين متولي مصر.

كان السلطان الملك الظاهر بيبرس يعرفه ويحترمه، وكذلك بقية الأمراء الصالحية يعظمونه.

---

(١) العواذل جمع عاذل وهو اللائم.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٢١٨- ٢٢١.

[٧٩٠] وكان الله -تعالى- قد سلطه على الصاحب بهاء الدين بن حنا وأغراه بأذاه، يأتي إلى بابه من أذان الصبح وقد لبس قَباء نصافياً[١] مصقولاً فينام على الباب وقد رشوا الماء على ذلك التراب، فما ينتبه إلا والقَباء قد تسود من الطين، فإذا خرج الصاحب ركب قدامه، فإذا صاروا بين الكيمان[٢]، انفرد به وجاء إليه وقوّده[٣] وسبه ولعنه، ويقول له كل قبيح، فإذا تلقاه الناس وصار في موكبه طرد الناس أمامه وقال:

بسم الله مولانا الصاحب بركة الدول، بسم الله، ويطلع إلى القلعة فيراه الأمراء الكبار ويقولون: ما هذه الحال وهذا القباء، فيقول: من نصف الليل نائم على باب الصاحب حتى يخرج وأنا معه في الذل العظيم، فيمسكون الصاحب، ومنهم من يعتبه، ومن الأمراء من يسبه.

وكان إذا بلغه أن الصاحب قد عمل طعاماً يطلع به إلى السطان، يسأل عن ذلك الطعام ويعمل مثله و يجتهد في التبكير به إلى السلطان ويدخل يقدمه ويقول:

يا خوند: كل منه، وأخبرني أنت والأمراء ومماليكك، فيأكلون إلى أن يشبعوا ثم يأتي طعام ابن حنا فلا يصادف موقعاً، ويدخل بعد ذلك يقول: يا خوند، بالله لا ترد عليه الآنية فإن هذا الصيني -والله- كلُّه من مال المساكين رعيتك، ويكون ذلك الطعام في مائتي

(١) نوع من الثياب.

(٢) مكان ناء في القاهرة.

(٣) ينسبه إلى القوادة.

قطعة صيني مفتخرة.

وكان الصاحب بهاء الدين يوماً في موكبه وهو في مصر داخل فوقفت له عجوز فقالت:

يا سيدي، رحم الله سيدنا حنا، أين عينه تراك وأنت في موكب الوزارة، عيني به وهو بقميص أزرق يحمل قلال الزيت الحار وينادي عليه في هذه الأزقة، كأن هذا الحديث أمس، فقال الصاحب بهاء الدين: يا بو بكر ذا شغلك قبحك الله، والك ارجع واستحي.

توفي يوم الأحد سابع عشرين ربيع الآخر سنة تسع وسبعين وست مائة وهو والي مصر، واستقر عوضه اينبك الفخري، وكان ضخم البدن عظيم السمن، خبيراً بأمر الولاية، طالت فيها مدته عشر سنين (١).



الحراني الزاهد

[٧٩١] أبو بكر بن إسماعيل الحراني الزاهد.

ذكره الحافظ عبد القادر فقال:

كان من مفاريد الزمان، اجتمعت فيه من خلال الخير أشياء لو سطرت كانت سيرة، كان زاهداً ورعاً مجاهداً مجتهداً متواضعاً ذا عزائم خالصة، بصيراً بآفات أعمال الآخرة وعيوب الدنيا، ذا تجارب، ساح

(١) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٢٢٤- ٢٢٥.

وخالط، وكان لا يأخذه في الله لومة لائم، منقاداً للحق، محبّاً للخمول، عارياً من زي أهل الدنيا، وتارة يكون معمماً وتارة بغير عمامة، وتارة محلوقاً وتارة بشعر، إذا وقف بين جماعة لا يعرفونه، ولم يكن له في المسجد موضع يعرف به، وكان إذا قال له أحد: أريد أن أتوب على يدك، يقول: إيش تعمل بيدي، تب إلى الله.

[٧٩٢] وهو الذي جرأ المسلمين على محاصرة الرها سنة تسع وثلاثين وخمس مائة، واشتهر بين الناس أنه يوم وقعة الثلمة التي بالرها دخل منها المسلمون رأوا رجلاً قد صعد فيها فهزم من كان بها من الفرنج، وصعد الناس بعده.

طول الشيخ شمس الدين ترجمته وذكر له كرامات، وتوفي في حدود الثمانين وخمس مائة[١].



ابن عياش العابد

أبو بكر بن عياش بن سالم الكوفي الأسدي الحناط، مولى واصل بن حيان الأسدي الأحدب، في اسمه عدة أقوال: قيل اسمه كنيته، وقيل شعبة وهو أشهرها، وقيل لا يعرف له اسم.

مولده سنة سبع وتسعين في أيام سليمان بن عبد الملك، وتوفي سنة ثلاث وتسعين ومائة في السنة التي مات فيها هارون الرشيد قبله بشهر، وهو أنبل أصحاب عاصم، وقال أحمد بن حنبل: ثقة ربما غلط، وروى له

(١) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٢٢٧.

الجماعة كلهم خلا مسلم.

[٧٩٣] وقال أبو الحسن الأهوازي: إنما وقع الاختلاف في اسم أبي بكر ابن عياش؛ لأنه كان رجلاً هيوباً فكانوا يهابون سؤاله، فروى كل واحد ما وقع له.

وكان معظماً عند العلماء، ولقي الفرزدق وذا الرمة، وروى عنهما شيئاً من شعرهما.

[٧٩٤] حدث المرزباني بإسناده إلى زكرياء بن يحيى الطائي، قال: سمعت أبا بكر بن عياش يقول: إني أريد أن أتكلم اليوم بكلام لا يخالفني فيه أحد إلا هجرته ثلاثاً، قالوا: قل يا أبا بكر، قال: ما ولد لآدم عليه السلام مولود بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر الصديق، قالوا: صدقت يا أبا بكر، ولا يوشع بن نون وصي موسى عليه السلام؟ قال: ولا يوشع بن نون، إلا أن يكون نبيّاً، ثم فسره فقال: قال الله تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾[1] وقال رسول الله ﷺ: «**خير هذه الأمة أبو بكر**».

[٧٩٥] وقال زكرياء بن يحيى: سمعت ابن عياش يقول: لو أتاني أبو بكر وعمر وعلي -رضي الله عنهم- في حاجة، لبدأت بحاجة عليٍّ قبل حاجة أبي بكر و عمر؛ لقرابته من رسول الله ﷺ، ولأَنْ أخِرَّ من السماء إلى الأرض أحب إلي من أن أقدمه عليهما!! وكان يقدم عليّاً على عثمان، ولا يغلو ولا يقول إلا خيراً.

[٧٩٦] وذكر النبيذ عند العباس بن موسى فقال: إن ابن إدريس يحرمه، فقال أبو بكر بن عياش: إن كان النبيذ حراماً فالناس كلهم أهل ردة.

---

(١) سورة آل عمران: ١١٠.

[٧٩٧] وقال: كنت أنا وسفيان الثوري وشريك نتماشى بين الحيرة والكوفة، فرأينا شيخاً أبيض الرأس واللحية حسن السمت والهيئة، فظننا أن عنده شيئاً من الحديث، وأنه قد أدرك الناس، وكان سفيان أطلبنا للحديث، فتقدم إليه وقال:

يا هذا: هل عندك شيء من الحديث؟

فقال: أما حديث فلا، ولكن عندي عتيق سنتين، فنظرنا فإذا هو خمَّار.

[٧٩٨] وحدث المدائني:

كان أبو بكر بن عياش أبرص، وكان رجل من قريش يُرمى بشرب الخمر، فقال له أبو بكر بن عياش يداعبه: زعموا أن نبيّاً قد بعث يحل الخمر، فقال القرشي: إذاً لا أومن به حتى يبرئ الأكمه والأبرص.

[٧٩٩] وقيل: كنا عند أبي بكر بن عياش يقرأ علينا كتاب مغيرة فغمض عينيه، فحركه جمهور وقال له: تنام يا أبا بكر؟ فقال: لا، ولكن مر ثقيل فغمضت عيني.

[٨٠٠] وحضر عند هارون الرشيد فقال له:

يا أبا بكر.

قال: لبيك يا أمير المؤمنين.

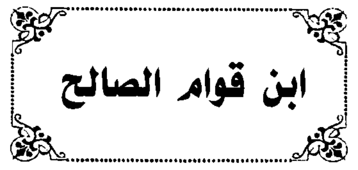
قال: إنك أدركت أمر بني أمية وأمرنا، فأسألك بالله أيهما كان أقرب إلى الحق؟

فقال له: يا أمير المؤمنين: أما بنو أمية فكانوا أنفع للناس منكم، وأنتم أقوم بالصلاة منهم، فجعل هارون يشير بيده ويقول: إن في الصلاة إن في الصلاة، ثم خرج فأمر له بثلاثين ألفاً فقبضها.

[٨٠١] وينسب إلى أبي بكر بن عياش (من البسيط):

إن الكـريم الـذي تبقـى مودتـه ... ويكتم السر إن صـافى وإن صَـرَما[١]

ليس الكريم الـذي إن زل صـاحبه ... أفشا وقال عليه كـل مـا علمـا[٢]



ابن قوام الصالح

أبو بكر بن قوام بن علي بن قوام بن منصور بن معلي البالسي، أحد مشايخ الشام وجدُّ أبي عبد الله بن قوام.

[٨٠٢] كان شيخاً زاهداً عابداً قانتاً لله، عديم النظير كثير المحاسن وافر النصيب من العلم والعمل، صاحب أحوال وكرامات، وجمع حفيده أبو عبد الله محمد بن عمر مناقبه في جزء ضخم، وصحبه وحفظ عنه وذكر أنه ولد بمشد صفين سنة أربع وثمانين وخمس مائة، ونشأ ببالس وكان حسن الأخلاق لطيف الصفات، وافر الأدب والعقل دائم البشر كثير التواضع شديد الحياء، متمسكاً بالآداب الشرعية، تخرج بصحبته غير واحد من العلماء والمشايخ، وتتلمذ له خلق كثير، وقصد بالزيارة.

[٨٠٣] قال:

كنت في بدايتي تطرقني الأحوال كثيراً فأخبر شيخي بها فنهاني عن الكلام فيها ويقول: متى تكلمت في هذا ضربتك بهذا السوط، ويقول: لا تلتفت إلى شيء من هذه الأحوال، إلى أن قال لي: سيحدث لك في هذه

---

(١) أي: قطعا.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٢٤١- ٢٤٤.

الليلة أمر عجيب فلا تجزع، فذهبت إلى أمي وكانت ضريرة، فسمعت صوتاً من فوقي فرفعت رأسي فإذا نور كأنه سلسلة متداخل بعضه في بعض، فالتف على ظهري حتى أحسست ببرده في ظهري، فرجعت إلى الشيخ فأخبرته فحمد الله وقبلني بين عيني وقال: الآن تمت عليك النعمة، يا بني أتعلم ما هذه السلسلة؟

فقلت: لا.

قال: هذه سنة رسول الله ﷺ، وأذن لي في الكلام حينئذ.

[٨٠٤] قال حفيده: وحدثني الشيخ الإمام شمس الدين الخابوري قال: سألت الشيخ عن قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[1] فقد عُبد عيسى وعزير، فقال: تفسيرها، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[2] فقلت: يا سيدي، أنت لا تعرف تكتب ولا تقرأ فمن أين لك هذا؟

فقال: يا أحمد، وعزة المعبود لقد سمعت الجواب فيها كما سمعت سؤالك.

قلت: هذا جواب حسن لائق بهذا الشيخ، فأما من يعرف العربية لا يشكل عليه؛ لأنه -تعالى- قال: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ ولم يقل «من تعبدون» فقد قرر أهل العلم أن ما: لما لا يعقل، و من: لمن يعقل فيدخل في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ الأصنام والكواكب وما لا يعقل، والله أعلم.

---

(١) سورة الأنبياء: ٩٨.

(٢) سورة الأنبياء: ١٠١.

[٨٠٥] وبعث إليه الملك الكامل على يد فخر الدين عثمان خمسة عشر ألف درهم فلم يقبلها، وقال: لا حاجة لنا بها، أنفقها في جند المسلمين.

[٨٠٦] وجاءته امرأة يوماً فقالت: عندي دابة قد ماتت ومالي من يجرها عني، فقال: امضي وحصلي حبلاً حتى أبعث من يجرها، فمضت وفعلت فجاء بنفسه وجر الدابة فحضر الناس وجروها عنه.

[٨٠٧] وكان لا يدع أحداً يقبل يده ويقول: من مكَّن أحداً من تقبيل يده نقص من حاله شيء.

[٨٠٨] وتوفي في سلخ شهر رجب بقرية علم ودفن بها وأوصى أن يدفن في تابوت، وقال لابنه: يا بني لابد أن أنقل إلى الأرض المقدسة، فنقل بعد اثنتي عشرة سنة إلى دمشق، سنة سبعين وست مائة.

وكانت وفاته سنة ثمان وخمسين وست مائة، رحمه الله تعالى[1].



أبو بكر بن يعقوب الطبيب النحوي الشاغوري شهاب الدين، توفي باليمن كهلاً سنة ثلاث وسبع مائة.

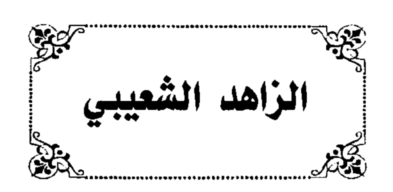
[٨٠٩] وأظنه كان من تلامذة الشيخ جمال الدين بن مالك، وكان قد جود العربية، ويظن أنه يلي مكان الشيخ جمال الدين إذا توفي، فلما

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٢٤٤- ٢٤٦

أخرجت الوظيفة عنه تألم من ذلك، وكان شرح التسهيل عنده كاملاً لمصنفه فأخذه معه وتوجه إلى اليمن حرجاً وغضباً على أهل دمشق، وبقي الشرح مخروماً بين ظهر الناس في هذه البلاد، حتى جاء الشيخ العلامة أثير الدين فوضع له الشروح المستوفاة.

[٨١٠] وحكى لي من لفظه العلامة أثير الدين عن هذا الشاغوري أنه كان يدع الناس بالجامع الأموي يصلون المغرب في الحائط الشمالي، ويتمشى هو على العادة من الحائط الشرقي إلى الغربي، ويري الناس أنه غير مكترث بالصلاة، فجاء إليه إنسان وقال له: لو أظهرت من الزندقة ما عسى أن تظهر ما دعوناك نحويّاً، أو كما قال(١).



الزاهد الشعيبي

أبو بكر الشعيبي الزاهد الولي، والشعيبية من قرى مَيّافارقين.

[٨١١] قال سعد الدين الجويني: كان من صلحاء الأبدال، صاحب علم وعمل ورياضات ومجاهدات، سألني السلطان الملك المظفر أن أقول له أن يأذن له في زيارته فلم يجب وقال: أنا أدعو له أن يصلحه الله لنفسه ولرعيته فيجتهد ألاَّ يظلم.

[٨١٢] قال: وكان أكثر أوقاته يتكلم على الخاطر.

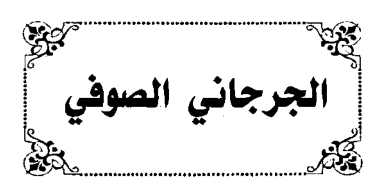
---

(١) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٢٦٧.

[٨١٣] وكان كثيراً ما يقول عقب كلامه: اللهم ارحمنا، فسألته عن التتار قبل أن يطرقوا البلاد، فزفر زفرة، ثم أنشد (من الطويل):

وما كل أسرار النفوس مذاعة ولا كل ما حل الفؤاد يقال

[٨١٤] خرج إلى قريته الشعيبية وقال لأولاده: احفروا لي قبراً؛ فأنا أموت بعد يومين، فحفروا له ثم مات في اليوم الذي عينه، سنة إحدى وأربعين وست مائة، رحمه الله تعالى[١].



الجرجاني الصوفي

بكير الجرجاني.

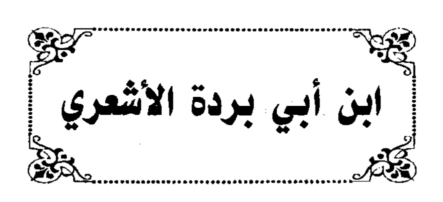
قال محمد بن الحسين بن محمد السلمي: هو من المتأخرين يعني: في الصوفية، من أقران المرتعش والخالدي.

[٨١٥] سمعت جعفر بن أحمد يقول: لما حضرت بكير الوفاة قال لأصحابه: اجتمعوا عندي ختمة[٢]؛ فإنه قد قرب أمري، فلما اجتمعوا وقرأوا الختمة وفرغوا منها مات في ساعته[٣].

(١) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٢٦٩، ٢٧٠.

(٢) كذا وردت والمعنى: لتقرأوا ختمة أو نحوه.

(٣) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٢٧٤.



ابن أبي بردة الأشعري

بلال بن أبي بردة، عامر بن أبي موسى عبد الله بن قيس أبو عمرو، ويقال أبو عبد الله، الأشعري البصري.

ولي أمر البصرة، وحدث عن أبيه وعمه أبي بكر وأنس بن مالك، وروى عنه قتادة وثابت وغيرهما.

[٨١٦] وفد على عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة بخُناصرة، فهنأه، فقال: من كانت الخلافة يا أمير المؤمنين شرفته فقد شرفتها، ومن كانت زانته فقد زينتها، وأنت والله كما قال مالك بن أسماء (من الخفيف):

وتزيدين أطيب الطيب طيباً أن تمسيه أين مثلك أينا

وإذا الدر زان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زينا

فجزاه عمر خيراً، ولزم بلال المسجد يصلي ويقرأ ليله ونهاره، فهم عمر أن يوليه العراق ثم قال: هذا رجل له فضل، فدس إليه ثقة له فقال له: إن عملت لك في ولاية العراق ما تعطيني؟ فضمن له مالاً جليلاً، فأخبر بذلك عمر، فنفاه وأخرجه وقال: يا أهل العراق إن صاحبكم أُعطي مقولاً ولم يعط معقولاً، وزادت بلاغته ونقصت زهادته.

وكانت ولايته للبصرة من جهة خالد بن عبد الله القسري، تولى بها الشرطة والصلاة والقضاء، فبقيت ولايته عشر سنين.

[٨١٧] فلما ولي العراق يوسف بن عمر الثقفي حبسه، وكان من عادته أن من مات في السجن سلمه إلى أهله، فأعطى بلال للسجان مائة

ألف درهم على أن يعلم يوسف بن عمر أنه مات، رجاء أن يسلمه إلى أهله، فقال يوسف: أرنيه ميتاً، فجاء السجان فغمه إلى أن مات وأراه إياه.

[٨١٨] وقيل لذي الرمة: لم خصصت بلال ابن أبي بردة بمدحك؟

قال: لأنه أوطأ مضجعي وأكرم مجلسي فحق لي -إذ وضع معروفه عندي- أن يستولي على شكري.

وكان بلال ذا رأي ودهاء.

[٨١٩] وكان من الأكلة، ذكر المدائني أنه أرسل إلى قصّاب[1] سحراً قال: فدخلت عليه فوجدته وبين يديه كانون وعنده تيس ضخم، فقال: اذبحه واسلخه وكبب لحمه، وجعل يشوي شيئاً بعد شيء فأكله أجمع، وجاءت جارية بقدر فيها دجاجتان وفرخان وصفحة مغطاة، فقال: ويحك ما في بطني موضع فضعيها على رأسي، فضحكنا منه، ودعا بشراب فشرب منه خمسة أقداح.

[٨٢٠] وكان خالد بن صفوان التميمي -المشهور بالبلاغة- يدخل على بلال بن أبي بردة، فيحدثه طويلاً ويلحن في كلامه، فلما كثر ذلك على بلال قال له: يا خالد تحدثني أحاديث الخلفاء، وتلحن لحن السقَّاءات!

فصار خالد بعد ذلك يأتي المسجد ويتعلم الإعراب.

وكُفّ بصره، وكان إذا مر به موكب بلال يقول: من هذا؟ فيقال: الأمير، فيقول خالد: سحابة صيف عن قليل تقشع، فقيل ذلك لبلال

(١) القصاب: هو اللحام والجزار.

فقال: لا تَقَشَّعَ والله حتى تصيبك منها بشؤبوب[1]، وأمر به فضرب مائتي سوط[2].



بُلُكِّين صاحب أفريقية

بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي.

[٨٢١] وهو جد باديس المقدم ذكره واسمه يوسف أيضاً، وهو الذي استخلفه المعز بن المنصور العبيدي على أفريقية عند توجهه إلى الديار المصرية، وأمر الناس بالسمع والطاعة له وسلم إليه البلاد، وخرجت العمال وجباة الأموال باسمه، وأوصاه المعز بأمور كثيرة وأكد عليه في فعلها، ثم قال:

إن نسيت ما أوصيتك به فلا تنس ثلاثة أشياء: إياك أن ترفع الجباية عن أهل البلاد من البادية، والسيف عن البربر، ولا تول أحداً من إخوتك وبني عمك فإنهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك، وافعل مع أهل الحاضرة خيراً.

وفارقه على ذلك وعاد من وداعه، وتصرف في الولاية، ولم يزل حسن السيرة تام النظر في مصالح دولته ورعيته إلى أن توفي سنة ثلاث وسبعين وثلاث مائة بموضع يقال له: واركلان مجاوراً لأفريقية، وكانت علته القولنج، وقيل: خرجت في يده بثرة فمات منها.

---

(١) الشؤبوب من المطر: الدُفعات.

(٢) الوافي بالوفيات:١٠/ ٢٧٨، ٢٧٩.

[٨٢٢] وكان له أربع مائة حظية، ويقال: إن البشائر وفدت عليه في يوم واحد بولادة سبعة عشر ولداً[١].



الحمال الزاهد

بنان بن محمد بن حمدان بن سعيد الواسطي، أبو الحسن الزاهد الكبير ويعرف بالحمال، نزيل مصر.

[٨٢٣] كان ذا منزلة عند الخاص والعام، يضربون بعبادته المثل، ولا يقبل من السلاطين شيئاً.

[٨٢٤] من كلامه: متى يفلح من يسره ما يضره.

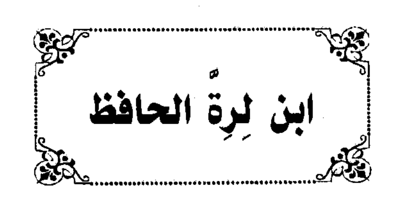
[٨٢٥] أمر ابن طولون بالمعروف فأمر أن يلقى بين يدي السبع، فجعل يشمه ولا يضره، فلما أخرج من بين يديه قيل له: ما الذي كان في قلبك حين شمك، فقال: كنت أتفكر في اختلاف الناس في سؤر السباع ولعابها، ثم ضرب سبع درر فقال له: حبسك الله بكل درة سنة، فحبس ابن طولون سبع سنين.

وتوفي بنان الحمال سنة ست عشرة وثلاث مائة[٢].

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٢٨٨، ٢٨٩.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٢٨٩، ٢٩٠.



ابن لِرةّ الحافظ

بِنْدَار بن عبد الحميد الكرجي الأصبهاني، يعرف بابن لِرَّة.

أخذ عن أبي عبيد القاسم بن سلام، وأخذ عنه ابن كيسان.

[٨٢٦] قال ابن الأنباري، عن أبيه القاسم: كان بندار يحفظ سبع مائة قصيدة، أول كل قصيدة بانت سعاد.

وقال ياقوت في معجم الأدباء:

بلغني عن الشيخ الإمام أبي محمد بن الخشاب، أنه قال: أمعنت التفتيش والتنقير فلم أقع على أكثر من ستين قصيدة أولها: بانت سعاد.

وكان بندار متقدماً في علم اللغة ورواية الشعر، وكان استوطن الكرج ثم خرج منها إلى العراق فظهر هناك فضله.

[٨٢٧] حدث محمد بن أبي الأزهر قال: كنت يوماً في مجلس بندار وعنده جماعة من أصحابه، إذ هجم علينا برذعة الموسوس ومعه مخلاة فيها دفاتر وجزازات، وقد تبعه الصبيان، فجلس إلى جانب بندار، ففرق منه، فقال له: اطرد-ويلك- هؤلاء الصبيان عني، فقال لهم: اطرودهم عنه، فوثبت أنا من بين أهل المجلس وصحت عليهم، فجلس ساعة ثم وثب فنظر هل يرى منهم أحداً فلما لم يرهم رجع وجلس، ثم قال: اكتبوا:

حدثني محمد بن عسكر عن عبد الرزاق عن معمر قال: سئل الشعبي، ما اسم امرأة إبليس؟ فقال: هذا عرس لم أشهد إملاكه.

ثم أقبل على بندار وقال: يا شيخ، ما معنى قول الشاعر: (من الطويل):

وكنت إذا ماجئت ليلى تبرقعت فقد رابني منها الغداة سفورها

فقال لنا بندار: أجيبوه.

فقال: يا مجنون أسألك ويجيب غيرك.

فقال بندار: يقول إنه لما رآها فعلت ما فعلت من سفورها، ولم يكن يعهده، علم أنها قد حذرته من بحضرتها ليحجم عن كلامها، فضحك ومسح بيده على رأس بندار وقال: أحسنت يا كيِّس.

وكان بندار قد قارب ذلك الوقت تسعين سنة[1].



الزاهد الصوفي

بندار بن الحسين الشيرازي أبو الحسن الزاهد نزيل أَرّجان.

له لسان مشهور في علوم الحقائق، وكان الشبلي يعظمه.

توفي سنة ثلاث وخمسين، وثلاث مائة.

وكان عالماً بالأصول.

[٨٢٨] قال بندار:

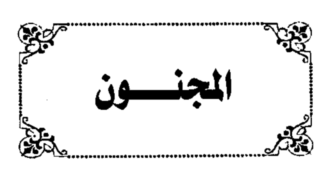
أول ما دخلت على الشبلي، كان معي جهاز نحو أربعين ألف دينار، فنظر الشبلي في المرآة، فقال: يا أبا الحسين: إن المرآة تقول إن ثَمَّ سبباً.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٢٩١- ٢٩٢.

فقلت: صدِّق المرآة، فحملت إليه ست بدر.

ثم بعد ذلك نظر في المرآة، وقال: المرآة تقول إن ثم سبباً، فقلت: صدق المرآة، وكلما اجتمع عندي من جهاز شيء كان ينظر في المرآة ويقول: المرآة تقول إن ثم سبباً، حتى حملت جميع مالي إليه فنظر في المرآة وقال: المرآة تقول، ليس ثم سبب، قلت: صدق المرآة(١).



المجنون

بُهلُول بن عمرو، أبو وهيب الصيرفي المجنون.

من أهل الكوفة.

حدث عن أيمن بن نايل، وعمرو بن دينار وعاصم بن أبي النجود، وكان من عقلاء المجانين، وسوس، له كلام مليح ونوادر وأشعار، استقدمه الرشيد-أو غيره- من الخلفاء ليسمع كلامه.

توفي في حدود التسعين والمائة.

قال الشيخ شمس الدين(٢): وما تعرضوا له بجرح ولا تعديل.

[٨٢٩] قال الأصمعي:

رأيت بهلولاً قائماً ومعه خبيص، فقلت له:

أيش معك؟

(١) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٢٩٢، ٢٩٣.

(٢) أي الذهبي رحمه الله تعالى.

قال: خبيص.

قلت: أطعمني.

قال: ليس هو لي.

قلت: لمن هو؟

قال: لحمدونة بنت الرشيد أعطتني آكله لها.

[٨٣٠] وقال محمد بن إسماعيل بن أبي فديك:

رأيت بهلولاً في بعض المقابر وقد دلى رجليه في قبر وهو يلعب بالتراب، فقلت له: ما تصنع ها هنا؟ فقال: أجالس أقواماً لا يؤذونني، وإن غبت لا يغتابونني.

فقلت: قد غلا السعر بمرة فهل تدعو الله فيكشف عن الناس؟

فقال: والله ما أبالي ولو حبة بدينار؛ إن لله علينا أن نعبده كما أمرنا، وإن عليه أن يرزقنا كما وعدنا، ثم صفق يده، وأنشأ يقول (من البسيط):

يا من تمتع بالدنيا وزينتها ... ولا تنام عن اللذات عيناه
شغلت نفسك فيما لست تدركه ... تقول لله ماذا حين تلقاه

[٨٣١] وقال الحسن بن سهل بن منصور: رأيت الصبيان يرمون بهلول بالحصى، فأدمته حصاة، فقال (من الرمل):

حسبي الله توكلت عليه ... مَنْ نواصي الخلق طُرّاً بيديه
ليس للهارب في مهربه ... أبداً من راحةٍ إلا إليه
رُبَّ رامٍ لي بأحجار الأذى ... لم أجد بداً من العطف عليه

فقلت له: تعطف عليهم وهم يرمونك؟!

فقال: اسكت لعل الله يطلع على غمي ووجعي وشدة فرح هؤلاء فيهب بعضنا من بعض.

[٨٣٢] وقال عبد الله بن عبد الكريم: كان لبهلول صديق قبل أن يُجن فلما أصيب بعقله فارقه صديقه، فبينا بهلول يمشي في بعض طرقات البصرة إذا بصديقه فلما رآه صديقه عدل عنه، فقال بهلول (من الخفيف):

ادن مني ولا تخافن غدري ... ليس يخشى الخليل غدر الخليل
إن أدنى الذي ينالك مني ... ستر ما يُتَّقى وبث الجميل

[٨٣٣] قال الفضل بن سليمان:

كان بهلول يأتي سليمان بن علي فيضحك منه ساعة ثم ينصرف، فجاءه يوماً فضحك منه ساعة ثم قال له: عندك شيء نأكل؟

فقال لغلامه: هات لبهلول خبزاً وجبناً، فأكل ثم انصرف، ثم أتاه يوماً آخر، فضحك منه ساعة ثم قال: هل عندك شيء نأكل، فقال: يا غلام هات لبهلول خبزاً وزيتوناً، فأكل ثم قام لينصرف، فقال لسليمان ابن علي: يا صاحب إن جئنا إلى بيتكم يوم العيد يكون عندكم لحم؟

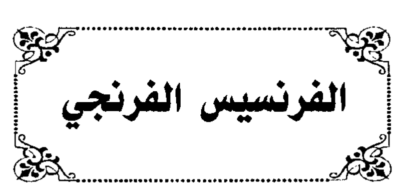
قال: فخجل.

[٨٣٤] وجاء إلى بعض أشراف الكوفة فقال له: أتريد أن آكل عسلاً بسرقين(١)؟ قال: نعم، قال: فادع بهما، فدعا بهما، فأمعن في أكل العسل وحده فقال له الرجل: قد نقضت الشرط، ما لك لا تأكل السرقين؟! قال: هو وحده أطيب.

---

(١) السرقين: الروث.

[٨٣٥] وعبث به الصبيان يوماً ففر منهم والتجأ إلى دار بابها مفتوح، فدخلها وصاحب الدار قائم له ضفيرتان فصاح به، ما أدخلك داري؟ فقال: ﴿يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[1][2].



الفرنسيس الفرنجي

[٨٣٦] بولش، هو الملك ريد أفرنس المعروف بالفرنسيس[3]، أجلُّ ملوك الفرنج وأعظمهم قدراً، وأكثرهم عساكر وأموالاً وبلاداً، قصد الديار المصرية واستولى على طرف منها وملك دمياط سنة سبع وأربعين وست مائة، واتفق موت الملك الصالح نجم الدين. وتملك المعظم توران شاه وقتل، فقدر الله -تعالى- بأسره فبقي في أيدي المسلمين مدة ثم أطلق بعد تسليم دمياط إلى المسلمين.

[٨٣٧] وتوجه إلى بلاده وفي قلبه مما جرى عليه من ذهاب أمواله وأسر رجاله، فبقيت نفسه تحدثه بالعود إلى مصر لأخذ ثأره، فاهتم بذلك اهتماماً كثيراً في مدة سنين إلى سنة ستين وستمائة، وقصد مصر فقيل له: إن قصدت مصر ربما يجري لك مثل المرة الأولى، والأَوْلى أن تقصد تونس، وكان ملكها يومئذٍ محمد بن يحيى بن عبدالواحد الملقب المستنصر بالله، فإن ظهرت عليه تمكنت من قصد مصر في البر والبحر، فقصد تونس وكاد يستولي عليها ومعه جماعة من الملوك فأوقع الله في عسكره

---

(١) سورة الكهف: ٩٤.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٣٠٩-٣١٢.

(٣) هو لويس التاسع.

وباءً عظيماً فهلك ريد أفرنس سنة إحدى وستين وستمائة، ورجع من بقي من عسكره إلى بلادهم بالخيبة، ووصلت البشرى بذلك إلى الملك الظاهر بيبرس.

[٨٣٨] ولما أسر ريد أفرنس نوبة دمياط بعد قتل أصحابه، تسلمه الطواشي جمال الدين محسن هو وجماعة كانوا معه على تل بالأمان، وضرب في رجليه قيد واعتقل في الدار التي كان بها فخر الدين بن لقمان كاتب الإنشاء نازلاً، وذلك بالمنصورة[١]، ووكل الطواشي جمال الدين صبيح[٢] المعظمي.

[٨٣٩] فلذلك قال الصاحب جمال الدين بن مطروح لما بلغ المسلمين عود ريد أفرنس إلى الديار المصرية (من السريع):

قل للفرنسيس إذا جئته	مقالَ صدقٍ من قؤول نصيحْ
آجرك الله على ما جرى	من قتل عباد يشوع المسيحْ
أتيت مصراً تبتغي ملكها	تحسب أن الزَّمر يا طبْلُ ريح
فساقك الحَيْن إلى أدهم	ضاقت به عن ناظريك الفسيح[٣]
وكل أصحابك أوردتهم	بسوء أفعالك بطن الضريح
خمسون ألفاً لا ترى منهمُ	إلا قتيلاً أو أسيراً جريح
وفقك الله لأمثالها	لعل عيسى منكمُ يستريح

---

(١) دار ابن لقمان قائمة بالمنصورة بمصر إلى اليوم.

(٢) الطواشي في الأصل هو المملوك الصبي المعين لخدمة بيت السلطان، ثم يترقى بعد ذلك، وانظر:((معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي)): ١٠٩.

(٣) الحَيْن: الموت.

إن كـــان بابـــاكم بـــذا راضـــياً فرُبَّ غـشٍ قـد أتـى مـن نـصيح

وقـــل لهـــم إن أضـــمروا عـــودة لأخــذ ثــار أو لقــصد صــحيح

دار ابـــن لقمـــان علـــى حالهـــا والقيـدُ بـاق والطواشـي صـبيح

[٨٤٠] واشتهرت هذه الأبيات وسارت بها الركبان خصوصاً البيت الأخير منها؛ فلهذا قال بعض المغاربة لما قصد ريد أفرنس تونس (من الخفيف):

يـا فرنـسيس هـذه أخـت مـصر فتـــيقن لمـــا إليـــه تـــصير

لــك فيهــا دار ابــن لقمــان قــبر وطواشـــيك منكـــر ونكـــير

[٨٤١] وقال آخر في المعنى الأول (مخلع البسيط):

قـــل للفرنـــسيس أن كُـــلاًّ لـــه مـــن المـــسلمين بـــشاكر

لأنـــــه محـــــسن إلينـــــا بقَـــوْده نحونـــا العـــساكر

ســـاق إلى مـــصر مـــا اقتنـــاه أمـــة عيـــسى مـــن الـــذخائر

وأورد الجمـــع بحـــر حـــرب مـــصدره بـــالمنون زاخـــر[1]

أركـــبهم أدهمـــاً خـــضمّاً ورابـــح الـــشر فهـــو خاســـر

ورام بابـــــاهم أمـــــوراً فأخلفـــت ظنـــه المقـــادر

وأذهـــل القـــومَ هـــولُ حـــرب تـــشخص مـــن خوفـــه النـــواظر

لم تعـــم أبـــصارهم ولكـــن قـــد عميـــت مـــنهم البـــصائر

---

(١) المنون: الموت.

ولم يُفِــــد وَفْـــق فيلـــــسوف طِلَّـــسْمه كـــاهن وســـاحر[1]

فـــإن يعـــد طالبـــاً لثـــأر مـــن أرض دميـــاط فليبـــادر

فـــــذلك البحــــر تعرفـــوه والسيف ماضٍ والجيش حاضـر

أعــــاده الله عــــن قريـــب لمثلـــــها إنـــــه لقـــادر

بحيـــــث لم يبـــق للنـــــصارى مـن بعـد كسر الـصليب جـابر

ويـــــستريح المـــــسيح مــــنهم مـن كـل عِلْـجٍ وكـل كـافر[2]



بنت الحسن بن سهل

بوران بنت الحسن بن سهل - ويقال: اسمها خديجة والأول أشهر.

[٨٤٢] كان المأمون قد تزوجها لمكان أبيها منه، ورأيت ابن بدرون قد ذكر في شرح قصيدة ابن عبدون لاتصالها بالمأمون خبراً ظريفاً، ولكن فيه طول فليوقف عليه هناك، واحتفل أبوها بأمرها وعمل من الولائم والأفراح ما لم يعهد مثله، وهو مذكور في التواريخ، وكان ذلك بفم الصلح.

وانتهى أمره إلى أن نثر على الهاشميين والقواد ووجوه الناس و

---

(١) الوَفْق والطَّلَّسم: هو ما يعمله الكاهن والساحر من الجداول ونحوها.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٣١٣- ٣١٦.

والعِلْج: القوي الضخم من الكفار.

الكتّاب بنادق مسك[1] فيها رقاع بأسماء ضياع، وأسماء جوار، وصفات دواب وغير ذلك، فكانت البندقة إذا وقعت في يد الرجل فتحها وقرأ ما فيها، وإذا علم بما فيها مضى إلى الوكيل المرصد لذلك فيدفعها إليه ويتسلم منه ما فيها سواءً كان ذلك ضيعة أو ملكاً آخر أو فرساً أو جارية أو مملوكاً، ثم نثر بعد ذلك على سائر الناس الدراهم والدنانير ونوافج المسك وبَيْض العنبر، و أنفق على المأمون وقواده وجميع أصحابه وسائر من كان معه من أجناده وأتباعه وكانوا خلقاً لا يحصى، حتى على الجمالين والمكارية والملاحين وكل من ضمه عسكره، فلم يكن فيهم من يشتري شيئاً لنفسه ولا لدوابه، وأقام المأمون تسعة عشر يوماً، وكان مبلغ النفقة كل يوم خمسين ألف ألف درهم، وأمر له المأمون عند منصرفه بعشرة آلاف ألف درهم[2]، وأقطعه فم الصلح.

وقال بعض المؤرخين: وفرش للمأمون حصير منسوج بالذهب، فلما وقف عليه، نثرت على قدميه لآلي كثيرة، فلما رأى تساقط اللآلئ المختلفة على الحصير، قال: قاتل الله أبا نواس كأنه شاهد هذه الحالة حين قال في صفة الخمر والحباب الذي يعلوها عند المزاج (من البسيط):

كأن صغرى وكبرى من فواقعها ... حصباء در على أرض من الذهب

(١) بنادق المسك: البنادق يرمى بها الحجارة لصيد الطيور، وهنا رُمي الناس بأوراق ممسَّكة فيها ما ذكره.

(٢) وما تغني العشرة آلاف ألف إذا كانت النفقة اليومية خمسين ألف ألف، وفي هذا سرف وتعدٍ ومبالغة.

وأطلق له المأمون خراج فارس وكور الأهواز مدة سنة[1]، وقالت الشعراء والخطباء في ذلك وأطنبوا، ومن أظرف ما قيل قول محمد بن خازم الباهلي (من مجزوء الخفيف):

بـــارك الله للحـــسن ولبُــوران في الخَــتَنْ

يــا إمــام الهــدى ظفــرت ولكــن ببنــت مــن

فلما نمى هذا الشعر إلى المأمون قال: والله ما ندري أخيراً أراد أم شرّاً.

وقال الطبري:

دخل المأمون على بوران الليلة الثالثة من وصوله إلى فم الصلح، فلما جلس معها نثرت عليه جدتها ألف درة كانت في صينية ذهب، فأمر المأمون أن تجمع وسألها عن عدد الدر، كم هو؟

فقالت: ألف حبة، فوضعها في حجرها وقال: هذا نحلتك وسلي حوائجك، فقالت لها جدتها: كلمي سيدك فقد أمرك، فسألته الرضى عن إبراهيم بن المهدي، فقال: قد فعلت، وأوقد تلك الليلة شمعة من عنبر وزنها أربعون منّاً في تَوْرٍ من ذهب، فأنكر ذلك عليهم وقال: هذا سرف[2].

ويحكى أنه لما قام إلى بيت الخلاء، وجد ستارة البيت من جنس الحلة التي عليها، فغضب وأحرقها بالشمعة التي معه، فلما عاد في الليلة الثانية وجد آخر مثله فأحرقه، فلما عاد في الليلة الثالثة، وجد آخر مثله، فهم بإحراقه، فقالت الجارية: يا أمير المؤمنين لا تتعب فمعنا من هذا أربعون

---

(١) بمثل هذا الإسراف تسقط الدول؛ عقاباً من الله سبحانه تعالى.

(٢) والذي مضى ألم يكن سرفاً؟!.

حلة.

[٨٤٣] وقيل: إن المأمون لما هم بالدخول بها دافعوه لعذر بها، فلم يقبل، فلما دخل بها وجدها حائضاً، فقالت: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾[١] فتركها، فلما قعد للناس دخل أحمد بن يوسف الكاتب عليه وقال: يا أمير المؤمنين، هنَّاك الله بما أخذت من اليمن والبركة وشدة الظفر بالمعركة، فأنشد المأمون (من المديد):

فارسٌ ماضٍ بحربته عارفٌ بالطعن في الظُّلَمِ
رام أن يدمي فريسته فاتقته من دم بدم

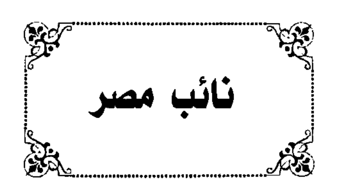
فعرض بحيضها، وهذا من أحسن الكنايات.

وكان هذا العرس في شهر رمضان سنة عشر ومائتين، وعقد عليها في سنة اثنتين ومائتين، وتوفي المأمون وهي في عصمته، وبقيت بعده إلى أن توفيت سنة إحدى وسبعين ومائتين وعمرها ثمانون سنة، ودفنت في قبة مقابلة مقصورة جامع السلطان، وتوفي المأمون سنة ثماني عشرة ومائتين، وكانت قيِّمة بعلم النجوم[٢].

---

(١) سورة النحل: ١.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٣١٧- ٣٢٠.



نائب مصر

بَيْبَغَا آروس، الأمير سيف الدين نائب السلطنة بالديار المصرية.

[٨٤٤] أول ما ظهر وشاع ذكره في الأيام الصالحية، ثم لما كان في قتلة المظفر حاجي ظهر واشتهر وباشر النيابة بمصر على أحسن ما يكون وأجمل ما باشره غيره؛ لأنه أحسن إلى الناس ولم يظلم أحداً.

وكان إذا مات أحد أعطى إقطاعه لولده فأحبه الناس محبة كثيرة، وكان الأمير سيف الدين منجك أخوه فولّاه الوزارة، فاختلف الناس من الأمراء الخاصكية لأجل أخيه، فأرضاهم بعزله يُوَيْمَات.

ولم يزل على حاله في النيابة، لا يفعل إلا خيراً ولا يسمع عنه سوء وهو محسن إلى الناس.

ولما كان في زمن الوباء، أعطى أولاد من يموت إقطاع أبيهم، وحضرت إليه امرأة معها بنتان وقالت:

هؤلاء مات أبوهن ولم يترك لي ولهم شيئاً غير إقطاعه.

فقال لناظر الجيش: اكشف عبرة هذا الإقطاع، فكشفه فقال: يعمل خمسة عشر ألفاً، فقال: من يعطي في هذا عشرين ألف درهم ويأخذه؟

فقال واحد: أنا أعطي فيه اثني عشر ألفاً، فقال: هاتها، فوزنها فقال للمرأة، خذي هذه الدراهم وجهزي بنتيك بها.

وكان فيه خير كثير إلى أن عزم على الحج، ولما تعين رواحه حضر إليه أخوه منجك الوزير وقال له: بالله لا تروح، يتم لنا ما جرى للفخري

ولطَشْتَمَر، فلم يسمع منه، وتوجه إلى الحجاز هو وأخوه فاضل ومامور والأمير سيف الدين طاز والأمير سيف الدين بزلار وغيرهم من الأمراء، فأُمسِك بعده الأمير سيف الدين منجك الوزير بأيام قلائل.

[٨٤٥] وأمسك هو على اليُنبُع في سادس عشرين القعدة سنة إحدى وخمسين وسبع مائة، فقال لطاز: أنا ميت لا محالة، فبالله دعني أحج، فقيده وأخذه إلى الحج، وحج وطاف وهو مقيد وسعى على كديش، ولم يُسمع بمثل ذلك في وقت، ولما عاد من الحجاز تلقاه الأمير سيف الدين طينال الجاشنكير وأخذه وحضر به إلى الكرك وسلمه إلى النائب بها، وتوجهوا بأخيه فاضل إلى القاهرة مقيداً، وكان دخوله إلى الكرك في يوم الأحد سابع المحرم سنة اثنتين وخمسين وسبع مائة، وقلت أنا فيه: (من الطويل):

تعجَّب لصرف الدهر في أمر بيبغا ... ولا عجب فالشمس في الأفق تُكسف

لقد ساس أمر الملك خير سياسة ... ولم يك في بذل الندى يتوقف

وأُمسِكَ في درب الحجاز فلم يكن ... له في رضى السلطان عن ذاك مصرف

وسلم للأقدار طوعاً وما عنا ... ولو شاء خلى السيف بالدم يرعف

وسار إلى البيت الحرام مقيداً ... وريح الصبا تعتل والوُرْق تهتف[1]

فيا عجباً ما كان في الدهر مثله ... يطوف ويسعى وهو في القيد يرسف

وعاجوا به من بعدُ للكرك التي ... على ملكها نفس الملوك تأسف

وأُودع في حصن بها شامخ الذرى ... تراه بأقرِط النجوم يُشَنَّف

سيؤيه من آوى المسيح بن مريم ... وينجو كما نجى من الجب يؤسَف[2]

---

(١) أي الحمام.

(٢) أي يوسف، وهذه لغة في يوسف بهمز الواو وفتح السين.

ولم يزل في الاعتقال بالكرك إلى أن خلع الملك الناصر حسن، وتولى الملك السلطان الصالح صلاح الدين، فرسم بالإفراج عنه وعن الأمير سيف الدين شيخو وبقية الأمراء المعتقلين بالإسكندرية، ووصل إلى القاهرة، فوصله وخلع عليه ورسم له بنيابة حلب عوضاً عن الأمير سيف الدين أرغون الكاملي لما رسم له بنيابة الشام، فحضر إلى دمشق نهار السبت ثالث عشرين شعبان سنة اثنتين وخمسين وسبع مائة ومعه الأمير عز الدين طقطاي ليقره في نيابة حلب ويعود، ولما وصل إلى غزة عمل له الأمير سيف الدين بيبغا تتر نائب غزة سماطاً فأكله، ولما فرغ منه أمسكه وجهزه إلى الكرم مقيداً ليعتقل به على ما بلغني في ذلك[١].



صاحب طرابلس الفرنجي

بيمند بن بيمند متملك طرابلس، كان حسن الشكل مليح الصورة.

قال الشيخ قطب الدين اليونيني:

رأيته وقد حضر إلى بعلبك إلى خدمة كَتْبُغا نوين[٢] وصعد إلى قلعة بعلبك ودارها وحدثته نفسه أن يطلبها من هولاكو ويبذل له ما يرضيه، وشاع ذلك ببعلبك، فشق على أهلها وعظم لديهم، فحصل بحمد الله ومنته كسرة التتار في آخر شهر ما آمنهم من ذلك.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٣٥٦- ٣٥٨.

(٢) هو ملك التتار الذي جعله هولاكو نائباً له ورجع هو إلى بلاده، ثم كسر الله هذا الملك وجنده في عين جالوت، وقتل يومئذ ولله الحمد.

[٨٤٦] ولما ملك الملك المنصور قلاوون طرابلس في سنة ثمان وثمانين وست مائة نبش الناس عظام بيمند المذكور من الكنيسة وألقوها في الطرقات.

وكانت وفاة بيمند المذكور بطرابلس سنة ثلاث وسبعين وست مائة، وملكها من بعده ابنه بعدما دفن في الكنيسة[١].



أبو تراب

أبو تراب الصوفي الرملي، كان من كبار مشايخها.

[٨٤٧] قال السلمي صاحب تاريخ الصوفية: سمعت عبد الله بن محمد الرازي يقول:

خرج أبو تراب الرملي سنة من السنين من مكة فقال لأصحابه: خذوا أنتم طريق الجادة، حتى آخذ طريق تبوك.

فقالوا له: الحر شديد!!

قال: لابد ولكن إذا دخلتم الرملة فانزلوا عند فلان، صديق لي.

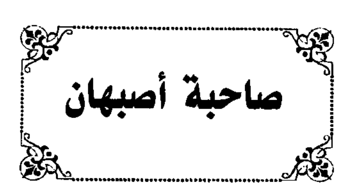
قال: فدخلوا الرملة فنزلوا عليه، فشوى لهم أربع قطع لحم، فلما وضع بين أيديهم، جاءت الحدأة فأخذت قطعة منها فقالوا: لم يكن رزقنا، وأكلوا الباقي، فلما كان بعد يومين خرج أبو تراب من المفازة، فقالوا له: هل وجدت في الطريق شيئاً؟

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٣٦٨.

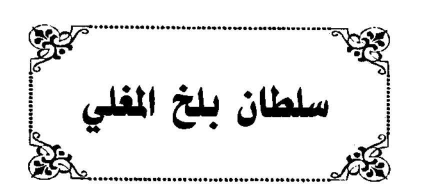
قال: لا، إلا يوم كذا رمت لي حدأة بقطعة شواء حار، فقالوا له: قد تغدينا جميعاً فإنه من عندنا أخذتها.

فقال أبو تراب: كذا يكون الصدق[1].



[٨٤٨] تركان بنت طغراج الملك، من نسل أفراسياب ملك الفرس.

كانت شهمة حازمة قادت الجيوش وكان في خدمتها عشرة آلاف فارس إلى أن توفيت سنة سبع وثمانين وأربع مائة، دبرت الأمور بعد موت ملكشاه، وحفظت أموال التجار فلم يذهب لهم عقال، وكانت صاحبة أصبهان تباشر الحروب، قيل إنها سُمَّت في الطريق[2].



[٨٤٩] ترمشين بن دُوا المغلي صاحب بلخ وسمرقند وبخارى ومرو، وكانت دولته ست سنين واستشهد إلى رضوان الله.

كان ذا إسلام وتقوى وعدل وخير، أبطل مكوس مملكته، وعمر البلاد وألزم جنده بالكف عن الأذى وأن يزرعوا الأراضي ويتبلغ التتار من الزراعة.

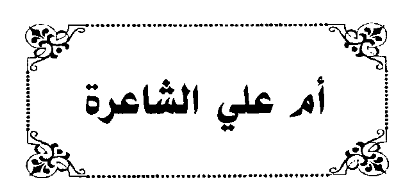
---

(١) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٣٧٩، ٣٨٠.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٣٨١.

[٨٥٠] وأكرم الأمراء المسلمين وقربهم، وجفا الكفرة منهم وأبعدهم، ولازم الصلوات الخمس في الجماعة، وأمر بالشرع، وترك السياسات، واستعمل أخاه على مدينة فقتل رجلاً ظلماً، فسار أهله إلى ترمشين وشكوا إليه فبذل لهم أموالاً ليعفوا فقالوا: نطلب حكم الله، فسلمه إليهم فقتلوه، ودعا الناس له.

[٨٥١] ثم قوي به الدين والتأله، وعزم على ترك الملك والتبتل برأس جبل، وسافر معرضاً عن السلطنة، فظفر به أمير كان يبغضه، فأسره ثم كاتب بزان الذي ملك بعده، فبعث إليه فقتله صبراً في سنة خمس وثلاثين وسبع مائة، وكان من أبناء الأربعين أو نحوها، ولم تطل مدة القائم بعده(١).



أم علي الشاعرة

تقية أم علي بنت أبي الفرج غيث بن علي بن عبد السلام بن محمد ابن جعفر السلمي الأرمنازي الصوري، وهي أم تاج الدين أبي الحسن علي بن فاضل ينتهي إلى محمد بن صمدون الصوري، كانت فاضلة ولها شعر: قصائد ومقاطيع.

[٨٥٢] وصحبت الحافظ السلفي زماناً بالإسكندرية، وذكرها في بعض تعاليقه وأثنى عليها وقال: عثرت في منزل سكناي فانجرح أخمصي

(١) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٣٨٢، ٣٨٣.

فشقت وليدة في الدار خرقة من خمارها وعصبته، فأنشدت تقية المذكورة في الحال لنفسها (من الخفيف):

لو وجدت السبيل جدت بخدي عوضاً من خمار تلك الوليدةْ
كيف لي أن أُقَبِّل اليوم رِجْلاً سلكت دهرَها الطريق الحميدةْ

قال القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان -رحمه الله تعالى-:

نظرتْ في هذا المعنى إلى قول هارون بن يحيى المنجم (من الخفيف):

كيف نال العثار من لم يزل منـ ـه مقيماً في كل خطب جسيم
أو ترقى الأذى إلى قدم لم تخطُ إلا إلى مقام كريم

[٨٥٣] ومن شعر تقية (من الطويل):

نأيت وما قلبي على النأي بالراضي فلا تغترر مني بصدي وإعراضي
وإني لمشتاق إليهم متيم وقد طعنوا قلبي بأسمرَ عَرَّاض
إذا ما تذكرت الشآم وأهله بكيت دماً حزناً على الزمن الماضي
ومذ غبت عن وادي دمشق كأنني يُقرِّض قلبي كل يوم بمقراض
أبيت أراعي النجم والنجم راكد وقد حجبوا عن مقلتي طيب إغماضي
فهل طارق منهم يلم بناظري فإن لقاء الطيف أكبر أغراضي
لعل الليالي أن تجرد صارماً على البين أو يقضي لنا حُكْمَهُ قاض

ولها غير ذلك أشياء حسنة.

[٨٥٤] وحكى لي الحافظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم المنذري أن تقية المذكورة نظمت قصيدة تمدح بها الملك المظفر تقي الدين عمر ابن

أخي السلطان صلاح الدين، وكانت القصيدة خمرية، ووصفت آلة المجلس وما يتعلق بالخمر فلما وقف عليها قال: الشيخة تعرف هذه الأحوال من صباها، فبلغها ذلك، فنظمت قصيدة أخرى حربية ووصفت الحرب وما يتعلق بها أحسن وصف، ثم سيرت إليه تقول: علمي بهذا كعلمي بهذا، وكانت قصدها براءة ساحتها مما نسبت إليه.

ومولدها سنة خمس وخمس مائة بدمشق، وتوفيت سنة تسع وسبعين وخمس مائة، رحمها الله تعالى[1].



الخنساء

تُماضِر بنت عمرو بن الحارث السُّلمية، ولقبها الخنساء، قدمت على رسول الله ﷺ وكان يستنشدها شعرها وتعجبه ويقول: هيه يا خناس، ويومئ بيده، وأخواها صخر ومعاوية.

[٨٥٥] وفيها يقول دريد بن الصمة -وكان قد خطبها فردته- وكان قد رآها تهنأ[2] بعيراً لها (من الكامل):

حيوا تُماضِرَ واربعوا صحبي	وقفوا فإن وقوفكم حسبي
أَخُناس قد هام الفؤاد بكم	وأصابه تَبْلٌ من الحب
ما إن رأيت ولا سمعت به	كاليوم طالي أَيْنُقٍ جُرْب[3]

(١) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٣٨٤، ٣٨٥.

(٢) أي تطليه بالقطران.

(٣) أي نوق جرباء.

متبـــــذلاً تبـــــدو محاســـــنه يـضع الهنـاء مواضـع النَقْـب

[٨٥٦] ولما خطبها دريد بعثت خادمة لها، وقالت لها: انظري إليـه إذا بال، فإن كان بوله يخرق الأرض ويخد فيها، ففيه بقية، وإن كان بوله يسيح على وجهها فلا بقية فيه، فوجدته وبوله يسيح على الأرض، فأخبرتها، فأرسلت إليه: ما كنت لأدع بني عمي وهم مثل عوالي الرماح، وأتزوج شيخاً.

[٨٥٧] وأما أخوها صخر فإنه اكتسح أموال بني أسد وسبى نساءهم، فتبعوه واقتتلوا قتالاً شديداً، فطعن ربيعة بن ثور الأسدي صخراً في جنبه وفات القوم، فمرض حولاً حتى مله أهله، فسمع امرأة وهي تسأل امرأته سلمى: كيف بعلك؟

فقالت: لا حي فيرجى، ولا ميت فينعى، لقينا منه الأمرين، فقال صخر لما سمع ذلك منها:

أرى أم صـــخر لا تمـــل عيـــادتي وملت سليمى مضجعي ومكاني

وما كنت أخشى أن تكـون جنـازة عليـك ومـن يغـتر بالحـدثان

أهـم بـأمر الحـزم لـو أستطيعه وقـد حيـل بـين العَيْـر والنَـزَوان

لعمري لقد نبهت مَـن كـان نائمـاً وأسمعـت مـن كـان لـه أذنـان

وللمـوت خـير مـن حيـاة كأنهـا محلـة يعـسوب بـرأس سـنان[1]

وإنِ امـرؤٌ سـاوى بـأمٍ حليلـةً فـلا عـاش إلا في شـقا وهـوان

(١) اليعسوب :النحل، والسنان :حد الرمح.

[٨٥٨] فلما طال عليه البلاء وقد نتأت قطعة مثل اليد من جنبه من الطعنة، قالوا له: لو قطعتها لرجونا أن تبرأ، فقال: شأنكم، فأحموا له شفرة ثم قطعوها فمات، فقالت الخنساء ترثيه (من المتقارب):

ألا ما لعينك أم مالها ... لقد أخضل الدمع سربالها

أبعد ابن عمرو من آل الشريـ ... ـد حلت به الأرض أثقالها

فإن تك مُرَّة أودت به ... فقد كان يكثر تَقْتالها

سأحمل نفسي على خطة ... فإما عليها وإما لها

منها:

نهين النفوس وهون النفو ... س يوم الكريهة أبقى لها

وقافيةٍ مثل حد السنا ... ن تبقى ويذهب من قالها

نطقت ابن عمرو فسهلتها ... ولم ينطق الناس أمثالها

فزال الكواكب من فقده ... وجللت الشمس إجلالها

وهي طويلة ساقها صاحب الأغاني.

[٨٥٩] وقالت ترثيه أيضاً (من البسيط):

قذى بعينيك أم بالعين عوَّار ... أم أقفرت إذ خلت من أهلها الدار

تبكي لصخر هي العَبْرَى وقد ثكلت ... ودونه من جديد الترب أستار

لا بد من ميتة في صرفها غِيَرٌ ... والدهر في صرفه حول وأطوار

منها:

فإن صخراً لوالينا وسيدنا ... وإن صخراً إذا نَشْتُو لنَحَّار

وإن صخراً لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

وهي طويلة مذكورة في الأغاني، ولها فيه مراثٍ كثيرة.

وأما أخوها معاوية، فغزا بني مرة بن سعد بن ذبيان وبني فزارة ومعه خفاف بن ندبة، فاعتوره هاشم ودريد ابنا حرملة المرِّيان، فاستطرد له أحدهما ثم وقف وشد الآخر عليه فقتله، فلما تنادوا: قُتل معاوية، فقال خفاف: قتلني الله إن دُمْتُ حتى أثأر به، فشد على مالك بن حمار الشمخي -وكان سيد بني شمخ- فقتله.

[٨٦٠] وقيل:

إن الخنساء لم تزل تبكي على أخويها صخر ومعاوية، حتى أدركت الإسلام، فأقبل بنو عمها إلى عمر بن الخطاب ﷺ وهي عجوز كبيرة فقالوا: يا أمير المؤمنين: هذه الخنساء قد قرحت مآقيها من البكاء في الجاهلية والإسلام، فلو نهيتها لرجونا أن تنتهي.

فقال لها عمر: اتقي الله وأيقني بالموت.

فقالت: أنا أبكي أبي وخَيْريْ مضر: صخراً ومعاوية، وإني لموقنة بالموت.

فقال عمر: أتبكين عليهم وقد صاروا جمرة في النار؟

فقالت: ذاك أشد لبكائي عليهم، فكأن عمر رق لها، فقال: خلوا عجوزكم لا أبا لكم فكل امرئ يبكي شجوه، ونام الخلي عن بكاء الشجي.

[٨٦١] وذكر الزبير بن بكار عن محمد بن الحسن المخزومي عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه عن أبي وجرة عن أبيه قال:

حضرت الخنساء بنت عمرو بن الشريد حرب القادسية ومعها بنوها أربعة رجال، فقالت لهم من أول الليل:

إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين، ووالله الذي لا إله غيره إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم، ولا هجَّنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدنيا الفانية؛ يقول الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1] فإذا أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، واضطرمت لظى على سُبَّاقها وجللت ناراً على أوراقها، فتيمموا وطيسها، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها، تظفروا بالغنم والكرامة، في دار الخلد والمقامة، فخرج بنوها قابلين لنصحها، عازمين على قولها فلما أضاء لهم الصبح، باكروا مراكزهم وأنشأ أولهم يقول (من الرجز):

يا إخوتي إن العجوز الناصحة	قد نصحتنا إذ دعتنا البارحة
مقالة ذات بيان واضحة	فباكروا الحرب الضروس الكالحة
وإنما تلقون عند الصائحة	من آل ساسان كلاباً نابحة
قد أيقنوا منكم بوقع الجائحة	وأنتمُ بين حياة صالحة

أو ميتة تورث غُنْماً رابحة

وتقدم فقاتل حتى قتل -رحمه الله-.

---

(١) سورة آل عمران: ٢٠٠.

ثم حمل الثاني وهو يقول (من الرجز):

إن العجــوز ذات حــزم وجلــد والنظـر الأوفـق والـرأي الـسَدَد
قــد أمرتنــا بالــسداد والرشــد نــصيحة منهــا وبــرّاً بالولــد
فبــاكروا الحــرب حمــاة في العــدد إمــا لفــوز بــاردٍ عــان الكبـد
أو ميتــة تــورثكم غــنم الأبــد في جنة الفردوس والعيش الرغـد

فقاتل إلى أن استشهد-رحمه الله-.

ثم حمل الثالث وهو يقول: (من الرجز):

والله لا نعــصي العجــوز حرفــاً قــد أمرتنــا حَرَبــاً وعطفــا
نــصحاً وبــرّاً صــادقاً ولطفــاً فباكروا الحرب الـضروس زحفـا
حتــى تلفــوا آل ساســان لفّــاً أو تكشفوهم عـن حمـاكم كـشفا
إنــا نــرى التقــصير عــنهم ضــعفا والقتــل فــيكم نجــدة وعرفــا

فقاتل حتى استشهد-رحمه الله-.

ثم حمل الرابع وهو يقول (من الرجم):

لــست لخنــساء ولا للأحــزم ولا لعمــرو ذي الـسناء الأقـدم
إن لم أَرِد في الجيش جيش الأعجـم ماض علـى الهـول خـضم خـضرم
إمــا لفــوز عاجــل ومغــنم أو لوفــاة في الــسبيل الأكــرم

فقاتل حتى قتل -رحمه الله- فبلغها الخبر فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته.

وكان عمر ﷺ يعطي الخنساء أرزاق أولادها الأربعة، لكل واحد مائتي درهم حتى قبض[1].



ابن التَّيَّان اللغوي

تمام بن غالب بن عمرو، أبو غالب الأندلسي المرسي المعروف بابن التيان، قال سعد الخير: مرسية: بلدة حسنة من بلاد الأندلس كثيرة التين، يجلب منها إلى سائر البلدان فلعله نسب إلى بيع التين.

وذكره الحميدي:

كان إماماً في اللغة وثقة في إيرادها، مذكوراً بالورع والديانة، مات بالمرية سنة ست وثلاثين وأربع مائة.

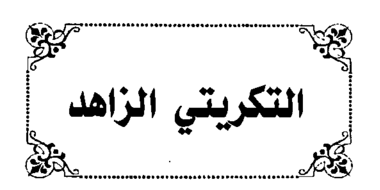
[٨٦٢] وله كتاب تلقيح العين في اللغة، لم يؤلف مثله اختصاراً وإكثاراً، وله فيه قصة تدل على فضله، وذلك أن الأمير أبا الجيش مجاهد ابن عبد الله العامري، وهو أحد المتغلبين على تلك النواحي وجَّه إلى أبي غالب هذا-أيام غلبته على مرسية، وأبوغالب بها ساكن- ألف دينار أندلسية على أن يزيد في ترجمة هذا الكتاب: مما ألفه تمام بن غالب لأبي الجيش مجاهد، فرد له الدنانير ولم يفعل، وقال:

والله لو بذل لي ملك الدنيا ما فعلت، ولا استجزت الكذب؛ فإني لم أجمعه له خاصة لكن لكل طالب علم عامة.

قال الحميدي:

(١) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٣٨٨- ٣٩٦.

فاعجب لهمة هذا الرئيس وعلوها، واعجب لنفس هذا العالم ونزاهتها[١].



توبة بن أبي البركات التكريتي، صاحب الشيخ عبد الله اليونيني، فقير صالح كبير القدر، حدث عن ابن طبرزذ.

قال السيف ابن المجد:

كان توبة أحد من يشار إليه بالزهد، صحب الشيخ عبد الله ولازمه، وكان يكرمه ويأنس به، وينزل إذا قدم في مغارته على جبل الصوان بقاسيون.

[٨٦٣] وقال ابن العز عمر الخطيب: حدثتني فاطمة بنت أحمد بن يحيى ابن أبي الحسين الزاهد، قالت:

حدثتني أمي ربيعة بنت الشيخ توبة أنها كانت تقعد في الليل فتجد والدها قاعداً وهو يقول: يا سيدي اغفر لعبيدك.

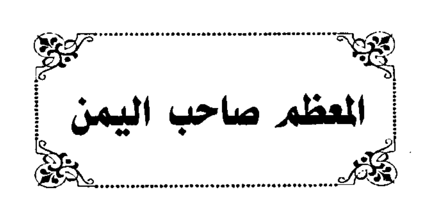
[٨٦٤] قالت: وكانت أمي ربيعة ترجف، وقالت: كنت أحكي للناس كرامات الشيخ، فرأيته في المنام وهو يقول: كم تهتكيني!! وسلَّ عليَّ سيفاً فبقيت أرجف وما عدت أجسر أن أحكي عنه شيئاً.

توفي سنة اثنتين وعشرين وست مائة[٢].

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٣٩٨، ٣٩٩.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٤٤٠.



المعظم صاحب اليمن

[٨٦٥] توران شاه الملك المعظم شمس الدولة بن أيوب، أخو السلطان صلاح الدين، وكان يلقب: فخر الدين.

كان أسن من صلاح الدين، وكان يرجحه على نفسه، وسيَّره سنة ثمان وستين وخمس مائة إلى بلاد النوبة ليفتحها، فلما قدمها وجدها لا تساوي التعب، فرجع بغنائم كثيرة ورقيق، ثم أرسله إلى اليمن وبها عبدالنبي بن مهدي قد استولى على أكثر اليمن، فقدمها وظفر بعبد النبي وقتله وملك معظم اليمن.

وكان سمحاً جواداً.

[٨٦٦] ثم إنه قدم دمشق سنة إحدى وسبعين وخمس مائة في آخرها، وقد تمهدت له مملكة اليمن، لكنه كره المقام بها وحنَّ إلى الشام وثماره، وكان قد جاءه رسول من أخيه صلاح الدين يرغبه في المقام باليمن، فلما أدى الرسالة طلب ألف دينار، وقال للغلام: امض إلى السوق واشترلي بها قطعة ثلج، فقال: من أين هنا ثلج؟

فقال له: فاشتر بها طبق مشمش.

فقال: من أين يوجد ذلك؟ فأخذ يذكر له أنواع الفواكه، والغلام يقول: ما يوجد، فقال المعظم للرسول:

ليت شعري، ما أصنع بالأموال إذا لم أنتفع بها في شهواتي؟ ورجع الرسول، فأذن له صلاح الدين في القدوم.

فلما قدم دمشق استنابه بها صلاح الدين لما رجع إلى مصر، ثم انتقل توران شاه إلى مصر سنة أربع وسبعين وخمس مائة وكانت وفاته بالإسكندرية في صفر سنة ست وسبعين وخمس مائة، فنقلته شقيقته ست الشام ودفنته في مدرستها المعروفة بها في دمشق.

قال ابن الأثير:

ولما قدم من اليمن وعمل بنيابة دمشق ملك بعلبك، ثم عوضه أخوه عنها بالإسكندرية إقطاعاً، فذهب إليها، وكان له أكثر بلاد اليمن ونوابه هنالك يحملون إليه الأموال من زبيد وعدن وما بينهما.

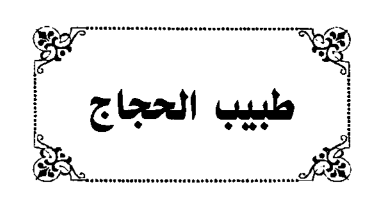
وكان أجود الناس وأسخاهم كفّاً، يُخرج كل ما يحمل إليه من البلاد، ومع هذا مات وعليه نحو مائتي ألف دينار، فوفاها أخوه صلاح الدين عنه، وكان منهمكاً على اللهو واللعب، وفيه شر وظلم.

[٨٦٧] وقال المهذب محمد بن علي الخيمي:

رأيت في النوم شمس الدولة توران شاه بعد موته فمدحته بأبيات وهو في القبر، فلف كفنه ورمى به إلي، وقال (من البسيط):

لا تستقلنّ معروفاً سمحتُ به ... ميتاً فأصبحت منه عاري البدن
ولا تظنن جودي شانه بخل ... من بعد بذلي ملك الشام واليمن
إني خرجت من الدنيا وليس معي ... **من كل ما ملكت كفي سوى كفني**[1]

(١) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٤٤١-٤٤٣.



طبيب الحجاج

[٨٦٨] تياذوق الحكيم.

كان طبيباً فاضلاً، صحب الحجاج بن يوسف الثقفي وخدمه بالطب.

وجد الحجاج في رأسه صداعاً فقال تياذوق: اغسل رجليك بماء حار، وادهنهما، فقال خصيٌّ على رأسه: والله ما رأيت طبيباً أقل معرفة منك، شكا الأمير صداعاً في رأسه، فوصفت له دواء في رجليه؟

فقال: أنت أكبر دليل على قولي: نُزعت خصيتاك فذهب شعر لحيتك، فضحك الحجاج ومن حضر منه.

[٨٦٩] وشكا الحجاج ضعفاً في معدته وقصوراً في الهضم، فقال: يكون الأمير يحضر بين يديه فستقاً أحمر القشر ويتنقل به، فبعث إلى حظاياه، فبعثت كل واحدة منهن طبقاً مملوءاً فستقاً، فأكثر من أكله، فحصلت له هيضة، فشكا ذلك إلى تياذوق فقال: ما وصفت لك الفستق بقشره إلا حتى تكسر الواحدة وتلوك قشرها الأحمر البراني؛ لأن فيه عطرية وقبضاً، فيكون ذلك تقوية لمعدتك.

وله كتاب الأدوية وغير ذلك.

وتوفي بواسط، وله قريب تسعين سنة في حدود التسعين للهجرة النبوية[1].

(١) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٤٤٩، ٤٥٠.

ثابت قطنة

ثابت بن كعب، أخو بني أسد بن الحارث بن العتيك، قيل: مولاهم، أبو العلاء، ويعرف بثابت قطنة؛ لأنه أصابه سهم في إحدى عينيه في بعض حروب الترك فذهبت فجعل موضعها قطنة، وهو شاعر شجاع.

[٨٧٠] وكان في صحابة يزيد بن المهلب، ولِيَ عملاً في خراسان، فلما صعد المنبر يوم الجمعة، رام الكلام فتعذر عليه وحصر، فقال: سيجعل الله بعد عسر يسراً وبعد عيٍّ بياناً، وأنتم إلى أمير فعَّال أحوج منكم إلى أمير قوال، ثم أنشد (من الطويل):

وألا أكن فيكم خطيباً فإنني　　　بسيفي إذا جد الوغى لخطيب

وقال بعض الشعراء يهجوه بذلك (من البسيط):

أبا العلاء لقد لُقِّيت مُعضِلة　　　يوم العروبة من كرب وتَحنيقِ[1]

أما القران فلم تخلق لمحكمه　　　ولم تُسدَّد من الدنيا بتوفيق

لَمَّا رَمتْك عيون الناس هبتهم　　　وكدت تَشْرَق لما قمت بالريق

تلوي اللسان وقد رمت الكلام به　　　كما هو زلق من شاهق النيق

[٨٧١] ولما ولي سعيد بن عبد العزيز خراسان جلس يعرض الناس فرأى ثابتاً وكان تام السلاح جميل الهيئة، فسأل عنه، فقيل: هذا ثابت قطنة، وهو فارس شجاع فأمضاه وأجاز على اسمه، فلما انصرف قال له رجل: هذا الذي يقول (من الكامل):

---

(١) يوم العروبة هو يوم الجمعة.

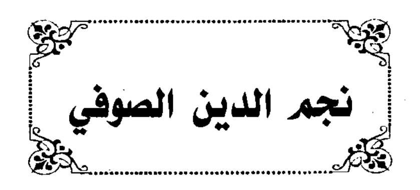
إنالـــضرّابون في خمـــس الـــوغى ... رأس الخليفـــة إن أراد صـــدودا

فقال سعيد: عليّ به! فلما أتاه قال له: أنت القائل: إنـا لـضرّابون...؟ قال: نعم أنا القائل:

إنـا لـضرابون في خَمْـس الـوغى ... رأس المتـــوج إن أراد صـــدودا

عــن طاعــة الــرحمن أو خلفائــه ... أو رام إفـــساداً ولج عنـــودا

فقال له سعيد: أولى لك، لولا أنـك خرجـت منهـا لـضربت عنقـك. وأخباره مستوفاة في كتاب الأغاني[1].



نجم الدين الصوفي

ثابت بن تـاوان بـن أحمـد الإمـام نجـم الـدين، أبـو البقـاء التفليـسي الصوفي.

له معرفة بالفقه والأصول والعربية والأخبار والأشعار والسلوك، وله رياضــات ومجاهــدات، وهــو مــن كبــار أصــحاب الــشيخ شــهاب الــدين السهروردي، وأذن له أن يصلح ما رآه في تصانيفه من الخلل.

قدم مصر رسولاً من الديوان، وهو مليـح الكتابـة والإنـشاء، وكتـب الأجزاء.

توفي سنة إحدى وثلاثين وست مائة.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٤٥٩- ٤٦١.

نقلت من خط شهاب الدين القوصي في المعجم: أنشدني نجم الدين أبو البقاء لنفسه (من الرمل):

شر مال حزته ذاك الذي حزت حد العلم في استحقاقه
اكتسبت الإثم في تحصيله وحرمت الأجر في إنفاقه

[٨٧٢] وأنشدني لنفسه أيضاً (من السريع):

اشتبهت في وقتنا الطُعمه لا نعرف الحل من الحرمه
لكن يد أقصر من غيرها ولقمة أصغر من لقمه

[٨٧٣] وأنشدني أيضاً لنفسه (من مجزوء الرمل):

اغتنم يومك هذا إنما يومك ضيفُ
وانتهز فرصة عمر حاضرٍ فالوقت سيف
لا تضيع هذه الأنـ ـفاس فالتضييع حيفُ
عدِّ عن سوف أو السا عة أو أين وكيفُ (١)



أبو الحسن الحلبي

ثابت بن أسلم بن عبد الوهاب، أبو الحسن الحلبي، أحد علماء الشيعة.

كان من كبار النحاة، صنف كتاباً في تعليل قراءة عاصم وأنها قراءة قريش.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٤٦٩، ٤٧٠.

[٨٧٤] تولى خزانة الكتب بحلب، فقال الإسماعيلية: هذا يفسد الدعوة؛ لأنه صنف كتاباً في كشف عوارهم وابتداء دعوتهم وكيف بنيت على المخاريق، فحمل إلى مصر فصلب، وأحرقت خزانة الكتب بحلب، وكانت لسيف الدولة وفيها عشرة آلاف مجلدة، وكان صلبه في حدود الستين والأربع مائة[1].



الصحابية

الثريا ابنة علي بن عبد الله الأموية.

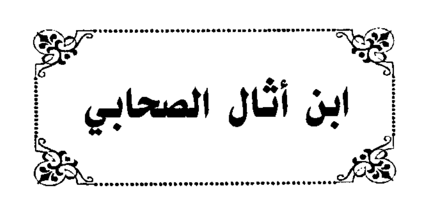
قال السُهَيلي في «الروض الأُنُف»: وقتيلة بنت النضر جدتها؛ لأنها كانت تحت الحارث بن أمية، وعبد الله والدها هو والد الثريّا، وكانت الثريا موصوفة بالجمال، وعمر بن أبي ربيعة المخزومي بها يتغزل في شعره، وكان قد تزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ونقلها إلى مصر، فقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي (من الخفيف):

أيها المُنكح الثريا سهيلاً ... عمرك اللهُ كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استقلَّت ... وسهيل إذا استقل يمان[2]

(١) الوافي بالوفيات: ١٠/ ٤٧٠.

(٢) الوافي بالوفيات: ١١/ ٨.



ابن أثال الصحابي

ثمامة بن أثال بن النعمان.

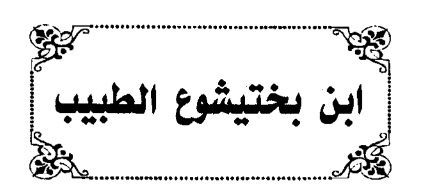
[٨٧٥] لما اغتسل وجاء إلى النبي ﷺ وقال: يا محمد ما كان على الأرض وجه أبغض إليَّ من وجهك، وما على الأرض وجه أحب إليَّ من وجهك، والله لا يحمل إلى مكة حبة من طعام حتى يسلموا، فقدم اليمامة فحبس عنهم فشق ذلك عليهم فكتبوا إلى النبي ﷺ: إنك تأمر بصلة الرحم وإن ثمامة حبس عنَّا الحمل، فكتب إليه النبي ﷺ فحمل إليهم.

[٨٧٦] وكان ثمامة ممن ثبت حين الردة على الإسلام، وله مقام محمود في الرد على مسيلمة، ولما أغلظ لمسيلمة وبرئ منه قال: ما قضيت حق رسول الله ﷺ بعد، فجمع بني حنيفة فخطبهم فقال: يا بني حنيفة إني أرى فيكم بغياً ولجاجة، والبغي هلاك، واللجاج نكد، في كلامٍ قال فيه: وإنكم والله لو قاتلتم أمثالكم لما خفت أن يغلبوكم ولكنكم تقاتلون النبوة بالكهانة، والقرآن بالشعر، والأنصار بالكفار، والمهاجرين بالأعراب، فلو كان لنادمٍ إقالة، أو لشاك بقاء لم نكره أن تذوقوا عواقب ما أنتم فيه ولكنه هلاك الأبد، فأعظمه القوم أن يجيبوه وثبتوا على أمرهم فرجع مغضباً.

وقال: [من الطويل]:

دعانا إلى ترك الديانة والهدى ... مسيلمة الكذاب إذا جاء يسجع

فيا عجباً من معشر قد تتابعوا   له في سبيل الغيِّ والغيُّ أشنع[1]



ابن بختيشوع الطبيب

جبريل بن بختيشوع.

[٨٧٧] كان مشهوراً بالتصرف في المداواة حظيّاً عند الخلفاء، وأول اتصاله كان بجعفر[2]، واتفق أن تمطأت حظية للرشيد، ورفعت يدها فبقيت منبسطة لا يمكنها ردها، فعالجها الأطباء بالتمريخ والأدهان ولم يفدها شيئاً، فشكا الرشيد ذلك إلى جعفر وقال: قد بقيت هذه الصبية رحمة، فأحضر جعفر جبريل فلما رآه قال له:

أي شيء تعرف؟

فقال: أبرد الحار وأسخن البارد، وأرطب اليابس وأيبس الرطب، فضحك الرشيد وقال: هذه عامة صناعة الطب، وشرح له حال الصبية.

فقال له: إن لم يسخط عليَّ أمير المؤمنين فلي حيلة فأمر بإحضارها، فلما حضرت نكس رأسه وعدا إليها وأمسك ذيلها وأوهمها أنه يريد كشفها، فانزعجت ومن شدة الحياء استرسلت أعضاؤها وانبسطت يدها فأعجب الرشيد ذلك، وأمر له بخمسمائة ألف درهم.

[٨٧٨] وقال الرشيد -وهو حاج بمكة- لجبريل:

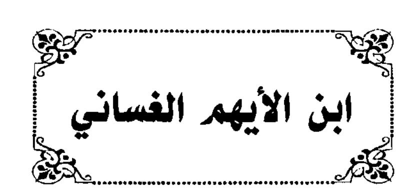
---

(١) الوافي بالوفيات: ١١/ ١٩، ٢٠.

(٢) أي البرمكي.

أعلمت أن منزلتك عندي غاية؟

قال: يا أمير المؤمنين، كيف لا أعلم، قال: والله دعوت لك في الموقف دعاءً كثيراً، ثم التفت إلى من حضره وقال: أنكرتم قولي؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، ذمي هو!! قال: نعم ولكن صلاح بدني به وصلاح المسلمين بي؛ فصلاحهم بصلاحه، فقالوا: صدق أمير المؤمنين[1].



ابن الأيهم الغساني

جبلة بن الأيهم الغساني ملك آل جفنة.

كتب إلى عمر ﷺ يعلمه بإسلامه ويستأذنه في الوفود عليه، فسر بذلك هو والمسلمون فكتب إليه عمر: أن أقدم فلك ما لنا وعليك ما علينا، فقدم في خمسمائة فارس من عدد جفنة، فلما دنا من المدينة ألبسهم الوشي المنسوج بالذهب والحرير الأصفر، وجَلّل الخيل بجلال الديباج وطوقها بالذهب والفضة، ولبس جبلة تاجه وفيه قرطا مارية، فلم يبق بالمدينة أحد إلا خرج للقائه، وفرح المسلمون بقدومه وإسلامه.

[٨٧٩] ثم حضر الموسم من عامه ذلك، فبينا هو يطوف بالبيت إذ وطئ على إزاره رجل من فزارة فحلَّه، فالتفت إليه جبلة مغضباً ولطمه فهشم أنفه، فاستعدى عليه إلى عمر ﷺ فبعث إليه يقول:

ما دعاك إلى أن لطمت أخاك فهشمت أنفه؟

---

(١) الوافي بالوفيات: ١١/ ٥٠.

قال: إنه وطئ إزاري فحلّه، فـولا حرمـة البيـت لأخـذت الـذي فيـه عيناه.

فقال له عمر: أما أنت فقد أقررت فإما أن ترضيه وإلا أقدته منك.

قال: أتقيده مني وأنا ملك وهو سوقة؟!

قال عمر: يا جبلة إنه قد جمعك وإياه الإسلام فما تفضله إلا بالعافية.

قال: والله لقد رجوت أن أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية.

قال عمر: هو ذاك.

قال: إذاً أتنصر.

قال: إن تنصرت ضربت عنقك.

فقال جبلة: أخرني إلى غد يا أمير المؤمنين.

قال: ذلك لك.

فلما كان الليل خرج هو وأصـحابه فلـم يلبـث أن دخـل قـسطنطينية على هرقل فتنصر، فأعظم قدومه وسـر بـه وأقطعـه الأمـوال والأرضـين والرباع.

[٨٨٠] فلما بعث عمر رسولاً إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام أجابه إلى المصالحة على غير الإسلام، فلما أراد العود قال له هرقل:

ألقيت ابن عمك هذا الذي ببلدنا؟ يعني جبلة.

قال: ما لقيته.

قال: القه ثم ائتني أعطك جوابك، فذهب الرسول إلى باب جبلة فـإذا عليه من القهارمة والحجاب والبهجة وكثـرة الجمـع مثـل مـا علـى بـاب

هرقل، قال الرسول: فدخلت عليه فرأيت رجلاً أصهب اللحية ذا سبال وكان عهدي به أسود اللحية والرأس، فنظرت إليه فأنكرته فإذا هو قد دعا بسحالة الذهب فذرَّها في لحيته حتى عاد أصهب، وهو قاعد على سرير قوائمه أربعة أسود من ذهب، فلما عرفني رفعني معه على السرير وجعل يسألني عن المسلمين، فذكرت له خيراً وقلت له: قد تضاعفوا أضعافاً على ما تعرف.

فقال: وكيف تركت عمر بن الخطاب؟

قلت له: بخير، فأغمه ذلك، وانحدرت عن السرير.

فقال: لِمَ تأبى الكرامة التي أكرمناك بها؟

قلت: إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا.

قال: نعم ﷺ ولكن نقِّ قلبك من الدنس ولا تبال على ما قعدت.

[٨٨١] فلما صلى على النبي ﷺ طمعت به فقلت: ويحك يا جبلة ألا تسلم وقد عرفت الإسلام وفضله؟

فقال: أبعد ما كان مني؟

قلت: نعم، فعل ذلك رجل من بني فزارة أكثر مما فعلت، ارتد عن الإسلام وضرب وجوه الإسلام بالسيف، ثم رجع إلى الإسلام فقبل ذلك منه وخلفته بالمدينة مسلماً.

[٨٨٢] قال: ذرني من هذا إن كنت تضمن لي أن يزوجني عمر ابنته ويوليني الأمر بعده رجعت إلى الإسلام، فضمنت له التزويج ولم أضمن الأمر، فأومأ إلى خادم بين يديه فذهب مسرعاً فإذا خدم قد جاءوا يحملون الصناديق فيها الطعام فوضعت ونصبت موائد الذهب وصحاف الفضة

وقال لي: كل، فقبضت يدي وقلت: إن رسول الله ﷺ نهى عن الأكل في آنية الذهب والفضة.

قال: نعم ﷺ ولكن نقِّ قلبك وكل فيما أحببت، فأكل في الذهب والفضة وأكلت في الخلنج[1]، فلما رفع الطعام جيء بطساس الفضة وأباريق الذهب، فقال: اغسل يدك فأبيت وغسل في الذهب والفضة وغسلت في الصفر[2]، ثم أومأ إلى خادم بين يديه فمر متسرعاً فسمعت حسّاً فالتفت فإذا خدم معهم كراسٍ مرصعة بالجوهر فوضعت عشرة عن يمينه وعشرة عن يساره، ثم سمعت حسّاً فالتفت فإذا عشر جوار قد أقبلن مضمومات الشعور متكسرات في الحلي، عليهن ثياب الديباج ولم أر قط وجوهاً أحسن منهن، فأقعدهن على الكراسي، ثم سمعت حسّاً فالتفت فإذا جارية كأنها الشمس حسناً على رأسها تاج، على ذلك التاج طائر لم أر أحسن منه، وفي يدها اليمنى جامٌ[3] فيه مسك وعنبر فتيت، وفي يدها اليسرى جام فيه ماء ورد، فأومأت إلى الطائر -أو قال: صفرت بالطائر- فوقع في جام الماورد فاضطرب فيه، ثم أومأت إليه فوقع في جام المسك والعنبر فتمرغ فيه، ثم أومأت إليه -أو قال: صفرت به- فطار حتى نزل على صليب في تاج جبلة، فلم يزل يرفرف حتى نفض ما في ريشه عليه، فضحك جبلة من شدة السرور حتى بدت أنيابه، ثم التفت إلى الجواري اللواتي عن يمينه فقال لهن: بالله أضحكننا، فاندفعن يغنين بخفق عيدانهن ويقلن [من الكامل]:

---

(١) الخلنج: شجر فارسي تتخذ من خشبه الأواني، وانظر ((لسان العرب)): خ ل ن ج .

(٢) النحاس.

(٣) وعاء.

لله در عـــــصابة نـــــادمتهم يومــاً بجُلّــقَ في الزمــان الأول[1]

يـسقون مَـن ورد البَـريص علـيهم بردى يُصَفِّق بالرحيق السلسل[2]

أولاد جفنــة حــول قــبر أبــيهمُ قــبر ابــن ماريـة الجـواد المفـضل

يُغْـشَوْنَ حتـى مـا تهـر كلابهـم لا يسألون عن الـسواد المقبـل[3]

بـيض الوجــوه كريمـة أحــسابهم شـم الأنـوف مـن الطـراز الأول

قال: فضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال:

أتدري من قائل هذا؟

قلت: لا

قال: قائلـه حـسان بـن ثابـت شـاعر رسـول الله ﷺ، ثـم التفـت إلى الجواري اللواتي عـن يـساره فقـال لهـن: أبكيننـا، فانـدفعن يغـنين بخفـق عيدانهن ويقلن: [من الخفيف]:

لمـــن الـــدار أقفـــرت بمغــــان بـين أعلـى اليرمـوك فالجمــان

ذاك مَغْنـــى لآل جفنـــة في الدهــــ ــــر محــلاً لحادثــات الزمـــان

قــد أرانــي هنــاك دهــراً مكينـاً عند ذي التاج مقعـدي ومكـاني

ودنــا الفــصح والولائــد ينظمـــ ــــن ســراعاً أَكِلّــة المرجــان[4]

قال: فبكى حتى جعلت الدموع تسيل على لحيته، ثم قال:

---

(١) جُلق هي دمشق.

(٢) البريص: موضع بدمشق: انظر ((القاموس المحيط)): ب ر ص.

(٣) أي لا تنبح كلابهم لكثرة من يأتيهم، والسواد أي الشخص.

(٤) الأكِلّة جمع إكليل.

أتدري من قائل هذه الأبيات؟

قلت: لا.

قال: حسان بن ثابت.

ثم أنشأ يقول: [من الطويل]:

تنصرت الأشراف من أجل لطمة ... وما كان فيها لو صبرتُ لها ضرر

تكنفني منها لجاج ونخوة ... وبعت لها العين الصحيحة بالعور

فيا ليت أمي لم تلدني وليتني ... رجعت إلى القول الذي قاله عمر

ويا ليتني أرعى المخاض بقفرة ... وكنت أسيراً في ربيعة أو مضر

ثم سألني عن حسان بن ثابت أحي هو؟

قلت: نعم، فأمر لي بمال وكسوة ونوق موقرة بُرّاً، ثم قال لي:

إن وجدته ميتاً فادفعها إلى أهله وانحر الجمال على قبره.

[٨٨٣] فلما قدمت على عمر أخبرته خبر جبلة وما دعوته إليه من الإسلام والشرط الذي اشترطه، وأني لم أضمن له الأمر فقال لي: هلا ضمنت له الأمر فإذا أفاء الله به إلى الإسلام قضى علينا بحكمه ﷻ.

ثم ذكرت له الهدية التي أهداها إلى حسان بن ثابت، فبعث إليه فأتى وقد كف بصره وقائد يقوده فلما دخل قال: إني أجد ريح آل جفنة عندك.

قال: نعم هذا رجل أقبل من عنده.

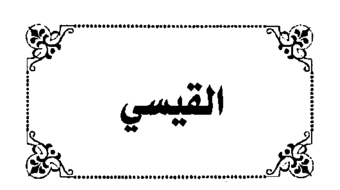
قال : هات يا ابن أخي ما بعث إلي معك؟

قلت: وما علمك؟

قال: يا ابن أخي إنه كريم من عصبة كرام مدحته في الجاهلية فحلف ألاَّ يلقى أحداً يعرفني إلا أهدى إلي معه شيئاً، قال: فدفعت إليه المال والثياب وأخبرته بما كان أمر به في الإبل إن وجدته ميتاً.

قال: وددت لو كنت ميتاً فنحرت على قبري.

[٨٨٤] قال: ثم جهزني عمر إلى قيصر وأمرني أن أضمن لجبلة ما اشترطه، فلما قدمت القسطنطينية وجدت الناس راجعين من جنازته فعلمت أن الشقاء عليه مكتوب في أم الكتاب[١].



الجحّاف بن حكيم بن عاصم بن قيس.

[٨٨٥] لما كانت سنة ثلاث وسبعين للهجرة وقتل عبد الله بن الزبير، وهدأت الفتنة واجتمع الناس على عبد الملك وتكافَّت قيس وتغلب عن المغازي بالشام والجزيرة، وظن كل واحد من الفريقين أن عنده فضلاً لصاحبه، وتكلم عبد الملك في ذلك ولم يحكم الصلح فيه، فبينا هم على تلك الحال إذ أنشد الأخطل عبد الملك وعنده وجوه قيس: [من الطويل].

(١) الوافي بالوفيات: ١١/ ٥٣- ٥٦.

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر بقتلى أصيبت من سُلَيم وعامر

أجَحَّافُ إن نهبط عليك فتلتقي عليك بحورٌ طاميات الزواخر

تكن مثل أقذاء الحباب الذي جرى به البحر تسقيه رياح الصراصر

فوثب الجحاف يجر مُطْرفه وما يعلم من الغضب، فقال عبد الملك للأخطل: ما أحسبك إلا قد أكسبت قومك شرّاً، فافتعل عهداً من عبد الملك على صدقات بكر وتغلب، فصحبه من قومه نحو من ألف فارس فسار بهم حتى بلغ الرصافة، ثم كشف لهم أمره وأنشدهم ما قاله الأخطل وقال: إنما هي النار أو العار، فمن صبر فليقدم، ومن كره فليرجع فقالوا: نحن معك، فصاروا إلى البشر -وهو واد لبني تغلب- فأغاروا عليهم ليلاً وقتلوهم وبقروا من النساء من كانت حاملاً ومن كانت غير حامل قتلوها، وقتل ابن للأخطل يقال له: غياث، ثم إن الجحاف هرب من بعد ذلك وفرق عنه أصحابه ولحق بالروم، فلحقه عبيدة بن تمام التغلبي دون الدرب فكر عليه الجحاف فهزمه وهزم أصحابه، ومكث زُمَيناً في الروم.

وأقام هناك حتى سكن غضب عبد الملك وكلمته القيسية في أن يؤمنه، فلان لهم فقيل له: وإنا والله لا نأمنه على المسلمين أن يأتي بالروم، فأمنه فأقبل، فلما قدم على عبد الملك لقيه الأخطل فقال له الجحاف [من الطويل]:

أبا مالكٍ هل لمتني إذ حضضتني على القتل أم هل لامني فيك لائمي

أبا مالك إني أطعتك في التي حضضت عليها فعل حَرَّان حازم

فإن تدعني أخرى أجبك بمثلها وإني لطَبٌّ بالوغى جِدُّ عالم

فرأى عبد الملك أنه إن تركهم على حالهم كأنه لم يحكم الأمر، فأمر الوليد بن عبد الملك فحمل الدماء التي كانت قبل ذلك بين قيس وتغلب وضَمّن الجحاف قتلى البِشْر وألزمه إياها عقوبة له، فأدى الوليد الحمالات، ولم يكن عند الجحاف ما يؤدي، فلحق بالحجاج يسأله؛ لأنه من هوازن فسأله الإذن فمنعه، فلقي أسماء بن خارجة فعصب حاجته به فقال: إني لا أقدر لك على منفعة، قد علم الأمير بمكانك، وأبى أن يأذن لك.

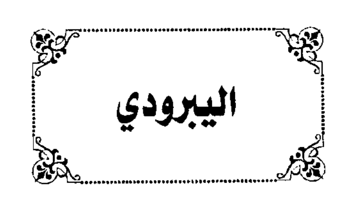
فقال: لا والله لا ألزمها غيرك، ثم إن الحجاج أعطاه مائتي ألف وخمسين ألفاً.

[٨٨٦] ثم إن الجحاف تأله بعد ذلك، وحج ومعه مشيخة قد حزموا أنفسهم ولبسوا الصوف ومشوا إلى مكة، وخرج الناس ينظرون إليهم، وسمع عبد الله بن عمر الجحاف وقد تعلق بأستار الكعبة وهو يقول: اللهم اغفر لي وما أراك تفعل، فقال له ابن عمر: ياهذا لو كنت الجحاف ما زدت على هذا القول، قال: فأنا الجحاف فسكت.

وسمعه محمد بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - وهو يقول ذلك فقال له: يا عبد الله، قنوطك من عفو الله أعظم من ذنبك(١).

---

(١) الوافي بالوفيات: ١١/ ٦٠- ٦٢.



اليبرودي

جرجس بن يوحنا بن سهيل بن إبراهيم، أبو الفرد اليبرودي، ويبرود قرية إلى جانب صيدنايا من عمل دمشق.

[٨٨٧] كان من النصارى اليعاقبة، وكان بقريته من جملة فلاحيها، يجمع الشيح من بر دمشق ويدخل يبيعه في دمشق، فاتفق يوماً أن دخل في باب توما فوجد طبيباً يفصد إنساناً قد عرض له رعاف شديد من الجهة التي وقع الفصد فيها، فوقف ينظر إليه وقال:لم تفعل هذا؟

قال: لقطع الدم.

فقال: إن كان الأمر هكذا فإننا في موضعنا قد اعتدنا أنه متى كان نهر جار وأردنا قطع الماء عنه، فإننا نجعل له مسيلاً إلى ناحية أخرى غير مسامتة له فافعل أنت كذلك، ففعل فانقطع الدم، فقال الطبيب لليبرودي: لو أنك مشتغل بالطب جاء منك طبيب جيد، فمالت نفسه إلى الطب واشتغل به، ولما تبصر في الطب قصد أبا الفرج بن الطيب كاتب الجاثليق ببغداد وقرأ عليه الطب والحكمة إلى أن مهر، وعاد إلى دمشق وأقام بها.

[٨٨٨] وقال أسعد بن الياس بن المطران:

كان بدمشق فاصد يقال له: أبو الخير فصد في بعض الأيام شاباً فوقعت الريشة في شريان فجرى الدم وسال، وحار وتبلد الفاصد فاجتمع الناس عليه وجاء اليبرودي وهو صبي يسوق دابة تحمل الشيخ فرآه فقال: يا عماه افصده في اليد الأخرى ففصده فقال: شد الفصاد الأول فشده ووضع عليه لازوقاً كان عنده فوقف الدم، فقال: من أين لك ما أمرتني به؟

فقال: أنا أرى لما يُسقى الكرم إذا انفتح شق من النهر وخرج الماء منه فتح فتحاً آخر ينقص به الماء الأول الواصل إلى ذلك الشق، ثم يسده بعد ذلك، قال: فمنعه الجرايحي من بيع الشيح وشغله بالطب فكان منه اليبرودي.

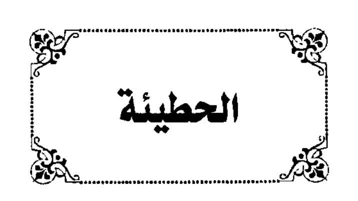
[٨٨٩] وقال الطرطوشي في كتاب «سراج الملوك»: حدثني بعض الشاميين أن رجلاً خبازّاً بينا هو يخبز في تنوره بمدينة دمشق، إذ عبر عليه رجل يبيع المشمش فاشترى منه وجعل يأكله بالخبز الحار، فلما فرغ سقط مغشيّاً عليه فنظروا فإذا هو ميت فقضوا بموته وغسل وكفن وصلى عليه وخرجوا به إلى الجبانة، فبينا هم في الطريق على باب البلد استقبلهم طبيب يقال له: اليبرودي فسمع الناس يلهجون بأمره فسألهم عن القصة فأخبروه بها فقال: حطوه حتى أراه فوضعوه فنظر في أمارات الحياة منه فسقاه شيئاً -أو قال حقنه- فاندفع ما هنالك فإذا الرجل قد فتح عينيه وقام إلى حانوته.

وتوفي اليبرودي بدمشق سنة [....][1] وأربعمائة ودفن بكنيسة اليعاقبة عند باب توما، ووجد في تركته ثلاثمائة مقطع رومي وخمسمائة فضة ألطفها ثلاثمائة درهم.

وكانت له مراسلات إلى ابن رضوان بمصر وغيره من الأطباء المصريين، وكتب بخطه كثيراً من كتب الطب، ولاسيما من كتب جالينوس وشروحها وجوامعها[2].

---

(١) فراغ في الأصل.
(٢) الوافي بالوفيات: ١١/ ٦٧، ٦٨.



الحطيئة

جرْوَل: هو الحطيئة الشاعر المشهور أبو مليكة، ابن أوس بن مالك من بني عبس، لقب بالحطيئة لقربه من الأرض؛ فإنه كان قصيراً، وقيل ضرط ضرطة بين قومه فقيل: ما هذا؟ فقال: إنما هي حطأة.

وهو من فحول الشعراء وفصحائهم، وكان ذا شر وسفه، ونسبه متدافع بين القبائل كان ينتمي إلى كل واحدة منها إذا غضب على الأخرى.

[٨٩٠] وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم ثم ارتد، وقال في ذلك[من الطويل]:

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا ... فيا لعباد الله ما لأبي بكر

أيورثها بكراً إذا مات بعده ... وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

[٨٩١] وقال يهجو أمه [من الوافر]:

تنحي فاجلسي عني قليلاً ... أراح الله منك العالمينا

أغربالاً إذا استودعت سرّاً ... وكانوناً على المتحدثينا

حياتك ما علمت حياة سوء ... وموتك قد يسر الصالحينا

[٨٩٢] والتمس يوماً إنساناً يهجوه فلم يجد، فضاق عليه ذلك فقال [من الطويل]:

أبت شفتاي اليوم إلا تكلماً ... بشر فما أدري لمن أنا قائله

وجعل يدور هذا البيت في حلقه ولا يرى إنساناً، فاطلع في رَكِيّ[1] أو حوض فرأى وجهه فقال:

أرى لي وجهاً قبح الله خلقه فقُبِّح من وجه وقبح حامله

[٨٩٣] وقدم المدينة في سنة مجدبة فجمع أشرافها له من بينهم شيئاً إلى أن تكمل له أربعمائة دينار وأعطوه إياها، فإذا به يوم الجمعة وقد استقبل الإمام ينادي: من يحملني على نعلين كفاه الله كبة جهنم.

[٨٩٤] قال الأصمعي: كان الحطيئة جشعاً سؤولاً ملحفاً دنيَّ النفس، كثير الشر، قليل الخير، بخيلاً، قبيح المنظر، رث الهيئة، مغموز النسب، فاسد الدين.

[٨٩٥] وهجا الزِبْرَقان بن بدر بالأبيات السينية التي منها [من البسيط]:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فاستعدى عليه الزِبْرَقان إلى عمر ﷺ فرفعه عمر إليه واستنشده فقال عمر لحسان: أتراه هجاه؟ فقال: نعم، وسَلَحَ عليه[2]، فحبسه عمر، وقيل جعله في بئر فقال: [من البسيط]:

ماذا تقول لأفراخ بذي مَرَخٍ زُغْب الحواصل لا ماء ولا شجر[3]

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر

أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ألقت إليك مقاليد النهى البشر

---

(١) أي بئر.

(٢) أي تغوط عليه.

(٣) يريد أولاده.

لم يــؤثروك بهـــا إذ قـــدموك لهـــا   لكن لأنفسهم كانـت بـك الأثـر

فأخرجه وقال: إياك وهجاء الناس.

فقال: إذاً تموت عيالي جوعاً هذا مكسبي ومنه معاشي.

قال: فإياك والمُقْذِع من القول.

قال: وما المقذع؟

قال: أن تخاير بين الناس، فتقول: فلان خير من فلان، وآل فلان خير من آل فلان.

قال: فأنت والله أهجا مني، ثم قال: لولا أن تكون سبة لقطعت لسانه، ولكن اذهب فأنت له يا زِبْرَقان، فألقى الزبرقان في رقبته عمامة فاقتاده بها فعارضته غطفان، فقالت له: يا أبا شذرة: إخوتك وبنو عمك، فهبه لنا، فوهبه لهم.

وقيل: إن عمر ﷺ لما أطلقه اشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم.

قلت: لم يَخْفَ عن عمر ﷺ أن ذلك هجو؛ ولكنه أراد درأ الحد بالشبهة.

[٨٩٦] ولما حضرت الحطيئة الوفاة اجتمع إليه قومه فقالوا له: يا أبا مليكة: أوص، فقال: ويل للشعر من راوية السوء، فقالوا: أوص يرحمك الله يا حطي، فقال: من الذي يقول [من الطويل]:

إذا أنــبض الرامــون عنهــا ترنمــت   تــرنم ثكلــى أوجعتهــا الجنــائز؟

قالوا: الشماخ، قال: أبلغوا غطفان أنه أشعر العرب.

فقالوا له: ويحك أوص بما ينفعك، فقال: أبلغوا أهل ضابي، أنه شاعر حيث يقول [من الطويل]:

لكل جديد لذة غير أنني | وجدت جديد الموت غير لذيذ

فقالوا: أوص ويحك بما ينفعك.

قال: أبلغوا امرأ القيس أنه أشعر العرب حيث يقول [من الطويل]:

فيا لك من ليل كأن نجومه | بكل مغار الفتل شدت بيذبل

فقالوا: اتق الله ودع عنك.

قال: أبلغوا الأنصار أن شاعرهم أشعر العرب[1] حيث يقول: [من الكامل]:

يُغْشَوْنَ حتى ما تَهِرُّ كلابهم | لا يسألون عن السواد المقبل[2]

فقالوا: إن هذا لايغني عنك شيئاً، فقل غير ما أنت فيه.

فقال [من الرجز]:

الشعر صعب وطويل سلمه | إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

زلت به إلى الحضيض قدمه | يريد أن يعربه فيعجمه

قالوا: هذا مثل الذي كنت فيه.

فقال: [من الرجز]:

قد كنت أحياناً شديد المعتمد | وكنت ذا غرب على الخصم ألد

---

(١) هو حسان بن ثابت ﷺ.

(٢) تهر: تنبح.

فوردت نفسي وما كادت ترد

قالوا: يا أبا مليكة ألك حاجة؟

قال: لا والله، ولكن أجزع على المديح الجيد يُمدح به من ليس له أهلاً .

قالوا: فمن أشعر الناس؟

فأومأ بيده إلى فيه وقال: هذا الجُحَيْر إذا طمع في خير.

واستعبر باكياً فقالوا له: قل: لا إله إلا الله فقال: من الرجز]:

قالت و فيها حيرة وذعر عَوْذٌ بربي منكم وحَجْرُ

قالوا له: ما تقول في عبيدك وإمائك؟

فقال: هم عبيد قِنّ ما عاقب الليل النهار.

قالوا: فأوص للفقراء بشيء؟

قال: الإلحاح في المسألة فإنها تجارة لا تبور، واست المسئول أضيق.

قالوا: فما تقول في مالك؟

قال: للأنثى من ولدي مثل حظ الذكر، قالوا: ليس هكذا قضى الله- عز وجل- قال: لكني هكذا قضيت[1].

قالوا: فهل شيء تعهد فيه غير هذا؟

---

(١) أعوذ بالله، فهذا ضلال مبين، لكن من كانت خاتمته كذلك فلا يستغرب منه صدور مثل هذا.

قال: نعم تحملوني على أتان وتتركوني راكبها حتى أموت فإن الكريم لا يموت على فراشه، والأتان مركب لم يمت عليه كريم، فحملوه على أتان وجعلوا يذهبون به ويجيئون، حتى مات وهو يقول: [من الرجز]:

لا أحد ألأم من حُطَيَّه هجا بنيه وهجا الْمرَيّه

من لؤمه مات على قُرِيَّه

القُرية: الأتان[1].



ابن الخطفي التميمي

جرير بن عطية بن الخطفي، أبو حزرة التميمي الشاعر المشهور.

[٨٩٧] كان من فحول الشعراء في الإسلام، وكان بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض، وهو أشعر من الفرزدق عند أكثر أهل العلم، قيل إن بيوت الشعر أربعة فخر ومديح وهجاء ونسيب، وفي الأربعة فاق جرير غيره فالفخر قوله [من الوافر]:

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

والمديح قوله: [من الوافر]:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

والهجاء قوله: [من الوافر]:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

(١) الوافي بالوفيات: ١١/ ٦٩- ٧٤.

والنسيب قوله: [من البسيط]:

إن العيـون الـتي في طرفهـا حَـوَرٌ	قتلننـا ثـم لم يحيين قتلانـا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك بـه	وهـن أضـعف خلـق الله أركانـا

[٨٩٨] قال أبو عبيدة:

رأت أم جرير في نومها وهي حامل به كأنها ولـدت حـبلاً مـن شـعر أسود، فلما وقع جعل ينزو فيقع في عنـق هـذا فيخنقـه حتـى فعـل ذلـك برجال كثير فانتبهت مذعورة فأولت الرؤيا، فقيل لها: تلدين غلاماً شاعراً ذا شر وشدة وشكيمة وبلاء على الناس، فلما ولدته سمتـه جريـراً باسـم الحبل الذي رأت أنه خرج منها، والجرير: الحبل.

[٨٩٩] وقال رجل لجرير: من أشعر الناس؟

فقال له: قم حتى أعرفك الجواب، فأخذ بيده وجاء به إلى أبيـه عطيـة وقد أخذ عنزاً فاعتقلها وجعل يمص ضـرعها فـصاح بـه: اخـرج يـا أبـه، فخرج شيخ ذميم رث الهيئة وقد سال لبن العنز على لحيته، فقال له: أترى هذا؟

قال: نعم.

قال: أو تعرفه؟

قال: لا.

قال: هذا أبي أفتدري لم كان يشرب من ضرع العنز؟

قال: لا.

قال: مخافة أن يُسمع صوت الحلب فيطلب منه اللبن، ثم قال: أشعر الناس من فاخر بمثل هذا الأب ثمانين شاعراً وقارعهم ففلّهم جميعاً.

[٩٠٠] ودخل على عبد الملك بن مروان فأنشده: [من الوافر]:

أتصحو أم فؤادك غير صاح ... عشية همّ صحبك بالرواح

تقول العاذلات علاك شيب ... أهذا الشيب يمنعني مراحي

تعزت أم حَزْرَةَ ثم قالت ... رأيت الموردين ذوي لقاح

ثقي بالله ليس له شريك ... ومن عند الخليفة بالنجاح

ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح

سأشكر إن رددت علي ريشي ... وأنبتّ القوادم في جناحي

قال جرير: فلما انتهيت إلى هذا البيت كان عبد الملك متكئاً فاستوى جالساً وقال: من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل هذا أو فليسكت، ثم التفت إلي وقال:

يا جرير أترى أم حزرة ترويها مائة ناقة من نعم بني كليب؟

فقلت: يا أمير المؤمنين، إن لم تروها فلا أرواها الله، فأمر لي بها كلها سود الحُدُق[1].

قلت: يا أمير المؤمنين نحن مشايخ فلو أمرت لي بالرعاء، فأمر لي بثمانية، وكان بين يديه صحاف من الذهب وبيده قضيب.

---

(١) أي الأعين.

فقلت: يا أمير المؤمنين، والمِحْلَب وأشرت إلى إحدى الصحاف فنبذها إليَّ بالقضيب وقال: خذها لا نفعتك، وإلى هذا أشار جرير في قوله: [من البسيط]:

أعطوا هُنَيْدة تتلوها ثمانية ما في عطاياهم منٌّ ولا سرف(١)

[٩٠١] ولما مات الفرزدق وبلغ خبره جريراً بكى وقال: أما والله إني لأعلم أني قليل البقاء بعده؛ لقد كان نجمنا واحداً، وكان كل واحد منا مشغولاً بصاحبه، وقلما مات ضد أو صديق إلا تبعه صاحبه فكان كذلك.

توفي جرير سنة عشر ومائة، وقيل سنة إحدى عشرة ومائة باليمامة، وعُمِّر نيفاً وثمانين سنة.

[٩٠٢] وقال عثمان التميمي: رأيت جريراً وما يضم شفتيه من التسبيح فقلت له: وما ينفعك هذا وأنت تقذف المحصنات؟

فقال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾(٢) وَعْدٌ من الله حق.

وقيل: إنه مات بعد الفرزدق بشهر واحد(٣).

---

(١) الهنيدة: المائة من الإبل.

(٢) سورة هود: ١١٤.

(٣) الوافي بالوفيات: ١١/ ٧٩- ٨١.



العبرتاني

جعفر بن حمدون بن إسماعيل بن داود النديم العبرتاني، من بيت مشهور بالفضل والأدب ومنادمة الخلفاء.

[٩٠٣] قال جعفر: حدثني أبي أن أبا شيبة والد أبي بكر و عثمان كان على قضاء واسط، فجاءته ظريفة فقالت: علي كفارة يمين فبأي شيء أكفر؟

فقال: بخبزاً بدقيقاً بسويقٍ بتمراً!! فقالت: ترك الكفارة -والله- أهون من استماع هذا اللحن(١).

الوزير ابن حِنْزابة

جعفر بن الفضل بن جعفر، الوزير المحدث أبو الفضل، ابن الوزير أبي الفتح ابن حنزابة وهي: المرأة القصيرة الغليظة، البغدادي، نزيل مصر.

وزر أبوه للمقتدر في السنة التي قتل فيها المقتدر، وتقلد أبو الفضل وزارة كافور الإخشيذي بمصر، قال الخطيب: كان يذكر أنه سمع من أبي القاسم البغوي مجلساً ولم يكن عنده، وكان يقول: من جاءني به أغنيته.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١١/ ١٠٤.

وكان يملي الحديث بمصر، وبسببه خرج الدارقطني إلى هناك؛ فإن ابن حنزابة كان يريد أن يصنف مسنداً فأقام عنده مدة وحصل له منه مال كثير، وروى عنه الدارقطني أحاديث.

وولد ابن حنزابة في ذي الحجة سنة ثمان وثلاثمائة، وتوفي سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة.

[٩٠٤] ومن شعره [من البسيط]:

من أخمل النفس أحياها وروَّحها ... ولم يبت طاوياً منها على ضجر

إن الرياح إذا اشتدت عواصفها ... فليس ترمي سوى العالي من الثمر

قال السِلَفي: كان ابن حنزابة من الحفاظ الثقات المتبجحين بصحبة أصحاب الحديث مع جلالة ورئاسة، يروي ويملي بمصر في حال الوزارة ولا يختار على العلم وصحبة أهله شيئاً، وعندي من أماليه فوائد ومن كلامه على الحديث وتصرفه الدال على حدة فهمه ووفور علمه.

وقال غيره:

إن ابن حنزابة بعد موت كافور وزر لأبي الفوارس أحمد بن علي الإخشيذ فقبض على جماعة من أرباب الدولة وصادر يعقوب ابن كلس وأخذ منه أربعة آلاف دينار فهرب إلى المغرب، وآل أمره إلى أن وزر لبني عبيد، ثم إن ابن حنزابة لم يقدر على رضى الإخشيذية فاختفى مرتين ونهبت داره، ثم قدم أمير الرملة أبو محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج وغلب على الأمور، فصادر الوزير ابن حنزابة وعذبه، فنزح إلى الشام سنة ثمان وخمسين ثم إنه بعد ذلك رجع إلى مصر.

قال الحسن بن أحمد بن صالح السبيعي:

[٩٠٥] قدم علينا الوزير أبو الفضل جعفر إلى حلب فتلقاه الناس فكنت فيهم فعرف أني محدث فقال لي: تعرف إسناداً فيه أربعة من الصحابة، كل واحد يروي عن صاحبه؟ قلت: نعم، وذكرت له حديث: السائب بن يزيد عن حويطب بن عبد العزى عن عبد الله بن السعدي عن عمر - رضي الله عنه - في العُمالة، فعرف لي ذلك وصار به لي عنده منزلة.

[٩٠٦] وكان الوزير يعقوب بن كلس قد زوج أبا العباس ابن الوزير أبي الفضل بن حنزابة بابنته، فدخل إليه يوماً فأكرمه وأجله وقال: يا أبا العباس يا سيدي: ما أنا بأجلَّ من أبيك ولا بأفضل، أتدري ما أقعد أباك خلف الناس؟ شَيْلُ أنفه بأبيه، يا أبا العباس، لا تشل أنفك بأبيك، أتدري ما الإقبال؟ نشاط وتواضع، وتدري ما الإدبار؟ كسل وترافع.

وكان ابن حنزابة يفطر وينام نومة ثم ينهض في الليل فيتوضأ ويدخل بيت مصلاه ويصف قدميه إلى الغداة(١).

[٩٠٧] وقال محمد بن طاهر المقدسي: سمعت أبا إسحاق الحبال يقول:

لما قصد هؤلاء مصر(٢) ونزلوا قريباً منها لم يبق أحد من الدولة العباسية إلا خرج لتلقيهم إلا الوزير ابن حنزابة، فدخل إليه مشايخ البلد وعاتبوه في فعله، وقالوا له: إنك تغري بدماء أهل السنة ويجعلون تأخرك عنهم سبباً للانتقام، فقال: الآن أخرج، فخرج للسلام فلما دخل عليه أكرمه وأجلَّه وأجلسه وفي قلبه شيء، وكان إلى جنبه ابنه وولي عهده

---

(١) إلى الفجر.

(٢) أي الفاطميون.

فغفل الوزير عن السلام عليه، فأراد أن يمتحنه بسبب يكون إلى الوقيعة به، فقال له:

حج الشيخ؟

فقال: نعم يا أمير المؤمنين.

قال: وزرت الشيخين؟

فقلت: شغلت بالنبي ﷺ عنهما كما شغلت بأمير المؤمنين عن ولي عهده: السلام عليك يا ولي عهد المسلمين ورحمة الله وبركاته، فأعجب من فطانته وتداركه فأغفل عنه، وعرض عليه الوزارة فامتنع فقال: إذا لم تَلِ لنا شغلاً فنحب ألا تخرج عن بلادنا فإنا لا نستغني عن أن يكون في دولتنا مثلك، فأقام بها.

[٩٠٨] وكان الوزير في أيامه ينفق على أهل الحرمين من الأشراف وغيرهم، إلى أن تم له أن اشترى داراً إلى جانب المسجد[١] من أقرب الدور إلى القبر، ليس بينه وبين القبر إلا حائط وطريق، وأوصى أن يدفن فيها، وقرر عند الأشراف ذلك فأجابوه، فلما مات حمل تابوته من مصر إلى الحرمين وخرج الأشراف من مكة لتلقيه والنيابة في حمله إلى أن حجوا به وطافوا به ووقفوا به بعرفة[٢]، ثم ردوه إلى المدينة ودفنوه في الدار التي اشتراها، وحضر جنازته القاضي الحسين بن علي بن النعمان وقائد القواد وسائر الأكابر، ودفن في مجلس بداره المعروفة بدار العامة.

---

(١) أي النبوي.

(٢) وهذا من أعجب ما سمعت به: حج وهو ميت !!

[٩٠٩] وقال المسجي: إنه لما غسل جعل في فيه ثلاث شعرات من شعر النبي ﷺ كان ابتاعها بمال عظيم، وكانت عنده في درج ذهب مخوَّمة الأطراف بالمسك، وأوصى بأن تجعل في فيه إن هو مات ففعل به ذلك.

[٩١٠] وقال الشريف محمد بن أسعد بن علي الجواني المعروف بابن النحوي:

كان الوزير يهوى النظر إلى الحشرات من الأفاعي والحيات والعقارب وأم أربعة وأربعين وما يجري هذا المجرى، وكان في داره التي تقابل دار الشنكاتي قاعة لطيفة مرخمة فيها سلل الحيات، ولها قيِّم وفرَّاش وحاو من الحواة مستخدمون برسم الحيات ونقل سلل الحيات وحطها، وكان كل حاو في مصر وأعمالها يصيد له ما يقدر عليه من الحيات، ويتباهون في ذوات العجب من أجناسها وفي الكبار وفي الغريبة منها، وكان يثيبهم على ذلك أجل ثواب ويبذل لهم الجزيل حتى يجتهدوا في تحصيلها، وكان له وقت يجلس فيه على دكة مرتفعة ويدخل المستخدمون والحواة فيخرجون ما في السلل ويطرحونه على ذلك الرخام ويحرشون بين الهوام، وهو يتعجب من ذلك ويستحسنه، فلما كان ذات يوم أنفذ إلى ابن المدبر الكاتب، وكان من كُتّاب أيامه ودولته وهو عزيز عنده ويسكن في جواره يقول له في رقعة: إنه لما كان البارحة وعرض الحواة الحشرات الجاري بها العادات انساب إلى داره[1] منها الحية وذات القرنين الكبرى، والعقربان الكبير وأبو صوفة وما حصلوا لنا بعد عناء ومشقة وجملة بذلناها للحواة، نحن نأمر الشيخ -وفقه الله- بالتوقيع إلى حاشيته وصبيته بصون ما وجد منها إلى أن ننفذ الحواة لأخذها وردها إلى سللها، فلما وقف ابن المدبر

---

(١) أي دار ابن المدبر.

عليها قلب الرقعة وكتب: أتاني أمر سيدنا الوزير -أدام الله نعمته وحرس مدته- بما أشار إليه من أمر الحشرات، والذي اعتمد عليه في ذلك أن الطلاق يلزمه ثلاثاً إن بات هو أو أحد من أولاده في الدار، والسلام[1].



الصادق

جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- هو المعروف بالصادق، الإمام العلم المدني.

[٩١١] وهو سبط القاسم بن محمد فإن أمه أم فروة ابنة القاسم، وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر؛ ولهذا كان يقول جعفر الصادق: ولدني الصديق مرتين.

مولده سنة ثمانين، والظاهر أنه رأى سهل بن سعد وغيره من الصحابة، وروى عن جده القاسم بن محمد.

قال الشيخ شمس الدين[2]:

ولم أر له عن جده زين العابدين شيئاً وقد أدركه وهو مراهق، وروى عن أبيه وعروة بن الزبير و عطاء ونافع والزهري وابن المنكدر، وله أيضاً عن عبيد الله بن أبي رافع، وحدث عنه أبو حنيفة وابن جريج وشعبة والسفيانان، ومالك ووهيب وحاتم بن إسماعيل ويحيى القطان، وخلق غيرهم كثيرون آخرهم وفاة أبو عاصم النبيل.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١١/ ١١٩- ١٢٢.

(٢) أي الذهبي.

[٩١٢] وثقه يحيى بن معين والشافعي وجماعة وقال أبو حاتم: ثقة لا يسأل عن مثله.

قال أبوحنيفة:

ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد، وكان يقول: سلوني قبل أن تفقدوني فإنه لا يحدثكم أحد بعدي بمثل حديثي.

[٩١٣] وروى علي بن الجعد عن زهير بن محمد قال: قال أبي لجعفر ابن محمد:

إن لي جاراً يزعم أنك تبرأ من أبي بكر و عمر!!

فقال: برئ الله من جارك، والله إني لأرجو أن ينفعني الله بقرابتي من أبي بكر، ولقد اشتكيت شكاية فأوصيت إلى خالي عبد الرحمن بن القاسم.

وله مناقب كثيرة، كان أهلاً للخلافة لسؤدده وعلمه وشرفه.

[٩١٤] وقد كذبت عليه الرافضة أشياء لم يُسمَع بها كمثل كتاب الجفر، وكتاب اختلاج الأعضاء، ونُسَخ موضوعة.

ومحاسنه جمة-تغمده الله برحمته- وروى له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائة، ودفن بالبقيع في قبر فيه أبوه محمد الباقر وجده علي زين العابدين، وعم جده الحسن بن علي بن أبي طالب- رضي الله عنه - فللَّه دره من قبر ما أكرمه وأشرفه.

ولقب بالصادق لصدقه في مقاله.

[٩١٥] وحكى كشاجم في كتاب المصايد والمطارد أن جعفراً الصادق سأل أبا حنيفة ﷺ فقال: ما تقول في محرم كسر رباعية ظبي؟

فقال: يا ابن رسول الله ما أعلم فيه شيئاً.

فقال له: أوَلا تعلم أن الظبي لا تكون له رباعية وهو ثني أبداً!!.

[٩١٦] وقال أبو جعفر المنصور لعمرو بن عبيد:

يا أبا عثمان ما عندك عن النبي ﷺ في اتخاذ الكلب؟

فقال عمرو: روي عن النبي ﷺ أنه قال: **«من اتخذ كلباً لغير حراسة زرع أو ماشية، نقص من أجره كل يوم قيراطان»**.

قال: ولم ذاك؟

قال: لا أدري، هكذا جاء الحديث، فأقبل أبو جعفر على أبي عبد الله جعفر الصادق فقال: يا أبا عبد الله ما عندك في هذا؟

فقال أبو عبد الله: يا أمير المؤمنين خذ العلم بحقه من معدنه؛ إنما ذلك لأنه ينبح على الضيف ويرد السائل، فقال أبو جعفر: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، رأيت البارحة فيما يرى النائم كأني دخلت مسجد رسول الله ﷺ ورجل جالس في ناحية المسجد عليه السكينة والوقار، والناس قد حفوا به يسألونه وهو يجيبهم، فسألته عن هذا السؤال فأجابني بهذا الجواب. فقلت من هذا؟ قالوا: أبوجعفر محمد بن علي[1].

[٩١٧] واستأذن أهل مكة والمدينة على المنصور و عنده أبو عبد الله فأذن لأهل مكة قبل أهل المدينة، فقال أبو عبد الله:

(١) هو الباقر والد الصادق.

أتأذن لأهل مكة قبل أهل المدينة؟

فقال المنصور: يا أبا عبد الله إن مكة العُشُّ.

قال: صدقت يا أمير المؤمنين إلا أنه عش طار خياره وبقي شراره.

فقال: صدقت والله وفقهت، وأمر برد أهل مكة وأن يقدم أهل المدينة، وقضى حوائجهم وأسنى جوائزهم، ثم أذن لأهل مكة.

[٩١٨] وقيل: إن الذباب وقع على المنصور فذبه عنه، فعاد فذبه حتى أضجره، فدخل جعفر بن محمد فقال له المنصور:

يا أبا عبد الله لم خلق الله الذباب؟

فقال: ليذل به الجبابرة.

[٩١٩] وقال جعفر الصادق:

لا تكون الصداقة إلا بحدودها فمن كان فيه شيء من هذه الخصال أو بعضها فانسبه إلى الصداقة، ثم حدها فقال:

أول حدودها: أن تكون سريرته وعلانيته لك سواء، والثانية: أن يرى شينك شينه وزينك زينه، والثالثة: لا يغيره مال ولا ولاية، والرابعة: لا يمنعك شيئاً تناله يده، والخامسة-وهي تجمع هذه الخصال- وهي: ألاَّ يسلمك عند النكبات.

[٩٢٠] وقال جعفر الصادق:

كان جدي علي بن حسين-رحمه الله- يقول: من خاف من سلطان ظلامة أو تغطرساً فليقل:

اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بكنفك الذي لا يرام، واغفر لي بقدرتك علي، ولا أهلكن وأنت رجائي، فكم من نعمة قد أنعمت بها علي قَلَّ لك عندها شكري، وكم بلية ابتليتني بها قل لك عندها صبري، فيا من قَلَّ عند نعمته شكري فلم يحرمني، ويا من قل عند بليته صبري فلم يخذلني، ويا من رآني على الخطايا فلم يفضحني، ويا ذا النعماء التي لا تحصى، ويا ذا الأيادي التي لا تنقضي، بك أستدفع مكروه ما أنا فيه، وأعوذ بك من شره يا أرحم الراحمين(١).



المتوكل على الله

جعفر بن محمد أبو الفضل المتوكل على الله، ابن المعتصم ابن الرشيد ابن المهدي ابن المنصور، بويع له بالخلافة بعد موت أخيه هارون الواثق بمشاورة في ذلك، سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وولد سنة سبع ومائتين، وقتل سنة سبع وأربعين ومائتين.

وكان أسمر مليح العين، نحيف الجسم، خفيف العارضين إلى القصر أقرب، وأمه أم ولد اسمها شجاع.

[٩٢١] ولما استخلف أظهر السنَّة وتكلم بها في مجلسه وكتب إلى الآفاق برفع المحنة وإظهار السنة، وبسط أهلها ونصرهم.

وأقام الحج للناس سنة سبع وعشرين قبل الخلافة.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١١/ ١٢٦- ١٢٩.

[٩٢٢] وقال إبراهيم بن محمد التيمي قاضي البصرة: الخلفاء ثلاثة: أبو بكر الصديق، قاتل أهل الردة حتى استجابوا، وعمر بن عبد العزيز: رد مظالم بني أمية، والمتوكل: محا البدع وأظهر السنة.

[٩٢٣] وقال محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب: إني جعلت دعائي في المشاهد كلها للمتوكل؛ وذلك أن صاحبنا-عمر بن عبد العزيز- جاء الله به يرد المظالم، وجاء الله بالمتوكل يرد الدين.

[٩٢٤] وقال يزيد المهلبي: قال لي المتوكل يوماً: يا مهلبي إن الخلفاء كانت تتعصب على الرعية لتطيعها، وأنا ألين لهم ليحبوني ويطيعوني.

[٩٢٥] وكان جواداً ممدحاً يقال: ما أعطى خليفة ما أعطى المتوكل، وبايع بولاية العهد لولده المنتصر، ثم أراد عزله وتولية أخيه المعتز لمحبته لأمه، وكان يحضر مجالس العامة ويحط منزلته ويتهدده ويشتمه؛ لأنه سأل النزول فأبى، واتفق أن الترك انحرفوا عن المتوكل؛ لأنه صادر وصيفاً وبغا فاتفقوا مع المنتصر على قتل أبيه، فدخلوا عليه في مجلس لهوه في الليل وقتلوه.

[٩٢٦] رآه بعضهم في النوم فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بقليل من السنة أحييتها.

[٩٢٧] ورؤي أيضاً كأنه بين يدي الله -تعالى- فقيل له: ما تصنع ههنا؟

قال: أنتظر محمداً ابني أخاصمه إلى الله الحليم الكريم العظيم.

[٩٢٨] وقيل: إنه كان له أربعة آلاف سُرِّية وطئ الجميع.

ولم يُعلَم أحد متقدم في هزل أو جد إلا حظي في دولته.

ودخل دمشق وعزم على المقام بها لأنها أعجبته، ونقل دواوين الملك إليها وأمر بالبناء بها ثم استوبل البلد؛ لأن الهواء بها بارد ندي والماء ثقيل والريح يهب فيها مع العصر فلا يزال يشتد حتى تمضي عامة الليل، وهي كثيرة البراغيث، وغلت عليه الأسعار، وحال الثلج بين السابلة والميرة فأقام بها شهرين وأياماً ثم رجع إلى سرَّ من رأى.

وكان قد بنى بأرض داريَّا قصراً عظيماً ووقعت من قلبه بالموافقة.

[٩٢٩] وقال يزيد بن المهلب يمدحه لما عزم على المقام بدمشق بأبيات منها: [من الوافر]:

أظن الشام تشمت بالعراق ... إذا عزم الإمام على انطلاق

فإن تدع العراق وساكنيها ... فقد تُمْنَى المليحة بالطلاق

[٩٣٠] وكان المتوكل قد أمر في سنة ست وثلاثين ومائتين بهدم قبر الحسين ﷺ وهدم ما حوله من الدور، وأن يعمل مزارع ومنع الناس من زيارته وحرث وبقي صحراء، وكان معروفاً بالنَصْب[1] فتألم المسلمون لذلك، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان، وهجاه الشعراء دِعْبل وغيره، وفي ذلك يقول يعقوب بن السكيت، وقيل: هي للبسَّامي علي بن أحمد، وقد بقي إلى بعد الثلاث مائة [من الكامل]:

بالله إن كانت أمية قد أتت ... قتل ابن بنت نبيها مظلوما

فلقد أتاه بنو أبيه بمثله ... هذا لعمرك قبره مهدوما

أسفوا على أن يكونوا شاركوا ... في قتله فتتبعوه رميما

---

(١) أي بغض علي ﷺ.

[٩٣١] ومن شعر المتوكل [من الطويل]:

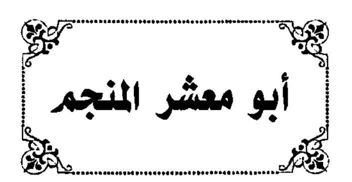
صبرت على ذل الهوى لمغاضب ... فزاد لذلي عزة وتجنبا

أقلب طرفي في الجميع فلا أرى ... نظيراً لمن أهوى وإن كان مذنبا

[٩٣٢] وأقبل مرة على ولده المنتصر فلم يقم له إلى أن قرب منه وكان قد ولاه العهد، فقال [من الطويل]:

هم سمنوا كلباً ليأكل بعضهم ... ولو أخذوا بالحزم ما سمنوا الكلبا

وشعر المتوكل كثير، وهو غير مرضي[١].



أبو معشر المنجم

جعفر بن محمد بن عمر البلخي، أبو معشر المنجم المشهور.

كان إمام وقته في فنه، وله التصانيف المفيدة في علم النجامة منها: كتاب المدخل، وكتاب الريح، والألوف، والمواليد، وغير ذلك.

[٩٣٣] وكانت له إصابات عجيبة، قال القاضي شمس الدين أحمد ابن خلكان -رحمه الله تعالى-:

رأيت في بعض المجاميع أنه كان متصلاً بخدمة بعض الملوك وأن ذلك الملك طلب رجلاً من أتباعه وأكابر دولته؛ ليعاقبه بسبب جريمة صدرت منه، وعلم أن أبا معشر يدل عليه بالطرائق التي يستخرج بها الخفايا والأشياء الكامنة، فأراد أن يعمل شيئاً لا يهتدي إليه ويبعد عن حدسه

(١) الوافي بالوفيات: ١١/ ١٢٩-١٣٢.

فأخذ طستاً وجعل فيه دماً وجعل في الدم هاوناً، وقعد على الهاون أياماً، وتطلَّب الملك ذلك الرجل وبالغ في الطلب، فلما عجز عنه أحضر أبا معشر وقال:

تعرفني موضعه بما جرت به عادتك، فعمل المسألة التي يستخرج بها الخبايا وسكت زماناً حائراً، فقال له الملك: ما سبب سكوتك وحيرتك؟

قال: أرى شيئاً عجيباً.

فقال: وما هو؟

قال: أرى الرجل المطلوب على جبل نحاس، والجبل في بحر دم، ولا أعلم في العالم موضعاً بهذه الصفة.

فقال له: أعد نظرك وغير المسألة وجدد أخذ الطالع ففعل، ثم قال: ما أراه إلا كما ذكرت، وهذا شيء ما وقع لي مثله، فلما يئس الملك من القدرة عليه بهذا الطريق نادى في البلاد بالأمان للرجل ولمن أخفاه، وأظهر من ذلك ما وثق به، فلما اطمأن الرجل خرج وحضر بين يدي الملك، فسأله عن الموضع الذي كان فيه فأخبره بما اعتمده، فأعجبه حسن احتياله في إخفاء نفسه ولطافة أبي معشر في استخراجه.

وله غير ذلك من الإصابات.

وذكر محمد بن إسحاق النديم أن أبا معشر كان من أولاد المحدثين وكان يضاغن الكندي ويغري به العامة ويشنع عليه بعلوم الفلاسفة، فدس عليه الكندي من حسن له النظر في علم الحساب والهندسة فدخل في ذلك فعدل -لما كمل له ذلك- إلى علم أحكام النجوم وانقطع شره عن الكندي.

ويقال: إنه تعلم النجوم بعد سبع وأربعين سنة من عمره.

[٩٣٤] وقال أبو أحمد، عبد الله بن عمر بن الحارث الحارثي: حدثني أبي قال:

كنت أحد من يعمل في خزائن السلاح للمهتدي، فكنت يوماً قائماً بحضرة الموفق في عسكره لقتال صاحب الزنج وبحضرته أبو معشر ومنجم آخر سماه أبي وأنسيته أنا فقال لهما:

خذا الطالع في شيء قد أضمرته منذ البارحة أسألكما عنه وأمتحنكما به فأخرجا ضميري، فأخذا الطالع وعملا زايرجه وقالا جميعاً: تسألنا عن حمل ليس لإنسي.

فقال: هو كذلك، فما هو؟

ففكرا جميعاً طويلاً وقالا: عن حمل بقرة.

قال: هو كذلك، فما تلد؟

قالا جميعاً: ثور.

قال: فما شينه؟

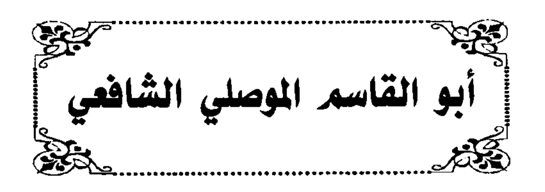
قال أبو معشر: أسود في جبهته بياض، وقال الآخر: بل رأس ذنبه أبيض وله غرة، فقال الموفق: ترون ما أجسر هؤلاء، أحضروا البقرة فأحضرت فقال: اذبحوها فذبحت وشق بطنها فأخرج منها ثور صغير أسود، أبيض طرف الذنب وقد التف ذنبه فصار على وجهه، فعجب الموفق ومن حضره من ذلك عجباً شديداً وأسنى جائزتهما.

[٩٣٥] وقال أيضا حدثني أبي قال:

كنت أيضاً بحضرة الموفق فأحضر أبا معشر المنجم وهذا المنجم الآخر، وقال لهما: معي خبر فما هو؟

فقال أحدهما -بعد أن أخذ الطالع وعمل الزايرجه وفكر طويلاً- هو في شيء من الفاكهة، وقال أبو معشر: هو في شيء من الحيوان، فقال الموفق للأخير: أحسنت، وقال لأبي معشر: أخطأت ورمى من يده تفاحة وأبو معشر قائم، فتحير وعاود النظر في الزايرجه ساعة ثم عدا يسعى نحو التفاحة حتى أخذها وكسرها، ثم قال: الله أكبر وقدمها إلى الموفق فإذا هي تنفش بالدود، فهال الموفق ما رآه من إصابته وأمر له بجائزة عظيمة.

توفي في شهر رمضان سنة اثنتين وسبعين ومائتين وقد جاوز المائة[1].



أبو القاسم الموصلي الشافعي

جعفر بن محمد بن حمدان، أبو القاسم الفقيه الشافعي الموصلي.

كان مضطلعاً بعلوم كثيرة من الفقه والأصول والحكمة والهندسة والأدب والشعر، وله مصنفات كثيرة في جميع ذلك.

دخل بغداد ومدح المعتضد والوزير القاسم بن عبيد الله، وكان صديقاً لكل وزراء عصره مداحاً لهم آنساً بهم وبالمبرد وثعلب وأمثالهما من علماء الوقت.

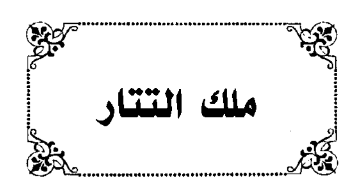
---

(١) الوافي بالوفيات: ١١/ ١٣٣-١٣٥.

[٩٣٦] وكانت له في بلده دار علم قد جعل فيها خزانة فيها من جميع العلوم وقفاً على كل طالب علم، لا يمنع أحد من دخولها إذا جاءها أو إن كان معسراً أعطاه ورقاً، يفتحها كل يوم ويجلس فيها إذا عاد من ركوبه ويجتمع إليه الناس فيملي عليهم من شعره وشعر غيره ومصنفاته مثل الباهر وغيره من المصنفات الحسان، ثم يملي من حفظه من الحكايات المستطابة وشيئاً من النوادر المؤلفة وطرفاً من الفقه وما يتعلق به.

ولد سنة أربعين وتوفي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة.

[٩٣٧] وكان جماعة من أهل الموصل حسدوه على محله وجاهه عند الخلفاء والوزراء والعلماء، وكان قد جحد بعض أولاده وزعم أنه ليس منه، فعاندوه بسببه وجهدوا أن يلحقوه به فما تم لهم، فاجتمعوا وكتبوا فيه محضراً وأشهدوا فيه عليه بكل قبيحة وعظيمة، ونفوه من الموصل فانحدر هارباً إلى بغداد، ومدح المعتضد بقصيدة يشكو فيها ما ناله، ويصف ما يحسن من العلوم ويستشهد بثعلب والمبرد وغيرهما، وهي مائة وخمسون بيتاً فيها بعد المدح ما يحسنه من العلوم الدينية والأدبية وتبجح بمعرفته إقليدس وأشكاله وزيادات زادها في أعماله[١].



ملك التتار

[٩٣٨] جنكز خان طاغية التتار وملكهم الأول، الذي ضرب البلاد وقتل العباد، ولم يكن للتتار قبله ذكر، إنما كانوا ببادية الصين فملّكوه

(١) الوافي بالوفيات: ١١/ ١٣٨، ١٣٩.

عليهم وأطاعوه طاعة أصحاب نبي لنبيهم، بل طاعة العبَّاد المخلصين لرب العالمين.

وكان مبدأ ملكه سنة تسع وتسعين وخمسمائة، واستولى على بخارى وسمرقند سنة ست عشرة، واستولى على مدن خراسان سنة ثمان عشرة وآخر سنة سبع عشرة، ولما رجع من حرب السلطان جلال الدين خوارزم شاه على نهر السند وصل إلى مدينة تنكت من بلاد الخطا، فمرض بها ومات في رابع شهر رمضان سنة أربع وعشرين وستمائة فكانت أيامه خمساً وعشرين سنة، وكان اسمه قبل أن يلي الملك تمرجين، ومات على دينهم وكفرهم.

وخلف من الأولاد الذين يصلحون للسلطنة ستة، وفوض الأمر إلى أوكتاي أحدهم بعدما استشار الخمسة الباقين في ذلك، فلما هلك امتنع أوكتاي من الملك وقال: في إخوتي وأعمامي من هم أكبر مني، فلم يزالوا به نحو أربعين يوماً حتى تملك على الملوك ولقبوه: القائد الأعظم ومعناه: الخليفة فيما قيل، وبث جيوشه وفتح الفتوحات وطالت أيامه، وولي بعده الأمر مونكوكا، وهو القائد الذي كان هولاكو من جملة مقدميه ونوابه على خراسان.

وولي بعد مونكوكا أخوه قبلاي، وطالت أيام قبلاي وبقي في الأمر نيفاً وأربعين سنة كأخيه، وعاش إلى سنة أربع وسبعمائة ومات بمدينة خان بالق.

يقال إنه لما كان السلطان خوارزم شاه يصد هؤلاء التتار ويغزوهم ويقتلهم ويسبي ذراريهم وأولادهم، ويمنعهم من الخروج عن حدود بلادهم، اجتمع التتار وشكوا حالهم وما هم فيه من الضيق والبلاء مع

خوارزم شاه، فقال لهم جنكز خان: إن ملكتموني عليكم والتزمتم لي بالطاعة واتباع اليسق الذي أصنعه لكم شرعة ومنهاجاً تتبعونه وتلتزمون بالعمل به أبد الدهر رددت خوارزم شاه عنكم، فالتزموا له بذلك.

فكان مما وضعه لهم أن قال: كل من أحب امرأة بنتاً كانت أو غيرها لا يمنع من التزوج ولو كان زبالاً والمرأة بنت ملك، وكان غرضه بذلك أن يتناكحوا بشهوة شديدة ليتضاعف التناسل بينهم ويتضاعف عددهم، فلما تقرر ذلك دخلوا على خوارزم شاه وعقدوا مهادنته عشرين سنة فما جاءت العشرون سنة إلا وهم أمم لا يحصون ولا يحصرون.

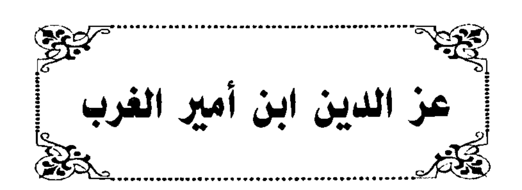
[٩٣٩] وكان مما قرره أنه من رعف وهو يأكل قتل كائناً من كان، وقرر لهم أن كل من لم يمض حكم اليسق ولم يعمل به قتل أيضاً، فأراد أن يذهب الكبار الذين فيهم لعلمه أنهم يداخلهم الحسد له ويستصغرونه، فتركهم يوماً وهم على سماطه ورعف نفسه فلم يجسر أحد أن يمضي فيه حكم اليسق لمهابته وجبروته فتركوه ولم يطالبوه بما قرره وهابوه في ذلك، فتركهم أياماً وجمع مقدميهم وأمراءهم، وقال: لأي شيء ما أمضيتم حكم اليسق في، وقد رعفت وأنا آكل بينكم؟

قالوا: لم نجسر على ذلك.

فقال: لم تعملوا باليسق ولا أمضيتم أمره، وقد وجب قتلكم فقتلهم أجمعين، واستراح من أولئك الأكابر.

والترك يزعمون أنه ولد الشمس؛ لأن لهم في صحاريهم أماكن فيها غاب، فمن أراد من نسائهم إعتاق فرجها تروح إلى ذلك الغاب فيه، وذلك الغاب لا يقربه أحد من ذكرانهم، وأن أمه أعتقت فرجها وراحت إلى ذلك الغاب، وغابت فيه مدة وأتتهم به وقالت: هذا من الشمس؛ لأن

الشمس دخلت في فرجي في بعض الأيام وأنا أغتسل فحبلت بهذا، ويقال إنه كان حداداً[1].



عز الدين ابن أمير الغرب

جواد بن سليمان بن غالب، وينتهي نسبه إلى النعمان بن المنذر.

[٩٤٠] مِن أتقن الناس للصنائع، برع في جميع ما يعمله بيده من الكتابة المنوعة المنسوبة التي هي غاية إلى الصياغة والنجارة الدقّ والتطعيم والخياطة والتطريز والبيطرة والحدادة ونقش الفولاذ.

ومد قوساً بين يدي الأمير سيف الدين تنكز-رحمه الله تعالى- زنته مائة و ثلاثة وعشرون رطلاً بالدمشقي، وكتب مصحفاً مضبوطاً مشكولاً يقرأ في الليل وزن ورقه سبعة دراهم وربع، وجلده خمسة دراهم، وكتب آية الكرسي على أرزة.

وأما عمل الخواتم وإتقان عملها وما في تحريرها، وإجراء المينناء عليها وطلاها فأمرٌ باهر معجز لا يلحقه فيه أحد، ولا رأيت مثل أعماله وإتقانها.

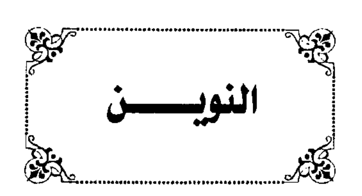
وحفظ القرآن الكريم، وشدا طرفاً من الفقه والعربية، ولعب بالرمح ورمي النشاب وجوده، وعلى الجملة، فلم أر من أتقن الكتابة، ولا من أتقن الصنائع التي يعملها بيده؛ لأنها غاية في التحرير ونهاية في الإتقان.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١١/ ١٩٧- ١٩٩.

ومولده في خامس المحرم سنة خمس وسبعمائة.

وفيه مع هذا كله كرم وسيادة[1].



النويـــــن

[٩٤١] جوبان النوين، الكبير، نائب المملكة المغلية.

كان بطلاً شجاعاً مهيباً شديد الوطأة، كبير الشأن، كثير الأموال، عالي الهمة، صحيح الإسلام ذا حظ من صلاة وبر، بذل الذهب الكثير حتى أوصل الماء إلى مكة وجرى بها، ولم يبق للماء ثمن يباع به وإنما الثمن لأجرة نقله لا غير، وأنشأ مدرسة مليحة بالمدينة النبوية وتربة ليدفن بها، وكان له ميل كثير إلى الإسلام وهو أحد الأسباب الكبار في تقرير الصلح بين السلطان بو سعيد مخدومه والسلطان الملك الناصر.

أخبرني جماعة من أهل رحبة مالك بن طوق أنه لما نزل خَرَبَنْدا[2] عليها ونصب المجانيق رمى حجراً تعتع القلعة وشق منها برجاً، ولو رمى غيره هدمها، وكان الجوبان يطوف على العساكر وشاهد المحاصرين، فلما رأى ذلك أحضر المنجنيقي وقال له:

تريد أن أقطع يدك الساعة، وسبه وذمه بانزعاج وحنق، وقال:

والك في شهر رمضان نحاصر المسلمين ونرميهم بحجارة المنجانيق؟ لو أراد القائد أن يقول لهؤلاء المغل الذين معه: ارموا على هذه القلعة مخلاة

---

(١) الوافي بالوفيات: ١١/ ٢١٣، ٢١٤.

(٢) اسمه : خُدَا بندا، والعامة تسميه خرابندا.

تراب كل واحد كانوا طموها، وإنما هو يريد أن يأخذها بالأمن من غير سفك دم، والله متى عدت رميت حجراً آخر سمَّرتك على سهم المنجنيق.

وحكى لي منهم عنه غير واحد أنه كان ينزع النصل من النشاب ويكتب عليه: إياكم تذعنوا أو تسلموا وطولوا روحكم؛ فهؤلاء ما لهم ما يأكلونه، وكان يحذرنا هكذا بعدة سهام كان يرميها إلى القلعة، واجتمع بالوزير وقال له:

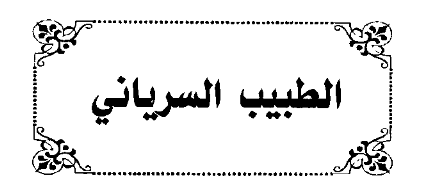
هذا القان ما يبالي ولا يقع عليه عتب، وفي غد وبعده إذا تحدث الناس أيش يقولون: نزل خربندا على الرحبة وقاتل أهلها وسفك دماءهم وهدمها في شهر رمضان!! فيقول الناس: فما كان له نائب مسلم ولا وزير مسلم، وقرر معه أن يحدثا القان خربندا في ذلك ويحسِّنا له الرحيل عن الرحبة، فدخلا إليه وقالا له: المصلحة أن تطلب كبار هؤلاء وقاضيهم ويطلبوا منك الأمان ونخلع عليهم ونرحل بحرمتنا؛ وما للمغل ما تأكل خيلهم، وإنما هم يأخذون قشور الشجر ينحتونها ويطعمونها خيلهم، وهؤلاء مسلمون وهذا شهر رمضان وأنت مسلم وتسمع قراءتهم القرآن وضجيج الأطفال والنساء في الليل، فوافقهم على ذلك.

وطلبوا القاضي وأربعة أنفس، وحضروا قدام خربندا وخلعوا عليهم وأعادوهم وباتوا، فما أصبح للمغل أثر وتركوا المنجانيق وأثقالها رصاصاً، والطعام والعجين وغيره لم يصبح له أثر، هذه الحركة تكفيه عند الله تعالى، حقن دماء المسلمين ورفع الأذى عنهم.

لكنه أباد عدداً كثيراً من المغل، وأخذ من الرشيد الوزير ألف ألف دينار، وكان ابنه دمشق قائد عشرة آلاف فزالت سعادتهم، وتنمر لهم

بوسعيد وقتل دمشق خواجا ولده وهرب أبوه إلى والي هراة لائذاً به، فآواه وأطلعه إلى القلعة، ثم قتله.

ونقل تابوت جوبان إلى المدينة النبوية؛ لأن ابنته بغداد جهزته مع الركب ليدفن في تربته فما تم له ذلك، وبلغ الخبر السلطان الملك الناصر فجهز الهُجُن إلى المدينة وأمرهم ألاَّ يمكن من الدفن في تربته فدفن تابوته في البقيع، وكانت قتلته في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، وكان من أبناء الستين لأنه لما قدم دمشق مع قازان كان من أكبر قواده -رحمه الله تعالى- وخلف من الأولاد: تمرتاش، ودمشق ملك، وصرغان شيرا، ويغبصطي وسلجوكشاه، والملك الأشرف والملك الأشتر[١].



الطبيب السرياني

جورجيس بن جبريل الطبيب السرياني.

قال الشيخ شمس الدين[٢]:

فارسي - وليس به - كانت له خبرة بالعلاج وخدم المنصور، وكان سبب اتصاله أن المنصور فسدت معدته فتقدم إلى الربيع أن يجمع الأطباء ويسألهم عن رجل فاضل حيث كان، فقالوا: ليس في وقتنا مثل جورجيس

(١) الوافي بالوفيات: ١١/ ٢٢٠- ٢٢٢.

(٢) أي الإمام الذهبي رحمه الله تعالى.

رئيس جندي سابور، فطلبه فلما وصل قال له ما به فخفف غذاءه ولطف تدبيره فعاد إلى ما كان عليه، وطلب إحضار ابنه منه فقال:

إنه سد مكاني لكن لي تلاميذ، فأحضر عيسى بن سهلا فسأله المنصور عن أشياء فأجاب، فقال لجورجيس: ما أحسن ما وصفت هذا التلميذ.

[٩٤٢] ثم إن المنصور سير إلى جورجيس جواري يتسرى بهن فردهن، فسأله عن ذلك فقال: النصارى لا يتزوجون أكثر من واحدة، وإذا كانت في الحياة لا يتخذون غيرها، فحسن موقعه من المنصور وأدخله على نسائه وحرمه.

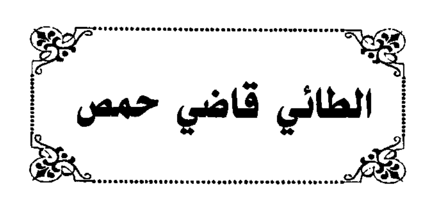
فلما كبرت سنه طلب دستوراً فأعطاه.

[٩٤٣] وتمكن ابن سهلا ووضع يده على الأساقفة وأخذ أموالهم وكتب إلى مطران نصيبين يستدعي منه أشياء من آلات البيعة ويتهدده ويقول له: ألست تعلم أن أمر الملك بيدي، إن شئت أمرضته وإن شئت عافيته، فاحتال المطران في إيصال الكتاب إلى الربيع، فأوقف المنصور عليه فأمر بنفيه، وطلب بختيشوع بن جورجيس فلم يزل عند الخلفاء إلى أيام هارون الرشيد.

ولما عاد جورجيس إلى بلاده أعطاه المنصور عشرة آلاف دينار، وكانت وفاته في حدود الستين والمائة(١).

---

(١) الوافي بالوفيات: ١١/ ٢٢٢، ٢٢٣.



الطائي قاضي حمص

حابس بن سعد الطائي، ولي قضاء حمص زمن عمر بن الخطاب ﷺ وقتل يوم صفين سنة سبع وثلاثين للهجرة مع معاوية.

[٩٤٤] وهو صحابي دعاه عمر ﷺ فقال له: إني أريد أوليك قضاء حمص، فكيف أنت صانع؟

قال: أجتهد رأيي وأشاور جلسائي.

فقال: انطلق فلم يمض إلا يسيراً حتى رجع فقال: يا أمير المؤمنين إني رأيت رؤيا أحببت أن أقصها عليك، قال: هاتها، قال: رأيت كأن الشمس أقبلت من المشرق ومعها جمع عظيم، وكأن القمر أقبل من المغرب ومعه جمع عظيم، فقال له عمر: مع أيهما كنت؟ قال: مع القمر، فقال عمر ﷺ: كنت مع الآية الممحوة لا والله لا تلي لي عملاً أبداً ورده.

شهد صفين مع معاوية، وكانت معه راية طيء فقتل، وهو خَتَن[١] عدي بن حاتم الطائي، وخال ابنه زيد بن عدي، وقتل زيد قاتله غدراً فأقسم أبوه عدي ليدفعنه إلى أوليائه فهرب إلى معاوية[٢].

---

(١) الختن: زوج الأخت.

(٢) الوافي بالوفيات: ١١/ ٢٣٢، ٢٣٣.



الطبيب

[٩٤٥] الحارث بن كَلَدَة الثقفي الطبيب، مولى أبي بكرة.

له ذكر في كتب الطب، وقد أورده ابن مندة وغيره في أسماء الصحابة: وقال ابن عبد البر عند ذكر ابنه الحارث بن حارث بن كلدة الصحابي، وأما أبوه الحارث بن كلدة فمات في أول الإسلام ولم يصح إسلامه، وذكر أن النبي ﷺ لما أمر سعد بن أبي وقاص أن يأتي الحارث بن كلدة فيستوصفه كان الحارث كافراً، وأن ذلك دليل على جواز الأخذ بصفة أهل الكفر إذا كانوا من أهل الطب.

وتوفي في حدود الستين للهجرة[١].

قال ابن أبي أصيبعة في تاريخ الأطباء:

كان من الطائف، وسافر إلى البلاد وتعلم الطب، وبقي أيام رسول الله ﷺ وأيام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب ومعاوية- رضي الله عنهم -[٢]، ولما عاد رسول الله ﷺ سعد بن أبي وقاص قال: ادعو له الحارث؛ فإنه رجل يطب فلما عاده الحارث قال: ليس عليه بأس، اتخذوا له فريقة[٣] بشيء من تمر عجوة يطحنان فتحسَّاها فحصل له البرء.

[٩٤٦] ولما وفد على كسرى قال: ما صناعتك؟ قال: الطب.

---

(١) أي الابن.

(٢) وهذا هو ابن الحارث أما الحارث فقديم الموت.

(٣) الفريقة: هي الحلبة مع التمر، وانظر ((زاد المعاد)): ٤/ ٢٠٣.

قال: فما تصنع العرب بالطبيب مع جهلها وسوء أغذيتها؟

فقال: أيها الملك: إذا كانت هذه صفتها كانت أحوج إلى من يصلح جهلها ويسوس أبدانها؛ فإن العاقل يعرف ذلك من نفسه، ويحترز من الأدواء بحسن سياسته.

قال: فما تحمد من أخلاق العرب؟

قال: أنفس سخية، وقلوب جرية، ولغة فصيحة، وأنساب صحيحة. فأمره بالجلوس فجلس وقال: ما الداء؟

قال: إدخال طعام على طعام.

قال: ما تقول في الشراب؟

قال: أطيبه أهنؤه، وأرقه أمرؤه، لا تشربه صرفاً فيورثك صداعاً ويثير عليك من الأدواء أنواعاً.

قال: فما تقول في الفواكه؟

قال: كُلْها في إقبالها واتركها إذا أدبرت.

قال: ففي أي الأوقات الإتيان أفضل؟

قال: عند إدبار الليل.

قال: ولِمَ؟

قال: يكون الجوف أخلى، والنفس أهدا، والقلب أشهى، والحِر[1] أدفا.

---

(١) أي الفرج.

فقال له كسرى: لله درك من أعرابي لقد أُعطيت علماً وأحسنت وصفاً وفهماً، وأمر بتدوين ما نطق به(١).

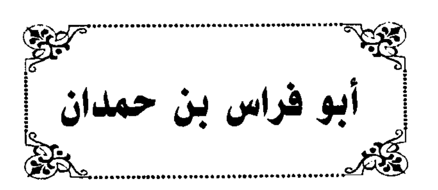


الحارث بن يعقوب، مصري نبيل القدر.

[٩٤٧] كان من العباد، إذا انصرف من العشاء الآخرة دخل بيته فيصلي ركعتين ويجاء بعشائه فيقول: أصلي ركعتين فلا يزال يصلي ركعتين حتى يصبح فيكون عشاؤه سحوره.

وتوفي سنة ثلاثين ومائة.

وروى له مسلم والترمذي والنسائي(٢).



الحارث بن أبي العلاء، سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني، الأمير أبو فراس ابن عم ناصر الدولة وسيف الدولة.

قال الثعالبي:

(١) الوافي بالوفيات: ١١/ ٣٤٥- ٣٤٧.

(٢) الوافي بالوفيات: ١١/ ٢٥٩.

كان فرد دهره وشمس عصره أدباً وفضلاً وكرماً ومجداً، وبلاغة وبراعة، وفروسية وشجاعة، وشعره مشهور سيار بين الحسن والجودة، والسهولة والجزالة، والعذوبة والفخامة والحلاوة، ومعه رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك، ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا في شعر عبد الله بن المعتز، وأبو فراس يعد أشعر منه عند أهل الصنعة بنقد الكلام، وكان الصاحب بن عباد يقول: بدئ الشعر بملك وختم بملك، يعني امرأ القيس وأبا فراس.

وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز، ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته ولا يجترئ على مجاراته، وإنما لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيباً له وإجلالاً له لا إغفالاً ولا إخلالاً.

وكان سيف الدولة يعجب جدّاً بمحاسن أبي فراس ويميزه بالإكرام على سائر قومه، ويستصحبه في غزواته، ويستخلفه في أعماله.

وكانت الروم قد أسرته في بعض وقائعها، وهو جريح قد أصابه نصل في فخذه ونقلته إلى خرشنة، ثم منها إلى القسطنطينية في سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة، وفداه سيف الدولة سنة خمس وخمسين.

قال القاضي أحمد بن خلكان -رحمه الله تعالى-:

هكذا قال أبو الحسن علي بن الزراد الديلمي، وقد نسبوه في ذلك إلى الغلط وقالوا: أسر أبو فراس مرتين فالمرة الأولى بمغارة الكحل سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة، وما تعدَّو به خرشنة، يقال إنه ركب فرسه وركضه برجله فأهوى به من أعلى الحصن إلى الفرات، والمرة الثانية أسرته الروم على منبج في شوال سنة إحدى وخمسين، وحملوه إلى القسطنطينية وأقام في الأسر أربع سنين، وله في أسره أشعار كثيرة مثبتة

في ديوانه، وكانت منبج إقطاعه.

وقال ثابت بن سنان الصابي في تاريخه:

في يوم السبت لليلتين خلتا من جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة جرت حرب بين أبي فراس -وكان مقيماً بحمص- وبين أبي المعالي ابن سيف الدولة، واستظهر عليه أبو المعالي فقتله في الحرب وأخذ رأسه وبقيت جثته مطروحة في البرية إلى أن جاء بعض الأعراب وكفنه ودفنه.

وقال غيره: كان أبو فراس خال أبي المعالي، فلما بلغت وفاته أم أبي المعالي لطمت وجهها وقلعت عينها.

وكان مولده سنة عشرين وثلاثمائة فعاش سبعاً وثلاثين سنة.

[٩٤٨] وقال ابن خلكان: رأيت في ديوانه أنه لما حضرته الوفاة كان ينشد ابنته مخاطباً لها [من مجزوء الكامل]:

نوحي علي بحسرة ... من خلف سترك والحجاب

قولي إذا كلمتني ... فعييت عن رد الجواب

زين الشباب أبو فرا ... س لم يمتع بالشباب

وهذا يدل على أنه لم يقتل أو يكون قد جرح، وتأخر موته ثم مات من الجراحة.

[٩٤٩] ومن شعره [من الكامل]:

المرء نصب مصائب لا تنقضي ... حتى يوارَى جسمه في رمسه[1]

---

(١) الرمس :القبر.

فمؤجلٌ يلقَى الردى في غيره ... ومعجل يلقى الردى في نفسه

[٩٥٠] ومنه [من الطويل]:

مرام الهوى صعب وسهل الهوى وَعْر ... وأوعر ما حاولته الحب والصبر

أواعدتي بالوصل والموت دونه ... إذا مت ظمآناً فلا نزل القطر

بدوت وأهلي حاضرون لأنني ... أرى أن داراً لست من أهلها قَفْر

وما حاجتي في المال أبغي وفوره ... إذا لم يَفِرْ عِرض فلا وَفِرَ الوَفْرُ

هو الموت فاختر ما علا لك ذكره ... فلم يمت الإنسان ما حيي الذكر

أو قال أصيحابي الفرار أو الردى ... فقلت هما أمران أحلاهما مر

سيذكرني قومي إذا جد جدهمُ ... وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

ولو سد غيري ما سددت اكتفوا به ... وما كان يغلو التبر لو نفق الصُفْر[1]

ونحن أناس لا توسُّط عندنا ... لنا الصدر دون العالمين أو القبر

تهون علينا في المعالي نفوسنا ... ومن طلب الحسناء لم يغلها مهر

[٩٥١] ومنه [من الكامل]:

وقد كنتَ عدتي التي أسطو بها ... ويدي إذا اشتد الزمان وساعدي

فرُمِيت منك بغير ما أملته ... والمرء يشرق بالزلال البارد

[٩٥٢] ومنه [من مجزوء الكامل]:

لا تطلبن دنو دا ... ر من خليل أو معاشر

أبقى لأسباب المود ... دة أن تُزار ولا تجاور

---

(١) نفق: راج.

[٩٥٣] ومنه [من الوافر]:

أما من أعجب الأشياء علج يعرفني الحلال من الحرام
بنو الدنيا إذا ماتوا سواء ولو عمر المعمر ألف عام [(١)]



وزير المقتدر

حامد بن العباس بن الفضل، أبو محمد وزير المقتدر.

لم يزل يتقلد الأعمال الجليلة ويتصرف مع العمال، وضمن الخراج والضياع، ولم يزل على ذلك سنين في وزارة ابن الفرات الثانية ويحسن إلى أهل هذه النواحي ويرفع المؤن عنهم، وصار لهم كالأب.

[٩٥٤] وربح أموالاً جليلة إلى الغاية حتى أمر أن يعمل له حجرة وجعل مستراحاً[(٢)] بها، وكان يتقدم إلى وكيله أن يبتاع له الدنانير ويجيء إليه بها، فكلما حصل كيساً أخذه تحت ثيابه وقام كأنه يبول فيدخل إلى المستراح فيلقي فيه الكيس ويخرج من غير أن يصب فيه ماء ولا يبول، ويوهم الفراش من أنه قد فعل ذلك، فإذا خرج أقفل المستراح ولم يدخله غيره على رسم مستراحات السراة التي هم يختصون بها، فإذا أراد الدخول فتحه الخادم، وذلك الخادم أيضاً لا يعلم السر في ذلك، فلما تكامل فيه أربعمائة ألف دينار قال: هذا المستراح ضيق قبيح البناء سدوه، فسد وعطل المستراح.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١١/ ٢٦١- ٢٦٥.

(٢) أي بيت الخلاء.

[٩٥٥] وكان حامد يجيز من يمدحه ويثيب من يقصده، وكثرت صدقاته وصِلاته ورواتبه على الناس حتى أنه اجتاز بواسط رجل من أهل الكرخ وأمر غلامه أن يشتري له خبزاً بدينار ويتصدق به فأبطأ الغلام عليه إلى أن تعالى النهار، ثم جاء فقال له: ما حبسك؟

قال: ابتعت الخبز وجلست عند الخباز أراعي من يجتاز من أهل المسكنة لأفرقه عليهم فلم أر أحداً، فلما أطلت قال لي الخباز: ما بالك؟

قلت: أريد أن أفرق هذا الخبز على المساكين.

فقال الخباز: إنك لا تجد أحداً يأخذه منك؛ لأن جميع من في البلد من الضعفاء في جراية حامد بن العباس، ولكل واحد منهم في اليوم رطلا خبزٍ حُوَّارى(١) ودانق فضة، وقد منعهم من قبول صدقة غيره فهم لا يدعون راتبهم الحوارى ويأخذون رطلي خشكار بحبتين(٢).

[٩٥٦] وكان حامد بن العباس يقدم على موائده في كل يوم بعدد من يحضر الموائد، جدياً لكل واحد يوضع بين يديه ولا يشاركه فيه غيره، فحضر يوماً رجلٌ فلما رأى ذلك هاله وقال:

أيها الوزير أنت أحدثت في الطعام من الكرم كل شيء حسن، وأحسنه أمراً هذا الجدي وهو أمر لم تسبق إليه، فكيف وقع لك ذلك؟

فقال: كنت مرة في دعوة، قبل علو حالي فقدم على المائدة جدي، وكان في فمي لقمة أنا مشغول بها فلمحت موضعاً من الجدي استطيبته

---

(١) وهو ما ندعوه اليوم بالشامي، وهو الذي نُخل دقيقه فصار أبيض.

(٢) الخشكار هو الدقيق الذي لم يُنخل، والدانق سدس الدرهم، والحبتان: مفردها حبة، والحبة سدس ثمن الدرهم، انظر ((لسان العرب)):م ك ك .

وعملت على أن أمد يدي إليه، فأخذه من كان إلى جانبي وأكله فنغص علي طعامي، فاعتقدت في الحال: إن الله وسع علي ومكنني أن أجعل على مائدتي لكل من حضرها جدياً يخص كل واحد لا يشاركه فيه غيره؛ ليأكل ما أحب من الجدي.

[٩٥٧] ولما قبض المقتدر على أبي الحسن ابن الفرات في وزارته الثانية في جمادى الأولى سنة ست وثلاثمائة، طلب المقتدر حامد بن العباس وخرج الناس لتلقيه، فدخل بغداد وخلع عليه للوزارة وتوجه إلى دار ابن الفرات ونزلها وأمر ونهى، فتوجهت أم موسى القهرمانة ونصر الحاجب وشفيع المقتدري وابن الحواري إلى أبي الحسن علي بن عيسى بن الجراح وقالوا له:

إن أمير المؤمنين ولى حامد بن العباس الوزارة وإنه ضعيف عن أمرها فاخرج أنت فتقلدها.

قال: لا أفعل.

قالوا: فعاونه ودع الاسم يكن له والأمر كله لك فأبى، فعرفوا الصورة المقتدر، فأمر بإجباره على ذلك.

فجاء علي بن عيسى فجلس بين يدي حامد فرفعه و جذبه حتى التصق معه فساره في مطالبة ابن الفرات بالأموال، فقال له علي بن عيسى: أما الأعمال كلها فأعملها للوزير وأكفيه أمرها، وأما مطالبة هؤلاء فالوزير أولى بها وأقدر عليها. فكتب له حامد كتاباً قلده فيه دواوين الخراج والضياع العامة والخاصة والمحدثة والمقبوضة عن ابن الفرات والأصول والأزمة كلها، وكان مع حامد لما وصل بغداد أربعمائة غلام يحملون السلاح، وتصرف علي بن عيسى تصرف الوزراء واشتغل

حامد بن العباس بمطالبة ابن الفرات ووقعت بينه وبين علي بن عيسى المشاجرات والمناظرات في الأموال فقال بعض الشعراء: [من مخلع البسيط]:

أعجب من كل ما تراه أن وزيرين في بلاد
هذا سواد بلا وزير وذا وزير بلا سواد[1]
فما رأينا كذين مثلاً ولا تراه إلى التناد

[٩٥٨] واستخرج حامد بن العباس من ابن الفرات ألف ألف دينار وعذبه بأنواع العذاب، ولما فرغ من المصادرة بقي بلا عمل إلا اسم الوزارة والركوب يومي الموكب بسواد، وسقطت حرمته عند المقتدر وبان عجزه فأفرد علي بن عيسى بالأمور كلها وبطل حامد بن العباس لا يأمر في شيء ولا ينهى، فاستأذن حامد المقتدر في ضمان السواد[2] وأصبهان وبعض نواحي المغرب بمال عقده على نفسه ونجمه فأمضاه المقتدر وتوجه حامد إلى نواحي ضمانه وأقام بواسط فقال بعض الشعراء: [من الرجز]:

انظر إلى الدهر ففي عجائبه معتبر ينسيك عن نوائبه
ويؤيس العاقل من رغائبه حتى تراه حذراً من جانبه
متوحشاً من إلفه وصاحبه صار الوزير عاملاً لكاتبه
يأمل أن يرفق في مكاسبه ليستدر النفع من مطالبه

[٩٥٩] ولم يزل الحال كذلك أربع سنين وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوماً إلى أن تولى ابن الفرات الوزارة الثالثة، وأحضر حامد بن

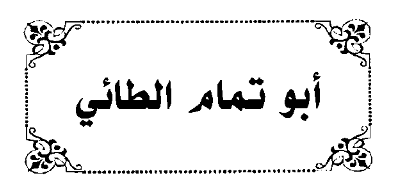
---

(١) السواد هنا المقصود به الملابس السوداء -شعار بني العباس- التي يلبسها الوزير.

(٢) السواد - هنا- ريف العراق وقيل الكوفة خاصة.

العباس إلى بغداد وتسلمه وقبض عليه، فأخذ منه أموالاً عظيمة إلى الغاية ثم سلمه إلى ابنه المحسن، فعذبه وأنزل به المكاره إلى أن لم يبق له غير ضيعة بواسط، فنفذه إلى هناك، فاشتهى في الطريق بيض نيمرشت[1] فوُضع له فيها سم فلما حساه مات في ثلاثة عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة إحدى عشرة وثلاثمائة بالإسهال، ولما سلم إلى المحسن بن الفرات كان يخرجه إذا شرب فيلبسه جلد قرد له ذنب، ويقيم من يرقصه ويصفعه وهو يشرب على ذلك وفعل به مع العذاب كل قبيح، ولما مات جعل الناس يصلون على قبره بواسط أياماً متوالية، ثم إنه استخرج من قبره بعد ابن الفرات وحمل إلى بغداد ودفن في مقبرة تعرف به بالجانب الغربي، وكان- رحمه الله- لما اشتدت به المطالبة والعذاب قد دلهم على المستراح المقدم ذكره، فأخذ منه أربعمائة ألف دينار.

وحامد بن العباس هو الذي تولى مناظرة الحلاج في أيامه، وخاطب المقتدر في قتله وصلبه[2].



أبو تمام الطائي

حبيب بن أوس بن الحارث ينتهي إلى طيء، أبو تمام الشاعر المشهور.

قال أبوالقاسم الحسن بن بشر الآمدي:

والذي عند أكثر الناس في نسب أبي تمام أن أباه كان نصرانيّاً من أهل جاسم، قرية من قرى دمشق، يقال له تذوس العطار، فجعلوه أوساً.

---

(١) الذي لم ينضج تمام النضج.

(٢) الوافي بالوفيات: ١١/ ٢٧٤- ٢٧٧.

وكان أوحد عصره في ديباجة لفظه وصناعة شعره، وحسن أسلوبه، وكان له من المحفوظات ما لا يلحقه فيه غيره، قيل إنه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير المقاطيع والقصائد.

[٩٦٠] وله كتاب الحماسة وهو كتاب يدل على حسن اختياره.

قلت: هي أربعة آلاف بيتاً ومائتا بيت وثمانية أبيات يكون الجيد فيها ألف بيت، وقد اخترت جيدها فكان ألف بيت ومائة بيت وثلاثة وعشرين بيتاً، وسميت ذلك نفائس الحماسة، بعدما رتبت كل باب منها على حروف المعجم.

وممن شرح الحماسة أبو علي الحسن بن أحمد الاستراباذي، وحماسة البحتري أحسن منها وأكبر وأكثر أنواعاً؛ وإنما سميت الحماسة لأن أول باب فيها هو باب الحماسة وهذا من باب تسمية الشيء باسم جزئه كالصلاة، والصلاة دعاء، والدعاء بعض أجزاء الصلاة، وهذا نوع من المجاز، وأبو تمام له الحماسة الكبرى والحماسة الصغرى.

وقد عمل الناس حماسات كثيرة منها حماسة البحتري، والحماسة البصرية، وحماسة الأعلم الشنتمري.

[٩٦١] والناس مختلفون في أمره وأمر المتنبي، أيهما أشعر؟ والأذكياء على أن المتنبي أشعر، والشيخ أثير الدين مذهبه أن أبا تمام أشعر، وفاوضناه يوماً في ذلك فقال بعدما ذكرنا محاسن المتنبي ومعايب أبي تمام:

أنا ما أسمع عَذَلاً في حبيب[١] فأعجبنا منه ذلك وسكتنا، وهذا كان مذهب شيخه بهاء الدين بن النحاس، والذي أقوله أنا:

---

(١) وذلك لأن اسم أبي تمام حبيب، والعذل: اللوم.

إنني اختبرت شعر الاثنين فجاء مختار المتنبي ألفاً وستمائة بيت من جملة ستة آلاف بيت، وجاء مختار أبي تمام قريباً من ثمانمائة بيت من جملة ثمانية آلاف بيت أو ما حولها، ولا شك أن من له ألف وستمائة من ستة آلاف أشعر ممن له ثمانمائة من ثمانية آلاف، والإنصاف يقضي بذلك، لكن أبو تمام متقدم، وهو الذي فتح باب البديع وغاص على المعنى الدقيق، ومات وله من العمر ثلاثون سنة وكسور، فلو عُمِّر عمر المتنبي وتأخر زمانه حتى يرى أقوال من تقدمه كان أشعر من المتنبي؛ لأن المتنبي تقدمه فحول من الشعراء مثل: أبي تمام والبحتري وابن الرومي وابن المعتز وأمثالهم، فأخذ محاسنهم ورأى أنموذج جيدهم فنسج على ذلك المنوال.

[٩٦٢] ومدح أبو تمام الخلفاء وأخذ جوائزهم، وجاب البلاد وقصد البصرة وبها عبدالصمد بن المعدَّل الشاعر وكان في جماعة من غلمانه وأتباعه فخاف عبد الصمد أن يميل الناس إليه ويعرضوا عنه فكتب إليه قبل دخوله: [من الخفيف].

أنت بين اثنتين تبرز للنا ... س وكلتاهما بوجهٍ مُذال[1]

لست تنفك راجياً لوصال ... من حبيب أو طالباً لنوال

أي ماء يبقى لوجهك هذا ... بين ذل الهوى وذل السؤال

فلما وقف أبو تمام على الأبيات أضرب عن قصده ورجع، وقال: قد شغل هذا ما يليه فلا حاجة لنا فيه.

[٩٦٣] وقيل: إنه لما وقف على الأبيات قلبها وكتب في ظهرها جواباً [من البسيط]:

---

(١) أي أصابه الذل والهوان.

أفِـــيّ يُـــنظَم قـــول الـــزور والفَنَـــد   وأنت أنقص من لا شيء في العـدد[1]

أشـرجت قلبـك مـن غـيظ علـى حنـق   كأنهـا حركـات الـروح في الجـسد

أقدمت ويلك من هجـوي علـى خطـرٍ   كالعَير يُقدِم من خوف على الأسـد[2]

فلما وقف عبد الـصمد علـى الأول قـال: مـا أحـسن علمـه بالجـدل أوجب زيادة ونقصاً على معدوم، ولما وقف على الثاني قال: الإشراج من عمل الفراشين ولا مدخل له ههنا، ولما وقـف علـى الثالـث عـض علـى شفتيه وقال: قتل.

وكان أبو تمام أسمر طويلاً حلو الكلام فيه تمتمـة يـسيرة، قيـل: إن الحـسن ابن وهب عني به فولاه بريد الموصل، فأقام به أقل من سنتين وتوفي.

[٩٦٤] ولما قصد أبو تمـام عبـد الله بـن طـاهر بـن الحـسين بخراسـان وامتدحه بالقصيدة التي أولها:

هن عوادي يوسف وصواحبه

أنكر عليه أبو سعيد الضرير وأبو العَمَيْثَل هذا الابتداء وقالا لـه: لم لا تقول ما يفهم؟ فقال لهما: لم لا تفهمـان مـا يقـال؟ فاستحـسن منـه هـذا الجواب على الفور.

[٩٦٥] وأنشد أبو تمام لأبي دلف قصيدته التي يمدحه بها وهـي [مـن الطويل]:

---

(١) الفند: النقص والضعف.

(٢) العير: الحمار.

علـى مثلـها مـن أربُـعٍ ومَلاعـب   أُذيلت مصونات الدموع الـسواكب[1]

فاستحسنها وأعطاه خمسين ألف درهم، ثم قـال لـه: والله إنهـا لـدون شعرك، ثم قال له: والله ما مثل هذا القول في الحسن إلا ما رثيت به محمد ابن حميد الطوسي، فقال: وأي ذلك أراد الأمـير؟ قـال: قـصيدتك الرائيـة التي أولها [من الطويل]:

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمـر   فليس لعين لم يَفِضْ ماؤهـا عـذر

وددت والله أنها لك فيّ، فقال: أفدي الأمـير بنفـسي وأهلـي وأكـون المقدم قبله، فقال أبو دلف: إنه لم يمت من رثي بهذا الشعر.

[٩٦٦] ويقـال: إنـه مـدح بعـض الخلفـاء بقـصيدته الـتي أولهـا [مـن الكامل]:

مـا في وقوفـك سـاعة مـن بـاس   نقـضي حقـوق الأَرْبُـعِ الأدراس

فلما انتهى إلى قوله:

إقــدام عمــرو في سماحــة حــاتم   في حلـم أحنـف في ذكـاء إيـاس

فقال له الوزير: تشبه أمير المؤمنين بأجلاف العرب، فأطرق ساعة ثـم رفع رأسه وأنشد [من الكامل]:

لا تنكـروا ضـربي لـه مَـن دونـه   مـثلاً شـروداً في النـدى والبـاس

فـالله قـد ضـرب الأقـل لنـوره   مـثلاً مـن المـشكاة والنـبراس

---

(١) الأربع جمع رَبْع، وهو المكان والمنزل.

والملاعب جمع ملعب وهو موضع اللعب.

وأذيلت: أي أهينت، والسواكب: المنصّبات: انظر ((خزانة الأدب)): ١/ ٣٥١-٣٥٢.

ولما أخذت القصيدة منه لم يوجد هذان البيتان فيها فعجبوا من سرعة فطنته، وقال الوزير للخليفة: أي شيء طلب أعطه إياه فإنه لا يعيش أكثر من أربعين يوماً؛ لأنه قد ظهر في عينيه الدم من شدة الفكرة، فقال له الخليفة: ما تشتهي؟ فقال: أريد الموصل فأعطاه إياها فتوجه إليها ولم يصل إليها، بل مات في الطريق، ولا صحة لهذا لكن هذه الحكاية استطارت، والذي ذكره الصولي أنه لما أنشد هذه القصيدة لأحمد ابن المعتصم وجرى ما جرى كان أبو يوسف الكندي حاضراً قال: هذا الفتى يموت قريباً.

قيل: إنه سمع بختيشوع بن جبريل الطبيب أبا تمام ينشد الحسن بن سهل أبياتاً له من قصيدة وهي [من الوافر]:

فتى كَشفت له حَدَقَ المعاني محاجِرها بأجفان القلوب

فأعرق في دقيق الفكر حتى كأن ضميره بعض الغيوب

فقال: هذا كلام رجل قد أحرق الفكر دمه وما أقلّ بقاءه فاستكثروا منه، فلم تطل مدة أبي تمام بعد هذا حتى اختُرِم.

وقال شمس الدين ابن خلكان: قد تتبعت هذه الولاية للموصل فأقام أقل من سنتين ثم مات بها سنة إحدى وثلاثين ومائتين.

وحكى عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدلان الموصلي، النحوي المترجم قال: سألت شرف الدين بن عنين عن معنى قوله [من الطويل]:

سقى الله روح الغوطتين ولا من الموصل الحدباء إلا قبورها

ولم حرمها وخص القبور؟ فقال: لأجل أبي تمام.

[٩٦٧] ولما مات رثاه الحسن بن وهب بقوله:[من الكامل]:

فجع القريض بخاتم الشعراء وغدير روضته حبيب الطائي

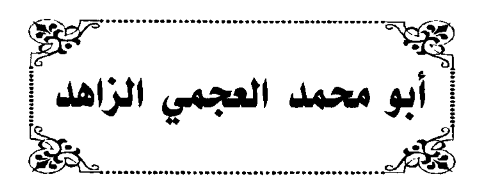
ماتــا معــاً فتجــاورا في حفـــرة وكــذاك كانــا قبــل في الأحيــاء

[٩٦٨] وقال محمد بن عبد الملك الزيات، وقيل: أبو الزبرقان عبد الله بن الزبرقان الكاتب مولى بني أمية [من الكامل]:

نبــأ أتــى مــن أعظــم الأنبــاء لمـــا ألمّ مُقَلْقِـــلُ الأحـــشاء

قــالوا حبيــب قــد ثــوى فــأجبتهم ناشــدتكم لا تجعلــوه الطــائي

[٩٦٩] وقال العلماء: خرج من طئ ثلاثة كـل واحـد منهم مجيـد في بابه: حاتم الطائي في جوده، وداود بن نصير الطائي في زهده، وأبـو تمـام في شعره(١).



أبو محمد العجمي الزاهد

حبيب العجمي البصري أبو محمد الزاهد، أحد الأعلام.

توفي في حدود الأربعين والمائة.

قدم الشام ولقي الفرزدق، فقال له الفرزدق: قال لي أبـو هريـرة إنـه سيأتيك قوم يؤيسونك من رحمة الله فلا تيئس.

[٩٧٠] وكان الحسن هو الذي وعظه حتى زهده فلم يُر إلا صائماً أو قائماً أو ذاكراً، وكان مجاب الدعوة.

[٩٧١] وعن المعتمد بن سليمان عن أبيه قـال: مـا رأيـت أحـداً قـط أعبدَ من الحسن، وما رأيت أحداً قـط أورع مـن ابـن سـيرين، ولا رأيـت

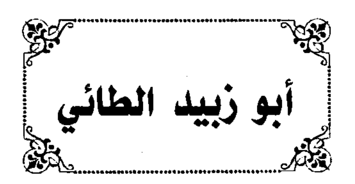
---

(١) الوافي بالوفيات: ١١/ ٢٩٢- ٢٩٩.

أحداً قط أزهد من مالك بن دينار، ولا رأيت أحداً قط أخشع لله من محمد بن واسع، ولا رأيت أحداً قط أصدق يقيناً من حبيب أبي محمد.

[٩٧٢] وقال المعلَّى الوراق: كنا إذا دخلنا على حبيب قال: افتح جُؤنة المسك وهات الترياق المجرب، قال: جونة المسك القرآن، والترياق المجرب الدعاء(١).

[٩٧٣] وجزع عند الموت وقال: أريد أن أسافر سفراً ما سافرته قط، أريد أن أسلك طريقاً ما سلكته قط، أريد أن أزور سيداً ومولى ما رأيته قط، أريد أن أشرف على أهوال ما رأيت مثلها قط، أريد أن أدخل تحت التراب فأبقى إلى يوم القيامة ثم أقف بين يدي الله ﷻ فأخاف أن يقول لي: يا حبيب هات تسبيحة واحدة سبحتني من ستين سنة لم يظفر بك الشيطان فيها بشيء!!، فماذا أقول وليس لي حيلة؟ أقول: يا رب هو ذا أتيتك مقبوض اليدين إلى عنقي(٢).



أبو زبيد الطائي

حرملة بن المنذر بن معد يكرب.

كان نصرانيّاً، وهو أحد المعمرين، يقال: إنه عاش مائة وخمسين سنة.

وأدرك الإسلام ولم يسلم، واستعمله عمر بن الخطاب على صدقة قومه، ولم يستعمل عمر نصرانيّاً غيره، وبقي إلى أيام

---

(١) الجُؤنة: الوعاء الذي يوضع فيه الطيب، والترياق: الدواء.

(٢) الوافي بالوفيات: ١١/ ٢٩٩، ٣٠٠.

معاوية ورثى علي بن أبي طالب، وكان ينادم الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط بالكوفة.

[٩٧٤] وكان أبو زبيد من زوار الملوك، خاصة ملوك العجم، وكان عالماً بسيرتهم فكان عثمان بن عفان ﷺ يقربه ويدني مجلسه فيتذاكران مآثر العرب وأشعارها، فالتفت إليه عثمان وقال له: يا أخا تبع المسيح، أسمعنا بعض قولك فقد أُنبئت أنك تجيد الشعر، فأنشده قوله يصف الأسد [من البسيط]:

من مبلغ قومي النائين إذ شحطوا ... أن الفؤاد إليهم شيِّق وَلِعُ

والدار إن تُنئِهم عنِّي فإن لهم ... ودي ونصري إذا أعداؤهم نصعوا[1]



ابن شاذان

الحسن بن أحمد بن إبراهيم، أبو علي بن أبي بكر البغدادي البزاز.

ولد سنة تسع وثلاثين، وتوفي سنة خمس وعشرين وأربعمائة، سمَّعه أبوه من جماعة.

قال الخطيب: كتبنا عنه وكان صدوقاً صحيح السماع يفهم الكلام على مذهب الأشعري، ويشرب النبيذ على مذهب الكوفيين ثم تركه بآخرة.

---

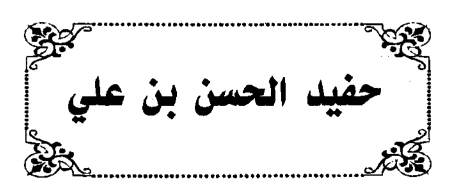
(١) الوافي بالوفيات: ١١/ ٣٣٥، ٣٤٠.

شحطوا: أي ابتعدوا.

ونصعوا: أي ظهروا أو قصدوا إليهم، وانظر ((لسان العرب)): ن ص ع.

[٩٧٥] حدث محمد بن يحيى الكرماني، قال: كنت يوماً بحضرة أبي علي بن شاذان فدخل شاب فسلم ثم قال: أيكم أبو علي ابن شاذان؟ فأشرنا إليه، فقال له:

أيها الشيخ، رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال: سل عن أبي علي بن شاذان فإذا لقيته فأقْرِه مني السلام، قال: ثم انصرف الشاب، فبكى أبو علي وقال: ما أعرف لي عملاً أستحق به هذا، اللهم إلا أن يكون صبري على قراءة الحديث، وتكرير الصلاة على النبي ﷺ كلما جاء ذكره، قال الكرماني: ولم يلبث بعد ذلك إلا شهرين أو ثلاثة حتى مات[(١)].



حفيد الحسن بن علي

الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أخو عبد الله وإبراهيم.

[٩٧٦] مات في سجن المنصور سنة خمس وأربعين ومائة، كان من أجلِّ بني الحسن المثنى، حمله المنصور مع أخيه عبد الله وحبسه بالهاشمية، ومات عن ثمان وتسعين سنة ومات قبل أخيه بقليل وهو القائل للسفاح لما أعطاهما العطاء العظيم المشهور:

إنما سميت السفاح لسفحك المال لا الدم، فقد صدقت وصفك وأحسنت عطفك، ووصلت رحمك ورفعت في الثناء عَلَمك.

[٩٧٧] وكان السفاح قد طالب عبد الله بن الحسن بإحضار ابنيه

---

(١) الوافي بالوفيات: ١١/ ٣٩٤، ٣٩٥.

محمد وإبراهيم فقال: والله ما أعلم علمهما، وأعلم مني بأمرهم عمهما حسن، فوجه إليه أن أخاك زعم أن علمي ابنيه عندك وما أريدهما إلا لما هو خير لهما، فوجه إليه حسن:

يا أمير المؤمنين لِمَ تُنغِّض معروفك عند هذا الشيخ، وقد علمت أنه إن كان في قدر الله أن يلي ابناه -أو أحدهما- شيئاً من الأمر لم ينفعك ظهورهما، وإن كان لم يقدر ذلك لم يضرك استتارهما؟

فقال السفاح: صدق والله حسن لا ذكرتهما بعد هذا.

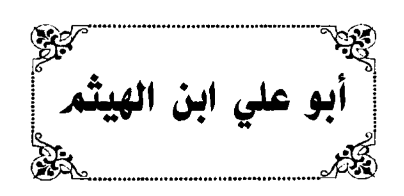
[٩٧٨] وكان خالد المري على المدينة والياً من قبل الوليد فأساء لعبد الله والحسن إساءة عظيمة، فلما عُزِل أتياه فقالا: لا تنظر إلى ما كان بيننا، فإن العزل قد محاه وكلفنا أمرك كله، فلجأ إليهما فبلغاه كل ما أراد فجعل يقول: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[1].

[٩٧٩] وأعقب من ولد الحسن المثلث ولده علي بن الحسن، وكان يعرف بالعابد، وكان يلام على كونه لا يوافق أقاربه على طلب الخلافة فيقول: من يشتغل بالله لا يتفرغ للشغل بغيره، وله ولد آخر يسمى محمداً وآخر يسمى الحسين[2].

---

(١) سورة الأنعام: ١٢٤.

(٢) الوافي بالوفيات: ١١/ ٤١٨، ٤١٩.



أبو علي ابن الهيثم

الحسن بن الحسن بن الهيثم، أبو علي، هكذا رأيته في فهرست كتاب المنظر له وهي نسخة قديمة، وقال ابن أبي أصيبعة: محمد بن الحسن، والله أعلم.

أصله من البصرة،ثم انتقل إلى الديار المصرية وأقام بها إلى آخر عمره.

[٩٨٠] وكان فاضل النفس قوي الذكاء متفنناً في العلوم، لم يماثله أحد من أهل زمانه في العلم الرياضي ولا يقاربه، وكان دائم الاشتغال كثير التصنيف، وافر التزهد، محبّاً للخير، وقد لخص كثيراً من كتب أرسطو وشرحها، وكذلك كتب جالينوس، وكان خبيراً بأصول الطب وقوانينه.

ولما أتى مصر باستدعاء الحاكم له-لما بلغه عنه من الفضائل- كان مقامه بالجامع الأزهر وسير إليه جملة من المال، وخرج الحاكم للقائه والتقيا بالخندق على باب القاهرة وأكرمه غاية الإكرام.

ولما استراح طلبه لما كان بلغه عنه من أمر النيل، وأنه يتوجه إلى الجنادل ويسلط النيل، فأخذ الصناع وجميع ما يحتاج إليه فلما توجه ورأى طول الإقليم والآثار التي فيه من الأهرام وغير ذلك من جودة الهندسة، انكسرت همته وقال:

هؤلاء علموا أكثر مما علمت وعجزوا عما أردت ولو أمكنهم فعلوه،

وعاد إلى الحاكم خجلاً واعتذر إليه بما قبله الحاكم في الظاهر، وولاه بعض الدواوين فتولاها رهبة لا رغبة، وتحقق الغلط في الولاية؛ لأن الحاكم كان كثير الاستحالة مريقاً للدماء بغير سبب، فأظهر الجنون والخبال واختلط فاحتيط على موجوده وجُعِل برسمه من يخدمه، وقيد وترك في منزله ولم يزل كذلك إلى أن تحقق وفاة الحاكم، فأظهر العقل وعاد إلى ما كان عليه وخرج من داره، وأعيد إليه ماله من تحت يد الحاكم، واشتغل بالتصنيف والنسخ والإفادة.

وكان له خط قاعد في غاية الصحة كتب به كثيراً من العلم الرياضي، قال ابن أبي أصيبعة: ذكر لي يوسف الفاسي الإسرائيلي الحكيم بحلب أن ابن الهيثم كان ينسخ في مدة سنة ثلاث كتب في ضمن اشتغاله، وهي: إقليدس والمتوسطات والمجسطي ويشكلها، فإذا شرع في نسخها جاءه من يعطيه فيها مائة وخمسين ديناراً وصار ذلك كالرسم الذي لا يحتاج فيه إلى مماكسة[1] ولا معاودة.

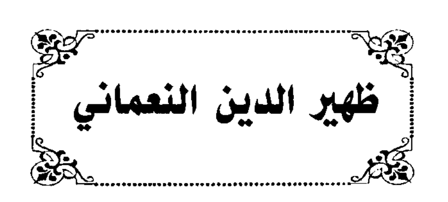
ولم يزل كذلك إلى أن مات بالقاهرة سنة ثلاثين وأربعمائة.

وكان على اعتقاد الأوائل، صرَّح بذلك[2].

---

(١) المماكسة هي طلب خفض الثمن.

(٢) الوافي بالوفيات: ١١/ ٤٢٠، ٤٢١، ومعنى كونه على اعتقاد الأوائل أي الفلاسفة الأوائل.



ظهير الدين النعماني

الحسن بن الخطير ابن أبي الحسن النعماني أبو علي الفارسي المعروف بالظهير، كان يذكر أنه من أولاد النعمان، توفي بالقاهرة سنة ثمان وتسعين وخمسمائة.

[٩٨١] روى ياقوت في «معجم الأدباء» عن تلميذه الشريف محمد بن عبد العزيز الإدريسي الصعيدي أنه قال:

أنا نعماني؛ لأني من ولد النعمان بن المنذر، وولدت بقرية تعرف بالنعمانية، ومنها ارتحلت إلى شيراز فتفقهت بها، وأنتحل مذهب النعمان أبي حنيفة وأنتصر له فيما وافق اجتهادي.

وكان عالماً بفنون من العلم، قارئاً بالعشر والشواذ، عالماً بالتفسير والناسخ والمنسوخ والفقه والخلاف والكلام والمنطق والحساب والهيئة والطب، مبرزاً في النحو واللغة والعروض والقافية ورواية أشعار العرب وأيامها وأخبار الملوك من العرب والعجم.

[٩٨٢] وكان يحفظ كتاب: «لباب التفسير» لتاج القراء، «والوجيز» للغزالي، «والجامع الصغير» لمحمد بن الحسن، ونظم النسفي «ونهاية الإقدام» للشهرستاني، «والجمهرة» لابن دريد، يسردها كما يسرد الفاتحة قال: كتبتها ألواحاً وحفظتها في مدة أربع عشرة سنة، «والإيضاح» لأبي علي وعروض الصاحب ابن عباد وأرجوزة ابن سيناء في المنطق.

[٩٨٣] وكان قيماً بمعرفة القانون في الطب، وكان عارفاً باللغة العبرانية ويناظر بها أهلها.

[٩٨٤] وكان عثمان بن عيسى النحوي البلطي شيخ الديار المصرية يسأله سؤال مستفيد عن حروف من حواشي اللغة، سأله يوماً عما وقع في كلام العرب على مثال: شقحطب، فقال:

هذا يسمى في كلام العرب المنحوت، معناه: أن الكلمة منحوتة من كلمتين كما ينحت النجار الخشبتين ويجعلهما خشبة واحدة، فشقحطب منحوت من: شق حطب، فسأله البلطي أن يثبت له ما وقع من هذا المثال فأملاها عليه في نحو عشرين ورقة من حفظه وسماها: كتاب تنبيه البارعين على المنحوت من كلام العرب.

وكان السعيد بن سناء الملك يسأله على وجه الامتحان عن كلمات من غريب كلام العرب وهو يجيب عنها بشواهدها.

وكان يدرس بالقاهرة الفقه على مذهب أبي حنيفة، وكان الظهير قد أقام بالقدس مدة فاجتاز به الملك العزيز عثمان ابن صلاح الدين؛ فرغبه في المصير معه إلى مصر ليقمع به شهاب الدين أبا الفتح الطوسي لشيء كان نقمه عليه، فورد معه إلى القاهرة وأجرى عليه في كل شهر ستين ديناراً ومائة رطل خبزاً وخروفاً وشمعة كل يوم، ومال إليه الناس من الجند والعلماء وصارت له سوق.

[٩٨٥] وقرر العزيز المناظرة بينهما في غد عيدٍ، فركب السلطان وركب معه الظهير والطوسي، فقال الظهير للعزيز في أثناء الكلام:

أنت يا مولانا من أهل الجنة، فوجد الطوسي السبيل إلى مقتله فقال له:

وما يدريك أنه من أهل الجنة وكيف تزكي على الله؟

فقال الظهير: قد زكى رسول الله ﷺ أصحابه فقال: أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة.

فقال الطوسي: أبيت يا مسكين إلا جهلاً ما تفرق بين التزكية عن الله وبين التزكية على الله، وأنت مَن أخبرك أن هذا من أهل الجنة، ما أنت إلا كما زعموا أن فأرة وقعت في دن خمر فشربت فسكرت فقالت: أين القطاط؟! فلاَحَ لها هر فقالت: لا يؤاخذ الله السكارى بما يقولون، وأنت شربت من دن خمر هذا الملك فسكرت، فصرت تقول خالياً: أين العلماء، فأُبلس[1] الظهير ولم يحِرِ جواباً وانصرف مكسور الحرمة عند العزيز، وشاعت هذه الحكاية بين العوام وصارت تحكى في الأسواق.

وكان مآل أمره أن انضوى إلى المدرسة التي أنشأها الأمير تركون الأسدي يدرس بها الفقه على مذهب أبي حنيفة إلى أن مات.

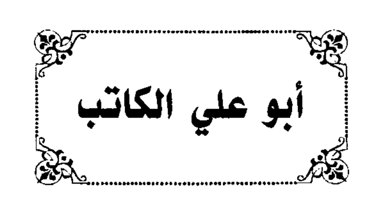
وكان قد أملى تفسيراً وصل فيه إلى قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[2] في نحو مائتي ورقة ومات ولم يختم سورة البقرة، وشرح الصحيحين على ترتيب سماه: «كتاب الحجة» اختصره من كتاب: «الإفصاح في تفسير الصحاح» للوزير ابن هبيرة وزاد عليه أشياء، وكتاب في اختلاف الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار ولم يتم، وله خطب وعظية، وفصول وعظية مشحونة بغريب اللغة[3].

---

(١) أي انقطع.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٣.

(٣) الوافي بالوفيات: ١١/ ٤٢٧- ٤٢٩.



أبو علي الكاتب

الحسن بن رجاء بن أبي الضحاك، أبو علي الكاتب الجرجرائي البغدادي، أحد البلغاء الكتاب الشعراء.

روى عن أبي محلم وبكر بن النطاح، وروى عنه المبرد، وكان متكبراً متجبراً.

[٩٨٦] يحكى أن المبرد حدث سليمان بن وهب عن الحسن بن رجاء بشيء، ثم قال بعده: وكان صدوقاً، فقال له سليمان: كان الحسن أتْيَه وأصْلف وأنبل من أن يكذب.

قلده المأمون كُور الجبل وضم أبا دلف إليه.

[٩٨٧] دخل المأمون يوماً إلى الديوان الذي للخراج، فمر بغلام جميل على أذنه قلم فأعجبه ما رأى من حسنه فقال: من أنت يا غلام؟

قال: الناشئ في دولتك، وخريج أدبك يا أمير المؤمنين، المتقلب في نعمتك والمؤمل بخدمتك: الحسن بن رجاء.

فقال له المأمون: يا غلام، بالإحسان في البديهة تفاضلت العقول، ثم أمر أن يرفع عن رتبة الديوان وأمر له بمائة ألف درهم.

توفي بفارس سنة أربع وأربعين ومائتين، وهو يتولى حرب فارس والأهواز وخراجهما.

[٩٨٨] ومن شعره: [من السريع]:

مستشعر الصبر له جُنَّة   تقيه من عادية الدهر

مـاذا ينـال الـدهر مـن ماجـد ... لــه عليــه عُــدَّة الــصبر

هــل هــو إلا فقــد خلانــه ... وفقـد مـا يملـك مـن وفـر

مـا سـرَّ حـراً حظُّـه في الغنـى ... مـن حظـه في الحمـد والأجـر

[٩٨٩] ومنه [من السريع]:

قـد يـصبر الحـر علـى الـسيف ... ولا يـرى صـبراً علـى الحيـف

ويــؤثر المــوت علــى حالــة ... يعجـز فيهـا عـن قِـرى الـضيف

[٩٩٠] ومنه [من الطويل]:

ألم ترنـي داويـت تركـك بـالترك ... وآثرت أسباب اليقين على الشك

ومــا ملــني الإنــسان إلا مللتــه ... ولا فاتني شيء فظَلْتُ لـه أبكـي

قلت: شعر جيد، وهو نَفَس من كان له نفسٌ أبيَّةٌ ماجدة[1].

الأمير الزيدي

[٩٩١] الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بـن زيـد بـن الحسن بن علي بن أبي طالب الزيدي، الأمير.

ظهر بطبرستان وهزم جيوش الخليفة ودخل الـري، ثـم مـات، وقـام بالأمر من بعده أخوه محمد بن زيد.

وكانت وفاة الحسن في حدود السبعين ومائتين، وخُطب للحسن هـذا بالخلافة في بلاد الديلم وطبرستان في سنة خمسين ومائتين وذلك في خلافة

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٢/ ٩- ١١.

المستعين، وكانت طبرستان وبلاد الديلم بأيدي أولاد طاهر بن الحسين، فأخرجهم منها وملك الري أيضاً.

وله في التواريخ وقائع مشهورة وسير حسنة مشكورة.

[٩٩٢] وكان مهيباً عظيم الخَلْق، عطس يوماً ففزع رجل في المنارة وهو يؤذن فوقع منها فمات، وكان أقوى البغال لا يحمله أكثر من فرسخين.

[٩٩٣] وكان في آخر عمره يشق بطنه ويخرج منها الشحم ثم تخاط.

وكان مقيماً بالعراق، فضاقت عليه الأمور هناك، وكان كثير السؤال عن البلاد الممتنعة الوعرة التي تصلح للتحصن حتى دل على بلاد الديلم فقصدها، ووافق فيها جماعة من العجم لم يسلموا فأسلموا على يده وتمذهبوا بمذهبه، واستمر هذا المذهب هناك.

وكان جواداً كريماً ممدحاً، ذا ناموس في الدين، وكان أديباً شاعراً عارفاً بنقد الأشعار.

[٩٩٤] وقال الحسن:

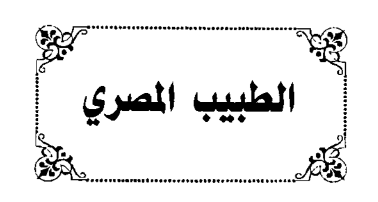
لم نُمنع الدنيا لفضل بها ... ولا لأنا لم نكن أهلها
لكن لنعطَى الفوز من جنةٍ ... ما إن رأى ذو بصر مثلها
هاجرها خير الورى جدنا ... فكيف نرجو بعده وصلها

[٩٩٥] وقال [من الوافر]:

وما نَشَرَ المشيب عليَّ إلا ... مصافحة السيوف لدى الصفوف
فأنت إذا رأيت عليَّ شيئاً ... فمكتسب من ألوان السيوف[١]

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٢/ ٢٠، ٢١.



الطبيب المصري

الحسن بن زيرك، كان طبيباً بمصر أيام أحمد بن طولون يصحبه في الإقامة، فإذا سافر صحبه سعيد بن نوقيل.

[٩٩٦] ولما توجه أحمد بن طولون إلى دمشق في شهور سنة تسع ومائتين وامتد منها إلى الثغور لإصلاحها ودخل أنطاكية أكثر من استعمال لبن الجاموس فأدركته هيضة لم ينجع فيها معالجة سعيد بن نوقيل، و عاد بها إلى مصر وهو ساخط على سعيد، فلما دخل الفسطاط أحضر الحسن ابن زيرك وشكا إليه من سعيد، فسهل عليه ابن زيرك أمر علته، وأعلمه أنه يرجو له السلامة، فخفت عنه بالراحة والطمأنينة وهدوء النفس واجتماع الشمل وحسن القيام وبر الحسن.

[٩٩٧] وكان يُسِرُّ التخليط مع الحُرَم فازدادت، ثم دعا الأطباء ورغبهم وخوفهم وكتمهم ما أسلفه من سوء التدبير والتخليط، واشتهى على بعض حظاياه سمكاً قريساً فأحضرته إياه سرّاً، فما تمكن من معدته حتى تتابع الإسهال، فأحضر ابنِ زيرك فقال له:

أحسب الذي سقيتنيه اليوم غير صواب.

فقال: يأمر الأمير بإحضار الأطباء إلى داره في غداة كل يوم حتى يتفقوا على ما يأخذه في كل يوم، وما سقيتك تولى عجنه ثقتك، وجميعها يفيض القوة الماسكة في معدتك وكبدك.

فقال أحمد: والله لئن لم تنجعوا في تدبيركم لأضربن أعناقكم.

فخرج من بين يديه و هو يُرْعِد وكان شيخاً كبيراً، فحميت كبده من سوء فكره وخوفه وتشاغله عن المطعم والمشرب، فاعتاده إسهال ذريع واستولى الغم عليه فخلط حتى مات في غد ذلك اليوم(١).



وزير المأمون

الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي، تولى وزارة المأمون بعد أخيه: ذي الرياستين الفضل، وحظي عند المأمون وتزوج ابنته بوران.

وكان المأمون قد ولاه جميع البلاد التي فتحها طاهر بن الحسين.

[٩٩٨] وكان عالي الهمة كثير العطايا للشعراء وغيرهم، وقصده بعض الشعراء فأنشده: [من الوافر]:

تقول حليلتي لما رأتني ... أشد مطيتي من بعد حل

أبعد الفضل ترتحل المطايا ... فقلت نعم إلى الحسن بن سهل

فأجزل عطيته.

[٩٩٩] وخرج مع المأمون يوماً يشيعه، فلما عزم على مفارقته، قال له المأمون: يا أبا محمد ألك حاجة؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين، تحفظ عليَّ قلبك؛ فإني لا أستطيع حفظه إلا بك.

[١٠٠٠] قال بعضهم: حضرت مجلس الحسن بن سهل وقد كتب

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٢/ ٢٤، ٢٥.

لرجل كتاباً شفاعةً فجعل الرجل يشكره، فقال الحسن: يا هذا علام تشكرنا، إنا نرى الشفاعات من زكاة مروآتنا.

[١٠٠١] قال: وحضرته يوماً آخر وهو يملي كتاب شفاعةٍ فكتب في آخره: بلغني أن الرجل يُسأل عن فضل جاهه يوم القيامة كما يُسأل عن زكاة ماله.

[١٠٠٢] وقال لبنيه: يا بَنِيَّ تعلموا النطق؛ فإن فضل الإنسان على سائر البهائم به، وكلما كنتم به أحذق كنتم أحق بالإنسانية.

[١٠٠٣] ولم يزل الحسن على وزارة المأمون إلى أن غلبت عليه السوداء[١]، و كان سببها كثرة جزعه على أخيه الفضل لما قتل، ولم تزل تستولي السوداء عليه حتى حبس في بيته ومنعته من التصرف.

وقال الطبري:

إن الحسن غلبت عليه السوداء في سنة ثلاث ومائتين، وكان سببها أنه مرض مرضةً تغير عقله فيها حتى شُدَّ في الحديد وحبس في بيت، فاستوزر المأمون أحمد بن أبي خالد.

[١٠٠٤] ودخل الحسن بن سهل على المأمون وهو يشرب، فقال له: بحياتي وبحقي عليك يا أبا محمد، إلا شربت معي قدحاً، وصب له من نبيذ قدحاً[٢]، فأخذه بيده وقال له: من تحب أن يغنِّيك؟ فأومأ إلى إبراهيم بن المهدي، فقال له المأمون: غنِّه يا عم، فغناه صوتاً ومنه [من البسيط]:

تسمع للحَلْيِ وسواساً إذا انصرفت

(١) السوداء مرض قريب من الجنون يكثر معه المريض التخيل والوسوسة.

(٢) النبيذ هو الشراب المختلف فيه لا الخمر المتفق على حرمته.

يعرض به لما كان لحقه من السوداء والاختلاط، فغضب المأمون حتى ظن إبراهيم أنه سيوقع به، ثم قال له:

أبيت إلا كفراناً يا أكفر الناس لنعمة، والله ما حقن دمك عندي غيره، ولقد أردت قتلك، فقال: إن عفوت عنه فعلت فعلاً لم يسبقك إليه أحد، فعفوت والله عنك لقوله، أفحقه أن تعرض به ولا تدع كيدك ولا دغلك؟ أَوَأنفتَ من إيمائه إليك بالغناء؟

فنهض إبراهيم قائماً، وقال: يا أمير المؤمنين، لم أذهب حيث ظننت ولست بعائد، فأعرض عنه.

[١٠٠٥] وصار أبو الهذيل إلى سهل بن خيرون الكاتب-وكان خاصاً بالحسن ابن سهل- يسأله كلامه في أمره ويستعينه على إضاقة كان فيها، فصار سهل إلى الحسن معه، فكلمه وقال:

قد عرفت حال أبي الهذيل وقدره في الإسلام، وأنه مُتكلِّم أهله والراد على أهل الإلحاد، وقد فزع إليك لإضاقة هو فيها، فوعده أن ينظر له فيما يصلح له، فلما انصرف سهل إلى منزله كتب إلى الحسن [من الكامل]:

إن الضمير إذا سألتُكَ حاجة	لأبي الهذيل خلاف ما أُبدِي
فامنعه روح اليأس ثم امدد له	حبل الرجاء بمخلف الوعد
وألِن له كنفاً ليحسن ظنه	في غير منفعة ولا رِفْد
حتى إذا طالت شقاوة جده	بعناية فاجْبَهه بالرد

فلما قرأ الحسن كتابه وقع إليه: هذه – لك الويل – صفتك لا صفتي، وأمر لأبي الهذيل بخمسين ألف درهم.

[١٠٠٦] وترجل له -يوماً- علي بن هشام فأمر له بألف دابة، قال

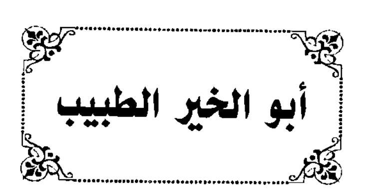
يحيى بن خاقان: فبقيت واجماً، فقال: يا يحيى ليس لما أمرنا به له نفع وفيه عليه ضرر، فاكتب له مع ذلك بألف غلام، وأجر له أرزاق الغلمان، وعلوفة الدواب علينا.

وتوفي الحسن سنة ست وثلاثين ومائتين، وقيل: سنة خمس وثلاثين، وقيل: سنة ثمان وثلاثين.

[١٠٠٧] ومدحه يوسف الجوهري بقوله [من البسيط]:

لو أن عين زهير عاينت حسَناً ... وكيف يصنع في أمواله الكرم
إذاً لقال زهير حين يبصره ... هذا الجواد على العلاَّت لا هَرِم[١]

وكان الحسن من بيت رياسة في المجوس، فأسلم هو وأخوه الفضل ذو الرياستين مع البرامكة مع أبيهما في أيام الرشيد واتصلوا بالبرامكة، وكان الحسن أحد الأجواد، وقيل: إن الذي أنفقه في وليمة ابنته بوران أربعة آلاف ألف دينار[٢].



أبو الخير الطبيب

الحسن بن سوار المعروف بابن الخمار.

كان طبيباً نصرانيّاً عالِماً بأصول صناعة الطب، ماهراً في العلوم الحِكْمية، خبيراً بالنقل من السرياني إلى العربي، قرأ الحكمة على يحيى بن عدي.

---

(١) المقصود هَرِم بن سنان وزهير بن أبي سلمى، وهما جاهليان، وقصتهما معروفة.

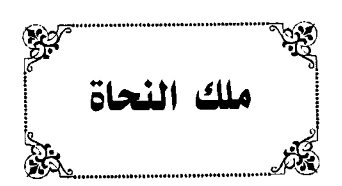
(٢) الوافي بالوفيات: ١٢/ ٣٧-٤٠، وقد سبقت القصة.

ومولده سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة.

[١٠٠٨] قال ابن أبي أُصيبعة: وصل بالطب إلى أن قبل الملك محمود[١] له الأرض، وكان إذا دعاه من يظهر منه الزهد والعبادة مشى إليه راجلاً، وإذا استدعاه السلطان يركب إليه في زي الملوك، وحجبه ثلاثمائة مملوك من الأتراك.

ووفى صناعته حقها بالتواضع للضعفاء والتكبر على العظماء، وهذا كان رأي أبقراط وجالينوس[٢].

[١٠٠٩] قال أبو الفرج بن هندو في كتاب «مفتاح الطب»: إنه رأى في بلاد العجم جماعة ينفون أمر صناعة الطب، وكان زعيمهم يعادي أبا الخير، وصنف في ذلك كتاباً، فاشتكى يوماً ذلك الزعيم رأسه، واستفتى أبا الخير في دوائه، فقال: ينبغي أن يضع كتابه الذي نفى به صناعة الطب تحت رأسه ليشفيه[٣].



ملك النحاة

الحسن بن صافي بن عبد الله، أبو نزار بن أبي الحسن، المعروف بملك النحاة.

قرأ مذهب الشافعي، وأصول الفقه والنحو، حتى برع فيه، ودرّس

---

(١) وهو الغزنوي المشهور ملك السند والهند وأفغانستان وتلك النواحي.

(٢) ولكن شرعنا يأمرنا بعدم التكبر على أحد.

(٣) الوافي بالوفيات: ١٢/ ٤١.

النحو في الجامع ببغداد ثم سافر إلى خراسان وكرمان وغزنة، وعاد إلى الشام، واستوطن دمشق إلى أن مات سنة ثمان وستين وخمسمائة، ودفن بباب الصغير، و قد ناهز الثمانين.

[١٠١٠] وكان ملك النحاة مطبوعاً متناسب الأحوال والأفعال، يحكم على أهل التمييز بحكم مُلكه فيُقبَل ولا يُستثقَل، وكان يقول: «هل سيبويه إلا من رعيتي، ولو عاش ابن جني لم يسعه إلا حمل غاشيتي»، مُرُّ الشتيمة حلو الشيمة، يضم يده على المائة والمائتين، ويمشي وهو منها صفر اليدين، مولع باستعمال الحلاوات السكرية، وإهدائها إلى جيرانه.

[١٠١١] وخلع عليه نور الدين محمود يوماً خلعة سنية فمضى بها إلى منزله، فرأى في طريقه حلقة مجموعة على تَيْسٍ يخرج الخبايا، فلما وقف عليه للفرجة، قال معلم التيس: قد وقف في حلْقتي رجل عظيم القدر، شائع الذكر، ملك في زي سوقة، أعلم الناس وأكرمهم وأجملهم، فأرني إياه. فشق ذلك التيس الناس، وخرج حتى وضع يده على ملك النحاة، فلم يتمالك أن ألقى عليه تلك الخلعة، فبلغ ذلك نور الدين، فعاتبه وقال: استخفافاً فعلت هذا بخلعتنا، فقال: عذري في ذلك واضح؛ لأن في هذه المدينة زيادة على مائة ألف تيس فما فيهم من عرفني إلا هذا التيس فجازيته على ذلك، فضحك نور الدين منه.

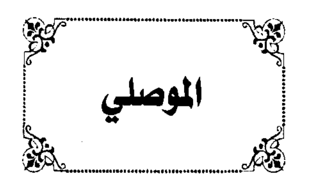
[١٠١٢] وكان إذا ذُكِر أحد من النحاة يقول: كلب من الكلاب، فقال له رجل يوماً: فحينئذ أنت ملك الكلاب، لست ملك النحاة، فاستشاط غضباً وقال: أخرجوا عني هذا الفضولي.

[١٠١٣] وقال فتيان: رأيته بعد موته في النوم، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: أنشدته قصيدة ما في الجنة مثلها، فتعلق بحفظي منها [من

المنسرح]:

يـا هـذه أقـصري عـن العَـذَل	فلست في الحل وَيْلكِ من قِبَلي
يـا رب هـا قـد أتيـت معترفـاً	بمـا جنتـه يـداي مـن زلـل
مـلآنَ كـف بكـل مَأْثَمَـة	صِفْرَ يـدٍ مـن محاسـن العمـل
فكيـف أخـشى نـاراً مُـسَعَّرَةً	وأنـت يـا رب في القيامـة لـي

قال: فوالله منذ فرغت من إنشادها ما سمعت حسيس النار[1].



الموصلي

الحسن بن طازاد الموصلي.

[١٠١٤] كان نصرانيّاً، فرأى النبي ﷺ في النوم فأسلم، وحفظ القرآن والعلم، وأفتى بالموصل.

وروى عن غسان بن الربيع، وأحمد بن يونس، ومسدد وأبي جعفر النفيلي.

[١٠١٥] ورحل وحصل وتزهد وخرج من كل شيء له، وبقي يأكل من النسخ، وكان يقوم نصف الليل وينام نصفه، وفي الآخر صار يحيي الليل كله وينام بالنهار، وكان زاهداً عابداً كبير القدر، روى عنه ابنه محمد.

وكان إسلامه سنة ثمان عشرة ومائتين، ووفاته بعد الخمسين

(١) الوافي بالوفيات: ١٢/ ٥٦- ٥٩.

ومائتين[1].



لُكذة

الحسن بن عبد الله: المعروف بلُغدة ولكذة، الأصبهاني أبو علي.

قدم بغداد، وكان جيد المعرفة بالأدب، حسن القيام بالقياس، موفقاً في كلامه، إماماً في النحو واللغة، وكان في طبقة أبي حنيفة الدِيْنَوَرِي، مشايخهما سواء، وكان بينهما مناقضات.

[١٠١٦] وحفظ في صغره كتب أبي زيد وأبي عبيدة والأصمعي ثم تتبع ما فيها، فامتحن بها الأعراب الوافدين على أصبهان، وكانوا يفدون على محمد بن يحيى بن أبان، ويضربون خيامهم بفناء داره، وكان أبو علي يلقي عليهم مسائل مشكوكة من كتب اللغة، ويثبت تلك الأوصاف عنهم في كتابه الذي سماه: كتاب النوادر، ثم لم يكن له آخر أيامه نظير بالعراق.

ومن كتبه: كتاب « الصفات»، كتاب «خلق الإنسان»، كتاب «خلق الفرس»، «والرد على الشعراء»، نقضه عليه أبو حنيفة الدينوري، كتاب «النطق»، «الرد على أبي عبيد في غريب الحديث»، كتاب «علل النحو»، كتاب «مختصر في النحو»، «الهشاشة والبشاشة»، كتاب «التسمية»، «شرح معاني الباهلي»، «نقض علل النحو»، «الرد على ابن قتيبة» في غريب الحديث.

[١٠١٧] ومن شعره [من الكامل]:

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٢/ ٦٠، ٦١.

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيتُ في خلَفٍ يزيِّن بعضهم بعضاً ليستر مُعْوِرٌ من معوِرٌ
الجد أنهض بالفتى من كدِّه فانهض بجدٍ في الحوادث أو ذر
وإذا تعسرت الأمور فارْجِهَا وعليك بالأمر الذي لم يعسر[1]



القاضي الزيادي

الحسن بن عثمان بن حماد أبو حسان الزيادي البغدادي القاضي، من أعيان أصحاب الواقدي.

روى عن الهيثم بن عدي وهشيم بن بشر، وغيرهما.

وكان أديباً فاضلاً، نسَّابة أخباريّاً، جواداً كريماً سمحاً.

توفي سنة اثنتين أو ثلاث وأربعين ومائتين، عن تسع وثمانين سنة، وكان الزيادي قاضي مدينة المنصور، وكان يصنف الكتب وتصنف له، وكانت له خزانة كتب حسنة.

[١٠١٨] ولما أحضره إسحاق بن إبراهيم المصعبي والي بغداد مع من أحضره، لما أمر المأمون بالقول بخلق القرآن عرض ذلك عليه، وقرأ كتاب المأمون، فكل منهم غالط وصرح إلا هو، فإنه قال: القرآن كلام الله، والله خالق كل شيء، وأمير المؤمنين إمامنا، وبسببه سمعنا عامة العلم، وقد سمع ما لم نسمع، وعلم ما لم نعلم، وقد قلده الله أمرنا، فصار

---

(١) فارجها: أي أَجِّلْهَا. الوافي بالوفيات: ١٢/ ٨٦، ٨٧.

يقيم حجنا وصلاتنا، ونؤدي إليه زكوات أموالنا، ونجاهد معه، ونرى إمامته، فإن أمرنا ائتمرنا وإن نهانا انتهينا.

قال إسحاق: القرآن مخلوق؟

فأعاد مقالته.

قال إسحاق: فإن هذه مقالة أمير المؤمنين.

قال: قد تكون مقالته، ولا يأمر بها الناس، وإن أخبرتني أن أمير المؤمنين أمرك أن أقول، قلت ما أمرتني به.

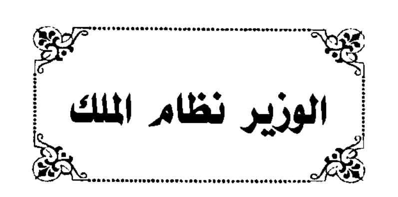
قال: ما أمرني أن أقول لك شيئاً.

قال القاضي: ما عندي إلا السمع والطاعة.

[١٠١٩] قال: رأيت رب العزة في النوم، فرأيت نوراً عظيماً لا أحسن أصفه، ورأيت شخصاً خيل إليّ أنه النبي ﷺ وكأنه يشفع إلى رب العزة في رجل من أمته، وسمعت قائلاً يقول: ألم يكفك أني أنزلت عليك في سورة الرعد: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾[١] ثم انتبهت[٢].

(١) سورة الرعد: ٦.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٢/ ٩٨، ٩٩.



الوزير نظام الملك

[١٠٢٠] الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس، الوزير أبو علي نظام الملك قوام الدين الطوسي.

كان مجلسه عامراً بالفقهاء والقراء.

أمر ببناء المدارس في الأمصار، ورغب في العلم كلَّ أحد، وسمع الحديث، وأملى في البلاد وحضر مجلسه الحفاظ.

وزر للسلطان ألب أرسلان وكان يدير أمره، وجرى على يديه من الرسوم المستحسنة ونفْي الظلم، وإسقاط المؤن ما شاع وذاع، ثم وزر بعده لملك شاه بن ألب أرسلان.

وسمع هذا الوزير وروى عنه جماعة، وهو أول من بنى المدارس في الإسلام، بنى نظاميَّة بغداد ونظامية نيسابور، ونظامية طوس، ونظامية أصبهان، وغير ذلك من الربط وأنواع البر.

ودخل على الإمام المقتدي بالله فأجلسه، وقال: يا حسن، رضي الله عنك برضى أمير المؤمنين عنك.

[١٠٢١] وكان كثير الإنعام على الصوفية فسئل عن ذلك فقال: أتاني صوفي وأنا في خدمة بعض الأمراء، فوعظني وقال: اخدم من ينفعك خدمته، ولا تخدم من تأكله الكلاب غداً، فلم أعلم معنى كلامه، فشرب ذلك الأمير من الغد، وكانت له كلاب كالسباع تفترس الغرباء في الليل، فغلبه السكر فخرج وحده، ولم تعرفه الكلاب فمزقته، فعلمت أن الصوفي

كوشف بذلك فأنا أخدم الصوفية لعلي أظفر بمثله.

[١٠٢٢] وكان إذا سمع الأذان أمسك عما هو فيه.

[١٠٢٣] وكان يسمع الحديث ويقول: إني لأعلم لستُ أهلاً لذلك، ولكن أريد أن أربط نفسي في قطار النقلة لحديث رسول الله ﷺ.

وكانت ولادته سنة ثمان وأربعمائة.

[١٠٢٤] وتوجه صحبة ملك شاه إلى أصبهان، فلما كانت ليلة السبت عاشر شهر رمضان سنة خمس وثمانين وأربعمائة أفطر وركب في مِحَفَته، فلما بلغ قرية قريبة من نهاوند قال: هذا الموضع قتل فيه خلق كثير من الصحابة زمن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فطوبى لمن كان منهم، فاعترضه صبي ديلمي على هيئة الصوفية معه قصة، فدعا له وسأله تناولها، فمد يده ليأخذها فضربه بسكين في فؤاده، فحمل إلى مضربه، ومات -رحمه الله- وقتل قاتله في الحال بعدما هرب فعثر في طُنُب خيمة، وحمل الوزير إلى أصبهان ودفن بها.

[١٠٢٥] يقال: إن السلطان دس عليه من قتله؛ لأنه سئم طول حياته، واستكثر ما بيده من الإقطاعات، ولم يعش السلطان بعده سوى خمسة وثلاثين يوماً[١].

[١٠٢٦] فقال خَتَنه شبل الدولة أبو الهجاء، مقاتل بن عطية بن مقاتل البكري يرثي الوزير[من البسيط]:

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة ... نفيسة صاغها الرحمن من شرف

عزَّت فلم تعرف الأيام قيمتها ... فردها غيرة منه إلى الصَّدف

(١) وقيل: إن الباطنية قتلته.

وقال صدقة بن إبراهيم التنوخي المعري [من الكامل]:

كان النظام أبو علي للورى صدراً وللدين العقيم إماما

حتى إذا قتلوه ظلماً منهم عاد الضياء على الأنام ظلاما

لم يقتلوا الشيخ الكبير وإنما قتلوا جميع الخلق والإسلاما

وقال أبو المعالي مسلم بن محمد الطرابلسي [من الوافر]:

نظام الملك مذ قتلوك عادوا حيارى ما لملكهمُ نظام

نظام الملك لا يُرجَى نظامٌ لُملك الترك بعدك والسلام

وقال بعض شعراء أصبهان [من الكامل]:

مات الوزير فكلكم جَذْلان لا تفرحوا فوراءه خِذلان

الملك بعد أبي عليٍّ لعبة يلهو بها النسوان والصبيان

[١٠٢٧] قال التميمي: كان نظام الملك ممدحاً، فيقال: إن مداحه كانوا خمسة آلاف شاعر وزيادة، ومدح بثلاثمائة ألف قصيدة.

[١٠٢٨] ومن شعر الوزير نظام الملك [من المنسرح]:

بعد الثمانين ليس قوة لهفي على قوة الصُبُوّة

كأنني والعصا بكفي موسى ولكن بلا نُبُوّة

وكان لنظام الملك عدة أولاد فمنهم: أحمد، وَزَر لمحمد بن ملك شاه وللمسترشد، وعلي وزر لتاج الدولة تُتُش، ولقبه فخر الملك، ومؤيد الملك عبيد الله وزير كِيَارُوق، ومن أولاده عز الملك وعبد الرحيم وغيرهم[١].

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٢/ ١٢٣- ١٢٧.



الشاكر البصري

الحسن بن علي بن غسان، أبو عمرو، ويعرف بالشاكر البصري.

له في جميع العلوم اليد البيضاء والهمة العلياء، وكان يغشى مجلسه رؤساء البصرة وفضلاؤها، يقرأون عليه الفقه والحديث وعلوم القرآن والقراءات، وكتب الأدب.

وكان حسن الهيئة، نظيف الثوب مليح الخط، ظريف الشكل، حسن الخلق، أبيَّ النفس، متين الدين، كثير الورع.

وكان شافعي المذهب، وله عدة تصانيف في عدة فنون، وله شعر وخطب وأدعية.

[١٠٢٩] وكان يبذل جهده في تعليم ولد له اسمه عبد الرحمن، ويحسن تربيته، فأبى الله -تعالى- إلا أن ينشأ في أقبح صفة، واشتغل في حياة أبيه مع الكناسين ومن أشبههم، وبالغ أبوه في استنقاذه، ولم يصل معه إلى مقصود.

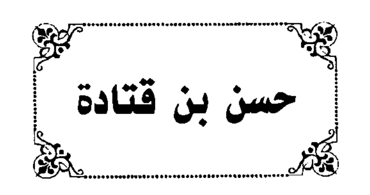
[١٠٣٠] ومن كلامه في مخاطبة ولده هذا: أما بعد، فإن العلم أفضل ما التمس وأنفع ما اقتبس، وبه يحاز الجمال والأجر، وهو الغاية في الشرف والفخر [من الوافر]:

إذا ما فاخر المُثْرون يوماً ... بما حازوه من مال ووفر

فخرت عليهم بالعلم إني ... وجدت العلم غاية كل فخر[1]

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٢/ ١٤٠.



حسن بن قتادة

حسن بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن سليمان بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

[١٠٣١] كان الحسن هذا صاحب مكة بعد أبيه قتادة، فإن قتادة كان يوماً بالحرم مع الأشراف، إذ هجم عليه ولد لابنه حسن هذا وترامى في حجره، فدخل الحسن كالمجنون يشتد في أثره وألقى يده في شعر ابنه وجره من حجر والده.

فاغتاظ قتادة وقال: هكذا ربيتك ولهذا ذخرتك؟

فقال حسن: ذاك الإخلال أوجب هذا الإدلال، فقال قتادة: ليس هذا بإدلال ولكنه إذلال.

وانصرف حسن بولده.

فالتفت قتادة إلى من حوله، وقال: والله لا أفلح هذا أبداً، ولم يفلح معه، فلم يمر إلا القليل حتى واطأ الحسن جارية تخدم أباه فأدخلته ليلاً عليه، فقتله بمعونة الجارية وغلام آخر له على ذلك.

ثم إن حسناً المذكور قتلهما بعد ذلك، وقعد في مكان أبيه، والعيون تنثني عنه والقلوب تنفر منه.

فامتعض راجح بن قتادة من قتل أبيه، وكون قاتله يأخذ ملكه، فلما وصل آقباش التركي -أمير الركب العراقي إلى مكة- اجتمع به راجح وشرح له القصة، وسأل منه أن يعضده في أخذ ثأر أبيه، ويلتزم من الخدمة

والطاعة ما يجب للديوان العزيز.

فنهي الخبر إلى حسن المذكور، فأغلق أبواب مكة، ومنع الناس من الدخول إليها والخروج عنها، واقتتلوا وقتل الأمير المذكور، ونهب الناس وفتك بهم.

[١٠٣٢] ثم إن حسناً المذكور مات طريداً غريباً؛ لأن الملك المسعود ابن الكامل ابن أيوب استولى على مكة، وهرب حسن المذكور إلى بغداد ومرض بها، وكان يرى أباه في النوم، يجيء إليه ويضع يده في خناقه فينتبه مذعوراً، ويسمعه من في البيت وهو يقول: بالله لا تفعل، وهو كالمتخبط، وكان في الزقاق الذي سكن فيه امرأة مشهورة بالصلاح فسأل أن يحمل إليها على سرير، فلما حصل بين يديها قال لها: أريد منك دعوة، وأنا على مفارقة الدنيا، قالت: وما هي؟ قال: أن يغفر الله لي، فقد قتلت أبي، وسفكت دماء الحجاج في الحرم، وصلبت أميرهم في المسعى، وعصيت الخليفة، وقطعت السبل، وظلمت الخلق، وما صليت للخالق ركعة قط.

قال الريحاني: فضرطت له بملء فيها.

فقال: ما هذا وأين الذي شُهِرَ منك من الصلاح؟

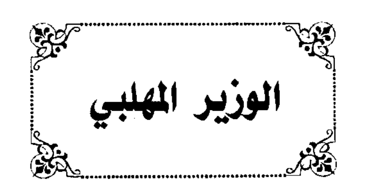
فقالت له: كل شيء في مكانه مليح.

فقال: احملوني فأنا الجاهل الذي حسبت أنه يجي من نساء بغداد صالحة أبداً.

مات سنة ثلاث وعشرين وستمائة، ثم إن أخاه استولى بعد ذلك على ملك مكة[١].

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٢/ ٢٠٦- ٢٠٨.



الوزير المهلبي

الحسن بن محمد بن عبد الله بن هارون، أبو محمد الوزير المهلبي، من ولد المهلب ابن أبي صفرة.

كاتب معز الدولة أبي الحسين أحمد بن بويه، لما مات الصيمري قلده معز الدولة مكانه، سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وقربه وأدناه، و اختص به، وعظم جاهه عنده.

وكان يدبر أمر الوزارة للمطيع من غير تسمية بوزارة، ثم جُددت له الخِلَع من دار الخلافة بالسواد والسيف والمنطقة، ولقبه المطيع بالوزارة، ودبر الدولتين(١)، كان ظريفاً نظيفاً، قد أخذ من الأدب بحظ وافر، وله همة كبيرة وصدر واسع، وكان جمَّاعاً لخلال الرياسة، صبوراً على الشدائد.

[١٠٣٣] وكان أبو الفرج الأصبهاني وسخاً في ثوبه ونفسه وفعله، فواكل الوزير المهلبي على مائدته، وقدمت سِكبَاجة، وافقت من أبي الفرج سُعلة، فبدرت من فمه قطعة بلغم، سقطت في وسط الصحن، فقال أبو محمد: ارفعوا هذا، وهاتوا من هذا اللون في غير هذا الصحن، ولم يبن في وجهه استكراه، ولا داخل أبا الفرج حياء ولا انقباض.

[١٠٣٤] وكان من ظرف الوزير المهلبي إذا أراد أكل شيء من أرز بلبن وهرايس وحلوى ، وقف إلى جانبه الأيمن غلام، معه نحو ثلاثين

(١) أي العباسية والبويهية.

ملعقة زجاجاً مجروداً، فيأخذ الملعقة من الغلام الذي على يمينه، ويأكل بها لقمة واحدة، ويدفعها إلى الذي على يساره لئلا يعيد الملعقة إلى فيه دفعة ثانية.

[١٠٣٥] ولما كثر على الوزير استمرار ما يجري من أبي الفرج جعل له مائدتين: إحداهما كبيرة عامة، والأخرى لطيفة خاصة، يؤاكله عليها من يدعوه إليها.

[١٠٣٦] وكان قبل وزارته قد سافر مرة، ولقي في سفره مشقة شديدة واشتهى اللحم، فلم يقدر عليه، وكان معه رفيق يقال له: أبو عبد الله الصوفي، وقيل: أبو الحسن العسقلاني، فقال المهلبي ارتجالاً [من الوافر]:

ألا موتٌ يباع فأشتريه ... فهذا العيش ما لا خير فيه

ألا موت لذيذ الطعم يأتي ... يخلصني من الموت الكريه

إذا أبصرت قبراً من بعيد ... وددت بأنني مما يليه

ألا رحم المهيمن نفس حر ... تصدق بالوفاة على أخيه

فلما سمع الأبيات اشترى له بدرهم لحماً وطبخه وأطعمه وتفارقا، وتنقلت الأحوال بالمهلبي، وولي الوزارة وضاقت الأحوال برفيقه الصوفي، فقصده، وكتب إليه [من الوافر]:

ألا قل للوزير فدته نفسي ... مقالة مُذْكِرٍ ما قد نسيه

أتذكر إذ تقول لضيق عيش ... ألا موت يباع فأشتريه

فلما وقف عليها تذكره، وأمر له في الحال بسبعمائة درهم، ووقع في رقعته﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ

﴿سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ﴾[1]، ثم دعا به وخلع عليه وقلده عملاً.

[١٠٣٧] ولما ترقت به الحال قال [من مجزوء الكامل]:

رق الزمـــــــان لفـــــــاقتي ... ورثـــى لطـــول تقلقـــي
فأنـــــالني مــــا أرتجيـــــ ... ـــه وحـــاد عمـــا أتقـــي
فلأصــــفحن عمـــا أتـــا ... ه مـــن الـــذنوب الـسُبّقِ
حتـــــى جنايتـــــه بمـــا ... صــنع المــشيب بمفرقـــي

[١٠٣٨] ومن شعره [من البسيط]:

الجود طبعي ولكن ليس لي مال ... فكيف يصنع مَن بالقرض يحتال
فهاك خطي فخذه منك تذكرة ... إلى اتساع فلي في الغيب آمال

[١٠٣٩] كان أبو النجيب، شداد بن إبراهيم الجزري، الشاعر الملقب بالطاهر، كثير الملازمة للوزير المهلبي، فاتفق أن غسل ثيابه وأنفذ يدعوه، فاعتذر إليه فلم يقبله، وألح في استدعائه فكتب إليه [من السريع]:

عبـــدك تحـــت الحبـــل عريـــان ... كأنــــه لا كــــان شـــيطان
يغـــسل أثوابـــاً كـــأن البِلَـــى ... فيهـــا خلـــيط وهْـــي أوطـــان
أرق مـــن ديـــني وإن كـــان لـــي ... ديـــن كمـــا للنـــاس أديـــان
كأنهـــا حـــالي مـــن قبـــل أن ... يـــصبح عنـــدي لـــك إحـــسان
يقـــول مـــن يبـــصرني مُعْرَضـــاً ... فيهـــا وللأقـــوال برهـــان
هـــذا الـــذي قـــد نُـــسِجت فوقـــه ... عناكـــب الحيطـــان إنـــسان

---

(١) سورة البقرة: ٢٦١.

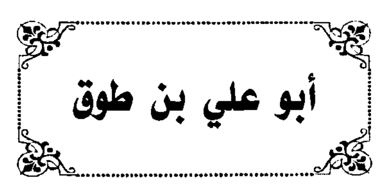
فأنفذ إليه جبة وقميصاً وعمامة وسراويل وخمسمائة درهم، وقال: أنفذت إليك ما تلبسه ولا تدفعه إلى الخياط، فإن كنت غسلت التكة واللالكة عرفني لأنفذ لك عوضهما.

[١٠٤٠] ومن شعر الوزير [من الطويل]:

تصارمت الأجفان لما صَرَمتني ... فما تلتقي إلا على عبرة تجري

قلت: شعره جيد إلى الغاية.

وتوفي سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة، في طريق واسط، وحمل إلى بغداد، وطول ياقوت ترجمته، وأورد جملة من أخبار شعره[1].



أبو علي بن طوق

الحسن بن محمد بن علي بن طوق، أبو علي بن أبي البركات الكاتب.

تفقه للشافعي بالنظامية ببغداد، وسمع البخاري على أبي الوقت السجزي، وتأدب وقال الشعر، وولي النظر في العقار الخاص، وديوان التركات، ثم عزل ولزم بيته إلى أن مات سنة ست وتسعين وخمسمائة.

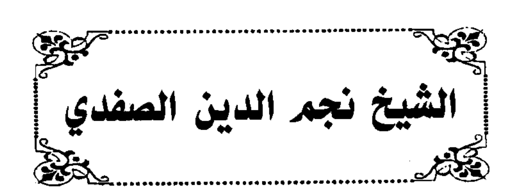
[١٠٤١] وكان سيء الطريقة مذموم السيرة رديء الأفعال، وكان مليح الشيبة، حسن الوجه، نظيفاً ظريفاً لبَّاساً متنعماً.

[١٠٤٢] وكان لا يتجاسر على الظهور من بيته بعد عزله، وكان مع جنازته حراس وأعوان يحفظونها من العوام، فقال مجنون: خرب الله

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٢/ ٢٢٣- ٢٢٧.

بيوتهم، هلا حفظوه بعد دفنه من الزبانية[1].



الشيخ نجم الدين الصفدي

الحسن بن محمد، الشيخ الإمام الفاضل نجم الدين أبو محمد، ابن الشيخ كمال الدين القرشي القرطبي الكركي المولد، الصفدي.

كان بصفد والده خطيب القلعة، وكان ينوب عن والده، وكان يكتب الإنشاء بصفد ويوقع بين يدي النواب.

ثم إنهم ضاروه، حتى توجه إلى دمشق خفية، وكان الأمير سيف الدين بلبان الجوكندار بدمشق يومئذ مشد الدواوين وله به معرفة من صفد فاستخدمه في كتاب الإنشاء بدمشق.

ولما أتى الأمير سيف الدين كراي إلى دمشق نائباً كان يعرفه من صفد ويركن إلى أمانته، فقلده الأمر وعذقه به، فتعب تعباً مفرطاً، ونصح مخدومه فعادى الدماشقة ومقتوه، فلما أمسك كراي اختفى فسلمه الله.

ثم إنه عاد إلى صفد خطيباً وموقعاً، وكان زين الدين بن حلاوات قد انفرد بالأمر، فدخل إلى النائب وقرر معه ما أراد فلم يمكّن نجم الدين من مباشرة شيء، فبقي في صفد إلى أن حضر له توقيع ثان، وكلما حضر شيء يسعى في تعطيله إلى أن أشركوا بينهما في الوظيفتين.

فأقاما مدة ووقع بينهما فطلبا إلى دمشق، وقرر الأمير سيف الدين تنكز أن يخيرا: كل واحد ينفرد بوظيفة، فاختار الشيخ نجم الدين خطابة

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٢/ ٢٣٤.

القلعة والجامع بالمدينة، واستقر زين الدين بن حلاوات في التوقيع.

[١٠٤٣] ولم يزل خطيباً إلى أن توفي فجاءة في شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة، ولم تسمع أذناي خطيباً أفصح منه، ولا أعذب عبارة، ولا أصح أداء، كأنه يقرأ الخطبة تجويداً لمخارج الحروف، وكان لكلامه في الخطابة وقع في السمع وأثر في القلب.

وتخرج به جماعة فضلاء، وقلّ من قرأ عليه ولم يتنبه، ولم أر مثله في مبادئ التعليم، كان يفتق ذهن المشتغل ويوضح له طرق الاشتغال، ولم أر مثله في تنزيل قواعد النحو على قواعد المنطق.

وممن قرأ عليه أولاً: العلامة القاضي فخر الدين المصري وغيره، وكان لي منه -رحمه الله- نصيب وافر، وأجد منه حنوّاً كثيراً وبرّاً، ولم أقرأ على أحد قبله، وكان شديد المحبة لأصحابه شفوقاً عليهم، صادق اللهجة مفرط الكرم.

وكان هشّاً بشّاً بساماً، وعِمته مليحة، ولم أر أعف يداً ولا فرْجاً منه، رحمه الله.

وكان يكتب خطّاً حسناً ونظمه سريع إلى الغاية، ونظمه أرشق من نثره، وكان قادراً على الإنشاء ولم أره يخطب بغير الخطب النباتية.

وكان جيد المشاركة، أشعري العقيدة، شافعي المذهب، يحب الكتب ويبالغ في الحرص على اقتنائها، والمنافسة فيها.

[١٠٤٤] رأيته بعد موته بمدة في المنام، فقمت إليه وصافحته، وقبضت على يده، وقلت له: قل لي ما الخبر؟

قال لي: لا تعتقد إلا وحدانيته، فقلت له: هذا شيء قد جبل اللحم

والدم عليه.

وشعره كثير إلى الغاية، وله مدائح كثيرة في النبي ﷺ[1].



ابن الباقلاني النحوي

الحسن بن مالي بن مسعود بن الحسين بن الباقلاني، أبو علي النحوي الحلي.

قدم بغداد في صباه، وقرأ بها المذهب والكلام، وقرأ الحكمة والأدب، ولازم الاشتغال والتحصيل إلى أن برع في هذه العلوم، وصار مشاراً إليه فيها معتمداً على ما يقوله.

وكتب بخطه كثيراً من الأدب واللغة وسائر الفنون، وكان له همة عالية، وحرص شديد، وتحصيل الفوائد مع علو سنه، وضعف بصره، وكثرة محفوظه، وصدقه، وثقته، وحسن طريقته، وتواضعه، وكرم أخلاقه.

وانتقل آخر عمره إلى مذهب الشافعي، وانتهت إليه رياسة النحو.

مولده سنة ثمان وستين وخمسمائة، وتوفي سنة سبع وثلاثين وستمائة.

[١٠٤٥] ومن شعره وقد أمره بعض أصدقائه بطلاق امرأته لما كبرت [من البسيط]:

وقائلٍ لي وقد شابت ذوائبها ... وأصبحت وهي مثل العود في النَحَفِ

لم لا تَجُذُّ حبال الوصل من نَصَفٍ ... شمطاء من غير ما حسن ولا ترف

---

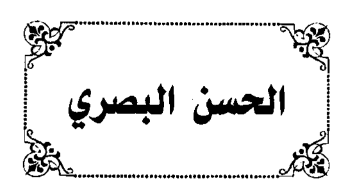
(١) الوافي بالوفيات: ١٢/ ٢٥٦-٢٦٢.

فقلت هيهات أن أسلو مودتها يوماً ولو أشرفت نفسي على التلف

وأن أخون عجوزاً غير خائنة مقيمة لي على الإتلاف والسرف

يكون مني قبيحاً أن أواصلها جنى وأهجرها في حالة الحشف

ونفذ صحبة الأمير علي ابن الإمام الناصر إلى «تستر» حين صير ملكها ليعلمه النحو، وكتب بخطه كتباً نفيسة وكان حاذقاً في الذكاء[1].



الحسن البصري

الحسن بن يسار البصري الفقيه القارئ الزاهد العابد، سيد زمانه، إمام أهل البصرة، بل إمام أهل العصر.

ولد بالمدينة سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر ﷺ، وكانت أمه «خيرة» مولاة لأم سلمة، فكانت تذهب لمولاتها في حاجة وتشاغله أم سلمة بثديها، فربما درَّ عليه، ثم نشأ بوادي القرى.

سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار، ورأى طلحة وعليّاً، وروى عن عمران بن حصين، والمغيرة بن شعبة، وعبد الرحمن بن سمرة، وأبي بكرة، والنعمان بن بشير، وجندب بن عبد الله، وسمرة بن جندب، وابن عباس، وابن عمر، وعمرو بن ثعلب، وعبد الله بن عمرو، ومعقل ابن يسار، وأبي هريرة، والأسود بن سريع، وأنس بن مالك، وخلق كثير من الصحابة وكبار التابعين، كالأحنف بن قيس، وحطان الرقاشي، وقرأ عليه القرآن.

(١) الوافي بالوفيات: ١٢/ ٢٧٣، ٢٧٤.

وصار كاتباً في إمرة معاوية للربيع بن زياد متولي خراسان، ومناقبه كثيرة ومحاسنه غزيرة.

قال الشيخ شمس الدين:

وكان يدلِّس ويرسل ويحدث بالمعاني، وكان رأساً في العلم والحديث، إماماً مجتهداً كثير الاطلاع، رأساً في القرآن وتفسيره، رأساً في الوعظ والتذكير، رأساً في الحلم والعبادة، رأساً في الزهد والصدق، رأساً في الفصاحة والبلاغة، رأساً في الأيد والشجاعة.

[١٠٤٦] روى الأصمعي عن أبيه قال:

ما رأيت زنداً أعظم من زند الحسن البصري؛ كان عرضه شبراً.

[١٠٤٧] وقد نسبه قوم إلى القول بالقدر، حدث حماد بن زيد عن أيوب قال: لا أعلم أحد يستطيع أن يعيب الحسن البصري إلا به، وأنا نازلته في القدر غير مرة، حتى خوفته السلطان، فقال: لا أعود فيه بعد اليوم، وقد أدركت الحسن والله وما يقوله.

[١٠٤٨] وقال أبو سعيد بن الأعرابي في كتاب: «طبقات النساك»:

كان يجلس إلى الحسن طائفة من هؤلاء وهو يتكلم في الخصوص، حتى نسبه القدرية إلى الجبر، وتكلم في الاكتساب حتى نسبوه إلى القدر، كل ذلك لافتنانه وتفاوت الناس عنده، وهو بريء من القدر، ومن كل بدعة.

وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن قال:

الخير بقدر والشر ليس بقدر، هكذا رواه أحمد بن علي الأبار في تاريخه.

[١٠٤٩] قال الشيخ شمس الدين:

هذه هي الكلمة التي قالها الحسن، ثم أفاق على نفسه ورجع عنها.

ومات الحسن ليلة الجمعة وغسله أيوب وحميد، وأخرج حين انصرف الناس وازدحموا عليه، حتى فاتت الناس صلاة العصر، ولم تصل في جامع البصرة.

وكان توفيه سنة عشر ومائة، وعمره تسع وثمانون سنة، وقيل: ست وتسعون سنة.

[١٠٥٠] حدث أبو علي الأهوازي، قال: سمعت أبي يقول:

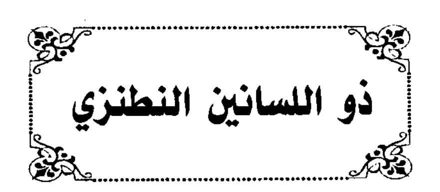
كان بين الحسن البصري وبين ابن سيرين هجرة، فكان إذا ذكر ابن سيرين عند الحسن يقول: دعونا من ذكر الحاكة، وكان بعض أهل ابن سيرين حائكاً، فرأى الحسن في منامه كأنه عريان، وهو قائم على مزبلة يضرب بالعود فأصبح مهموماً برؤياه، فقال لبعض أصحابه: امض إلى ابن سيرين فقص عليه رؤياي على أنك أنت رأيتها، فدخل على ابن سيرين وذكر له الرؤيا، فقال ابن سيرين: قل لمن رأى هذه الرؤيا :لا تُسأل الحاكة عن مثل هذا، فأخبر الرجل الحسن بمقالته، فعظم لديه، وقال: قوموا بنا إليه، فلما رآه ابن سيرين قام إليه وتصافحا وسلم كل واحد منهما على صاحبه، وجلسا يتعاتبان فقال الحسن: دعنا من هذا قد شغلت الرؤيا قلبي.

فقال ابن سيرين: لا تشغل قلبك فإن العري عري من الدنيا، ليس عليك منها علقة، وأما المزبلة فهي الدنيا، وقد انكشفت لك أحوالها، فأنت تراها كما هي في ذاتها، وأما ضربك بالعود، فإنه الحكمة التي تتكلم بها وينتفع بها الناس.

فقال له الحسن: فمن أين لك أني أنا رأيت هذه الرؤيا؟

قال ابن سيرين: لما قصها علي فكّرت، فلم أر أحداً يصلح أن يكون رآها غيرك.

[١٠٥١] وقال رجل لابن سيرين قبل موت الحسن: رأيت كأن طائراً أخذ أحسن حصاة بالمسجد، فقال ابن سيرين: إن صدقت رؤياك مات الحسن، فلم يكن غير قليل حتى مات الحسن، ولم يحضر ابن سيرين جنازته لشيء كان بينهما، ثم توفي ابن سيرين بعده بمائة يوم[١].



ذو اللسانين النطنزي

الحسين بن إبراهيم أبو عبد الله، النطنزي الأصبهاني النحوي الملقب بذي اللسانين، من كبار أئمة العربية.

توفي سنة تسع وتسعين وأربعمائة.

[١٠٥٢] من شعره [من الكامل]:

العز مخصوص به العلماء ... ما للأنام سواهمُ ما شاءوا

إن الأكابر يحكمون على الورى ... وعلى الأكابر يحكم العلماء

[١٠٥٣] وقال من الأبيات المفردة [من الرَّمَل]:

أسوأ الأمة حالاً رجل ... عالم يقضي عليه جاهل

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٢/ ٣٠٦- ٣٠٨.

[١٠٥٤] وقال [من البسيط]:

مـال البخيـل أسـير تحـت خاتمـه ... ولـيس يطلـق إلا عنـد مأتمـه

[١٠٥٥] وقال [من المتقارب]:

ألم تـــر أنـــي أزور الـــوز ... يـــر أمدحـــه ثـــم أســـتغفر
وأثـــني عليـــه ويـــثني علـــي ... وكـــلٌّ بـــصاحبه يـــسخر

[١٠٥٦] وقال [من مخلع البسيط]:

جـــواب مـــا اســـتفهموا بفـــاء ... يكـــون نـــصباً بـــلا امـــتراء
كـــالأمر والنهـــي والـــتمني ... والعـرض والجحـد والـدعاء(١)

ابن الجصاص الجوهري

الحسين بن عبد الله بن الحسين، أبو عبد الله بن الجصاص الجوهري.

كان من أعيان التجار ذوي الثروة الواسعة واليسار.

[١٠٥٧] لما بويع لعبد الله بن المعتز بالخلافة وانحل أمره وتفرق جمعه وطلبه المقتدر اختفى عند ابن الجصاص هذا فوشى به خادم صغير لابن الجصاص، وصادره المقتدر.

قال ابن الجوزي:

(١) الوافي بالوفيات: ١٢/ ٣١٩، ٣٢٠.

أخذوا منه ما مقداره ستة عشر ألف ألف دينار، عيناً وورقاً وقماشاً وخيلاً، وبقي له بعد المصادرة شيء كثير إلى الغاية من دور وقماش وأموال وضياع.

[١٠٥٧] قال أبو علي أحمد بن الحسين بن عبدالله بن الجصاص الجوهري: قال لي أبي:

كان بدء إكثاري أنني كنت في دهليز حرم أبي الجيش خمارويه بن أحمد ابن طولون، وكنت أتوكل له ولهم في ابتياع الجوهر وغيره مما يحتاجون؛ وما كنت أفارق الدهليز لاختصاصي بهم، فخرجت إليَّ قَهْرمانة[١] لهم في بعض الأيام، ومعها عقد جوهر فيه مائتا حبة، لم أر قبله أفخر ولا أحسن منه، تساوي كل حبة منه ألف دينار عندي، فقالت :

نحتاج أن نخرط هذه حتى تصغر ، فكدت أن أطير، وأخذتها وقلت: السمع والطاعة، وخرجت في الحال مسروراً فجمعت التجار ولم أزل أشتري ما قدرت عليه إلى أن حصلت مائة حبة أشكالاً في النوع الذي قدرت عليه وأرادته وجئت بها عشيّاً، وقلت:

إن خرط هذا يحتاج إلى زمان وانتظار، وقد خرطنا اليوم ما قدرنا عليه، وهو هذا، فدفعت إليها المجتمع وقلت: الباقي يخرط في أيام، فقنعت بذلك وارتضت الحب وخرجت، فما زلت أياماً في طلب الباقي حتى اجتمع، فحملت إليهم مائتي حبة قامت عليَّ بأثمان قريبة تكون دون مائة ألف درهم أو حواليها، وحصلت جوهراً بمائتي ألف دينار.

ثم لزمت دهليزهم، وأخذت لنفسي غرفة كانت فيه فجعلتها

---

(١) القهرمانة: القائمة بشؤون البيت.

مسكني، وكان يلحقني من هذا أكثر مما يحصى حتى كثرت النعمة، وانتهيت إلى ما استفاض خبره.

[١٠٥٨] وحكى ابن الجصاص قال: كنت يوم قبض على المقتدر جالساً في داري وأنا ضيق الصدر وكانت عادتي -إذا حصل لي مثل ذلك- أن أخرج جواهر كانت عندي في درج معدة لمثل هذا، من ياقوت أحمر وأصفر وأزرق، وحبّاً كباراً ودرّاً فاخراً ما قيمته خمسون ألف دينار، وأضع ذلك في صينية وألعب به فيزول قبضي، فاستدعيت بذلك الدرج فأُتي به بلا صينية، ففرغته في حجري وجلست على صحن داري في بستان في يوم بارد طيب الشمس، وهو مزهر بصنوف الشقائق والمنثور وأنا ألعب بذلك، إذ دخل الناس بالزعقات والمكروه فلما قربوا مني دهشت، ونفضت جميع ما كان في حجري من الجوهر بين ذلك الزهر في البستان ولم يروه وأُخذت وحُملت وبقيت مدة في المصادرة والحبس.

وانقلبت الفصول على البستان وجف ما فيه ولم يفكر أحد فيه، فلما فرج الله عني وجئت إلى داري ورأيت المكان الذي كنت فيه، ذكرت الجوهر فقلت: ترى بقي منه شيء ثم قلت: هيهات وأمسكت ثم قمت بنفسي ومعي غلام يثير البستان بين يدي، وأنا أفتش ما يثيره وآخذ منه الواحدة بعد الواحدة إلى أن وجدت الجميع، ولم أفقد منه شيئاً.

[١٠٥٩] وكان ينسب إلى الحمق والبله، مما يحكى عنه أنه قال في دعائه يوماً: «اللهم اغفر لي من ذنوبي ما تعلم وما لا تعلم».

[١٠٦٠] ودخل يوماً على ابن الفرات الوزير، فقال: يا سيدي عندنا في الحويرة كلاب لا يتركوننا ننام من الصياح والقتال، فقال الوزير: أحسبهم جِراء، فقال: لا تظن أيها الوزير لا تظن ذلك، كل كلب مثلي

ومثلك.

[١٠٦١] ونظر يوماً في المرآة فقال لرجل آخر: انظر ذقني هل كبرت أو صغرت، فقال: إن المرآة بيدك، فقال: صدقت، ولكن الحاضر يرى ما لا يرى الغائب.

[١٠٦٢] ورؤي وهو يبكي وينتحب فقيل له: مالك؟ فقال: أكلت اليوم مع الجواري المَخيض[١] بالبصل فآذاني فلما قرأت في المصحف: **﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزِلوا النساء في المخيض﴾**[٢] فقلت: ما أعظم قدرة الله، قد بين الله كل شيء حتى أكل اللبن مع الجواري.

[١٠٦٣] وأراد مرة أن يدنو من بعض جواريه فامتنعت عليه وتشاحت، فقال: أعطي الله عهداً لا قربتك إلى سنة، لا أنا ولا أحد من جهتي.

[١٠٦٤] وقال يوماً: قد خريت يدي لو غسلتها ألف مرة لم تنظف حتى أغسلها مرتين.

[١٠٦٥] وماتت أم أبي إسحاق الزجاج فاجتمع الناس عنده للعزاء، فأقبل ابن الجصاص وهو يضحك ويقول: يا أبا إسحاق، والله سرني هذا!! فدهش الزجاج والناس فقال بعضهم: يا هذا كيف سرك ما غمه وغمنا له؟ قال: ويحك، بلغني أنه هو الذي مات، فلما صح عندي أنها أمه، سرني ذلك، فضحك الناس.

---

(١) هو اللبن إذا أخرج زبده: ((المعجم الوسيط)): م خ ض.

(٢) سورة البقرة: ٢٢٢، وهذا إن كان منه تلاعب فلا يجوز، وهو من الكبائر العظام.

[١٠٦٦] وكان يكسر يوماً لوزاً فطفرت لوزة وأبعدت فقال:

لا إله إلا الله كل الحيوان يهرب من الموت حتى اللوز.

[١٠٦٧] وقال يوماً في دعائه:

«اللهم إنك تجد من تعذبه غيري، وأنا لا أجد غيرك يغفر لي، فاغفر لي».

[١٠٦٨] وقال يوماً: «اللهم امسخني واجعلني جويرية، وزوجني بعمر ابن الخطاب، فقالت له زوجته: سل الله أن يزوجك من النبي ﷺ إن كان لابد لك من أن تبقى جويرية»، فقال: ما أحب أن أصير ضرة لعائشة، ﵂.

[١٠٦٩] وأتاه يوماً غلامه بفرخ وقال: انظر هذا الفرخ، ما أشبهه بأمه، فقال: أمه ذكر أو أنثى.

وبنى ابنه داراً وأتقنها ثم أدخل أباه ليراها، وقال له:

انظر يا أبه هل ترى فيها عيباً؟ فطاف بها ودخل المستراح واستحسنه ثم قال: فيه عيب وهو أن بابه ضيق لا تدخل منه المائدة.

[١٠٧٠] وتردد إلى بعض النحويين ليصلح لسانه فقال له بعد مدة:

الفرس بالسين أو بالصين.

[١٠٧١] وقال: قمت البارحة إلى المُستراح، وقد طفئ القنديل، فما زلت أتلمظ المقعدة حتى وجدتها.

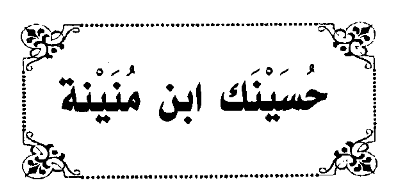
[١٠٧٢] وانبثق له كنيف فقال لغلامه:

بادر أحضر من يُصلحه لنتغدَّى به قبل أن يتعشى بنا.

[١٠٧٣] وطلب يوماً من البستاني الذي له بصلاً بخل، فأحضر إليه

بصلاً بلا خلٍّ فقال له: لأي شيء ما تزرعه بخل؟

[١٠٧٤] والصحيح أنه كان يتظاهر بذلك؛ ليرى الوزراء منه هذا التغفل فيأمنوه على أنفسهم إذا خلا بالخلفاء[١][٢].



حُسَيْنَك ابن مُنَيْنة

الحسين بن علي بن محمد بن يحيى، أبو أحمد التميمي النيسابوري، يقال له: حسينك ويعرف بابن منينة.

من بيت حشمة ورياسة، تربى في حجر الإمام ابن خزيمة، وكان يقدمه على أولاده.

[١٠٧٥] قال الحاكم: صحبته حضراً وسفراً نحو ثلاثين سنة، فما رأيته يترك قيام الليل، ويقرأ كل ليلة سُبُعاً.

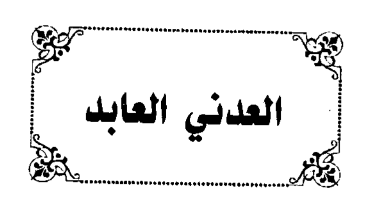
[١٠٧٦] وكانت صدقاته دارَّة سرّاً وعلانية، أخرج مرة عشرة أنفس إلى الغزاة بآلتهم بدلاً عن نفسه، ورابط غير مرة.

قال الخطيب: كان حجة ثقة، وتوفي سنة خمس وسبعين وثلاث مائة، وخرج السلطان للصلاة عليه[٣].

(١) الوافي بالوفيات: ١٢/ ٣٨٦- ٣٩١.

(٢) في «فوات الوفيات»: أنه توفي بعد العشرين والثلاثمائة تقريباً.

(٣) الوافي بالوفيات: ١٣/ ١٨.

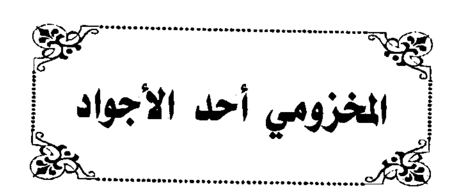


العدني العابد

الحكم بن أبان العدني العابد.

[١٠٧٧] كان إذا هدأت العيون وقف في البحر إلى ركبتيه، يذكر الله -تعالى- حتى يصبح.

روى له الأربعة، وتوفي في حدود الستين ومائة[١].



المخزومي أحد الأجواد

الحكم بن المطلب بن عبد الله بن المطلب القرشي المخزومي.

كان من أجود قريش من أهل المدينة.

قدم منبج وسكنها مرابطاً إلى أن مات بها، حدث عن أبيه وأبي سعيد المقبري، وكان ممدحاً، وكان من أبر الناس بأبيه.

[١٠٧٨] وكان أبوه يؤثر أخاه الحارث بن المطلب على جميع إخوته، وكان الحكم يطلب رضا أبيه في كل ما يريد مع أخيه الحارث، فاشترى الحكم جارية مشهورة الجمال بمال كثير فحين أراد الدخول عليها أمره أبوه أن يهبها للحارث أخيه ففعل.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٣/ ١١١.

وفي الحكم يقول ابن هرمة: [من الكامل]:

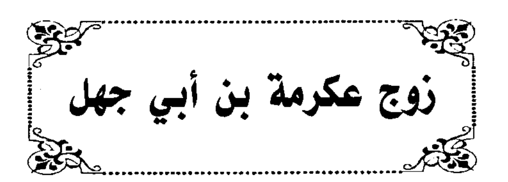
إن القرابة منك تأمل أهلها صلة وتأمن غلظة وعقوقا

[١٠٧٩] وكان قد استعمله بعض ولاة المدينة على بعض المساعي، فلم يرفع شيئاً، فقال له الوالي: أين الإبل والغنم؟ فقال: أكلنا لحومها بالخبز، قال: فأين الدنانير والدراهم؟ قال: اعتقدنا بها الصنائع في رقاب الرجال، فحبسه، فقال فيه بعض ولد نَهْيَك الأنصاري [من الطويل]:

خليليَّ إن الجود في السجن فابكيا على الجود إذ سُدّتْ علينا مرافقه

[١٠٨٠] قيل لنُصيب: هرم شعرك!! فقال: لا ولكن هرم الجود، لقد مدحت الحكم بن المطلب فأعطاني أربع مائة شاة وأربع مائة دينار وأربع مائة ناقة.

[١٠٨١] وقال قبيل موته: هذا ملك الموت يقول: إني بكل سخي رفيق، ومات عقيب كلامه(١).



زوج عكرمة بن أبي جهل

أم حكيم بنت الحارث بن هشام، زوج عكرمة بن أبي جهل ابن عمها.

[١٠٨٢] أسلمت يوم الفتح، واستأمنت النبي ﷺ لزوجها عكرمة بن

(١) الوافي بالوفيات: ١٣/ ١٢٣، ١٢٤.

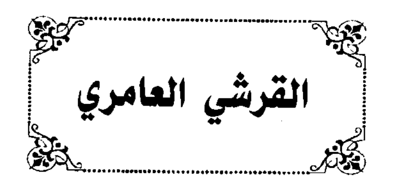
أبي جهل، وكان قد فر إلى اليمن، وخرجت في طلبه فردته، وثبتا على نكاحهما.

[١٠٨٣] وقتل زوجها عنها بأجنادين، فاعتدت أربعة أشهر وعشراً، وكان يزيد بن أبي سفيان يخطبها وخالد بن سعيد يرسل إليها يعرض لها في الخطبة فخطبت إلى خالد بن سعيد فتزوجها على أربع مائة دينار، فلما نزل المسلمون على مرج الصُفَّر- وكان خالد شهد أجنادين وفِحْل ومرج الصُّفَّر- فأراد أن يعرس بأم حكيم، فقالت له:

لو أخرت الدخول حتى يفض الله هذه الجموع.

فقال خالد: إن نفسي تحدثني أني أصاب في جموعهم.

قالت: فدونك، فأعرس بها عند القنطرة التي بمرج الصُفّر، وبها سميت قنطرة أم حكيم، وأولم عليها ودعا أصحابه على طعام، فما فرغوا من الطعام حتى صفت الروم صفوفها، وبرز خالد فقاتل حتى قتل-رحمه الله- وشدت أم حكيم عليها ثيابها، و قتلت يومئذ سبعة من الروم بعمود الخيمة التي بات فيها خالد معرساً[1].



القرشي العامري

حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس أبو محمد، القرشي العامري.

أسلم عام الفتح، وشهد حنيناً والطائف، وأعطاه النبي ﷺ يومئذ مائة بعير، وخرج إلى الشام مجاهداً مع الحارث بن هشام وسهيل بن عمر.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٣/ ١٣٢.

وهو أحد النفر الذين أمرهم عمر بن الخطاب بتجديد أنصاب الحرم.

وكان ممن دفن عثمان بن عفان، وباع داراً بالمدينة بأربعين ألف دينار لمعاوية، ومات في آخر خلافة معاوية وله مائة وعشرون سنة.

وقال ابن سعد: مات بالمدينة سنة أربع وخمسين، وله دار بالمدينة بالبلاط عند أصحاب المصاحف.

[١٠٨٤] قال شهاب الدين أبو شامة -رحمه الله تعالى-:

وليس لحويطب رواية عن رسول الله ﷺ وإنما روى السائب بن يزيد عن حويطب عن عبد الله بن السعدي عن عمر بن الخطاب حديثاً في العُمالة فيه: أن النبي ﷺ قال لعمر: **«ما جاءك من هذا المال وأنت غير مستشرف ولا سائل فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك»**، وهذا إسناد يمتحن فيه الحفاظ، وهو أنه اجتمع فيه أربعة من الصحابة بعضهم يروي عن بعض، وقد امتَحَن به الوزير ابن خنزابة لما قدم حلب، وقد نظمت ذلك في بيتين [من البسيط]:

وفي العُمالة إسناد بأربعة ... من الصحابة فيه عنهم ظهرا

السائب بن يزيد عن حويطب عبـ ... ـد الله حدثه بذاك عن عمرا

قال الشيخ شمس الدين: روى له البخاري ومسلم والنسائي. انتهى.

[١٠٨٥] وقال مروان يوماً لحويطب:

تأخر إسلامك أيها الشيخ حتى سبقك الأحداث.

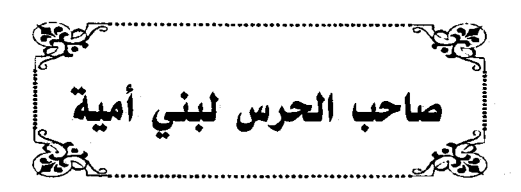
فقال حويطب: الله المستعان، والله لقد هممت بالإسلام غير ما مرة كل ذلك يعوقني أبوك عنه وينهاني ويقول: تضع شرفك وتدع دينك ودين آبائك لدين محدث وتصير تابعاً، فأسكت والله مروان وندم على ما

كان قال له، ثم قال حويطب:

أما كان أخبرك عثمان بما كان لقي من أبيك حين أسلم؟ فازداد مروان غمّاً، ثم قال حويطب:

ما كان في قريش أحد من كبرائها الذين بقوا على دين قومهم إلى أن فتحت مكة أكره لما هو عليه مني، ولكني منعتني المقادير.

وأمَّن حويطباً يوم الفتح أبو ذر ومشى معه وجمع بينه وبين عياله، حتى نودي بالأمان للجميع إلا النفر الذين أمر بقتلهم، ثم أسلم وحسن إسلامه واستقرضه رسول الله ﷺ أربعين ألف درهم فأقرضه إياها[1].



صاحب الحرس لبني أمية

خالد بن الريَّان المحاربي، مولاهم.

ولي أبوه الحرس لعبد الملك بن مروان، وولي هو الحرس لعبد الملك والوليد وسليمان.

[١٠٨٦] كان حروري[2] قد شتم سليمان، فقال لعمر: ماذا ترى عليه؟

قال: أن تشتمه كما شتمك، فأمر سليمان به فضربت عنقه، وقام سليمان، وخرج عمر فتبعه خالد فقال:

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٣/ ٢٢١- ٢٢٣.

(٢) يعني: خارجي.

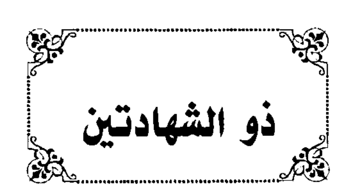
يا أبا حفص: تقول لأمير المؤمنين ما أرى عليه إلا أن تشتمه كما شتمك؟ والله لقد كنت متوقعاً أن يأمرني بضرب عنقك.

فقال عمر: لو أمرك فعلت؟

قال: إي والله.

فلما أفضت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز، جاء خالد وقام مقام صاحب الحرس، فقال عمر:

يا خالد: ضع هذا السيف عنك، اللهم إني قد وضعت لك خالد بن الريان، اللهم لا ترفعه أبداً، ثم أعطى السيف عمرو بن مهاجر الأنصاري وولاه الحرس؛ لأنه رآه يحسن الصلاة، قال نوفل بن الفرات: فما رأيت شريفاً خمل ذكره حتى لا يذكر مثله، إن كان الناس ليقولون: ما فعل خالد أحي أم قد مات[1].



ذو الشهادتين

خزيمة بن ثابت بن الفاكه الأنصاري الخَطْمِي، ذو الشهادتين، يقال بدري، والصحيح أنه شهد أحداً وما بعدها، وقتل بصفين مع عليٍّ سنة سبع وثلاثين، وروى له مسلم والأربعة.

كان يحمل راية بني خَطْمة.

وشهد غزوة مؤتة فبارز رجلاً فقتله وأخذ من بيضته ياقوتة باعها في

(١) الوافي بالوفيات: ١٣/ ٢٥٠.

زمن عمر بمائة دينار، وكان هو وعمير بن عدي بن خرشة يكسران أصنام بني خطمة.

[١٠٨٧] وأجاز رسول الله ﷺ شهادته بشهادتين؛ لأن يهوديّاً قال: يا محمد: اقضني ديني، فقال رسول الله ﷺ: أَوَ لَمْ أقضك دينك؟!

قال: لا، إن كان لك بينة فهاتها.

فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: أيكم يشهد أني قضيت اليهودي ماله؟

فقال خزيمة: أنا أشهد يا رسول الله.

فقال له: وكيف تشهد بذلك وأنت لم تحضرنا ولم تعلم ذلك؟

فقال: يا رسول الله: نحن نصدقك في الوحي من السماء، فلا نصدقك في قضاء دين يهودي، فأنفذ شهادته وسماه ذا الشهادتين؛ لأنه صير شهادته شهادة اثنين، وقال: من شهد له خزيمة أو شهد عليه فحسبه.

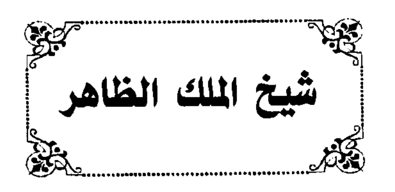
[١٠٨٨] وافتخر الحيان من الأنصار: الأوس والخزرج، فقالت الأوس:

منّا غسيل الملائكة: حنظلة بن الراهب، ومنا من اهتز له عرش الرحمن: سعد بن معاذ، ومنا من حمته الدَّبْر: عاصم بن ثابت، ومنا من أجيزت شهادته برجلين: خزيمة بن ثابت.

وقال الخزرجيون: منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ: زيد بن ثابت وأبو زيد وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل.

[١٠٨٩] وعن محمد بن عمارة بن خزيمة قال: كان جدي كافاً سلاحه يوم الجمل ويوم صفين حتى قتل عمار، فلما قتل عمار قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«تقتل عمار الفئة الباغية»**، ثم سل سيفه وقاتل حتى

قتل[1].



[١٠٩٠] خضر بن أبي بكر بن موسى المهراني العدوي، الشيخ المشهور شيخ الملك الظاهر.

كان صاحب حال ونفس مؤثرة وهمة وحال كاهنيّ[2]، أخبر الظاهر بسلطنته قبل وقوعها؛ فلهذا كان يعظمه وينزل إلى زيارته مرة ومرتين وثلاثة، ويطلعه على غوامض أسراره ويستصحبه في أسفاره، سأله وهو محاصر أرسوف: متى تؤخذ؟ فعين له اليوم، فوافق ذلك، وكذلك صفد وقَيْسارية.

ولما عاد إلى الكرك سنة خمس وستين، استشاره في قصده فأشار عليه أن لا يقصدها ويتوجه إلى مصر، فخالفه وتوجه فوقع عند بركة زيزا وانكسرت فخذه.

وقال في بعلبك والظاهر على حصن الأكراد: يأخذه السلطان بعد أربعين يوماً، فوافق ذلك.

ولما توجه السلطان إلى الروم كان الشيخ خضر في الحبس، فأخبر أن السلطان يظفر ويعود إلى دمشق، وأموت ويموت بعدي بعشرين يوماً، فاتفق ذلك.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٣/ ٣١٠-٣١٢.

(٢) أي من الكهانة.

نقم السلطان عليه، وأحضر من حاققه على أمور لا تصدر من مسلم، فأشاروا بقتله، فقال هو للسلطان: أنا أجلي قريب من أجلك، وبيني وبينك أيام يسيرة، فوجم لها السلطان، وتوقف في قتله وحبسه وضيق عليه، لكنه كان يرسل إليه الأطعمة الفاخرة والملابس، وكان حبسه في شوال سنة إحدى وسبعين.

ولما وصل الظاهر من الروم إلى دمشق كتب إلى مصر بإخراجه فوصل البريد بعد موته، وكان قد بنى له عدة زوايا في عدة بلاد، وكان كل أحد يتقي جانبه، وأخرج من السجن ميتاً وحمل إلى الحسينية ودفن بزاويته.

قال الشيخ تقي الدين[1]:

الشيخ خضر مسلم صحيح العقيدة، لكنه قليل الدين، باطوليٌّ له حال شيطاني.

وكانت وفاته سنة ست وسبعين وست مائة.

وكان قد بنى له زاوية بالحسينية على الخليج محاذية لأرض الطبالة، ووقف عليها أحكاراً يجيء منها في السنة ثلاثون ألف درهم، وبنى له بالقدس زاوية، وبالمزة بدمشق زاوية، وبظاهر بعلبك زاوية، وبحماة زاوية، وبحمص زاوية، وهدم بدمشق كنيسة اليهود، وكنيسة المصلبة بالقدس التي للنصارى، وقتل قسيسها بيده[2] وعملها زاوية، وهدم بالإسكندرية كنيسة الروم وصيرها مسجداً وسماها المدرسة الخضراء.

وكان واسع الصدر يعطي الفضة والذهب، ويعمل الأطعمة في قدور

---

(١) أي ابن تيمية، رحمه الله تعالى.

(٢) إن كان القسيس فعل ما يستوجب القتل وإلا فلا يجوز هذا الصنيع.

مفرطة الكبر يحمل القدر جماعة عتالين.

وفي ملازمته للملك الظاهر يقول شرف الدين محمد بن رضوان الناسخ [من الكامل]:

ما الظاهر السلطان إلا مالك الـ ـدنيا بذاك لنا الملاحم تخبر

ولنا دليل واضح كالشمس في وسط السماء بكل عين تنظر

لما رأينا الخضر يقدم جيشه أبداً علمنا أنه الإسكندر[1]



الخطابية

[١٠٩١] هم فرقة من الرافضة، وهم أتباع أبي الخطاب محمد بن أبي ذئب الأسدي الأجدع.

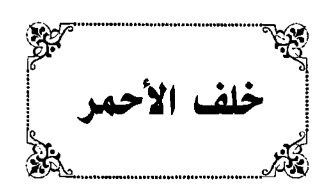
عزا نفسه إلى جعفر الصادق، فلما وقف على باطله في دعاويه تبرأ منه ولعنه وأمر أصحابه بالبراءة منه، وشدد القول في ذلك وبالغ فيه وفي لعنته، فدعا أبو الخطاب إلى نفسه وزعم أن الأئمة أنبياء، ثم آلهة وأن جعفر الصادق إله، وآباءه آلهة، وهم أبناء الله وأحباؤه، والإلهية نور في النبوة والنبوة نور في الإمامة، ولا يخلو العالم من هذا الأنوار والآثار، وزعم مرة أن جعفراً هو الإله في زمانه لكنه ليس هو المحسوس الذي يرى، وإنما لما نزل إلى هذا العالم لبس تلك الصورة فرآه العالم بها.

فبلغ عيسى بن موسى خبره فقتله، فافترقت الخطابية بعده أربع فرق:

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٣/ ٣٣٣- ٣٣٥.

البزيغية والعجيلة والمعمرية[1].



خلف الأحمر

[١٠٩٢] خلف الأحمر الشاعر صاحب البراعة في الآداب، يكنى أبا محرز، مولى بلال بن أبي بردة.

حمل عنه ديوانه أبو نواس، وتوفي في حدود الثمانين ومائة.

وكان راوية ثقة علامة، يسلك الأصمعي طريقه ويحذو حذوه حتى قيل: هو معلم الأصمعي، وهو والأصمعي فتَّقا المعاني وأوضحا المذاهب وبينا المعالم، ولم يكن فيه ما يعاب له إلا أنه كان يعمل القصيدة، يسلك فيها ألفاظ العرب القدماء، وينحلها أعيان الشعراء كأبي داود والإيادي، وتأبط شرّاً والشنفرى وغيرهم فلا يفرق بين ألفاظه وألفاظهم، ويرويها جلة العلماء لذلك الشاعر الذي نحله إياها، فمما نحله تأبط شرّاً وهي في الحماسة [من الرمل]:

إن بالشِّعب الذي دون سَلْعٍ   لقتيلاً دمه لا يُطَلّ

ومما نحله الشنفرى القصيدة المعروفة بلامية العرب وهي [من الطويل]:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم   فإني إلى قوم سواكم لأميل

وقال الرياشي: سمعت الأخفش يقول:

ولم ندرك أحداً أعلم بالشعر من خلف الأحمر والأصمعي، قلت:

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٣/ ٣٤٦.

أيهما كان أعلم؟

قال: الأصمعي.

قلت: لم؟

قال: لأنه كان أعلم بالنحو.

قال خلف الأحمر: أنا وضعت على النابغة القصيدة التي منها [من البسيط]:

خيل صيام وخيل غير صائمة   تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

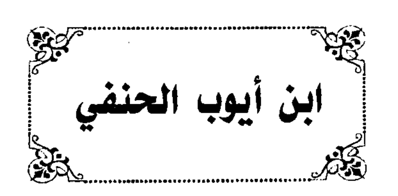
وقال أبو الطيب اللغوي:

كان خلف الأحمر يصنع الشعر وينسبه إلى العرب، فلا يعرف، ثم نسك وكان يختم القرآن كل ليلة، وبذل له بعض الملوك العظماء مالاً عظيماً على أن يتكلم في بيت شعر شكوا فيه، فأبى ذلك وقال: قد مضى لي فيه ما لا أحتاج أن أزيد عليه، وكان قد قرأ أهل الكوفة عليه أشعارهم، فكانوا يقصدونه لما مات حماد الراوية، فلما نسك خرج إلى أهل الكوفة يعرفهم الأشعار التي أدخلها في أشعار الناس فقالوا له: أنت كنت عندنا في ذلك الوقت أوثق منك الساعة، فبقي ذلك في روايتهم إلى الآن.

وله من التصانيف، كتاب: «جنات العرب، وما قيل فيها من الشعر»[1].

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٣/ ٣٥٣-٣٥٥.



ابن أيوب الحنفي

خلف بن أيوب الفقيه أبو سعيد العامري البلخي الحنفي، مفتي أهل بلخ وزاهدهم وعابدهم.

أخذ الفقه عن أبي يوسف، وسمع من إبراهيم بن أدهم وصحبه مدة، روى عنه أحمد بن حنبل وابن معين، وأبو كريب وعلي بن سلمة وجماعة، وكان من أعلام الأئمة.

[١٠٩٣] جاء إليه أسد بن نوح الساماني صاحب بلخ وتحين مجيئه إلى الجمعة، فلما رآه ترجل وقصده، فقعد خلف وغطى وجهه، فقال :السلام عليكم، فأجاب ولم يرفع رأسه فرفع الأمير أسد رأسه إلى السماء وقال: اللهم إن هذا العبد الصالح يبغضنا فيك ونحن نحبه فيك ثم ركب ومر، فأخبر بعد ذلك أنه مرض فعاده الأمير وقال له: هل لك من حاجة؟ قال: نعم ألاَّ تعود إلي وإن مت فلا تصل عليَّ وعليك السواد، فلما توفي شهد جنازته راجلاً ونزع السواد وصلى عليه، فسمع صوتاً بالليل: بتواضعك وإجلالك لخلف ثبتت الدولة في عقبك.

وتوفي خلف سنة خمسة عشرة ومائتين، وروى له الترمذي(١).

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٣/ ٣٥٦-٣٥٧.



المقرئ البزاز

خلف بن هشام بن ثعلب، أبو محمد البغدادي المقرئ البزاز، أحد الأعلام.

له قراءة اختارها، وثقه ابن معين والنسائي والدارقطني.

[١٠٩٤] كان عابداً فاضلاً، قال: أعدت الصلاة أربعين سنة كنت أتناول فيها الشراب على مذهب الكوفيين.

[١٠٩٥] قيل: إن ابن أخته قرأ عليه سورة الأنعام حتى بلغ قوله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[١] فقال له: يا خال، إذا ميز الله الخبيث من الطيب أين يكون النبيذ؟ فنكس رأسه طويلاً وقال: مع الخبيث[٢].

فقال: أترضى أن تكون مع الخبيث؟

فقال: يا بني اذهب إلى المنزل فاصبب كل شيء فيه، فأعقبه الله الصوم فصام الدهر إلى أن مات.

[١٠٩٦] قال يحيى الفحام: رأيت خلف بن هشام في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي.

توفي سنة تسع وعشرين ومائتين، وروى له مسلم وأبو داود[٣].

---

(١) سورة الأنفال: ٣٧.

(٢) وهو الشراب المختلف فيه لا الخمر المتفق على تحريمه.

(٣) الوافي بالوفيات: ١٣/ ٣٥٨.



أمير بخارى

خلف بن أحمد بن محمد بن الليث أمير بخارا وابن أميرها.

كان أوحد الملوك في إجلال أهل العلم والإفضال على العلماء.

سمع بالحجاز وببغداد، ومولده سنة عشرين وثلاث مائة ،وتوفي شهيداً في الحبس ببلاد الهند-رحمه الله- سنة تسع وتسعين وثلاث مائة.

وروى عنه الحاكم مع جلالته، وانتخب له الدارقطني.

[١٠٩٧] وقال ياقوت:

كان في أول أمره على مذهب أهل الرأي، وكان أهل مذهبه يغرونه بقتل من خالف مذهبه فقتل ألوفاً كثيرة على ذلك الرأي، وكان يحيى بن عمارة في سجستان في ذلك الوقت، فالتحف بملحفة كالنسوان ولحق ببعض السفارة، فتحمل معهم على ذلك الحال قاصداً هراة.

[١٠٩٨] ثم إن الأمير أحمد رجع عن مذهب أهل الرأي إلى مذهب أهل الحديث، فقتل خلقاً كثيراً من أهل الرأي(١).

وصنف في تفسير القرآن كتاباً كبيراً نحو مائة وعشرين مجلداً، وله كتاب تعبير الرؤيا سماه «تحفة الملوك».

[١٠٩٩] قبض عليه السلطان محمود بن سبكتكين وحبسه في قلعة فشرب دواء حتى غاب رشده وخيل إلى الموكلين به أنه قد مات فسلم إلى

(١) إنا لله وإنا إليه راجعون!! ما هذا الظلم!!

أهله، فجعلوه في تابوت ومضوا به، فبلغ ذلك السلطان فقبض عليه مرة أخرى، ففعل فعلته الأولى فأمر السلطان أن يجعل في تابوت ويغلق حتى مات[1].



الفراهيدي

الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الأزدي الفراهيدي، البصري صاحب العربية والعَروض، أحد الأعلام.

أخذ النحو عن سيبويه والأصمعي والنضر بن شميل وهرون بن موسى النحوي ووهب بن جرير وعلي بن نصر الجهضمي.

[١١٠٠] كان خيراً متواضعاً ذا زهد وعفاف، يقال: إنه دعا بمكة أن يرزقه الله علماً لم يسبق إليه، فرجع إلى البصرة وقد فتح عليه بالعروض فوضعه، فهو أول من وضعه، وصنف كتاب «العين» في اللغة.

[١١٠١] وقال النضر بن شميل: أقام الخليل بن أحمد في خُص بالبصرة ولا يقدر على فلسين، وتلامذته يكسبون بعلمه الأموال.

[١١٠٢] وكان آية في الذكاء، وكان سبب موته أنه قال: أريد أن أعمل نوعاً من الحساب تمضي به الجارية إلى الفامي[2] فلا يمكنه أن يظلمها، فدخل المسجد وهو يعمل فكره، فصدمته سارية وهو غافل فانصرع ومات، قيل: سنة خمس وسبعين ومائة وقيل: سنة سبعين وقيل:

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٣/ ٣٦٤، ٣٦٥.

(٢) الفامي: بائع الحبوب: انظر ((القاموس المحيط)): ف و م.

سنة ستين ومائة.

وكانت له معرفة بالإيقاع والنغم؛ وذلك هو الذي أحدث له علم العروض فإنهما متقاربان في المأخذ.

[١١٠٣] وقال حمزة الأصبهاني في كتاب «التنبيه على حدوث التصحيف»:

وبعد فإن دولة الإسلام لم تخرج أبدع للعلوم التي لم تكن لها أصول عند علماء العرب من الخليل، وليس على ذلك برهان أوضح من علم العَروض الذي لا عن حكيم أخذه، ولا على مثال تقدمه احتذاه، وإنما اخترعه من ممر له بالصفارين من موقع مطرقة على طست.

[١١٠٤] ومن تأسيسه بناء كتاب العين الذي يحصر فيه لغة كل أمة من الأمم قاطبة، ثم من إمداده سيبويه -في علم النحو- بما صنف كتابه الذي هو زينة لدولة الإسلام.

[١١٠٥] وقال حمزة أيضاً في كتاب «الموازنة بين العربية والعجمية»: وللعرب فضل على غيرهم من الأمم بما اتفق لعلماء لغاتهم من تقييد ألفاظهم في بطون الكتب.

[١١٠٦] وعلماء الفرس تدعي مشاركتهم في هذه الفضيلة، ويزعمون أن لغتهم كانت منتشرة ذاهبة في الضياع على غير نظام إلى أن ظهر لجمعها بعد انتشارها فيلسوف دولة الإسلام الخليل بن أحمد الفرهودي، ومن الفرس كان أصله؛ لأنه من فراهيد اليمن وكانوا من بقايا أولاد الفرس الذين فتحوا بلاد اليمن لكسرى، وكان جد الخليل من أولئك؛ فمن أجل أن الخليل كان من الفرس، صارت لنا مشاركة في مفاخر

العرب بما أثّله[1] الخليل لهم، فزعموا أن للخليل ثلاثة أياد عند العرب كبار لم يشد مثلها إليهم عربي منهم:

أحدها: ما نهج لتلميذه سيبويه من التأني لتأليف كتابه حتى علمه كيف يفرق جمهور النحو أبواباً، ويجنس الأبواب أجناساً، ثم ينوع الأجناس أنواعاً، حتى أخرجه معجز التأليف فقيد به على العرب منطقهم حتى سلم من هُجْنة اللحن وخطأ القول.

الثانية: اختراعه لأشعارهم ميزاناً حذاه على غير مثال، وهو العَروض التي إليها مفزع من خذله الطبع ولم يساعده الذوق من الشعراء ورواة الأشعار، فصار أثره لاختراع هذا العلم كأثر الفيلسوف أرسطاليس في شرح علم حدود المنطق.

الثالثة: ما منحهم في لغتهم من حصره إياها في الكتاب الذي سماه: كتاب العين، فبدأ فيه بسياقه مخارج الحروف، وأظهر فيه حكمة لم تقع مثلها للحكماء من اليونان.

وسأل الخليلَ بن أحمد رجل: من أي العرب أنت؟ فقال: فراهيدي، وسأله آخر فقال: فرهودي، قال المبرد: قوله: فراهيدي انتسب إلى فراهيد بن مالك بن فهم بن عبد الله بن مالك بن مضر بن الأزد، وقوله: فرهودي، انتسب إلى واحد من الفراهيد وهو فرهود، والفراهيد: صغار الغنم.

[١١٠٧] وكان الناس يقولون:لم يكن في العرب بعد الصحابة أذكى من الخليل بن أحمد ولا أجمع، ولا كان في العجم أذكى من ابن المقفع ولا أجمع.

[١١٠٨] وكان الخليل يحج سنة ويغزو سنة حتى مات.

---

(١) أي أصّله، وانظر ((القاموس المحيط)): أ ث ل.

[١١٠٩] وهو أول من جمع حروف المعجم في بيت واحد وهو [من البسيط]:

صف خلق خُودٍ كمثل الشمس إذ بزغت يحظى الضجيع بها نجلاء معطار

[١١١٠] ويقال: إنه كان عند رجل دواء لظلمة العين ينتفع به الناس فمات، وأضر ذلك بمن كان يستعمله، فقال الخليل بن أحمد: أله نسخة معروفة؟ قالوا: لا.

قال: فهل له آنية كان يعمله فيها؟

قالوا: نعم، إناء كان يجمع فيه الأخلاط.

فقال: جيئوني به فجاؤوه به، فجعل يشمه ويخرج نوعاً نوعاً حتى ذكر خمسة عشر نوعاً، ثم سأل عن جميعها ومقدارها، فعرف ذلكم من يعالج مثله، فعمله وأعطاه الناس فانتفعوا به مثل تلك المنفعة، ثم وجدت النسخة في كتب الرجل فوجدوا الأخلاط ستة عشر خلطاً كما ذكر الخليل لم يفته منها إلا خلط واحد.

[١١١١] وقال الخليل:

ثلاثة أشياء ينسين المصائب: مر الليالي، والمرأة الحسناء، ومحادثة الرجال.

[١١١٢] قال علي بن نصر الجهضمي: رأيت الخليل بن أحمد في النوم فقلت له: ما صنع الله بك؟ فقال: أرأيت ما كنا فيه لم يكن شيئاً، وما وجدت أفضل من: سبحان الله والحمد لله والله أكبر.

[١١١٣] وقال الخليل:

اجتزت في بعض أسفاري براهب في صومعة، فوقفت عليه والمساء قد

أزف جداً، وخفت من الصحراء، فسألته أن يدخلني فقال: من أنت؟ قلت: الخليل بن أحمد.

فقال: أنت الذي يزعم الناس أنك واحد في العلم بعلم العرب؟

فقلت: كذا يقولون، ولست كذلك.

فقال: إن أجبتني عن ثلاث مسائل جواباً مقنعاً، فتحت لك الباب وأحسنت ضيافتك وإلا لم أفتح لك.

فقلت: وما هي؟

قال: ألسنا نستدل على الغائب بالشاهد؟

فقلت: بلى.

قال: فأنت تقول: إن الله -تعالى- ليس بجسم ولا عرض، ولسنا نرى شيئاً بهذه الصفة، وأنت تزعم أن الناس في الجنة يأكلون ويشربون ولا يتغوطون، وأنت لا ترى آكلاً ولا شارباً إلا متغوطاً، وأنت تقول: إن نعيم أهل الجنة لا ينقضي، وأنت لم تر شيئاً إلا منقضياً.

قال الخليل: فقلت له: بالشاهد الحاضر استدللت على ذلك كله، أمَّا الله – تعالى- فإنما استدللت عليه بأفعاله الدالة عليه ولا مثل له، وفي الشاهد مثل ذلك، وهو الروح التي فيك وفي كل حيوان تعلم أنك تحس بها، وهي تحت كل شعرة منا، ونحن لا ندري أين هي ولا كيف هي ولا ما صفتها ولا ما جوهرها، ثم نرى الإنسان يموت إذا خرجت ولا يحس بشيء خرج منه، وإنما استدللنا عليها بأفعالها وبحركاتها، وتصرفنا بكونها فينا.

وأما قولك: إن أهل الجنة لا يتغوطون مع الأكل فالشاهد لا يمنع

ذلك، ألا ترى الجنين يغتذي في بطن أمه ولا يتغوط.

وأما قولك: إن نعيم أهل الجنة لا ينقضي مع أن أوله موجود فإنا نجد أنفسنا نبتدئ الحساب بالواحد ثم لو أردنا ألاَّ ينقضي لما لا نهاية له لم نكرره وأعداده تضعيفه إلى انقضاء ما[1]. قال: ففتح الباب لي وأحسن ضيافتي.

قال ياقوت في معجم الأدباء: هذا الجواب -كما شرط الراهب- إقناعي لا قطعي.

[١١١٤] وكان عبد الله بن الحسن العنبري قاضي البصرة يأتي جاراً له يقول بالنجوم، فدخل في قلبه شيء، فجاء إلى الخليل فقال له: أنت عبد الله بن الحسن؟ قال: نعم، فسأله عن شيء من القدر، فقال الخليل: أخبرني عن الحاء من أين مخرجها؟

قال: من الحلق.

قال: فأخبرني عن الباء من أين مخرجها؟

فقال: من طرف اللسان.

قال: تقدر أن تخرج هذه من مخرج هذه؟

قال: لا.

قال: قم فإنك مائق[2]، ثم أنشأ يقول [من الخفيف]:

أبلغا عني المنجم أني كافر بالذي قضته الكواكب

---

(١) كذا وردت.

(٢) أي أحمق.

عــالم أن مــا يكــون ومــا كــا ن بحــتم مــن المهــيمن واجــب

[١١١٥] ويقال: إن الخليل لما أراد أن يضع العـروض، خـلا في بيـت ووضع بين يديه طستاً أو ما أشبه ذلك، وجعل يقرعه بعود ويقول: فاعلن مستفعلن فعولن، فسمعه أخـوه فخـرج إلى المسجد وقـال: إن أخـي قـد أصابه جنون، وأدخلهم عليه وهو يضرب الطست، فقـالوا: يـا أبـا عبـد الرحمن، مالك أأصابك شيء؟ أتحب أن نعالجك؟

فقال: وما ذاك؟

فقالوا: أخوك يزعم أنك خولطت.

فقال [من الكامل]:

لو كنتَ تعلـم مـا أقـول عـذرتني أو كنت تعلم ما تقـول عـذلتكا[١]

لكــن جهلــت مقــالتي فعــذلتني وعلمــت أنــك جاهــل فعــذرتكا

والخليل معدود من الشعراء العلماء، وشعره كثير.

ويقال: إن أول من تسمى في الإسلام بأحمد هو أحمد والد الخليل.

ومن تصانيفه: «العين»، «الجمل»، «كتاب النغم»، «كتاب العَـروض»، «كتاب الشواهد»، «كتاب النقط والشكل».

[١١١٦] وروي أن الليث بن المظفر بن نصر بن سيار صحب الخليـل مدة يسيرة، وأن الخليل عمل له كتاب العـين وأحـذاه طريقتـه، وعاجلـت الخليل المنية فتممه الليث بن المظفر[٢].

---

(١) العذل: اللوم.

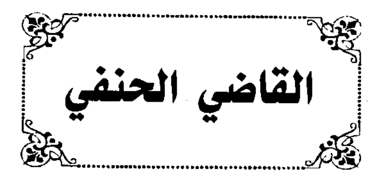
(٢) وفيات الأعيان: «فأكمله تلامذته، النضر بن شميل ومن في طبقته، كمؤرج السدوسي، ونصر ابن علي الجهضمي...».

[١١١٧] قال ياقوت: وجدت على ظهر جزء من كتاب التهذيب لأبي منصور الأزهري [من مجزوء الرجز]:

ابـن دريـد بقـره ... وفيـه عُجْـب وشَـرَه
ويـدعي بجهلـه ... وضـع كتـاب الجمهـره
وهو كتاب العين إلا أنه قد غيره

الأزهـري وزَغـه ... وحمقُـه حمـق دَغَـه
ويـدعي بجهلـه ... كتـاب تهـذيب اللغـة
وهو كتاب العين إلا أنه قد صبغه

في الخـارزنجي بَلَـه ... وفيـه حمـق وولـه
ويـدعي بجهلـه ... وضـع كتـاب التكملـة
وهو كتاب العين إلا أنه قد بدَّله[1]



القاضي الحنفي

الخليل بن أحمد بن محمد السجزي، أبو سعيد.

إمام في كل علم، شائع الذكر مشهور الفضل، معروف بالإحسان في النظم والنثر.

مات بفرغانة وهو على مظالمها سنة ثمان وسبعين وثلاث مائة، ومولده سنة إحدى وسبعين ومائتين.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٣/ ٣٨٥- ٣٩١.

أدرك الأئمة والعلماء وصنف التصانيف، وولي القضاء ببلدان شتى من وراء النهر.

[١١١٨] حدث قال: قدم علينا سجستان -وأنا قاضيها- صاحب جيش من خراسان من قِبَل نصر بن أحمد ومعه جيش عظيم، فأكثر أصحابه الفساد في البلد، وامتدت أيديهم إلى النساء في الطرقات قهراً، فاجتمع الناس إليّ وإلى فلان الفقيه وشكوا إلينا الحال، فدخلت أنا والفقيه وجماعة من وجوه البلد إليه، وكان المبتدئ بالخطاب الفقيه فوعظه و عرفه ما يجري فقال له:

يا شيخ ما ظننتك بهذا الجهل، معي ثلاثون ألف رجل نساؤهم ببخارا، فإذا قامت أيورهم كيف يصنعون؟ ينفذونها إلى حرمهم؟! لا بد لهم من أن يضعوها في من ههنا كيف استوى لهم، هذا أمر لا يمكنني إفساد قلوب الجيش بنهيهم عنه، فانصرف.

قال: فخرجنا، فقالت لنا العامة: أيش قال الأمير؟

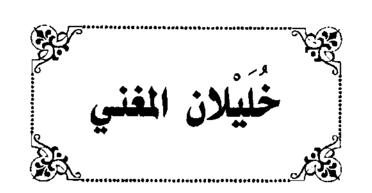
فأعاد الفقيه الكلام عليهم بعينه.

فقالوا: هذا القول منه فسق وأمر به، ومكاشفة بمعصية الله، فهل يحل لنا قتاله عندك بهذا القول؟

فقال لهم الفقيه: نعم قد حل لكم قتاله.

فتبادرت العامة، فانسللنا من الفتنة فلم نصلِّ المغرب من تلك الليلة وفي البلد أحد من الخراسانية؛ لأنه اجتمع من العامة ما لا يُضبط فقتلوا خلقاً عظيماً من الخراسانية ونهبت دار الأمير، وطلبوه ليقتلوه فأفلت على فرسه، وكل من قدر على الهروب ولم يجيء بعدها جيش من خراسان[1].

(١) الوافي بالوفيات: ١٣/ ٣٩٢، ٣٩٣.



خُلَيْلان المغني

الخليل بن عمرو المكي، المعلم المغني المعروف بـ: خليلان، مولى بني عامر بن لؤي.

قال أبو الفرج: مقل لا يعرف له صنعة غير هذا الصوت.

[١١١٩] وكان يؤدي الصبيان ويلقنهم القرآن والخط، ويعلم الجواري الغناء في موضع واحد، قال محمد بن حسين: كنت يوماً عنده وهو يردد علي صبي يقرأ بين يديه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[١] ثم يلتفت إلى صبية بين يديه فيردد عليها [من السريع]:

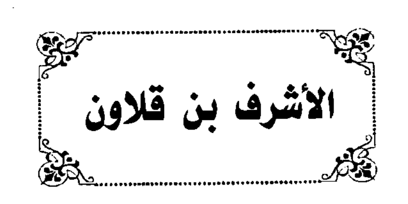
عاد لهذا القلب بلباله | إذ قُرِّبت للبين أجماله

فضحكت ضحكاً مفرطاً لما فعله، فالتفت إليَّ فقال: ويلك ما لك؟ فقلت: أتنكر ضحكي مما تفعل؟ والله ما سبقك إلى هذا أحد، ثم قلت: انظر أي شيء أخذت على الصبي من القرآن، وأي شيء هو ذا تلقي على الصبية، والله إني لأظنك من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله، فقال: أرجو ألاَّ أكون كذلك إن شاء الله[٢].

---

(١) سورة لقمان: ٦.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٣/ ٣٩٧، ٣٩٨.



الأشرف بن قلاون

خليل بن قلاون السلطان، الملك الأشرف صلاح الدين ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاون الصالحي.

جلس على تخت الملك في ذي القعدة سنة تسع وثمانين وست مائة بعد موت والده.

[١١٢٠] واستفتح الملك بالجهاد، وسار ونازل عكا وافتتحها، ونظف الشام كله من الفرنج، ثم سار في السنة الثانية فنازل قلعة الروم وحاصرها خمسة وعشرين يوماً وافتتحها، وفي السنة الثالثة جاءته مفاتيح قلعة بهسنى من غير قتال إلى دمشق، ولو طالت مدته لملك العراق وغيرها، فإنه كان بطلاً شجاعاً مقداماً مهيباً، عاليَ الهمة يملأ العين ويرجف القلب، وكان ضخماً سميناً كبير الوجه بديع الجمال مستدير اللحية، على وجهه رونق الحسن وهيبة السلطنة، وكان إلى جوده وبذله الأموال في أغراضه المنتهى، تخافه الملوك في أقطارها، أباد جماعة من كبار الدولة، وكان منهمكاً على اللذات لا يعبأ بالتحرز على نفسه لفرط شجاعته.

[١١٢١] توجه من القاهرة في ثالث المحرم سنة ثلاث وتسعين وست مائة هو والوزير شمس الدين بن السلعوس وأمراء دولته، وفارقه وزيره من الطرانة إلى الإسكندرية، وعسف فيها وظلم وصادر الناس، ونزل الأشرف بأرض الحمامات للصيد وأقام إلى يوم السبت ثالث عشر المحرم، فلما كان وقت العصرحضر نائب السلطنة بيدرا وجماعة من الأمراء، وكان الأشرف أمره بكرة أن يمضي بالدهليز ويتقدم ليتصيد هو ويعود

عشية، فأحاطوا به وليس معه إلا شهاب الدين بن الأشل، فابتدره بيدرا فضربه بالسيف قطع يده فصاح حسام الدين لاجين عليه وقال: من يريد الملك تكون هذه ضربته؟ وضربه على كتفه حله فسقط إلى الأرض، ولم يكن معه سيف بل كان مشدود الوسط بالبند، ثم جاء سيف الدين بهادر فأدخل السيف من أسفله وشقه إلى حلقه، وتركوه طريحاً في البرية والتفوا على بيدرا وحلفوا له.

[١١٢٢] وساق يطلب القاهرة، وتسمى - فيما قيل - بالملك الأوحد، وبات تلك الليلة وأصبح يسير، فلما ارتفع النهار إذا بطلب كبير قد أقبل يقدمه زين الدين كتبغا وحسام الدين أستاذ الدار يطلبون بيدرا بدم أستاذهم وذلك بالطرانة، فحملوا عليه فتفرق عنه أكثر من معه وقتل في الحال، وحمل رأسه على رمح وجاؤوا إلى القاهرة، فلم يمكنهم الشجاعي من التعدية، وكان نائب السلطنة في تلك السفرة، فأمر بالشواني[1] كلها فربطت إلى الجانب الآخر، ونزل الجيش على الجانب الغربي، ثم مشت بينهم الرسل على أن يقيموا في السلطنة الملك الناصر محمداً أخا الأشرف، فتقرر ذلك وأجلسوه على التخت يوم الاثنين رابع عشر المحرم، وأن يكون كتبغا أتابكه ووزيره الشجاعي واختفى حسام الدين لاجين وقراسنقر المنصوري وغيرهما ممن شارك في قتلته.

[١١٢٣] قال شمس الدين الجزري:

حدثني الأمير سيف الدين أبو بكر قال: كان السلطان-رحمه الله- قد نفذني بكرة إلى بيدرا بأن يتقدم بالعساكر، فلما قلت له ذلك نفَر فيَّ وقال: السمع والطاعة، كم يستعجلني!! ثم إني حملت الثقل الذي لي وركبت،

---

(١) أي القوارب.

فبينا أنا ورفيقي صارم الدين الفخري وركن الدين أمير جاندار عند الغروب، وإذا بنجّاب[1] قد أقبل فقلنا له: أين تركت السلطان؟

فقال: يطول الله أعماركم فيه، فبهتنا، وإذا بالعصائب قد لاحت وأقبل الأمراء وبيدرا في الدَسْت[2] فجئنا وسلمنا، وسائره أمير جاندار وقال له: يا خوند هذا الذي تم كان بمشورة الأمراء؟

قال: نعم أنا قتلته بمشورتهم وحضورهم، وها هم حضور، وكان من جملتهم حسام الدين لاجين وبهادر وقراسنقر وبدر الدين بيسرى، ثم إن بيدرا شرع يعدد ذنوبه وإهماله لأمور المسلمين واستهتاره بالأمراء وتوزيره لابن السلعوس.

ثم قال: رأيتم الأمير زين الدين كتبغا؟

قلنا: لا.

فقال له أمير جاندار: كان عنده علم من هذه القضية؟

قال: نعم هو أول من أشار بها.

فلما كان من الغد جاء كتبغا في طلب نحو ألفين من الخاصكية وغيرهم، ثم قال كتبغا لبيدرا: أين السلطان؟

ورماه بالنشاب ورموا كلهم بالنشاب وقتلوه، وتفرق جمعه.

قال ابن المحفدار: وسألت شهاب الدين ابن الأشل: كيف كان قتل السلطان؟ قال: جاء إليه بعد رحيل الدهليز الخبر أن بترُّوجة طيراً كثيراً،

---

(١) أي الراكب النجيب من الإبل.

(٢) أي في الرئاسة والملك.

فقال لي: امش بنا حتى نسبق الخاصكية فركبنا وسرنا، فرأينا طيراً كثيراً، فرمى بالبندق وصرع كثيراً، ثم قال: أنا جيعان فهل معك شيء تطعمني؟ فقلت: ما معي سوى فروجة ورغيف.

فقال: هاته، فناولته فأكله، ثم قال:

امسك فرسي حتى أبول، ثم نزل هو وجعل يريق الماء ويولع بذكره ويمازحني، ثم ركب حصانه ، وإذا بغبار عظيم فقال لي:

سق واكشف الخبر، فسقت وإذا ببيدرا والأمراء، فسألتهم عن سبب مجيئهم فلم يردوا علي وساقوا إلى السلطان وقتلوه، ثم إنه بعد يومين طلع والي تروجة وغسلوه وكفنوه ووضعوه في تابوت، وسيروا من القاهرة الأمير سعد الدين كوجبا الناصري فأحضر التابوت ودفن في تربة والدته، وذلك سنة ثلاث وتسعين وست مائة، وكان من أبناء الثلاثين أو أقل.

ذِكْر فتوحاته:

عكا وصور وصيدا وبيروت وقلعة الروم وبهسنى، وجميع الساحل في أقرب مدة، وكان مدة ملكه ثلاث سنين وشهرين وخمسة أيام.

[١١٢٤] وكان كرمه زائداً وإطلاقاته عظيمة، وكانت واقعته تسمى: وقعة الأيدي والأكتاف؛ لأن جميع من وافق عليه قطعت أيديهم أولاً، وفيهم من سُمِّر وفيهم من أحرق، وفيهم من قتل.

[١١٢٥] ولم يجدد في زمانه مظلمة ولا استجد ضمان مَكْس[١]، وكان يحب الشام وأهله، وحدثت أنه كان بدمشق قبل ولاية الأشرف يؤخذ عند باب الجابية على كل حمل يحمل غلة خمسة دراهم مَكْساً، فأول ولاية

---

(١) أي ضريبة.

الأشرف وردت إلى دمشق محامحة[1] بإسقاط ذلك المكس، وبين سطور المرسوم بذلك بخطه: ولتسقط عن رعايانا هذه الظلامة، ويستجلب الدعاء لنا من الخاصة والعامة.

[١١٢٦] ونقلت من خط القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في سيرة الأشرف قال: ما رأيت ولا سمعت بأسبق من ذهنه إلى فهم، ولا أدرك منه لما يزيل الوهم، ولقد كتبت عنه واستكتبت، فما علم على مكتوب قط إلا وقرأه جميعه، وفهم أصول المكتوب وفروعه، لا بل واستدرك علي وعلى الكتاب وخرج أشياء كثيرة معه فيها الصواب، وذلك بحسن تعطف وتلطف، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

[١١٢٧] ومما جرى له أنه في بعض الأيام جالس في الميدان والقراء بين يديه يقرأون القرآن في خلوته، وكان والده يحاصر طرابلس فقال نصره الله تعالى: في هذه الساعة أخذت طرابلس وشاع ذلك عنه وذاع، وكان الأمر كذلك، وذلك لأمر كشفه الله لذهنه الشريف وأطلعه عليه، إن الملوك نقية الأذهان.

[١١٢٨] نقلت من خط محيي الدين بن عبد الظاهر: قال الشيخ الفقيه العالم الفاضل شرف الدين البوصيري: رأى في منامه قبل الحركة إلى عكا في شوال سنة تسع وثمانين وست مائة، وقال ذلك لجماعة شهدوا بصحة ذلك، وكأن قائلاً ينشد [من مخلع البسيط]:

قد أخذ المسلمون عكا — وأشبعوا الكافرين صَكا

وساق سلطاننا إليهم — خيلاً تدك الجبال دكا

---

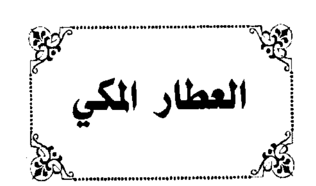
(١) مثل المرسوم.

وأقسم الترك منذ سارت   لا تركوا للفرنج ملكا

[١١٢٩] ولما فتح الملك الأشرف عكا، امتدحه القاضي شهاب الدين محمود بقصيدته البائية المشهورة وهي: [من البسيط]:

الحمد لله زالت دولة الصُّلُب   وعز بالترك دين المصطفى العربي
هذا الذي كانت الآمال لو طلبت   رؤياه في النوم لاستحيت من الطلب
ما بعد عكا وقد هدت قواعدها   في البحر للشرك عند البر من أَرَب
عقيلة ذهبت أيدي الخطوب بها   دهراً وشدت عليها كف مغتصب
لم يبق من بعدها للكفر مذ خربت   في البر والبحر ما ينجي سوى الهرب
يايوم عكا لقد أنسيت ما سبقت   وبه الفتوح وما قد خُط في الكتب
لم يبلغ النطق حد الشكر منك فما   عسى يقوم به ذو الشعر والخطب
فقرّ عيناً بهذا الفتح وابتهجت   بفتحه الكعبة الغراء في الحجب
وسار في الأرض سير الريح سمعته   فالبر في طرب والبحر في حَرَب
بشراك يا ملك الدنيا لقد شرفت   بك الممالك واستعلت على الرتب
ما بعد عكا وقد لانت عريكتها   لديك شيء تلاقيه على تعب
فانهض إلى الأرض فالدنيا بأجمعها   مدت إليك فواصلها بلا نصب
كم قد دعت وهي في أسر العدى زمناً   صيدَ الملوك فلم تُسْمَعْ ولم تُجَبِ
أدركت ثأر صلاح الدين إذ غصبت   منه لسر طواه الله في اللقب
وجالت النار في أرجائها وعلت   فأطفأت ما بصدر الدين من كُرب
وأفلت البحرُ منهم من يُخَبِّر من   يلقاه من قومه بالويل والحَرَب

وتمت النعمة العظمى وقد كملت بفتح صور بلا حصر ولا نصب
أختان في أن كلاً منهما جمعت صليبة الكفر لا أختان في النسب
لما رأت أختها بالأمس قد خربت كان الخراب لها أعدى من الجَرَب
الله أعطاك مُلْك البحر إذ جَمعت لك السعادة ملك البر والعرب
من كان مبدؤه عكا وصورَ معاً فالصين أدنى إلى كفيه من حلب
علا بك الملك حتى أن قبته على البرايا غدت ممدودة الطُنُب[1]
فلا برحت قرير العين مبتهجاً بكل فتح مبين المَنْح مُرْتَقَبِ[2]



العطار المكي

داود بن عبد الرحمن العطار المكي.

[١١٣٠] كان أبوه عبد الرحمن نصرانيّاً شامياً يتطبب، فقدم مكة ونزلها وولد له بها أولاد فأسلموا، وكان يعلمهم القرآن والفقه وكان يضرب به المثل، يقال: أكفر من عبد الرحمن؛ لقربه من الأذان والمسجد، ولحال ولده وإسلامهم، وكان يسلمهم في الأعمال السَرِيَّة، ويحثهم على الأدب ولزوم الخير وأهله.

---

(١) الطنب : أعمدة الخيمة.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٣/ ٣٩٩- ٤١٠.

رحم الله تعالى ذلك السلطان فهو الذي نظف الساحل الشامي من الصليبيين وأكمل عمل صلاح الدين رحمهما الله تعالى.

قال الشيخ شمس الدين: وأنا أتعجب من تمكين هذا النصراني من الإقامة بحرم الله - تعالى- ولعلهم اضطروا إلى طبه.

وداود من كبار شيوخ الشافعي، وروى له الجماعة.

توفي في حدود الثمانين والمائة[1].



الظاهري

داود بن علي بن خلف الأصبهاني المشهور بالظاهري.

كان زاهداً متقللاً كثير الورع.

أخذ العلم عن إسحق بن راهويه وأبي ثور، وكان من أكثر الناس تعصباً للشافعي، وصنف في فضائله والثناء عليه كتابين.

وكان صاحب مذهب مستقل وتبعه جمع كثير من الظاهرية، وكان ولده أبو بكر محمد على مذهبه.

وانتهت إليه رئاسة العلم ببغداد، قيل: إنه كان يحضر مجلسه أربع مائة صاحب طيلسان أخضر.

وكان من عقلاء الناس.

قال أبو العباس ثعلب في حقه: كان عقل داود أكثر من علمه.

وولد بالكوفة سنة اثنتين ومائتين، وقيل: سنة إحدى، وقيل: سنة مائتين، ونشأ ببغداد وتوفي سنة سبعين ومائتين.

(١) الوافي بالوفيات: ١٣/ ٤٧٢.

قال الخطيب:

كان إماماً عارفاً ورعاً ناسكاً زاهداً، وفي كتبه حديث كثير لكن الرواية عنه عزيزة جدّاً، روى عنه ابنه محمد وزكرياء الساجي ويوسف بن يعقوب الداودي وغيرهم، وكان أبوه حنفي المذهب.

[١١٣١] وللعلماء قولان في داود، قال أبو إسحاق الإسفراييني:

قال الجمهور: إنهم - يعني نفاة القياس - لا يبلغون درجة الاجتهاد، ولا يجوز تقليدهم القضاء، قال: ونقل الأستاذ أبو منصور البغدادي عن أبي علي بن أبي هريرة وطائفة من الشافعيين أنه لا اعتبار بخلاف داود وسائر نفاة القياس في الفروع دون الأصول.

وقال إمام الحرمين: الذي ذهب إليه أهل التحقيق، أن منكري القياس لا يعدون من علماء الأمة، ولا حملة الشريعة؛ لأنهم معاندون مباهتون فيما ثبت استفاضة وتواتراً؛ لأن معظم الشريعة صادرة عن الاجتهاد، ولا تفي النصوص بعشر معشارها، وهؤلاء ملتحقون بالعوام.

ثم أودع إمام الحرمين في كلامه ما هو كالدليل على ما قاله، وهو أن من أنصف من نفسه علم أن النصوص التي أخذت منها الأحكام لا تفي بعشر معشار الحوادث التي لا نهاية لها، فما الذي يقوله الظاهري في غير المنصوص إذا أتاه عامي وسأله عن حادثة لا نص فيها؟ أيحكم فيها بشيء أم يدع العامي وجهله؟ لا قائل من المسلمين بالثاني، أعني أنا ندع العامي يخبط في دينه، وإن حكم فيها -والواقع أن لا نص- فإما أن يقيس أو يخترع من نفسه حكماً يلزم الناس الأخذ به، إن اخترع من عند نفسه ونسبه إلى الحكم الشرعي كان كاذباً على الله ورسوله ﷺ وإلا كان ملزماً للناس بفلتات لسانه، فما بقي إلا أنه لا يخترعه من عند نفسه ويقيسه

على الصور المنصوص عليها.

والظاهري لا يقول بذلك، فعاد الأمر إلى أنه إما أن يدع العامي يخبط في دينه بما لم ينزل الله به سلطانه، أو يكذب على الله ورسوله ﷺ، أو يلزم الناس بهفواته، والثلاثة لا يقولها ذو لب -معاذ الله-.

وهذه المسائل-يا مسلمين- عاقل يقول في قوله عليه أفضل الصلاة والسلام: «**لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل فيه**» إنه إذا بال الإنسان في ماء دائم ألف مرة حل لغيره التوضي فيه، وحرم على البايل!! وينسب ذلك إلى مراد أشرف الخلق ﷺ في قوله: «**لا يبولن أحدكم**» وهذا ابن حزم يقول هذا ويغوش على من لا يقول به، فالإنسان إذا ترك التعصب وعلم أنه يتكلم في دين الله، علم أن قول إمام الحرمين في النهاية:وعلماؤنا لا يقيمون لأهل الظاهر وزناً، قول سديد، أَوَ أحدٌ يقول في قوله تعالى: ﴿**فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ**﴾[1] أنه يحرم على الإنسان أن يقول لأبويه: أف، ولا يحرم عليه أن يأخذ المقارع ويضربهما بها؟ هذا هذيان معاذ الله أن يدخل في شريعة الإسلام، وما أحسن قول الحافظ ابن مُفَوِّز-كما حكى عنه الشيخ تقي الدين[2] في شرح الإلمام، بعد أن حكى كلام أبي محمد بن حزم في مسألة البايل-: فتأمل رحمك الله ما جمع هذا القول من السخف وحوى من الشناعة، ثم يزعمون أنه الدين الذي شرعه الله، وبعث به محمد ﷺ .

وقال ابن الصلاح:

الذي اختاره أبو منصور الأستاذ وذكر أنه الصحيح من المذهب أنه

---

(١) سورة الإسراء: ٢٣.

(٢) أي ابن دقيق العيد.

يعتبر خلاف داود قال: وهذا الذي استقر عليه الأمر آخراً كما هو الأغلب الأعرف من صفو الأئمة المتأخرين الذين أوردوا مذهب داود في مصنفاتهم المشهورة كالشيخ أبي حامد الإسفراييني والماوردي والقاضي أبي الطيب.

قال: وأرى أن يعتبر قوله إلا فيما خالف فيه القياس الجلي، وما اجتمع عليه القياسيون من أنواعه، وبناه على أصوله التي قام الدليل القاطع على بطلانه، فاتفاق من سواه إجماع منعقد لقوله في التغوط في الماء الراكد، وتلك المسائل الشنيعة وقوله: لا ربا إلا في الستة المنصوص عليها، فخلافه في هذا ونحوه غير معتبر؛ لأنه مبني على ما يقطع ببطلانه.

[١١٣٢] وقال ولده أبو بكر محمد بن داود: رأيت أبي داود في النوم فقلت له: ما فعل الله بك؟

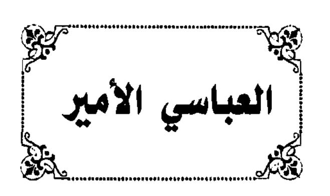
فقال: غفر لي وسامحني.

فقلت: غفر لك، فبم سامحك؟

فقال: يا بني الأمر عظيم، والويل كل الويل لمن لم يسامَح[١].

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٣/ ٤٧٣- ٤٧٧.



العباسي الأمير

داود بن علي بن عبد الله بن عباس، أبو سليمان الهاشمي.

كان بالحُمَيمة من أرض الشراة من البلقاء، وولي إمرة الكوفة في زمن ابن أخيه السفاح، ثم ولاه المدينة والموسم ومكة واليمن واليمامة، روى عن أبيه، وروى عنه الأوزاعي، وسعيد بن عبد العزيز وشريك وغيرهم، وكان بدمشق لما وصل الخبر بوفاة هشام بن عبد الملك، فكتب بذلك إلى أخيه محمد.

وعُرض عليه أن يبايع يزيد بالخلافة فأبى.

[١١٣٣] وقيل: إنه كان قدريّاً، وسُئل عنه يحيى بن معين فقال: أرجو أنه ليس يكذب، إنه إنما يحدث بحديث واحد.

قال الشيخ شمس الدين: أعرض أهل الجرح عن الخلفاء وعن آبائهم وعن كشف حالهم؛ خوفاً من السيف والضرب، وما زال هذا في كل دولة قائمة، يصف المؤرخ محاسنها ويغض عن مساوئها، وكان داود هذا من جبابرة الأمراء، له هيبة ورواء، وعنده أدب وفصاحة.

[١١٣٤] وسمع سالم بن أبي حفصة[1] يطوف بالبيت ويقول: لبيك مهلك بني أمية، فأجازه داود بألف دينار.

وكان داود لما ظهر أبو العباس بالكوفة و صعد المنبر ليخطب فحصر ولم يتكلم، فوثب داود بن علي بين يدي المنبر فخطب وذكر أمرهم

---

(١) وهو شيعي معروف.

وخروجهم، ومنَّى الناس ووعدهم العدل، فتفرقوا عن خطبته.

وحج بالناس سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وهي أول حجة حجها ولد العباس، ومات سنة ثلاث وثلاثين ومائة وهو ابن اثنتين وخمسين سنة، فأدرك من دولتهم ثمانية أشهر وقيل: تسعة أشهر.

وروى له الترمذي، وحدث عن أبيه عن جده[1].



الجبائي الضرير

دعوان بن علي بن حماد الجبائي، أبو محمد الضرير المقرئ البغدادي.

كان من أعيان الأضراء، ومن فضلاء القراء، موصوفاً بالديانة حسن الطريقة.

قرأ القرآن بالروايات، وختّم خلقاً كثيراً كتاب الله تعالى.

توفي سنة اثنتين وأربعين وخمس مائة.

[١١٣٥] ورئي بعد موته بخمس وعشرين سنة في المنام، وعليه ثياب شديدة البياض وعمامة بيضاء مليحة ووجهه عليه نور، فأخذ بيد الرائي ومشيا إلى صلاة الجمعة، فقال له: يا سيدي ما فعل الله بك؟

قال: عرضت على الله تعالى خمسين مرة، فقال لي: أيش عملت؟

فقلت له: قرأت القرآن وأقرأته، فقال لي: أنا أتولاك، أنا أتولاك[2].

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٣/ ٤٧٨، ٤٧٩.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٤/ ١٨.



الحِمْيَري

ذو الكِلاع الحميري، ابن عم كعب الأحبار.

أدرك النبي ﷺ ولم يره، وأسلم على يد جرير بن عبد الله البجلي لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن.

وشهد اليرموك أميراً على كردوس.

وكان يسكن حمص، وكانت له بدمشق حوانيت.

وشهد فتح دمشق.

ويقال: إن معاوية أنزله حين قدم بدمشق في دار المدنيين وشهد معه صفين وقتل بها، وكان على أهل حمص وهم الميمنة.

روى عن عمر وعمرو بن العاص وعوف بن مالك.

ووفاته سنة سبع وثلاثين.

قال ابن ماكولا:

وهو الذي كتب إليه النبي ﷺ فأعتق أربعة آلاف بنت.

[١١٣٦] وعن علوان بن داود عن رجل من قومه قال: بعثني أهلي بهدية إلى ذي الكلاع في الجاهلية، فلبثت على بابه حولاً لم أصل إليه، ثم إنه أشرف ذات يوم من القصر فلم يبق أحد حول القصر إلا خر له ساجداً، قال: فأمر بهديتي فقبلت، ثم رأيته بعد في الإسلام وقد اشترى

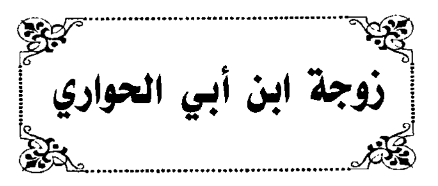
لحماً بدرهم فسمطه[1] على فرسه وهو يقول [من الرمل]:

أُفٍّ للـــدنيا إذا كانـــت كـــذا ... أنـــا منهـــا كـــل يـــوم في أذى

ولقــد كنــت إذا مــا قيــل: مــن ... أنعــم النــاس معاشــاً قيــل: ذا

ثـــم بـــدلت بعيـــشي شـــقوة ... حبـــذا هـــذا شـــقاءً حبـــذا

[١١٣٧] وكان ممن يدخل المدينة متعمماً من جماله مخافة أن يفتن بهم، وهم: ذو الكلاع، وجرير بن عبد الله البجلي، والزِّبْرِقان بن بدر، وعمرو ابن حمة، وزيد الخيل، وامرؤ القيس بن حجر[2].



زوجة ابن أبي الحواري

رايعة زوجة أحمد بن أبي الحواري.

كانت في الزهد والعبادة مثل رابعة العدوية، بل أبلغ.

[١١٣٨] قال أحمد: كانت إذا طبخت قدراً تقول لـي: كلـها، والله مـا أنضجها إلا التسبيح.

[١١٣٩] وقالت لزوجها: ربما رأيت الحور العين يذهبن في داري ويجئن ويستترن بأكمامهن عني.

[١١٤٠] قال أحمد: سمعتها تقول: ما رأيت ثلجاً إلا ذكرت به تطاير الصحف، ولا جراداً إلا ذكرت به الحشر، ولا سمعت أذاناً إلا ذكرت به منادي يوم القيامة.

---

(١) أي علقه.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٤/ ٤٦، ٤٧.

[١١٤١] قال أحمد: ودفعت إليَّ يوماً خمسة آلاف درهم وقالت لي: تزوج بهذه أو تسرَّ فإني مشغولة عنك، وكان لأحمد أربع نسوة.

وتوفيت -رحمها الله تعالى- سنة تسع وعشرين و مائتين[1].

زوجة الحسين بن علي

الرباب بنت امرئ القيس بن عدي الكلبي، زوجة الحسين بن علي -رضي الله عنهما- وهي أم سكينة بنت الحسين.

[١١٤٢] وهي التي يقول فيها الحسين [من الوافر]:

لعمرك إنني لأحب داراً ... تكون بها سُكينة والربابُ

أحبهما وأبذل جل مالي ... وليس لعاتب عندي عتاب

[١١٤٣] كانت الرباب من أفضل النساء وأجملهن وخيارهن، خطبت بعد قتل الحسين فقال: ما كنت لأتخذ حمواً بعد رسول الله ﷺ.

[١١٤٤] وقال ترثي الحسين [من البسيط]:

إن الذي كان نوراً يستضاء به ... بكربلاء قتيل غير مدفون

سبطَ النبي جزاك الله صالحة ... عنا وجنبت خسران الموازين

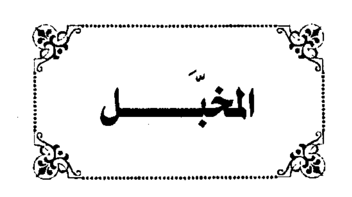
قد كنت لي جبلاً صعباً ألوذ به ... وكنت تصحبنا بالرحم والدين

من لليتامى ومن للسائلين ومن ... يغني ويأوي إليه كل مسكين[2]

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٤/ ٧٢.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٤/ ٧٥.



المخبّل

الربيع بن ربيعة، ويكنى أبا يزيد: هو المخبل من بني أنف الناقة، شاعر فحل من مخضرمي الإسلام والجاهلية.

[١١٤٤] كان له ولد اسمه شيبان فهاجر إلى الكوفة وخرج مع ابن أبي وقاص إلى حرب الفرس، وكان المخبل قد أسن وضعف فعمد إلى إبله وغنمه وسائر ماله ليبيعه ويلحق بابنه، فمنعه علقمة بن هوذة وأعطاه مالاً وفرساً، وكلم فيه عمر بن الخطاب وأنشده قوله فيه [من الطويل]:

أيهلكني شيبان في كل ليلة ... لقلبيَ من خوف الفراق وَجِيبُ[١]

أشيبانُ ما أدراك في كل ليلة ... غَبَقْتُك فيها والغَبُوق حبيب[٢]

أشيبان إن تأت الجيوش تجدهمُ ... يقاسون أياماً لهن خطوب

يذودون جند الهرمزان كأنما ... يذودون أوراد الكلاب تلوب[٣]

ولا هم إلا البَزُّ أو كل سابح ... عليه فتى شاكي السلاح نجيب[٤]

فإن يك غصني اليوم أصبح بالياً ... وغصنك من ماء الشباب رطيب

فإني حنت ظهري خطوب تتابعت ... فمشيي ضعيف في الرجال دبيب

إذا قال صحبي يا ربيع ألا ترى ... أرى الشخص كالشخصين وهو قريب

---

(١) اضطراب وخفقان.

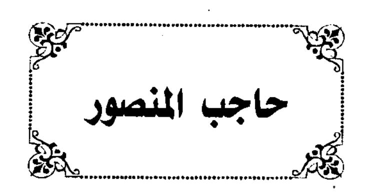
(٢) الغبوق: الحليب الذي يشرب آخر النهار.

(٣) تلوب: أي تحوم.

(٤) شاكي السلاح : أي تام السلاح. والسابح هو الخيل. والبَزّ هو السلاح.

ويخبرني شيبان أنْ لن يعقني تعقُّ إذا فارقتني وتحوب[1]

فبكى عمر ورق له، وكتب إلى سعد برده فسأله الإعفاء عنه، فقال: لا تحرمني الجهاد، فقال: إنها عزمة من عمر ﷺ فانصرف إليه ولم يزل عنده إلى أن مات[2].



حاجب المنصور

الربيع بن يونس بن محمد بن كيسان العباسي مولاهم، الأمير الحاجب أبو الفضل.

كان من كبار الملوك، ولي حجابة المنصور ثم وزارته، وحجب المهدي، وولي ابنه الفضل حجابة الرشيد، وولي حفيده العباس حجابة الأمين.

وقطيعة الربيع ببغداد محلة كبيرة تنسب إليه.

توفي سنة سبعين ومائة.

[١١٤٥] وكان المنصور كثير الميل إليه، حسن الاعتماد عليه، قال له يوماً: يا ربيع: سل حاجتك.

فقال: حاجتي أن تحب الفضل ابني.

قال له: ويلك إن المحبة تقع بأسباب.

---

(١) تحوب: أي تأثم.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٤/ ٨٢، ٨٣.

فقال: قد أمكنك الله منها.

فقال: وما ذاك؟

فقال: تفضل عليه، فإنك إذا فعلت ذلك أحبك وإذا أحبك أحببته.

قال: قد والله أحببته قبل وقوع السبب، ولكن كيف اخترت له المحبة دون كل شيء؟

قال: لأنك إذا أحببته صغر عندك كبير إحسانك إليه، وصغر عندك كبير إساءته، وكانت ذنوبه كذنوب الصبيان، وحاجته إليك حاجة الشفيع العريان.

[١١٤٦] وقال المنصور له يوماً: ويحك يا ربيع ما أطيب الدنيا لولا الموت.

فقال له: ما طابت إلا بالموت.

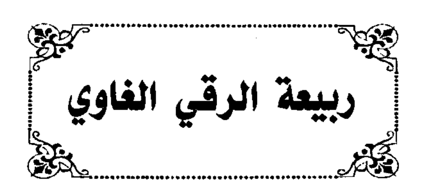
قال: وكيف ذاك؟

قال: لولا الموت لم تقعد هذا المقعد.

فقال له: صدقت.

[١١٤٧] ويقال: إن الربيع لم يكن له أب يعرف به، وإن بعض الهاشميين دخل على المنصور وجعل يحدثه ويقول: كان أبي -رحمه الله- وكان، وأكثر من الرحمة عليه، فقال له الربيع: كم تترحم على أبيك بحضرة أمير المؤمنين؟ فقال له الهاشمي: أنت معذور أنك لا تعرف مقدار الآباء، فخجل منه وضحك المنصور إلى أن استلقى، ثم قال للهاشمي:

خذ بما أدبك به الربيع[1].



ربيعة الرقي الغاوي

ربيعة بن ثابت بن لجأ الأسدي أبو شبانة ويقال: أبو ثابت، من أهل الرقة، شاعر. كان ضريراً يلقب بالغاوي.

أشخصه المهدي إليه فمدحه بعدة قصائد وأثابه عليها ثواباً كثيراً.

[١١٤٨] وهو الذي يقول في العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس قصيدته التي لم يسبق إليها حسناً، ومنها [من الكامل]:

لو قيل للعباس يا ابن محمد ... قل لا و أنت مخلد ما قالها

ما إن أَعُدَّ من المكارم خصلة ... إلا وجدتك عمها أو خالها

وإذا الملوك تسائروا في بلدة ... كانوا كواكبها وكنت هلالها

إن المكارم لم تزل معقولة ... حتى حللت براحتيك عقالها

ولما مدح العباس بن محمد بالقصيدة المذكورة بعث إليه بدينارين فقال [من الوافر]:

مدحتك مِدحة السيف المحلى ... لتجري في الكرام كما جريت

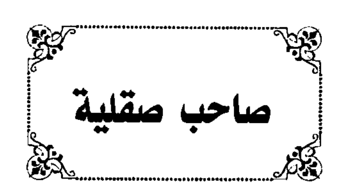
فهبها مدحة ذهبت ضَياعاً ... كذبت عليك فيها وافتريت

فأنت المرء ليس له وفاء ... كأني إذ مدحتك قد رثيت

ولما وقف العباس عليها غضب و توجه إلى الرشيد-وكان أثيراً عنده-

(١) الوافي بالوفيات: ١٤/ ٨٤، ٨٥.

يعظمه، وقد هم أن يخطب إليه ابنته فقال: إن ربيعة الرقي هجاني، فأحضره الرشيد وهم بقتله، فقال: يا أمير المؤمنين، مره بإحضار القصيدة فأحضرها، فلما رآها استحسنها وقال: والله ما قال أحد في الخلفاء مثلها فكم أثابك؟ قال: دينارين، فغضب الرشيد على العباس وقال: يا غلام أعط ربيعة ثلاثين ألف درهم وخلعة واحمله على بغلة، وقال له: بحياتي يا ربيعة لا تذكره بشيء في شعرك لا تعريضاً ولا تصريحاً، وفتر الرشيد عما كان هم به من أن يزوجه بابنته واطّرحه وجفاه[1].



صاحب صقلية

رُجّار ملك الفرنج صاحب صقلية.

هلك بالخوانيق سنة ثمان وأربعين وخمس مائة. ويقال فيه أجَّار بهمزة بدل الراء. كان فيه محبة لأهل العلوم الفلسفية.

[١١٤٩] وهو الذي استقدم الشريف الإدريسي صاحب كتاب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» من العُدوَة إليه ليضع له شيئاً في شكل صورة العالم، فلما وصل إليه أكرم نزله وبالغ في تعظيمه فطلب منه شيئاً من المعادن ليضع منه ما يريد فحمل إليه من الفضة الحجر وزن أربع مائة ألف درهم، فصنع منها دوائر كهيئة الأفلاك وركب بعضاً على بعض، ثم شكلها له على الوضع المخصوص فأعجب بها رجار، ودخل في ذلك ثلث الفضة وأرجح بقليل، وفضل له ما يقارب الثلثين فتركه له إجازة وأضاف لذلك مائة ألف درهم ومركباً كان قد جاء إليه من برشلونة

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٤/ ٩٥، ٩٦.

بأنواع الأجلاب الرومية التي تجلب للملوك.

[١١٥٠] وسأله المقام عنده، وقال له: أنت من بيت الخلافة ومتى كنت بين المسلمين عمل ملوكهم على قتلك، ومتى كنت عندي أمنت على نفسك، فأجابه إلى ذلك ورتب له كفاية لا تكون إلا للملوك، وكان يجيء إليه راكب بغلة فإذا صار عنده تنحى له عن مجلسه فيأبى فيجلسان معاً.

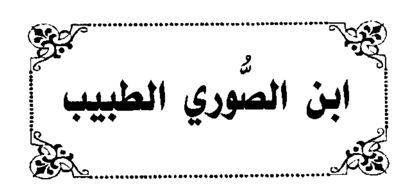
[١١٥١] وقال له: أريد تحقيق أخبار البلاد بالمعاينة لا بما ينقل من الكتب، فوقع اختيارهما على أناس ألباء فطناء أذكياء، وجهزهم رجار إلى أقاليم الشرق والغرب جنوباً وشمالاً، وسفّر معهم قوماً مصورين ليصوروا ما يشاهدونه عياناً، وأمرهم بالتقصي والاستيعاب لما لابد من معرفته، فكان إذا حضر أحد منهم بشكل أثبته الشريف الإدريسي حتى تكامل له ما أراد، وجعله مصنفاً وهو كتاب «نزهة المشتاق» الذي للشريف الإدريسي.

وكان رجار المذكور قد أخذ طرابلس الغرب عنوة بالسيف في يوم الثلاثاء سادس المحرم سنة إحدى وأربعين وخمس مائة، وقتل أهلها وسبى الحريم والأطفال وأخذ الأموال، ثم إنه شرع في تحصينها بالرجال والعدد.

ثم إنه أخذ المهدية سنة ثلاثين وأربعين وخمس مائة؛ لأن صاحبها الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز الصنهاجي عجز عن مقاومته، فخرج من المهدية هارباً بما خف من النفائس وخرج من قدر على الخروج.

ولما هلك رجار ملك بعده ولده غُلَيَلْم. ولما هلك غليلم ملكت ابنته أم الأنبرور، ثم هلكت أم الأنبرور وخلفته صغيراً فملك، وكان فاضلاً عاقلاً، وجرت بينه وبين الكامل ابن العادل مراسلات، وأظن أن القاضي

جمال الدين ابن واصل توجه إليه في الرسلية وسأله عدة مسائل في المناظر وأجاب عنها القاضي جمال الدين، وهي مشهورة تعرف (بالمسائل الأنبرورية) [1].



ابن الصُّوري الطبيب

رشيد الدين أبو منصور ابن الصوري الطبيب، ابن أبي الفضل بن علي، كان علاّمة في الأدوية المفردة.

ولد سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة، وتوفي سنة تسع وثلاثين وست مائة.

ومولده بصور ونشأ بها وطبّ بالقدس مدة، وخدم الملك العادل، ثم عظم عند المعظم وتمكن منه ومن ابنه الناصر، وفوض إليه ابنه رياسة الأطباء، وكان له حلقة إشغال، ووفاته بدمشق.

[١١٥٢] وله كتاب: «الأدوية المفردة» بدأ في عمله في أيام المعظم عيسى وعمله باسمه واستقصى فيه ذكر الأدوية المفردة، وذكر ما اطلع عليه ولم يذكره المتقدمون، وكان يستصحب مصوراً ومعه الأصباغ المختلفة الألوان ويتوجه به إلى أماكن النبات، ويرى المصور النبات وورقه وزهره وأغصانه وشوكه وأصوله ويدعه يصوره على ما هو عليه، وله: «الرد على كتاب التاج البلغاري في الأدوية المفردة»، وله تعاليق وفوائد ووصايا طبية [2].

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٤/ ١٠٥- ١٠٧.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٤/ ١٢٥.



الفارسي الأنصاري الصحابي

رُشَيْد الفارسي الأنصاري، مولى لبني معاوية بطن من الأوس.

كناه رسول الله ﷺ يوم أحد أبا عبد الله.

[١١٥٣] لقي رجلاً من المشركين من بني كنانة مقنعاً في الحديد يقول: أنا ابن عويف فعرض له سعد مولى حاطب، فضربه ضربة جزله باثنين، وأقبل عليه رشيد فضربه على عاتقه فقطع الدرع حتى جزله باثنين وقال: خذها وأنا الغلام الفارسي، ورسول الله ﷺ يرى ذلك ويسمعه، فقال رسول الله ﷺ: **«هلا قلت: خذها وأنا الغلام الأنصاري»**، فعرض له أخوه يعدو كأنه كلب قال: أنا ابن عويف، وضربه رشيد على رأسه وعليه المغفر ففلق رأسه وقال: خذها وأنا الغلام الأنصاري، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: **«أحسنت يا أبا عبد الله»**(١).

الصالح القنائي

رفاعة بن أحمد بن رفاعة القنائي الجذامي، الشيخ الصالح من أصحاب أبي الحسن ابن الصباغ.

[١١٥٤] ينقل عنه كرامات، قال الفاضل كمال الدين جعفر الأدفوي: حكى الشيخ أبو الطاهر إسماعيل أن الشيخ أبا الحسن بن

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٤/ ١٢٦.

الصباغ تحدث مع والي قوص أن يعزل والي قنا فامتنع، وكان رفاعة حاضراً فقال رفاعة:

يا سيدي: أقول؟

فقال الشيخ: لا، فاجتمع الفقراء وقالوا لرفاعة:

ما الذي كنت تريد أن تقول؟

فقال: إن الوالي لما رد على الشيخ عزل في ساعته، وأرخوا ذلك الوقت، فجاء المتولي مكانه والمرسوم في ذلك الوقت(١).



الراجز

رؤبة بن العجاج واسمه: عبد الله بن رؤية بن لبيد بن صخر، ينتهي إلى زيد مناة بن تميم أبو الجحّاف، ويقال: أبو العجاج التميمي الراجز المشهور من أعراب البصرة مخضرم.

سمع أباه وأبا هريرة والنساب البكري.

توفي سنة خمس وأربعين ومائة.

وكان لغويّاً علامة.

[١١٥٥] قال خلف الأحمر: سمعت رؤبة يقول: ما في القرآن أعرب من قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾(٢).

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٤/ ١٣٧، ١٣٨.

(٢) سورة الحجر: ٩٤.

قال النسائي: ليس رؤبة بالقوي، وأراجيزه مشهورة.

[١١٥٦] ومن شعره [من الخفيف]:

أيهـا الـشامت المعـير بالـشيـ ـب أقِلَّـنْ بالـشباب افتخـارا

قـد لبـستُ الـشباب غـضّاً طريّـاً فوجـدت الـشباب ثوبـاً معـارا

وقال محمد بن سلام: قلت ليونس: هل رأيت عربيّاً أفصح من رؤبة؟ فقال: لا، ما كان معد بن عدنان أفصح منه.

[١١٥٧] وعن ابن قتيبة قال: كان رؤبة يأكل الفأر، فعوتب في ذلك فقال: هي والله أنظف من دواجنكم ودجاجكم اللاتي تأكل العذرة، وهل يأكل الفأر إلا نقي البر ولباب الطعام؟!.

[١١٥٨] وقيل ليونس: من أشعر الناس؟ فقال: العجاج ورؤبة، فقيل له: لم نعن الرُجَّاز، قال: هما أشعر أهل القصيدة، وإنما الشعر كلام فأجوده أشعره، قال العجاج:

قد جبر الدين الإله فجبر

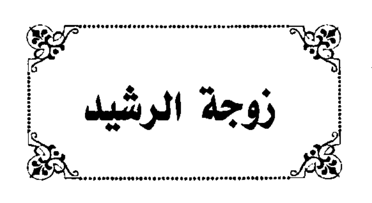
فهي نحو من مائتي بيت موقوفة القوافي، ولو أطلقت قوافيها كلها لكانت منصوبة، وكذلك عامة أراجيزهما، وكان الشاعر يقول البيتين أو الثلاثة أو نحو ذلك إذا حارب أو شاتم أو فاخر حتى جاء رؤبة فكان أول من أطاله وقال أرجوزته التي أولها:

قد جبر الدين الإله فجبر

هذا قول أبي عبيدة، وقال غيره:أول من أطال الرجز الأغلب العجلي[١].

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٤/ ١٤٧- ١٤٩.



زوجة الرشيد

زُبيدة بنت جعفر بن المنصور، زوج الرشيد أم ولده محمد الأمين، اسمها أمة العزيز، وكنيتها أم جعفر الهاشمية العباسية.

قيل: لم تلد عباسية خليفة قط إلا هي.

وكان لها حرمة عظيمة وبر وصدقات وآثار حميدة في طريق الحج.

لقبها جدها المنصور زبيدة لبضاضتها ونضارتها.

[١١٥٩] أنفقت في حجها بضعاً وخمسين ألف ألف درهم.

[١١٦٠] وكان في قصرها من الخدم والحشم والآلات والأموال ما يقصر عنه الوصف، من جملة ذلك مائة جارية كل منهن يحفظ القرآن، وكان يسمع من قصرها مثل دوي النحل من القراءة.

ولم تزل زين نساء الوقت بالعراق في أيام زوجها وولدها وأيام ابن زوجها المأمون، وتوفيت سنة ست وعشرين ومائتين.

[١١٦١] وهي التي سقت أهل مكة الماء بعد أن كانت الراوية[١] عندهم بدينار، وأسالت الماء عشرة أميال تحط الجبال وتجوب الصخر حتى غلغلته إلى الحرم، وعملت عقبة البستان فقال وكيلها: يلزمك نفقة كبيرة، فقالت: اعملها ولو كانت ضربة الفأس بدينار.

[١١٦٢] ولما دخل المأمون بغداد دخلت زبيدة عليه وقالت:

---

(١) الدابة التي تحمل الماء، والمقصود هو الماء المحمول.

أهنئك بخلافة قد هنأت بها نفسي عنك قبل لقائك، ولئن كنت فقدت ابناً خليفة ولدته فقد عوضني الله خليفة لم ألده، وما خسر من اعتاض مثلك، ولا ثكلت أم ملأت راحتيها منك، وأنا أسأل الله أجراً على ما أخذ وإمتاعاً بما عوض.

فقال المأمون: ما يلد النساء مثل هذه، فما أبقت بعد هذا الكلام لبلغاء الرجال، وحشا فاها درّاً[1].



الكلابي

زرارة بن حَزْن الكِلابي، عبد العزيز بن زرارة.

وفد هو وابنه على معاوية.

[١١٦٣] وكان سيد أهل البادية وكان شاعراً، وخرج ابنه عبد العزيز مع يزيد غازياً القسطنطينية فمات، فكتب يزيد بنعيه إلى معاوية فورد الكتاب إلى معاوية وزرارة عنده فقال: يا زرارة في هذا الكتاب موت فتى العرب فقال: هو إذا ابنك يا أمير المؤمنين أو ابني، قال: بل هو ابنك عبد العزيز فأعظم الله عليه أجرك، وجزع عليه معاوية، فخرج زرارة وهو يقول أبياتاً منها [من المتقارب]:

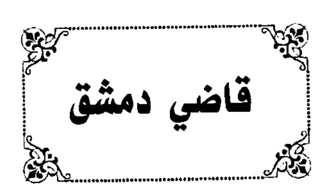
وما زال مذ كان عبد العزيـ	ـز إما وزيراً وإما أميرا
نعاه ابن حرب إليَّ الغداة	فأصبحت شيخاً مصاباً ضريرا
فكل فتى شارب كأسه	فإما صغيراً وإما كبيرا

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٤/ ١٧٦، ١٧٧.

[١١٦٤] وذهب أكثر قومه بأرض الروم، فمر عليه مروان بن الحكم وهو على ماله فسأله: كيف أنت؟

فقال: بخير، أنبتنا الله فأحسن نباتنا، وحصدنا فأحسن حصادنا[١].



قاضي دمشق

زرعة بن ثُوَب الدمشقي، قاضي دمشق أيام الوليد بن عبد الملك بعد أبي إدريس الخولاني، وقيل: بعد عبد الله بن عامر.

[١١٦٥] وكان لا يأخذ على القضاء أجراً.

وروى عن ابن عمر، وروى عنه سعيد بن عبد العزيز وغيره.

ولما استقضاه الوليد قال: يا أمير المؤمنين: لا تفعل فإن ذلك ليس عندي، فأمر فأُجلس للناس فكلما دخل عليه سأله أن يعفيه.

ثم بدا للوليد أن يبعث ابناً له على الصائفة فدخل عليه زرعة فقال له الوليد: كنت كثيراً ما تسألني أن أعفيك وقد بدا لي أن أبعث ابناً لي على الصائفة وأجعلك معه وقال: حاجتك؟

فقال: ما لي حاجة إلا أن تعفيني مما أنا فيه

[١١٦٦] فلما أدبر قال: ردوه علي، فقال: إني أعطيك شيئاً فاقبله مني، فإني أقسم لك بالله إنه لمن صلب مالي، قد أمرت لك بمزرعة ببقرها وخدمها وآلتها.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٤/ ١٩٤.

قال: تنفذ قضائي فيها؟

قال: نعم.

قال: فإني أشهدك أن ثلثاً منها في سبيل الله، والثلث الثاني ليتامى قومي، والثلث الثالث لرجل صالح يقوم عليها ويؤدي الحق فيها، وأنا أحب أن تأخذ مني ما أجريت عليَّ من الرزق، فإنه في كوة البيت فخذه فرده إلى بيت المال.

قال: ولم ذاك؟

قال: لا أحب أن آخذ على ما علمني الله أجراً[1].



أبو دُلامة

زنْد بن الجون هو أبو دلامة، كان صاحب نوادر وأخبار وأدب ونظم، وكان عبداً أسود.

توفي سنة إحدى وستين ومائة.

[١١٦٧] توفي للمنصور ابنة عم فحضر جنازتها وجلس لدفنها وهو متألم لفقدها كئيب عليها، فأقبل أبو دلامة وجلس قريباً منه، فقال له المنصور: ويحك: ما أعددت لهذا المكان؟ وأشار إلى القبر، فقال: ابنة عم أمير المؤمنين، فضحك المنصور حتى استلقى ثم قال له: ويحك: فضحتنا بين الناس.

[١١٦٨] وكان روح بن حاتم المهلبي والياً على البصرة فخرج إلى

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٤/ ١٩٥، ١٩٦.

حرب الجيوش الخراسانية ومعه أبو دلامة، فخرج في صف العدو مبارز فخرج إليه جماعة فقتلهم فتقدم روح إلى أبي دلامة بمبارزته فامتنع فألزمه فاستعفاه فلم يعفه، فأنشده أبو دلامة [من البسيط]:

إني أعوذ بروح أن يقدمني	إلى القتال فيخزى بي بنو أسد
إن المهلب حبَّ الموت أورثكم	ولم أرث أنا حب الموت عن أحد
إن الدنو إلى الأعداء أعلمه	مما يفرق بين المرء والجسد

فأقسم عليه ليخرجن وقال: ولِمَ تأخذ رزق السلطان؟

قال: لأقاتل عنه.

قال: فما لك لا تبرز إلى عدو الله؟

فقال: أيها الأمير: إن خرجت إليه لحقت بمن مضى، وما الشرط أن أقتل عن السلطان بل أقاتل عنه، فحلف روح ليخرجن إليه فيقتله أو يأسره أو يقتل دون ذلك، فلما رأى أبو دلامة الجد منه قال:

أيها الأمير تعلم أن هذا أول يوم من أيام الآخرة ولابد فيه من الزوادة، فأمر له بذلك فأخذ رغيفاً مطويّاً على دجاجة ولحم وشراب وشيئاً من نُقْل[1]، وشهر سيفه وحمل، وكان تحته فرس جواد فأقبل يجول ويلعب بالرمح وكان مليحاً في الميدان والفارس يلاحظه ويطلب منه غرة، حتى إذا وجدها حمل عليه والغبار كالليل، فأغمد أبو دلامة سيفه وقال للرجل: لا تعجل واسمع مني، عافاك الله، كلمات ألقيهن إليك فإنما أتيتك في مهم، فوقف مقابله وقال: ما هو المهم؟

---

(١) النُقل ما يؤكل على وجه التفكه مثل الزبيب وما نسميه اليوم: المكسرات.

قال: أتعرفني؟

قال: لا.

قال: أنا أبو دلامة.

قال: قد سمعت بك -حياك الله- فكيف برزت إليَّ وطمعت فيَّ بعد من قتلت من أصحابك؟

قال: ما خرجت لأقتلك ولا لأقاتلك ولكني رأيت لباقتك وشهامتك فاشتهيت أن تكون لي صديقاً، وإني لأدلك على ما هو أحسن من قتالنا.

قال: قل على بركة الله.

قال: أراك قد تعبت وأنت بغير شك جوعان ظمآن، قال: كذلك هو، قال: فما علينا من خراسان والعراق إن معي لحماً وخبزاً وشراباً ونُقْلاً كما يتمنى المتمني، وهذا غدير ماء نمير بالقرب منا، فهلم بنا إليه نصطبح وأترنم لك بشيء من حداء الأعراب.

فقال: هذا غاية أملي.

فقال: فها أنا استطرد لك فاتبعني حتى نخرج من حِلَق الطِعان، ففعلا، وروح يتطلب أبا دلامة فلا يجده والخراسانية تتطلب فارسها فلا تجده، فلما طابت نفس الخراساني قال له أبو دلامة: إن روحاً كما علمت من أبناء الكرم وحسبك بابن المهلب جواداً، وإنه ليبذل لك خلعة فاخرة وفرساً جواداً ومركباً مفضضاً وسيفاً محلى ورمحاً طويلاً وجارية بربرية، وإنه ينزلك في أكثر العطاء، وهذا خاتمه معي لك بذلك.

فقال: ويحك، ما أصنع بأهلي وعيالي؟

فقال: استخر الله تعالى وسر معي ودع أهلك فالكل يخلف عليك.

فقال: سر بنا على بركة الله، فسارا حتى قدما من وراء العسكر فهجما على روح فقال: يا أبا دلامة، أين كنت؟

قال: في حاجتك، أما قتل الرجل فما أطقته، وأما سفك دمي فما طبت به نفساً، وأما الرجوع خائباً فلم أقدم عليه، وقد تلطفت به وأتيتك به وهو أسير كرمك، وقد بذلت له عنك كيت وكيت.

فقال: يُمضى إذا وثق لي، قال: بم ذا؟

قال: بنقل أهله.

قال الرجل: أهلي على بعد ولا يمكنني نقلهم الآن، ولكن امدد يدك أصافحك وأحلف لك متبرعاً بطلاق الزوجة أني لا أخونك فإن لم أفِ إذا حلفت بطلاقها فلا ينفعك نقلها.

فقال: صدقت فحلف له وعاهده ووفى له بما ضمنه أبودلامة وزاد عليه، وانقلب الخراساني يقاتل الخراسانية وينكي فيهم أشد نكاية، وكان ذلك أكبر أسباب الظفر لروح.

[١١٦٩] وكان المنصور قد أمر بهدم دور كثيرة منها دار أبي دلامة، فكتب إلى المنصور [من الخفيف]:

يا ابن عم النبي دعوة شيخ ... قد دنا هدم داره وبواره

فهو كالمخاض التي اعتادها الطلـ ... ـق فقرت وما يقر قراره

لكم الأرض كلها فأعيروا ... عبدك ما احتوى عليه جداره

[١١٧٠] ولما قدم المهدي من الري إلى بغداد دخل عليه أبو دلامة للسلام والهناء بقدومه، فأقبل عليه المهدي فقال: كيف أنت أبا دلامة؟ قال: يا أمير المؤمنين [من الكامل]:

إنـي حلفـت لـئن رأيتـك سـالماً بقُـرى العـراق وأنـت ذو وفـر
لتـصلين علـى الـنبي محمـد ولـتملأن دراهمـاً حجـري

قال المهدي: أما الأولى فنعم وأما الثانية فلا.

فقال: جعلني الله فداك إنهما كلمتان لا يفرق بينهما.

فقال: يُملأ حجر أبي دلامة دراهم، فقعد وبسط حجره فملئ دراهم، فقال: قم الآن يا أبا دلامة فقال: يتخرق قميصي يا أمير المؤمنين حتى أشيل الدراهم وأقوم، فردها إلى الأكياس وقام.

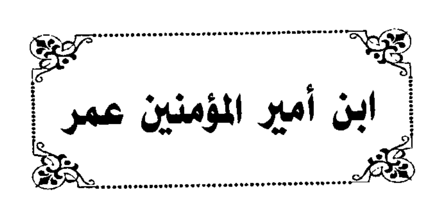
[١١٧١] ومرض ولده فاستدعى طبيباً ليداويه وجعل له جعلاً، فلما برئ قال له: والله، ما عندنا ما نعطيك، ولكن ادَّعِ على فلان اليهودي- وكان ذا مال- بمقدار الجعل، وأنا وولدي نشهد لك، فمضى الطبيب إلى قاضي الكوفة يومئذ - وكان محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى - وقيل: عبد الله بن شبرمة، وحُمل إليه اليهودي المذكور وادعى عليه فأنكر اليهودي، فقال: لي بيِّنة وخرج لإحضارها فاحضر أبا دلامة وابنه فدخلا إلى المجلس وخاف أبو دلامة أن يطالبه القاضي بالتزكية، فأنشد في الدهليز قبل دخوله بحيث يسمع القاضي [من الطويل].

إن الناس غطُّوني تغطيت عنهم وإن بحثوا عني ففيهم مباحث
وإن نبشوا بئري نبشت بئارهم ليعلم قوم كيف تلك النبائث

ثم حضرا بين يدي القاضي وأديا الشهادة فقال: كلامك مسموع وشهادتك مقبولة، ثم غرم المبلغ من عنده وأطلق اليهودي، وما أمكنه أن يرد شهادتهما خوفاً من لسان أبي دلامة.

[١١٧٢] وقول الحريري في المقامة الأربعين:

وأنت تعلم أنك أحقر من قلامة[1]، وأعيب من بغلة أبي دلامة، كانت لأبي دلامة بغلة يركبها في مواكب الخلفاء والكبراء، ويضحكهم بشَماسها وحِرانها [2]، وقد جمعت جميع المعايب، فذكر بعض عيوبها في قصيدة[3].



ابن أمير المؤمنين عمر

زيد بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، وأمه أم كلثوم بنت علي ابن أبي طالب وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

تزوجها عمر رضي الله عنه على أربعين ألف درهم واغتبط بذلك.

وفد زيد على معاوية، فأكرمه وأحسن جائزته وأمر له بمائة ألف درهم كل عام، وكان زيد يقول: أنا ابن الخليفتين.

[١١٧٣] وعن جعفر بن محمد عن أبيه أن عمر بن الخطاب خطب إلى عليٍّ ابنته أمَّ كلثوم، فقال علي:

إنما حبست بناتي على بني جعفر.

فقال عمر: أنكحنيها يا علي، فوالله ما على وجه الأرض رجل يرصد من حسن صحابتها ما أرصد.

قال علي: قد فعلتُ، فجاء عمر إلى مجلس المهاجرين بين القبر والمنبر،

---

(١) أي قلامة ظفر.

(٢) أي بعنادها.

(٣) الوافي بالوفيات: ١٤/ ٢١٦- ٢٢١.

وكانوا يجلسون ثم علي وعثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف، فإذا كان الشيء يأتي عمر من الآفاق جاءهم فأخبرهم واستشار فيه، فجاء عمر فقال: رَفِّئوني[1]، فرفؤوه، وقالوا: بمن يا أمير المؤمنين، فقال: بابنة علي بن أبي طالب، ثم أنشأ يخبرهم فقال: إن النبي ﷺ قال: **«كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا نسبي وسببي وصهري»** وكنت قد صحبته فأحببت أن يكون هذا. وفي رواية: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«كل نسب وسبب وصهر منقطع يوم القيامة إلا نسبي وسببي وصهري»** وكان لي به ﷺ النسب والسبب وأردت أن أجمع إليه الصهر.

ثم إن فتنة وقعت بين بني عدي بن كعب فاقتتلوا بالبقيع ليلاً، وخرج زيد بن عمر ليحجز بينهم، فضرب على رأسه خطأ فشج وصرع عن دابته، وتنادى القوم: زيد زيد، فتفرقوا وسقط في أيديهم، وحمل إلى منزله، ولم يزل منها مريضاً حتى مات في حدود الخمسين للهجرة.

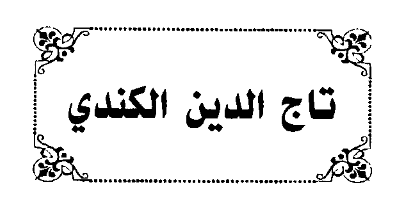
وقيل: إنه وأمه مرضا جميعاً ونزل بهما وإن رجالاً مشوا بينهما لينظروا أيهما يقبض أولاً فيورث منه الآخر وإنهما قبضا في ساعة واحدة، ولم يدر أيهما قبض قبل الآخر ووضعا معاً في موضع الجنائز، فأخرت أمه وقدم هو مما يلي الإمام، فجرت السنة في الرجل والمرأة بذلك بعد، وقال الحسين لعبد الله بن عمر: تقدم فصل على أمك وأخيك، وصلى عليهما.

توفي زيد-رحمه الله- شابّاً في حدود الخمسين للهجرة[2].

---

(١) أي هنئوني.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٥/ ٣٧، ٣٨.



تاج الدين الكندي

زيد بن الحسن بن زيد تاج الدين أبو اليمن الكندي، النحوي اللغوي الحافظ المحدث.

ولد ببغداد سنة عشرين وخمس مائة، وتوفي سنة ثلاث عشرة وست مائة.

[١١٧٤] حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، وأكمل القراءات العشر وهو ابن عشر، وكان أعلى أهل الأرض إسناداً في القراءات، قال الشيخ شمس الدين:

فإني لا أعلم أحداً من الأمة عاش بعد ما قرأ القرآن ثلاثاً وثمانين سنة غيره، هذا مع أنه قرأ على أسند شيوخ العصر بالعراق، ولم يبق أحد ممن قرأ عليه بقاءه، قرأ القراءات المشهورة على شيخه ومعلمه وأستاذه الإمام أبي محمد سبط أبي منصور الخياط، أفاده وحرص عليه في صغره، وسمع الحديث.

وله مشيخة في أربعة أجزاء، وقرأ النحو ، وأخذ اللغة.

وقدم دمشق في شبيبته وسمع بها من المشايخ وبمصر.

وسكن دمشق ونال بها الحشمة الوافرة والتقدم، وازدحم الطلبة عليه.

وكان حنبليّاً فصار حنفيّاً، وتقدم في مذهب أبي حنيفة، وأفتى ودرس وصنف.

وأقرأ القراءات والنحو واللغة والشعر.

وكان صحيح السماع، ثقة في النقل، ظريفاً في العشرة، طيب المزاج، قرأ عليه جماعة.

[١١٧٥] واستوزره فَرُّخْشاه، ثم بعد ذلك اتصل بأخيه تقي الدين عمر صاحب حماة واختص به وكثرت أمواله، وكان المعظم عيسى يقرأ عليه دائماً، قرأ عليه سيبويه وشرحه والحماسة والإيضاح وشيئاً كثيراً، وكان يأتي من القلعة ماشياً إلى درب العجم والمجلد تحت إبطه، واشتمل عليه فرخشاه وابنه الملك الأمجد، ثم تردد إليه بدمشق الملك الأفضل وأخوه الملك المحسن.

ولما مات صُلي عليه العصر بجامع دمشق ودفن بتربته بسفح قاسيون، وعقد العزاء له تحت النسر[١] يومين، وانقطع بموته إسناد عظيم.

[١١٧٦] وفيه يقول الشيخ علم الدين السخاوي [من الرمل]:

لم يكن في عصر عمرٍ مثله ... وكذا الكندي في آخر عصر

فهما زيد وعمرو إنما ... بني النحو على زيد وعمرو

وفيه يقول أيضا ابن الدهان [من البسيط]:

يا زيد زادك ربي من مواهبه ... نُعْمَى يُقَصِّر عن إدراكها الأمل

لا غير الله حالاً قد حباك بها ... ما دار بين النحاة الحال والبدل

النحو أنت أحق العالمين به ... لأن باسمك فيه يضرب المثل

خطه على الكتب الأدبية كثير، واقتنى كتباً عظيمة أدبية وغير أدبية، وعدتها سبع مائة وأحد وسبعون مجلداً، وله خزانة بالجامع الأموي

(١) وهي قبة النسر بالجامع الأموي.

بدمشق في مقصورة الحلبيين فيها كل نفيس.

[١١٧٧] ولما كان ثالث عشر شهر رجب سنة خمس وست مائة كان الشيخ تاج الدين جالساً عند الوزير إلى جانبه فجاء ابن دحْية المحدث، فأجلسه في الجانب الآخر، فأورد ابن دحية حديث الشفاعة فلما وصل إلى قول إبراهيم الخليل -صلوات الله وسلامه عليه- وقول: **«إنما كنت خليلاً من وراءَ وراءَ»** ففتح ابن دحية الهمزتين، فقال الكندي: وراءُ وراءُ، بضم الهمزتين فعز ذلك على ابن دحية وقال للوزير: من ذا الشيخ؟

فقال له: هذا تاج الدين الكندي، فتسمح ابن دحية في حقه بكلمات، فلم يسمع من الكندي إلا قوله: هو من كلبٍ قبيح[1]، قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة: رأيت في أمالي أحمد بن يحيى ثعلب جواز الأمرين، انتهى.

قلت: قال الأخفش: يقال لقيته من وراء، فترفعه على الغاية إذا كان غير مضاف تجعله اسماً، وهو غير متمكن كقولك: من قبلُ، ومن بعدُ وأنشد من الطويل:

إذا أنا لم أُومن عليك ولم يكن   لقاؤك إلا من وراءُ وراءُ

هكذا أثبته بالرفع، وصنف ابن دحية كتاباً في هذه المسألة وسماه «الصارم الهندي في الرد على الكندي» وبلغ ذلك الكندي، فعمل مصنفاً سماه «نتف اللحية من ابن دحية».

[١١٧٨] ومن شعره [من الطويل]:

لبست من الأعمال تسعين حجة   وعندي رجاء بالزيادة مُولَع

---

(١) لأن ابن دحية كلبيّ.

وقد أقبلت إحدى وتسعون بعدها ... ونفسي إلى خمس وست تَطَلّعُ
ولا غَرْوَ إن آتي هنيدة سالماً ... فقد يدرك الإنسان ما يتوقع
وقد كان في عصري رجال عرفتهم ... حبوها وبالآمال فيها تمتعوا
وما عاف قبلي عاقل طول عمره ... ولا لامه في ذاك للعقل موضع[1]



بنت مكّي

زينب بنت مكي بن علي الحراني، أم أحمد.

[١١٧٩] روت الكثير وطال عمرها، وكانت أسند من بقي من النساء في الدنيا، وروت الحديث نيفاً وستين سنة، وروى عنها خلق كثير، وعاشت أربعاً وتسعين سنة.

وكانت فقيرة عابدة صالحة صاحبة أوراد ونوافل وأذكار وتلاوة، وقد روت المسند كله.

توفيت سنة ثمان وثمانين وست مائة[2].

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٥/ ٥٠- ٥٧.
(٢) الوافي بالوفيات: ١٥/ ٦٧، ٦٨.



سابق
البربري الشاعر الزاهد

سابق بن عبد الله، أبو سعيد الرقي، المعروف بالبربري الشاعر.

قدم على عمر بن عبد العزيز، وأنشده أشعاراً في الزهد، وهو أحد الزهاد المشهورين.

[١١٨٠] دخل على عمر بن عبد العزيز فقال له: عظني فقال [من الطويل]:

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... ووافيت بعد الموت من قد تزوَّدا

ندمت على أن لا تكون شركته ... وأرصدت قبل الموت ما كان أرصدا

فبكى عمر حتى سقط مغشياً عليه.

[١١٨١] وكتب عمر بن عبد العزيز إليه أن عظني فكتب إليه [من البسيط]:

بسم الله الذي أنزلت من عنده السور ... والحمد لله أما بعد يا عمر

إن كنت تعلم ما تأتي وما تذر ... فكن على حذر قد ينفع الحذر

واصبر على القدر المجلوب وارض به ... وإن أتاك بما لا تشتهي القدر

فما صفا لامرئ عيش يسر به ... إلا سَتَتْبَعُ يوماً صفوه الكدر

وله معه أخبار غير هذه.

[١١٨٢] وأشعار في الوعظ كثيرة، ومن شعره [من الطويل]:

وللموت تغذو الوالـدات سِـخالها ... كما لخراب الدهر تُبنى المساكن[١]

[١١٨٣] ومنه [من البسيط]:

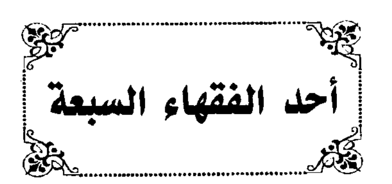
أموالنـا لـذوي المـيراث نجمعهـا ... ودورنـا لخـراب الـدهر نبنيهـا

والنفس تَكْلَفُ بالدنيا وقد علمـت ... أن الـسلامة منهـا تـرك مـا فيهـا

[١١٨٤] ومنه [من الطويل]:

لسان الفتى نصفٌ ونـصفٌ فـؤاده ... فلم يبق إلا صورة اللحم والـدم

وكائنٍ ترى من صامت لك معجـب ... زيادتــه أو نقــصه في الــتكلم[٢]



سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عبد الله القرشـي العـدوي المـدني الفقيه.

وقدم دمشق على عبد الملك بكتاب أبيه بالبيعة له، وعلى الوليـد بـن عبـد الملك وعلى عمر بن عبد العزيز.

قال ابن سعد: كان ثقة، كثير الحديث عالياً مـن الرجـال ورعـاً، وأمـه أم سالم، وهي أم ولد، وكان عبد الله بن عمر يشبه أباه عمر وكـان سـالم يـشبه أبـاه عبد الله بن عمر.

---

(١) السخال: صغار المعز.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٥/ ٦٩- ٧١.

وقال مالك: ولم يكن في زمان سالم أشبه بمن مضى من الصالحين في الزهد والعيش منه، وكان يلبس الثوب بدرهمين.

[١١٨٥] وقال نافع: كان ابن عمر يلقى ابنه سالماً فيقبله ويقول: شيخ يقبل شيخاً.

[١١٨٦] وقال خالد بن أبي بكر: بلغني أن عبد الله بن عمر كان يلام في حب سالم فيقول [من الطويل]:

يلومُنّني في سالم وألومهم   وجلدة بين العين والأنف سالم[١]

ورواه بعضهم:

يديرونني عن سالم وأديرهم...

[١١٨٧] قلت: واشتهر هذا البيت كثيراً وروسل به: كتب عبد الملك ابن مروان إلى الحجاج وقد أكثروا فيه القول: أما بعد: فأنت سالم والسلام! فلم يدر الحجاج ما أراد حتى فسره له بعض من يعرفه، فقال له: أراد به قول عبد الله بن عمر فسر بذلك.

[١١٨٨] قال أبو الزناد: كان أهل المدينة يكرهون اتخاذ أمهات الأولاد حتى نشأ فيهم القراء السادة: علي بن الحسين بن علي، والقاسم ابن محمد بن أبي بكر، وسالم بن عبد الله بن عمر، فقهاء، ففاقوا أهل المدينة علماً وتقى وعبادة وورعاً فرغب الناس حينئذ في السراري.

[١١٨٩] قال أبو شامة: الأكثر على أن فقهاء المدينة السبعة ليس فيهم سالم، وإنما يعدون مكانه أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، وذكر بعضهم مكاني أبي بكر وسالم أبا سلمة بن عبد الرحمن، ولكن سالم معدود في

---

(١) جلدة مابين العين والأنف أي كناية عن العناية به والحب له.

فقهاء المدينة.

[١١٩٠] الحنظلي: أصح الأسانيد كلها: الزهري عن سالم عن أبيه.

[١١٩١] وقال البخاري: وتوفي سالم في سنة ست ومائة في ذي الحجة وهشام بالمدينة فصُلي عليه بالبقيع لكثرة الناس، ولما رأى كثرتهم قال لإبراهيم بن هشام المخزومي: اضرب على الناس بعث أربعة آلاف فسمي عام أربعة آلاف، وكان الناس إذا دخلوا الصائفة خرج أربعة آلاف من المدينة إلى السواحل.

[١١٩٢] وكان هشام قد دخل الكعبة فإذا هو بسالم فقال له: سلني حاجتك، فقال: إني أستحيي من الله أن أسال في بيته غيره، فلما خرجا منها قال: الآن قد خرجت منها فاسأل، فقال: والله ما سألت الدنيا ممن يملكها فكيف أسأل فيها من لا يملكها؟

[١١٩٣] وعانه هشام أي:- أصابه بالعين- فمرض فمات[1].



أبو العلاء كاتب هشام

سالم بن عبد الله، ويقال ابن عبد الرحمن أبو العلاء، مولى هشام بن عبد الملك وكاتبه على ديوان الرسائل.

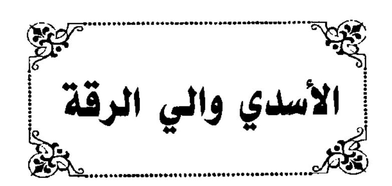
وكان سالم أستاذ عبد الحميد بن يحيى الكاتب وخَتَنه.

[١١٩٤] وحدث زياد الأعجم قال: حضرت جنازة هشام بن عبد الملك، فسمعت أبا عبد الأعلى ينشد [من الطويل]:

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٥/ ٨٣- ٨٥.

وما سالمٌ عمّا قليلٍ بسالم ... وإن كثرت أحراسه ومواكبه
وإن كان ذا باب شديد وحاجب ... فعمّا قليل يهجر البابَ صاحبه
ويصبح بعد الحَجْب للناس مفرداً ... رهينة بيت لم تُستَّر جوانبه
فنفسَك فاكسبها السعادة جاهداً ... فكل امرئ رهن بما هو كاسبه
وما كان إلا الدفن حتى تفرقت ... إلى غيره أفراسه ومراكبه
وأصبح مسروراً به كل كاشح ... وأسلمه أصحابه وحبائبه(١)



الأسدي والي الرقة

سالم بن وابصة بن معبد الأسدي.

كان والي الرقة ثلاثين سنة.

وهو في الطبقة الأولى من التابعين، وكان يركب بغلة شهباء وعليه رداء أصفر يصلي بالناس الجمعة.

[١١٩٥] قال ابن دريد:

كان رجلاً حليماً، وكان له ابن عم سفيه يحسده وكان ينتقصه، فقال سالم ذلك لإخوانه وخاصته من بني عمه، فقال رجل منهم:

تعهد أهله وولده بالصلة ودعه فإنه سيصلح، ففعل فأتاه ابن عمه ذلك فقال له:

(١) الوافي بالوفيات: ١٥/ ٨٦، ٨٧، والكاشح: المبغض.

أنت أحق بالناس بما صنعت، وأنت أولى بالكرم مني! والله لا أعود لشيء تكرهه مني.

[١١٩٦] ومن شعره [من الطويل]:

أرى الحلم في بعض المواطن ذلة ... وفي بعضها عز يشرف قائله

إذا أنت لم تدفع بحلمك جاهلاً ... سفيهاً ولم تقرن به من يجاهله

لبست له ثوب المذلة صاغراً ... وأصبحت قد أودى بحقك باطله

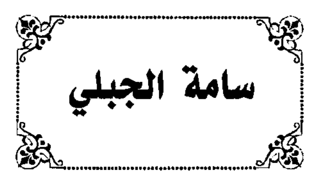
فأبق على جهال قومك إنه ... لكل جهول موطن هو جاهله

[١١٩٧] ومنه [من البسيط]:

يا أيها المتحلي دون شيمته ... إن التخلق يأتي دونه الخلق

ولا يواسيك في ما كان من حدث ... إلا أخو ثقة فانظر بمن تثق

توفي سالم بن وابصة في آخر خلافة هشام بن عبد الملك، وكان شاباً في خلافة عثمان رضي الله عنه(١).



سامة الجبلي

[١١٩٨] كان ببيروت، فلما انقضت مدة الهدنة بين صلاح الدين والفرنج قصد الفرنج بيروت، فهرب واستولى الفرنج عليها، فقال فيه شاعر [من الخفيف]:

(١) الوافي بالوفيات: ١٥/ ٩٣- ٩٤.

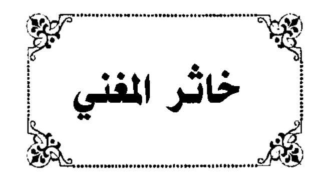
سلم الحصن ما عليك ملامة ... ما يلام الذي يروم السلامه
إن أَخْذ الحصون لا بقتال ... سُنةٌ سنها ببيروت سامه
أبْعَدَ الله تاجراً سن ذا البيـ ... ـع وأخرى بخزيه مَن سامه

وكان انقضاء الهدنة سنة ثلاث وتسعين وخمس مائة.

[١١٩٩] وكان سامة بالقاهرة وقد استوحش من العادل وأولاده، في سنة تسع وست مائة؛ لأنهم اتهموه بمكاتبة الظاهر صاحب حلب، فخرج سامة من القاهرة على أنه يتصيد، واغتنم اجتماع الملوك بدمياط وساق إلى الشام في مماليكه يطلب قلاعه وهي كوكب و عجلان، فأرسل والي بلبيس إلى دمياط، فقال العادل: من ساق خلفه فله أمواله وقلاعه!

فقال المعظم: أنا، وركب خلفه ووصل إلى غزة في ثلاثة أيام من دمياط، وسبق سامة إليها وكان سامة نقرس و انقطع مماليكه عنه، وآخر الأمر قال له المعظم:

سلم إليَّ كوكب و عجلان وأنا أؤمنك على مالك وأولادك وتعيش بيننا كأنك والد، فامتنع وسبه، فاعتقله بالكرك وأخذ ماله وذخائره بما قيمته ألف ألف دينار[1].



خاثر المغني

[١٢٠٠] السائب خاثر. هو مولى لبني ليث.

(١) الوافي بالوفيات: ١٥/ ٩٧، ٩٨.

كان تاجراً موسراً يبيع الطعام، ولم يكن يضرب بـالعود، وكـان يوقـع بالقضيب ويغـني مـرتجلاً، وكـان منقطعـاً إلى عبـد الله بـن جعفـر مخالطـاً لسروات الناس، وكان يـذهب بنفسه إلى أن لا يجـالس إلا الخلفـاء ومـن قاربهم، وكان معبد يأخذ عنه، غنى يوماً ومعاوية بين السماطين بشعر أبي دهبل [من المديد]:

اذهـــبي يـــا لهـــو فاســـتمعي خبِّريـــــه بالـــــذي فعـــــلا

واســـــأليه فـــــيم يَـــــصْرمنا قـــد وصـــلناه فمـــا وصـــلا[1]

وتجـــــني حـــــين لنـــــت لـــــه ذنـــب صـــخر يبتغـــي العلـــلا

فلم يسمعه أحد إلا فتن به.

[١٢٠١] ويقال: إن سائب خاثر قال لناس من أصحابه في الليلة الـتي كان في صبيحتها الحرة: انطلقوا إلى سلع فتزودوا مني فـوالله لكـأنكم بـي غداً وقد أدركتني الخيـل في المنهزمـة فقتلـت فرأيتمـوني شـائلاً فكـان مما غناهم [من الطويل]:

ســـألت المحـــبين الـــذين تكلفـــوا بتأريخ هذا الحب مـن سـالف الـدهر

فقلـت لهـم مـا يُـذهِب الحـبَّ بعـدما تمكـن مـا بـين الجـوانح والـصدر

فقـالوا شـفاء الحـب حـب يزيلـه من آخـرَ أو نـأيٌ طويـل علـى الهجـر

قالوا: فما سمعنا قط أحسن من غنائه تلك الليلة، ثم ذكر أهله وولده فبكى بكاء شديداً، فقلنا: ويحك انـصرف إلى أهلـك وولـدك، فقـال: قـد والله هممت بذلك غير مرة فكأنما يجرني إنـسان إلى هـذه الناحيـة، وإنـي لأجد غمّاً ووسوسة في صدري لم أعهدها قبل ذلك، وكأن أهلي وولـدي

(١) يصرمنا: يقطعنا.

قد مثلوا بين يدي من شدة الشوق إليهم.

فلما أصبح خرج يريد القتال فأخذ أسيراً، فقال للذين أخذوه: إن مثلي لا يقتل، قالوا: ولم؟

قال: لأني مغن حسن الصوت وإنما أسمعكم ما يسركم.

قالوا: هات، فاندفع يغنيهم فألهاهم عما هم فيه من الحرب، فاعترضه رجل من أهل الشام فقال: أحسنت يا مدني، ونفحه بالسيف فرمى برأسه، فمر به بعض القرشيين فضربه برجله وقال: إن ههنا لحنجرة حسنة.

[١٢٠٢] ولما عرضت أسماء القتلة على يزيد بن معاوية مر به اسمه، فقال: مَن!! سائب خاثر صاحبنا؟

قال: نعم.

قال: أولم ينادمنا؟ فما نقم علينا حين خرج مع عدونا؟ وكان لمعاوية في سائب رأي حسن وهوى غالب، وكان يصله إذا قدم عليه ويحضره مجلسه ويسمع غناءه، فإذا غاب عنه تعاهده بصلته، وما قدم على معاوية رجل من قريش إلا رفع لسائب خاثر حاجته لعلمهم برأي معاوية فيه، فيقضيها لهم[١].



أبو العباس الشاعر الأعمى

السائب أبو العباس الشاعر الأعمى المكي، وهو والد العلاء.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٥/ ١٠٤- ١٠٦.

وثقه أحمد، وروى له الجماعة.

توفي في حدود المائة.

[١٢٠٣] قال المرزباني في «معجمه» في حقه: هو ابن فروخ مولى لبني جذيمة بن عدي بن الدائل، وكان هجَّاءً خبيثاً فاسقاً مبغضاً لآل رسول الله ﷺ مائلاً إلى بني أمية مداحاً لها، وهو القائل لأبي الطفيل عامر بن واثلة، وكان شيعيّاً [من الوافر]:

لعمرك إنني وأبا طفيل ... لمختلفان والله الشهيد

لقد ضلوا بحب أبي تراب ... كما ضلت عن الحق اليهود

[١٢٠٤] واستفرغ شعره في هجاء آل الزبير غير مصعب، لأنه كان محسناً إليه. وهو القائل يهجو مواليه [من الطويل]:

وما قُرْبُ مولى السوء إلا كبعده ... بل البعد خير من عدو تقاربه

وإني وتأميلي جذيمة كالذي ... يؤمل ما لا يدرك الدهر طالبه

فأما إذا استغنيتمُ فعدوكم ... وأُدعى إذا ما غص بالماء شاربه

[١٢٠٥] وقال صاحب الأغاني: مولى بني ليث، وقيل: بل الدئلي، من شعراء بني أمية ومتعصبيهم، حكى عنه مسلم بن الوليد قال: سمعت يزيد بن مزيد يقول: سمعت هارون الرشيد يقول: سمعت المهدي يقول: سمعت المنصور يقول: خرجت أريد الشام في أيام مروان بن محمد، فصحبني في الطريق رجل ضرير فسألته عن مقصده فقال: إني أريد مروان بشعر امتدحته به، فاستنشدته إياه فأنشدني [من الخفيف]:

ليت شعري أفاح رائحة المسـ ... ـك وما إن إخال بالخيف أُنسي

حين غابت بنو أمية عنه ... والبهاليل من بني عبد شمس

خطباء على المنابر فرسا ن عليها وقالةٌ غير خرس

لا يعابون صامتين وإن قا لوا أصابوا ولم يقولوا بلبس

بحلوم إذا الحلوم استُخِفّت ووجوه مثل الدنانير مُلْسِ

قال: فوالله ما فرغ من إنشاده حتى توهمت أن العمى قد أدركني، وافترقنا. فلما أفضت إليَّ الخلافة خرجت حاجّاً فنزلت أمشي بجبلي زرود فبصرت بالضرير، ففرقت من كان معي ثم دنوت منه فقلت له: أتعرفني؟ فقال: لا، قلت: أنا رفيقك وأنت تريد الشام أيام مروان فقال:

أوه! [من الكامل]:

أمست نساء بني أمية منهم وبناتهم بمضيعةٍ أيتامُ

نامت جدودهمُ وأُسقط نجمهم والنجم يسقط والجدود تنام

خلت المنابر والأسرة منهم فعليهمُ حتى الممات سلام

قلت: فما كان مروان أعطاك بأبي أنت؟

قال: أغناني أن أسأل أحداً بعده، فهممت بقتله، ثم ذكرت حق الاسترسال والصحبة فأمسكت عنه، وغاب عن عيني، فبدا لي فأمرت بطلبه فكأنما البيداء بادت به.

قلت: وهذه الحكاية تدل على أن أبا العباس عاش إلى سنة سبع وثلاثين ومائة؛ لأن المنصور ولي الخلافة سنة ست وثلاثين[1].

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٥/ ١٠٦- ١٠٨.



من الوافي بالوفيات

للعالم الأديب صلاح الدين الصفدي

(٧٦٤هـ) رحمه الله

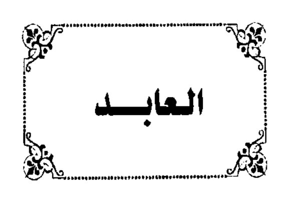
اختيار

محمد بن موسى الشريف

المجلد الثاني

دار الأندلس الخضراء — دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم



العابد

سباع، أبو محمد الموصلي الزاهد.

[١٢٠٦] جالس المضاء بن عيسى الزاهد، قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت مضاء العابد يقول لسباع العابد: إلى أي شيء أفضى بهم الزهد؟

قال: إلى الأنس به.

[١٢٠٧] وجلس أبو سليمان وأنا معه إلى سباع فقال له سباع: يا أبا سليمان: لو كان لك عبدان أحدهما يعمل على الخوف منك والآخر يعمل على المحبة لك؟ فاضطرب أبو سليمان حتى ارتعدت فخذه فاتكى عليها، فاضطربت فخذه الأخرى فاتكى عليها فلم يزل كذلك حتى سكنتا[١].

(١) الوافي بالوفيات: ١٥/ ١١٠-١١١.



نصر الدولة

سُبُكْتُكِين، صاحب معز الدولة.

خلع عليه الطائع لله وطوقه وسوره ولقبه نصر الدولة، ولم تطل أيامه، كانت شهرين ونصفاً.

[١٢٠٨] وقع من فرسه فانكسرت ضلعه، فكان يقول للمجبر: إذا ذكرت عافيتي على يدك فرحت ولا أقدر على مكافأتك، وإذا ذكرت حصول رجلك على ظهري اشتد غيظي منك.

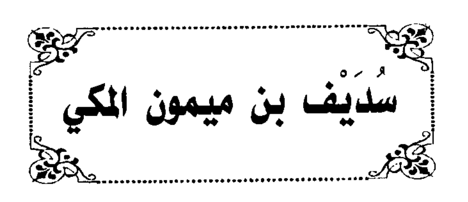
توفي أواخر المحرم سنة أربع وستين وثلاث مائة.

[١٢٠٩] خلف ألف ألف دينار وعشرة آلاف ألف درهم وصندوقين جوهراً وستين صندوقاً مليء قماشاً وتحفاً ومائة وثلاثين سرجاً مذهبة، منها خمسون في كل واحد ألف دينار والباقي فضة، وأربعة عشر ألف ثوب من أنواع القماش، وثلاث مائة عدل فيها فرش، وثلاثة آلاف رأس من الدواب، وألف جمل وثلاث مائة مملوك وأربعين خادماً[(١)].

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٥/ ١١٦.

إنا لله، هذا ولم تطل أيامه، فكيف لو طالت!!



سُدَيْف بن ميمون المكي

الشاعر مولى آل أبي لهب.

كان شديد السواد أعرابيّاً بدويّاً.

[١٢١٠] وهو الذي حرض السفاح على قتل من كان في محبسه من بني أمية، فقتلوا، ثم دخل على المنصور في خلافته ووجد عنده رجلاً أمويّاً فحرضه على قتله بأبيات منه [من البسيط]:

يا راتق الفتق من جلباب دولته ... ومن شَبا قلبه مستيقظ عادي

آنّى ومن أين لي في كل نائبة ... مولى كأنت لإصدارٍ وإيراد

لا تبق من عبد شمس حية ذكراً ... تسعى إليك بإرصاد وإلحاد

جدد لهم رأي عزم منك مُصْطَلِمٍ ... يكون منه عِباديّاً على الهادي

ولا تقيلنّ منهم عثرة أحداً ... فكلهم وفتاهم حَيَّة الوادي

آليت لو أن لي بالقوم مقدرة ... لما بَقَى حاضر منهم ولا بادي

فقتله.

[١٢١١] ثم إنه لما خرج محمد بن عبد الله بن حسن على المنصور، مال إليه سديف وبايعه، وجعل يطعن على المنصور ويمتدح بني علي ويتشيع، فقال-يوماً- ومحمد بن عبدالله على المنبر وسديف عن يمين المنبر، وهو يشير إلى العراق يريد المنصور [من الكامل]:

أسرفت في قتل البرية جاهداً ... فاكفف يديك أضلها مهديها

فلنأتينك غارة حسنيَّة جرارة تحتشها حسنيها

ويشير إلى محمد بن عبد الله [من الكامل]:

حتى تُصَبِّحَ قرية كوفية لما تغطرس ظالِماً حَرَمِيُّها

فبلغ ذلك المنصور، فقال: قتلني الله إن لم أسرف في قتله، وكان المنصور قد وصل سُدَيْفاً بألف دينار فدفعها إلى محمد بن عبد الله معونة له، فلما قتل محمد صار مع أخيه إبراهيم بن عبد الله بالبصرة، فلما قتل إبراهيم رجع إلى المدينة فاستخفى بها، فظفر به المنصور فأمر عمه عبد الصمد بن علي فقتله بمكة خارج الحرم بالسيف، وقيل: أمر به فجعل في جوالق ثم خيط عليه وضرب بالخشب حتى كسر ثم رمى به في بئر وبه رمق حتى مات.

[١٢١٢] ومن شعره أيضاً يخاطب محمد بن الحسن [من البسيط]:

إنا لنأمل أن ترتد ألفتنا بعد التباعد والشحناء والإحن

وتنقضي دولةٌ أحكام قادتها فينا كأحكام قوم عابدي وثن

فانهض ببيعتكم تنهض بطاعتنا إن الخلافة فيكم يا بني الحسن

[١٢١٣] وكان سديف أولاً شديد التعصب لبني هاشم مظهراً لذلك في أيام بني أمية، وكان يخرج إلى أحجار صغار في ظاهر مكة ويخرج مولى لبني أمية يقال له شبيب، فيتسابان ويتشاتمان ويذكران المثالب والمعائب، ويخرج معهما من سفهاء الفريقين من يتعصب لهذا ولهذا فلا يبرحون حتى يكون بينهم الجراح والشجاج، ويخرج إليهم السلطان فيفرقهم ويعاقب الجناة، فلم تزل العصبية حتى شاعت في السفلة، وكانوا صنفين يقال لهم السديفية والسيلبية طول أيام بني أمية، ثم انقطع ذلك في أيام بني

هاشم، وصارت العصبية بمكة بين الحناطين والجزارين[1].



سراج الخادم

[١٢١٤] كان في خدمة المأمون، فأحضره في من اتهمه بقتلة الفضل ابن سهل وزيره، فقدم إلى المأمون وإلى جانبه علي بن موسى الرضا، فقال:

يا أمير المؤمنين بحقه إلا عفوت عني.

فقال: إنما أقتلك لجهلك حقه.

فقال له: والله، ما في الحكم أن تأمرنا بقتله ثم تقتلنا به.

فقال له: إن كنت صادقاً فعن قليل تصير إلى رحمة الله، وإن كنت كاذباً فما قتلك بكفارة لك، وأنت مصر غير تائب وفي دعواك هذه كاذب، ثم أمر بضرب عنقه.

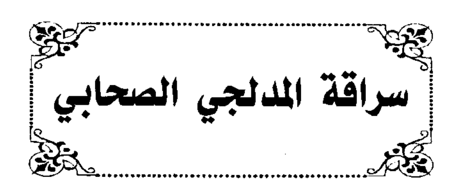
وكان قبله قد قدم علي بن أبي سعيد الكاتب فاضطرب اضطراباً شديداً وقال: إي إي إي فقال المأمون: جزعات الصبيان وفتكات الفرسان، اضرب يا غلام عنقه، فلما يئس من نفسه قال: الله الله في دمائنا، فإنك أول هذا الأمر وآخره.

فقال له المأمون: كذبت، أقتلك بإقرارك وآخذك بادعائك، وضرب عنقه، ثم قدم مؤنس الخادم وعبد العزيز بن عمران، فضرب أعناقهم ،

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٥/ ١٢٥- ١٢٧.

وقتل كل من اتهم بقتل الفضل بن سهل، وأنفذ رؤوس القتلى إلى أخيه الحسن بن سهل[1].



سراقة المدلجي الصحابي

سراقة بن مالك.

[١٢١٥] عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال لسراقة بن مالك: كيف بك إذا أُلبست سواريْ كسرى؟ فلما أُتي عمر بسواري كسرى ومنطقته وتاجه دعا سراقة بن مالك فألبسه إياها، وكان سراقة رجلاً أزب كثير شعر الساعدين، وقال له: ارفع يدك وقل: الله أكبر الحمد لله الذي سلبها كسرى بن هرمز، الذي كان يقول: أنا رب الناس، وألبسهما سراقة بن مالك بن جعشم أعرابيّاً من بني مدلج ورفع صوته.

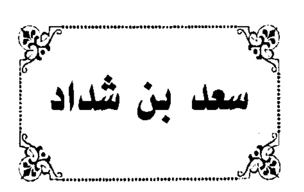
[١٢١٦] وكان سراقة شاعراً مجيداً وهو القائل لأبي جهل [من الطويل]:

أبا حكم والله لو كنت شاهداً ... لأمر جوادي إذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمداً ... رسول ببرهان فمن ذا يقاومه
عليك بكف القوم عني فإنني ... أرى أمره يوماً ستبدو معالمه
بأمر يود الناس فيه بأسرهم ... بأن جميع الناس طرّاً يسالمه

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٥/ ١٢٩.

مات سراقة سنة أربع و عشرين في خلافة عثمان[1].



سعد بن شداد

سعد الرابية الكوفي، سمي الرابية بموضع كان يعلّم فيه النحو، أخذ عن أبي الأسود الدئلي.

[١٢١٧] وكان مزَّاحاً مضحكاً، اجتمعت بنو راسب والطُّفاوة إلى زياد بن أبيه في مولود فقال سعد الرابية: أيها الأمير يلقى هذا المولود في الماء، فإن رسب فهو من راسب وإن طفا فهو من طفاوة، فأخذ زياد نعله وقام ضاحكاً وقال: ألم أنهك عن هذا الهزل في مجلسي؟

[١٢١٨] وفيه يقول الفرزدق [من البسيط]:

إني لأبغض سعداً أنْ أجاوره ... ولا أحب بني عمرو بن يربوع

قوم إذا غضبوا لم يخشهم أحداً ... والجار فيهم ذليل غير ممنوع

[١٢١٩] وكان عبيد الله بن زياد يستظرفه ويقربه فأبطأ عن صلته أشهراً، فقال يوماً عبيد الله: ما أحوجني إلى وصفاء لهم حلاوة وقدود ورشاقة يقومون على رأيي فقال سعد: حاجتك عندي أيها الأمير! وعمد إلى أصلح من قدر عليه من الغلمان الذين عنده في مكتبه، فألبسهم ثياب الوصفاء، وأتى بهم فأعجب بهم عبيدالله واشتراهم وغالى بهم، ومضى سعد فاختفى عند بعض أصحابه.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٥/ ١٣٠، ١٣١.

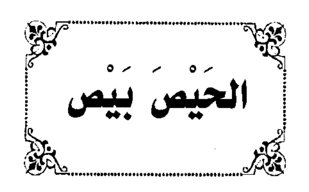
فلما جاء الليل بكى الصبيان فقال عبيد الله: أي شيء تريدون؟

فقال كل منهم: نريد بيتنا.

فقال: وأين بيتكم؟

فقالوا: في موضع كذا وكذا وأنا ابن فلان وهذا ابن فلان، ففطن عبيد الله أنها حيلة وسخرية وأنه أخذ المال باطلاً فوضع عليه الرصد، فلما جيء به قال: ما حملك على ما فعلت؟

قال: أبطأت صلتك عني وقطعتني ما عودتني، فضحك منه وترك المال له[1].



الحَيْصَ بَيْص

سعد بن محمد بن سعد بن صيفي شهاب الدين التميمي المعروف بحيص بيص، أبو الفوارس.

كان فقيهاً شافعي المذهب، تفقه بالري، وتكلم في الخلاف إلا أنه غلب عليه الأدب والنظم وأجاد فيه، وله رسائل بليغة وحدث بشيء من مسموعاته، وقرئ عليه ديوانه، وأخذ الناس عنه أدباً وفضلاً كبيراً، وكان من أخبر الناس بأشعار العرب ولغاتهم.

وكان فيه تيه وتعاظم، ولا يخاطب الناس إلا بالكلام العربي.

[١٢٢٠] وكان يلبس زي العرب ويتقلد سيفين ويحمل خلفه الرمح

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٥/ ١٦٤، ١٦٥.

ويأخذ نفسه بمآخذ الأمراء ويتبادى في كلامه، فقال فيه أبو القاسم بن الفضل، وقيل: الرئيس علي بن الأعرابي [من الخفيف]:

كم تُبادي وكم تُطَوِّل طرطو ... رك ما فيك شعرة من تميم

فكُلِ الضَبَّ واقرض الحنظل الأخـ ... ـضر واشرب ما شئت بول الظليم[1]

ليس ذا وجه من يضيف ولا يقـ ... ـري ولا يدفع الأذى عن حريم

فلما بلغت الأبيات أبا الفوارس قال [من الخفيف]:

لا تضع من عظيم قدر وإن كنـ ... ـت مشاراً إليه بالتعظيم

فالشريف الكريم ينقص قدراً ... بالتجري على الشريف الكريم

ولعُ الخمر بالعقول رمى الخمـ ... ـر بتنجيسها وبالتحريم

وعمل فيه خطيب الحويرة البحيري [من الكامل]:

لسنا وحقك حَيْصَ بَيْـ ... ـصَ من الأعارب في الصميم

ولقد كذبتُ على بجيـ ... ـر كما كذبتَ على تميم

[١٢٢١] وإنما قيل له حَيْصَ بَيْصَ؛ لأنه رأى العامة يوماً في حركة مزعجة وأمر شديد فقال: ما للناس في حيص بيص؟ فبقي ذلك لقباً له، العرب تقول: وقع الناس في حيص بيص إذا كانوا في شدة واختلاط، وسموا ابنه هرج مرج، وسموا ابنته دخل خرج.

[١٢٢٢] قال ابن خلكان: قال الشيخ نصر الله بن مجلي مشارف المخزن:

وكان من الثقات أهل السنة، رأيت في المنام علي بن أبي طالب رضي الله عنه

---

(١) أي الظبي.

فقلت له: يا أمير المؤمنين تفتحون مكة فتقولون: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ثم يتم على ولدك الحسين يوم الطفِّ ما تم!!

فقال لي: أما سمعت أبيات ابن صيفي في هذا؟

فقلت: لا.

فقال: اسمعها منه، ثم استيقظت فبادرت إلى دار حيص بيص فخرج إلي فذكرت له الرؤيا فشهق وأجهش بالبكاء، وحلف بالله إن كانت خرجت من فمي أو خطي إلى أحد وإن كنت نظمتها إلا في ليلتي هذه، ثم إنه أنشدني [من الطويل]:

ملكنا فكان العفو منا سجية	ولما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتمُ قتل الأسارى وطالما	غدونا على الأسرى نمن ونصفح
وحسبكمُ هذا التفاوت بيننا	وكل إناء بالذي فيه ينضح

وتوفي الحيص بيص سنة أربع وسبعين وخمس مائة، وكان إذا سئل عن عمره يقول: وأنا أعيش مجازفة.

وكان يزعم أنه من ولد أكثم بن صيفي حكيم العرب.

ولم يترك أبو الفوارس عقباً.

[١٢٢٣] ومن شعره [من الوافر]:

إذا شوركت في حال بدونٍ	فلا يغشاك عارٌ أو نفور
تَشَاركَ في الحياة بغير خُلْفٍ	أرسطاليس والكلب العقور

[١٢٢٤] ومنه [من الخفيف]:

مِنَّةُ الدون في الرقاب حبال	مُحصَدات كأحْبُل الخُنّاق

غـــير أن التخنيـــق مُـــرْدٍ وهـــذا ‏ ‏ ألم دائـــم مـــع الـــدهر بـــاق

فـــإذا أخفـــق الرجـــاء مـــن الـــدو ‏ ‏ ن فـــأكرم بـــذاك مـــن إخفـــاق

سَـــوْرة الســـم في التعـــزز أولى ‏ ‏ مـــن شـــفاء بالـــذل في الـــدرياق(١)

ومنه [من الخفيف]:

اضـــطرار الحـــر الكـــريم إلى الـــدو ‏ ‏ ن وإن جـــاز غايـــة الإســـراف

لا يشـــين المجـــد المنيـــف ولا ينـــ ‏ ‏ قص قدر الشـريف في الإشـراف

هل يعـاب العطـار يومـاً إذا أصـــ ‏ ‏ بـــح ذا حاجـــة إلى كنَّـــاف(٢)



المجنـــون

سـعدون المجنـون، يقـال: إن اسمـه سـعيد وكنيتـه أبـو عطـاء ولقبـه سعدون، من أهل البصرة.

[١٢٢٥] كان من عقلاء المجانين وحكمائهم، له أخبـار مـلاح وكـلام سديد ونظم ونثر يستحسـن، وطـوف الـبلاد ودونـت أخبـاره، اسـتقدمه المتوكل وسمع كلامه.

[١٢٢٦] وذكر الفتح بن شخرف أنه كان من المحبين لله، صـام سـتين سنة فجف دماغه فسماه الناس مجنوناً.

[١٢٢٧] قال عطاء السَليمي: احتبس علينا القطـر بالبصـرة فخرجنـا

---

(١) السَوْرة: الشدة، والديارق: الدواء.

(٢) هو الذي يكنس بيوت الخلاء، وانظر: ((الوافي بالوفيات)): ١٥/ ١٦٥-١٦٩.

نستسقي فإذا بسعدون المجنون، فلما بصر بي قال: يا عطاء إلى أين؟

قلت: خرجنا نستسقي.

قال: بقلوب سماوية، أم بقلوب أرضية؟

قلت: بقلوب سماوية.

قال: لا تبهرج فإن الناقد بصير.

قلت: ما هو إلا ما حكيت لك فاستسق لنا، فرفع رأسه إلى السماء وقال: أقسمت عليك إلا سقيتنا الغيث، ثم أنشأ يقول [من الوافر]:

أيا من كُلّما نودي أجابا ... ومَن بجلاله يُنشي السحابا

ويا من كلم الصديق موسى ... كلاماً ثم ألهمه الصوابا

ويا من رد يوسف بعد ضر ... على من كان ينتحب انتحابا

ويا من خص أحمد واصطفاه ... وأعطاه الرسالة والكتابا

اسقنا، فأرسلت السماء شآبيب كأفواه القرب.

[١٢٢٨] قلت: زدني، قال: ليس ذا الكيل من ذا البيدر، ثم أنشأ يقول [من المنسرح]:

سبحان من لم تزل له حجج ... قامت على خلقه بمعرفته

قد علموا أنه مليكهم ... يَعْجِزُ وصف الأنام عن صفته

[١٢٢٩] وقال عطاء: رأيت سعدون يتفلى ذات يوم في الشمس فانكشفت عورته، فقلت له: استر يا أخا الجهل، فقال: من لك مثلها؟ فاستتر، ثم مر بي يوماً وأنا آكل رماناً في السوق فعرك أذني وقال [من الطويل]:

أرى كل إنسان يرى عيب غيره ... ويعمى عن العيب الذي هو فيه
وما خير من تخفى عليه عيوبه ... ويبدو له العيب الذي لأخيه
وكيف أرى عيباً وعيبي ظاهر ... وما يعرف السوءاتِ غير سفيه

[١٢٣٠] وقال عبد الله بن سويد: رأيت سعدون المجنون وبيده فحمة، وهو يكتب بها على جدار قصر خراب [من السريع]:

يا خاطب الدنيا إلى نفسه ... إن لها في كل يوم حليلْ
ما أقبح الدنيا لخطابها ... تقتلهم عمداً قتيلاً قتيل
تستنكح البعل وقد وطنت ... في موضع آخر منه البديل
إني لمغتر وإن البلى ... تعمل في نفسي قليلاً قليل
تزودوا للموت زاداً فقد ... نادى مناديه الرحيل الرحيل

[١٢٣١] وقال الفتح بن سالم:

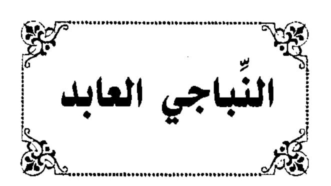
كان سعدون سيّاحاً لهجاً بالقول، فرأيته يوماً بالفسطاط قائماً على حلقة ذي النون وهو يقول: يا ذا النون متى يكون القلب أميراً بعد أن كان أسيراً؟ فقال ذو النون: إذا اطلع الخبير على الضمير، ولم ير في الضمير إلا الخبير، قال: فصرخ سعدون وخرَّ مغشيّاً عليه، ثم أفاق فقال [من الطويل]:

ولا خير في شكوى إلى غير مشتكى ... ولابد من شكوى إذا لم يكن صبر

ثم قال: أستغفر الله لا حول ولا قوة إلا بالله.

[١٢٣٢] ثم قال: يا أبا الفيض إن من القلوب قلوباً تستغفر قبل أن تذنب؟

قال: نعم، تلك قلوب تشاب قبل أن تطيع، أولئك قوم أشرقت قلوبهم بضياء روح اليقين[1].



النِّباجي العابد

سعيد بن يزيد أبو عبد الله التميمي النباجي الزاهد.

كان عابداً سائحاً، قال السلمي: هو من أقران ذي النون، له كلام حسن في المعرفة وغيرها.

[١٢٣٣] وقيل: إن النباجي سأل الله -تعالى- أن يجعل رزقه في الماء، فكان غذاؤه في الماء.

وكان مجاب الدعوة وله أحوال وكرامات.

[١٢٣٤] حكى النباجي قال: بينما نحن صافون نقاتل العدو بأرض الروم، فإذا أنا بغلام كأحسن ما رأيت من الغلمان، وعليه حلة ديباج وهو يقاتل قتالاً شديداً ويقول [من الرمل]:

أنا في أمري رشاد ... بين غزو وجهاد

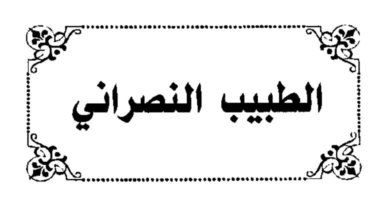
بدني يغزو عدوِّي ... والهوى يغزو فؤادي

فقلت: يا غلام هذا القتال و هذه المقالة والحلة لا يشبه بعضها بعضاً؟ فقال: أحببت ربي فشغلني بحبه عن حب غيره فتزينت للحور العين لعلها تخطبني إلى مولاها.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٥/ ١٩١- ١٩٣.

وتوفي النباجي في حدود العشرين والمائتين[1].



الطبيب النصراني

سعيد بن توفيل.

[١٢٣٥] كان طبيباً نصرانيّاً متميزاً في الطب في خدمة أحمد بن طولون، من أطبائه الخاصين به يسافر معه، فاتفق لأحمد بن طولون -لما كان في الشام بالثغور- هيضة من لبن الجاموس فتعلل وحضر إلى مصر، وساق الحكاية مستوفاة ابن أبي أصيبعة، قال: وكان له شاكري اسمه هاشم يخدم بغلة سعيد ويمسكها إذا دخل إلى دار ابن طولون، وكان سعيد يستعمله في سحق الأدوية ونفخ النار على الطبوخات، ولسعيد ولد حسن الصورة ذكي الروح حسن المعرفة، فقال ابن طولون لسعيد: أريد طبيباً للحُرَم[2] يكون مقيماً بالحضرة إذا غبت.

فقال: لي ولد.

فقال: أحضره، فرأى شاباً رائقاً نظيف الأثواب ظريف الشباب، فقال أحمد: ليس يصلح هذا لخدمة الحرم، أبصر من يكون قبيح الوجه حسن المعرفة، فأخذ سعيد هاشماً وألبسه دراعة وخفّاً ونصبه لخدمة الحرم، فقال له عمر بن صخر:

يا سعيد، ما الذي نصبت هاشماً؟ والله ليرجعن إلى دناءة أصله

(١) الوافي بالوفيات: ١٥/ ٢٠٢، ٢٠٣.

(٢) أي للنساء.

وخساسة محْتِدِه[1] فتضاحك سعيد، وتمكن هاشم من خدمة الحرم بأدوية الشحم والحبل وتحسين الألوان وتغزير الشعور فقدمه النساء على سعيد، وجمع الأطباء ابن طولون على علته فقالت أم أبي العشائر: يا سيدي ما فيهم مثل هاشم، فقال: أحضريه.

فلما مثل بين يديه ونظر وجهه قال: اعتل الأمير حتى بلغ هذه الغاية، لا أحسن الله جزاء من تولى أمره.

فقال له: فما الصواب؟

قال: تناول قمحية فيها كذا وكذا، وعدد قريباً من مائة عقار، فتناولها فأمسك الإسهال فحسن موقعه عنده، فقال له: إن سعيداً حماني من شهر لقمة عصيدة وأنا أشتهيها.

فقال: أخطأ سعيد وهي مغرية ولها أثر حميد، فأمر أحمد فعمل له منها جام واسع فأكل أكثره ونام، وقال لسعيد لما أحضره: ما تقول في العصيدة؟ فقال: ثقيلة على الأعضاء، فقال: دعني من هذه المَخْرَقة[2]، قد أكلتها ونفعتني، ما تقول في السفرجل؟

فقال: يمص منها على خلو المعدة.

فلما خرج أكل ابن طولون سفرجلاً كثيراً فعصر السفرجل العصيدة فتدافع الإسهال، فدعا بسعيد وقال له:

يا ابن الفاعلة ذكرت أن السفرجل نافع لي وقد عاودني الإسهال.

فقال: هذه العصيدة التي منعتك منها لم تزل مقيمة في الأحشاء لا

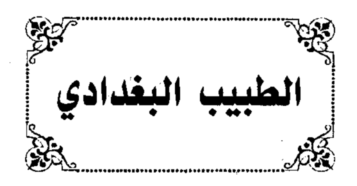
---

(١) المحتد: الأصل.

(٢) المخرقة: الشعوذة.

تطيق هضمها حتى عصرها السفرجل، وما أطلقت لك أكله وإنما أشرت بمصه، وأنت أكلته للشبع لا للعلاج.

فقال: يا ابن الفاعلة، أنت جلست تنادرني وأنت صحيح سوي، وأنا عليل مذهب، ثم دعا بالسياط وضربه مائتي سوط وطاف به على جمل ونودي عليه هذا جزاء من ائتمن فخان، فمات سعيد بعد يومين سنة تسع وتسعين ومائتين(١).



الطبيب البغدادي

سعيد بن الحسن بن عيسى، أبو النصر الطبيب.

[١٢٣٦] كان من المتميزين في صناعة الطب، مرض الإمام الناصر سنة ثمان و تسعين وخمس مائة مرضاً شديداً، عرض له الحصا في المثانة، فأشار طبيبه أبو الخير بالشق فأحضر الجرائحي لشق ذكره، فقال:

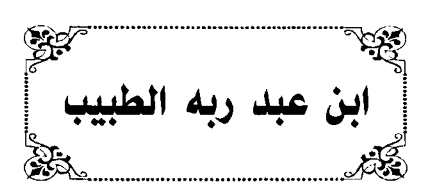
إن شيخي أبا نصر المسيحي ليس في البلاد مثله، فأحضروه فقال:

لا يحتاج إلى شق وأخذ يلين العضو بالأدهان ولاطفه، إلى أن وقعت الحصاة في اليوم الثالث، وقيل: إن وزنها خمس مثاقيل، وقيل: كان أكبر من نوى الزيتون، فلما دخل الناصر الحمام أمر بأبي نصر أن يدخل معه إلى دار الضرب ويحمل من الذهب ما يقدر عليه، ثم أتته من ولدي الإمام ألفا دينار ومن نجاح الشرابي ونصير الدين بن مهدي الوزير، ومن أم الخليفة ثلاثة آلاف دينار، ومن الأمراء والناس شيء كثير، وقرر له

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٥/ ٢٠٤، ٢٠٥.

الراتب الوافر، وداوى الناصر مرات عديدة وشفاه، وأخذ في كل مرة جملة من الذهب والخِلَع[1].



ابن عبد ربه الطبيب

سعيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عبد ربه، وهو من بيت ابن عبد ربه الأديب، كان ابن عبد ربه عمه المشهور.

[١٢٣٧] كان سعيداً طبيباً فاضلاً وشاعراً محسناً، وله في الطب تمكن وتحقق لمذاهب القدماء، وكان مذهبه في مداواة الحميات أن يخلط من المبردات شيئاً وله في ذلك مذهب جليل، ولم يخدم بالطب سلطاناً.

[١٢٣٨] وكان بصيراً بتغيير الأهوية ومذهب الرياح وحركة الكواكب.

[١٢٣٩] قال ابن جلجل: حدثني عنه سليمان بن أيوب الفقيه، قال: اعتللت بحمى فطاولتني وأشرفت منها على العطب، إذ مر بأبي -وهو ناهض إلى صاحب المدينة أحمد بن عيسى- فقام إليه وقضى واجب حقه بالسلام عليه، وسأله عن علتي واستخبره عما عولج به، فسفه علاج من عالجه، وبعث إلى أبي بثمان عشرة حبة من حبوب مدورة، وأمر أن أشرب منها كل يوم حبة، قال: فما استوعبتها حتى أقلعت الحمى وبرئت برءاً تاماً.

[١٢٤٠] ومن شعره [من الكامل]:

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٥/ ٢١٠، ٢١١.

لمـا عــدمت مؤانسـاً وجليسـاً نادمـت بقراطـاً وجالينوسـا
وجعلـت كُتْبَهمـا شـفاء تفـردي وهما الشـفاء لكـل جـرح يُوسـا

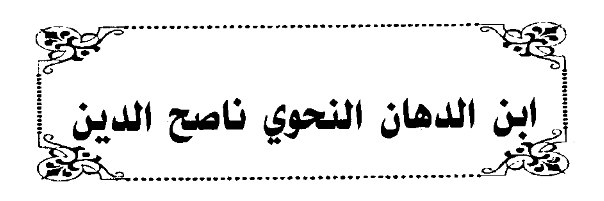
فلما وصل البيتان إلى عمه أحمد بن عبد ربه أجاب بأبيات منها [من الكامل]:

ألفيـتَ بقراطـاً وجالينوسـاً لا يُـثكِلان ويُـرزءان جليسـا
فجعلـتهم دون الأقـارب جِبَّـة ورضِـيتَ مـنهم صـاحباً وأنيسـا
وأظـن بخلـك لا يُـرى لـك تاركـاً حتـى تنـادم بعـدهم إبليسـا

[١٢٤١] وقال سعيد بن عبد الرحمن في آخر عمره، وكان منقبضاً عن الملوك:[من الطويل]:

أمـن بعـد غوصـي في علـوم الحقـائق وطـول انبسـاطي في مـذاهب خـالقي
وفي حـين إشـراقي علـى ملكوتـه أُرى طالبـاً رزقـاً إلى غـير رازقـي
وأيـام عمـر المـرء متعـة سـاعة تحيـي خيـالاً مثـل لمحـة بـارق
وقـد آذنـت نفسـي بتقـويض رحلـها وأسـرع في سـوقي إلى المـوت سـائقي
وإنـي وإن أوغلـت أو سـرت هاربـاً من الموت في الآفاق فالموت لاحقي[1]

(١) الوافي بالوفيات: ١٥/ ٢٣٧، ٢٣٨.



ابن الدهان النحوي ناصح الدين

سعيد بن المبارك بن علي، ينتهي إلى ابن أبي اليَسَر كعب بن عمرو الأنصاري، أبو محمد النحوي المعروف بابن الدهان.

كان من أعيان النحاة المشهورين بالفضل ومعرفة العربية، وله مصنفات في النحو، وله رسائل وديوان شعر، وسمع الحديث.

ولد سنة أربع و تسعين وأربع مائة.

توفي ليلة عيد الفطر سنة تسع وستين وخمس مائة بالموصل، وكان أقام بها أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر.

[١٢٤٢] ومن شعره [من المجتث]:

لاتحسبن أن بالكتب مثلنا ستصير
فللدجاجة ريش لكنها ما تطير

[١٢٤٣] ومنه [من الكامل]:

وأخ رخُصت عليه حتى ملني والشيء مملول إذا ما يرخص
ما في زمانك ما يعِزُّ وجوده إن رمته إلا صديق مخلص

[١٢٤٤] ومن [من البسيط]:

لا تجعل الهزء دأباً فهو منقصة والجد تغلو به بين الورى القِيَم
ولا يَغُرّنْكَ من مَلْكٍ تَبسُّمه ما تصخب السُحْب إلا حين تبتسم

[١٢٤٥] ومنه [من الرمل]:

قيـــل لـــي جـــاءك نجـــل ولـــد شـــهم وســـيم
قلـــت عـــزوه بفقـــدي ولـــد الشـــيخ يتـــيم

[١٢٤٦] ومنه [من الكامل]:

أهوى الخمـول لكـي أظـل مرفهـاً مـمـا يعانيـه بنـو الأزمـان
إن الريـاح إذا عصـفن رأيتهـا تـولي الأذيـة شـامخ الأغصـان

[١٢٤٧] ومنه [من البسيط]:

بـادر إلى العـيش والأيـام راقـدة ولا تكن لصروف الـدهر تنتظـر
فـالعمر كالكـأس يبـدو في أوائلـه صـفو وآخـره في قعـره الكـدر

[١٢٤٨] قال الحافظ السمعاني: سمعت الحافظ ابن عساكر الدمشقي يقول: سمعت سعيد ابن المبارك بن الدهان يقول: رأيت في النوم شخصاً أعرفه وهو ينشد شخصاً كأنه حبيب له [من الرمل]:

أيهـــا الماطـــل ديـــني أملـــيٌّ وتماطـــل
علـــل القلـــب فـــإني قـــانع منـــك بباطـــل

قال ابن السمعاني: فرأيت ابن الدهان عرضت عليه الحكايـة، فقـال: ما أعرفه، ولعل ابن الدهان نسي؛ فإن ابن عساكر مـن أوثـق الـرواة، ثـم استملى ابن الدهان مني الحكاية وقال: أخبرني السمعاني عن ابن عسـاكر عني، فروى عن شخصين عن نفسه.

[١٢٤٩] وخرج مـن بغـداد إلى دمشـق واجتـاز علـى الموصـل وبهـا وزيرها الجواد، فارتبطه وصدره، وغرقت كتبه ببغـداد في غيبتـه، ثـم إنهـا حملت إليه فشرع في تبخيرها باللاذن ليقطع الرائحـة الرديئـة إلى أن بخرهـا

بنحو ثلاثين رطلاً من اللاذن، فطلع ذلك إلى رأسه وعينيه فأحدث له العمى، ولقبه: ناصح الدين.

وقال ياقوت: وكان مع سعة علمه سقيم الخط كثير الغلط، وهذا عجيب من أمره[1].



الأخفش النحوي

سعيد بن مسعدة أبو الحسن المجاشعي -بالولاء- النحوي البلخي، المعروف بالأخفش الأوسط، أحد نحاة البصرة.

والأخفش الأصغر اسمه: علي بن سليمان.

والأخفش الأكبر اسمه عبد الحميد.

وكان أبو الحسن الأخفش الأوسط أجلع -لا تنطبق شفتاه على أسنانه- قرأ النحو على سيبويه وكان أسن منه، ولم يأخذ عن الخليل.

[١٢٥٠] وكان معتزليّاً، قال أبو حاتم السجستاني: كان الأخفش رجل سوء قدريّاً، كتابه في المعاني صويلح إلا أن فيه أشياء في القدر.

[١٢٥١] وذكر أبو بكر الزبيدي النحوي أن الأخفش كان معلم ولد الكسائي، وذلك أنه لما جرى بين الكسائي وسيبويه ما جرى من المناظرة ودخل سيبويه الأهواز، قال الأخفش:

فلما دخل شاطئ البصرة وجه إليَّ فجئته فعرفني خبره مع البغداديين وودعني ومضى إلى الأهواز، فتزودت حتى وردت بغداد، فرأيت مسجد

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٥/ ٢٥٠- ٢٥٤.

الكسائي فصليت خلفه الغداة، فلما انفتل من صلاته وقعد في محرابه وبين يديه الفراء والأحمر وابن سعدان سلمت عليه وسألته عن مائة مسألة فأجاب بجوابات خطأته في جميعها، فأراد أصحابه الوثوب علي، فمنعهم عني ولم يقطعني ما رأيتهم عليه عما كنت فيه، فلما فرغت من المسائل قال لي الكسائي:

بالله أنت أبو الحسن سعيد بن مسعدة؟

قال: قلت: نعم، فقام إلي وعانقني وأجلسني إلى جانبه، ثم قال:

لي أولاد أحب أن يتأدبوا بك ويتخرجوا على يدك وتكون معي غير مفارق لي، وسألني ذلك فأجبته إليه.

فلما اتصلت الأيام سألني أن أؤلف له كتاباً في معاني القرآن، فألفت كتاباً في المعاني، فجعله إماماً له وعمل عليه كتاباً في المعاني، و عمل الفراء كتابه في المعاني عليهما.

[١٢٥٢] وقرأ عليه الكسائي كتاب سيبويه سرّاً ووهب له سبعين ديناراً.

[١٢٥٣] وكان الأخفش يؤدب ولد المعدَّل بن غيلان فاحتاج إلى أن يركب في حاجة له، فأراد أن يستعير منه دابة فكتب إليه [من المتقارب]:

أردت الركوب إلى حاجة ... فمُر لي بفاعلة من دببت

فكتب إليه:

بُرَيذيننا يا أخي غامر ... فكن محسناً فاعلاً من عذرت[١]

---

(١) البريذين: تصغير برذون، وهو نوع من البغال.

وفاعلة من دببت أي دابة. وفاعلاً من عذرت أي عاذراً.

توفي سنة عشر ومائتين.

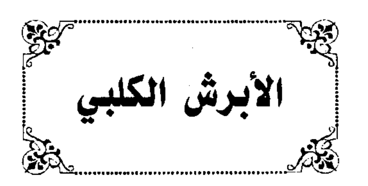
[١٢٥٤] سأل المؤرِّج الأخفش هذا عن قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾[(١)] ما العلة في سقوط الياء منه؟ وإنما تسقط عند الجزم.

فقال: لا أجيبك ما لم تَبتْ على باب داري!

قال: فبت على باب داره، ثم سألته، فقال: اعلم أن هذا مصروف عن جهته، وكلما كان مصروفاً عن جهته فإن العرب تبخس حظه من الإعراب نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾[(٢)] أسقط الهاء لأنها مصروفة من فاعلة إلى فعيل.

قلت: وكيف صرفه؟

قال: الليل لا يسري وإنما سُري فيه[(٣)].



الأبرش الكلبي

سعيد بن الوليد بن عمرو بن جبلة الكلبي الأبرش، أبو مجاشع.

[١٢٥٥] كان يكتب لهشام بن عبد الملك وكان غالباً عليه، ولما توفي يزيد بن عبد الملك وأفضى الأمر إلى هشام أتاه الخبر وهو في ضيعة له ومعه جماعة من أصحابه منهم الأبرش الكلبي، فلما قرأ الكتاب سجد، وسجد من كان معه من أصحابه، خلا الأبرش فإنه لم يسجد فقال له

---

(١) سورة الفجر: ٤.

(٢) سورة مريم: ٢٩.

(٣) الوافي بالوفيات: ١٥/ ٢٥٨- ٢٦٠.

هشام:

لم لا تسجد كما سجد أصحابك؟

فقال: علام أسجد؟ على أنك كنت معي فطرت فصرت في السماء؟

فقال له: فإن طرنا بك معنا؟ قال: فالآن طاب السجود.

[١٢٥٦] وكان الأبرش يحب أن يفسد حال عمر بن هبيرة عند هشام، وكان ابن هبيرة يسير إذا ركب بالبعد عنه، وكان هشام معجباً بالخيل، فاتخذ الأبرش الكلبي عدة من الخيل الجياد وأضمرها وأمر مجريها أن يعارضوا هشاماً إذا ركب فإذا سألهم هشام يقولون: هي لابن هبيرة، فركب هشام يوماً فعورض بالخيل فنظر إلى قطعة من الخيل حسنة فقال: لمن هذه؟

فقالوا له: لابن هبيرة، فاستشاط غضباً وقال: واعجباً، فوالله ما رضيت عنه بعد ثم هو يوائمني بالخيل؟ عليّ بابن هبيرة فدعا به من جانب الموكب فجاء مسرعاً فقال له هشام: ما هذه يا عمر؟ ولمن هي؟ فرأى الغضب في وجهه فعلم أنه قد كِيد، فقال له:

خيل لك يا أمير المؤمنين علمت عجبك بها وأنا عالم بجيادها فاخترتها وطلبتها من مظانها فمر بقبضها، فقبضها، وكان ذلك سبب إقباله عليه، فانعكست الحيلة على الأبرش الكلبي.

وطعن قوم في نسب الأبرش الكلبي[١].

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٥/ ٢٧٠، ٢٧١.



الخاسر

[١٢٥٧] سلم بن عمرو بن حماد، يكنى أبا عمرو ويُسمى سلماً الخاسر؛ لأنه ورث مصحفاً فباعه واشترى بثمنه دفاتر شعر فسمي الخاسر.

قال المزرباني:

وكان شاعراً مكثراً مطبوعاً، سريّاً، عالماً بأشعار العرب، مزاحاً ظريفاً، وكان يلزم بشار بن برد ويأخذ عنه، ومدح معن بن زائدة في أيام المنصور ومدح المهدي والهادي وخُص بالرشيد والبرامكة، وكان يأتي باب المهدي على برذون قيمته عشرة آلاف درهم ولباسه الخز والوشي وما أشبه ذلك، ورائحة المسك والغالية والطيب تفوح منه، وقيل: إنه مات وترك ألف ألف وخمسماية ألف درهم أصابها من الرشيد وأم جعفر، فأخذها الرشيد وقال: هو مولاي.

توفي سلم في حدود الثمانين والمائة.

[١٢٥٨] وكان مسلطاً على بشار يأخذ معانيه الجيدة فيسبكها في قالب أحسن من قالبها البشاري فيشتهر قول سلم ويخمل قول بشار بن برد، كقول سلم الخاسر [من البسيط]:

من راقب الناس مات غمّاً ... وفاز باللذة الجسور

أخذه من قول بشار [من البسيط]:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته ... وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فقول سلم أرشق وأعذب، وأقل من قول بشار بأربعة عشر حرفاً.

[١٢٥٩] ومن شعر سلم الخاسر [من المتقارب]:

إذا أذن الله في حاجـــــــــــة أتـــاك النجـــاح علـــى رِسْـــله
يفـــوز الجـــواد بحســـن الثنـــاء ويبقـــى البخيـــل علـــى بخلـــه
فـلا تسـأل النـاس مـن فضـلهم ولكـــن سَـــل الله مـــن فضـــله

[١٢٦٠] ومنه [من الطويل]:

سأرسـل بيتـاً قـد وَسَمْتُ جبينـه يقطـع أعنـاق البيـوت الشـوارد
أقام الندى والبـأسُ في كـل منـزل أقام به الفضل بن يحيى بن خالـد

[١٢٦١] ولما قال سلم الخاسر قصيدته في الرشيد [من الكامل]:

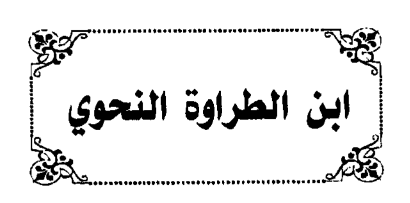
قـل للمنـازل بالكثيـب الأعفـر أُسقيتِ غاديـة السـحاب الممطـر
قـد بـايع الـثقلان مهـدي الهـدى بمحمـد بـن زبيـدة ابنـة جعفـر

حشت زبيدة فاه درّاً فباعه بعشرين ألف دينار.

ومات في زمن الرشيد وقـد اجتمـع عنـده مـن المـال مـا قيمتـه سـتة وثلاثون ألف دينار(١).

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٥/ ٢٠٢-٢٠٤، وهذا يناقض ما جاء آنفاً في مقدار ماله.



ابن الطراوة النحوي

[١٢٦٥] سليمان بن محمد بن عبد الله أبو الحسين السبائي، المالقي النحوي المعروف بابن الطراوة.

وكان عالم الأندلس بالنحو في زمانه، وأخذ عنه أئمة العربية بالأندلس.

توفي سنة ثمان وعشرين وخمس مائة.

[١٢٦٢] ومن شعره في فقهاء مالقة [من البسيط]:

إذا رأوا جملاً يأتي على بعد   مدوا إليه جميعاً كف مقتنص

إن جئتهم فارغاً لزُّوك في قَرَنٍ   وإن رأوا رشوة أفتوك بالرخص

[١٢٦٣] ومنه في قوم انتسبوا إلى كلب وهم من جراوة [من الوافر]:

خرجتم من جراوة ثم قلتم   جراوة في التناسخ من كلاب

صدقتم ليس فيكم غير كلب   ومن تلدون أبناء الكلاب

[١٢٦٤] ومنه وقد خرجوا ليستسقوا على أثر قحط في يوم غامت سماؤه فزال ذلك عند خروجهم [من الكامل]:

خرجوا ليستسقوا وقد نشأت   بحرية قَمِنٌ بها السَّحُّ[1]

حتى إذا اصطفوا لدعوتهم   وبدا لأعينهم بها نضح

(١) أي سحابة بحرية ، وقَمِنٌ :أي جدير، والسح: الصب.

كُشِفَ الغمام إجابةً لهم فكأنما خرجوا ليستصحوا[1]



الوزير

[١٢٦٥] سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين بن قيس ابن فناك، كان فناك كاتباً ليزيد بن أبي سفيان لما ولي الشام، ثم لمعاوية بعده، ووصله معاوية بولده يزيد، وفي أيامه مات.

واستكتب يزيد ابنه قيساً وكتب قيس لمروان بن الحكم، ثم لعبد الملك، ثم لهشام، وفي أيامه مات.

واستكتب هشام ابنه الحسين، وكتب لمروان بن محمد آخر ملوك بني أمية ثم صار إلى يزيد بن عمر بن هبيرة، ولما خرج يزيد إلى المنصور أخذ لحصين أماناً فخدم المنصور والمهدي وتوفي في أيامه.

فاستكتب المهدي ابنه عمراً، ثم كتب لخالد بن برمك ثم توفي وخلف سعيداً فما زال في خدمة البرامكة، وتحول ولده وهب إلى جعفر ابن يحيى، ثم صار بعده في جملة كُتاب الفضل بن سهل، ثم استكتبه أخوه الحسن بن سهل بعده، وقلده كرمان وفارس فأصلح حالهما، ثم وجه به إلى المأمون برسالة من فم الصلح، فغرق في طريقه.

وكتب سليمان للمأمون وهو ابن أربع عشرة سنة ثم لإيتاخ ثم

(١) ليستصحوا: أي ليطلبوا الصحو، والأبيات فيها سخرية بهم، وانظر: ((الوافي بالوفيات)): ١٥/ ٤٢٢، ٤٢٣.

لإيتامش، ثم ولي الوزارة للمعتمد، وله ديوان رسائل.

[١٢٦٦] وكان هو وأخوه الحسن من أعيان الرؤساء وأبناء الزمان، ومدحهما خلق كثير من الشعراء، وفيه يقول البحتري [من البسيط]:

كأن آراءه والحزم يتبعها تريه كل خفي وهو إعلان

ما غاب عن عينه فالقلب يكلؤه وإن تنم عيناه فالقلب يقظان

وتوفي سليمان مقبوضاً عليه سنة اثنتين وسبعين ومائتين.

[١٢٦٧] قال سليمان بن وهب:

كنت قد نشأت بالحضرة وتصرفت في خدمة الخلفاء، فلما تقلدت مصر صرت إليها وواليها محمد بن خالد الصريفيني، وكان في غاية العفاف والنزاهة، فقبضت عليه لما وصلت إلى مصر وحبسته وقيدته، وكان بلغني أن عنده ستين بغلاً من بغال مصر المنتخبة فطالبته بإهدائها إلي، فلم يعترف لي بها، وكان أكثر أهل مصر يميلون إليه لحسن سيرته، فاجتهدت في الكشف عليه والتتبع فلم أقف له على خيانة ولا ارتفاق.

فأقام في حبسي مدة، ثم إن أخاه أحمد بن خالد الصريفيني أصلح حاله في الحضرة -وكان متمكناً منها- وأخذ العمل لأخيه محمد كما كان، وأنفذ الكتب إليه وسبق بها كل خبر، وبعث محمد الصريفيني إلي عند ذلك يقول: يا هذا قد طال حبسي، وكشفت علي فلم تجد لي خيانة، وأشتهي أن تحضرني مجلسك وتسمع حجتي على أن نتفق على مصادرة، فطمعت به وقدرت في نفسي الإيقاع به، فأمرت بإحضاره، فلما دخل رأيت من كثرة شعره ووسخه وتأذيه بالجبة الصوف والقيد ما غمني، فأجلسته بحضرتي وقلت:

اذكر ما تريد، فقال: خلوة! فصرفت الناس، فأخرج إلي الكتاب بالصرف وقال: هذا كتاب بعض إخوانك فاقرأه، فلما قرأته وددت أن أمي لم تلدني، وعرقت من فرقي إلى قدمي، وأظلمت الدنيا في عيني ولم أشك في لبس الجبة الصوف والقيد والمصير إلى تلك الحال، فلما قرأت الكتاب قمت إليه وجلست معه، فقال: لا تشغل قلبك وابعث من يأخذ ما في رجلي، ففعلت وأحضرت المزين فأخذ من شعره، ودخل الحمام وخرج فقال:

هات طعامك، فتغدينا جميعاً وأنا أنظر إليه وهو لا يكلمني بحرف في العمل، ثم قال: أتأذن لي في الانصراف؟ فقلت: يا سيدي هذه الدار وما فيها بأمرك، فقال: لا ولكن أنصرف الساعة فأستريح وأغدو إليك.

ومضى فختم على الديوان وعلى ما فيه وقال لي: ليس بك حاجة إلى أن تذكر شيئاً من أمر الوليد، فإني أحفظه وأعرفه وقد صار إليك من البلد كذا وكذا، فأحضر الجهابذة وأمرهم بتسليم ذلك إلي وأحضر لي البغال التي كنت طلبتها منه، وأنا لا أفتح الديوان ولا أنظر في شيء من حاله وأنت في مصر، فانصرف في حفظ الله وكلاءته، ثم إنه خرج معي مشيعاً، فخرجت وأنا من أشكر الناس وأشدهم حياء منه لما عاملته به ولما عاملني به[1].

(١) الوافي بالوفيات: ١٥/ ٤٤٠- ٤٤٣.



أبو الجعد

سمرة بن الجعد، أبو الجعد. أحد قعدة الأزارقة(١).

[١٢٦٨] كان في سمر الحجاج بن يوسف، فلما سار قطري إلى جيرفت من أرض كرمان كتب إلى سمرة يعيره بمقامه عنهم [من الطويل]:

لشتان ما بين ابن جعد وبيننا ... إذا نحن رحنا في الحديد المظاهر

نجالد فرسان المهلب كلنا ... صبور على وقع السيوف البواتر

وراح يجر الخز نحو أميره ... أمير بتقوى ربه غير آمر

أبا الجعد أنّ العلم والحلم والتقى ... وميراث آباء كرام العناصر

ألم تر أنَّ الموت لابد نازل ... ولابد من بعث الأُلى في المقابر

فسر نحونا إلى الجهاد غنيمة ... نفدك ابتياعاً رابحاً غير خاسر

فلما قرأ كتابه لحق بهم، وكتب إلى الحجاج من طريقه [من الطويل]:

من مبلغ الحجاج أن سميره ... قلا كل دين غير دين الخوارج

فأي امرئ يا ابن يوسف ... ظفرت به لو نلت علم الولائج

إذاً لرأيت الحق منه مخالفاً ... لرأيك إذا كنت امرءاً غير فالج

وهي أكثر من هذا(٢).

(١) الأزارقة أي الخوارج، والقَعَدة هم الذين لا يخرجون وإنما من رأيهم الخروج.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٥/ ٤٥٦، ٤٥٧.



الأحنف

الضحاك بن قيس بن معاوية، أبو بحر السعدي التميمي المعروف بالأحنف، سيد أهل البصرة الذي يضرب به المثل في الحلم والوقار.

أدرك عصر النبي ﷺ ولم يره، وروى عن عمر وعثمان وعلي والعباس وابن مسعود وأبي ذر وأبي بكرة، وروى عنه الحسن وعروة وطلق بن حبيب وغيرهم.

وشهد صفين أميراً مع علي بن أبي طالب، وقدم على معاوية في خلافته.

وكان ثقة مأموناً قليل الحديث، وتوفي سنة اثنتين وسبعين للهجرة، وروى له الجماعة.

وكان صديقاً لمصعب بن الزبير، فوفد عليه بالكوفة، وهو يومئذ والٍ عليها، فتوفي عنده، فرئي مصعب يمشي في جنازته بغير رداء.

[١٢٦٩] وكان أحنف الرِّجْلين، ضئيلاً، صعل الرأس، متراكب الأسنان، مائل الذقن ،خفيف العارضين، فإذا تكلم جلا عن نفسه.

[١٢٧٠] ولم يكن له إلا بيضة واحدة، وكانت أمه ترقصه وتقول [رجز]:

والله لولا حنف برجله

وقِلة أخافها من نسله

ما كان في فتيانكم من مثله

وهو الذي افتتح مرو الروذ، وكان الحسن وابن سيرين في جيشه.

[١٢٧١] وبعث عمر بن الخطاب الأحنف بن قيس على جيش قبل خراسان، فبيتهم العدو وفرقوا جيوشهم، وكان الأحنف معهم ففزع الناس فكان أول من ركب الأحنف ومضى نحو الصوت وهو يقول [الرجز]:

إن على كل رئيس حقاً أن يخضب الصَّعدة أو تندقًّا[١]

ثم حمل على صاحب الطبل فقتله، وانهزم العدو، فقتلوهم وغنموا وفتحوا مرو الروذ، ثم سار إلى بلخ فصالحوه على أربعمائة ألف درهم، ثم أتى خوارزم ولم يطقها فرجع.

وقال خالد بن صفوان: كان الأحنف يفر من الشرف والشرف يتبعه.

[١٢٧٢] وقيل له: ما يمنعك أن تكون كأبيك؟

فقال: وأيكم كأبي؟ قيسوني بأبنائكم.

[١٢٧٣] وقيل له: إنك تطيل القيام، فقال: إني أعده لسفر طويل.

[١٢٧٤] وكان يضع إصبعه على المصباح ثم يقول: حَسٍّ[٢] ثم يقول: يا أحنف ما حملك على أن صنعت كذا يوم كذا.

[١٢٧٥] وشكا ابن أخي الأحنف وجعاً بضرسه فقال الأحنف: لقد ذهبت عيني منذ ثلاثين -وفي رواية أربعين- ما شكوتها إلى أحد.

[١٢٧٦] ولما استقر الأمر لمعاوية، دخل عليه الأحنف فقال له

(١) الصعدة: القناة والرمح، وتندقا: أي تنكسر، ويخضب: أي يصبغها بالدم.

(٢) كلمة تقولها العرب عند الألم.

معاوية:

والله يا أحنف ما أذكر يوم صفين إلا كانت في قلبي حزازة إلى يوم القيامة.

فقال له الأحنف: والله يا أمير المؤمنين إن القلوب التي أبغضناك بها لفي صدرونا، وإن السيوف التي قاتلناك بها لفي أغمادها، وإن تدن من الحرب فتراً[1] ندن منها شبراً، وإن تمش إليها نهرول، ثم قام وخرج، وكانت أخت معاوية وراء حجاب، فسمعت الكلام فقالت: يا أمير المؤمنين، من هذا الذي يتهدد ويتوعد؟ فقال: هذا الذي إذا غضب غضب لغضبه مائة ألف من بني تميم لا يدرون فيم غضب.

[١٢٧٧] ولما نصب معاوية ولده يزيد لولاية العهد، أقعده في قبة حمراء، فجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يميلون إلى يزيد، حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع إلى معاوية فقال: يا أمير المؤمنين: اعلم أنك لو لم تول هذا أمور المسلمين لأضعتها، والأحنف جالس، فقال له معاوية:

مالك لا تقول يا أبا بحر؟

فقال: أخاف الله إن كذبت، وأخافكم إن صدقت.

فقال له معاوية: جزاك الله عن الطاعة خيراً.

[١٢٧٨] ومن كلامه: ما خان شريف، ولا كذب عاقل، ولا اغتاب مؤمن.

[١٢٧٩] وقال: جنبوا مجلسنا ذكر الطعام والنساء، فإني أبغض الرجل أن يكون وصافاً لفرجه وبطنه.

---

(١) الفِتر: مابين الإبهام والسبابة.

[١٢٨٠] وإن من المروءة أن يترك الرجل الطعام والشراب وهو يشتهيه.

[١٢٨١] وكان يقول إذا عجب الناس من حلمه:

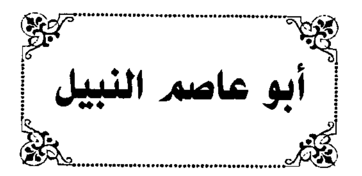
إني لأجد ما تجدون ولكنني صبور.

[١٢٨٢] وكان يقول: وجدت الحلم أنصر لي من الرجال.

[١٢٨٣] وقال: ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم المنقري؛ لأنه قتل ابنُ أخ له بعض بنيه، فأُتي بالقاتل مكتوفاً يقاد إليه، فقال: ذعرتم الفتى، ثم أقبل عليه وقال:

يا بني: بئس ما صنعت، نقصت عددك، وأوهنت عضدك، وأشمت عدوك، وأسأت بقومك، خلوا سبيله، واحملوا إلى أم المقتول ديته فإنها غريبة، ثم انصرف القاتل وما حل قيس حبوته ولا تغير وجهه.

توفي سنة إحدى وسبعين للهجرة[١].



الضحاك بن مخلد بن مسلم، أبو عاصم النبيل، التاجر في الحرير، الشيباني البصري الحافظ.

ولد سنة اثنتين وعشرين ومائة، وتوفي سنة اثنتي عشرة ومائتين.

وروى عنه البخاري وروى الجماعة الباقون عن رجل عنه.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٣٥٥- ٣٥٨.

[١٢٨٤] وكان حافظاً ثبتاً لم يُر في يده كتاب قط.

[١٢٨٥] وكان فيه مزاح وكيس، قال أبو عاصم: رأيت أبا حنيفة في المسجد الحرام يفتي وقد اجتمع الناس عليه وآذوه فقال:

ما ها هنا أحد يأتينا بشرطي؟ فدنوت منه، فقلت:

يا أبا حنيفة تريد شرطيّاً؟

قال: نعم.

فقلت: اقرأ علي هذه الأحاديث التي معي، فلما قرأها قمت عنه ووقفت بحذائه.

فقال لي: أين الشرطي؟

فقلت له: إنما قلت تريد لم أقل لك أجيء به.

فقال: انظروا أنا أحتال للناس منذ كذا وكذا وقد احتال علي هذا الصبي.

[١٢٨٦] وكان أبو عاصم كبير الأنف، قال: تزوجت امرأة فلما بنيت بها عمدت لأقبلها فمنعني أنفي من القبلة، فشددت أنفي على وجهها، فقالت المرأة: نح ركبتك عن وجهي، فقلت: ليس هذا ركبة إنما هو أنف.

[١٢٨٧] وقال إبراهيم بن يحيى بن سعيد الباهلي: رأيت أبا عاصم النبيل في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، ثم قال لي: كيف حديثي فيكم؟

قلت: إذا قلت أبو عاصم فليس أحد يرد علينا، فسكت عني ثم أقبل

علي فقال: إنما يعطى الناس على قدر نياتهم[1].



ابن الخطاب

ضرار بن الخطاب بن مرداس الفهري.

أسلم يوم الفتح، وشهد مع أبي عبيدة فتوح الشام.

وأمه ابنة أبي عمرو بن أمية أخت أبي معيط، وكان ضرار يوم الفجار على بني محارب بن فهر، وكان أبوه يأخذ المرباع، وهو الذي غزا بني سليم.

وكان ضرار فارس قريش وشاعرهم، وحضر معهم المشاهد كلها، وكان يقاتل أشد القتال ويحرض المشركين بشعره.

وهو قتل عمرو بن معاذ، أخا سعد بن معاذ، يوم أحد، وقال حين قتله: لا تعدمن رجلاً زوجك من الحور العين.

وهو الذي نظر يوم أحد إلى خلاء الجبل من الرماة فأعلم خالد بن الوليد، فكرَّا جميعاً بمن معهما حتى قتلوا من بقي من الرماة على الجبل، ثم دخلوا عسكر المسلمين من ورائهم، وكان بعد يقول: الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام ومنَّ علينا بمحمد ﷺ .

وقال يوماً لأبي بكر: نحن كنا لقريش خيراً منكم، أدخلناهم الجنة وأوردتموهم النار.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٣٥٩، ٣٦٠.

واختلف الأوس والخزرج فيمن كان أشجع يوم أحد فسألوه عن ذلك فقال: لا أدري ما أوسكم من خزرجكم، ولكني زوجت يوم أحد منكم أحد عشر رجلاً من الحور العين[1].



الإمام المعافري

ضمام بن إسماعيل المعافري المصري الإمام.

قال أبو حاتم: كان صدوقاً متعبداً.

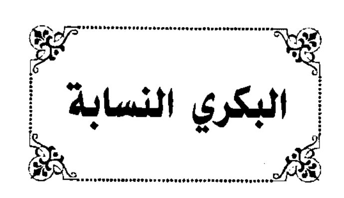
قال ابن يونس: ولد بأشموم ومات بالإسكندرية.

[١٢٨٨] فاتته الصلاة في جماعة فألزم نفسه ألاَّ يخرج من المسجد إلا لحاجة الإنسان حتى تخرج جنازته، فما خرج حتى مات سنة خمس وثمانين ومائة[2].

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٣٦٣، ٣٦٤.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٣٦٦، ٣٦٧.



البكري النسابة

أبو ضمضم النسابة البكري، أحد بني عمرو بن مالك بن ضبيعة، ينتهي إلى بكر بن وائل.

[١٢٨٩] قال رؤبة بن العجاج: أتينا النسابة البكري، وكان نصرانيّاً، فقال:

من أنت يا غلام؟

قلت: رؤبة بن العجاج.

قال: قصرت، أو قال: أقصرت وعرفت، فما جاء بك؟

قلت: العلم.

قال: لعلك كقوم عندي إن حدثتهم لم يفهموا، وإن سكت لم يسألوا.

قلت: أرجو أن لا أكون منهم.

[١٢٩٠] قال: فما أعداء المرء؟

قلت: أخبرني.

قال: بنو عم السوء، إن رأوا خيراً دفنوه، وإن رأوا قبحاً أذاعوه.

ثم قال: إن للعلم آفة ونكداً وهُجنة، فآفته نسيانه، ونكده الكذب فيه، وهجنته نشره عند غير أهله.

[١٢٩١] ثم ضرب بيده على صدره ثم قال: تأموري[١] هذا لم أستودعه شيئاً قط ففقدته.

[١٢٩٢] النُساب: أبو بكر، وعمر بن الخطاب، وأبوه وجده نفيل بن عبد العزى، وإليه تنافر عبد المطلب وحرب بن أمية، فنفر عبد المطلب، ثم دغفل بن حنظلة، وأبو ضمضم، وصبيح الحنفي، والكيس النمري، والنخار العبدي، وابن القِرِّيَّة، هؤلاء كلهم أميون.

وقيل لأبي ضمضم: إنك قد نسبت الجن والإنس، حتى لو قيل لك: انسب النمل نسبتهم، فقال: أجل هم ثلاثة أبطُن: وازر والذر وعقفان، والذر: النمل الصغار، وازر التي رأسها كبير ومؤخرها صغير، وعقفان الطوال القوائم[٢].



طاشتكين المستنجدي

طاشتكين الأمير الكبير، مجد الدين أبو سعيد المستنجدي[٣]، ثم صار لولده المستضيء.

وولي إمرة ركب العراق سنين عديدة، وولي الحلة المزيدية، وولي تستر و خوزستان.

(١) التأمور: الوعاء.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٣٦٩، ٣٧٠.

(٣) نسبة إلى الخليفة المستنجد بالله.

وكان سمحاً كريماً، حسن السيرة، وافر الحشمة، شجاعاً حليماً، وكان شيعيّاً.

توفي سنة اثنتين وستمائة.

[١٢٩٤] وكان قليل الكلام، يمضي عليه الأسبوع ولا يتكلم، استغاث إليه رجل يوماً فلم يكلمه، فقال الرجل: الله كلم موسى ، فقال: وأنت موسى[١]؟ فقال له الرجل: أحمار أنت؟ فقال طاشتكين: لا.

[١٢٩٥] وفي قلة كلامه يقول ابن التعاويذي [الخفيف]:

وأمير على البلاد مُوَلّى   لا يجيب الشاكي بغير السكوت
كلما زاد رفعة حطنا اللـ   ـه بتغفيله إلى البهموت

[١٢٩٦] وقام يوماً إلى الوضوء فحَل حِياصته[٢] وتركها موضعه، وكانت تساوي خمسمائة دينار، فسرقها فرّاش وهو يشاهده، فقال أستاذدار: اجمعوا الفراشين وهاتوا المعاصير، فقال له طاشتكين: لا تعاقب أحداً فالذي أخذها ما يردها، والذي رآه ما يغمز عليه، فلما كان بعد مدة رؤي على ذلك الفراش ثياب جميلة وبزة ظاهرة، فاستدعاه سرّاً وقال له: بحياتي هذه من تلك؟ فخجل، فقال: لا بأس عليك، فاعترف فلم يعارضه.

[١٢٩٧] وكان طاشتكين قد جاوز تسعين سنة فاستأجر أرضاً وقفاً مدة ثلاثمائة سنة على جانب دجلة ليعمرها داراً، وكان في بغداد رجل

---

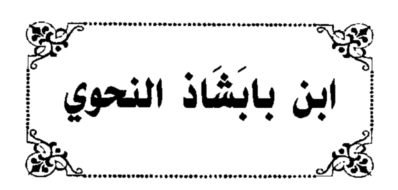
(١) النص هنا ناقص كما هو حاله في الفوات، وهو في مرآة الزمان أكمل، قال: «فقال الرجل: وأنت الله؟ فقضى حاجته، والتقاه رجل فاستغاث إليه من بوابة فلم يجبه، فقال له الرجل.....».
(٢) الحِياصة: الحزام.

محدث يحدث في الحِلَق فقال: يا أصحابنا يهنؤكم، مات ملك الموت.

قالوا: وكيف؟

فقال: طاشتكين عمره تسعون سنة وقد استأجر أرضاً ثلاثمائة سنة، فلو لم يعلم أن ملك الموت قد مات ما فعل هذا، فتضاحك الناس.

توفي بششتر وأوصى أن يحمل إلى مشهد علي بن أبي طالب ﷺ فحمل في تابوت ودفن هناك[1].



ابن بابَشَاذ النحوي

طاهر بن أحمد بن بابشاذ أبو الحسن النحوي المصري، أحد الأئمة في هذا الشأن، والأعلام في علوم العربية وفصاحة اللسان.

توفي بمصر سنة تسع وستين وأربعمائة، وقيل: سنة أربع وخمسين.

ورد العراق تاجراً في اللؤلؤ، وأخذ عن علمائها ورجع إلى مصر، واستخدم في ديوان الرسائل متأملاً يتأمل ما يخرج من الديوان من الإنشاء ويصلح ما يراه من الخطأ في الهجاء أو في النحو أو في اللغة.

[١٢٩٨] وكان له حلقة أشغال بجامع مصر، ثم إنه تزهد وانقطع، وكان السبب في ذلك أنه كان جالساً يأكل فجاءه سِنّور[2] فوقف بين يديه، فكان إذا ألقى إليه شيئاً من الطعام لا يأكله ويحمله ويمضي، وكثر ذلك عنه، فتبعه يوماً لينظر أين يذهب بما يطعمه، فإذا هو يحمله إلى

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٣٨٥، ٣٨٦.

(٢) أي هرة.

موضع مظلم في داره وفيه سنورة أخرى عمياء، فيلقيه إليها فتأكله، فعجب من ذلك وقال في نفسه: إن الذي سخر هذا السنور لهذه ليجيئها بقوتها ولم يهمله قادر على أن يغنيني عن هذا العالم، فلزم منارة الجامع بمصر.

وخرج بعض الليالي ليمشي في غرضٍ عرض له والليل مقمر، وفي عينيه بقية من النوم، فسقط من المنارة إلى سطح الجامع ومات(١).



الجصاص

طاهر بن الحسن بن إبراهيم، أبو محمد الهمذاني، الجصاص الزاهد.

كان كبير القدر صاحب كرامات، بالغ شيرويه في تطويل ترجمته، وكان يقرأ الإنجيل والتوراة والزبور ويعرف تفسيرها.

[١٢٩٩] قال شيرويه: سمعت الخطيب يقول:

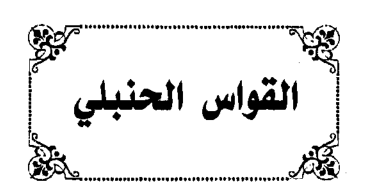
دخلت على طاهر الجصاص ووضعت بين يديه تيناً، فناولته تينة وقلت: أيها الشيخ اقطع هذه التينة بأسنانك، ولم يبق في فمه سن، فجعل يمصها ويلوكها حتى لانت وأمكنه قطعها، وأكل نصفها ووضع نصفها في فمي، فكأني وجدت في نفسي من ريقه، فبت تلك الليلة فرأيت كأن آتياً أتاني فأخرج قلبي من جوفي من غير ألم ولا وجع، فلما شاهدت قلبي كأنه قنديل وسبعة عشر سراجاً، فقال: هذا من ذلك اللعاب.

وقبره يزار ، وكانت وفاته سنة ثماني عشرة وأربعمائة(٢).

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٣٩٠، ٣٩١.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٣٩٢.



القواس الحنبلي

طاهر بن الحسين بن أحمد، أبو الوفاء القواس البغدادي الفقيه الحنبلي.

توفي سنة ست وسبعين وأربعمائة.

[١٣٠٠] اشتهر بالديانة الكاملة والنزاهة والعفة والورع والاجتهاد في العبادة، اعتكف في مسجده خمسين سنة يواصل الصلاة والصيام ويُقرأ عليه الفقه، ويفتي الناس ويحدث إلى أن مات.

قرأ بالروايات على أبي الحسن علي بن أحمد بن عمر الحمامي، والفقه على القاضي أبي يعلي ابن الفراء ولازمه حتى برع في المذهب والخلاف، ودرس المختصرات من تواليفه(١).



غلام المأمون

طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق، كان جده رزيق مولى طلحة الطلحات.

[١٣٠١] وكان طاهر هذا من أكبر أعوان المأمون، وسَيّره من مرو كرسي خراسان لما كان بها المأمون لمحاربة أخيه الأمين والوقعة مشهورة، وسير الأمين أبا يحيى علي بن عيسى بن ماهان لدفع طاهر عنه، فتواقعا

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٣٩٤.

وقتل علي في المعركة، وسير طاهر بالخبر إلى المأمون إلى مرو، وكانت الوقعة بالري وبينهما نحو مائتين وخمسين فرسخاً، فسار الكتاب ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد ووصله الخبر يوم الأحد، ووصل الخبر إلى بغداد بقتل علي بن عيسى، وتقدم طاهر إلى بغداد وأخذ ما في طريقه من البلاد وحاصر بغداد، وسير طاهر إلى المأمون يستأذنه في أخيه ما يفعله به إذا ظفر به، فبعث إليه بقميص غير مقور فعلم أنه يريد قتله، فعمل على ذلك وحمل رأسه إلى المأمون، فكان المأمون يرعاه لخدمته ومناصحته، وكان يسميه ذا اليمينين؛ لأنه ضرب شخصاً في واقعة علي بن عيسى بن ماهان فقده نصفين، وكانت الضربة بشماله، وقال فيه الشاعر [البسيط]:

كلتا يديك يمين حين تضربه

وكان طاهر أعور، وفي طاهر يقول عمرو بن بانة: [الرجز]:

يا ذا اليمينين وعين واحدة ... نقصان عين ويمين زائدة

[١٣٠٢] وكان قد احتاج إلى الأموال عند محاصرة بغداد، فكتب إلى المأمون يطلبها، فكتب إليه إلى خالد بن جيلويه الكاتب ليقرضه ما يحتاج إليه، فامتنع خالد من ذلك، فلما أخذ طاهر بغداد أحضر خالداً وقال: لأقتلنك شر قتلة، فبذل من المال شيئاً كثيراً فلم يقبله منه، فقال خالد: قد قلت شيئاً فاسمعه ثم شأنك وما أردت، فقال طاهر: هات فأنشده [الكامل]:

زعموا بأن الصقر صادف مرة ... عصفور بَرٍّ ساقه المقدور
فتكلم العصفور تحت جناحه ... والصقر منقضٌّ عليه يطير
ما كنت يا هذا لمثلك لقمة ... ولئن شُوِيتُ فإنني لحقير

فتهاون الصقر المُدِلُّ بصيده		كرماً فأفلت ذلك العصفور

فقال طاهر: أحسنت وعفا عنه.

[١٣٠٣] ويحكى أن إسماعيل بن جرير البجلي كان مداحاً لطاهر، فقيل له: إن إسماعيل يسرق الشعر ويمدحك به، فأحب طاهر امتحانه، فقال له: لتهجوني، فامتنع فألزمه بذلك فكتب إليه [الوافر]:

رأيتك لا ترى إلا بعين		وعينك لا ترى إلا قليلا

فأما إذا أُصبت بفرد عين		فخذ من عينك الأخرى كفيلا

فقد أيقنت أنك عن قريب		بظهر الغيب تلتمس السبيلا

فقال لما وقف عليها: احذر أن تنشدها أحداً، ومزق الورقة.

ولما استقل المأمون بالأمر بعد قتل أخيه كتب لطاهر بن الحسين، وهو مقيم ببغداد، بأن يسلم إلى الحسن بن سهل جميع ما افتتحه من البلاد وهي: العراق وبلاد الجبل وفارس والأهواز والحجاز واليمن، وأن يتوجه هو إلى الرقة، وولاه الموصل وبلاد الجزيرة الفراتية والشام والمغرب، وذلك في بقية ثمان وتسعين ومائة، وكان المأمون قد ولاه خراسان فوردها سنة ست وقيل: سنة خمس ومائتين واستخلف ابنه طلحة.

هكذا قال السلامي في «أخبار ولاة خراسان» وقال غيره: إنه خلع طاعة المأمون، وجاءت كتب البريد من خراسان تتضمن ذلك، فقلق المأمون قلقاً زائداً، ثم جاءته كتب البريد ثاني يوم أنه أصابته -عقيب ما خلع الطاعة- حمى فوجد في فراشه ميتاً.

[١٣٠٤] وحكى أن طاهراً دخل يوماً على المأمون في حاجة فقضاها، وبكى المأمون حتى اغرورقت عيناه بالدموع، فقال طاهر:

يا أمير المؤمنين لم تبكي، لا أبكي الله عينك، وقد دانت لك الدنيا وبلغت الأماني؟

فقال: أبكي لا عن ذل ولا عن حزن، ولكن لا تخلو نفسي من شجن، فاغتم طاهر وقال لحسين الخادم -وكان يحجب المأمون في خلواته-: أريد أن تسأل أمير المؤمنين عن سبب بكائه، وأنفذ طاهر للخادم مائتي ألف درهم، فلما كان المأمون في بعض خلواته وهو طيب الخاطر، سأله حسين الخادم عن سبب بكائه ذلك اليوم فقال: هو أمر إن خرج من رأسك أخذته، فقال: يا سيدي ومتى بحت لك بسر؟

فقال: إني ذكرت محمداً أخي وما ناله من الذلة فخنقتني العبرة، ولن يفوت طاهراً مني ما يكره، فأخبر حسين طاهراً بذلك، فركب طاهر إلى أحمد بن أبي خالد فقال: إن الثناء مني ليس برخيص، وإن المعروف عندي ليس بضائع، فأعني على المأمون وغيبني عنه، فركب ابن أبي خالد إلى المأمون وقال: إني لم أنم البارحة قال: ولم؟ قال: لأنك وليت خراسان غسان، وهو ومن معه أكلة رأس، وأخاف أن يصطلمه مصطلم[1].

فقال المأمون: فمن ترى؟

قال: طاهر، فقال: هو جائع، فقال: أنا ضامن.

فدعا به المأمون وعقد له لواء على خراسان من ساعته وأهدى له خادماً كان رباه، وأمره إن رأى منه ما يريبه أن يسمه، فلما تمكن طاهر من الولاية قطع الخطبة، لأنه صعد المنبر وخطب يوم الجمعة، فلما بلغ ذكر الخليفة أمسك، فكتب إلى المأمون بذلك على خيل البريد، وأصبح طاهر

---

(١) الاصطلام: القطع. وأكلة رأس يعني يسهل على العدو هزيمتهم.

يوم السبت ميتاً، فكتب إليه بذلك، فوصلت الخريطة الأولى إلى المأمون، فدعا أحمد بن أبي خالد وقال: اشخص الآن فائت به كما ضمنته، وأكرهه على المسير في يومه، ثم بعد شدائد أذن له في المبيت، ثم وافت الخريطة الثانية في يومه بموته، قيل: إن الخادم سمه في كامَخ[1]، ثم إن المأمون استخلف ولده طلحة على خراسان، وقيل: إنه خليفة بها لأخيه عبد الله ابن طاهر.

وكانت وفاة طاهر بن الحسين سنة سبع ومائتين بمرو، ومولده سنة تسع وخمسين ومائة.

[١٣٠٥] وكان من أفراد العالم، وقع يوماً بصلات بلغت ألف ألف وسبعمائة ألف درهم.

وقيل لطاهر ببغداد لما بلغ ما بلغ: ليهنك ما أدركته من هذه المنزلة التي لم يدركها أحد من نظرائك بخراسان.

فقال: ليس يهنؤني ذلك لأني لا أرى عجائز بوشنج يتطلعن من أعالي سطوحهن إذا مررت بهن، وإنما قال ذلك لأنه ولد بها ونشأ فيها، وكان جده مصعب والياً عليها، وكان شجاعاً ديناً.

[١٣٠٦] وركب يوماً ببغداد في حُرّاقته[2]، فاعترضه مقدس بن صيفي الخلوقي الشاعر، وقد أُدنيت من الشط ليخرج فقال: أيها الأمير إن رأيت أن تسمع مني أبياتاً، قال: هات فأنشده [المتقارب]:

عجبت لحُرّاقة ابن الحسين ... لا غرقت كيف لا تغرق

(١) مثل المخلل.

(٢) أي سفينته.

وبحـــران مـــن فوقهـــا واحـــد وآخـــر مـــن تحتهـــا مطبـــق

وأعجـــب مـــن ذاك أعوادهـــا وقـــد مســـها كيـــف لا تـــورق

فقال: أعطوه ثلاثة آلاف دينار، وقال له: زد حتى نزيدك.

فقال: حسبي.

[١٣٠٧] وأورد قاضي القضاة شمس الـدين ابـن خلكـان بعـد هـذه الأبيـات قـول بعـض الشـعراء -وهـو ابـن حمـديس الصـقلي- في بعـض الرؤساء وقد ركب البحر [الطويل]:

ولما امتطى البحر ابتهلـت تضـرعاً إلى الله: يـا مجـري الريـاح بلطفـه

جعلت الندى من كفه مثـل موجـه فسلمه واجعل موجـه مثـل كفـه

[١٣٠٨] وقيل: إن طاهراً كتب إلى المأمون كتابـاً لمـا ورد أمـره عليـه بتسليم العراق إلى علي بن أبي سعيد أن يصـير إلى الشـام، قـال في آخـره [الطويل]:

غضبتَ على الدنيا فجفت ضـروعها وما الناس إلا بـين راج وخـائف

فقلـــت أمـــير المـــؤمنين وإنمـــا بقيـــتَ فِتَـــاءً بعـــده للخلائـــف

وقـــد بقيـــت في أم رأســـي فضـــلة فإمـــا لحـــزم أو لـــرأي مخـــالف

فدفع الكتاب إلى الفضل بـن سـهل، فوقـع فيـه بحضـرته: يـا نصـف إنسان، والله لئن هممـت لأفعلـن، ولـئن فعلـت لأبـرمن، ولـئن أبرمـت لأحكمن، والسلام، فلما وصل الجواب إلى طاهر كتب يعتذر إلى المأمون وقال: يا أمير المؤمنين إنما أنا كالأمة السـوداء إن أُحسـن إليهـا أشِـرَت[1]،

(١) الأشَر: البَطَر.

وإن أُسيء إليها دمدمت[1]، وإن عفي عنها طغت، والسلام[2].



المجنون

طبرونة العاقولي، كان من عقلاء المجانين.

[١٣٠٩] أخذه الشرط مرة وهو يبول على باب مسجد فجعلوا يضربونه فقال:

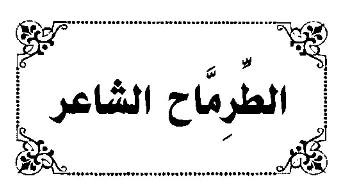
أرأيتم لو بال ها هنا حمار أكنتم تضربونه؟

قالوا له: لا.

قال: ولِمَ؟

قال: لأنه لا عقل له.

قال: فلا عقل لي، فهبوني حماراً، فتركوه[3].



الطِّرِمَّاح الشاعر

ابن حكيم بن الحكم، أبو نفر وأبو ضبينة، شامي المولد والمنشأ، خارجي المذهب، والطرماح في اللغة: الطويل، وجدُّ جده قيس له صحبة.

[١٣١٠] وما رؤي بالكوفة اثنان دام صفاؤهما على كثرة اختلافهما

---

(١) غضبت.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٣٩٤- ٣٩٩.

(٣) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٤١٧.

غير الطرماح والكُمَيت، كان الكميت نزاريّاً عصبيّاً شيعيّاً رافضيّاً عراقيّاً كوفيّاً، والطرماح يمنيّاً عصبيّاً شاريّاً خارجيّاً شاميّاً بدويّاً، وكانا بالكوفة، والشركة في الصناعة توجب البغضاء، وما انصرفا قط إلا عن مودة، ولما قيل للكميت ذلك قال: اتفقنا على بغض العامة.

[١٣١١] مر الطرماح يوماً في مسجد البصرة وهو يخطر[١] في مشيه، فقال رجل: من هذا الخطّار؟ فسمعه فقال: أنا الذي أقول [الطويل]:

لقد زادني حباً لنفسيَ أنني بغيض إلى كل امرئ غير طائل
وأني شقي باللئام ولا ترى شقيّاً بهم إلا كريمَ الشمائل
إذا ما رآني قطع اللحظ بينه وبينيَ فعلَ العارف المتجاهل
ملأتُ عليه الأرض حتى كأنها من الضيق في عينيه كفةُ حابل[٢]

[١٣١٢] ودخل الطرماح يوماً على خالد بن عبد الله القسري فأنشده قوله [الطويل]:

وشيبني ما لا أزال مناهضاً بغير غنى أسمو به وأبوع
وأن رجال المال أضحوا وما لهم لهم عند أبواب الملوك شفيع
أمخترمي ريب المنون ولم أنل من المال ما أعصي به وأطيع[٣]

فأمر له بعشرين ألف درهم وقال: امض الآن فاعص بها وأطع.

[١٣١٣] ووفد الطرماح والكميت على مخلد بن يزيد المهلبي فجلس لهما ودعاهما، فتقدم الطرماح لسنه، فقيل له:

---

(١) اهتز وتبختر.

(٢) الحابل: الصائد بالحبالة.

(٣) مخترمي ريب المنون: أي مدركني الموت.

أنشد قائماً.

فقال: كلا والله ما قدر الشعر أن أقوم له فيحط من قدري بقيامي وأحط منه بضراعتي، وهو عمود الفخر وبيت الذكر لمآثر العرب، قيل له: فتنح، ودعي بالكميت فأنشده قائماً، فأمر له بخمسين ألف درهم، فلما خرج الكميت شاطرها الطرماح، فقال له الكميت: يا أبا نفر: أنت أبعد همة وأنا ألطف حيلة.

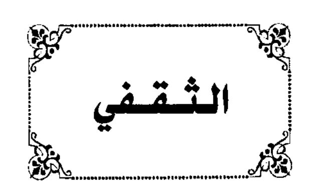
[١٣١٤] قال ابن شُبرمة:

كان الطرماح لنا جليساً ففقدناه أياماً، فقمنا جميعاً لننظر ما دهاه، فلما كنا قريباً من منزله إذا نحن بنعش عليه مُطْرَف أخضر[١]، فقلنا: لمن هذا؟ فقيل: نعش الطرماح، فقلنا: ما استجيب له حيث يقول [الطويل]:

وإني لمقتاد جوادي وقاذف ... به وبنفسي اليوم إحدى المقاذف
لأكسب مالاً أو أؤول إلى غنى ... من الله يكفيني عداة الخلائف
فيا رب إن حانت وفاتي فلا تكن ... على شَرْجَع يُعلى بخضر المطارف[٢]
ولكن قبري بطن نسر مقيله ... بجو السماء في نسور عواكف
وأمسي شهيداً ثاوياً في عصابة ... يصابون في فج من الأرض خائف
فوارس من شيبان ألف بينهم ... تقى الله نزالين عند التزاحف
إذا فارقوا دنياهم فارقوا الأذى ... وصاروا إلى ميعاد ما في المصاحف[٣]

---

(١) المطرف: رداء من خَزّ مربع ذو أعلام، وهو ما يوضع على نعش الميت ويكون في العادة أخضر.
(٢) الشرجع: السرير الذي يوضع عليه الميت.
(٣) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٤٢٧، ٤٢٨.



الثقفي

طُرَيْح بن إسماعيل بن سعد، أبو الصلت، ويقال: أبو إسماعيل الثقفي، من شعراء بني أمية.

وفد على الوليد بن يزيد إذ كان ولي عهد في خلافة هشام لأجل خؤولته، فإن أم الوليد ثقفية، وأقام عنده إلى أن صار الأمر إليه، فاختص به، واستفرغ شعره في مدح الوليد، وبقي إلى أول الدولة العباسية، ومدح المنصور والسفاح.

[١٣١٥] وله في الوليد يمدحه [المنسرح]:

لو قلتَ للسيل دع طريقك والمو ... ج عليه كالهضب يعتلج(١)

لارتد أو ساخ أو لكان له ... في سائر الأرض عنك مُنْعَرَجُ(٢)

طوبى لفرعيك من هنا وهنا ... طوبى لأعراقك التي تُشَجُ(٣)

وطرب الوليد وأمر له بخمسين ألف درهم، ولما دخل على أبي جعفر المنصور في الشعراء قال له: لا حياك الله ولا بياك، أما اتقيت الله-ويلك- حين قلت للوليد بن يزيد:

لو قلت للسيل دع طريقك... البيتين.

---

(١) يعتلج أي يلتطم.

(٢) ساخ: أي غاض في الأرض وذهب، وانظر ((الأغاني)): ٤/ ٣١٢.

(٣) أي التي تشتبك وتتصل بالمكارم وانظر ((المعجم الوسيط)): و ش ج .

فقال طريح: قد علم الله أني قلت ذلك ويدي ممدودة إلى الله ﷻ، وإياه تبارك وتعالى عنيت، فقال للربيع: أما ترى هذا التخلص؟.

[١٣١٦] وكان جماعة من بيت الوليد قد حسدوا طريحاً وتحيلوا على الوليد إلى أن أغضبوه عليه، فبقي نحو السنة لم يأذن له، حتى تحيَّل طريح ودخل عليه فأنشده [البسيط]:

يا ابنَ الخلائف ما لي بعد تَقْرُبَةٍ	إليك أُقصى وفي حاليك لي عَجَبُ
ما لي أُذاد وأُقصى حين أقصدكم	كما تُوَقّى من ذي العُرَّة الْجرُبُ
كأنني لم يكن بيني وبينكم	إلٌّ ولا خُلة تُرْعى ولا نسب[1]
لو كان بالود يدنى منك أزلفني	بقربك الود والإشفاق والحَدَب[2]
وكنتُ دون رجال قد جعلتهم	دوني إذا ما رأوني مقبلاً قطبوا[3]
إن يسمعوا الخير يخفوه وإن سمعوا	سوءاً أذاعوا وإن لم يسمعوا كذبوا
رأوا صدودك عني في اللقاء فقد	تحدثوا أن حبْلِي منك منقضب
فذو الشماتة مسرور بهَيْضَتنا	وذو النصيحة والإشفاق مكتئب[4]

قال: فتبسم الوليد وأمره بالجلوس ورجع وقال: إياك أن تعاود[5].

---

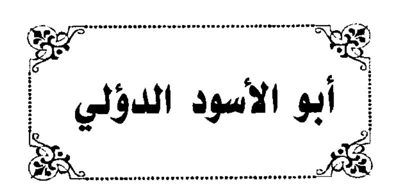
(١) الإلّ: العهد، والخلة: الصداقة.

(٢) أي العطف. وأزلفني أي قربني.

(٣) أي عبسوا.

(٤) الهيضة: الهم والحزن، انظر ((المعجم الوسيط)): هـ ا ض.

(٥) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٤٣٢، ٤٣٣.



أبو الأسود الدؤلي

ظالم بن عمرو بن ظالم أبو الأسود الدؤلي البصري.

قدم على معاوية فأدنى مجلسه وأعظم جائزته.

ولي قضاء البصرة، وقيل: هو أول من نقط المصاحف ووضع للناس علم النحو.

[١٣١٧] وهو تابعي شيعي شاعر نحوي، كان قد التمس من علي عام الحكمين أن يبعثه حكماً، فلما قدم على معاوية قال له: أنت القائل لعلي: ابعثني حكماً؟ فوالله ما أنت هناك فكيف كنت صانعاً؟

قال: كنت جامعاً أصحاب محمد ﷺ وأقول لهم: أبدري أحدي شجري أحب إليكم أم رجل من الطلقاء؟.

وكان عبد الله بن عباس لما خرج من البصرة استخلف عليها أبا الأسود، فأقره علي بن أبي طالب، وقاتل مع علي يوم الجمل، وكان يستخلفه بعد ذلك ابن عباس على البصرة.

وكان من المتحققين بمحبة علي وأولاده، وكان رجلَ أهل البصرة.

[١٣١٨] قال مالك: بلغني أن أبا الأسود الدؤلي باع داراً له فقيل له: بعت دارك؟ قال: لا، ولكني بعت جيراني!! وكان ينزل في بني قشير، وكانوا عثمانية[1]، وأبو الأسود علوي الرأي فكان بنو قشير يسيئون

(١) أي يميلون إلى أمير المؤمنين عثمان ﷺ ويقدمونه على علي ﷺ .

جواره ويرجمونه بالليل، فعاتبهم على ذلك فقالوا: ما رجمناك ولكن الله رجمك، فقال: كذبتم لأنكم إذا رجمتموني أخطأتموني، ولو رجمني الله ما أخطأني، ثم انتقل عنهم إلى هذيل وقال فيهم [الكامل]:

شتموا عليّاً ثم لم أزجرهمُ ... عنه فقلت مقالة المتردد

الله يعلم أن حبي صادق ... لبني النبي وللإمام المهتدي

[١٣١٩] ومن شعره في امرأته [الخفيف]:

مرحبا بالتي تجور علينا ... ثم سهلاً بالحامل المحمول

أغلقت بابها علي وقالت: ... إن خير النساء ذات البعول

شغلت نفسها علي فراغاً ... هل سمعتم بالفارغ المشغول

[١٣٢٠] ومنه [الوافر]:

وما طلب المعيشة بالتمني ... ولكن ألقِ دلوكَ في الدلاء

تجئك بملئها طوراً وطوراً ... تجيءْ بحمأة وقليل ماء

ولا تقعد على كسل تمنى ... تحيل على المقادر والقضاء

وإن مقادر الرحمن تجري ... بأرزاق العباد من السماء

ويقال: إنه أدب عبيد الله بن زياد.

وتوفي سنة تسع وستين للهجرة في طاعون الجارف، وأخطأ من قال: إنه توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز، وأسلم في حياة النبي ﷺ وروى له الجماعة.

[١٣٢١] قال الجاحظ:

أبو الأسود معدود في طبقات الناس، وهو في كلها مقدم مأثور عنه في

جميعها، كان معدوداً في التابعين، والفقهاء، والمحدثين، والشعراء، والأشراف، والفرسان، والأمراء، والدهاة، والنحاة، والحاضري الجواب، والشيعة، والبخلاء، والصلع الأشراف، والبُخْر الأشراف.

[١٣٢٢] وكان أول من أسس علم العربية علي بن أبي طالب ﷺ وأخذه عنه أبو الأسود، وحدث أبو عثمان المازني ما رفعه إلى يحيى بن يعمر الليثي أن أبا الأسود الدؤلي دخل على ابنته بالبصرة فقالت: يا أبه ما أشدُّ الحر، رفعت أشد، فظنها تسأله وتستفهم منه أيُّ أزمان الحر أشد؟ فقال لها: شهرا ناجر(١).

فقالت: يا أبه إنما أخبرتك ولم أسألك، فأتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقال: يا أمير المؤمنين، ذهب لسان العرب لما خالطت العجم، ويوشك-إن طال عليها الزمان- أن تضمحل.

فقال له: وما ذاك؟ فأخبره خبر ابنته، فأمر فاشترى صحفاً بدرهم وأملى عليه: الكلام كله لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، ثم رسم أصول النحو كلها.

[١٣٢٣] فلما كان أيام زياد بن أبيه بالبصرة جاءه أبو الأسود فقال: أصلح الله الأمير، إني أرى الحمراء(٢) قد خالطت العرب فتغيرت ألسنة العرب، وقد كان علي بن أبي طالب قد وضع شيئاً يصلح به ألسنتهم، أفتأذن لي أن أظهره؟ فقال: لا.

ثم جاء زياداً رجل فقال: أصلح الله الأمير، مات أبانا وخلف بنون،

---

(١) الناجر: كل شهر في صميم الحر، انظر((المعجم الوسيط)): ن ج ر.

(٢) لقب للعجم: انظر المصدر السابق: ح م ر .

فقال زياد كالمتعجب: مات أبانا وخلف بنون! هذا ما ذكره أبو الأسود، ثم مر برجل يقرأ القرآن حتى بلغ قوله تعالى ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولِهِۦ﴾[1] بكسر اللام فقال زياد: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، هذا والله الكفر، ردوا إلي أبا الأسود، فقال له:

ضع للناس ما كنت نهيتك عنه.

فقال: ابغني كاتباً يفهم عني، فجيء برجل من عبد القيس فلم يرضه، فأتي برجل من قريش، فقال له:

إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط على أعلاه، وإذا ضممت فانقط بين يدي الحرف، فإذا كسرت فمي فاجعل النقطة تحت الحرف، فإذا أتبعت ذلك شيئاً من الغنة فاجعل النقطة نقطتين فكان هذا نقط أبي الأسود، وذكر أنه لم يضع إلا باب الفاعل والمفعول به فقط.

ثم جاء بعده ميمون الأقرن فزاد عليه في حدود العربية، ثم زاد فيها عنبسة بن معدان وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي.

فلما كان عيسى بن عمر وضع في النحو كُناشاً[2]، ثم أبو عمرو بن العلاء، ثم الخليل بن أحمد، ثم سيبويه.

وقال أبو عبد الله محمد بن الحسن الزبيدي، في «طبقات النحاة»: عمل أبو الأسود كتاب الفاعل والمفعول والتعجب، ثم فرع الناس الأصول بعده إلى اليوم.

[١٣٢٤] وقال أبو الأسود: لا شيء أعز من العلم؛ لأن الملوك حكام

---

(١) سورة التوبة: ٣.

(٢) أي أوراقاً.

على الناس، والعلماء حكام على الملوك.

[١٣٢٥] وقال لابنته لما زوجها: إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق، وعليك بالزينة، وأزين الزينة الكحل، وأطيب الطيب إسباغ الوضوء، وكوني كما قلت لأمك: [الطويل]:

خذي العفو مني تستديمي مودتي ... ولا تنطقي في سَوْرتي حين أغضب

فإني وجدت الحب في الصدر والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

[١٣٢٦] وقال أبو الأسود: لو أطعنا المساكين في أموالنا لكنا أسوأ حالاً منهم، وقال: لا تجاودوا الله فإنه أجود وأمجد، ولو شاء أن يوسع على الناس كلهم لفعل، فلا تجهدوا أنفسكم في التوسع فتهلكوا هزلاً.

[١٣٢٧] وكان يوماً جالساً على باب داره وبين يديه رطب، فجاز به أعرابي فقال: السلام عليك.

فقال أبو الأسود: كلمة مقولة.

فقال: أأدخل؟

فقال: وراءك أوسع لك.

قال: إن الرمضاء أحرقت رجلي.

قال: بُلْ عليها، أو ائت الجبل يفيء عليك.

قال: هل عندك شيء تطعمني؟

قال: نأكل ونطعم العيال، فإن فضل شيء فأنت أحق به من الكلب.

فقال الأعرابي: ما رأيت ألأم منك.

قال: بلى ولكن أُنسيت.

قال: أنا ابن الحمامة.

قال: كن ابن الطاووس وانصرف.

قال: أسألك بالله إلا أطعمتني مما تأكل، فألقى إليه ثلاث رطبات، فوقعت إحداهن في التراب، فأخذ الأعرابي يمسحها بثوبه.

فقال أبو الأسود: دعها فإن الذي تمسحها منه أنظف من الذي تمسحها به.

قال: إنما كرهت أن أدعها للشيطان.

فقال: لا والله ولا تدعها لجبريل وميكائيل[1].

[١٣٢٨] وأتت امرأته إلى زياد ولها منه ولد، فقال أبو الأسود: أصلح الله الأمير، أنا أحق بالولد منها.

فقال زياد: ولِمَ؟

قال أبو الأسود: حملته قبل أن تحمله ووضعته قبل أن تضعه.

فقالت: صدق، أصلح الله الأمير: وضعه شهوة ووضعته كرهاً، وحمله خفّاً وحملته ثقلاً.

فقال زياد: صدقتِ أنتِ أحق بالولد منه.

[١٣٢٩] وكان يوماً يحدث معاوية فتحرك فضرط، فقال لمعاوية: استرها علي، فقال: نعم، فلما خرج حدث بها معاوية عمرو بن العاص ومروان بن الحكم، فلما غدا عليهما أبو الأسود قال له عمرو بن العاص:

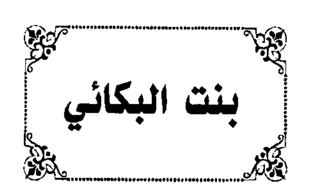
ما فعلت ضرطتك بالأمس؟

---

(١) أعوذ بالله من هذه الأخلاق، وإنما أداه إلى ذلك بخله، فإنه كان مشهوراً بالبخل.

فقال: ذهبت كما تذهب الريح من شيخ ألان الدهر أعصابه ولحمه عن إمساكها، وكل أجوفَ ضروط، ثم أقبل على معاوية وقال: إن امرءاً ضعفت أمانته ومروءته عن كتمان ضرطة لحقيق بأن لا يؤمَّن على أمور المسلمين.

[١٣٣٠] وكان يوماً يسار معاوية في شيء، فوضع معاوية يده على أنفه لبخرٍ كان بأبي الأسود، فضرب أبو الأسود يده على يد معاوية وقال له: لا والله لا تسود علينا حتى تصبر على محادثة الشيوخ البخر[1].



بنت البكائي

عاتكة بنت الفرات بن معاوية البكائي، وأمها الملاءة.

[١٣٣١] خرجت عاتكة هذه يوماً إلى بعض نواحي البصرة فلقيت بدويّاً ومعه أنحاء سمن، فقالت: يا بدوي أتبيع هذا السمن؟

قال: نعم.

قالت: أرناه، ففتح لها نِحْياً[2] فنظرت إلى ما فيه ثم ناولته إياه، وقالت: افتح آخر.

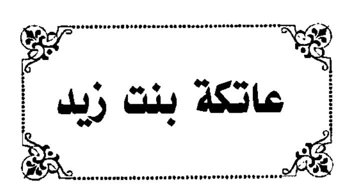
ففتح آخر فنظرت إلى ما فيه ثم ناولته إياه، فلما شغلت يديه أمرت جواريها فجعلن يركلن في استه و جعلت تنادي: يا ثارات ذات النِحيين، أرادت بذلك ما فعله خوات بن جبير الأنصاري وهو: أن امرأة من

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٥٣٣- ٥٣٩.

(٢) أي وعاء.

حضرموت حضرت سوق عكاظ ومعها نِحْيا سمن، فاستخلى بها خوات ليبتاعهما منها، ففتح أحدهما وذاقه ودفعه إليها، فأخذته بإحدى يديها، ثم فتح الآخر وذاقه ودفعه إليها، فأمسكته بيدها الأخرى، ثم إنه غشيها وهي لا تقدر على الدفع عن نفسها لحفظ فم النحيين وشحها على السمن، فلما قام عنها قالت له: لا هنأك، فضُرب بها المثل فيمن شغل بشيء[1].



عاتكة بنت زيد

عاتكة بنت زيد، أخت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل.

[١٣٣٢] كانت عند عبد الله بن أبي بكر فأعجب بها، واشتدت محبته لها فشغلته حتى عن صلاة الجمعة، فقال له أبوه: طلقها فإنها قد فتنتك، فقال عبد الله في ذلك [الطويل]:

يقولون طلقها وأصبح مكانها ... مقيماً تمني النفس أحلام نائم

وإن فراقي أهل بيت أحبهم ... وما لهم ذنب لإحدى العظائم

فلم يزل أبوه حتى طلقها، فلم يصبر عنها واتبعتها نفسه، فهجم عليه أبوه يوماً فسمعه يقول [الطويل]:

فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها ... ولا مثلها في غير ذنب تُطَلّق

لها خلق جزل ورأي ومنصب ... وحلم وعقل في الأمور مُصَدَّقُ

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٥٥٦، ٥٥٧.

فرق له فراجعها.

[١٣٣٣] ولم تزل عنده حتى أصابه سهم في الطائف فمات فرثته بقولها [الطويل]:

وآليت لا تنفك عيني سخينة عليك ولا ينفك جلدي أغبرا
فلله عيناً من رأى مثله فتى أعف وأكفى في الأمور وأصبرا
إذا أُشرعت فيه الأسنة خاضها إلى الموت حتى يترك الموت أحمرا

ثم تزوجها عمر بن الخطاب وأولم عليها، ودعا الصحابة، فلما اجتمعوا قال علي بن أبي طالب:

يا أمير المؤمنين أتأذن لي أن أميل رأسي إلى خدر عاتكة وأكلمها؟

قال: نعم، فأمال عليّ رأسه وقال لها: يا عدية نفسها:

فآليت لا تنفك عيني سخينة عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

فبكت، فقال عمر:

يا أبا الحسن ما دعاك إلى هذا؟ كل النساء يفعلن ذلك.

ثم إن عمر قتل عنها فرثته أيضاً بشعر منه [الطويل]:

وفجعني فيروز لا در دره بتالي الكتاب في الظلام منيب

ثم تزوجها بعد ذلك الزبير، فقتل عنها.

[١٣٣٤] وكان الزبير شرط ألاَّ يمنعها من المسجد، وكانت امرأة خليقة[1]، وكانت إذا تهيأت إلى الخروج للصلاة قال لها:

---

(١) أي تامة الخلقة، حسنتها، وانظر ((المعجم الوسيط)): خ ل ق.

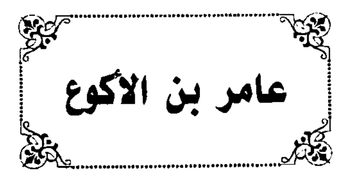
والله إنك لتخرجين وإني لكاره.

فتقول: فتمنعني فأجلس؟

فيقول: كيف وقد شرطت لك لا أفعل، فاحتال فجلس لها على الطريق في الغَلَس، فلما مرت وضع يده على كَفَلها[1]، فاسترجعت ثم انصرفت إلى منزلها، فلما جاء الوقت الذي كانت تخرج إلى المسجد قال لها الزبير: ما لك هذه الصلاة؟ فقالت: فسد الناس، والله لا أخرج من منزلي، فعلم أنها ستفي بما قالت، فقال: لا روع يا ابنة عم، وأخبرها الخبر.

ثم إن علي بن أبي طالب خطبها بعد انقضاء العدة فقالت: يا أمير المؤمنين: بالمسلمين إليك حاجة، ولم تتزوج، وكان علي بعد ذلك يقول: من أراد الشهادة الحاضرة فعليه بعاتكة.

وتزوجها الحسن بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنهما- وتوفي عنها، وكان آخر من ذكر من أزواجها[2].



عامر بن الأكوع

عامر بن الأكوع، هو عامر بن سنان عم سلمة بن عمرو بن الأكوع، وسنان هو الأكوع.

[١٣٣٥] استشهد يوم خيبرسنة سبع للهجرة، ولما خرج مع رسول

(١) أي عَجُزها: وانظر المصدر السابق: ك ف ل.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٥٥٨- ٥٦٠.

الله ﷺ إلى خيبر جعل يرتجز بأصحاب النبي ﷺ ويسوق الركاب وهو يقول [الرجز]:

تـــالله لـــولا الله مـــا اهتـــدينا

ولا تصـــــدقنا ولا صـــــلينا

إن الـــذين قـــد بغـــوا علينـــا

إذا أرادوا فتنـــــة أبينـــــا

ونحن عن فضلك مـا اسـتغنينا

فثبـــت الأقـــدام إن لاقينـــا

وأنـــزلن ســـكينة علينـــا

فقال رسول الله ﷺ: من هذا؟ قالوا: عامر يـا رسـول الله، قـال: غفـر لك ربك - وما خص أحداً بالاستغفار إلا استشـهد - فلمـا سمـع ذلـك عمر بن الخطاب قال: لو متعتنا بعامر.

وبارز مرحباً اليهودي يومئذ فقال [الرجز]:

قـد علمـت خيـبر أنـي مرحـب

شـاكي السـلاح بطـل مجـرب[1]

إذا الحـــروب أقبلـــت تَلَهّـــبُ

فقال عامر أيضاً:[الرجز]:

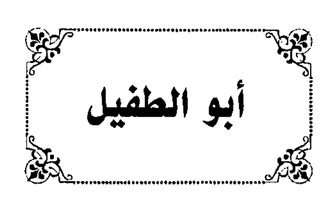
قـد علمـت خيـبر أنـي عـامر

شـاكي السـلاح بطـل مغـامر

---

(١) شاكي السلاح أي تام السلاح.

فاختلفا بضربتين، فوقع سيف مرحب في ترس عامر ورجع سيفه على ساقه فقطع أكحله، فكانت فيها نفسه، فقال ناس: بطل عمل عامر؛ قتل نفسه، فأتى ابن أخيه سلمة إلى رسول الله ﷺ فقال ذلك له، فقال رسول الله ﷺ: **«كذب من قال ذلك، بل له أجره مرتين»**[1].



أبو الطفيل

عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمير الليثي، أبو الطفيل، غلبت عليه كنيته.

أدرك من حياة النبي ﷺ ثمان سنين.

كان مولده عام أحد ومات سنة مائة أو نحوها، وقيل: سنة عشر ومائة، ويقال: إنه آخر من مات ممن رأى النبي ﷺ وقد روى عنه نحو أربعة أحاديث، وكان محبّاً في علي، وكان من أصحابه في مشاهده، وكان ثقة مأموناً يعترف بفضل الشيخين إلا أنه يقدم عليّاً.

روى له الجماعة.

وخرج مع المختار طالباً بدم الحسين، فقتل المختار وأفلت هو.

قال بشر بن مروان-وهو على العراق- لأنس بن زنيم:

أنشدني أفضل شعر قالته كنانة، فأنشده قصيدة أبي الطفيل التي يقول فيها [الطويل]:

أيدعونني شيخاً وقد عشت حقبة   وهن من الأزواج نحوي نوازع

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٥٨١، ٥٨٢.

وما شاب رأسي من سنينَ تتابعت علي ولكن شيبتني الوقائع

فقال بشر: صدقت هذا أفضل شعر قالته.

[١٣٣٦] ولما استقام أمر معاوية لم يكن شيء أحب إليه من لقاء أبي الطفيل، فلم يزل يكاتبه ويلطف به حتى أتاه، فلما قدم عليه جعل يسائله عن الجاهلية، ودخل عليه عمرو بن العاص ونفر معه، فقال لهم معاوية:

أما تعرفون هذا؟ هذا فارس صفين وشاعرهم، هذا خليل أبي الحسن، ثم قال:

يا أبا الطفيل ما بلغ من حبك لعلي.

قال: حب أم موسى.

قال: فما بلغ من بكائك عليه؟

قال: بكاء العجوز الثكلى والشيخ الرقوب، وإلى الله ﷻ أشكو التقصير.

قال معاوية: لكن أصحابي هؤلاء إن سئلوا عني ما يقولون في ما قلت في صاحبك.

قالوا: إذن والله لا نقول الباطل.

قال معاوية: لا والله، ولا الحق تقولون، ثم قال معاوية: هو الذي يقول [الطويل]:

إلى رحبة السبعين يعترفونني مع السيف في جأواء جَمٍ عديدُها[1]

(١) الجأواء: أي الكتيبة الحمراء، وَجَمٌ عديدها: أي كثير عددها، وانظر ((المعجم الوسيط)): ج أ ى، ع د د .

زحـوف كـركن الطـود فيهـا معاشـر | كغُلْـب السـباع نمرهـا وأسـودها
كهـول وشـبان وسـادات معشـر | علـى الخيـل فرسـان قليـلٌ صـدودها
كـأن شـعاع الشـمس تحـت لوائهـا | إذا طلعـت أعشـى العيـونَ حديـدها
شـعارهم سـيما النـبي ورايـة | لهـا انـتقم الـرحمن ممـن يكيـدها
تخطفهـم إيـاكم عنـد ذكـركم | كخطف ضواري الطير طيراً تصيدها

فقال معاوية لجلسائه: أعرفتموه؟

فقالوا: نعم هذا أفحش شاعر، وألأم جليس.

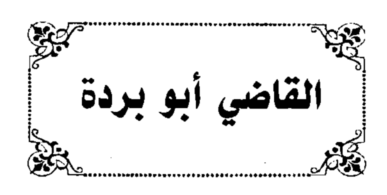
فقال معاوية: يا أبا الطفيل، أتعرفهم؟

قال: ما أعرفهم بخير ولا أُبعدهم من شر، وقام خزيمة الأسدي فأجابه وقال [الطويل]:

إلى رجـب أو غـرة الشـهر بعـده | تصـحبهم حمـر المنايـا وسـودها
ثمـانون ألفـاً ديـن عثمـان ديـنهم | كتائـب فيهـا جبرئيـل يقودهـا
فمن عاش منكم عاش عبداً ومن يمت | ففـي النـار سـقياه هنـاك صـديدها[1]

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٥٨٤، ٥٨٥.
أما حكاية ما حصل بين الصحابة من فتنة فلا أريد ذكرها، وإنما أوردت هذا الذي سبق لما فيه من معان وألفاظ جليلة، وأستغفر الله تعالى إن أخطأت، والله أعلم.



القاضي أبو بردة

عامر بن عبد الله بن قيس أبو بردة، ابن أبي موسى الأشعري.

كان أبوه صاحب رسول الله ﷺ قدم عليه من اليمن في الأشعريين.

وأبو بردة كان قاضياً على الكوفة، وليها بعد القاضي شريح، هكذا ذكره محمد بن سعد، وله مكارم ومآثر مشهورة.

وكان أبو موسى تزوج في عمله على البصرة طفية بنت دمون، وكان أبوها من الطائف، فولدت له أبا بردة، وسماه أبوه عامراً، واسترضع له في بني فقيم، فلما شب كساه أبو شيخ ابن الغرق بردتين وغدا به على أبيه فكناه أبا بردة، فذهبت اسمه.

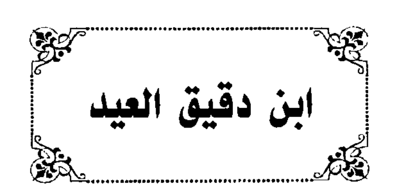
وكان ولده بلال قاضياً على البصرة، وهم الذين يقال في حقهم: ثلاثة قضاة في نَفَس.

[١٣٣٧] وجلس أبو بردة يوماً يفتخر بأبيه ويذكر فضائله وصحبته رسول الله ﷺ، وكان في مجلس عام وفيه الفرزدق الشاعر، فلما أطال القول في ذلك أراد الفرزدق الغض منه فقال: لو لم يكن لأبي موسى منقبة إلا أنه حجم رسول الله ﷺ لكفاه، فامتعض أبو بردة من ذلك ثم قال: صدقت ولكنه ما حجم أحداً قبله ولا بعده، فقال الفرزدق: كان أبو موسى والله أفضل من أنه يجرب الحجامة في رسول الله ﷺ، فسكت أبو بردة على غيظ.

توفي أبو بردة سنة ثلاث ومائة[١].

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٥٩٠، ٥٩١.



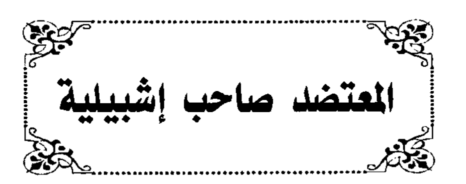
ابن دقيق العيد

عامر بن محمد بن علي بن وهب، هو عز الدين ابن الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد القشيري.

سمع من العز الحراني وابن الأنماطي وغيرهما، وتعدل وجلس بحانوت العدول.

[١٣٣٨] قال كمال الدين جعفر الأدفوي: ثم خالط أهل المعاصي فأثرت الخلطة فيه، وخرج عن طريقة أبيه، واستمر على ذلك، وتمادى في سلوك هذه المسالك، حتى إن أباه جفاه، وودعه وقلاه، ولما ولي أبوه القضاء أقامه من الشهود لما علم منه وأبعده عنه.

وتوفي بالقاهرة سنة إحدى عشرة وسبعمائة[١].



المعتضد صاحب إشبيلية

عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد، المعتضد أبو عمرو، أمير إشبيلية، ابن قاضيها أبي القاسم.

[١٣٣٩] لما توفي أبوه قام المعتضد بعده بالأمر، وكان شهماً صارماً، وخوطب بأمير المؤمنين، دانت له الملوك، اتخذ خشباً في قصره وجللها برؤوس ملوك وأعيان ومقدمين، وكان يشبه بأبي جعفر المنصور.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٥٩٤.

[١٣٤٠] وكان ابنه ولي العهد إسماعيل قد هم بقبض أبيه، فلم يتم له ذلك، وضرب أبوه عنقه.

[١٣٤١] وطالت أيامه إلى أن توفي في شهر رجب سنة أربع وستين وأربعمائة، يقال: إن ملك الفرنج سمه في ثياب بعثها إليه، وقال فيه الحجاوي: وهذا الرؤوف العطوف، الدمث الأخلاق الألوف، ما مات حتى قبض أرواح ندمائه وخواصه بيده، ولم يكلهم إلى غيره، ولا أحوجهم إلى الحاجة بعده، فجزي عنهم بما هو أهله، وكان قد عرف منه ذلك واشتهر فصار الأدباء يتحامونه.

[١٣٤٢] ولما وفد أبو عبد الله ابن شرف القيرواني على الأندلس تطلعت إليه همم ملوكهم لبعد صيته، فكان ممن استدعاه المعتضد ابن عباد، وكان ابن شرف قد امتلأت مسامعه من أخباره الشنيعة فجاوبه بقوله [البسيط]:

أإن تصيدتَ غيري صيدَ طائرة ... أوسعتها الحَبّ حتى ضمها القفص

حسبتني فرصة أخرى ظفرت بها ... هيهات ما كل حين تمكن الفرص

لك الموائد للقصاد مترعَة ... تُروي وتشبع لكن بعدها الغُصص [(١)]

[١٣٤٣] ومن شنيع ما روي عنه أن غلاماً دون البلوغ دخل عليه بغير استئذان فقطع رأسه، وسمع جارية تقول: القبر والله أحسن من سكنى هذا القصر، فقال: والله لأبلغنك ما طلبته، وأمر بها فدفنت حية.

[١٣٤٤] وتعجب الناس من وزيره ابن زيدون، كيف انفرد بالسلامة منه، فقال: كنت كمن يمسك بأذني الأسد، يتقي سطوته تركه أو أمسكه.

---

(١) مترعة :مملوءة.

[١٣٤٥] وفيه يقول عند موته [الطويل]:

لقــد سَــرّنا أن الجحــيم موكــل بطاغيــة قــد حُــمّ منــه حِمــامُ[1]

تجانف صوبُ المزن عن ذلك الصدى ومر عليه الغيث وهـو جَهـام[2]

[١٣٤٦] وللمعتضد شعر مدون فمنه [المنسرح]:

كأنمـــا ياسميننــــا الغـــض كواكـــب في الســـماء تـــنقض

والطـــرق الحمـــر في جوانبـــه كخـد عـذراء مسـها عـض[3]

ابن الحنظلية الصحابي

سهل بن عمرو بن عدي الأنصاري الأوسي، وهو سهل ابن الحنظلية.

صحب النبي ﷺ وبايعه تحت الشجرة، وسكن دمشق وداره بها في حجر الذهب مما يلي السور.

[١٣٤٧] وكان متعبداً لا يكاد يفرغ من العبادة.

[١٣٤٨] وكان لا يولد له، فقال: لأن يكون لي سقط في الإسلام أحب إلي مما طلعت عليه الشمس.

وقبره في مقابر باب الصغير في الحجرة التي فيها قبر معاوية، قال

---

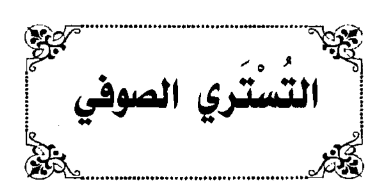
(١) حُمّ :أي حان، والحمام : الموت.

(٢) تجانف :أي مال ، وجَهام : أي لايمطر.

(٣) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٦١٥- ٦١٧.

الحافظ بن عساكر: رأيت ذلك في حجر منقور عتيق في قبلة الحجرة أن في ذلك المكان قبر معاوية وابن الحنظلية وفضالة بن عبيد وواثلة بن الأسقع وأوس ابن أوس الثقفي.

ومات في صدر خلافة معاوية[1].



التُسْتَري الصوفي

سهل بن عبد الله بن يونس التستري الصالح المشهور.

لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع، وكان صاحب كرامات.

لقي ذا النون المصري بمكة.

[١٣٤٩] وكان سبب سلوكه هذه الطريق خاله محمد بن سوار؛ فإنه قال:

قال لي خالي يوماً، ألا تذكر الله الذي خلقك؟

فقلت له: كيف أذكره؟

فقال: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك: «الله معي، الله ناظر إلي، الله شاهدي»، فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال:

قلها كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٧.

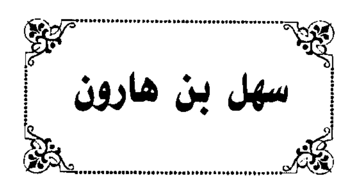
فقال: قلها في كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلت ذلك، فوقع في قلبي حلاوة، فلما كان بعد سنة قال لي خالي:

احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لها حلاوة في سري.

ثم قال خالي يوماً: يا سهل من كان الله معه وهو ناظر إليه وشاهده يعصيه؟ إياك و المعصية، فكان ذلك أول أمره.

سكن البصرة زماناً وعبادان مدة.

مولده سنة مائتين وقيل: إحدى ومائتين، ووفاته سنة ثلاث وثمانين، وقيل: سنة ثلاث وسبعين ومائتين(١).



سهل بن هارون

سهل بن هارون بن الهيون بن راهيون الدستميساني، أبو عمرو.

انتقل إلى البصرة، واتصل بخدمة المأمون، وتولى خزانة الحكمة له.

وكان حكيماً، فصيحاً، شاعراً أديباً، فارسي الأصل، شعوبي المذهب شديد التعصب على العرب.

وله مصنفات كثيرة تدل على بلاغته وحكمته مثل: كتاب «ثعلة وعفراء» على مثال «كليلة دمنة» وغير ذلك من الكتب، وله رسائل وشعر، وكان الجاحظ يصف براعته و يحكي عنه في كتبه.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ١٦، ١٧.

[١٣٥١] كان نهاية في البخل، وله في ذلك حكايات، قال دِعبل:

كنا عند سهل بن هارون فأطلنا القعود عنده حتى كاد يموت جوعاً ثم قال: ويحك يا غلام غدِّنا، فأتى بقصعة فيها ديك مطبوخ، فتأمل ثم قال:

أين الرأس؟

فقال: رميت به.

فقال: والله إني لأمقت من يرمي برجليه فكيف برأسه ولو لم أكره ما صنعت إلا للطيرة والفأل لكرهته، أما علمت أن الرأس رئيس الأعضاء، ومنه يصدح الديك، ولولا صوته ما أُريد، وفيه عُرْفه الذي يتبرك به، وعينه التي يضرب بها المثل في الصفاء فيقال: شراب كعين الديك، ودماغه عجيب لوجع الكلية، ولم تر عظماً أهش تحت الأسنان منه، وهلا ظننت أني لا آكله أن العيال لا يأكلونه، وإن كان قد بلغ من نبلك أنك لا تأكله فإن عندنا من يأكله، أو ما علمت أنه خير من طرف الجناح ومن رأس العنق؟ انظر لي أين هو.

فقال: والله ما أدري أين هو.

فقال: والله أنا أدري أين، رميت به والله في بطنك، فالله حسبك.

[١٣٥٢] وعمل كتاباً في البخل ومدحه وبعثه إلى الحسن بن سهل يستميحه فوقَّع إليه الحسن: يا سهل لقد مدحت ما ذم الله وحسنت ما قبح الله، وما يقوم بفساد معناك صلاح لفظك، وقد جعلنا ثوابك قبول قولك فما نعطيك شيئاً[١].

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ١٨، ١٩.

الكسروي

سهلون بن مهبنداذ الكسروي، من أهل فارس وأخوه يزدجرد.

كانا فاضلين من أهل النعمة، وكلاهما شاعر، وكانا ببغداد أيام المقتدر، وكانا يذهبان مذهب سهل بن هارون في الفصاحة والتصنيف وترجمة الفارسي بالعربي ويتشبهان به.

[١٣٥٣] ومن شعر سهلون [الكامل]:

إن الرفيع بماله هو عالم   أن الرفيع بعلمه هو أرفع
فإذا عدا حسداً عليه فداره   واصبر فسيف الحلم عندي أقطع

ومنه [الوافر]:

أسأت إلي فاستوحشت مني   ولو أحسنت ما أعرضت عني
وقد أحسنت إحساناً كثيراً   بلا شكر لأنك لم تُهنّي

[١٣٥٤] وكتب لبعض إخوانه:

أنا مكدود بجفائك، مستزيد لإخائك، على علم أن الحجر لا يستثمر، والحديد لا يستمطر، ولو كان ودك حيواناً لكان هواماً، أو كان مالاً لكان حراماً[1].

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٢٦.



الدوسي

سواد بن قارب الدوسي، كان شاعراً ثم أسلم.

وداعبه عمر يوماً فقال: ما فعلت كِهانتك يا سواد؟

فغضب وقال: ما كنا عليه يا عمر من جاهليتنا وكفرنا شر من الكهانة، فما لك تعيرني بشيء تبتُ منه، وأرجو من الله العفو عنه؟.

[١٣٥٥] وقيل: إنه قال له وهو خليفة: كيف كِهانتك اليوم؟

وغضب سواد وقال: يا أمير المؤمنين، ما قالها لي أحد قبلك، فاستحيى عمر ثم قال: إيه يا سواد، الذي كنا عليه من الشرك أعظم من كهانتك.

ثم سأله عن بدء حديثه في الإسلام وما أتاه به رَئِيُّه من ظهور رسول الله ﷺ، فأخبره أنه أتاه رئيه ثلاث ليال متواليات، هو فيها كلها بين النائم واليقظان، فقال له: قم يا سواد واسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل، قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته، وأنشده في كل ليلة من الليالي الثلاث ثلاث أبيات معناها واحد وقافيتها مختلفة وأولها [السريع]:

عجبت للجن وتِطْلابها   وشدها العِيْسَ بأقتابها[1]

تهوي إلى مكة تبغي الهدى   ما صادق الجن ككذابها

(١) العِيْس: الإبل.

فارحل إلى الصفوة من هاشم ليس قداماها كأذنابها

قال: فقمت في الثالثة وقلت: قد امتحن الله قلبي، فرحلت ناقتي ثم أتيت المدينة فإذا رسول الله وأصحابه حوله، فدنوت فقلت: اسمع مقالتي يا رسول الله، فقال: هات، فأنشأت أقول [الطويل]:

أتاني نجيي بعد هَدْءٍ ورقدة ولم يك فيما قد بلوت بكاذب

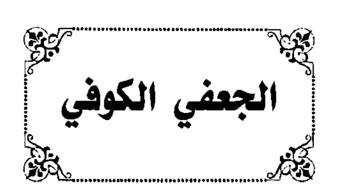
ثلاث ليال قوله كل ليلة أتاك رسول من لؤي بن غالب

فأشهد أن الله لا شيء غيره وأنك مأمون على كل غائب

وأنك أدنى المرسلين وسيلة إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب

فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى وإن كان في ما جاء شيب الذوائب

وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة سواك بمغن عن سواد بن قارب[1]



الجعفي الكوفي

سويد بن غفلة بن عوسجة الجعفي الكوفي، من كبار المخضرمين، قال: أنا أصغر من النبي ﷺ بسنتين.

[١٣٥٦] تزوج بكراً وهو ابن مائة وعشرين سنة.

توفي في حدود التسعين للهجرة، قدم المدينة يوم دفن رسول الله ﷺ، وكان قد أدى الصدقة إلى مصدق رسول الله ﷺ .

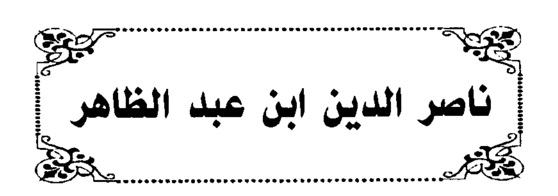
---

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٣٥، ٣٦.

وقد أورد ابن حجر رحمه الله تعالى في ((الإصابة)) طرقاً كثيرة لهذا الحديث، والله أعلم.

[١٣٥٧] شهد القادسية وصاح الناس: الأسد الأسد، فخرج إليه سويد فضرب الأسد على رأسه فمر سيفه في قفار ظهره وخرج من عكوة ذنبه وأصاب حجراً ففلقه، قال ابن عبد البر: روى هذه الحكاية فلفل الجعفي[١].

وشهد صفين مع علي، مات زمن الحجاج سنة إحدى وثمانين وروى له الجماعة[٢].



ناصر الدين ابن عبد الظاهر

شافع بن علي بن عباس الكناني العسقلاني ثم المصري، الإمام الأديب ناصر الدين.

ولد سنة تسع وأربعين، وتوفي سنة ثلاثين وسبعمائة.

كان يباشر الإنشاء بمصر زماناً إلى أن أضر، لأنه أصابه سهم في نوبة حمص الكبرى سنة ثمانين وستمائة في صدغه فعمي بعد ذلك، وبقي مدة ملازم بيته إلى أن توفي.

له النظم الكثير والنثر الكثير.

[١٣٥٨] كان جَمّاعة للكتب، خلّف على ما أخبرني به شهاب الدين

---

(١) كذا في الأصل، وفي ((تهذيب التهذيب)) للحافظ ابن حجر: ٨/ ٢٧٢: فلفلة بن عبدالله الجعفي، ثم قال: ذكره ابن حبان في الثقات.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٤٦.

وقد سبق للمؤلف أن ذكر في بداية الترجمة أنه مات في حدود التسعين من الهجرة.

البوتيجي الكتبي بالقاهرة ثماني عشرة خزانة كتباً نفائس أدبية، وكانت زوجته تعرف ثمن كل كتاب، وبقيت تبيع منها إلى أن خرجت من القاهرة سنة تسع وثلاثين وسبعمائة.

[١٣٥٩] وأخبرني البوتيجي أنه كان إذا لمس الكتاب وجسه قال: هذا الكتاب الفلاني وهو لي ملكته في الوقت الفلاني، وكان إذا أراد أي مجلد كان قام إلى خزانة وتناولها منها كأنه الآن وضعه هناك بيده.

[١٣٦٠] وأنشدني لنفسه إجازة [الطويل]:

تعجبت من أمر القرافة إذ غدت ... على وحشة الموتى لها قلبنا يصبو

فألفيتها مأوى الأحبة كلهم ... ومستوطن الأحباب يصبو له القلب

[١٣٦١] وأنشدني له وقد احترقت خزانة الكتب في أيام الأشرف [الكامل]:

لا تحسبوا كُتُبَ الخزانة عن سدى ... هذا الذي قد تم من إحراقها

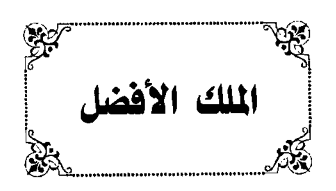
لما تشتت شملها وتفرقت ... أسفت فتلك النار نار فراقها

[١٣٦٢] وأنشدني له في انكفاف بصره:

أضحى وجودي برغمي في الورى عدماً ... إذ ليس لي فيهم ورْد ولا صَدَرُ

عدمت عيني ومالي فيهم أثر ... فهل وجودٌ ولا عينٌ ولا أثر(١)

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٧٧- ٨٢.



الملك الأفضل

شاهنشاه أبو القاسم الملك الأفضل، ابن أمير الجيوش بدر الجمالي.

[١٣٦٣] تولى مكان والده في حياته لما ضعف، وكان مثل والده حسن التدبير فحل الرأي، وهو الذي أقام الآمر ابن المستعلي[1] موضع أبيه في المملكة بعد وفاة أبيه -كما فعل مع أبيه- ودبر دولته وحجر عليه ومنعه من ارتكاب الشهوات، فإنه كان كثير اللعب فحمله ذلك على أنه قتله وأوثب عليه جماعة.

وكان يسكن بمصر في دار الملك على النيل وهي اليوم دار الوكالة، فلما ركب من داره وتقدم إلى ساحل البحر وثبوا عليه وقتلوه في سلخ شهر رمضان عشية يوم الأحد سنة خمس عشرة وخمسمائة.

[١٣٦٤] وكان الأفضل قد أخذ القدس من سقمان وإيلغازي ابني أرتق التركماني في يوم الجمعة لخمس بقين من شهر رمضان سنة إحدى وتسعين وأربعمائة وولى فيه مِن قِبَلِه، فلم يكن لمن فيه بالإفرنج طاقة، فأخذه بالسيف في شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة، ولو ترك في أيدي الأرتقية لكان أصلح، فندم الأفضل حيث لم ينفعه الندم.

[١٣٦٥] قال صاحب «الدول المنقطعة»:

خلّف ستمائة ألف ألف دينار عيناً ومائتين وخمسين إردباً دراهم نقد مصر، وسبعين ألف ثوب ديباج أطلس، وثلاثين راحلة أحقاق ذهب

(١) من خلفاء الدولة العبيدية الفاطمية.

عراقي، ودواة ذهب فيها جوهر قيمته اثنا عشر ألف دينار، ومائة مسمار من ذهب وزن كل مسمار مائة مثقال، في عشرة مجالس، في كل مجلس عشرة مسامير، على كل مسمار منديل مشدود مذهب بلون من الألوان أيما أحب لبسه، وخمسمائة صندوق كسوة، وخلف من الرقيق والخيل والبغال والمراكب والطيب والتجمل والحلي ما لا يعلم قدره إلا الله تعالى، وخلف خارجاً عن ذلك من البقر والجواميس والغنم ما يستحيى من ذكره وعدده، وبلغ ضمان ألبانها في سنة وفاته ثلاثين ألف دينار، ووجد في تركته صندوقان كبيران فيهما إبر ذهب برسم النساء والجواري(١).



الخارجي

[١٣٦٦] شبيب بن يزيد الخارجيّ.

خرج بالموصل، فبعث إليه الحجاج خمسة قواد فقتلهم واحداً بعد واحد، ثم سار إلى الكوفة وقاتل الحجاج وغرق بدجيل في حدود الثمانين للهجرة، وقيل: سنة سبع وسبعين.

ولما قصد شبيب الكوفة أحجم الحجاج عنه ورجع وتحصن في قصر الإمارة.

[١٣٦٧] ودخل إليها شبيب وأمه جهيزة وزوجته غزالة عند الصباح، وقد كانت غزالة نذرت أن تدخل مسجد الكوفة فتصلي فيه ركعتين تقرأ فيهما سورة البقرة وآل عمران، فأتوا الجامع في سبعين رجلاً فصلت فيه

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٩٢، ٩٣.

الغداة.

[١٣٦٨] وكانت غزالة من الفروسية والشجاعة بالموضع الأعلى، وكانت تقاتل في الحروب بنفسها، وكان الحجاج هرب في وقت من شبيب فعيره بعض الناس بذلك وقال [الكامل]:

أسد علي وفي الحروب نعامة   فتخاء تنفر من صفير الصافر

هلا بدرت إلى غزالة في الوغى   بل كان قلبك في جناحي طائر

وكانت أمه جهيزة أيضاً فارسة تشهد الحروب بنفسها.

وكان شبيب قد ادعى الخلافة، ولما عجز الحجاج عنه بعث إليه عبد الملك عساكر كثيرة من الشام عليها سفيان بن الأبرد الكلبي، فوصل إلى الكوفة، وتكاثر الحجاج وعساكر الشام على شبيب فانهزم، وقتلت غزالة وأمه ونجا شبيب في فوارس من أصحابه، واتبعه سفيان فلحقه بالأهواز، فولى شبيب، فلما حصل على جسر دجيل نفر به فرسه وعليه الحديد الثقيل من درع ومغفر وغيرهما، فألقاه في الماء، فقال له بعض أصحابه: أغرقاً يا أمير المؤمنين؟ فقال: ﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾[1] فألقاه دجيل في ساحله ميتاً.

[١٣٦٩] فحمل على البريد إلى الحجاج، فأمر الحجاج بشق بطنه واستخراج قلبه، فاستخرج فإذا هو كالحجر إذا ضرب الأرض نبا عنها، فشق فكان في داخله قلب صغير كالكرة، فشق فأصيبت علقة الدم في داخله، وكان طويلاً أشمط جعداً آدم.

[١٣٧٠] وأحضر إلى عبد الملك بعد غرقه عتبان الحروري ابن أصيلة

---

(١) سورة الأنعام: ٩٦.

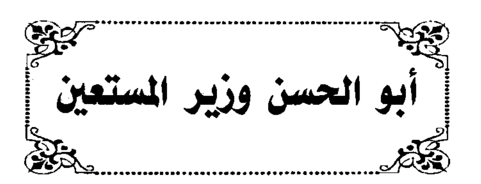
- وقيل وصيلة - وكان من شراة الجزيرة[1] فقال له عبد الملك: ألست القائل [الطويل]:

فإن كان منكم كان مروان وابنه   فمنا أميرُ المؤمنين شبيب

فقال: لم أقل كذا يا أمير المؤمنين، وإنما قلت:

فمنا حُصين والبَطِين وقَعْنَبٌ   ومنا- أميرَ المؤمنين- شبيب

فاستحسن قوله وأمر بتخلية سبيله، وهذا الجواب حسن، فإنه خلص بفتحة الراء من أمير؛ لأنه يعود منصوباً على النداء بعد أن كان مرفوعاً على الابتداء[2].



أبو الحسن وزير المستعين

شجاع بن القاسم، أبو الحسن الكاتب.

[١٣٧١] كان كاتباً للأمير أوتامش، فولاه المستعين وزارته، وكان أمياً، وكان كاتب يقرأ عليه الكتب فيحفظها، فإذا عرض على المستعين قال: هذا كتاب فلان يذكر فيه كذا وكذا، ويتفق معه على الجواب، وكان أمره يمشي بذلك لعلو يد صاحبه أوتامش، ولم يزل على ذلك إلى أن شغب الأتراك والمغاربة فقتلوه وقتلوا صاحبه أوتامش.

وكان متألهاً طويل الصلاة.

(١) أي من الخوارج.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٦/ ١٠٣- ١٠٥.

[١٣٧٢] قرأ يوماً على المستعين أنه اشترى للمعتز والمؤيد حمار وحش بثلاثة دراهم، فأنكر ذلك المستعين، وكان أحمد ابن أبي الأصبع حاضراً فقال: إنما هو حمارٌ وحش، فضحك المستعين.

[١٣٧٣] ومدحه رجل من الشطار بشعر يقول فيه [الطويل]:

شجاع لجاع كاتب لاتب معاً ... «كجملود صخر حطه السيل من عَلِ»

خميص لميص مستمر مقدم ... كثير أثير ذو شمال مهذب

فطين لطين آمر لك زاجر ... حصيف لصيف حين يخبر يعلم

بليغ لبيغ كل ما شئتَ قلته ... لديه وإن تسكت عن القول يسكت

أديب لبيب فيه عقل وحكمة ... عليم لشعري حين أنشد يشهد

كريم حليم قابض متباسط ... إذا جئته يوماً إلى المدح يسمح

فأعطى هذا الشعر لرجل طالبي، فلقي به شجاعاً وهو على قارعة الطريق وحوله الناس، فاستوقفه وأنشده الشعر، فضحك وشكره، ودخل على المستعين فرغب إليه في أمره فأعطاه عشرة آلاف درهم صلة، وأجرى له ألف درهم راتباً في كل شهر.

[١٣٧٤] ودخل يوماً على المستعين وذيل قبائه قد تخرق، فقال له المستعين:

ما هذا يا شجاع؟

فقال: يا أمير داس الكلب ذنبي فخرقت قباءه، يريد: دست ذنب الكلب فخرق قبائي.

[١٣٧٥] وكلفه المستعين يوماً قراءة كتاب وكان فيه حاضر

طي- وطي قبيلة من قبائل اليمن وحاضرهم من حضر منهم - فصحفه وقال: جا ضِرطي، و الضرط لغة في الضراط، فضحك المستعين.

[١٣٧٦] وكان يوماً في مجلسه فقام رجل فقال: قد سبق من الوزير وعد، وتلاه لي شكر، والوزير حقيق بإنجاز وعدي، وقبول شكري، وأنشد [الوافر]:

أبو حسن يزيد الملك حسناً ويصدق في المواعد والمقال

جبان عن مذمة آمليه شجاع في العطية والنوال

أجل الله في علن وسر فأعطاه الجلالة ذو الجلال

فقال له: وما يدريك أني جبان؟ ولم يفهم معناه.

فقال له: أعزك الله، إنما قلت إنك تجبن عن البخل ولا تبخل بشيء، وإلا فأنت شجاع كاسمك، فقال: ما أعطيك على هذا الشعر شيئاً ولكن على شكرك وميلك، فوقع له بألف درهم، ولولا أنه لم يفهم ما أراد بقوله «جبان عن مذمة آمليه» لأعطاه بدل الألف ألوفاً[١].

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ١١٤- ١١٦.



الموسوس

شحطون الموسوس البغدادي.

[١٣٧٧] قال أبو يحيى المهندس: مررت بالمخرم يوماً فرأيت شحطون جالساً في الطريق ومعه ابن له، فدنوت منهما ودفعت إلى الغلام من سكر كان معي فأخذه، فقلت له: ما اسمك؟

فقال: سعيد.

فقلت: أنت والله يا سعيد كيس عاقل، فأقبل عليّ شحطون فقال: [المجتث]:

يا شيخ قل لي أهذا | من المهيمن عدل؟
بأن يكون لهذا | عقل ومالي عقل

قلت: سبحان الله من يقول هذا؟

قال: يقوله من يراني على مثل هذه الحالة مطروحاً في الطريق، والله يا أخي إنه ليأتي علي وقت لا أدري فيه ما حالي، وما رحمتي لنفسي، إنما أرحم هذا الذي ليست له أم وأبوه على مثل هذا الحال.

قلت: فادفعه إلي حتى يكون مع صبياني في مثل أحوالهم من التفقد والتعهد.

فبكى ثم قال [الطويل]:

أأجعل روحي والذي هو مؤنسي | يتيماً ولم يقدر لي الموت قادر

لعــل لياليـنــا تــروح كــربتي ... فتـدفع عـني كـل مـا أنـا حـاذر

فلا اليأس يستولي علـي ولا أُرى ... جزوعـاً ولكـني صـبور وشـاكر

قال: فأبكاني، فلما رأى بكائي قال [الخفيف]:

أتــرى رحمــةً بكيــتَ لمــن عنــ ... ــدك أم رحمــة بكيــت لمــا بــي؟

لا تُبَكِّــي الجفــون منــك لهــذا ... بكِّهــا للوقــوف يــوم الحســاب

كل نفس تَفنـى ويبقـى الـذي يُفـ ... ـني ويجـزي برحمـة أو عـذاب

قال: ثم قام وحمل ابنه على عنقه، فما جاوز بعيداً حتى تغير لونه وطرحه وهام، فهممت بأخذ الصبي، فقيل لي: إنه إن رجع ولم يره لم تقم له قائمة، فمضيت ولم أعرف خبره[1].

الأخباري النسابة

شرقي بن القطامي، هو الوليد بن الحصين، ينتهي إلى الحاف بن قضاعة.

كان علاَّمة نسابة أخباريّاً، إلا أنه كان ضعيفاً في روايته، وكان من أهل الكوفة وكنيته: أبو المثنى، وكان أعور.

[١٣٧٨] حدث ابن دريد ما يرفعه إلى ابن الكلبي قال:

كنت يوماً عند الشرقي بن القطامي فقال: من يعرف منكم أسد بن

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ١٢١، ١٢٢.

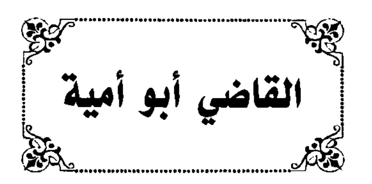
عبد مناف بن شيبة بن عمرو بن المغيرة بن زيد، وهو من أشرف الناس بعد رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ما نعرفه.

قال: هو علي بن أبي طالب، كانت أمه سمَّته أسداً وأبوه غائب لما ولدته، واسم أبي طالب عبد مناف، واسم عبد المطلب شيبة، واسم هاشم عمرو، واسم عبد مناف المغيرة، واسم قصي زيد.

[١٣٧٩] وقال الشرقي: دخلت على المنصور فقال:

يا شرقي علام يزار المرء؟

فقلت: يا أمير المؤمنين على خلال أربع: على معروف سلف، أو مثله يؤتنف، أو قديم شرف، أو علم مطرف، قال غيره: فما وراء ذلك فولوع وكَلَف[(١)].



القاضي أبو أمية

شُريح بن الحارث، أبو أمية القاضي الكوفي، يقال: إنه من أولاد الفرس الذين كانوا باليمن.

أدرك الجاهلية ووفد من اليمن بعد النبي ﷺ، وولي قضاء الكوفة لعمر وروى عنه وعن علي وعبد الرحمن بن أبي بكر.

وكان شاعراً راجزاً قائفاً.

[١٣٨٠] ولما ولاه عمر قضاء الكوفة قال: انظر ما تبين لك في كتاب

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ١٣٢.

الله فلا تسأل عنه أبداً، وما لم يتبين لك في كتاب الله فاتبع فيه السنة، وما لم يتبين لك في السنة فاجتهد فيه رأيك، فولي ذلك وأقام على القضاء ستين سنة، وجاء أنه استعفى من القضاء قبل موته بسنة، وتوفي سنة سبع وسبعين، وله مائة وثمان سنين.

[١٣٨١] وكان مزَّاحاً؛ دخل عليه عدي بن أرطاة فقال له:

أين أنت أصلحك الله؟

قال: بينك وبين الحائط.

قال: اسمع مني.

قال: قل أسمع.

قال:إني رجل من أهل الشام.

قال: مكان سحيق.

قال: وتزوجت عندكم.

قال: بالرِّفاء والبنين.

قال: وأردت أن أرحلها.

قال: الرجل أحق بأهله.

قال: وشرطت لها دارها.

قال: لا، الشرط لها.

قال: فاحكم الآن بيننا.

قال: قد فعلت.

قال: فعلى من حكمت؟

قال: على ابن أمك.

قال: بشهادة من؟

قال: بشهادة ابن أخت خالك.

[١٣٨٢] وروي أن علي بن أبي طالب دخل مع خصم ذمي إلى القاضي شريح فقام له، فقال: هذا أول جورك، ثم أسند ظهره إلى الجدار وقال: أما إن خصمي لو كان مسلماً لجلست بجنبه.

[١٣٨٣] وتزوج شريح امرأة من بني تميم اسمها زينب فنقم عليها فضربها ثم ندم وقال [الطويل]:

رأيت رجالاً يضربون نساءهم فشُلّت يميني يوم أضرب زينبا

أأضربها من غير ذنب أتت به فما العدل مني ضرب مَن ليس مذنبا

فزينب شمس والنساء كواكب إذاطلعت لم تر منهن كوكبا

[١٣٨٤] نقلت من مجموع بخط قاضي القضاة شمس الدين أحمد ابن خلكان-رحمه الله تعالى-:

وعن شريح أنه تقدمت إليه امرأة فقالت:

أيها القاضي إني جئتك مخاصِماً.

قال: فأين خصمك؟

قالت: أنت، فأخلى لها المجلس وقال لها: تكلمي.

فقالت: إني امرأة لها إحليل وفرج.

فقال: قد كانت لأمير المؤمنين في ذا قصة، ورَّث من حيث جاء

البول-وكان شريح قاضي علي بن أبي طالب- فقالت له: إنه يجيء منهما جميعاً، فقال لها: من أين يسبق البول؟

قالت: ليس شيء منهما يسبق، يخرجان معاً في وقت، وينقطعان في وقت.

فقال: إنك لتخبرين بعجيب.

فقالت: أقول أعجب من ذلك، تزوجني ابن عم لي وأخدمني خادماً فوطئتها فأولدتها، وإنما جئتك لما أولدتها، فقام شريح من مجلس القضاء فدخل على علي فأخبره بما قالت المرأة، فأمر بها علي فأدخلت، فسألها عما قال القاضي، فقالت: يا أمير المؤمنين هو الذي قال.

قال: فأحضر زوجها، فقال: هذه زوجتك وابنة عمك؟

قال: نعم.

قال: أفعلمت ما كان؟

قال: نعم أخدمتها خادماً فوطئتها فأولدتها، ووطئتها بعد ذلك، قال له علي: لأنت أجسر من الأسد، جيئوني بدينار الخادم- وكان معدِّلاً- وامرأتين فقال: خذوا هذه المرأة فأدخلوها إلى بيت فألبسوها ثياباً وجردوها من ثيابها وعدوا أضلاعها من جنبيها، ففعلوا ذلك، ثم خرجوا إليه فقالوا:

يا أمير المؤمنين عدد أضلاع جانب الأيمن ثمانية عشر ضلعاً، وعدد جانب الأيسر سبعة عشر ضلعاً، فدعا الحجام فأخذ شعرها وأعطاها حذاء ورداء وألحقها بالرجال.

فقال الزوج: يا أمير المؤمنين زوجتي وابنة عمي ألحقتها بالرجال، ممن

أخذت هذه القضية؟

فقال له علي: إني ورثتها من أبي آدم، إن حواء أمنا خلقت من آدم، فأضلاع الرجال أقل من أضلاع النساء، وعدد أضلاعها أضلاع رجل فاخرجوا[1].



القاضي النخعي

شَرِيك بن عبد الله بن أبي شريك الحارث بن أوس القاضي، أبو عبد الله النخعي الكوفي الفقيه أحد الأعلام.

مولده سنة خمس وتسعين، وتوفي - فيما قيل - سنة سبع وسبعين ومائة.

وقال معاوية بن صالح: سألت ابن حنبل عنه فقال: كان عاقلاً صدوقاً محدثاً عندي، وكان شديداً على أهل الريب والبدع.

[١٣٨٥] دخل على المهدي فقال له:

لابد لك من إحدى ثلاث: إما أن تلي القضاء، أو تؤدب أولادي وتحدثهم، أو تأكل عندي أكلة، فقال: الأكلة أخف علي، فعمل له ألوان الأطعمة من المخ المعقود بالسكر فأكل فقال الطباخ: ليس يفلح بعدها، قال: فحدثهم بعد ذلك وعلمهم العلم وولي القضاء.

[١٣٨٦] ولقد كتب له برزقه على الصيرفي فمطله وقال: إنك لم تبع

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ١٤٠- ١٤٢.

به بزّاً، فقال: بل والله بعت به ديني.

[١٣٨٧] ويقال إنه قال: ما وليت القضاء حتى حلت لي الميتة.

[١٣٨٨] وكان عادلاً في قضائه، كثير الصواب، سريع الجواب، قال له رجل: ما تقول فيمن أراد أن يقنت في الصبح قبل الركوع فقنت بعده؟

قال: هذا أراد أن يخطئ فأصاب.

[١٣٨٩] وكان له جليس من بني أمية، فذكر شريك في بعض الأيام فضائل علي ﷺ، فقال ذلك الرجل: نعم الرجل علي، فأغضبه ذلك وقال: ألعلي يُقال: نعم الرجل؟ فأمسك حتى سكن غيظه ثم قال:

يا أبا عبد الله ألم يقل الله تعالى في الإخبار عن نفسه: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾[١] وقال في أيوب: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ﴾[٢] وقال في سليمان: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ﴾[٣] أفلا ترضى لعلي ما رضي الله به لنفسه ولأنبيائه؟

فتنبه شريك عند ذلك لوهمه وزادت مكانة الأموي عنده[٤].

(١) سورة المرسلات: ٢٣.

(٢) سورة ص: ٤٤.

(٣) سورة ص: ٣٠.

(٤) الوافي بالوفيات: ١٦/ ١٤٨- ١٥٠.



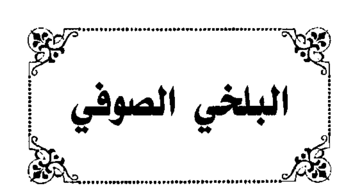
أم المقتدر

شغب أم المقتدر بالله.

[١٣٩٠] لم يكن لامرأة -بعد زبيدة بنت جعفر- من الخير ما كان لها؛ فإنها كانت مواظبة على صلاح حال الحاج وإنفاذ خزانة الطب والأشربة إلى الحرمين، وإصلاح الطرق والحياض والآبار، وكان يرتفع إليها من ضياعها الخاصة ألف ألف دينار في كل سنة، وتتصدق بأكثرها، ووقفت وقوفاً كثيرة على مكة والمدينة.

[١٣٩١] ولما قتل ولدها المقتدر وأفضت الخلافة إلى القاهر قبض عليها وأخذ أموالها، وأمر الشهود أن يشهدوا عليها بحل وقوفها، فأبت وقالت: شيء وقفته لله لا أرجع فيه، خذوا غيره من أموالي، وعذبها عذاباً شديداً، ومرضت فلم يخفف عنها من العذاب، إلى أن هلكت في الاعتقال سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة[١].

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ١٦٧، ١٦٨.



البلخي الصوفي

شقيق بن إبراهيم، أبو علي الأزدي البلخي الزاهد، أحد شيوخ التصوف، صاحب إبراهيم بن أدهم.

توفي سنة أربع وتسعين ومائة.

له كلام في التوكل معروف.

حدث عن إبراهيم بن أدهم، وأبي حنيفة وإسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق وغيرهم، وروى عنه حاتم الأصم وابنه محمد بن شقيق ومحمد بن أبان البلخي مستملي وكيع وغيرهم، وهو من أشهر مشايخ خراسان في التوكل.

[١٣٩٢] قال له إبراهيم بن أدهم بمكة: ما بدء أمرك الذي بلغك إلى هذا؟ فذكر أنه رأى في بعض الفلوات طيراً مكسور الجناحين أتاه طائر صحيح الجناح بجرادة في منقاره، قال: فتركت التكسب فاشتغلت بالعبادة.

فقال إبراهيم: ولم لا تكون أنت الطائر الصحيح الذي أطعم العليل حتى تكون أفضل منه؟ أما سمعت عن النبي ﷺ: «**اليدُ العُليا خير من اليد السُّفلى**»، ومن علامة المؤمن أن يطلب أعلى الدرجتين في أموره كلها حتى يبلغ منازل الأبرار، فأخذ شقيق يد إبراهيم فقبلها وقال: أنت أستاذنا يا أبا إسحاق.

[١٣٩٣] وقال حاتم الأصم:

كنا مع شقيق في مصاف نحارب الترك في يوم لا ترى إلا رؤوس تندر

ورماح تقصف وسيوف تتقطع، فقال لي:

كيف ترى نفسك يا حاتم في هذا اليوم؟ تراه مثلما كنت في الليلة التي زفت إليك امرأتك؟

فقلت: لا والله.

قال: لكني والله أرى نفسي في هذا اليوم مثلما كنت تلك الليلة، ثم نام بين الصفين ودرقته تحت رأسه حتى سمعت غطيطه.

[١٣٩٤] ومات في غزوة كوملان، سنة أربع وتسعين ومائة.

[١٣٩٥] قال أبو سعيد الخراز:

رأيت شقيق البلخي في النوم فقلت له: ما فعل الله بك؟

قال: غفر لي، غير أنا لا نلحقكم.

فقلت: ولم ذاك؟

قال: لأنا توكلنا على الله ﷻ بوجود الكفاية وتوكلتم على الله بعدم الكفاية.

قال: فسمعت الصراخ: صدق صدق، فانتبهت وأنا أسمع الصراخ[1].

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ١٧٣، ١٧٤.

والمراد بالكفاية أي كفايتهم من المال، والله أعلم.



أبو ريحانة

شمغون -بالغين المعجمة والعين المهملة- أبو ريحانة الأزدي، ويقال: الأنصاري، ويقال: القرشي، قال الحافظ ابن عساكر: والأصح أنه أزدي، له صحبة ورواية.

وهو ممن شهد فتح دمشق واتخذ بها داراً، وسكن القدس بعد ذلك.

وغزا مع رسول الله ﷺ وحرسه ودعا له، وكان مرابطاً بالجزيرة بميافارقين.

[١٣٩٦] وقال فروة الأعمى مولى سعد بن أبي أمية المغربي:

ركب أبو ريحانة البحر وكان يخيط فيه بإبرة معه، فسقطت إبرته في البحر فقال: عزمت عليك يا رب إلا رددت إبرتي علي، فظهرت حتى أخذها.

[١٣٩٧] قال: واشتد عليهم البحر ذات يوم وهاج، فقال: اسكن أيها البحر فإنما أنت عبد حبشي، فسكن حتى صار كالزيت[١].

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ١٨٣، ١٨٤.



الشوذباني

شهاب بن محمود الشوذباني، قرية من قرى همذان، أبو الضوء.

سمع منه جماعة.

[١٣٩٨] قال ابن النجار:

كان عسراً في الرواية، إذا أتاه طالب الحديث يلعن أباه كيف سمَّعه، فما شعرنا به إلا وقد صمد نفسه للإقراء، فعجبنا من ذلك وسألناه عن السبب فقال: رأيت والدي في النوم يعاتبني ويقول: اجتهدت حتى ألحقتك بأهل العلم وحملة حديث النبي ﷺ فتسبني على ذلك؟ لا جزاك الله خيراً، فانتبهت وآليت أن لا أمنع أحداً سماع شيء[١].



الراعي الصالح

شيبان الراعي، العبد الصالح الزاهد القانت لله.

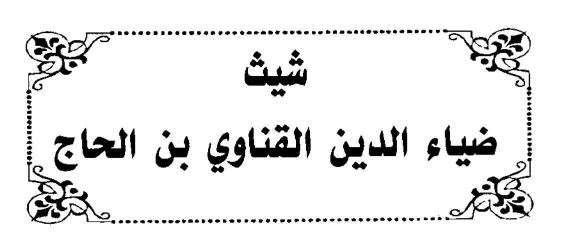
[١٣٩٩] كان يذهب إلى الجمعة فيخط على غنمه ثم يجيء فيجدها بحالها.

وتوفي في حدود السبعين ومائة[٢].

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ١٨٩.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٢٠١.



شيث
ضياء الدين القناوي بن الحاج

شيث بن إبراهيم بن محمد المعروف بابن الحاج القناوي المالكي النحوي اللغوي العروضي، أبو الحسن.

توفي سنة تسع وتسعين وخمسمائة بعدما أضر، وله تصانيف في العربية.

قال الفاضل كمال الدين جعفر الأدفوي:

ابن الحاج الفقيه المالكي النحوي القفطي، كان قيماً بالعربية، وله فيها تصانيف، وذكر أن له في الفقه تعاليق ومسائل، وله كلام في الرقائق، وكان حسن العبارة ولم يره أحد ضاحكاً ولا هازلاً.

[١٤٠٠] وكان يسير في أفعاله و أقواله سيرة السلف، وملوك مصر يعظمونه ويجلون قدره ويرفعون ذكره -على كثرة طعنه عليهم وعدم مبالاته بهم[(١)]-.

وكان القاضي الفاضل أيضاً يجله ويقبل شفاعته، وله إليه رسائل ومكاتبات.

[١٤٠١] ومن شعره [البسيط]:

اجهد لنفسك إن الحرص متعبة	للقلب والجسم والإيمان يرفعه
فإن رزقك مقسوم سترزقه	وكل خلق تراه ليس يدفعه

(١) لأنهم كانوا مبتدعة ضلالاً وهم من يسمون أنفسهم بالفاطميين.

فـإن شـككت بـأن الله يقسـمه ... فـإن ذلـك بـاب الكفـر تقرعـه

[١٤٠٢] وقال ابن سعيد المغربي: نقلت من خط بدر الدين ابـن أبـي جرادة أن شيئاً رحل إلى شاور[١] واشتغل بتعليم أولاده، وأنشـد لـه قولـه [الهزج]:

هـي الـدنيا إذا اكتملـت ... وطـاب نعيمهـا قتلـت

فـلا تفـرح بلـذتها ... فباللـذات قـد شـغلت

وكـن منهـا علـى حـذر ... وخـف منهـا إذا اعتـدلت

[١٤٠٣] وقـال: سمعـت البهـاء زهـيراً يقـول: سمعـت ابـن الغمـر الأديب يقول: رأيت في النوم الفقيه شيثاً يقول شعراً وهو [الطويل]:

أبـثُّكم يـا أهـل ودِّي بـأن لـي ... ثمـانين عامـاً أُردِفـت بثمـان

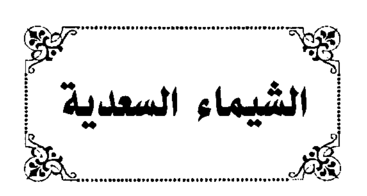
ولم يبـق إلا هفـوة أو صـبابة ... فجُـد يـا إلهـي منـك لـي بأمـان

قال: فأصبحت وجئت إلى الفقيه شيث وقصصت عليه الرؤيـا فقـال: لي اليوم ثمانية وثمانون سنة وقد نعيت لي نفسي[٢].

---

(١) وزير الفاطميين العبيديين المبتدعة، الذين كانوا حكام مصر.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٢٠٣- ٢٠٩.



الشيماء السعدية

الشيماء أو الشماء السعدية، أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة، اسمها حذافة.

[١٤٠٤] أغارت خيل رسول الله ﷺ على هوازن فأخذوا الشيماء فيما أخذوا من السبي، فقالت لهم: أنا أخت صاحبكم، فلما قدموا بها على رسول الله ﷺ قالت له: يا محمد أنا أختك، وعرَّفته بعلامة عرفها، فرحب بها وبسط لها رداءه فأجلسها عليه، ودمعت عيناه وقال لها: إن أحببت فأقيمي عندي مكرمة محببة، وإن أحببت أن ترجعي إلى قومك فقالت: بل أرجع إلى قومي، فأسلمت، فأعطاها رسول الله ﷺ ثلاثة أعبد وجارية وأعطاها نَعماً وشاء(١).

أبو العلاء اللغوي

صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي، أبو العلاء اللغوي البغدادي، وأصله من الموصل.

ثم إنه دخل الأندلس أيام هشام بن الحكم المؤيد وولاية المنصور بن أبي عامر في حدود الثمانين والثلاثمائة، وتوفي بصقلية سنة سبع عشرة وأربعمائة.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٢١٩.

وكان سريع الجواب عما يسأل عنه، طيب العشرة، حلو المفاكهة، فأكرمه المنصور وزاد في الإحسان إليه، وجمع له كتاب «الفصوص»، ونحا فيه منحى القالي في أماليه، وأثابه عليه خمسة آلاف دينار، وكان يتهم بالكذب في نقله؛ فلهذا رفض الناس كتابه.

[١٤٠٥] ولما دخل مدينة دانية وحضر مجلس الموفق مجاهد بن عبد الله العامري أمير البلد كان في المجلس أديب يقال له بشار، فقال للموفق: دعني أعبث بصاعد، فقال له الموفق: لا تتعرض إليه؛ فإنه سريع الجواب، فأبى إلا مشاكلته، فقال له بشار -وكان أعمى-: يا أبا العلاء.

فقال له: لبيك، فقال: ما الجرنفل في كلام العرب؟ فعرف أبو العلاء أنه وضع هذه الكلمة، فقال له بعد أن أطرق ساعة:

هو الذي يفعل بنساء العميان ولا يفعل بغيرهن، ولا يكون الجرنفل جرنفلاً حتى لا يتعداهن إلى غيرهن، وهو في ذلك كله يصرح ولا يكني، فخجل بشار وانكسر، فقال له الموفق: قلت لك لا تفعل فلم تقبل.

[١٤٠٦] ولما ظهر للمنصور كذبه في النقل وعدم تثبته رمى بكتاب «الفصوص» في النهر، فنظم بعض الأفاضل في ذلك [السريع]:

قد غاص في البحر كتاب الفصوص وهكذا كل ثقيل يغوص

فلما سمعه صاعد أنشد [السريع]:

عاد إلى عنصره إنما تخرج من قعر البحور الفصوص

[١٤٠٧] قال الحميدي:

ومن عجائب الدنيا التي لا تكاد يتفق مثلها أن صاعداً بن الحسن هذا

أهدى إلى المنصور بن أبي عامر أَيِّلاً[1] وكتب معه أبياتاً وهي [الكامل]:

يا حرز كل مُخوَّفٍ وأمان كـ ... ـل مشرد ومعز كل مُذلَّل

جدواك إن تخصص به فلأهله ... وتعم بالإحسان كلَّ مؤمل

كالغيث طَبَّق فاستوى في وَبْله ... شعث البلاد مع المراد المبقل

منها:

مولاي مؤنسُ غربتي متخطِّفي ... من ظُفْر أيامي بأمنع معقل

عبد نشلتَ بضبعه وغرسته ... في نعمة أهدى إليك بأيِّل

سميته غرسية وبعثته ... في حبله ليباح فيه تفاؤلي

فلئن قبلتَ فتلك أسنى نعمة ... أسدى بها ذو نعمة وتطوُّل

فقضى في سابق علم الله ﷻ وتقديره أن غرسية بن شانجه من ملوك الروم، وهو أمنع من النجم، أسر في ذلك اليوم بعينه الذي بعث فيه صاعد بالأيِّل و سماه غرسية متفائلاً بأسره، وهكذا فليكن الجد الصاحب للمصحوب، انتهى.

[١٤٠٨] وكان صاعد يوماً عند ابن أبي عامر المنصور وقد حملت إليه باكورة ورد فقال [المتقارب]:

أتتك أبا عامر وردة ... يحاكي لك المسك أنفاسها

كعذراء أبصرها مبصر ... فغطت بأكمامها راسها

فاستحسن المنصور ما جاء به، فحسده الحسين بن العريف فقال: هي للعباس بن الأحنف، وقام إلى منزله ووضع أبياتاً في صفحة دفتر كان قد

---

(١) هو مثل الظبي لكنه أكبر، وله قرنان.

نقص بعض أسطاره وأتى بها قبل افتراق المجلس وهي [المتقارب]:

عَشَوْتُ إلى قصر عباسةٍ وقد جَدّل النوم حراسها
فألفيتها وهي في خدرها وقد صرَّع السكرُ أنّاسها
فقالت: أسارٍ على هجعة فقلت: بلى، فرمت كاسها
ومدت إلى وردة كفها يحاكي لك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر فغطت بأكمامها راسها
وقالت خف الله لا تفضحن في ابنة عمك عباسها
فوليت عنها على غفلة وما خنت ناسي ولا ناسها

قال: فخجل صاعد وحلف فلم يقبل منه، وافترق المجلس على أنه سرقها، وتمكنت في صاعد، لأنه كان يوصف بغير الثقة فيما ينقله.

وكان كثيراً ما تستغرب له الألفاظ ويسأل عنها فيجيب فيها بأسرع جواب على نحو ما يحكى عن أبي عمر الزاهد، ولولا أنه كان كثير المزاح لما حمل إلا على الصدق.

[١٤٠٩] ومما يحكى عنه أنه دخل يوماً على المنصور وبيده كتاب ورد عليه من عامل له اسمه مبرمان بن يزيد يذكر فيه القلب والزبيل، وهما عندهم من نبات الأرض قبل زراعتها، فقال له: هل رأيت أو وصل إليك كتاب «القوالب والزوالب» لمبرمان بن يزيد؟ قال: إي والله يا مولانا، ببغداد في نسخة لأبي بكر بن دريد بخط كأكرع النمل في جوانبها علامات، فقال له: أما تستحيي أبا العلاء من هذا الكذب؟ هذا كتاب عامل ببلد كذا فجعل يحلف أنه ما كذب، ولكنه أمر وافق.

[١٤١٠] وهنأه يوماً بعيد الفطر فقال [الوافر]:

حسبت المنعمين على البرايا فألفيت اسمه صدر الحساب
وما قدمته إلا كأني أقدم تالياً أم الكتاب(١)



الوزير

صاعد بن مخلد، أبو العلاء الكاتب النصراني، أسلم وكتب للموفق محمد بن جعفر المتوكل، وولي الوزارة لأخيه محمد المعتمد.

[١٤١١] وما زال كثير الصدقة، وله حظ من النبل، وكان صفراً من الأدب، وسمي ذا الوزارتين، وكانوا عزموا على تسميته ذا التدبيرين فقال لهم أبو عبد الله: لا تسموه بشيء ينفرد به عنكم، ولكن سموه ذا الوزارتين، ذا الكفايتين، ليكون مضافاً إليكم.

[١٤١٢] وكان من أحسن من أسلم ديناً، وهو الذي جاء إلى بابه أبو العيناء فقالوا له: الوزير يصلي فقال: لكل جديد لذة وليس كذا بمرة.

[١٤١٣] قيل: إن الكُتّاب بسُر من رأى اجتمعوا مرة وكتبوا كتاباً إلى من يوصله إلى الموفق ببغداد ويضمنون له فيه صاعداً بمال عظيم خطير، وأنفذوا الكتاب إلى صاحبهم على طائر، وكان صاعد قد أحس من الناصر بتغيير واستطالة لإضاقته، وما كان يملك إلا مائتي ألف درهم، فعزم على حملها إلى الموفق، ثم قال: أين تقع هذه منه؟ والله لأتصدقن منها بمائة ألف درهم ولأستكفين الله بما أخاف، ففعل، وركب من داره يريد الموفق في داره، فسقط الطائر في زروقه، فأخذ فوجدت الرقعة فيه،

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٢٢٦- ٢٣٠.

فقرأها صاعد ووقف على السعاية، وعلم أن الله ﷻ فعل به ذلك لأجل صدقته، وأدخل الطائر والرقعة إلى الموفق وعرفه خبر المائتي ألف درهم وما كان عزم عليه، فعظم في عين الموفق أمره، وعلت حاله، وقال: والله ما فعل الله بك هذا إلا لخير خصك به وشكر لك.

[١٤١٤] وقرأ صاعد يوماً على الموفق كتاباً، فجعل لا يفهمه، فنظر فيه الموفق وجعل يفهم صاعداً ما ليس يفهمه، فبلغ ذلك عيسى بن الناشئ المدائني فقال [المتقارب]:

ومن عجب الدهر أن الأميـ ـر أصبح أكتب من كاتبه

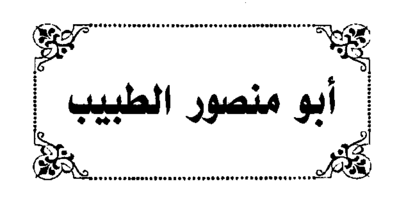
[١٤١٥] وكان صاعد ينفرد فيصلي ويبكي، وغلمانه يظنون أنه مشغول بعمله، وكان لا يركب كل يوم ولا يبتدئ بعمل حتى يبدأ بإخراج صدقاته على أوفر ما يقدر عليه.

[١٤١٦] وقبض الموفق عليه، وكان الذي قبض عليه عنده من ضياعه وضياع ولده غلة ألف ألف دينار ومن سائر الكُراع خمسة آلاف رأس، ومن الفرش والآلات والجوهر ما قيمته مائتا ألف دينار، وما واقفه الموفق على شيء ولا طالبه إلا أحسن مطالبته، ولا آذاه، وما زال في حبسه مكرّماً يدخل إليه من يريد وترك له من ضياعه ما يغل عشرين ألف دينار.

توفي صاعد سنة ست وسبعين ومائتين بوجع عرض له في قلبه[١].

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٢٣٣- ٢٣٥.



أبو منصور الطبيب

صاعد بن بشر بن عبدوس، أبو منصور.

كان في أول أمره فاصداً في البيمارستان[1] ببغداد، ثم إنه اشتغل بعد ذلك بصناعة الطب وتميز وصار من الأكابر.

[١٤١٧] قال ابن أبي أصيبعة: نقلت من خط المختار بن الحسن بن بطلان في مقالته في علة نقل الأطباء المهرة تدبير أكثر الأمراض التي كانت تعالج قديماً بالأدوية الحارة إلى التدبير المبرد كالفالج واللقوة والاسترخاء وغيرها، ومخالفتهم في ذلك لمسطور القدماء، قال:

إن أول من فطن لذلك ونبه على هذه الطريق ببغداد وأخذ المرضى في المداواة بها واطراح ما سواها: الشيخ أبو منصور صاعد بن بشر الطبيب؛ فإنه أخذ المرضى بالفصد والتبريد والترطيب، ومنع المرضى من الغذاء، فأنجح تدبيره، وتقدم في الزمان بعد أن كان فاصداً في البيمارستان، وانتهت الرياسة إليه فعوّل الملوك في تدبيرهم عليه، فرفع عن البيمارستان المعاجين الحارة والأدوية الحادة، ونقل تدبير المرضى إلى ماء الشعير ومياه البزور فأظهر في المداواة عجائب.

[١٤١٨] من ذلك ما حكاه لي بميافارقين الرئيس أبو يحيى ولد الرئيس أبي القاسم المغربي، قال:

عرض للوزير بالأنبار قولنج صعب أقام في الحمام لأجله واحتقن

---

(١) الفاصد هو الذي يخرج الدم، والبيمارستان: المستشفى.

عدة حقن وشرب عدة شربات، فلم ير صلاحاً، فأنفذنا رسولاً إلى صاعد، فلما جاءه ورآه على تلك الحالة، ولسانه قد قصر من العطش، وشرب الماء الحار والسكر، وجسمه يتوقد من ملازمة الحمام ومداومة المعاجين الحارة والحقن الحادة، استدعى كوز ماء مثلوج فأعطاه الوزير، فتوقف في شربه، ثم إنه جمع بين الشهوة وترك المخالفة وشربه، فقويت في الحال نفسه، ثم استدعى فاصداً ففصده وأخرج له دماً كثير المقدار، وسقاه ماء البزور ولعاباً وسكنجبينا، ونقله من حجرة الحمام إلى الخيش، وقال له:

إن الوزير سينام بعد الفصد ويعرق وينتبه ويقوم عدة مجالس، وقد تفضل الله ﷻ بعافيته، ثم تقدم بصرف الخدم لينام، فقام الوزير إلى مرقده، وقد وجد خِفّاً بعد الفصد، فنام مقدار خمس ساعات وانتبه يصيح بالفراشين، فقال صاعد للفراش:

إذا قام من الصيحة فقل له يعاود النوم حتى لا ينقطع العرق، فلما خرج الفراش من عنده قال: وجدت ثيابه كأنما صبغت بماء الزعفران، وقد قام مجلساً ونام، ثم ما زال الوزير يتردد إلى آخر النهار مجالس عدة، ومن بعدها غذاه بمزورة وسقاه ثلاثة أيام ماء الشعير، فبرأ بُرْءاً تامّاً.

وكان الوزير أبداً يقول: طوبى لمن سكن بغداد داراً شاطئة، وكان طبيبه أبو منصور وكاتبه أبو علي ابن موصلايا، فبلغه الله أمانيه.

[١٤١٩] قال: ونقلت أيضاً من خط ابن بطلان أن صاعداً الطبيب عالج الأجلَّ المرتضى من لسع عقرب بأن ضمده بكافور، فسكن عنه الألم في الحال.

[١٤٢٠] ونقلت من خط أبي سعيد الحسن بن أحمد بن علي في كتاب

«ورطة الأجلاء في هفوة الأطباء» قال:

كان الوزير علي بن بلبل ببغداد وكان له ابن أخت، فلحقته سكتة دموية، وخفي حاله على جميع الأطباء، وكان بينهم صاعد بن بشر حاضراً، فسكت حتى أقر جميع الأطباء بموته، ووقع اليأس من حياته، وتقدم الوزير بتجهيزه، واجتمع الخلق للعزاء والنساء للطم والنواح، فلم يبرح صاعد بن بشر من مجلس الوزير، فقال له:

هل لك من حاجة؟

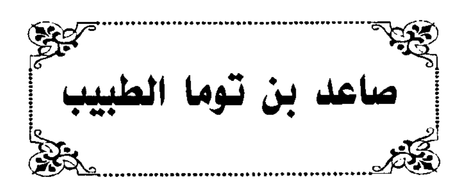
قال: نعم يا مولانا إن رسمت لي وأمرت لي ذكرت.

فقال له: تقدم وقل ما لجَّ في صدرك.

قال صاعد: هذه سكتة دموية، ولا مضرة في إرسال مبضع واحد وننظر فإن نجح كان المراد، وإن تكن الأخرى فلا مضرة فيه، ففرح الوزير وتقدم بإبعاد النساء وأحضر ما وجب من التمريخ والبخور واستعمل ما يجب ثم شد عضد المريض وأقعده في حضن بعض الحاضرين وأرسل المبضع بعد التعليق على الواجب من حاله، فخرج الدم ووقعت البشائر في الدار، ولم يزل الدم يخرج حتى تم قدر ثلاثمائة درهم من الدم، فانفتحت العين ولم ينطق، فشد اليد الأخرى ونشقه ما وجب تنشيقه، ثم فصده ثانياً وأخرج مثلها من الدم وأكثر، فتكلم ثم أسقي وأطعم ما وجب فبرئ من ذلك وصح جسمه وركب في الرابع إلى الجامع ومنه إلى ديوان الخليفة، ودعا له ونثر عليه من الدراهم والدنانير الكثيرة، وحصل لصاعد مال عظيم، وحشمه الخليفة والوزير وقدمه وزكاه وتقدم على من كان في زمانه.

وله من الكتب «مقالة في مرض المراقيا ومداواتها» ألفها لبعض

إخوانه[1].



صاعد بن توما الطبيب

[١٤٢١] صاعد بن يحيى بن هبة الله بن توما النصراني، من أهل بغداد.

كان من الأطباء المتميزين، وكان طبيب نجم الدولة أبي اليمن نجاح الشرابي، وارتقت به الحال إلى أن صار وزيره وكاتبه، ثم دخل إلى الناصر، وكان يشارك من يحضر من أطبائه أوقات مرضه، وحظي عنده، وسلم إليه عدة جهات يخدم بها، وكان بين يديه فيها عدة دواوين.

[١٤٢٢] حضر إليه جماعة من الأجناد الذين كانت أرزاقهم تحت يده، فخاطبهم ببعض ما فيه مكروه، فكمن له اثنان منهم ليلاً وقتلاه بالسكاكين، وأمر الناصر بحمل ما في خزانته من المال إلى الخزانة ويبقى القماش والأملاك لولده، وكان الذي حمل من عنده ثمانمائة ألف وثلاثة عشر ألف دينار، وبقي الأثاث والأملاح بما يقارب تتمة ألف ألف دينار.

وكان من ذوي المروءات، حسن الوساطة، جميل المحضر، قضيت على يده حاجات.

[١٤٢٣] وقال القِفْطي: إن الإمام الناصر حصل له ضعف في بصره، وسهو في بعض الأوقات لأحزان توالت على قلبه، ولما عجز عن النظر في القصص والإنهاءات استحضر امرأة من النساء تعرف بست نسيم،

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٢٣٦- ٢٣٨.

وكانت تكتب خطّاً قريباً من خطه، وجعلها بين يديه تكتب الأجوبة في الرقاع، وشاركها في ذلك الخادم تاج الدين رشيق ثم تزايد الأمر بالناصر، فصارت المرأة تكتب في الأجوبة بما تراه، فمرة تصيب ومرة تخطئ، ويشاركها رشيق في مثل ذلك، فاتفق أن كتب الوزير القمِّي مؤيد الدين مطالعة، وعاد جوابها وفيه اختلال بيِّن فأنكر الوزير ذلك، فعرفه صاعد المذكور ما الخليفة عليه من عدم البصر والسهو الطارئ في أكثر الأوقات، وما تعتمده المرأة والخادم من الأجوبة، فتوقف الوزير عن العمل بأكثر الأمور الواردة عليه، وتحقق الخادم والمرأة ذلك، وحدسا أن الطبيب هو الذي دل على ذلك، فقرر رشيق مع رجلين من الجند أن يغتالا الحكيم ويقتلاه، وكانت قتلته سنة عشرين وستمائة وأمسك قاتلاه وصلبا[1].



أبو عمر الجرمي

صالح بن إسحاق أبو عمر الجرمي النحوي، مولى بجيلة بن أنمار بن الغوث، وإنما قيل له الجرمي لأنه كان ينزل فيهم.

مات سنة خمس وعشرين ومائتين بأصبهان.

[١٤٢٤] وكان يلقب بالكلب وبالنَّباح؛ لأنه كان يذهب إلى أبي زيد الأنصاري فيناظره ويصايحه فلقبه بذلك، وكان يلقب بالمهارش؛ لأنه كان لا يُرى إلا ناظراً أو مناظراً.

أخذ عن أبي عبيدة وأبي زيد والأصمعي، وقرأ سيبويه على

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٢٣٩، ٢٤٠.

الأخفش.

[١٤٢٥] وخولط آخر عمره؛ لأنه كان توأماً، ومن خولط في الرحم يصيبه شيء[1].

[١٤٢٦] قال: أنا منذ ثلاثين سنة أفتي للناس في الفقه من «كتاب» سيبويه، فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: أنا رجل مكثر من الحديث، وكتاب «سيبويه» يعلمني القياس، وأنا أقيس الحديث وأفتي به.

[١٤٢٧] وقال يوماً في مجلسه: من سألني عن بيت من جميع ما قالته العرب لا أعرفه فله علي سبق، فسأله بعض من حضر- قيل إنه كان أبو عثمان المازني- كيف تروي [الكامل]:

من كان مسروراً بمقتل مالك ... فليأت نسوتنا بوجه نهار

يجد النساء حواسراً يندبنه ... قد قمن قبل تبلج الأسحار

قد كن يخبئن الوجوه تسترّاً ... فاليوم حين بدَوْنَ للنظار

فقال: كيف تروى بدأن أو بَدَيْن؟

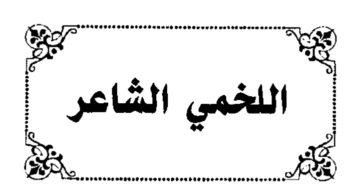
فقال له: بدأن، فقال له: أخطأت، ففكر ثم قال: إنا لله، هذا عاقبة البغي، قال أبو القاسم الزجاجي:

معنى هذه الأبيات أن العرب كانت لا تندب قتيلها ولا تبكي عليه حتى يُقتل قاتله، فإذا قتل قاتله بكت عليه النساء وناحت فيقول: من كان مسروراً بمصرع مالك فقد قتلنا قاتله، وهؤلاء نساؤنا يندبنه، والصواب أن يُقال: بَدَوْن، ولا يقال: بَدَيْن ولا بدأن؛ لأنه من بدا يبدو إذا ظهر،

---

(١) ليس هذا ثابتا علمياً.

وكذلك يقال: بدا الرجل ليبدو إذا خرج إلى البدو[1].



اللخمي الشاعر

صالح بن جناح اللخمي الشاعر، أحد الحكماء، حكى عنه الجاحظ.

قال أبو عبد الله الحاكم: هو ممن أدرك الأتباع بلا شك، وكلامه مستفاد في الحكمة، وقد أخذ بنيسابور.

[١٤٢٨] ومن شعره [السريع]:

لو أنني أُعطيت سؤلي لما ... سألت إلا العفو والعافية

فكم فتى قد بات في نعمة ... فسُلَّ منها الليلة الثانية

[١٤٢٩] ومنه [الطويل]:

لئن كنت محتاجاً إلى الحلم إنني ... إلى الجهل في بعض الأحايين أَحْوَجُ

ولي فرس للحلم بالحلم مُلجَمٌ ... ولي فرس بالجهل للجهل مُسْرَج

فمن شاء تقويمي فإني مقوم ... ومن شاء تعويجي فإني مُعَوَّج

وما كنت أرضى الجهل خلاً ولا أخاً ... ولكنني أرضى به حين أُحْوَج

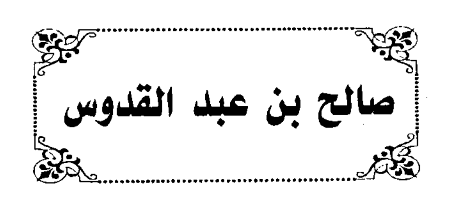
ألا ربما ضاق الفضاء بأهله ... وأمكن من بين الأسنة مخرج

فإن قال بعض الناس فيه سماجة ... فقد صدقوا والذل بالحر أسمج[2]

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٢٤٩، ٢٥٠.

(٢) الوافي بالوافيات: ١٦/ ٢٥٥.



صالح بن عبد القدوس

استقدمه المهدي من دمشق.

قال المرزباني: كان حكيم الشعر، زنديقاً متكلماً يقدمه أصحابه في الجدال عن مذهبهم.

[١٤٣٠] وقتله المهدي على الزندقة شيخاً كبيراً.

[١٤٣١] وهو القائل [السريع]:

ما تبلغ الأعداء من جاهل ... ما يبلغ الجاهل من نفسه

قال أبو أحمد بن عدي:

صالح بن عبد القدوس بصري ممن كان يعظ الناس بالبصرة ويقص عليهم، وله كلام حسن في الحكمة، فأما في الحديث فليس بشيء كما قال ابن معين، ولا أعرف له من الحديث إلا الشيء اليسير.

[١٤٣٢] ومن شعره [البسيط]:

يا صاحِ لو كَرِهَت كفي مُنَادمتي ... لقلت إذا كرهت كفي لها بيني

لا أبتغي وصل من لا يبتغي صلتي ... ولا أبالي حبيباً لا يباليني

[١٤٣٣] ومنه [البسيط]:

قد يحقر المرء ما يهوى فيركبه ... حتى يكون إلى توريطه سببا

[١٤٣٤] ومنه [الوافر]:

أنست بوحدتي فلزمت بيتي ... فتم العزُّ لي ونما السرور

وأدَّبَــني الزمــان فليــت أنــي ... هجــرت فــلا أُزار ولا أزور

ولســت بقائــل مــا دمــت يومــاً ... أســار الجنــد أم قــدم الأمــير

[١٤٣٥] ومنه [الكامل]:

لا يُعْجبنّــكَ مــن يصــون ثيابــه ... حــذر الغبــار وعرضــه مبــذول

ولربمــا افتقــر الفتــى فرأيتــه ... دنــس الثيــاب وعرضــه مغســول

[١٤٣٦] وضربه المهدي بيده بالسيف فجعله نصفين وعلق ببغداد.

[١٤٣٧] وقال أحمد بن عبد الرحمن بن المعبر:

رأيت ابن عبد القدوس في المنام ضاحكاً، فقلت له:

ما فعل الله بك وكيف نجوت مما كنت ترمي به؟

قال: إني وردت على رب ليس يخفى عليه خافية، وإنه استقبلني برحمته وقال: قد علمت براءتك مما كنت تقذف به(١).



الأضخم

صالح بن علي الأضخم، كان من وجوه الكتاب.

[١٤٣٨] طالت به العطلة في زمن المأمون، والوزير إذ ذاك أحمد بن أبي خالد، فبكر إليه يوماً مغلساً ليكلمه في أمره، فلما نظر إليه أنكر بكوره وعبس في وجهه وقال له:

---

(١) الوافي بالوافيات: ١٦/ ٢٦٠، ٢٦١.

في الدنيا أحد بكر هذه البكرة ليشغلنا عن أمورنا؟

فقال له صالح: أصلحك الله، ليس العجب منك فيما تلقيتني به، إنما العجب مني إذ سهرت ليلتي وأسهرت جميع من في منزلي تأميلاً لك، وتوقعاً للصبح حتى أصير إليك وأستعينك على صلاح أمري، فعلي وعلي إن وقفت لك في باب أو سألتك حاجة حتى تصير إلي معتذراً.

وانصرف صالح مغموماً مفكراً فيما فرط منه، نادماً على اليمين، غير شاك في العطب، فبينا هو كذلك إذ دخل عليه بعض الغلمان فقال له:

الأمير أحمد بن أبي خالد مقبل إليك من الشارع.

ثم دخل آخر وقال: قد دخل دربنا.

ثم دخل آخر وقال: قد قرب من الباب، ثم تبادر الغلمان بين يديه، وخرج فاستقبله، فلما استقر به المجلس قال:

كان أمير المؤمنين قد أمرني بالبكور إليه في بعض مهماته فدخلت إليه وقد غلبني السهو بما فرط مني إليك حتى أنكر علي، فقصصت عليه القصة فقال لي:

قد أسأت إلى الرجل فامض إليه معتذراً مما قلته، فقلت له: أفأمضي إليه فارغ اليدين؟

فقال: فتريد ماذا؟

فقلت: يُقضى دينه.

فقال: وكم هو؟

فقلت: ثلاثمائة ألف درهم، فأمرني بالتوقيع لك بها فوقعت، ثم قلت:

فإذا قُضي يرجع إلى ماذا؟

قال: فوقّع له بثلاثمائة ألف درهم يصلح بها أمره.

فقلت: ولاية يتشرف بها.

فقال: وله مصر، أو ما يشبه ذلك.

قلت: فمعونة يستعين بها على سفره، فوقع لك بمائة ألف درهم، وهذه التوقيعات لك بسبعمائة ألف درهم، وهذا التوقيع بولاية مصر، وانصرف ابن أبي خالد، رحمه الله تعالى[1].



ابن أمير المؤمنين الرشيد

صالح بن هارون الرشيد بن محمد المهدي، أبو عيسى.

أمه أم ولد يقال لها: ريم.

ولاه أخوه المأمون البصرة سنة أربع ومائتين، وحج بالناس سنة ثمان ومائتين.

وكان أديباً يقول الشعر.

[١٤٣٩] قال له الرشيد-أبوه- يوماً وهو صبي:

ليت جمالك لعبد الله-يعني المأمون- فقال له: على أن حظه منك لي، فعجب من جوابه سريعاً على صباه، وضمه إليه وقبله.

---

(١) الوافي بالوافيات: ١٦/ ٢٦٦، ٢٦٧.

[١٤٤٠] وقيل: إنه تراءى الناس الهلال في شهر رمضان، فلما رأوه قال أبو عيسى: [الطويل]:

دهاني شهر الصوم لا كان من شهر ... ولا صمت شهراً بعده آخر الدهر

فلو كان يُعديني الإمام بقدرة ... على الشهر لاستعديت جهدي على الشهر

فناله بعقب هذا القول صرع، فكان يصرع في اليوم مرات، ولم يصم شهراً آخر من رمضان، وتوفي سنة تسع ومائتين، ونزل المأمون في قبره، وامتنع من الطعام والشراب أياماً حتى خاف أن يضر به ذلك، وكان المأمون يعده للأمر بعده، وكان المأمون يقول: إني ليسهل علي أمر الموت وفقد الملك؛ لمحبتي أن يلي أبو عيسى الأمر من بعدي.

وكانت لأبي عيسى صناعة في الغناء[1].



صخر
أبو معاوية

صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، أبو سفيان وأبو حنظلة القرشي الأموي، والد معاوية ﷺ.

أسلم يوم الفتح، روى عنه ابن عباس وابنه معاوية، وشهد اليرموك تحت راية ابنه يزيد، وكان القاصَّ يومئذ.

وقدم الشام غير مرة تاجراً، واجتمع بقيصر ببيت المقدس حين جاءه كتاب رسول الله ﷺ مع دحية بن خليفة.

---

(١) الوافي بالوافيات: ١٦/ ٢٧٣، ٢٧٤.

وابنته أم حبيبة زوج رسول الله ﷺ.

وتوفي النبي ﷺ وهو عامله على نجران، وقيل: بل كان بمكة.

وشهد مع النبي ﷺ حنيناً والطائف، وأمه عمة ميمونة زوج النبي ﷺ.

كان من أشراف قريش، قال أبو بكر الصديق لبلال وصهيب وسلمان لما قالوا فيه: ما أخذت السيوف من عنق عدو الله مآخذها، فقال: أتقولون هذا لسيد قريش وشيخها؟.

وهو كان في عير قريش التي أقبلت من الشام، وخرج رسول الله ﷺ يعترض لها حتى ورد بدراً وساحَلَ أبو سفيان بالعير.

وهو كان رأس المشركين يوم أحد.

وهو كان رئيس الأحزاب يوم الخندق، ولم يزل بعد انصرافه عن الخندق بمكة لم يلق رسول الله ﷺ في جمع إلى أن فتح رسول الله ﷺ مكة فأسلم.

وشهد الطائف مع رسول الله ﷺ.

[١٤٤١] ورمي يوم ذاك فذهبت عينه، وأصيبت عينه الأخرى يوم اليرموك تحت راية ابنه يزيد.

[١٤٤٢] وأعطاه رسول الله ﷺ يوم حنين من غنائمها مائة من الإبل وأربعين أوقية وزنها له بلال، فلما أعطاه وأعطى يزيد ومعاوية قال له أبو سفيان: والله إنك لكريم، فداك أبي وأمي، لقد حاربتك فنعم المحارب كنت، ثم سالمتك فنعم المسالم أنت، فجزاك الله خيراً.

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم

﴿مَّوَدَّةً﴾[1] قال: مصاهرة النبي ﷺ أبا سفيان بن حرب.

[١٤٤٣] كان أبو سفيان قاصٌّ الجماعة يوم اليرموك يسير فيهم ويقول: الله الله عباد الله، انصروا الله ينصركم، اللهم هذا يوم من أيامك، اللهم أنزل نصرك على عبادك، يا نصر الله اقترب، يا نصر الله اقترب.

[١٤٤٤] وأغلظ أبو بكر يوماً لأبي سفيان، فقال له أبو قحافة: يا أبا بكر: لأبي سفيان تقول هذه المقالة؟

قال: يا أبة، إن الله رفع بالإسلام بيوتاً ووضع بيوتاً، فكان بيتي فيما رفع وبيت أبي سفيان فيما وضع.

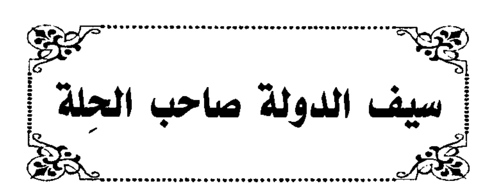
توفي أبو سفيان سنة اثنتين وثلاثين للهجرة، وصلى عليه ابنه معاوية، وقيل بل صلى عليه عثمان بموضع الجنائز، ودفن بالبقيع، وهو ابن ثمان وثمانين سنة، وقيل ابن بضع وتسعين سنة، وكان ربعة دحداحاً ذا هامة عظيمة.

وروى له الجماعة سوى ابن ماجه[2].

---

(١) سورة الممتحنة: ٧.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٢٨٤- ٢٨٦.



سيف الدولة صاحب الحِلة

صدقة بن منصور بن دُبيس أبو الحسن الأسدي سيف الدولة بن أبي كامل بن نور الدولة أبي الأغر بن سند الدولة أبي الحسن.

وكان أول من لقب بالإمرة منهم، وكان ملك العرب، ودار مملكته بالحِلة على شاطئ الفرات، وكان يخطب له من الفرات إلى البحر.

[١٤٤٥] وكانت فيه أخلاق كريمة وشيم حسنة، منها صدق الحديث، فإنه إذا قال الشيء فهو كما قال، والوفاء بالعهد، فإنه عاهد زوجته مباركة بنت بدران بن دبيس بن علي -وكانت ابنة عمه- ألاَّ يتزوج عليها ولا يتسرى، فلم يَخِسْ بعهده مع مقدرته، ولقد عرض عليه السلطان ملكشاه جارية أهداها له وهو بسمرقند، فامتنع من قبولها وذكر عهد زوجته وأنه لا ينقضه.

[١٤٤٦] وكان سليم الصدر، مستقيم السريرة، باذلاً جواره للناس كافة، من لجأ إليه فهو في حصن حصين ولو بقي إلى آخر الدهر، لا يوصل إليه حتى يوصل إلى نفسه، وكان عنده في متسع من المكان وإدرار من الإمكان.

وكانت رعاياه في ظل عدله آمنين، لم يعرف عنه أنه صادر أحداً ولا تعقبه بإساءة، وكان أصحابه ومن يختص به يودعون أموالهم وذخائرهم في خزانته ويتباهون بكثرتها.

ولم يقل عنه أحد إنه واخذ أحداً بقديم إساءة حقداً، وكان أصحابه يكثرون إدلالهم عليه أكثر من أولاده وأهله.

وكان محبباً إلى رعيته، فيحكى أن السلطان ملكشاه اجتاز مرة بقنطرة الهاسي حين قصد الكوفة، فلم يكلمه أحد من العامة، فقال لمن حوله: ما من بلد دخلته إلا ويتظلم إلي أهله من أميرهم إلا هؤلاء، ولا شك أنه أسكتهم عدله.

وكان إذا جالس ندماءه لا يتميز عليهم.

[١٤٤٧] وكان عفيفاً نزهاً صائناً عن الفواحش كلها، فيحكى أنه لحقه أسر البول فقال: اللهم إن كنت عصيتك بفرج فلا تعافني وإن كنت لم أعصك بفرج قط فعافني، فشفي.

ويقال: إنه ما فاه قط بكلمة تسقط المروءة في حال صحوه ولا في حال سكره.

وكان كرمه فائضاً، وعطاؤه واسعاً، ولقاؤه جميلاً، وكلامه معسولاً.

[١٤٤٨] وكان أديباً راوية للشعر، حُفَظَةً للحكايات والنوادر، مليح النكت حاد الخاطر، يحكي أنه غنته بعض مطرباته يوماً [الكامل]:

أنا عبد نعمتك التي ملأت يدي ... وربيب مغناك الذي أغناني

فقال لها: أنا عبد نغمتك، بالغين المعجمة.

[١٤٤٩] ولما خرج سِرْخاب بن كيخسرو الديلمي من طاعة السلطان محمد بن ملكشاه وفارقه بساوة ولجأ إلى سيف الدولة صدقة فأجاره وكتب إلى السلطان عن لسان سرخاب يستعطفه بهذه الأبيات [البسيط]:

هبني كما زعم الواشون لا زعموا ... أذنبتُ حاشاي أو زلت بي القدم

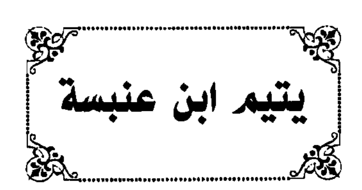
وهبك ضاق لك الإنصاف عن جُرُمٍ ... أجرمته أيضيق العفو والكرم

ما أنصفَتْنِيَ في حكم العلي أُذنٌ ... تُصْغِي لواشٍ وعن عذري بها صمم

فلم يؤثر ذلك عند السلطان لكبير جرمه، وكاتب سيف الدولة بإرساله، وسيف الدولة يعتذر بذمامه، ولم يزل الأمر بينهما إلى أن أغلظ له السلطان وتوعده وهو مقيم على الوفاء بذمامه، فقصده السلطان في عساكره وخرج سيف الدولة في خيله ورجله، وحامته وأهله، ولم يزل في الذب عن سرخاب إلى أن أتاه حَيْنه وأزف بَيْنه[1]، وانكشفت الحرب عنه مقتولاً، وانتهب حريمه، وكان ذلك يوم الجمعة تاسع عشر شهر رجب سنة إحدى وخمسمائة على دجلة بعد صلاة الجمعة، ومدة إمارته اثنتان وعشرون سنة وثلاثة أشهر غير ثلاثة أيام، وحمل رأسه إلى بغداد وطيف به على رمح، ودفنت جثته.

والحلة اختطها صدقة سنة خمس وتسعين وأربعمائة وسكنها الناس.

و تفرق أولاده في البلاد[2].



يتيم ابن عنبسة

صدقة، غلام عبد الرحمن بن عنبسة.

كان من أحسن الغلمان وجهاً، كان عبد الرحمن قد رآه فسأل عنه فقيل له: يتيم من أهل الشام، قدم أبوه في بعث فقتل وبقي الغلام، فضمه ابن عنبسة إليه و تبناه، فوقع صدقة فيما شاء الله من الدنيا.

---

(١) الحَيْن: الموت، وأزف يعني حان، والبين: الفراق.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٢٩٦- ٢٩٩.

[١٤٥٠] ومر يوماً على بِرْذَوْن[1] معه خدم على حمزة بن بيض، وحول ابن بيض عياله في يومٍ شات وهم عراة شعث، فقال ابن بيض: من هذا؟

فقالوا: صدقة يتيم ابن عنبسة، فقال [المنسرح]:

تشعَّث صبياننا وما يَتِمُوا … وأنت صافي الأديم والحدقه[2]

فليت صبياننا إذا يتموا … يلقون ما قد لقيتَ يا صدقه

عوضك الله من أبيك ومن … أمك في الشام بالعراق مِقَه[3]

كفاك عبد الرحمن فقدهما … فأنت في كسوة وفي نفقه

تظل في دَرْمَكٍ وفاكهة … ولحم طير ما شئت أو مرقه[4]

تأوي إلى حاضن وحاضنة … زادا على والديك في الشفقه

فكل هنيئاً ما عاش ثم إذا … مات فَلُغْ في الدماء والسرقه

وخالفِ المسلمين قبلتهم … وضِلَّ عنهم وخادِنِ الفسقه

واشتر نهد التليل ذا خُصَل … لصوته في الصهيل صَهْصَلقه[5]

واقطع عليه الطريق تُلْقَ غداً … رَبَّ دنانير جمة ورِقَهْ[6]

فلما مات عبد الرحمن بن عنبسة أصابه ما قاله ابن بيض أجمع، من

---

(١) دابة كالبغل.

(٢) الأديم: الجلد، والحدقة: العين.

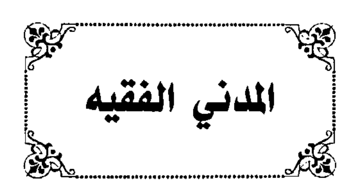
(٣) المقة: المحبة.

(٤) الدرمك: الدقيق.

(٥) التليل: العنق، والصهصلقة: شدة الصوت، والحديث عن الخيل.

(٦) الرقة: الدراهم.

الفساد والسرقة وصحبة اللصوص، وكان آخر ذلك أن قطع الطريق فأخذ وصلب[1].



المدني الفقيه

صفوان بن سليم، أبو الحارث، ويقال: أبو عبد الله، المدني الفقيه، مولى حميد بن عبد الرحمن بن عوف.

روى عن ابن عمر وجابر وأنس وعبد الله بن جعفر وغيرهم، وروى عنه مالك والثوري وابن عيينة وغيرهم، وكان ثقة كثير الحديث.

توفي سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

[١٤٥١] قال سليمان بن سالم:

كان في الصيف يصلي في البيت، فإذا كان في الشتاء صلى في السطح لئلا ينام.

[١٤٥٢] قال مالك بن أنس:

كان يتيقظ في الحر والبرد ثم يقول: هذا الجهد من صفوان وأنت أعلم، وإنه لتَرِم أقدامه من قيام الليل، ويظهر فيها عروق خضر.

[١٤٥٣] وقال العمري:

لم يكن له بالليل وسادة ولا كان يضجع جنبه على فراش بالليل، إما كان يصلي، فإذا غلبته عيناه احتبى قاعداً.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٣٠٤.

[١٤٥٤] وقال سفيان بن عيينة:

أخبرني الحفار الذي يحفر قبور أهل المدينة قال: حفرت قبر رجل فإذا أنا قد وقعت على قبر فوافيت جمجمة، فإذا السجود قد أثر في عظام الجمجمة، فقلت لإنسان: قبر من هذا؟

قال: أو ما تدري؟ هذا قبر صِفوان بن سليم.

وروى له الجماعة(١).



أبو قيس الأنصاري

صيفي بن الأسلت، أبو قيس الأنصاري الأوسي الوائلي الشاعر.

[١٤٥٥] أدرك النبي ﷺ وكان قد وفد على آل جفنة يسأل عن دين إبراهيم، وهو أحد الذين رغبوا عن دينهم وعن اليهودية والنصرانية، وكان يُعدَل بقيس ابن الخطيم في الشعر والشجاعة.

وكان قبل قدوم النبي ﷺ يتأله ويدعي الحنيفية ويحض قريشاً على اتباع النبي ﷺ وقال [الطويل]:

يا راكباً إما بلغت فبلِّغن مُغَلْغلةً عني لؤي بن غالب

أقيموا لنا ديناً حنيفاً فأنتم لنا قادة قد يُقتَدى بالذوائب

[١٤٥٦] وقام في أوس الله فقال: اسبقوا إلى هذا الرجل؛ فإني لم أر خيراً قط إلا أوله أكثره، ولم أر شراً قط إلا أوله أقله، فبلغ ذلك عبد الله

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٣١٧، ٣١٨.

ابن أبي بن سلول فلقيه فقال: لـذت مـن حَرّتنـا كـل مـلاذ، مـرة تطلـب الحلف إلى قريش، ومرة باتباع محمد، فغضب وقال: لا جرم والله لا اتبعته إلا آخر الناس، فزعموا أن النبي ﷺ بعث إليه وهو يموت: أن قل لا إله إلا الله أشفع لك بها يوم القيامة فسُمِع يقولها.

وامرأتـه أول امـرأة حرمـت علـى زوجهـا: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾[1] فيه نزلت.

ومضت بدر وأحد ولم يسلم من أوس الله إلا أربـع مـن بـني حطـم، كلهم شهد أحداً وما بعدها.

وقيل: إنه لما غضب قال: والله لا أسلم سنة، فمات قبل الحول في ذي الحجة على رأس عشرة أشهر من الهجرة، وسُمِع يوحد عند الموت.

[١٤٥٧] ومن شعره [الوافر]:

فيـا رب العبـاد إلـه موسـى ... تـلافَ الصـعب منـا بالـذلول

ويـا رب العبـاد إذا ضـللنا ... فيسِّـرنا لمعـروف السـبيل

فـولا ربنـا كنـا يهـوداً ... وما دين اليهـود بـذي شُكُول[2]

ولـولا ربنـا كنـا نصـارى ... مـع الرهبـان في جبـل الجليـل

ولكنـا خلقنـا إذ خلقنـا ... حنيفـاً ديننـا عـن كـل جيـل

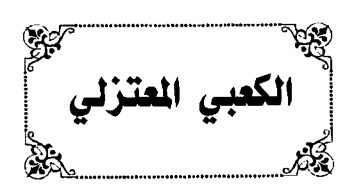
وابنه قيس بن أبي قيس بن الأسلت صحب النبي ﷺ وشهد أحداً، ولم يزل في المشاهد حتى بعثه سعد بن أبي وقاص طليعـة لـه حـين خـرج إلى

---

(١) سورة النساء: ٢٢.

(٢) الشكول: المماثلة، والمراد أن دين اليهود لا يشبه الدين الصحيح.

الكوفة، فلم يدر حتى هجم عليه مَسْلَحَةٌ[1] بالعذيب للعجم، فشدوا عليه وقتلوه[2].



الكعبي المعتزلي

عبد الله بن أحمد بن محمود، أبو القاسم الكعبي البلخي.

رأس المعتزلة ورئيسهم في زمانه وداعيتهم.

قال جعفر المستغفري: لا أستجيز الرواية عن أمثاله.

توفي سنة تسع عشرة وثلاثمائة.

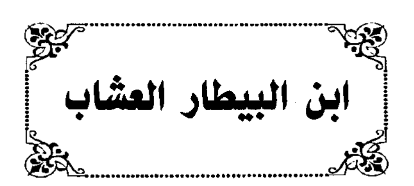
[١٤٥٨] وناهيك من فضله وتقدمه إجماع العالم على حسن تأليفه للكتب الكلامية والتصانيف الحِكْمية التي بَدّت أكثر كتب الحكماء، وصارت عمدة للأدباء، ونزهة في مجالس الكبراء، وكانت في العراق أشهر منها في خراسان، وأئمة الدنيا مولعون بها، مغرمون بفوائدها حتى أنه لما دخل أبو الحسن علي بن محمد الخشابي البلخي تلميذه بغداد حاجّاً جعل أهلها يقولون بعضهم لبعض: قد جاء غلام الكعبي فتعالوا ننظر إليه، فاحتوشه أهل العصر وعصابة الكلام، وجعلوا يتبركون بالنظر إليه ويتعجبون منه، وينظرون إليه، ويسألونه عن الكعبي وخصائله وشمائله، وكان مدة مقامه بها كأنه فيها من كبار الأولياء.

(١) المسلحة: قوم مُسلحون، والعذيب: موضع بالعراق فرّج الله عنها.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٦/ ٣٤١- ٣٤٣.

وكان الكعبي لا يخفي مذهبه، وكان صلحاء أهل بلخ ينالون منه، ويقدحون فيه، ويرمونه بالزندقة.

[١٤٥٩] ولما صنف أبو زيد «كتاب السياسة» ليانس الخادم-وهو إذ ذاك والي بلخ- قال الكعبي: قد جمع الله السياسة كلها في آية من القرآن حيث يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1][2].



ابن البيطار العشاب

عبد الله بن أحمد الحكيم العلامة ضياء الدين ابن البيطار الأندلسي المالقي النباتي الطبيب، مصنف كتاب «الأدوية المفردة»، ولم يصنف مثله. وكان ثقة فيما ينقله، حجة.

[١٤٦٠] وإليه انتهت معرفة النبات، وتحقيقه وصفاته وأسمائه وأماكنه، كان لا يجارى في ذلك، سافر إلى بلاد الأغارقة وأقصى بلاد الروم، وأخذ فن النبات عن جماعة، وكان ذكيًّا فطناً.

[١٤٦١] قال الموفق ابن أبي أصيبعة:

شاهدت معه كثيراً من النبات في أماكنه بظاهر دمشق، وقرأت عليه تفسيره لأسماء أدوية كتاب ديوسقوريدوس، فكنت أجد من غزارة علمه

---

(١) سورة الأنفال: ٤٥، ٤٦.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٧/ ٢٥، ٢٦.

ودرايته شيئاً كثيراً، وكان لا يذكر دواء إلا ويعين في أي مقالة هو من كتاب ديسقوريدوس وجالينوس وفي أي عدد هو من جملة الأدوية المذكورة في تلك المقالة.

وكان في خدمة الملك الكامل، وكان يعتمد عليه في الأدوية المفردة والحشائش، وجعله مقدماً في أيامه وحظياً عنده.

توفي بدمشق في شعبان سنة ست وأربعين وستمائة.

وكان بمصر رئيساً على سائر العشابين وأصحاب البسطات، ثم إنه خدم بعد الكامل ابنه الصالح وحظي عنده.

وله كتاب «المغني في الطب» وهو جيد مرتب على مداواة الأعضاء؛ وكتاب «الأفعال الغريبة والخواص العجيبة» و «الإبانة والإعلام بما في المنهج من الخلل والأوهام» وكتاب «الجامع في الأدوية المفردة».

[١٤٦٢] قال ابن أبي أصيبعة:

ولم يوجد في الأدوية المفردة كتاب أجل ولا أجود منه و «شرح أدوية كتاب ديسقوريدوس»[1].

(١) الوافي بالوفيات: ١٧/ ٥١، ٥٢.



ابن الدهان

عبد الله بن أسعد بن عيسى بن علي بن الدهان الجزري الموصلي، - ويعرف بالحمصي - مهذب الدين، الفقيه الشافعي الأديب الشاعر، أبو الفرج.

مات بحمص سنة إحدى وثمانين وخمسمائة.

[١٤٦٣] دخل يوماً على نور الدين بن زنكي فقال له: كيف أصبحت؟

فقال: كما لا يريده الله ولا رسوله ﷺ ولا أنت ولا أنا ولا ابن عصرون.

فقال له: كيف؟

فقال: لأن الله - تعالى - يريد مني الإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة ولست كذلك، وأما رسوله ﷺ فإنه يريد مني ما يريد الله مني ولست كذلك، وأما أنت فإنك تريد مني أن لا أسألك شيئاً من الدنيا ولست كذلك، وأما أنا فإنني أريد لنفسي أن أكون أسعد الناس وملك الدنيا بأجمعها ولي الدنيا بأسرها ولست كذلك، وأما ابن عصرون فإنه يريد مني أن أكون مقطعاً إرْباً إرْباً ولست كذلك، فكيف يكون من أصبح لا كما يريد الله ولا رسوله ولا سلطانه ولا نفسه ولا صديقه ولا عدوه، فضحك منه وأمر له بصلة.

تقلبت به الأحوال، وتولى التدريس بحمص فلهذا نسب إليها.

[١٤٦٤] وكان لما ضاقت به الحال عزم على قصد الصالح بن رُزِّيك وزير مصر وعجز عن استصحاب زوجته فكتب إلى الشريف أبي عبد الله زيد بن محمد بن محمد بن عبيد الله الحسيني -نقيب العلويين بالموصل- هذه الأبيات [من البسيط]:

وذاتِ شَجْوٍ أسال البينَ عبرتُها باتت تؤمل بالتفنيد إمساكي[1]

لَجّت فلما رأتني لا أُصيخ لها بكت فأقرح قلبي جَفْنُها الباكي

قالت وقد رأت الأجمال مُحْدجَة والبَيْنَ قد جمع المشكو والشاكي[2]

من لي إذا غبت في ذا المَحْل قلت لها الله وابن عبيد الله مولاك[3]

لا تجزعي بانحباس الغيث عنك فقد سألت نوء الثريا جود مغناك[4]

فتكفل الشريف المذكور لزوجته بجميع ما تحتاج إليه مدة غيبته عنها.

[١٤٦٥] قال العماد الكاتب:

ولما وصل السلطان صلاح الدين إلى حمص وخيم بظاهرها خرج إلينا أبو الفرج المذكور فقدمته للسلطان وقلت له: هذا الذي يقول في قصيدته الكافية في ابن رُزِّيك [من البسيط]:

أأمدح الترك أبغي الفضل عندهم والشعر مازال عند الترك متروكاً

فأعطاه السلطان شيئاً وقال: حتى لا يقول: إنه متروك عند الترك[5]!

---

(١) الشجو: الهم والحزن، البين: الفراق، التفنيد: النقص والضعف.

(٢) الأجمال: جمع جمل، محدجة: أي معدة للركوب.

(٣) المحل: الفقر والجوع.

(٤) النوء: المطر.

(٥) كذا وردت، ولعلها الكُرْد؛ فصلاح الدين كردي.

[١٤٦٦] ثم إنه امتدح السلطان بقصيدته العينية التي يقول فيها [من الكامل]:

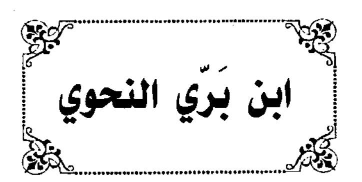
قال للبخيلة بالسلام تورعاً ... كيف استبحت دمي ولم تتورعي

وزعمت أن تَصِلي بعامٍ قابلٍ ... هيهات أن أبقى إلى أن ترجعي

أبديعةَ الحسن التي في وجهها ... دون الوجوه عناية للمبدع

ما كان ضرك لو غمزت بحاجب ... يوم التفرق أو أشرت بإصبع

وتيقني أني بحبك مغرم ... ثم اصنعي ما شئت بي أن تصنعي[1]



ابن بَرّي النحوي

عبد الله بن بَرِّي بن عبد الجبار بن بري، أبو محمد المقدسي الأصل، المصري الدار.

كان نحويّاً لغويّاً، شايع الذكر، مشهوراً بالعلم، لم يكن للمصريين مثله.

مات سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة.

تصدر للإقراء بجامع عمرو بن العاص، وكانت عنايته تامة في تصحيح الكتب، وكتب الحواشي عليها بأحمر، فإذا رأيت كتاباً قد ملكه فهو الغاية في الصحة والإتقان، وله على «صحاح» الجوهري حواش، أخذ فيها عليه وشرح بعضه فيها وزيادات أخل بها، ولو تمت لكانت عجيبة.

---

(١) الوافي بالوافيات: ١٧/ ٦٧- ٦٩.

[١٤٦٧] وكان مع علمه وغزارة فهمه ذا غفلة وسلامة صدر، وكان وسخ الثوب، زري الهيئة واللبسة، يحكي المصريون عنه حكايات عجيبة، منها أنه اشترى لحماً وخبزاً وبيضاً وحطباً، وحمل الجميع في كميَّه، وجاء إلى منزله فوجد أهله قد ذهبوا لبعض شأنهم والباب مغلقاً، فتقدم إلى كوة هناك تفضي إلى داره فجعل يلقي منها الشيء بعد الشيء ولم يفكر في تكسير البيض وأكل السنانير اللحم والخبز.

[١٤٦٨] قال ياقوت: حدثني بعض المصريين قال:

كنت يوماً أسير مع الشيخ أبي محمد بن بري وقد اشترى عنباً وجعله في كمه، وجعل يحادثني وهو يعبث بالعنب ويقبضه حتى جرى على رجليه فقال لي: تحس المطر؟

فقلت: لا.

قال: فما هذا الذي ينقط على رجلي؟ فتأملته فإذا هو من العنب فأخبرته فخجل واستحيى ومضى.

ويحكى عنه من الحذق وحسن الجواب عما يسأل عنه ومواضع المسائل من كتب العلماء ما يتعجب منه، فسبحان الجامع بين الأضداد، وكان قيِّماً بمعرفة كتاب سيبويه وعلله، قيماً باللغة والشواهد، وقرأ عليه جماعة، وكان ثقة.

وأجاز لجميع من أدرك عصره من المسلمين.

[١٤٦٩] قال أبو محمد ابن بري -رحمه الله- وقد أنشد قول أبي صخر الهذلي [من الطويل]:

تكاد يدي تندى إذا ما لمستها ... وينبت في أطرافها الورق الخضر

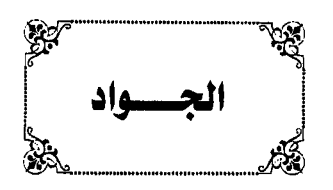
هذا البيت كان سبب تعلمي العربية، فقيل له: وكيف ذاك؟

فقال: ذكر لي أبي أنه رأى فيما يرى النائم -قبل أن يُرزَقَني- كأن في يده رمحاً طويلاً في رأسه قنديل وقد علقه على صخرة بيت المقدس، فعبر له بأن يرزق ابناً يرفع ذكره بعلم يتعلمه، فلما رُزِقَني وبلغت خمس عشرة سنة حضر إلى دكانه - وكان كتبيّاً - رجل يعرف بظافر الحداد، ورجل يعرف بابن أبي حصينة وكلاهما مشهور بالأدب، فأنشد أبي البيت -بكسر الراء- فضحك الرجلان عليه للحنه، فقال لي:

يا بني أنا منتظر تفسير منامي لعل الله -تعالى- يرفع ذكري بك.

فقلت له: أي العلوم تريد أن أقرأ؟

فقال لي: اقرأ في النحو حتى تعلمني، فكنت أقرأ على الشيخ أبي بكر محمد بن عبد الملك بن السراج -رحمه الله- ثم أجي فأعلمه[1].



عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الجواد، له صحبة ورواية.

ولد بالحبشة من أسماء بنت عميس.

يقال: إنه لم يكن في الإسلام أسخى منه، وروى عن أبويه وعن عمه علي، وهو آخر من رأى النبي ﷺ من بني هاشم.

سكن المدينة، وتوفي سنة ثمانين للهجرة، وروى له الجماعة، وهو أول

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٧/ ٨٠- ٨٣.

مولود ولد في الإسلام بالحبشة، وكان يسمى (بحر الجود).

[١٤٧٠] وكان لا يرى بسماع الغناء بأساً، وكان إذا قدم على معاوية أنزله داره وأكرمه، وكان ذلك يغيظ فاختة بنت قرظة بن عبد عمرو بن نوفل، زوج معاوية، فسمعت ليلة غناء عند عبد الله بن جعفر فجاءت إلى معاوية فقالت: تعال فاسمع ما في منزل هذا الرجل الذي جعلته بين لحمك ودمك! فجاء فسمع وانصرف، فلما كان آخر الليل سمع معاوية قراءة عبد الله بن جعفر، فأنبه فاختة فقال: اسمعي مكان ما أسمعتني.

[١٤٧١] ويقولون: إن أجواد العرب في الإسلام عشرة: فأجواد أهل الحجاز: عبد الله بن جعفر، وعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، وسعيد ابن العاص بن سعيد بن العاص.

وأجواد أهل الكوفة: عتاب بن ورقاء أحد بني رباح بن يربوع، وأسماء بن خارجة بن حصن الفزاري، وعكرمة بن ربعي الفياض، أحد بني تيم الله بن ثعلبة.

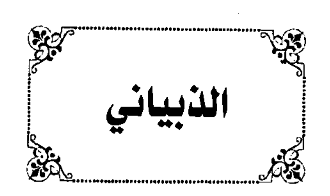
وأجواد أهل البصرة: عمر بن عبيد الله بن معمر، وطلحة بن عبد الله ابن خلف الخزاعي - وهو طلحة الطلحات - وعبيد الله بن أبي بكرة.

وأجواد أهل الشام: خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية.

[١٤٧٢] وليس في هؤلاء كلهم أجود من عبد الله بن جعفر، عوتب في ذلك فقال: إن الله عودني عادة وعودت الناس عادة، فأخاف إن قطعتها قطعت عني، وأخباره في الجود كثيرة مشهورة[١].

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٧/ ١٠٧- ١٠٩.



الذبياني

عبد الله بن الحجاج من بني ذبيان، شاعرٌ مكثر، فاتك شجاع.

[١٤٧٣] كان من أصحاب عبد الله بن الزبير وشيعته، فلما قتل عبد الله احتال ابن الحجاج حتى دخل على عبد الملك وهو يطعم الناس، فدخل وجلس حَجْرة(١)، فقال له: ما لك يا هذا لا تأكل؟

فقال: لا أستحل أن آكل حتى تأذن لي.

قال: إني قد أذنت للناس جميعاً.

قال: لم أعلم أفآكل بأمرك؟

قال: كل، وعبد الملك ينظر إليه ويعجب من فعاله، فلما أكل الناس جلس عبد الملك في مجلسه، وجلس خواصه بين يديه، وتفرق الناس، وجاء عبد الله بن الحجاج فوقف بين يديه ثم استأذن في الإنشاد، فأذن له فأنشد [من الكامل]:

أبلغ أمير المؤمنين بأنني ... مما لقيت من الحوادث موجع

مُنع القرار فجئت نحوك هارباً ... جيش يجر ومِقْنَبٌ يَتَلَمّعُ(٢)

فقال عبد الملك: وما خوفك لا أم لك، لولا أنك مريب؟ فقال:

إن البلاد علي وهي عريضة ... وعرت مذاهبها وسُد المطلع

---

(١) أي على انفراد.

(٢) المقنب: جماعة من الفرسان والخيل دون المائة تجتمع للغارة، «المعجم الوسيط» : ق ن ب، ويتلمع: أي يضيء بما فيه من لمعان السيوف والسلاح.

فقال عبد الملك: ذلك بما كسبت يداك وما الله بظلام للعبيد، فقال:

كنا تنحّلنا البصائر مرة ... وإليك إن عمي البصائر نرجع[1]

إن الذي يعصيك منا بعدها ... من دينه وحياته مُتَوَدّع

آتي رضاك ولا أعود لمثلها ... وأطيع أمرك ما أمرتَ وأسمع

أعطي نصيحتيَ الخليفة راجعاً ... وخِزامة الأنف المقود فأتبع

فقال عبدالملك: هذا لا نقبله منك إلا بعد المعرفة بك وبذنبك فإذا عرفنا الحَوْبة قبلنا التوبة، فقال:

ولقد وطئت بني سعيد وَطْأة ... وابنَ الزبير فعرشه متضعضع

فقال عبد الملك: الحمد لله رب العالمين.

فقال:

مازلت تضرب مَنْكِباً عن منكب ... تعلو ويسفل غيركم ما يُرفع

ووطئتهم في الحرب حتى أصبحوا ... حَدَثاً يَكُوس وغابراً يتفجَّع[2]

فحوى خلافتهم ولم يظلم بها ... القَرْمُ قرم بني قصي الأقرع[3]

لا يستوي خاوي نجوم أُفّلٍ ... والبدر منبلجاً إذا ما يطلع[4]

وُضِعت أمية واسطين لقومهم ... ووضعتَ وسْطهم فنعم الموضع

بيتٌ أبو العاص بناه بربوة ... عالي المشارف عزه ما يُدفع

---

(١) تنحّلنا: أي ادعينا، وانظر: ((الأغاني)): ١٣/ ١٧٨.

(٢) تَكَوّس: أي تنكس فجعل أعلاه أسفله.

(٣) القَرْم: السيد.

(٤) النجوم الأُفّل: الغاربة التي لا تظهر.

فقال عبد الملك: إن توريتك عن نفسك تـريبني، فـأي الفسـقة أنـت؟ وماذا تريد؟.

فقال:

فـانعش أُصَـيْبيتي الأُلاء كـأنهم حَجَـل تـدرّج بالشّـرَبَّةِ جُـوّعُ[1]

فقال عبد الملك: لا نعَشَهم الله وأجاعهم.

فقال:

مـالٌ لهـم ممـا يُضَـنُّ جمعتُـه يـوم القليـب فحِيـزَ عـنهم أجمـع

فقال له عبد الملك: مال أخذتـه مـن غـير حلـه وأنفقتـه في غـير حـق وأرصدت به لمشاقة أولياء الله.

فقال:

أدنـو لترحمـني وتجـبر فـاقتي وأراك تـدفعني فـأين المـدفع

فتبسم عبد الملك وقال: إلى النار، فمن أنت؟.

قال: أنا عبـد الله بـن الحجـاج الـذبياني الـثعلبي، وقـد دخلـت دارك وأكلت طعامك وأنشدتك، فإن قتلتني بعد ذلك فأنت بمـا عليـك في هـذا عارف، وعاد إلى إنشاده فقال:

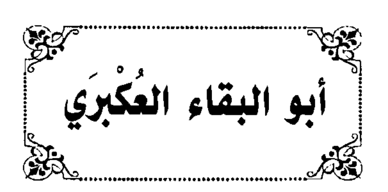
ضـاقت ثيـاب الملبسـين وفضـلهم عـني فألْبِسـني فثوبـك أوسـع

فشد عبد الملك الرداء الذي كان على كتفـه وقـال: البسـه لا لبسـت، فالتحف به، فقال له عبد الملك: أولى لك! والله لقد طاولتك طمعـاً في أن

---

(١) حَجَل جمع حَجلة: طائر في حجم الحمام، والأُصيبية تصغير أصبية، وهي جمع صبي، والشَرَبّة: الأرض المعشبة التي لا شجر فيها، وانظر ((الأغاني)): ١٣/ ١٨٠.

يقوم إليك بعض هؤلاء فيقتلك فأبى الله، فلا تجاورني في بلد وانصرف آمناً فأقم حيث شئت[1].



أبو البقاء العُكْبَري

عبد الله بن الحسين بن عبد الله الإمام العلامة، محب الدين، أبو البقاء العكبري البغدادي الأزجي الضرير، النحوي الفرضي الحنبلي، صاحب التصانيف.

ولد سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، وتوفي سنة ست عشرة وستمائة.

وبرع في الفقه والأصول وحاز قصب السبق في العربية.

[١٤٧٤] أضر في صباه بالجدري، وكان إذا أراد أن يصنف شيئاً أحضرت إليه مصنفات ذلك الفن وقرئت عليه، فإذا حصل ما يريد في خاطره أملاه، وكان يقال: أبو البقاء تلميذ تلامذته! وقال الشعر.

[١٤٧٥] وقال: جاء إلي جماعة من الشافعية وقالوا: انتقل إلى مذهبنا ونعطيك تدريس النحو واللغة بالنظامية، فقلت: لو أقمتموني وصببتم الذهب علي حتى واريتموني ما رجعت عن مذهبي.

وكان الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي يفزع إليه فيما يشكل عليه من الأدب.

وكان رقيق القلب، سريع الدمعة.

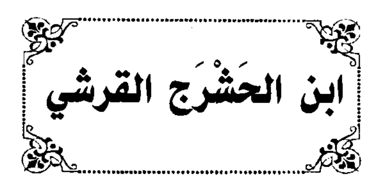
---

(١) الوافي بالوفيات: ١٧/ ١٢١- ١٢٤.

قال محب الدين بن النجار:

وكان ثقة، صدوقاً فيما ينقله ويحكيه، غزير الفضل، كامل الأوصاف، كثير المحفوظ، متديناً، حسن الأخلاق، متواضعاً.

[١٤٧٦] ذكر لي أنه بالليل تقرأ له زوجته(١).



ابن الحَشْرَج القرشي

عبد الله بن الحشرج، كان سيداً من سادات قريش وأميراً من أمرائها.

[١٤٧٧] وكان جواداً، تولى أعمال فارس وكرمان وأعطى بخراسان حتى أعطى منشفته التي كانت عليه وأعطى لحافه وفراشه، فقالت امرأته: لشد ما تلاعب بك الشيطان، وصرت من إخوته مبذراً، كما قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾(٢) فقال لرفاعة بن زُوْي النهدي، وكان صديقه: ألا تسمع إلى ما قالت هذه؟ فقال: صدقت والله وبرت.

فقال ابن الحشرج [من الطويل]:

تلوم على إتلافيَ المالَ خُلتي ... ويُسعدها نَهدُ بن زيدٍ على الزهد

أنهدَ بن زيد لست منكم فتشفقوا ... علي ولا منكم غَواتي ولا رشدي

سأبذل مالي إن مالي ذخيرة ... لعُقْبى وما أجني به ثمر الخلد

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٧/ ١٣٩، ١٤٠.

(٢) سورة الإسراء: ٢٧.

ولست بِمْبكاء على الزاد باسل ... يَهِرُّ على الأزواد كالأسد الوَرْدِ[1]
ولكني سمح بما حزت باذل ... لما كُلِّفت كفاي في الزمن الجحد
بذلك أوصاني الرُّقادُ وقبله ... أبوه بأن أعطي وأوفي بالعهد

الرقاد: كان أحد عمومته.

[١٤٧٨] قدم عليه زياد الأعجم وهو أمير على نيسابور فأنزله وبعث بما يحتاج إليه فغدا عليه فأنشده: [من الكامل]:

إن السماحة والمروءة والندى ... في قبة ضربت على ابن الحَشْرَج
ملك أغر متوج ذو نائل ... للمعتفين يمينه لم تَشْنَجِ[2]
يا خير من صعد المنابر بالتقى ... بعد النبي المصطفى المتحرج
لمّا أتيتك راجياً لنوالكم ... ألفيت باب نوالكم لم يُرْتَج[3]

المنصور الزيدي

عبد الله بن حمزة، أبو محمد المنصور، المعروف بابن الهادي يحيى بن الحسين.

[١٤٧٩] وكان المنصور شهماً حازماً عظيم الناموس، وكان أهل اليمن يَتولَّوْنه، ويحدث نفسه بمدارك تعجز قدرته عنها، وما زال يمارس

(١) يهرّ: أي يصيح، والأزواد: الطعام.

(٢) أي لم تُقبض.

(٣) لم يرتج: لم يغلق، الوافي بالوفيات: ١٧/ ١٤٧- ١٤٩.

الديلم وأهل طبرستان بالمراسلات والهدايا؛ لما يعلم من موالاتهم لأهل البيت حتى خطب له في بعض تلك البلاد، وقام له هناك داعٍ، تغلب على أكثر بلاد جيلان وخطب له على منابرها، على أنه لم يزل مقيماً ببلاد صعدة.

[١٤٨٠] وكان معاصراً للإمام الناصر العباسي، وكان يشبه به في الدهاء وكثرة التطلع إلى أخبار الرعايا، حتى أنه كان يواصل طوائف العرب بحمل الأموال ويحرضهم على ذلك، ويعدهم على قتله، وكان المنصور لكثرة اطلاعه و احترازه لا يطلع للناس فلا يظفر الناس بشيء منه.

[١٤٨١] وقال يوماً:

إن هذا الرجل قد أفنى الأموال الجليلة على الظفر بي ولو بذل لي بعض هذه الأموال لملك بها قيادي، ولكنت له أنصح وأخلص من كثير ممن يعتمد عليهم، وكان يربح التعب من طلب ما لا يناله مع الحصول على ودي، فبلغ ذلك الناصر فقال: أنا يسهل علي المال العظيم أملاً أن أبلغ أقل غرض لي على وجه الغلبة، ولا يسهل علي بذل درهم واحد مع وهم أنه خداع.

[١٤٨٢] وكان للمنصور وزير نَفّذ إليه الناصر بجملة من المال على أن يكون بطانة له يعينه على بلوغ غرضه، فأطلع الوزير المنصور على ذلك فشكره وأحسن إليه ووصله، ثم إنه قطعه عن خدمته! فقيل له في ذلك فقال: لا يسهل علي أن يخدمني وأراه بعين أنه يمتن علي بأنه أبقى على روحي، وفي الناس سعة لي وله.

[١٤٨٣] ولما مات أقام الزيدية ولده مقامه، واختبروه في علمه

فوجدوه ناقصاً عن رتبة الإمام فلم يخطبوا له بها، والزيدية لابد لهم من إمام فاطمي، فراسلوا أحمد بن الحسين المعروف بالموطّي - وهو من بني عم المنصور - وكان مشهوراً بكمال العلم والزهد، وخطبوا له في قلعة ثلا من حصون اليمن، وكان على غاية من الزهد والعبادة، لا يسكن قلعة ولا يأوي إلا إلى البراري والجبال.

[١٤٨٤] ومن شعر المنصور عبد الله المذكور يشير إلى أن دعوته قد بلغت بلاد جيلان وجاوزت العراق وهو مقيم بمكانه في صعدة [من السريع]:

قل لبني العباس ما بالكم ... لا تلحظونا لَحْظَ رجحان
وقد تخطتكم لنا دعوة ... جالت على أقطار جيلان

[١٤٨٥] ومن شعره أيضاً [من الرجز]:

قوض خيامي عن ديار الهُون ... فلست ممن يرتضي بالدون
واشدد على ظهر الهجين رحله ... فقد شجاني غارب الهجين
وقربا مني الحصان زلفة ... فالحُصْن أولى بي من الحصون[1]
إني على ريب زمانٍ شرس ... لا تخرج النخوة من عِرْنيني[2]
جدي رسول الله حقّاً وأبي ... ملقب بالأنزع البطين[3]
من دوحة كريمة ميمونة ... غراء تؤتي الأُكْل كل حين

---

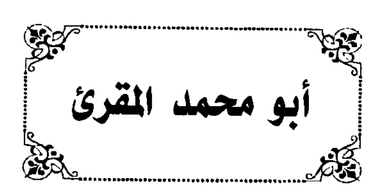
(١) الحُصْن: جمع حصان.

(٢) العرنين: مقدم الأنف.

(٣) الأنزع هو الذي ذهب شعره من جهة صدغه، والبطين: عظيم البطن، والمقصود هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه فتلك كانت صفته.

[١٤٨٦] ومنه [من البسيط]:

لا تحسبوا أن صنعا جل مأربتي ... ولا ذمارَ إذا أشمتُّ حسادي
واذكر إذا شئت تشجيني وتطربتي ... كر الجياد على أبواب بغداد[1]



أبو محمد المقرئ

عبد الله بن علي بن أحمد بن عبد الله الإمام أبو محمد المقرئ، سبط الزاهد أبي منصور الخياط، شيخ القراء بالعراق.

سمع الكتب الكبار وقرأ العربية على أبي الكرم ابن فاخر، وصنف في القراءات «المبهج» و «الكفاية» و «الاختيار» و «الإيجاز».

وتوفي سنة إحدى وأربعين وخمسمائة.

[١٤٨٧] وخولف في بعض مصنفاته وشنعوا عليه فرجع عن بعضها.

[١٤٨٨] وكان يقول: لو قلت إنه ليس بالعراق مقرئ إلا وقد قرأ علي أو على جدي أو قرأ على من قرأ علي لظننت أني صادق.

[١٤٨٩] ولم يُسمع أطيب من صوته.

[١٤٩٠] قال أبو الفرج ابن الجوزي:وقد رأيت جماعة من الأعيان ماتوا فما رأيت أكثر جمعاً من جنازته وغلقت الأسواق لأجله.

قال ياقوت: وهو شيخ شيخنا تاج الدين الكندي ومُخَرِّجه.

[١٤٩١] ومن شعره [من الخفيف]:

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٧/ ١٥٢- ١٥٥.

أيهـــا الزائـــرون بعـــد وفـــاتي جَـدَثاً ضـمني ولحـداً عميقـا
سـترون الـذي رأيـت مـن المـو ت عيانـاً وتسـلكون الطريقـا

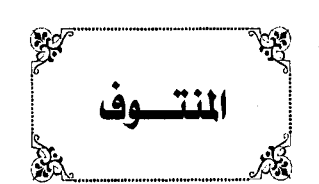
[١٤٩٢] ومنه [من الطويل]:

ومـن لم تؤدبـه الليـالي وصَـرْفُها **فما ذاك إلا غائب العقل والحس**(١)
يظـن بـأن الأمـر جـارٍ بحكمـه وليس له علـم أيصـبح أم يمسـي

[١٤٩٣] ومنه [من الطويل]:

أرى ظـاهر الـود الـذي كـان بيننـا **تَقَضّى وقد كادت به النفس تُخدع**
وغرك ما غر السـراب لـذي ظمـا فلمـا أتـاه خانـه وهـو يطمـع

قلت: شعر متوسط(٢).



المنتـــوف

عبد الله بن عياش المنتوف الهَمْداني الكوفي، كنيته أبو الجراح.

كان أحد أصحاب الأخبار ورواة الأنساب والأشعار مع دراية وفهم.

كان كيِّساً مطبوعاً صاحب نوادر، وكـان ينتـف لحيتـه وكـان أبـرص، توفي سنة ثمان وخمسين ومائة في السـنة الـتي مـات فيهـا المنصـور أمـير المؤمنين.

---

(١) صرفها أي تقلبها وتحولها.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٧/ ٣٣١، ٣٣٢.

[١٤٩٤] كتب إليه معن بن زائدة من اليمن: قد بعثت إليك بخمسمائة دينار، ومن الثياب اليمنية بخمسين ثوباً أشتري بها دينك. فكتب إليه:

قد بعتك ديني كله إلا التوحيد لعلمي بقلة رغبتك فيه!

قال ابن عياش: فحدثت المنصور بذلك فما زال يضحك منه ويعجب له.

وكان شاعراً هجاءً يُتَّقى لسانه.

[١٤٩٥] وقال له المنصور يوماً:

اُنظر إلى لحية عبد الله بن الربيع ما أحسنها، فحلف ابن عياش أنه أحسن منه.

فقال ابن الربيع: ما أجرأك على الله أيها الشيخ.

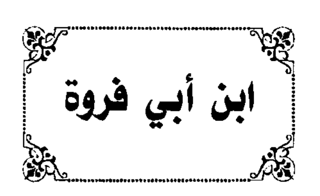
فقال ابن عياش: يا أمير المؤمنين، انتف لحيته وأقمني إلى جنبه حتى ترى أينا أحسن.

[١٤٩٦] وكان يطعن على الربيع في نسبه طعناً قبيحاً ويقول له: فيك شبه من المسيح يخدعه بذلك! فكان يكرمه، فأخبر المنصور بذلك فقال: إنه يريد أنه لا أب لك، فتنكر له بعد ذلك.

[١٤٩٧] وقال له رجل: لي إليك حاجة صغيرة، فقال: اطلب لها صغيراً مثلها.

[١٤٩٨] وكان المنصور قد أخذ عليه العهد بإعفاء لحيته من النتف، فلما مات المنصور جعل يصرخ عليه ويقول: يا أمير المؤمنيناه! وينتف

لحيته حتى أتى عليها جمعاء[1].



ابن أبي فروة

عبد الله بن كيسان أبي فروة، هو أبو عبد الله بن أبي فروة جد الربيع مولى المنصور.

[١٤٩٩] كان عبد الله هو وعبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير في حداثتهم أخلاء لا يكادون يفترقون، وكان أحدهم إذا اكتسى كسوة اكتسى الآخر مثلها، فاكتسى عبد الملك حلة واكتسى ابن أبي فروة مثلها وبقي مصعب لا يجد ما يكتسيه، فذكر ابن أبي فروة ذلك لأبيه فكساه مثل حلتيهما على يد ابنه، فلما ولي مصعب العراق استكتب ابن أبي فروة، وكان عنده يوماً إذ أُتي مصعب بعقد جوهرٍ قد أصيب في بلاد العجم لا يُدرى ما قيمته، فجعل مصعب يقلبه ويعجَب منه، ثم قال لابن أبي فروة:

أبا عبد الله: أيسرك أن أهبه لك؟

قال: نعم والله أصلح الله الأمير، فدفعه إليه فرآه وقد سر به سروراً شديداً.

فقال له مصعب: أراك قد سررت به.

فقال: نعم.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٧/ ٣٩٣، ٣٩٤.

فقال مصعب: والله لأنا بالحلة يوم كسوتنيها أشد سروراً منك بهذا الآن.

ولم يزل العقد عند ابن أبي فروة إلى أن انقضت أيام مصعب فكان سبب غناه وغنى عقبه فيما بعد.

[١٥٠٠] وذكر مصعب الزبيري أنه ظهر عامل خراسان على كنز فيه نخلة كانت لكسرى مصوغة من ذهب عثاكيلها من لؤلؤ وجوهر وياقوت أحمر وأخضر، فحملها إلى مصعب بن الزبير، فجمع المقومين لها -لما وردت عليه- فقوموها ألفي ألف دينار، فقال: إلى من أدفعها؟

فقالوا له: إلى نسائك وأهلك.

فقال: لا، بل إلى رجل قدم إلينا يداً وأولانا جميلاً، ادعو عبد الله بن أبي فروة فدفعها إليه.

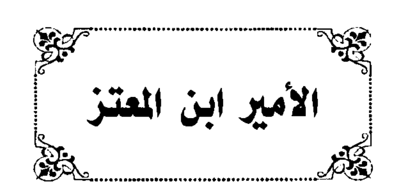
فلما قتل مصعب كاتب ابن أبي فروة عبد الملك بن مروان وبذل له مالاً فسلم منه بماله، وكان أيسر أهل المدينة.

وأبو فروة -كيسان- مولى الحارث الحفار مولى عثمان بن عفان، وكان أبو فروة أحد من حصر عثمان وناداه وفي لسانه لكنة: رد المذالم! يريد: المظالم، فقال عثمان: أنت أول من أردُّ على الحفار، وقال الحزين الديلي في ذلك [من الطويل]:

شهدت بإذن الله أن محمداً ... رسول من الرحمان غير مكذب
وأن ولا كيسان للحارث الذي ... ولي زمناً حفر القبور بيثرب[1]

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٧/ ٤١٣، ٤١٤.



الأمير ابن المعتز

عبد الله بن محمد - وقيل: اسم أبيه الزبير- أبو العباس بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور، الأمير الأديب صاحب الشعر البديع والنثر الفائق.

مولده سنة تسع وأربعين ومائتين، قتل سرّاً في ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين.

[١٥٠١] قامت الدولة ووثبوا على المقتدر وأقاموا ابن المعتز فقال: بشرط ألاَّ يقتل بسببي مسلم، ولقبوه المرتضي بالله وقيل: المنصف بالله، وقيل: الغالب بالله، وقيل: الراضي بالله، وأقام يوماً وليلة، ثم إن أصحاب المقتدر تحزبوا واجتمعوا وتحاربوا هم وأعوان ابن المعتز وشتتوهم وأعادوا المقتدر إلى دَسْته[١]، واختفى ابن المعتز في دار ابن الجصاص الجوهري، فأخذه المقتدر وسلمه إلى مؤنس-الخادم الخازن- فقتله وسلمه إلى أهله ملفوفاً في كساء، وقيل: إنه مات حتف أنفه، وليس بصحيح بل خنقه مؤنس ودفن في خرابة إزاء داره، وقضيته مشهورة فيها طول وهذه خلاصتها.

وكان شديد السمرة، مسنون الوجه[٢]، يخضب بالسواد، وكان اسم أمه قبيحة لحسنها.

---

(١) أي سريره.

(٢) مسنون الوجه: حسن الوجه طويله، وانظر ((لسان العرب)): س ن ن .

[١٥٠٢] وهو أول من صنف في صنعة الشعر فوضع كتاب «البديع»، وقال: إن البديع اسم لفنون الشعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأخرين بينهم، فأما العلماء باللغة والشعراء القديم الجاهلي والمخضرمي والعربي فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ما هو! قال: وما جمع فنون البديع غيري ولا سبقني إليه أحد، وهو أشعر بني هاشم على الإطلاق.

[١٥٠٣] وأشعر الناس في الأوصاف والتشبيه ليس لأحد مثل تشبيهاته، وكان يقول: إذا قلت: كأن ولم آت بعدها بالتشبيه ففض الله فاي.

من كلام ابن المعتز بالله في الآداب والمواعظ والحكم:

[١٥٠٤] الأدب صورة العقل فحسن أدبك كيف شئت.

[١٥٠٥] إعادة الاعتذار تذكير بالذنب.

[١٥٠٦] العقل غريزة تربيها التجارب.

[١٥٠٧] العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم.

[١٥٠٨] النصح بين الملأ تقريع.

[١٥٠٩] إذا تم العقل نقص الكلام.

[١٥١٠] الأمل رفيق مؤنس إن لم يبلغك فقد استمتعت به.

[١٥١١] نفاق المرء من ذله، وعقوبة الحاسد من نفسه.

[١٥١٢] من أحب البقاء فليعد للمصائب قلباً صبوراً.

[١٥١٣] علامة الكذاب جوده باليمين لغير مستحلف.

[١٥١٤] افرح بما لم تنطق به من الخطأ مثل فرحك بما لم تسكت عنه

من الصواب.

[١٥١٥] المرض سجن البدن، والهم سجن الروح.

[١٥١٦] الدار الضيقة العمى الأصغر.

[١٥١٧] إذا هرب الزاهد من الناس فاطلبه، وإذا طلب الناسَ فاهرب منه.

[١٥١٨] الشيب أول مواعيد الفناء.

[١٥١٩] لا تشن وجه العفو بالتقريع.

[١٥٢٠] العاقل لا يدعه ما ستر الله من عيوبه يفرح بما يظهر من محاسنه.

[١٥٢١] أن تُذَم بالعطاء خير من أن تذم بالمنع.

[١٥٢٢] عبد الشهوة أذل من عبد الرق.

[١٥٢٣] لا تستبطئ الإجابة للدعاء وقد سددت طريقه بالذنوب.

[١٥٢٤] كلما كثر خزان الأسرار ازدادت ضياعاً.

[١٥٢٥] من أكثر المشورة لم يعدم عند الصواب مادحاً وعند الخطأ عاذراً.

[١٥٢٦] العالم يعرف الجاهل لأنه قد كان جاهلاً و الجاهل لا يعرف العارف لأنه لم يكن عارفاً.

[١٥٢٧] زلة العالم كانكسار السفينة يغرق معها خلق كثير.

[١٥٢٨] علم المنافق في قوله وعلم المؤمن في عمله.

[١٥٢٩] لو تميزت الأشياء كان الكذب مع الجبن، والصدق مع الشجاعة، والتعب مع الطمع، والراحة مع اليأس، و الحرمان مع الحرص، والذل مع الدَين.

[١٥٣٠] رأس السخاء أداء الأمانة.

[١٥٣١] الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت بها.

[١٥٣٢] من كثر مزاحه لم يخل من استخفاف به أو حقد عليه.

[١٥٣٣] أول الغضب جنون وآخره ندم.

[١٥٣٤] علم الإنسان ولده المخلد.

[١٥٣٥] المعروف رق والمكافأة عتق.

[١٥٣٦] الجاهل صغير وإن كان شيخاً، والعالم كبير وإن كان حدثاً.

[١٥٣٧] الميت يقل الحسد له ويكثر الكذب عليه.

[١٥٣٨] أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه.

[١٥٣٩] اُذكر عند الظلم عدل الله فيك وعند القدرة قدرة الله عليك.

[١٥٤٠] أعرف الناس بالله أرضاهم عن أقداره.

[١٥٤١] الملك بالدين يبقى والدين بالملك يقوى.

[١٥٤٢] العجب شر آفات العقل.

[١٥٤٣] الخضاب من شهود الزور.

[١٥٤٤] الزهد في الدنيا الراحة العظمى.

[١٥٤٥] الظلم من اللؤم والإنصاف من الكرم.

[١٥٤٦] غضب الجاهل في قوله وغضب العاقل في فعله[1].



أمير المؤمنين المقتدي

عبد الله بن محمد، أمير المؤمنين، أبو القاسم المقتدي بأمر الله بن ذخيرة الدين أبي العباس، ابن الإمام القائم بأمر الله.

بويع بالخلافة في ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة، وهو ابن تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر، وتوفي أبوه الذخيرة والمقتدي بأمر الله حمل، وأمه اسمها: أرجوان، وقال ابن النجار: اسمها: علم.

ظهرت في أيامه خيرات كثيرة وآثار حسنة في البلاد.

[١٥٤٧] وتوفي فجأة في تاسع عشر المحرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة، وكان قد أُحضر إليه تقليد السلطان بركياروق ليعلِّم عليه، فقرأه وعلم عليه ثم تغدى وغسل يديه، وعنده فتاته شمس النهار فقال لها: هذه الأشخاص قد دخلوا بغير إذن، قالت: فالتفت فلم أر شيئاً، ورأيته قد تغير حاله واسترخت يداه فظننت أنه غشي عليه، ثم قلت لجارية عندي: ليس هذا وقت النعي، وأحضرت الوزير وأخبرته، فأخذوا البيعة لولده المستظهر بالله أحمد، وعاشت أمه إلى خلافة ابن ابن ابنها المسترشد.

وكانت قواعد الخلافة في أيامه باهرة الحرمة وافرة، وكان محبّاً للعلوم،

(١) الوافي بالوفيات: ١٧/ ٤٤٧-٤٥٦.

مكرماً لأهلها يُتقرَّب إليه بجمعها وتصنيفها، ويهدى له مجموعها وشتيتها، ولم يزل في دولة قاهرة وصولة باهرة.

وكان مليح النظم والنثر.

ومن كلامه:

[١٥٤٨] وعد الكرماء ألزم من دين الغرماء.

[١٥٤٩] الألسن الفصيحة أتبع في الأمور من الوجوه الصبيحة، والضمائر الصحيحة أبلغ من الألسن الفصيحة.

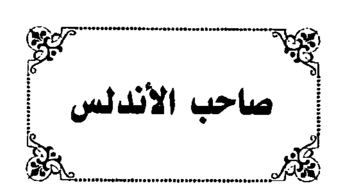
[١٥٥٠] الإقدام أفضل من الإحجام إلا في استئصال النعم وابتذال الحرم.

[١٥٥١] تقوى الله خير ما ادخر للمعاد، والحياء أفضل ما تحلى به العباد.

[١٥٥٢] حق الرعية لازم للرعاة، وقبيح بالولاة الإقبال على السعاة.

ولما بويع بالخلافة لم يُغترم لأجل البيعة درهم ولا دينار، ولم يسمع بمثل ذلك عن خليفة سواه، كانت خلافته عشرين سنة وأشهراً، وأمه أم ولد[١].

(١) الوافي بالوفيات: ١٧/ ٤٦٧- ٤٦٩.



صاحب الأندلس

عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأموي المرواني صاحب الأندلس، ولي الأمر بعد أخيه المنذر بن محمد.

طالت أيامه وبقي خمساً وعشرين سنة.

[١٥٥٣] وكان من الأمراء العادلين الذين يعز وجودهم، وكان صالحاً تقيّاً كثير العبادة والتلاوة رافعاً علم الجهاد ملتزماً للصلوات في الجامع، وله غزوات مشهورة، وكان أديباً عالماً، توفي سنة ثلاثمائة وبلغ من السن اثنتين وسبعين سنة.

قال صاحب «الريحان والريعان»:

ثم وليها عبد الله بن محمد ولاية منحلة، وقد كان الناس سئموا الحرب والفتنة فانصدعوا في كل جهة، ثم ثابت المملكة بظفره بحصون ابن حفصون والوقايع التي أوقع به، ووفر على المسلمين وأنمى لهم بيت مالهم؛ فلم يمد يداً إليهم واقتصر على مؤنته وعلى مؤنة من يعوله من مال نفسه وخاصة كسبه وحلِّ ميراثه، وحمل على ذلك ولده وسائر خاصته فلم ينفق من مال الله شيئاً إلا في موضعه من الذب عن بلاد المسلمين وحوزة الدين، وكان ورعاً.

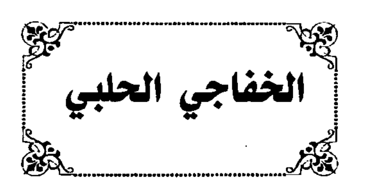
وكان جميلاً يملأ العين بهاء، وكان متواضعاً يلازم الصلوات في الجامع ليلاً ونهاراً، وكان يشاور العلماء ويزورهم، وكان متصرفاً في العلوم.

[١٥٥٤] إلا أنه ينسب إلى البخل المفرط الذي آل به إلى فساد ملكه،

وقاسى من بخله سبطه الناصر العجائب إلا أنه اختص بخدمته من صغره، من ذلك أنه خرج معه يوماً فنزل عن فرسه لقضاء صلاة فهرب الفرس وتعب أصحاب الموكب في أمره حتى أخذوه فقال له: يا عبد الرحمن مالي أراك بغير خَصِيّ يحفظ دابتك؟

فقال له الناصر: ليس يفضل لي من راتبي ما أتخذه به، فقال: إذا انصرفنا إلى القصر ذكرني، فلما ذكره وهو لا يشك أن الوصيف[1] حاصل أمر له بشكيمة مليحة[2].

[١٥٥٥] وكتب عنه الناصر كتاباً أرضاه به، فقال له: قم إلى تلك الطاق فخذ تلك الدجاجة بما معها من الرقاق فقد آثرتك بها، مبارك لك فيها[3].



الخفاجي الحلبي

عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان، أبو محمد الحلبي الخفاجي الشاعر.

توفي بقلعة عزاز مسموماً سنة ست وستين وأربعمائة، وحمل إلى قلعة حلب وصلى عليه الأمير محمود بن صالح، وكان يرى رأي الشيعة الإمامية، ويرى ذم السلف.

---

(١) الوصيف: الخادم غلاماً كان أو جارية، ((لسان العرب)): و ص ف.

(٢) الشكيمة من اللجام: الحديدة المعترضة في الفم: ((لسان العرب)): ش ك م.

(٣) الوافي بالوفيات: ١٧/ ٤٦٩- ٤٧١.

[١٥٥٦] وكان قد عصى بقلعة عزاز من أعمال حلب، وكان بينه وبين أبي نصر محمد بن الحسين بن النحاس -الوزير لمحمود وغيره- مودة مؤكدة، فأمر محمود أبا نصر أن يكتب إلى الخفاجي كتاباً يستعطفه ويؤنسه وقال: إنه لا يأمن إلا إليك ولا يثق إلا بك، فكتب إليه كتاباً فلما فرغ منه وكتب «إنَّ شاء الله تعالى» شدد النون من «إنْ شاء الله» فلما قرأه الخفاجي خرج من عزاز قاصداً حلب، فلما كان على ظهر الطريق أعاد النظر في الكتاب، فلما رأى التشديدة على النون أمسك رأس فرسه وفكر في نفسه وأن ابن النحاس لم يكتب هذا عبثاً، فلاح له أنه أراد: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾[1] فرجع إلى عزاز وكتب الجواب: «إنّا الخادم المعترف بالإنعام» وكسر الألف من «أنا» وشدد النون وفتحها، فلما وقف أبو نصر على ذلك سر به وعلم أنه قصد ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا﴾[2] وكتب الجواب يستصوب رأيه فكتب الخفاجي إليه [من البسيط]:

خِف مَن أمنتَ ولا تركن إلى أحد ... فما نصحتك إلا بعد تجريب

إن كانت الترك فيهم غير وافية ... فما تزيد على غدر الأعاريب

تمسكوا بوصايا اللؤم بينهم ... وكاد أن يدرسوها في المحاريب

[١٥٥٧] واستدعى محمود أبا نصر وقال:

أنت أشرت علي بتولية هذا الرجل ولا أعرفه إلا منك، ومتى لم تفرغ بالي منه قتلتك وألحقت بك جميع من بينك وبينه حرمة.

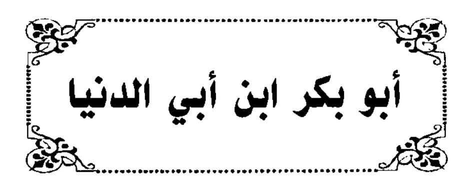
---

(١) سورة القصص: ٢٠.

(٢) سورة المائدة: ٢٤.

فقال له: مرني بأمر أمتثله.

قال: تمضي إليه وفي صحبتك ثلاثون فارساً فإذا قاربته عرِّفه بحضورك فإنه يلتقيك، فإذا حضر وسألك النزول عنده والأكل معه فامتنع، وقل له إني حَلّفتك ألاَّ تأكل زاده ولا تحضر مجلسه حتى يطيعك في الحضور عندي، وطاوله في المخاطبة حتى تقارب الظهر، ثم ادع أنك جعت وأخرج هاتين الخشكنانجين فكل أنت هذه وأطعمه هذه فإذا استوفي أكلها عجل الرجوع إليَّ فإن منيته فيها، ففعل ما أمره به، ولما أكلها الخفاجي رجع أبو نصر إلى حلب ورجع الخفاجي عزاز، ولما استقر بها وجد مغصاً شديداً ورعدة مزعجة، ثم قال: قتلني والله أخي أبو النصر، ثم أمر بالركوب خلفه ورده ففاتهم، ووصل إلى حلب وأصبح من الغد عند محمود فجاءه من عزاز من أخبره أن الخفاجي في السياق، ومات وحمل إلى حلب[1].



أبو بكر ابن أبي الدنيا

عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس القرشي، مولى بني أمية، يعرف بابن أبي الدنيا.

توفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين – وقيل: سنة إحدى – ومولده سنة ثمان ومائتين.

كان يؤدب المكتفي بالله في حداثته، وهو أحد الثقات المصنفين

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٧/ ٥٠٣- ٥٠٥.

للأخبار والسير.

[١٥٥٨] وله كتب كثيرة تزيد على مائة كتاب.

[١٥٥٩] كتب إلى المعتضد وابنه المكتفي، وكان مؤدبهما [من الخفيف]:

إن حق التأديب حقُ الأبوة   عند أهل الحِجَى وأهل المروة
وأحق الأنام أن يعرفوا ذا   ك ويرعوه أهل بيت النبوة

[١٥٦٠] قال: كنت أؤدب المكتفي فأقرأته يوماً: «كتاب الفصيح» فأخطأ فقرصت خده قرصة شديدة فانصرفت، فإذا قد لحقني رشيق الخادم فقال: يقال لك: ليس من التأديب سماع المكروه.

فقلت: سبحان الله، أنا لا أسمع المكزوه غلامي ولا أمتي.

قال: فخرج إلي ومعه كاغد قال: يقال لك: صدقت يا أبا بكر، وإذا كان يوم السبت تجيء على عادتك.

فلما كان يوم السبت جئت فقلت: أيها الأمير تقول عني مالم أقل؟

فقال: نعم يا مؤدبي؛ من فعل ما لم يجب، قيل عنه ما لم يكن.

وسمع من المشايخ، وروى عنه جماعة، قال ابن أبي حاتم: كتبت عنه مع أبي وهو صدوق.

وكان إذا جالس أحداً إن شاء أضحكه وإن شاء أبكاه[1].

(١) الوافي بالوفيات: ١٧/ ٥١٩، ٥٢٠.



ابن الفرضي القرطبي

عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي الحافظ، أبو الوليد ابن الفرضي القرطبي، مصنف: «تاريخ الأندلس».

له مصنف في أخبار شعراء الأندلس، وكتاب في «المؤتلف والمختلف» وفي «مشتبه النسبة»، وكان فقيهاً عالماً في جميع فنون العلم، استقضاه محمد المهدي ببلسنية، وكان حسن البلاغة والخط.

[١٥٦١] قتلته البربر في الفتنة، وبقي في داره ثلاثة أيام مقتولاً، قال ابن الفرضي: تعلقت بأستار الكعبة وسألت الله الشهادة، ثم انحرفت وفكرت في هول القتل فندمت وهممت أن أراجع، وأستقيل الله ذلك فاستحييت، قال الحميدي: فأخبرني من رآه بين القتلى ودنا منه فسمعه يقول بصوت ضعيف: **«لا يُكْلَم أحد في سبيل الله-والله أعلم بمن يكلم في سبيله- إلا وجاء يوم القيامة وجرحه يثعَبُ دماً، اللون لون الدم والريح ريح المسك»** كأنه يعيد الحديث على نفسه، ثم قضى على أثر ذلك.

[١٥٦٢] وأنشد له ابن عبد البر [من الطويل]:

أسير الخطايا عند بابك واقف ... على وجلٍ مما به أنت عارفُ

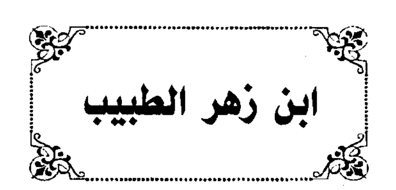
يخاف ذنوباً لم يغب عنك عيبها ... ويرجوك فيها فهو راج وخائف

ومن ذا الذي يرجو سواك ويتقي ... ومالك في فصل القضاء مخالف

فياسيدي لا تخزني في صحيفتي ... إذا نشرت يوم الحساب الصحائف

وكن مؤنسي في ظلمة القبر عندما يصد ذوو ودي ويجفو المؤالف

لئن ضاق عني عفوك الواسع الذي أُرَجِّي لإسرافي فإني لتالف[1]



ابن زهر الطبيب

[١٥٦٣] عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن زهر، أبو محمد الإيادي، ابن الحفيد أبي بكر الأندلسي الإشبيلي الطبيب، معروف بالطب، آباؤه شيوخ الطب.

وكان شاباً جميلاً، مفرط الذكاء، خيِّراً فاضلاً، عاش خمساً وعشرين سنة وتوفي سنة اثنتين وستمائة.

وكان قد اشتغل على والده، وأوقفه على كثير من أسرار هذه الصناعة وعملها، وقرأ «كتاب النبات» لأبي حنيفة على أبيه وأتقن معرفته.

[١٥٦٤] وكان الخليفة أبو عبد الله الناصر محمد بن المنصور أبي يعقوب يرى له كثيراً ويحترمه ويعرف مقدار علمه ويثق به، ولما توجه إلى الحضرة خرج منه فيما اشتراه لسفره ونفقته في الطريق عشرة آلاف دينار، وكان يشتغل على الجزولي في النحو، وكان الناصر إذا جلس جلس الخطيب أبو عبد الله محمد بن الحسن بن أبي علي بن الحسن بن أبي يوسف حجاج القاضي، ويجلس تلوه القاضي الشريف أبو عبد الله الحسيني، وكان يجلس تلوه ابن الحفيد أبو محمد عبد الله بن زهرٍ هذا،

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٧/ ٥٣٠، ٥٣١.

وكان يجلس تلوه أبو موسى عيسى الجزولي النحوي.

ومات ابن الحفيد مسموماً.

[١٥٦٥] وقال أبومروان الباجي: قال لي يوماً:

رأيت البارحة أختي - وكانت أخته قد ماتت قبله - وكأنني قلت لها: بالله يا أختي عرفيني كم يكون عمري؟ فقالت لي: طابيتين ونصفاً - والطابية هي الخشبة للبناء المعروفة في المغرب بهذا الاسم طولها عشرة أشبار - فقلت لها: أنا أقول لك جدّاً وأنت تجيبيني بالهزء! فقالت: لا والله ما أجبتك إلا بالجد، وإنما أنت ما فهمت، أليس أن الطابية عشرة أشبار؟ والطابيتين ونصفاً خمسة وعشرون شبراً يكون عمرك خمساً وعشرين سنة، قال أبو مروان: فلما قص علي هذه الرؤيا قلت له: لا تتوهم من هذا فلعله أضغاث أحلام، قال: ولم تكمل تلك السنة إلا وقد مات، وكان عمره-كما قيل له- خمساً وعشرين سنة لا أقل ولا أكثر[1].



قاضي القضاة الأذرعي الحنفي

عبد الله بن محمد بن عطاء قاضي القضاة، أبو محمد شمس الدين الأذرعي الحنفي.

ولد سنة خمس وتسعين وخمسمائة، وتوفي سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

وتفقه ودرس وأفتى وصار مشاراً إليه في المذهب، وولي عدة مدارس

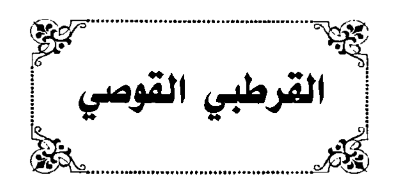
(١) الوافي بالوفيات: ١٧/ ٥٧٥- ٥٧٧.

وناب في القضاء، وولي قضاء الحنفية لما جددت القضاة الأربع.

وكان فاضلاً ديناً حسن العشرة.

[١٥٦٦] ولقد صدع بالحق لما حصلت الحوطة على البساتين بحضور الملك الظاهر بيبرس وقال: ما يحل لمسلم أن يتعرض لهذه الأملاك ولا إلى هذه البساتين؛ فإنها بيد أصحابها ويدهم عليها ثابتة، فغضب السلطان وقام وقال: إذا كنا ما نحن مسلمين أيش قعودنا؟ فأخذ الأمراء في التلطف وقالوا: لم يقل عن مولانا السلطان، ولما سكن غضبه قال: أثبتوا كتبنا عند القاضي الحنفي، وتحقق صلابته في الدين ونُبل في عينيه.

وشيع جنازته خلائق(١).



القرطبي القوصي

عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد القرطبي ثم القوصي.

كان فاضلاً وتزهد.

[١٥٦٧] قال الحافظ المنذري: أنشدني أبو الحسن علي بن محمد القرطبي قال: أنشدني أخي عبد الله بمنزله بقوص- وقد انقطع فيه قريباً من ثلاثين سنة، يصوم يوماً ويفطر يوماً- لنفسه [من الوافر]:

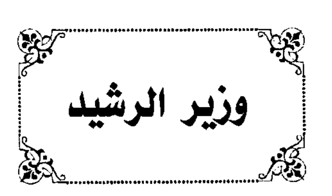
متى تقنع تعش ملكاً كريماً ... يذل لملكك الملك الفخور

قنعت بوحدتي ولزمت بيتي ... فطاب العيش لي ونما السرور

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٧/ ٥٨٢، ٥٨٣.

وأدبـني الزمـان فـلا أبـالي هُجـرتُ فـلا أُزار ولا أزور
ولسـت بقائـل مـا دمـت حيّـاً أسار الجيش أم ركـب الأمـير[1]



وزير الرشيد

عبد الله بن مرزوق، أبو محمد الزاهد البغدادي.

[١٥٦٨] كان وزير الرشيد فخرج من ذلك وتخلى عن ماله وتزهد، وكان كثير البكاء والحزن؛ وسبب حزنه أنه نام يوماً عن صلاة الظهر، وكانت له جارية فعمدت إلى جمرة من نار فوضعتها على قدمه، فانتبه فزعاً وقال: ما هذا؟ قالت: هذه نار الدنيا فكيف بنار الآخرة؟! فقام فدخل على هارون فاستعفاه فأعفاه.

[١٥٦٩] وقال سلامة:

قال عبد الله في مرضه الذي مات فيه: يا سلامة، إن لي إليك حاجة.

قلت: وما هي؟

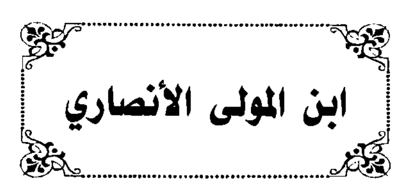
قال: تحملني فتطرحني على تلك المزبلة لعلي أموت عليها فيرى ذلي ومكاني فيرحمني.

وكانت وفاته-رحمه الله تعالى- ببغداد سنة ست وتسعين ومائة[2].

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٧/ ٥٨٩.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٧/ ٦٠١، ٦٠٢.



ابن المولى الأنصاري

عبد الله بن مسلم بن المولى الأنصاري، مولاهم.

كان شاعراً من شعراء الدولتين[1].

مدح المهدي فأنعم عليه، وكان ظريفاً عفيفاً.

[١٥٧٠] وهو القائل يمدح يزيد بن حاتم من قصيدة [من الكامل]:

يا واحد العرب الذي دانت له ... قحطان قاطبة وساد نزارا

إني لأرجو إن لقيتك سالماً ... أن لا أعالج بعدك الأسفارا

رُشْتَ الندى ولقد تكسر ريشه ... فعلا الندى فوق البلاد وطارا

فأعطاه رزمتي ثياب وعشرة آلاف دينار.

[١٥٧١] وقدم على المهدي فأنشده قصيدته التي فيها [من الطويل]:

وما قارع الأعداء مثل محمد ... إذا الحرب أبدت عن حجول الكواعب[2]

فتى ماجد الأعراق من آل هاشم ... تبجح منها في الذُرى والذوائب

أَشَمُّ من الرهط الذين كأنهم ... لدى حِندِس الظلماء زهر الكواكب[3]

إذا ذُكرت يوماً مناقب هاشم ... فإنكم منها بخير المناصب

ومَن عِيب في أخلاقه ونصابه ... فما في بني العباس عيب لعائب

---

(١) أي الأموية والعباسية.

(٢) الكواعب جمع كاعب وهي الفتاة التي برز ثديها، والحجول، جمع حِجْل، وهو: الخلخال.

(٣) حندس الظلماء: شدة الظلام.

وإن أمـــير المـــؤمنين ورهطـــه   لأهل المعالي من لؤي بن غالـب
أولئـك أوتاد البـلاد ووارثـوا النـ   ـبي بـأمر الحـق غـير التكـاذب

ثم ذكر آل أبي طالب فيها فقال:

ومـا نقمـوا إلا المـودة منهم   وأن غادروا فيهم جزيل المواهب
وأنهـم نـالوا لهـم مـن دمائهم   شفاء النفوس من قتيـل وهـارب
وقاموا لهـم دون العـدى وكَفَوْهُمُ   بسمر القنا والمرهفات القواضب[1]
وحـاموا علـى أحسـابهم وكـرائمٍ   حسان الوجوه واضحات الترائب[2]
وإن أمـــير المـــؤمنين لعائـــد   بإنعامـه فـيهم علـى كـل تائـب
إذا مـا دنـوا أدنـاهمُ وإذا هفـوا   تجاوز عـنهم نـاظراً في العواقـب
شفيق على الأقصَين أن يركبوا الردى   فكيف به في واشـجات القرائـب

فوصله المهدي صلة سنية.

وقدم المدينة فأنفق وبنى داره ولبس ثياباً فاخرة كذلك مدة حتـى نفـد ما جاء به، ثم دخل على الحسن بن زيد، وكانت لـه عليـه وظيفـة في كـل سنة فأنشده مديحاً في قصيدة منها [من الخفيف]:

ولـو أن امـرأً ينـال خلـوداً   بمحـلٍّ ومنصـب ومكـان
أو ببيـت ذراه تلصـق بالنجـ   ـم قرانـاً في غـير بـرج قـران

(١) أي بالرماح والسيوف.

(٢) أي الصدور.

أو بمجـــد الحيـــاة أو بســـماح | أو بحلـم أوفـى علـى ثَهْـلان[1]
أو بفضـــل لنالـــه حســـن الخيـــ | ـر بفضـل الرسـول ذي البرهـان
فضـله راجـح بـرهط أبـي القـا | سـم رهـط الـيقين والإيمـان
هم ذوو النور والهدى وأولو الأمـ | ـر وأهـل البرهـان والفرقـان
مَعْـدِن الحـق والنبـوة والبـذ | ل إذا مـا تنـازع الخصـمان

فلما أنشده دعا به خالياً وقال: يا عاض كذا من أمه، إذا ما جئت إلى الحجاز تقول لي هذا! وإذا ما مضيت إلى العراق تقول: وإن أمير المؤمنين ورهطه، وأنشده البيتين.

فقال له: أتنصفني يا ابن رسول الله ﷺ أم لا؟

قال: بلى.

قال: ألم أقل: وإن أمير المؤمنين ورهطه ألستم رهطه؟

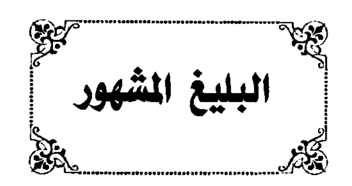
فقال: دع هذا، ألم تقدر أن تنفق شعرك ومديحك إلا بتهجين أهلي والطعن عليهم والإغراء بهم حيث تقول «وما نقموا إلا المودة منهم» وأنشده البيتين فوجم ابن المولى وأطرق ثم قال: يا ابن رسول الله إن الشاعر يقول ويتقرب بجهده، ثم قام وخرج من عنده منكسراً، فأمر الحسن وكيله أن يحمل إليه وظيفته ويزيده مثلها، ففعل، فقال ابن المولى: والله لا أقبلها وهو علي ساخط، فعاد الرسول فأخبره، فقال: قل له قد رضيت فاقبلها، فدخل على الحسن وأنشده [من الطويل]:

(١) اسم جبل.

سألت فأعطاني وأعطى ولم أَسَلْ ... وجاد كما جادت غواد رواعد[1]

فأقسمت لا أنفك أنشد مدحه ... إذا جمعتني والحجيج المشاهد

إذا قلت يوماً في ثنائي قصيدة ... **ثنيت بأخرى حيث تُجزى القصائد**[2]



البليغ المشهور

عبد الله بن المُقَفَّع، بكسر الفاء المشددة وفتحها معاً والفتح أشهر، أصله من خراسان.

قتل سنة سبع وثلاثين ومائة.

كان أديباً فاضلاً شاعراً بارعاً في الفصاحة والبلاغة متحققاً بنحو ولغة، وكان يكتب لعيسى بن علي بن عبد الله بن العباس عم المنصور.

[١٥٧٢] قيل له:لم لا تقول الشعر؟ قال: ما يأتي جيده وآبى رديئه.

[١٥٧٣] وهو القائل [من الطويل]:

رُزئنا أبا عمرو ولا حي مثله ... فللّه ريب الحادثات بمن وقع

لئن تك قد فارقتنا وتركتنا ... إلى خلة ما في انسداد لها طمع

فقد جر نفعاً فقدنا لك أننا ... أمِنَّا على كل الرزايا من الجزع

[١٥٧٤] وهو القائل أيضاً [من الطويل]:

---

(١) أي السحاب الذي فيه رعد، وهو الموشك على المطر.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٧/ ٦١١- ٦١٤.

دليلـك أن الفقـر خـير مـن الغنـى   وأن القليل المال خير مـن المثـري
لقـاؤك إنسـاناً عصـى الله للغنـى   ولم تـر إنسـاناً عصـى الله للفقـر

[١٥٧٥] قال نصر بن حبيب المهلبي:

أخذت قوماً من الزنادقة فوجدت في كتبهم: إلى هـذا مـا انتهـى قـول ابن المقفع.

[١٥٧٦] وقال الجَهْشِياري:

كان ابن المقفع من أهل خوز من أرض فارس، وكان سريّاً سخيّاً كاتباً فصيحاً لبيباً يطعم الطعام ويصل كل من احتاج إليه، وكان يكتب لـداود ابن يزيد بن هبيرة على كرمان، وأفاد معه مالاً، وكان يجـري علـى جماعـة من أهل الكوفة ما بين الخمسمائة إلى الألفين، وكانت بينه وبين عمارة بن حمزة مودة فلما أنكر المنصور على عمارة بن حمزة شـيئاً ونقلـه إلى الكوفـة كان ابن المقفع يأتيه ويزوره، فبينا هو عنده ذات يوم إذ ورد علـى عمـارة كتاب وكيله بالبصرة يعلمه فيه أن ضيعته مجاورة لضيعة تباع بثلاثين ألـف درهم، وأن ضيعته لا تصلح إلا بهذه الضيعة، وإن لم تشـتر هـذه الضـيعة فيبيع ضيعته، فلما قرأه قال:

ما أعجب أمر هذا الوكيل يشير علينا بمشتري ضيعة في وقت إضـاقتنا وإملاقنا ونحن إلى البيع أحوج، فسمع ابن المقفع الكـلام وكتـب في منزلـه سُفْتَجة[1] إلى الوكيل بثلاثين ألف درهم، وكتب إليـه علـى لسـان عمـارة بمشتري الضيعة وأن يقيم مكانه وينفذ إليه الكتاب بالابتيـاع، فلـم يشـعر

(١) السُفتجة: أن يعطي شخص مالاً لآخر، وللآخر مال في بلد المعطي فيوفيه إياه هناك، وهذا من أجل أمن الطريق، وهي فارسية معربة، انظر ((المعجم الوسيط)): سفج.

عمارة بعد أيام إلا وكتاب وكيله قد ورد عليه قرين الكتاب بمشتري الضيعة، فتعجب عمارة من وقوع ذلك فقيل له:

إن ابن المقفع فعل ذلك، فلما صار إليه بعد أيام وتحدثا قال له عمارة: بعثت إلى الوكيل بثلاثين ألف درهم، وكنا إليها ههنا أحوج، فلما توجه من عنده بعث إليه بثلاثين ألف درهم أخرى.

[١٥٧٦] ولما هرب عبد الله بن علي بن العباس من أبي مسلم الخراساني قصد أخويه: سليمان وعيسى ابني علي، وهما بالبصرة فكاتبا المنصور أن يؤمنه، وأنفذ سليمان كاتبه عمر ابن أبي حليمة في ذلك، فاستقر الأمر في إعطائه الأمان، وأنفذ المنصور سفيان بن معاوية بن يزيد ابن المهلب بن أبي صفرة وأمره بضبطهم والتضييق عليهم حتى يحضروا عبد الله بن علي إلى حضرته.

وكان ابن المقفع يكتب لعيسى بن علي فأمره عيسى بن علي بعمل نسخة الأيمان لعبد الله وأكدها واحترس من كل تأويل يجوز أن يقع عليه فيها، وترددت بين أبي جعفر المنصور وبينهم في النسخة كتب ورسائل إلى أن استقرت على ما أراد من الاحتياط، ولم يقع للمنصور فيها حيلة لفرط احتيال ابن المقفع، وكان الذي زاده فيها مما شق على المنصور أن قال: يوقع بخطه في سفل الأمان:

«فإن أنا نلت عبد الله بن علي، أو أحداً ممن آمنته معه بصغيرة من المكروه أو كبيرة، أو أوصلت إلى أحد منهم ضرراً سراً أو علانية على الوجوه والأسباب كلها تصريحاً أو كناية أو بحيلة من الحيل، فأنا نفيٌّ من محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ومولود لغير رِشْدة[1]، وقد حل

(١) يعني ولد زنا.

لجميع أمة محمد خلعي وحربي والبراءة مني، ولا بيعة لي في رقاب المسلمين، ولا عهد ولا ذمة، وقد وجب لهم الخروج عن طاعتي، وإعانة من ناوأني من جميع الخلق، ولا موالاة بيني وبين أحد من المسلمين، وأنا مُتَبرٍ من الحول والقوة[1]، مدع-إن كان- أنه كافر بجميع الأديان، ألقى ربي على غير دين ولا شريعة، محرم المأكل والمشرب والمنكح والملبس والمركب والرق والملك على سائر الوجوه والأسباب كلها، ويعطي ولا يتي سواه، ولا يقبل الله مني إلا إياه والوفاء به».

فقال المنصور: إذا وقعت عيني عليه فهذا الأمان له صحيح؛ لأني لا آمن إن أعطه إياه قبل رؤيتي له أن يسير في البلاد، ويسعى عليّ بالفساد، وتهيأت له الحيلة من هذه الجهة.

[١٥٧٧] وقال: من كتب له هذا الأمان؟ فقيل: ابن المقفع، كاتب عيسى بن علي.

فقال المنصور: فما أحد يكفنيه؟ وكان سفيان بن معاوية أمير البصرة من قبل المنصور يضطغن على ابن المقفع أشياء كثيرة، منها أنه كان يهزأ به، ويسأله عن الشيء بعد الشيء، فإذا أجابه قال: أخطأت ويضحك منه، فلما كثر ذلك على سفيان غضب وافترى عليه، فقال له ابن المقفع: يا ابن المغتلمة، والله ما اكتفت أمك برجال العراق حتى تعدتهم إلى الشام، فلما قال المنصور ذلك الكلام كتب أبو الخصيب إلى سفيان بذلك فعمل على قتله، فقال يوماً علي بن عيسى لابن المقفع:

صر إلى سفيان فقل له كذا وكذا.

---

(١) أي حول الله تعالى وقوته.

فقال: وجه معي إبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي فإني لا آمن سفيان، فتوجها إليه فأذن لإبراهيم بن جبلة قبله فدخل ثم خرج الإذن لابن المقفع، فلما دخل عدل به إلى مقصورة فيها غلامان فأوثقاه كتافاً، فقال إبراهيم لسفيان: ايذن لابن المقفع، فقال للآذن: ايذن له، فخرج ثم رجع فقال له: إنه انصرف، فقال سفيان لإبراهيم: هو أعظم كِبْراً من أن يقيم وقد أذنت لك قبله وما أشك في أنه غضب، ثم قام سفيان وقال لإبراهيم: لا تبرح، ودخل المقصورة التي فيها ابن المقفع، فقال له وقد وقعت عينه عليه: أنشدك الله، فقال: أمي مغتلمة ولا بيعة -كما قلت- إن لم أقتلك قتلة لم يقتل بها أحد، وأمر بتنور فسُجِّر ثم أمرهما فقطعا منه عضواً عضواً ويلقى في التنور وهو يرى، إلى أن قطع أعضاءه ثم أحرقه وهو يقول: والله يا ابن الزنديقة لأحرقنك بنار الدنيا قبل نار الآخرة.

فلما فرغ منه رجع لإبراهيم فحدثه ساعة، ثم خرج إبراهيم، فقال له غلام ابن المقفع: ما فعل مولاي؟ فقال: ما رأيته، فقال: دخل بعدك إلى سفيان، فرام الرجوع إلى سفيان فحجب عنه، فانصرف غلام ابن المقفع وهو يقول: سفيان قتل مولاي! فدخلا على عيسى بن علي فقال: ما هذا؟! فخبَّره الخبر، فقال عيسى: ارجع إلى سفيان وقل له: خل سبيل ابن المقفع ما لم تكن قتلته، وإن كنت قتلته فوالله لأطالبنك بدمه، ولا أدع جهداً، فعاد إليه وقال له ذلك، فقال: ما رأيته، وسعى سفيان مع أبي أيوب المورياني إلى المنصور وطلب سفيان إلى المنصور، وجرت أمور وذهب ابن المقفع.

[١٥٧٨] وقيل: إن سفيان لما أراد قتل ابن المقفع قال له: والله إنك لتقتلني فيقتل بقتلي ألف نفس ولو قتلوا مثلك مائة ما وفوا بواحد، ثم قال [من الوافر]:

إذا ما مات مثلي مات شخص يموت بموته خلق كثير
وأنت تموت وحدك ليس يدري بموتك لا الصغير ولا الكبير

[١٥٧٩] وقال أبو الغول الأسدي قصيدة طويلة يعيِّر فيها علي بن عيسى بن علي منها [من الطويل]:

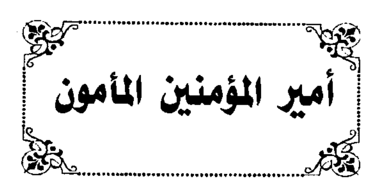
لعمري لمن أوفى بجار أجاره لقد غر عيسى جاره ابن المقفع
فلو بابن حرب عاذ أو بابن عامر لما اغتيل عبد الله في شر مضجع
ولكن عبد الله ألجأ ظهره إلى رَخَماتٍ بالنبيط وأَضْبُعِ[(١)]
دعا دعوة عيسى وهم يسحبونه بلحيته جر الحوار المفزَّع[(٢)]
فما كنت عدلاً للسموأل إذ فدى بواحده أحلاف بيضٍ وأَدْرُعِ[(٣)]
ولا مثل جار ابن المهلب إذ سما به جاره في شاهق متمنع
أولئك لم تقعد بهم أمهاتهم ولم يُسْلموا الأحرار أسوأ مصرع
أهابوا به حتى إذا قيل قد علا مع النجم خلُّوه وقالوا له قَعِ
إذا أنت لم تغضب لجار أجرته فدونك ثوبَيْ حيضة فتقنع[(٤)]

ومن تصانيفه: «كتاب مَزْدَك»، «كتاب كِليلَة ودِمْنَة» صنعه وعزاه إلى الهند، «كتاب التاج» في سيرة أنوشروان، «كتاب الأدب الكبير»، «كتاب

---

(١) الرخمات جمع الرَخَم، طائر غزير الريش، وانظر ((المعجم الوسيط)): رخم، وفي الأصل: إصبع وأظنها محرفة من أضبع جمع ضبع.
(٢) الحوار ابن الناقة.
(٣) هو اليهودي، وقصته في الوفاء مشهورة.
(٤) أي كن مثل المرأة.

الأدب الصغير»، «كتاب جوامع كليلة ودمنة»، «كتاب رسالته في الصحابة»، «كتاب خداي نامه» في السير، «كتاب آئين نامه»، «كتاب الدرة اليتيمة»[1].



أمير المؤمنين المأمون

عبد الله بن هارون، أمير المؤمنين، أبو العباس المأمون بالله بن الرشيد ابن المهدي بن المنصور.

ولد سنة سبعين ومائة، بايعوه أول سنة ثمان وتسعين ومائة، وكان يكنى أبا العباس فلما استخلف اكتنى بأبي جعفر.

وتوفي سنة ثمان عشرة ومائتين في يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب، فكانت خلافته عشرين سنة وستة أشهر.

[١٥٨٠] قرأ العلم في صغره، وبرع في الفقه والعربية وأيام الناس، ولما كبر عني بعلوم الأوائل ومهر في الفلسفة فجره ذلك إلى القول بخلق القرآن.

وكان من رجال بني العباس حزماً وعزماً وعلماً وحلماً ورأياً ودهاءً وشجاعة وسؤدداً وسماحة.

قال ابن أبي الدنيا:

كان أبيض رِبعة حسن الوجه تعلوه صفرة، قد وخطه الشيب، أعين، طويل اللحية رقيقها، ضيق الجبين، على خده خال.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٧/ ٦٣٣- ٦٣٩.

وقال الجاحظ:

كان أبيض فيه صفرة وكان ساقاه دون جسده صفراوين كأنما طليتا بزعفران، ولما خلعه الأمين غضب ودعا إلى نفسه بخراسان فبايعوه في ذلك التاريخ، وأمه أم ولد اسمها مراجل، ماتت أيام نفاسها به، ودُعي للمأمون بالخلافة-وأخوه الأمين حي- في آخر سنة خمس وتسعين ومائة إلى أن قتل الأمين، فاجتمع الناس عليه وتفرقت عماله في البلاد، وأقيم الموسم سنة ست وسنة سبع باسمه وهو مقيم بخراسان، واجتمع الناس عليه ببغداد في أول سنة ثمان.

وكان فصيحاً مفوَّهاً كان يقول: معاوية بعَمْره، وعبد الملك بحجَّاجه، وأنا بنفسي، ورويت هذه عن المنصور.

[١٥٨١] ختم في بعض الرمضانات ثلاثاً وثلاثين ختمة.

[١٥٨٢] وقال يحيى بن أكثم: قال المأمون:

أريد أن أحدِّث.

فقلت: ومن أولى بهذا من أمير المؤمنين؟

فقال: ضعوا لي منبراً، ثم صعد فأول ما حدث: حدثنا هشيم عن أبي الجهم عن الزهري عن أبي سلمة، عن أبي هريرة-رفع الحديث- قال: **«امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار»** ثم حدث بنحو ثلاثين حديثاً، ثم نزل فقال: كيف رأيت يا يحيى مجلسنا؟

فقلت: أجلّ مجلس تفقه الخاصة والعامة.

فقال: ما رأيت لكم حلاوة، إنما المجلس لأصحاب الخِلقان والمحابر[1].

[١٥٨٣] وروى محمد بن عون عن ابن عيينة أن المأمون جلس فجاءته امرأة فقالت: يا أمير المؤمنين مات أخي وخلف ستمائة دينار فأعطوني ديناراً وقالوا: هذا نصيبك.

فقال المأمون: هذا نصيبك، هذا خلَّف أربع بنات؟

فقالت: نعم.

قال: لهن أربعمائة دينار، وخلَّف والدة لها مائة دينار، وخلَّف زوجة لها خمسة وسبعون ديناراً، بالله ألك اثنا عشر أخاً؟

قالت: نعم.

قال: لكل واحد ديناران ولك دينار واحد.

[١٥٨٤] وقال المأمون: لو عرف الناس حبي للعفو لتقربوا إلي بالجرائم.

[١٥٨٥] وقيل: إن ملاَّحاً مر فقال: أتظنون أن هذا ينبل في عيني وقد قتل أخاه الأمين؟ فسمعها فتبسم وقال: ما الحيلة حتى أنبل في عين هذا السيد الجليل؟.

[١٥٨٦] وكان المأمون بخراسان قد بايع بالعهد لعلي بن موسى الرضا الحسيني ونوه بذكره، وغير زي آبائه من لبس السواد وأبدله بالخضرة، فغضب بنو العباس بالعراق لهذين الأمرين وخلعوه وبايعوا إبراهيم بن المهدي عمه ولقبوه المبارك، فحاربه الحسن بن سهل فهزمه

(١) أي أصحاب الحديث، الذين كانت ثياب أكثرهم خَلِقَة أي بالية.

إبراهيم وألحقه بواسط، وأقام إبراهيم بالمدائن، ثم سار جيش الحسن وعليهم حميد الطوسي وعلي بن هشام، فهزموا إبراهيم فاختفى وانقطع خبره إلى أن ظهر في وسط خلافة المأمون فعفا عنه.

[١٥٨٧] وتقدم رجل غريب بيده محبرة فقال: يا أمير المؤمنين صاحب حديث منقطع به.

فقال: ما تحفظ في باب كذا؟

فلم يذكر فيه شيئاً، فما زال المأمون يقول: حدثنا هشيم وحدثنا يحيى وحدثنا حجاج حتى ذكر الباب، ثم سأله عن باب آخر، فلم يذكر فيه شيئاً، فقال المأمون: حدثنا فلان وحدثنا فلان إلى أن قال لأصحابه: يطلب أحدهم الحديث ثلاثة أيام، ثم يقول: أعطوني أنا من أصحاب الحديث، أعطوه ثلاثة دراهم.

ومع ذلك فكان مسرف الكرم جواداً ممدحاً، فرّق في ساعة ستة وعشرين ألف ألف درهم، ومدحه أعرابي مرة فأجازه بثلاثين ألف دينار.

وقال أبو معشر: كان أماراً بالعدل، ميمون النقيبة، فقيه النفس، يعد مع كبار العلماء.

[١٥٨٨] وأهدى إليه ملك الروم تحفاً سنية منها: مائة رطل مسك، ومائة حلة سِمّور[1]، فقال المأمون: أضعفوها له ليعلم عز الإسلام وذل الكفر.

[١٥٨٩] وقال يحيى بن أكثم:

كنت عند المأمون وعنده جماعة من قواد خراسان، وقد دعا إلى خلق

---

(١) حيوان له فرو.

القرآن فقال لهم: ما تقولون في القرآن؟ فقالوا: كان شيوخنا يقولون: ما كان فيه من ذكر الجِمال والبقر والخيل والحمير فهو مخلوق، وما سوى ذلك فهو غير مخلوق، فأما إذ قد قال أمير المؤمنين هو مخلوق فنحن نقول كله مخلوق، فقلت للمأمون: أتفرح بموافقة هؤلاء؟ وكان كلامه في القرآن سنة اثنتي عشرة فكثر المنكر لذلك، وكاد البلد يفتتن ولم يلتئم له من ذلك ما أراد، فكف عنه إلى بعد هذا الوقت.

[١٥٩٠] وقال النضر بن شميل: دخلت على المأمون فقال: إني قلت اليوم [من المنسرح]:

أصبح ديني الذي أدين به ... ولست منه الغداة معتذرا
حب علي بعد النبي ولا ... أشتم صديقه ولا عمرا
وابن عفان في الجنان مع الأبرار ذاك القتيل مصطبرا
وعائش الأم لست أشتمها ... من يفتريها فنحن منه برا

[١٥٩١] وقد نادى المنادي بإباحة متعة النساء، ثم لم يزل به يحيى بن أكثم وروى له حديث الزهري عن ابني ابن الحنفية عن أبيهما محمد عن علي ﷺ أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر، فلما صحح له الحديث رجع إلى الحق وأبطلها.

[١٥٩٢] وأما مسألة خلق القرآن فلم يرجع عنها، وصمم عليها في سنة ثمان عشرة ومائتين، وامتحن العلماء فعوجل ولم يمهل.

توجه غازياً إلى أرض الروم فلما وصل إلى البدندون مرض، وأوصى بالخلافة إلى أخيه المعتصم، ولما مات نقله أخوه المعتصم وابن المأمون العباس إلى طرسوس فدفن بها في دار خاقان خادم أبيه.

ومن شعره [من المتقارب]:

[١٥٩٣] لساني كتوم لأسراركم ودمعي نموم لسري يذيع
فلولا دموعي كتمت الهوى ولولا الهوى لم تكن لي دموع

[١٥٩٤] ومن شعره [من الوافر]:

أنا المأمون والملك الهمام ولكني بحبك مستهام
أترضى أن أموت عليك وجداً ويبقى الناس ليس لهم إمام

[١٥٩٥] حكى الفضل بن الربيع عن أبيه قال: كان إبراهيم بن المهدي شديد الانحراف عن علي بن أبي طالب ﷺ، فحدث المأمون يوماً أنه رأى عليّاً في النوم فقال له: من أنت؟ فأخبره أنه علي بن أبي طالب، قال: فمشينا حتى جئنا قنطرة فذهب يتقدمني لعبورها، فأمسكته وقلت: أنت رجل يدعي هذا الأمر بامرأة[١] ونحن أحق به منك، فما رأيت له في الجواب بلاغة كما توصف عنه، فقال: وأي شيء قال لك؟

قال: ما زادني على أن قال: سلاماً سلاماً.

فقال له المأمون: قد والله أجابك أبلغ جواب.

قال: فكيف ذلك؟

قال: عرف أنك جاهل لا يجاوب مثلك، قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾[٢] فخجل إبراهيم وقال: ليتني لم أحدثك بهذا الحديث.

---

(١) يعني فاطمة رضي الله عنها.

(٢) سورة الفرقان: ٦٣.

[١٥٩٦] قلت: يؤيد هذا التفسير ما حكاه أحمد بن الربيع عن إبراهيم ابن المهدي قال: رأيت علي بن أبي طالب ﷺ في النوم فقلت: إن الناس قد أكثروا فيك وفي أبي بكر وعمر فما عندك في ذلك؟ فقال لي: إخسه، ولم يزدني على ذلك.

[١٥٩٧] وأدخل رجل من الخوارج عليه فقال له: ما حملك على الخروج والخلاف؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[١] قال: ألك علم بأنها منزلة؟ قال: نعم، قال: ما دليلك؟ قال: إجماع الأمة، قال: فكما رضيت بإجماعهم في التنزيل فارض بإجماعهم في التأويل، فقال: صدقت، السلام عليك يا أمير المؤمنين.

[١٥٩٨] وقال يحيى: كان المأمون يحلم حتى يغيظنا.

نقش خاتمه: «الله ثقة عبد الله وبه يؤمن» وقيل: «عبد الله يؤمن به مخلصاً».

وكان المأمون يُعرف بابن مراجل، طباخةٍ كانت لزبيدة[٢].



طالب الحق الخارجي الإمام

عبد الله بن يحيى الكندي، أحد بني عمرو بن كنانة.

[١٥٩٩] كان من حضرموت، مجتهداً عابداً، كان يقول قبل أن يخرج: لقيني رجل فأطال النظر إلي وقال: ممن أنت؟

(١) سورة المائدة: ٤٣.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٧/ ٦٥٤-٦٦١.

فقلت: من كندة.

فقال: من أيهم؟

فقلت: من بني شيطان.

فقال: والله لتملكن ولتبلغن وادي القرى وذلك بعد أن تذهب إحدى عينيك، وقد ذهبت، وأنا أتخوف ما قال، وأستخير الله.

[١٦٠٠] فرأى باليمن جَوْراً ظاهراً، وعَسْفاً شديداً، وسيرة قبيحة، فقال لأصحابه: ما يحل لنا المقام على ما نرى ولا يسعنا الصبر عليه، وكتب إلى أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة الذي يقال له كرزين مولى تميم- وكان ينزل في الأزد- وإلى غيره من الإباضية بالبصرة يشاورهم في الخروج فكتبوا إليه: إن استطعت ألاَّ تقيم يوماً واحداً فافعل، وشخص إليه المختار بن عوف الأزدي وبلج بن عقبة السقوري في رجال من الإباضية، وأتوه إلى حضرموت وسموه طالب الحق.

وكثر جمعه، وتوجه إلى صنعاء سنة تسع وعشرين ومائة في ألفين، وجرت له حروب ثم دخلها وجمع الخزائن والأموال فأحرزها، ولما استولى على بلاد اليمن خطب فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ ووعظ وذكر وحذر ثم قال: إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وإجابة من دعا إليهما، الإسلام ديننا، والكعبة قبلتنا، والقرآن إمامنا، رضينا بالحلال حلالاً لا نبغي به بدلاً، ولا نشتري به ثمناً، حرمنا الحرام ونبذناه وراء ظهورنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإلى الله المشتكى وعليه المعول، من زنا فهو كافر، ومن سرق فهو كافر، ومن شرب الخمر

فهو كافر[١]، ومن شك في أنه كافر فهو كافر، ندعوكم إلى فرائض بينات وآيات محكمات، وآثار يقتدى بها، ونشهد أن الله صادق فيما وعد، وعدل فيما حكم، ندعوكم إلى توحيد الرب، واليقين بالوعد والوعيد، وأداء الفرائض، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والولاية لأهل ولاية الله، والعداوة لأعداء الله، أيها الناس، إن من رحمة الله أن جعل في كل فترة بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون على الألم في جنب الله، يقتلون على الحق سالف الدهور شهداء، فما نسيهم ربهم ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[٢]، أوصيكم بالتقوى وحسن القيام على ما وكلتم بالقيام به، فأبلوا لله بلاءً حسناً في أمره وزجره، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

وأقام بصنعاء أشهراً يحسن السيرة، وأتته الشُراة[٣] من كل جانب، ولما كان وقت الحج جهز أبا حمزة المختار بن عوف وبلج بن عقبة وأبرهة ابن الصباح إلى مكة في سبعمائة-وقيل: في ألف- وأمره أن يقيم بمكة إذا صدر الناس ويوجه بلجاً إلى الشام، وجرت حروب وخطوب يطول شرحها، ثم إن مروان[٤] انتخب من عسكره أربعة آلاف فارس وقدم عليهم عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي، فالتقى أبو حمزة وابن عطية بأسفل مكة فخرج أهل مكة مع ابن عطية، فقتل أبو حمزة على فم الشعب وتفرق الخوارج، وصلب أبو حمزة وأبرهة بن الصباح، وعلي بن الحسين، ولم يزالوا كذلك إلى أن حج مهلهل الهجيمي في خلافة أبي العباس

---

(١) هذا على مذهب الخوارج، وهو التكفير بالكبائر.

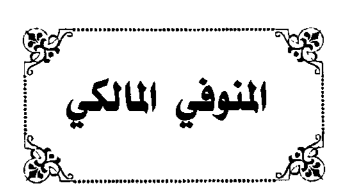
(٢) سورة مريم: ٦٤.

(٣) أي الخوارج.

(٤) هو مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية.

فأنزلهم ودفنهم.

وكان ابن عطية قد بعث برأس أبي حمزة إلى مروان، وخرج إلى الطائف وقاتل عبد الله بن يحيى وجرت بينهما حروب، وآخر الأمر التقيا في مكان كثير الشجر والكرم والحيطان، فترجل عبد الله بن يحيى في ألف فارس، وقاتلوا حتى قتلوا، وبعث عبد الملك بن عطية برأس عبد الله بن يحيى إلى مروان مع ابنه يزيد بن عبد الملك[1].



المنوفي المالكي

عبد الله المنوفي المالكي العالم الصالح.

[١٦٠١] أخبرني من لفظه العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي قال: اجتمع به الأمير سيف الدين بكتمر الساقي زائراً وحمل إليه سبعين ألف درهم فامتنع من قبولها وقال له: ما لي بها حاجة، فقال له: ففرقها على من تختار، فقال: نعم، حتى أنظر في ذلك إلى غد، فلما أصبح ردها وقال: ما أعرف أحداً فأخذها منه.

[١٦٠٢] وقال أيضاً: إنه جاء في بعض الأيام إلى شواء عند رأس غنم قد شواه، فقال له: بكم هذا؟

فقال: بخمسة وعشرين درهماً.

فقال: هات الميزان، ووزن له الثمن، وطلب حمالاً فحمل له ذلك الرأس وتوجه به إلى كيمان البرقية، ودعا الكلاب وجعلهم يأكلون من

---

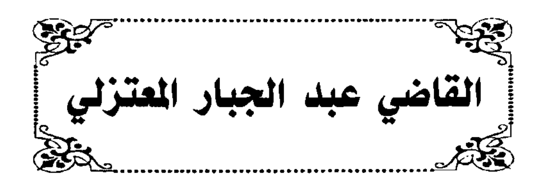
(١) الوافي بالوفيات: ١٧/ ٦٧٣-٦٧٦.

ذلك الرأس إلى أن فرغ، فغسل يده ودفع إلى الحمال أجرته، فراح الحمال إلى الشواء وقال له:

هذا الذي اشترى منك هذا الرأس مجنون؛ لأنه توجه به وأطعمه الكلاب.

فقال له الشواء: لاوالله، هذا رجل صالح لأنه لم يكن عندي غيره، ولما أصبحت اليوم وجدته ميتاً، وأنا لا أملك غيره فشويته على أني أبيعه، فجاء وفعل ما رأيت فأطعمه الكلاب حتى لا يأكل الناس منه.

وكان ﷺ من العلماء المجيدين في مذهب الإمام مالك يقري الناس، وتوفي في سابع شهر رمضان سنة تسع وأربعين وسبعمائة[١].



القاضي عبد الجبار المعتزلي

عبد الجبار بن أحمد، القاضي أبو الحسن الهَمْداني المعتزلي، قاضي قضاة الري، شيخ الاعتزال.

توفي سنة أربع عشرة وأربع مائة، وقيل: سنة خمس عشرة، زاد سنه على التسعين.

كان كثير المال والعقار، ولي قضاء القضاة بالري وأعمالها بعد امتناع منه وإباء وإلحاح من الصاحب بن عباد.

وهو صاحب التصانيف المشهورة في الاعتزال، وتفسير القرآن، وكان

(١) الوافي بالوفيات: ١٧/ ٧٠٠، ٧٠١.

مع ذلك شافعي المذهب.

[١٦٠٣] وكان الصاحب[١] قد أنفذ إلى أستاذه أبي عبد الله البصري يسأله إنفاذ رجل يدعو الناس بعمله وعلمه إلى مذهبه، فأنفذ إليه أبا إسحاق النصيبي -وكان حسن اللفظ والحفظ- فلم ينفق على الصاحب لشراسة أخلاقه، واحتشم الصاحب أن يجزيه بما يكره، فأكل معه يوماً وأكثر من أكل الجبن، فقال له الصاحب: لا تكثر من أكل الجبن؛ فإنه يضر الذكاء، فقال النصيبي: لا تطبب الناس على مائدتك، فساءت هذه الكلمة الصاحب، فبعث إليه بخمس مائة دينار وثياب ورَحْل وأمره بالانصراف عنه، وكتب إلى أبي عبد الله البصري: أريد أن تبعث لي رجلاً يدعو الناس بعقله أكثر مما يدعوهم بعلمه وعمله، فأنفذ إليه عبد الجبار فرأى منه جبل علم وأخلاقاً مهذبة فنفق عليه[٢].

[١٦٠٤] ودرَّس القاضي عبد الجبار مسألة في بعض الأيام فقال: تقوم علي هذه المسألة بمائة وثلاثين ألف درهم، فسأله التلامذة عن ذلك فقال: كان يلازمني حدَثٌ من أهل قزوين لم يكن له رغبة في العلم، فعلمت أن ملازمته لي رغبة في جاهي، فاتفق أن توجهت عليه مطالبة تتعلق بدار الضَرْب[٣] بقزوين، فقرر عليه مائة وثلاثون ألف درهم، فقصدني وشكا إلي فما ظهرت له نصيحتي، فحضرت مجلس الصاحب فسألني عن هذه المسألة، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[٤] هل في النصارى من يقول إن

---

(١) هو الصاحب بن عباد الوزير المعتزلي.

(٢) نفق أي راج.

(٣) أي دار ضرب النقود.

(٤) سورة المائدة: ١١٦.

مريم إله؟ فقلت: هذا على سبيل الإلزام، يلزمهم بمقتضى قولهم في عيسى أن يقولوه في مريم.

وسألني عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[1] كيف قرن بين لفظ فاعل بفعول وأحدهما يراد به المبالغة دون الآخر؟ فقلت: نعم الله -تعالى- على عباده كثيرة، فكل شكر يأتي في مقابلتها قليل، وكل كفر يأتي في مقابلتها عظيم، فجاء بلفظ فاعل ليس للمبالغة، وجاء كفور على وزن فعول للمبالغة، فتهلل وجهه، فقلت: هذه ساعة تليق أن أخاطبه في أمر القزويني، فلما خاطبته قال: يحكم القاضي، فقلت: إن حكمت بشيء يسير نسبني إلى ضعف النفس وصغر الهمة، فقلت: تسقط عنه مائة ألف درهم، فقال الصاحب: والعلاوة[2] أيضاً.

[١٦٠٥] وكان قبل اتصاله بالصاحب على حظٍ من الفقه، وكان له زوجة وولد، وابتاع ليلة من الليالي دهناً ليداوي به جرباً كان عليه، فلما أظلم الليل تفكر: هل يطلي الجرب أو يشعل به السراج ولا تفوته مطالعة الكتب، فرجح عنده الإشعال للمطالعة، فما بَعُدَ أن أرسل الصاحب وراءه وولاه القضاء فملك الأموال.

[١٦٠٦] وكان موصوفاً بقلة الرعاية للحقوق، فأول ذلك أنه كان يكتب للصاحب على عنوان كتبه «عبده وصنيعه وغرسه عبد الجبار» فلما رأى منزلته منه ومعرفته لحقه وإقباله عليه كتب: «عبده وصنيعه ثم كتب غرسه»، فقال الصاحب لجلسائه: إن تطاول مقام القاضي عندنا عنون كتبه إلينا الجبار وترك ما سواه من اسمه.

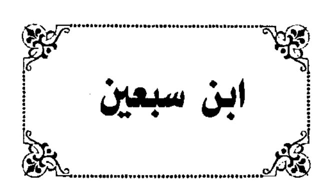
---

(١) سورة الإنسان: ٣.

(٢) أي الزيادة وهي ثلاثون ألفاً.

ولما مات الصاحب كان يقول: أنا لا أترحم عليه؛ لأنه لم يظهر توبته فطعن الناس عليه بذلك، ومقتوه مع كثرة إحسان الصاحب إليه، وكان عاقبة ذلك أن قبض فخر الدولة عليه بعد موت الصاحب وصادره على ثلاثة آلاف ألف درهم، وعزله عن قضاء الري وولّى مكانه القاضي أبا الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني العلامة صاحب التصانيف التي منها «الوساطة» ويقال: إن عبد الجبار باع في مصادرته ألف طيلسان مصري.

[١٦٠٧] وهو شيخ المعتزلة ورئيس طائفتهم، يزعم أن المسلم يخلد في النار على ربع دينار، وجمع هذا المال من القضاء والحكم بالظلم والرشا، وتولاها عن قوم هم في مذهبه ظلمة بل كفرة[١].



ابن سبعين

عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن سبعين، الشيخ قطب الدين أبو محمد المرسي، الصوفي.

كان صوفيّاً على قواعد الفلاسفة، وله كلام كثير في العرفان وتصانيف، وله أتباع ومريدون يعرفون بالسبعينية.

[١٦٠٨] قال الشيخ شمس الدين[٢]:

ذكر شيخنا قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد، قال: جلست مع ابن سبعين من ضحوة إلى قريب الظهر، وهو يسرد كلاماً تعقل مفرداته

(١) الوافي بالوفيات: ١٨/ ٣١-٣٤.

(٢) هو الإمام الذهبي رحمه الله تعالى.

ولا تعقل مركباته.

[١٦٠٩] قال الشيخ شمس الدين:

واشتهر عنه أنه قال: لقد تحجر ابن آمنة واسعاً بقوله: **«لا نبي بعدي»** فإن كان ابن سبعين قال هذا فقد خرج به من الإسلام، مع أن هذا الكلام هو أخف وأهون من قوله في رب العالمين: «إنه حقيقة الموجودات» تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

[١٦١٠] وحدثني فقير صالح أنه صحب فقراء من السبعينية، وكانوا يهونون له ترك الصلاة وغير ذلك، فقال: وسمعت أن ابن سبعين فصد يديه وترك الدم يخرج حتى تصفى، ومات بمكة في ثامن عشرين شوال سنة ثمان وستين وست مائة، وله خمس وخمسون سنة.

قال الشيخ صفي الدين الأرموي الهندي:

حججت في حدود سنة ست وستين وبحثت مع ابن سبعين في الفلسفة، وقال لي: لا ينبغي لك الإقامة بمكة.

فقال له: كيف تقيم أنت بها؟

قال: انحصرت القسمة في قعودي بها، فإن الملك الظاهر يطلبني بسبب انتمائي إلى أشراف مكة، واليمن صاحبها له فيَّ عقيدة ولكن وزيره حشوي يكرهني.

قال صفي الدين: وكان داوى صاحب مكة فصارت عنده له بذلك مكانة، يقال: إنه نفى من المغرب بسبب كلمة كفر صدرت عنه، وهي أنه قال: لقد تحجر ابن آمنة... كما مر، انتهى ما نقلته من كلام الشيخ شمس الدين.

[١٦١١] قلت: ولقد اجتمعت بجماعة من أصحاب أصحابه، ورأيتهم ينقلون عن أولئك أن ابن سبعين كان يعرف السيمياء والكيمياء، وأن أهل مكة كانوا يقولون إنه أنفق فيها ثمانين ألف دينار، وإنه كان لا ينام كل ليلة حتى يكرر على ثلاثين سطراً من كلام غيره، وإنه لما خرج من وطنه كان ابن ثلاثين سنة أو ما حولها، وخرج في خدمته جماعة من الطلبة والأتباع وفيهم الشيوخ، وأنهم لما أبعدوا بعد عشرة أيام أدخلوه الحمام ليزيل وعثاء السفر فدخلوا في خدمته وأحضروا له قيماً، فأخذ القيم يحك رجليه ويسألهم عن وطنهم لما استغربهم، فقالوا له:

من فلانة.

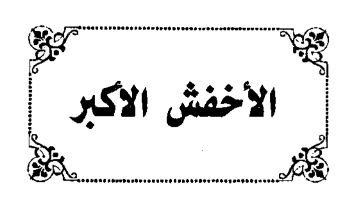
فقال لهم: من البلد التي ظهر فيها الزنديق ابن سبعين؟

فأومأ إليهم ألاَّ يتكلموا وقال هو: نعم، فأخذ يسبه ويلعنه كثيراً، وهو يقول له: استقص في الحك، وذاك القيم يزيد في اللعن والذم وهو لا يزيده إلا استقص، إلى أن فاض أحدهم غيظاً وقال له: ويلك هذا الذي تسبه قد جعلك الله تحك رجليه، وأنت في خدمته أقل غلام يكون، فسكت خجلاً وقال: أستغفر الله.

ويحكون عنه أشياء من الرياضة، وكلامه مفحل محشو بقواعد الفلاسفة وله كتاب «البُدُّ» يعني: أنه لابد للعارف منه، وكتاب «الإحاطة» ومجلدة صغيرة في الجوهر وغير ذلك، وله عدة رسائل بليغة المعنى فصيحة الألفاظ[1].

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٨/ ٦٠-٦٤.



الأخفش الأكبر

عبد الحميد بن عبد المجيد، مولى قيس بن ثعلبة، الأخفش الأكبر أبو الخطاب.

إمام في علم العربية قديم، لقي الأعراب وأخذ عنهم، وأخذ عنه أبو عبيدة، وسيبويه، والكسائي، ويونس بن حبيب وأخذ هو عن أبي عمرو ابن العلاء وطبقته، وكان ديناً ورعاً ثقة.

قال المرزباني: هو أول من فسر الشعر تحت كل بيت، وما كان الناس يعرفون ذلك قبله، وإنما كانوا إذا فرغوا من القصيدة فسروها.

[١٦١٢] وقف أبو الخطاب على أعرابي يريد الحج فقال له: أتقرأ من القرآن شيئاً؟ قال: نعم، قال: فاقرأ، فقال [الطويل]:

فإن كنت قد أيقنت أنك ميت ... وأنك مجزي بما كنت تفعل

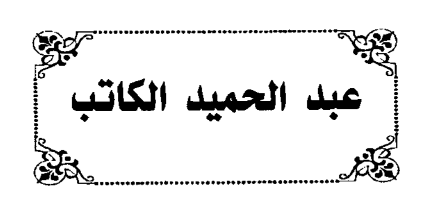
فكن رجلاً من سكرة الموت خائفاً ... ليوم به عنك الأقارب تشتغل

فقال له: ليس هذا من القرآن، قال: بلى فاقرأ أنت، فقرأ ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾(١) فقال: هذه أخت التي تلوتها سواء، إلا أنها بعد لم تنتظم لك(٢).

---

(١) سورة ق: ١٩.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٨/ ٨٠،٨١.



عبد الحميد الكاتب

عبد الحميد بن يحيى بن سعد، أبو يحيى الكاتب، مولى العلاء بن وهب العامري الأنباري.

كان يعلم الصبيان وينتقل في البلدان، سكن الرقة وله بها عقب، كان من الكتاب الفضلاء البلغاء الذين يضرب بهم المثل في الكتابة، وكان أوحد دهره بلغ مجموع رسائله نحواً من ألف ورقة، وأستاذه في الكتابة: سالم مولى هشام بن عبد الملك.

تولى عبد الحميد الكتابة لمروان بن محمد بن مروان بن الحكم، آخر خلفاء الأمويين.

[١٦١٣] لما قوي أمر بني العباس، قال مروان لعبد الحميد: إنا نجد في الكتاب[١] أن هذا الأمر زائل عنا لا محالة، وسيضطر إليك هؤلاء القوم فصر إليهم، فإني أرجو أن تتمكن منهم فتنفعني في مخلفي وفي كثير من أموري.

فقال: وكيف لي بأن يعلم الناس جميعاً أن هذا عن رأيك، وكلهم يقول إني غدرت بك وإني صرت إلى عدوك [الطويل]:

أُسِرُّ وفاء ثم أُظهر غدرة ... فمن لي بغدر يوسع الناس ظاهره؟

ثم أنشد أيضاً [الوافر]:

فلوم ظاهر لا شك فيه ... للائمة وعذري بالمغيب

---

(١) أي كتاب هذا ؟!

فلما سمع ذلك مروان علم أنه لا يفعل، ثم قال عبد الحميد: إن الذي أمرتني به أنفع الأمرين لك وأقبحهما لي، ولك علي الصبر إلى أن يفتح الله عليك أو أقتل في جماعتك، ولكن دعني أكتب إلى أبي مسلم كتاباً إن قرأه على نفسه جبنه وفزعه، وإن قرأه على جيشه فلّله وفرقه، فكتب إليه طومار حمل على بعير، فوصل الرسول إلى أبي مسلم وهو بالري فوضع الكتاب بين يديه في سرادقه، وجمع عساكره ووزراءه، فلما حضروا أمر بنار فأضرمت ثم قال لكاتبه: اقطع من رأس هذا الطومار قدر الراحة ثم قال: اكتب إلى مروان جوابه [الطويل]:

محا السيفُ أسطارَ البلاغة وانتحت   عليك صدور الخيل من كل جانب

وسلم الجواب إلى الرسول، ثم أمر بالطومار فوضع في النار ولم يقرأه ولا فضه.

[١٦١٤] وقيل لعبد الحميد: ما الذي مكنك من البلاغة وخَرّجك فيها؟ قال: كلام الأصلع، يعني علي بن أبي طالب ﷺ.

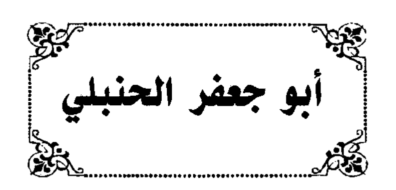
[١٦١٥] وأهدى عامل لمروان غلاماً أسود، فقال لعبد الحميد: اكتب إليه واذممه واختصر، فكتب: «لو وجدت لوناً شرّاً من السواد وعدداً أقل من الواحد لأهديته».

وعبد الحميد أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب.

وقيل: إنه قتل مع مروان على بوصير سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وقيل: إنه استخفى لما قتل مروان وكان بالجزيرة فغمز عليه، فدفعه السفاح إلى عبد الجبار بن عبد الرحمن صاحب شرطته، فكان يحمي له طستاً ويضعه على رأسه إلى أن مات سنة أربع وثلاثين.

وكان يعقوب بن داود، وزير المهدي، كاتباً بين يدي عبد الحميد وعليه تخرج.

كان المنصور كثيراً ما يقول بعد إفضاء الأمر إليهم: غلبنا بنو مروان بثلاثة أشياء: بالحجاج، وعبد الحميد الكاتب، وبالمؤذن البعلبكي[1].



أبو جعفر الحنبلي

عبد الخالق بن عيسى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن أحمد بن موسى ابن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب، أبو جعفر بن أبي موسى الفقيه، إمام طائفة الحنابلة في زمانه بلا مدافعة.

[١٦١٦] كان ورعاً زاهداً مفنناً عالماً بأحكام القرآن والفرائض، دفن إلى جانب الإمام أحمد وختم على قبره نحو عشرة آلاف ختمة، وكان دفنه يوماً مشهوداً، وتوفي سنة سبعين وأربع مائة.

[١٦١٧] وكان قد انقطع إلى الزهد والعبادة وخشونة العيش والشدة والصلابة في مذهبه حتى أفضى ذلك إلى مسارعة العوام إلى إيذاء الناس، وإقامة الفتنة وسفك الدماء وسب العلماء وتكفير طوائف المسلمين، فأخذ وحبس إلى حين وفاته.

[١٦١٨] وأراد العوام دفنه في قبر الإمام أحمد فقال لهم أبو محمد التميمي: لا يجوز دفنه فيه، فإن بنت أحمد دفنت عند أبيها، فقال له بعض العوام: اسكت قد زوجناه ببنت الإمام أحمد.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٨/ ٨٦-٨٨.

[١٦١٩] ورويت له المنامات الصالحة، من ذلك أنه قيل لـه: مـا فعـل الله بك؟ فقال: لما وضعت في قبري رأيت فيه قبة من درة بيضاء لها ثلاثـة أبواب وقائلاً يقول: هذه لك، ادخل من أي أبوابها شئت(١).



وضَّاح اليمن

عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كَلال الحميري الخـولاني، المعـروف بوضاح اليمن.

قيل: هو من الفرس الذين قدموا الـيمن لنصـرة سـيف بـن ذي يـزن على الحبشة، وكان من حسنه يتقنع في المواسم مخافة العين.

[١٦٢٠] وكان يهوى امرأة من اليمن اسمها روضة ويشبب بها، فمن ذلك قوله [السريع]:

قالــــت ألا لا تَلِجَـــنْ دارنــــا	إن أبانـــــا رجـــــل غــــاير
قلـــت فـــإني طالـــبٌ غِـــرَّة	وإن ســـيفي صـــارمٌ بـــاتر
قالــت فــإن القصــر مــن دوننــا	قلـــت فـــإني فوقـــه طـــائر
قالــت فــإن البحــر مــن دوننــا	قلـــت فـــإني ســـابح مـــاهر
قالـــت فحـــولي إخـــوة ســبعة	قلـــت فـــإني لهـــم حـــاذر
قالـــت فليـــثٌ رابـــض دوننـــا	قلـــت فـــإني أســـد عـــاقر
قالـــت فـــإن الله مـــن فوقنـــا	قلـــت فربـــي راحـــم غـــافر

(١) الوافي بالوفيات: ١٨/ ٩٠، ٩١.

قالـــت فقـــد أعييتنـــا حجـــة فَائْـــتِ إذا مـــا هجـــع الســـامر
واســقط علينــا كســقوط النــدى ليلـــة لا نـــاهٍ ولا آمـــر[1]

[١٦٢١] ولما استأذنت أم البنين-بنت عبد العزيز- من الوليد بن عبد الملك في الحج أذن لها وهـو خليفـة وهـي زوجتـه، وكتـب الوليـد يتوعـد الشعراء جميعاً أن يذكرها أحد منهم أو يذكر أحداً ممن تبعها، فقدمت مكة و تراءت للناس، وتصدى لها أهل الغزل والشعراء، ووقعـت عينهـا علـى وضاح فهويته، وأنفذت إلى كُثَيِّر وإلى وضَّاح أن انسبا بي، فكره ذلك كُثَيِّر وشبب بجاريتها غاضرة وذلك في قوله [الوافر]:

شجا أظعان غاضرة الغوادي

وأما وضاح فإنه صرح فبلـغ ذلـك الوليـد فقتلـه، وقيـل: إنـه مـدح الوليد، فوعدته أن تعينه على رِفده[2] وتقوي أمـره، فقـدم عليـه وأنشـده [الوافر]:

صـــبا قلـــبي إليـــك ومـــال مـــيلاً وأرقـــني خيالـــك يـــا أثـــيلا
يمانيـــة تُلِـــمُّ بنـــا فتُبـــدِي دقيـــق محاســـن وتكـــنُّ غَـــيْلا[3]

وهي أبيات مشهورة فأحسن رِفْده، ثم نمى إليه أنه يشبب بـأم البـنين، فجفاه وحجبه ودبر في قتله، واختلسه ودفنه في داره.

وقيل: إن أم البنين كانت ترسل إليه فيدخل إليها ويقيم عنـدها، فـإذا

---

(١) لم أورد هذه الأبيات إلالجمالها وحلاوة أسلوبها وأنا لا أرضى ما فيها ألبتة من تهاون بالحرمات وتساهل وتجاوز.
(٢) أي عطاءه.
(٣) أي وتخفي سِمَناً في أعضائها.

خافت وارته في صندوق كان عندها، فأهـدي إلى الوليـد جـوهر فأعجبـه ودعى خادماً وبعث به إلى أم البنين، فدخل عليها مفاجأة ووضاح عندها، فرآه وقد وارته فقال لها:

يا مولاتي هبي لي منه حجراً.

فقالت: لا يا ابن اللخناء ولا كرامة، فرجع إلى الوليد وأخـبره الخـبر، فقال له:

كذبت، وأمر به فوجئت عنقه، ثم أتى أم البنين وهي تمتشط في بيتهـا، وقد وصف له الخادم ذلك الصندوق فجاء فجلس عليه وقال لها:

يا أم البنين ما أحب إليك هذا البيت من بين بيوتك، فلم تختارينه؟

قالت: أختاره لأنه يجمع حوائجي كلها فأتناولها منه من قرب على مـا أريد.

فقال لها: هبي لي صندوقاً من هذه الصناديق.

فقالت: كلها لك يا أمير المؤمنين.

فقال: ما أريد كلها، إنما أريد واحداً منها.

فقالت: خذ أيها شئت.

قال: هذا الذي جلست عليه.

قالت: غيره خذ فإن لي فيه أشياء أحتاج إليها.

قال: ما أريد غيره.

قالت: خذه، فدعا بالخدم وأمرهم بحمله، حتى انتهـى بـه إلى مجلسـه، وحفر بئراً عميقة في المجلس إلى الماء تحت بساطه ووضـع الصـندوق علـى

شفير البئر ودنا منه وقال: يا صاحب الصندوق إنه بلغنا شيء، فإن كان حقّاً فقد كفيناك ودفناك ودفنا ذكرك وقطعنا أثرك إلى آخر الدهر، وإن كان باطلاً فإنما دفنا الخشب وما أهون ذلك، ثم قذف به في البئر وهيل عليه التراب وسويت الأرض ورد البساط وجلس عليه الوليد، وما رأى الوليد ولا أم البنين في وجه واحد منهما أثراً حتى فرق الدهر بينهما.

قال البلاذري:

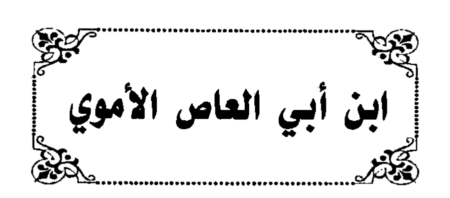
أم البنين صاحبة وضاح اليمن ليست ببنت عبد العزيز بن مروان، وإنما هي أم البنين بنت المحرم من حمير من أهل اليمن، وكانت جميلة عشقها وضاح وعشقته فتزوجها وخرج بها إلى مكة وطلقها، فحج الوليد وهي بمكة فبلغه حسنها وجمالها فتزوجها وخرج بها إلى الشام، وخرج وضاح خلفها ففعل به الوليد ما فعل.

قلت: أنا في حيرة من أمر أم البنين وما جرى لها مع وضاح، إن قلنا إنها بنت عبد العزيز فنحاشيها من ذلك؛ لأنها كانت من العفائف العابدات، وقد قيل: إنها كانت توجد في ذلك المكان تبكي إلى أن وجدت يوماً مكبوبة على وجهها ميتة، وهذا لا يصح أيضاً فإنها توفيت سنة سبع عشرة ومائة، والوليد توفي سنة ست وتسعين، وكان أبوه قد زوجه إياها في حال حياته.

وإن قلنا إن أم البنين هي بنت المحرم الحميرية فلا يصح احتمال الوليد قصتها مع وضاح اليمن وأنه ما واجهها بذلك؛ لأنه إنما فعل ذلك مع أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان؛ لشرفها ومكانها من قومها، والله أعلم بحقيقة الحال في ذلك[1].

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٨/ ١١٧-١٢٠.



ابن أبي العاص الأموي

عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص الأموي أخو مروان، شاعر محسن شهد يوم الدار، وتوفي في حدود السبعين للهجرة.

[١٦٢٢] كان حاضراً عند يزيد بن معاوية وقد جيء إليه برأس الحسين ووضع بين يديه في طست، فبكى عبد الرحمن ثم قال [الطويل]:

أبلغ أمير المؤمنين فلا تكن ... كمُوتر قوس ثم ليس لها نبلُ

لَهَامٌ بجنب الطَفِّ أدنى قرابة ... من ابن زياد الوغد ذي الحسب الرَذْل[1]

سمية أمسى نسلها عدد الحصى ... وبنت رسول الله ليس لها نسل

فصاح يزيد وقال: اسكت يا ابن الحمقاء، وما أنت وهذا؟

وقال: لما ادعى معاوية زياداً، وبعض الناس ينسبه لابن مفرغ وهو خطأ [الوافر]:

[١٦٢٣] ألا أبلغ معاوية بن حرب ... مُغَلْغَلة عن القوم الهجان[2]

أتغضب أن يقال أبوك عف ... وترض أن يقال أبوك زاني

فأشهد أن رحمك من زياد ... كرحم الفيل من ولد الأتان[3]

---

(١) الطَف: مكان قتل الحسين ﷺ، والهام: الرأس.

(٢) في ((الأغاني)): ١٣/ ٢٠٩: من الرجل الهجان، وفي ((فوات الوفيات)): ٢/ ٢٧٨: من القَرْم – أي السيد– الهجان، وهي أقرب، والله أعلم.

والهجان: الكريم الحسيب، والمغلغلة: الرسالة تحمل من بلد لآخر، وانظر ((الأغاني)): ١٣/ ٢٩٠.

(٣) الأتان: أنثى الحمار.

وأشــهد أنهــا ولــدت زيــاداً وصــخر مــن أميــة غــير دان

فبلغ ذلك معاوية فحلف لا يرضى عنه حتى يرضى عنه زياد، فخرج عبد الرحمن إلى زياد فلما دخل عليه قال: إيه يا عبد الرحمن أنت القائل:

«ألا أبلغ معاوية بن حرب...» الأبيات.

فقال: أيها الأمير ما قلت هذا، ولكني قلت [الوافر]:

ألا مَــنْ مُبلــغ عــني زيــاداً مغلغلــة مــن الرجــل الهجــان

مــن ابــن القَــرْم قَــرمِ بــني قصــي أبي العاص ابن آمنـة الحَصَـان[1]

حلفــت بــرب مكــة والمصــلى وبــالتوراة أخلــف والقُــران

لأنــت زيــادة في آل حــرب أحــب إلــي مــن وُسْـطَى بنـاني

ســررت بقربــه وفرحــت لمــا أتــاني الله منــه بالبيــان

وقلــت أتــى أخــو ثقــة وعــمٌ بعــون الله في هــذا الزمــان

كــذاك أراك والأهــواء شــتى فمــا أدري بغيــبٍ مــا تراني

فرضي عنه زياد وكتب له إلى معاوية برضاه عنه، فلما دخل بالكتاب قال: أنشدني ما قلته لزياد، فأنشده فتبسم ثم قال: قبح الله زياداً فما أجهله، لمَاَ قلت له أخيراً، حيث يقول:

«لأنت زيادة في آل حرب...» البيت.

شر من القول الأول ولكنك خدعته فجازت خديعتك عليه[2].

---

(١) الحَصان: العفيفة.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٨/ ١٣٨-١٤٠.

أبو النصر الهروي

عبد الرحمن بن عبد الجبار بن عثمان الفامي، أبو النصر بن أبي عبد الرحمن من أهل هراة.

كان من المُعَدِّلين بها، ومن وجوه محدثيها وأدبائها، وأولاده وأحفاده شهود.

وحدث باليسير، وتوفي سنة ست وأربعين وخمس مائة.

[١٦٢٤] ومن شعره [الوافر]:

يروم القلب عيشاً مستطاباً ... مُداماً لا يغيره الزوال

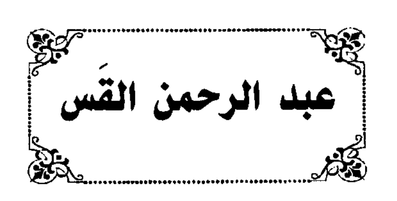
ومن عرف الزمان درى يقيناً ... بأن منال ما يرجو محال

فطب نفساً بما قضت الليالي ... فليس لدفع ما يُقضى احتيال

فلا حزن يدوم ولا سرور ... ولا هجر يدوم ولا وصال

وكان كثير الصلاة والصدقة، دائم الذكر، متودداً متواضعاً، له معرفة بالحديث والأدب، يكرم الغرباء وفيه دماثة أخلاق، حسن السيرة جميل الطريقة[١].

(١) الوافي بالوفيات: ١٨/ ١٥٥،١٥٦.



عبد الرحمن القَس

عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار، من بني جُشَم بن معاوية، كان فقيهاً عابداً من عباد مكة فسُمي القَس لعبادته.

وكان يشبه بعطاء بن أبي رباح.

[١٦٢٥] سمع يوماً غناء سَلاّمة جارية سهيل بن عبد الرحمن على غير تعمد منه، فبلغ غناؤها منه كل مبلغ فرآه مولاها، فقال له: هل لك أن أخرجها إليك، أو تدخل فتسمع غناءها ولا تراها ولا تراك، فأبى فلم يزل به حتى أخرجها إليه فأقعدها بين يديه فغنته، فشغف بها. وعرف ذلك أهل مكة، واشتهر بها، فهي تعرف بسلاّمة القَس.

[١٦٢٦] وقالت له يوماً: أنا والله أحبك.

قال: وأنا والله أحبك.

قالت: وأحب أن أضع فمي على فمك.

قال: وأنا والله أحب ذلك.

قالت: وألصق بطني مع بطنك.

قال: والله وأنا أحب ذلك.

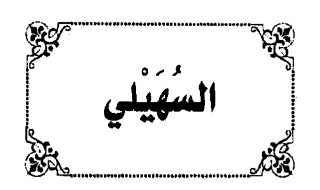
قالت: فما يمنعك فإن الموضع لخال؟

قال: إني سمعت الله -جل وتعالى- يقول: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾[1] فأنا أكره أن يكون خلة ما بيني وبينك

---

(١) سورة الزخرف: ٤٣.

تؤول إلى عداوة، ثم قام وانصرف وعاد إلى ما كان عليه من النسك[1].



عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، الإمام الخيِّر أبو القاسم وأبو زيد، - ويقال: أبو الحسن - بن الخطيب أبي عمر بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي الأندلسي المالقي الحافظ صاحب المصنفات.

توفي سنة إحدى وثمانين وخمس مائة.

وكف بصره وهو ابن سبع عشرة سنة.

كان عالماً بالعربية واللغة والقراءات، بارعاً في ذلك، تصدر للإقراء والتدريس والحديث، وبَعُدَ صيته وجل قدره.

[١٦٢٧] جمع بين الرواية والدارية، له من المصنفات: «الروض الأُنُف» في شرح السيرة، وهو كتاب جليل جَوّد فيه ما شاء، ذكر في آخره أنه استخرجه من نيف وعشرين ومائة ديوان، واستدعي إلى مراكش وحظي بها، وولي قضاء الجماعة وحسنت سيرته.

وأصله من قرية بوادي سهيل من كورة مالقة، لا يرى سهيل من جميع المغرب إلا من جبل مطل على هذه القرية.

[١٦٢٨] ومن شعره يرثي بلده، وكان الفرنج قد خربته وقتلت رجاله ونساءه، وكان غائباً عنه [الكامل]:

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٨/ ١٦٤، ١٦٥.

يـــا دار أيـــن البـــيض والأرْآم أم أيــن جــيرانٌ علــيَّ كــرام [1]

دار المحـــبِّ مـــن المنـــازل آيـــة حيَّـى فلـم يرجـع إليـه سـلام

أَخَرِسْـنَ أم بعـد المـدى فنسـينه أم غَالَ من كان الحبيب حِمـام[2]

دمعـي شـهيدي أنـي لم أنسـهم إن السُلُوَّ علـى المحـب حـرام

لمـا أجـابتني الصـدى عـنهم ولم يلـج المسـامعَ للحبيـب كـلام

طارحـت وُرْقَ حمامهـا مترنِّمـاً بمقالِ صَـبٍّ والـدموع سِـجام[3]

يـا دار مـا صـنعت بـك الأيـام ضـامتك والأيـام لـيس تضـام

[١٦٢٩] وله الأبيات المشهورة وهي [الكامل]:

يا من يرى ما في الضمير ويسمع أنـت المعـد لكـل مـا يتوقـع

يـا مـن يُرَجّـى للشـدائد كلـها يـا مـن إليـه المشـتكى والمفـزع

يا من خـزائن رزقـه في قـول: كـن امـنن فـإن الخـير عنـدك أجمـع

ما لي سـوى فقـري إليك وسيلة فبالافتقـار إليـك ربـي أضـرع

ما لـي سـوى فقـري إليـك حيلـة فلـئن رددت فـأيَّ بـاب أقـرع

ومن الـذي أدعـو وأهتـف باسمـه إن كان فضلك عـن فقـيرك يمنـع

حاشـى لجـودك أن يُقَـنِّط عاصـياً الفضل أجزل والمواهب أوسع[4]

---

(١) الأرآم : الظبية.

(٢) غال من الغيلة وهو الهلاك، والحمام: الموت.

(٣) أي والدموع سائلة، والصَب: العاشق.

(٤) الوافي بالوفيات: ١٨/ ١٧٠-١٧٢.



دحمان الأشقر المغني

عبد الرحمن بن عبد الله، هو دحمان الأشقر المغني، مولى بني ليث.

كان بالمدينة في حياة الأربعة الحذاق: ابن سريج، ومعبد، ومالك، وابن عائشة ويأخذ منهم، وكان جيد الصوت والضرب، من فحول المغنين.

وكان فاضلاً عفيفاً حسن المذهب، يوالي بين الحج والغزو، عاش تسعين سنة ومات في خلافة الرشيد.

قال إسحاق: قال دحمان: ما رأيت باطلاً أشبه بحق من الغناء.

وكان منقطعاً إلى جعفر بن سليمان وهو على المدينة، وكان دحمان يقول: ما رأيت مثل مجلس جعفر، فيه الفقهاء والعلماء والأدباء والشعراء والقراء والمغنون وأصحاب النجوم والغريب والمضحكون.

[١٦٣٠] قال علي بن سليمان النوفلي: غنى دحمان الأشقر الرشيد صوتاً فأطربه واستعاده مراراً، ثم قال له: احتكم، فقال: غالب والريان، وهما ضيعتان بالمدينة غلَّتهما أربعون ألف دينار، فأمر له بهما، فقيل له: يا أمير المؤمنين إن هاتين الضيعتين من جلالتهما وعظم خطرهما لا يجب أن يسمح بمثلهما، فقال الرشيد: لا سبيل إلى استرداد ما أعطيت، ولكن احتالوا في شرائهما منه، فوافقوه على مائة ألف دينار فرضي بذلك، وأخبروا الرشيد فقال: ادفعوها إليه، فقالوا: يا أمير المؤمنين في إخراج مائة ألف دينار لمغن من بيت المال أشنوعة عظيمة، ولكن تقطعها له، فكان

يوصل بخمسة آلاف دينار وثلاثة آلاف دينار حتى استوفاها[1]، قال أبو الفرج: والصوت الذي طرب له الرشيد حتى حكّمه [الطويل]:

إذا نحن أدلجنا وأنت إمامنا ... كفى لمطايانا بريَّاك هاديا

أعدُّ الليالي ما نأيت ولم أكن ... لما مر من دهري أعد اللياليا

ذكرتك بالديرين يوماً فأشرفت ... بنات الهوى حتى بلغن التراقيا[2]

قاضي القضاة ابن بنت الأعز

عبد الرحمن بن عبد الوهاب قاضي القضاة، تقي الدين أبو القاسم ابن قاضي القضاة تاج الدين العَلاَمي المصري الشافعي المعروف بابن بنت الأعز، كان جده لأمه يعرف بالقاضي الأعز وزير الملك الكامل بن أبي بكر بن أيوب، وعلامة - بالفتح والتخفيف - قبيلة من لخم.

كان فقيهاً إماماً مناظراً بصيراً بالأحكام، جيد العربية، ذكيّاً كاملاً نبيلاً رئيساً، شاعراً محسناً، فصيحاً مفوهاً، وافر العقل، كامل السؤدد.

توفي كهلاً سنة خمس وتسعين وست مائة.

ودرس في أماكن كبار، وولي الوزارة مع القضاء ثم استعفى من الوزارة.

تولي القضاء بعده الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد.

---

(١) بمثل هذا الإسراف والتضييع تضيع البلاد.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٨/ ١٧٤،١٧٣.

وأخبرني من لفظه العلامة أثير الدين أبو حيان قال: كان ناظر الخزانة السلطانية، ودرس بالصالحية وفي قبة الشافعي، وبالشريفية، وبالمشهد، وتولى مشيخة الشيوخ بخانقاه سعيد السعداء، وتولى الخطابة بالجامع الأزهر، وله خطب ونثر ونظم، وكان فصيحاً جزلاً في أحكامه يقظاً مهيباً، كثير التحرز والاجتهاد فيمن ينوب عنه، وكان من بقايا العلماء الفصحاء ومن أحد رجال الكمال بالديار المصرية.

وامتحن في الدولة الأشرفية على يد الصاحب شمس الدين بن السلعوس، ثم نجاه الله تعالى منه، ويقال: إنه لما حكم بتعزيره نهره ابن السلعوس وأقامه فقالوا له: هذا تعزير مثل هذا، فقال: لابد من زيادة، فقالوا: ينزل من القلعة إلى باب زويلة ماشياً، ولم ينله منه مكروه بعد عزله من القضاء أكثر من ذلك.

وسكن القرافة وتولى التدريس بالمدرسة المجاورة لضريح الشافعي.

[١٦٣١] ثم سافر إلى الحج فقضى الفريضة وزار النبي ﷺ وأنشد بها القصيدة البليغة من نظمه وهي [الكامل]:

الناس بين مُرجَزٍ ومُقَصِّد	ومطول في مدحه ومجود[(١)]
ومخبِّر عمن روى ومعبر	عما رآه من العلى والسؤدد

ومنها:

ما في قوى الأذهان حصر صفاتك الـ	ـعليا وما لك من كريم المَحْتِد[(٢)]
وتفاوت المداح فيك بقدر ما	بصروا به من نورك المتوقد

---

(١) مُقَصد: أي منشئ للقصائد.

(٢) المَحْتِد: الأصل.

حـــظ الموفـــق أن يتـــابع دائمـــاً ... أخلاقـك الغـر الكـرام ويقتـدي

منها في الإسراء:

لم يرتفـــع لله مـــن خفـــض ولم ... يقـرب إليـه مـن مكـان مبعـد

لكـــن أرى محبوبـــه ملكوتـــه ... حتـى يشـاهد فيـه مـا لم يشـهد

وأراه كيف تفاضـل الأمـلاك والـ ... ـرسْل الكـرام وكـان غـير مقلـد

ورأت لـــه الأمـــلاك في ملكوتـــه ... جاهـــاً وقـــدراً مثلـــه لم يوجـــد

منها:

هـل جـاء قبلـك مرسـل بخـوارق ... إلا وجئـــت بمثلـــه أو أزيـــد

فعصـا الكلـيم تبـدلت أعراضـها ... وكـذا عصـاك تبـدلت بمهنـد

نبعـت عيـون المـاء مـن حَجَـر لـه ... والنبـع في الأحجـار كـالمتعوِّدِ

إن البعيـــد مـــن العوائـــد كلـــها ... نبـع بـدا بـين الأصـابع في اليـد

هذي هي الكف التي قد أصبحت ... بحراً إذا مدحوا لنا الكف النـدي

منها:

صلوات ربك والسـلام عليـك مـا ... حُيِّيـــت مـــن متوجـــه متعبـــد

وجـرى بـذكرك لفظـه في وقفـة ... لخطابـــةٍ أو جلســـة لتشـــهد

وإذا مررت على القلوب فكنت كالـ ... ـأُرْج الذكي يرد روح المُكْمَد[1]

وعلى صحابتك الكرام وآلـك الـ ... ـبرآء مـن قـول الجهـول المفسـد

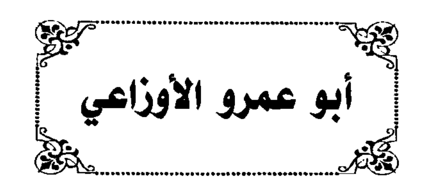
وعلـى ضـجيعيك اللـذين تشـرفا ... بـالقرب منـك بمقعـد وبمرقـد

---

(١) الحزين.

لمكانة في الدين ما خفيت على ... متبصر قرأ العلوم مسدد
قاما بنصرك في الحياة عبادة ... وجلادة أَزْرَتْ على المتجلد
وتكفلا بعد الممات بنصرة الـ ... ـدين الحنيف على الكفور الملحد
وتقلدا الأمر العظيم فأصبحا ... حججاً على كل امرئٍ متقلد
تالله قد جدًّا وما وَنِيا ولا اخـ ... ـتارا الأخف على الأشق الأجهد
وكلاهما بزلال فضلك يرتوي ... وبفضل بُرْدٍ من شعارك يرتدي
كانا سعادة كل عبد صالح ... وشقاوة الباغي الجهول المفند[1]

قلت: شعر جيد جزل يدل على تمكن من العلوم[2].



أبو عمرو الأوزاعي

عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمِد، أبو عمر الأوزاعي.

إمام أهل الشام وفقيههم وعالمهم.

سكن بظاهر الفراديس بمحلة الأوزاع، ثم تحول إلى بيروت فرابط بها إلى أن مات سنة سبع وخمسين ومائة، والأوزاع بطن من هَمْدان، وولد سنة ثمانين.

كان ثقة مأموناً، فاضلاً خيراً، كثير العلم والحديث والفقه، حجة، روى عن عطاء بن أبي رباح، ومحمد بن سيرين حكاية، والزهري، ومحمد

---

(١) أي ضعيف العقل.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٨/ ١٧٩-١٨٢.

ابن علي الباقر، وقتادة، وعمرو بن شعيب، ومكحول وخلق.

وكانت صناعته الكتابة والترسل، ورسائله تؤثر.

[١٦٣٢] قال ابن المنذر بشر: كان الأوزاعي كأنه أعمى من الخشوع، وقال ابن مسهر: كان يحيي الليل صلاة وقرآناً.

[١٦٣٣] وقال الأوزاعي: رأيت كأن ملكين نزلا فأخذا بَضبعي[١] فعرجا بي إلى الله وأوقفاني بين يديه فقال: أنت عبدي عبد الرحمن الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، قال: قلت: بعزتك يا رب، فرداني إلى الأرض.

[١٦٣٤] قال الحكم بن موسى بن الوليد:

ما كنت أحرص على السماع من الأوزاعي، حتى رأيت النبي ﷺ في النوم والأوزاعي إلى جنبه، فقلت: يا رسول الله عمن أحمل العلم؟

قال: عن هذا، وأشار إلى الأوزاعي.

[١٦٣٥] وكانت أمه تدخل منزله فتتفقد مصلاه فتجده رطباً من دموعه.

[١٦٣٦] وقال: لا يجتمع حب علي وعثمان إلا في قلب مؤمن.

[١٦٣٧] وقال محمد بن عبد الله الطنافسي:

كنت جالساً عند الثوري، فجاءه رجل فقال: إني رأيت كأن ريحانة قلعت من المغرب، فقال: إن صدقت رؤياك مات الأوزاعي، فكتبوا ذلك، فوجدوه قد مات في ذلك الوقت، قيل: إنه دخل الحمام، وكان لصاحب

---

(١) أي بعضدي.

الحمام حاجة، فأغلق الباب عليه وذهب، ثم جاء فوجده ميتاً مستقبلاً القبلة، ولم يخلف إلا ستة دنانير من عطائه، وخرج في جنازته اليهود ناحية والنصارى ناحية، وكانت وفاته في صفر.

ولقد كان مذهبه ظاهر بالأندلس إلى حدود العشرين ومائتين، ثم تناقص، واشتهر مذهب مالك بيحيى بن يحيى الليثي، وكان مذهبه بدمشق مشهوراً إلى حدود الأربعين وثلاث مائة، وروى له الجماعة، وولد في بعلبك.

وكان فوق الِربْعة، خفيف اللحية به سمرة، وكان يخضب بالحناء. ورثاه بعضهم بقوله [الكامل]:

جاد الحيا بالشام كل عشية	قبراً تضمن لحده الأوزاعي [1]
قبر تضمن فيه طود شريعة	سقياً له من عالم نَفّاعِ
عرضت له الدنيا فأعرض مقلعاً	عنها بزهد أيما إقلاع [2]



صاحب الألفاظ

عبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمذاني، كاتب بكر بن عبد العزيز بن أبي دُلَف العجلي.

[١٦٣٩] له من التصانيف كتاب: «الألفاظ»[3]، قال الصاحب بن

---

(١) الحيا : المطر.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٨/ ٢٠٧-٢٠٩.

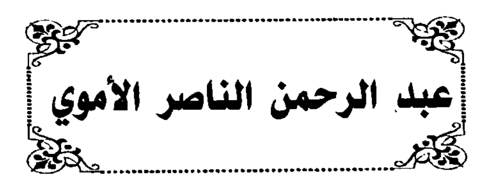
(٣) وهو مطبوع متداول.

عباد: لو أدركته لأمرت بقطع يده ولسانه؛ لأنه جمع شذور العربية الجزلة المعروفة في أوراق يسيرة، فأضاعها في أفواه صبيان المكاتب، ورفع عن المتأدبين تعب الدرس والحفظ والمطالعة.

[١٦٤٠] ومن شعره [البسيط]:

ما ودني أحد إلا بذلت له	صفو المودة مني آخر الأبد
ولا قلاني وإن كنت المحب له	إلا دعوت له الرحمن بالرشد
ولا ائتمنت على سر فبحت به	ولا مددت إلى غير الجميل يدي
ولا أقول نعم يوماً فأتبعها	بلا ولو ذهبت بالمال والولد

وتوفي سنة عشرين وثلاث مائة[١].



عبد الرحمن الناصر الأموي

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد الأموي المرواني، الناصر لدين الله أبو المطرف صاحب الأندلس، الملقب أمير المؤمنين.

[١٦٤١] بقي في الإمرة خمسين سنة وقام بعده ولده الحكم .

جد في الغزو والفتوح وكثرت له الفتوحات، واستوت له طاعة الأجناد، ولم يكن بعد عبد الرحمن الداخل أجزل منه في الحروب وصحة الرأي والإقدام على المخاطرة والهول، حتى نال البغية وبنى المدينة الزهراء فراراً بنفسه وخاصة جنده عن عامة قرطبة، الكثيرة الهرج، الجمة سواد الخلق، فرتب الجيوش ترتيباً لم يعهد مثله قبله، وأكرم أهل العلم

(١) الوافي بالوفيات: ١٨/ ٢١٥، ٢١٦.

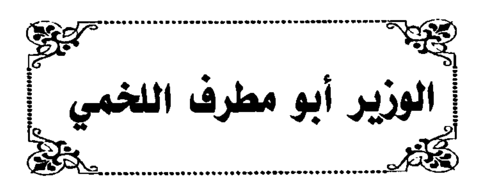
واجتهد في تخير القضاة وكان مُبَخّلاً لا يعطي ولا ينفق إلا فيما رآه سداداً.

توفي في شهر رجب سنة خمس وأربعين وثلاث مائة، وتولى ابنه الحكم المستنصر.

ولم يتسم بأمير المؤمنين حتى تحقق اختلال دولة بني العباس بالعراق وَقتْل المقتدر العباسي، وغلبة العجم عليهم بعد قتل المتوكل.

قال ابن عبد ربه: نظمت أرجوزة ذكرت فيها غزواته، وافتتح سبعين حصناً من أعظم الحصون ومدحه الشعراء، وكثر العلماء في أيامه.

[١٦٤٢] ومن سياساته الحسنة أنه رفع إليه أن تاجراً زعم أنه ضاعت له صرة فيها مائة دينار، وأنه نادى عليها وجعل لمن يأتيه بها عشرة دنانير، فجاءه بها رجل عليه سمة خير، وذكر أنه وجدها، فلما حصلت في يد التاجر ادعى أنها كانت مائة وعشرة، وإن العشرة التي نقصت منها أخذها، وغرضه ألاّ يعطيه ما شرط له، فوقعّ الناصر: صدق الرجلان، فناد على مال التاجر فإنه مائة وعشرة واترك المائة مع الذي أخذها إلى أن يجيء صاحبها(١).



الوزير أبو مطرف اللخمي

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير اللخمي، الوزير أبو المطرف، أحد أشراف الأندلس وذوي السلف الصالح والسابقة القديمة.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٨/ ٢٣٠، ٢٣١.

[١٦٤٣] عني عناية بالغة بقراءة كتب جالينوس وتفهمها، ومطالعة كتب أرسططاليس وغيره من الحكماء، ومهر في علم الأدوية وجمع فيها كتاباً جليلاً لا نظير له في حسن الترتيب، جمعه في عشرين سنة.

[١٦٤٤] وله في الطب منزع لطيف ومذهب نبيل، كان لا يرى التداوي بالأدوية ما أمكن التداوي بالأغذية، أو كان قريباً منها، فإذا دعت الضرورة إلى الدواء لا يراه بالمركب، فإن اضطر إلى المركب لم يره بما كثر تركيبه.

وله نوادر محفوظة وغرائب مشهورة في الإبراء من العلل الصعبة والأمراض المخيفة بأيسر علاج، واستوطن طليطلة.

ومولده سنة سبع وثمانين وثلاث مائة، وكان حيّاً سنة ستين وأربع مائة[١].



أبو عثمان النهدي

عبد الرحمن بن مِل -بكسر الميم وضمها- أبو عثمان النهدي.

قال: أسلمت على عهد رسول الله ﷺ وأديت إليه ثلاث صدقات ولم ألقه، وغزوت على عهد عمر.

قال ابن عبد البر: شهد القادسية وجلولاء وتستر ونهاوند واليرموك ومهران ورستم، يقال: إنه عاش في الجاهلية أزيد من ستين سنة وفي الإسلام مثل ذلك.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٨/ ٢٥٧.

[١٦٤٥] وكان يقول: بلغت من العمر مائة وثلاثين سنة فما مني شيء إلا قد عرفت النقص فيه إلا أملي، فإنه كما كان.

[١٦٤٦] وكان يقول: أدركت الجاهلية فما سمعت صوت صَنْج ولا بَرْبَط[١] ولا مزمار أحسن من صوت أبي موسى الأشعري بالقرآن، وإنه كان ليصلي بنا صلاة الصبح فنود لو صلى بنا بسورة البقرة من حسن صوته.

وسمع أبو عثمان من عمر، وابن مسعود، وحذيفة، وبلال، وسلمان، وعلي، وأبي موسى، وسعيد بن زيد، وابن عباس وطائفة، وحج في الجاهلية مرتين، وصحب سلمان الفارسي اثنتي عشرة سنة.

[١٦٤٧] وكان صواماً قواماً قانتاً لله، وكان يصلي حتى يغشى عليه.

وتوفي سنة خمس وتسعين للهجرة، وروى له الجماعة[٢].



عبد الرحمن بن ملجم

عبد الرحمن بن ملجم المرادي، قاتل علي بن أبي طالب ﷺ .

قرأ القرآن على معاذ بن جبل وكان من العباد، وقيل: إن عمر بن الخطاب ﷺ كتب إلى عمرو بن العاص أن قرب إليَّ دار عبد الرحمن بن ملجم؛ ليعلم الناس القرآن والفقه، فوسع له مكان داره.

[١٦٤٨] ثم كان من شيعة علي بن أبي طالب بالكوفة وشهد معه

---

(١) من الأدوات الموسيقية.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٨/ ٢٨١،٢٨٢.

صفين، ثم فعل ما فعل، وهو عند الخوارج من أفضل الأمة وكذلك النصيرية يعظمونه، قال ابن حزم: يقولون إن ابن ملجم أفضل أهل الأرض؛ لأنه خلص روح اللاهوت من ظلمة الجسد وكدره، وعند الروافض أنه أشقى الخلق في الآخرة، وهو عندنا أهل السنة مَنْ نرجو له النار، ويجوز أن الله -تعالى- يتجاوز عنه، وحكمه حكم قاتل عثمان والزبير وطلحة وسعيد بن جبير، وقاتل عمار وقاتل خارجة وقاتل الحسين، فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبغضهم في الله -تعالى- ونكل أمرهم إلى الله.

[١٦٤٩] ولما دفن عليٌّ أُحضر ابن ملجم، وجاء الناس بالنِفط والبواري[١] وقطعت يداه ورجلاه، وكحلت عيناه ثم قطع لسانه ثم أحرق في قوصرة[٢].

[١٦٥٠] وكان أسمر حسن الوجه أفلج، شعره مع شحمة أذنه، وفي جبهته أثر السجود، وكانت قتلته سنة أربعين من الهجرة، وقيل: إنه قطعت يداه ورجلاه ولم يتأوه بل يتلو القرآن، فلما أرادوا قطع لسانه امتنع عن إخراجه فتعبوا في ذلك، فقيل له:

قطعت يداك ورجلاك وما ألمت ولا امتنعت، فما هذا الامتناع من قطع لسانك؟

فقال: لئلا تفوتني تلاوة القرآن وأنا حي، فشقوا شدقه وأخرجوا لسانه بكلاب وقطعوه.

---

(١) الحُصُر.

(٢) الوعاء الكبير من القصب: انظر ((لسان العرب)): ق ص ر.

[١٦٥١] وكان السبب في قتله لعلي: أن علياً لما قاتل الخوارج بالنهروان واستأصل جمهورهم ولم ينج منهم إلا اليسير انتدب له من بقاياهم عبد الرحمن بن ملجم، وتعاقد الخوارج على قتل معاوية وعمرو ابن العاص وعلي بن أبي طالب، وخرج منهم ثلاثة نفر لذلك، ودخل عبد الرحمن الكوفة واشترى لذلك سيفاً وسقاه السم- فيما زعموا - حتى لفظه، فقيل ذلك لعلي فأحضره وقال له: لم تسقي سيفك السم؟ قال: لعدوي وعدوك، فخلى عنه.

[١٦٥٢] وكان في خلال ذلك يأتي علياً فيسأله، ويستحمله فيحمله، إلى أن وقعت عينه على قُدَامَ، وكانت جميلة رائعة فأحبته فخطبها فقالت:

لقد آليت ألا أتزوج إلا على مهر لا أريد سواه.

فقال: ما هو؟

قالت: ثلاثة آلاف درهم وعبد وجارية وقتل علي بن أبي طالب.

فقال: والله ما أتيت إلا للفتك به، ولا أقدمني هذا المصر غير ذلك، ولكني لما رأيتك آثرت تزويجك.

فقالت: ليس إلا الذي قلت لك.

فقال: وما بغيتك أو ما يغنيني منك قتل علي وأنا أعلم أني إذا قتلته لم أُفْلت؟

فقالت: إن قتلته ونجوت فهو الذي أردت، تبلغ شفاء نفسي ويهنيك العيش معي، وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وما فيها، فقال لها: لك ما اشترطت ثم قال [الطويل]:

ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب عليٍّ بالحسام المسمم

فلا مهر أغـلا مـن قُـدَامَ وإن غـلا　　　　ولا فتك غلا دون فتك ابن ملجـم

فقالت: أراني من يشد ظهرك، فبعثت إلى ابن عـم لهـا يـدعى: وردان ابن مجالد فأجابها، ولقي ابن ملجم شبيب بن بجرة الأشجعي فقال:

يا شبيب هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟

قال: وما هو؟

قال: تساعدني على قتل علي بن أبي طالب.

قال: ثكلتك أمك لقد جئت شيئاً إدّاً، كيف تقدر على ذلك؟

قال: إنه رجل لا حرص له ويخرج إلى المسـجد منفـرداً، فنـتمكن منـه وقد كمنا له في المسجد فنقتله، فإن نجونا نجونا وإن قتلنا فقد سعدنا بالذكر في الدنيا وبالجنة في الآخرة.

فقال: ويلك إن عليّاً ذو سابقة في الإسلام مع النبي ﷺ والله ما تنشرح نفسي لقتله.

قال: ويحك إنه حَكّم الرجـال في ديـن الله، وقتـل إخواننـا الصـالحين فنقتله ببعض من قتل، فلا تسكن في دينك، فأجابه وأقبلا حتى دخلا على قُدام وهي معتكفة في المسجد الأعظم في قبة ضربتها لنفسها، فدعت لهما، وأخذا سيفيهما وجلسا قبالة السدة التي يخرج منها علي، فخرج إلى صلاة الصبح فبدره شبيب فضربه فأخطأه، وضربه عبد الرحمن على رأسه وقال:

الحكم لله يا علي لا لك ولا لأصحابك.

فقال علي: فزتُ ورب الكعبة، لا يفوتنكم الكلب، وشد الناس عليـه من كل جانب فأخذوه، وهرب شبيب خارجاً من باب كندة، فقال علـي:

احبسوه فإن مت فاقتلوه، ولا تمثلوا به، وإن لم أمت فالأمر إلـي في العفـو والقصاص.

قال ابن عبد البر: اختلفوا هل ضربه في الصلاة أو قبل الدخول فيهـا، وهل استخلف من أتم بهم الصـلاة أو هـو أتمهـا، والأكثـر أنـه اسـتخلف جعدة بن هبيرة فصلى بهم تلك الصلاة، والله أعلم.

وعن عثمان بن صهيب عن أبيه أن رسول الله ﷺ قـال لعلـي: «**مـن أشقى الأولين؟**» قال: الذي عقر الناقة، قـال: «**فمن أشقى الآخرين؟**» قـال: لا أدري، قال: «**الذي يضربك على هذا**» -يعني: يافوخـه- «**فيخضـب هـذه**» يعني: لحيته، وكان علي إذا رأى ابن ملجم قال [الوافر]:

أريـــد حبـــاءه ويريـــد قتلـــي   عـذيرك مـن خليلـك مـن مـراد

وكان علي كثيراً ما يقول: ما يمنع أشقاها أن يخضـب هـذه مـن هـذا، - ويشير إلى لحيته ورأسه - خضاب دم لا خضاب عطر وعبير.

وعن سكين بن عبد العزيز أنه سمع أباه يقول: جاء عبد الـرحمن بـن ملجم يستحمل عليّاً فحمله ثم قال [الوافر]:

أريـــد حبـــاءه ويريـــد قتلـــي   عـذيري مـن خليلـي مـن مـراد

أما إن هذا قاتلي، قيـل: فمـا يمنعـك منـه؟ قـال: إنـه لم يقـتلني بعـد، واجتمع الأطباء لعلي وكان أبصرهم بالطب أثير بن عمرو السكوني، كان صاحب كسرى يتطبب له، وهو الذي تنسب له صحراء أثـير، فأخـذ أثـير رئة شاة حارة فتتبع عرقاً منها فاستخرجه فأدخله في جراحة علي ثم نفـخ العرق فاستخرجه فإذا عليه بياض دماغ، وإذا الضـربة قـد وصـلت إلى أم رأسه، فقال: يا أمير المؤمنين: اعهد عهدك فإنك ميت.

[١٦٥٣] وقال عمران بن حطان: يا ضربة من تقي... الأبيات[١]، وقال بكر بن حماد التاهرتي معارضاً له [البسيط]:

قل لابن ملجم والأقدار غالبة ... هدمت ويلك للإسلام أركانا
قتلت أفضل من يمشي على قدم ... وأول الناس إسلاماً وإيمانا
وأعلم الناس بالقرآن ثم بما ... سن الرسول لنا شرعاً وتبيانا
صهر النبي ومولاه وناصره ... أضحت مناقبه نوراً وبرهانا
وكان منه على رغم الحسود له ... مكان هارون من موسى بن عمرانا
وكان في الحرب سيفاً ماضياً ذكَراً ... ليثاً إذا لقي الأقران أقرانا
ذكرت قاتله والدمع منحدر ... فقلت سبحان رب الناس سبحانا
إني لأحسبه ما كان من بشر ... يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
أشقى مراد إذا عدَّت قبائلها ... وأخسر الناس عند الله ميزانا
كعاقر الناقة الأولى التي جلبت ... على ثمود بأرض الحجر خسرانا
قد كان يخبرهم أن سوف يخضبها ... قبل المنية أزماناً وأزمانا
فلا عفا الله عنه ما تحمله ... ولا سقى قبر عمران بن حطانا
لقوله في شقي ظل مجترماً ... ونال ما ناله ظلماً وعدوانا
يا ضربة من تقي ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
بل ضربة من غوي أوردته لظى ... فسوف يلقى بها الرحمن غضبانا

---

(١) وهو أحد الخوارج، وقد قال قبحه الله:

ياضربة من تقي ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضواناً

كأنـــه لم يـــرد قصـــداً بضـــربته		إلا ليصـلى عـذاب الخلـد نيرانـا[1]



القاضي الفاضل

عبد الرحيم بن علي بن الحسن، القاضي الفاضل محي الدين أبو علي ابن القاضي الأشرف أبي الحسن اللخمي البيسـاني الأصـل، العسـقلاني المولد، المصري الـدار، صـاحب ديـوان الإنشـاء ووزيـر السـلطان الملـك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب.

ولد في نصف جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمس مائـة، وتـوفي سنة ست وتسعين وخمس مائة، رحمه الله.

قال الشيخ شمس الدين:

اشتغل بصناعة الإنشاء على الموفق بن الخلال-شـيخ الإنشـاء لخلفـاء مصر- ثم خدم بالإسكندرية في صباه. وكانوا ثلاثة إخوة:

أحدهم خدم بالإسكندرية وبها مات، خلف مـن الخـواتيم صـناديق، ومن الحصر والقدور والخزف بيوتاً مملوءة، وكان إذا رأى خاتماً وسمع بـه تسبب في تحصيله.

وأما الآخر: فكان له هوى مفرط في تحصيل الكتب، كان عنـده زهـاء مائتي ألف كتاب من كل كتاب نسخ.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٨/ ٢٨٦-٢٩٠.

وكان الفاضل -رحمه الله تعالى- قليل النحو ولكنه له دربة توجب له قلة اللحن، كان عند ابن سناء الملك من إنشائه اثنان وعشرون مجلدة، وعند ابن القطان -أحد كتابه- عشرون مجلداً.

وكان متقللاً في مطعمه ومنكحه وملبسه، لباسه البياض، لا يبلغ جميع ما عليه دينارين، ويركب معه غلام وركاب ولا يمكن أحداً أن يصحبه.

ويكثر تشييع الجنائز وعيادة المرضى وزيارة القبور.

وكان ضعيف البنية رقيق الصورة له حدبة يغطيها الطيلسان.

[١٦٥٤] وكان فيه سوء خلق يكد به نفسه ولا يضر به أحداً.

ولأصحاب الفضائل عنده نَفَاق[١]، يحسن إليهم ولا يمن عليهم، ولم يكن له انتقام من أعدائه إلا بالإحسان.

وكان دخله ومعلومه في السنة خمسين ألف دينار سوى متاجر الهند والمغرب وغيرهما.

[١٦٥٥] مات أحوج ما كان إلى الموت عند تولي الإقبال وإقبال الإدبار، وهذا يدل على أن لله به عناية.

وله أوقاف في فكاك الأسرى.

وأعان الطلبة الشافعية والمالكية عند داره بالمدرسة والأيتام بالكتاب. وله معاملة حسنة مع الله وتهجد في الليل.

[١٦٥٦] لما بلغه أن العادل أخذ الديار المصرية دعا على نفس بالموت خشية من ابن شكر وزيره فيهينه انتهى.

---

(١) أي رواج.

وقال ياقوت في «معجم الأدباء»:

مولده وأصله بعسقلان، وإنما قيل له البيساني؛ لأن والده ولي القضاء ببيسان.

قال ياقوت:

كان السبب في تقدمه أن أباه كان يتولى بعسقلان بعد القضاء ببيسان، وكاتبه السلطان بمصر بالأخبار، فاتفق أن والي عسقلان أطلق أسيراً له قيمة فتعلل عليه المصريون كونه لم يخبر بخبره، فاستحضر إلى القاهرة وصودر حتى استصفي ماله ولم يبق له شيء، فأصابته فجعة فمات، وبقي الفاضل وأخت له وأخ على غاية من الاختلال وسوء الحال والفقر، فألجأه الحال إلى أن مشى راجلاً إلى الإسكندرية وقصد بها القاضي ابن حديد فالتجأ إليه وعرفه بنفسه وشكا إليه فاقته، فتوجع له وفرض له في كل شهر ثلاثة دنانير واستنابه في الكتابة عنه.

وفتحت الفرنج عسقلان وخرج أخوه وأخته حتى لحقا به وأقاما عنده.

[١٦٥٧] فاختبره القاضي فوجده على غاية من الفصاحة والبلاغة وحسن المقاصد، وكان إذا أراد مكاتبة ديوان مصر أمره بالكتابة عنه، وكانت كتبه تَرِدُ كالدر النظيم، فحسده الكتاب الذين ترد كتبه عليهم وخافوا منه على منزلتهم، فسعوا به إلى الظافر بن الحافظ، فحدث محمد ابن محمد بن محمد ابن بنان الأنباري كاتب الإنشاء يومئذ، قال:

فأحضرني الظافر وأمرني أن أكتب إلى الوالي بالإسكندرية أن يتسلم ابن البيساني من القاضي ابن حديد ويقطع يده ويسيرها إلينا، قال: فما علمت السبب ولا عرفت ابن البيساني، ووددت لو كان هذا الكتاب بخط

غيري، فأخذت الدواة والقلم والدرج وكتبت: بسم الله الرحمن الرحيم وبطّلت الكتابة، فنظر إلي وقال: ما تنظر؟

قلت: عفو مولانا.

قال: تعرف هذا الرجل؟

قلت: لا والله.

قال: هذه رقعة وردت من الديوان تخبر بسوء أدبه واستخفافه؛ وذاك أنه كتب كتاباً وجعل بين السطر والسطر شبراً وهذا لا يكون إلا من الفاضل إلى المفضول، وبلغني أيضاً أنه يرى انتقاضنا وذهاب دولتنا ديناً.

فقلت: إن رأى استحضار المكتوب والوقوف عليه، فأُحضر فرأيت أبلغ كتاب وأحسن عبارة فقلت: هذا كتاب معدوم المثال، وكاتبه أوحد عصره، وما كتبوا في أمره بما كتبوا إلا حسداً له، فإن رأى إحضار كاتبه وسماع لفظه والعمل بموجب المشاهدة رجوت أن يكون ثواباً وصواباً، فكتبت بتسييره مكرَّماً، فما كان إلا مسافة الطريق حتى أحضر إلى مجلس الظافر، وأنا حاضر، فرأيت شاباً ظريفاً بثياب قصار وأكمام لطيفة وطيلسان فوقف بين يدي الظافر، فقال الظافر:

اختبره في شيء من الرسائل، فقلت له: مولانا يأمرك أن تكتب منشوراً لأحد أولياء دولته يتضمن توليته ما وراء بابه.

فقال: السمع والطاعة، فقربت منه دواة فأخذ يكتب وهو قائم، وكان إذا أراد أن يستمد انكب إلى الدواة ثم وقف فكتب، فلما أن رأى الظافر جريان قلمه وثبات جنانه، أمر خادماً أن يحمل له الدواة، ثم فرغ من الكتابة وهو قائم على رجله، فتناوله الخادم وعرضه على الظافر

فاستحسن خطه، وكان خطّاً مليحاً رائقاً على طريقة ابن مقلة، وقال لـي: اقرأه فقلت: يا مولانا اسمعه من منشئه فهـو أحسـن، فقـرأه بلسـان حـاد وبيان صادق، فلما استتم قراءته أمر الظـافر بقلـع طيلسـانه وأَخْـذ عذبـة عمامته وفتلها وتحنيكه بها، فَفُعل به ذلك، ولم يـزل في الـديوان مـدة أيـام الظافر والفائز والعاضد.

فلما استعلى الضرغام على شاوَر[1] وتولى الوزارة، وهرب شـاور إلى الشام وقبض على ولده الكامل وأودعه السـجن خدمـه الفاضـل، ثـم إن الضرغام تنكر على الفاضل فمضى مـن فـوره إلى ملـهم أخـي ضـرغام، واستجار به، وكان ملهم هو الكبير وكان ترفع عن الولاية، فأمره بملازمـة داره حتى يصـلح أمـره، فـاتفق أن قـرن بالكامـل ابـن شـاور في محبسـه، وحبس معه وحصل له بذلك يد بيضـاء عنـده، ورجـع شـاور إلى الـديار المصرية بصحبة شيركوه، وقتل الضـرغام وأخـوه ملـهم وبنـوه، وعـادت الوزارة إلى شاور، وركب ابنه الكامل من دار ملهم ومعه القاضي الفاضل حتى دخلا على شاور، وعرف الكامل أباه شـاور حقـوق الفاضـل عليـه وحسن ولائه.

واختص الفاضل بالكامل اختصاصاً كليّاً، وكان أولاً يدعى بالأسـعد فغيره ولقبه بالفاضل، ولم يزل معهما على أحسـن حـال إلى أن عـاد أسـد الدين[2] إلى مصر في المرة الأخرى واستولى علـى الـديار المصـرية، وتـولى الوزارة وقتل شاور وابنه الكامـل وطلـب الفاضـل، وكـان في نفسـه منـه

---

(١) وهو وزير العبيديين المسمين زوراً بالفاطميين.

(٢) أي شيركوه، وهو خال صلاح الدين الأيوبي، وكان وزيراً لنور الدين بمصر، فلما مات تولى صلاح الدين الوزارة، رحمهم الله تعالى.

أشياء نقمها عليه في مكاتباته عن شاور، وكـان يغلـظ القـول فيهـا، ولجـأ القاضي إلى القصر مستجيراً ومستخفياً، وطلبه شيركوه من العاضد فشفع فيه فلم يقبل الشفاعة وألح في طلبه، فاتفق أن العاضد أهدى إلى شـيركوه هدايا نفيسة وقعت منه موقعاً لطيفاً، وسأله مع قبولها أمان الفاضل فأمنه، فلما حضر أكرمه شيركوه وأمره بالجلوس في حضـرته وقال:

اكتب كتـاباً إلى نور الدين محمود بن زنكـي عرفـه مـا فعـل الله بهـذا الطاغية الفاسق، يعني شاوراً، فكتـب ولم يـذكره إلا بـالخير فغضـب أسـد الدين، وقال: ما لك لا تكتب بما آمرك به؟

فقال: ما يسعني ذلك أيها الوزير لحقوق له علي، فأغلظ له وتهدده إن لم يكتب وحلف ليوقعن به، فوثب حتى صار بين يديه وقـال: قـد انبسـط الآن عذري فيما كنت أكاتب به المولى فإنما أنـا آلـة أكتـب حسـبما أُومـر، فَبسط عذره وأعجبه مخرجه من الحجة وأنس به أُنساً تاماً.

[١٦٥٨] فلما مات أسد الدين شـيركوه ترشـح أكـابر الدولـة لمكانـه وطمع فيها من هو أهل لذلك، ولم يكن صلاح الدين ممن تطمع نفسـه في تلك الرتبة، واتفق أنه اجتمع بالفاضل في دار السلطان وجرى حديث من ترشح للولاية، وبسط صلاح الدين الحديث في ذكـرهم ولم يـذكر نفسـه، فجذبه الفاضل إليه وقال له سرّاً:

هل عندك قوة لأن تلي هذا الأمر؟

فقال صلاح الدين: وأنى لي بذلك وهنـا مثـل فـلان وفـلان، وعَـدّد الأكابر.

فقال له: لا عليك فـإني أدبـر أمـرك، فاسـتعد لـذلك، فبينـا همـا في الحديث استدعي الفاضل إلى مجلـس العاضـد واستشـير فـيمن يـولي، ولم

يكن شيركوه دفن بعد؛ لأن من عادتهم أن الذي يتولى يلبس في الجنازة أخضر دون كل من فيها وهي أمارة الولاية، فقال الفاضل:

رأي أمير المؤمنين أعلى وهو أعرف.

فقال العاضد: ما تقول في فلان؟ فوهّى أمره وذكر شيئاً صدفه عنه، إلى أن ذكر جماعة كلهم كذلك، فقال للفاضل:

فمن ترى أنت؟

قال: ما رأيت في الجماعة أحسن طريقة من يوسف بن أيوب ابن أخي الميت، فإني اختبرته ورأيته يرجع إلى دين وأمانة.

فقال العاضد: إني أخاف ألاَّ يرضى به القوم.

فقال الفاضل: يا أمير المؤمنين أنت ألبسه وأجلسه وهو يبذل الأموال ويصلح حال الرجال، ففعل ذلك وخرج الناس وعلى صلاح الدين الأخضر من دون الجماعة فعرفوا أنه صاحب الأمر، وساعدته السعادة، فلم يقل أحد كلمة، وفرق خزاين شيركوه، وعامل الناس بالإحسان وبذل المال فأحبوه وتم أمره، وصار القبض والبسط إلى الفاضل، وفوض صلاح الدين إليه أمور دولته وصار لا يصدر إلا عن رأيه، واستنابه في جميع أموره ورعى له تلك الحال، فجرى في تصاريفه على أحسن قانون، وأحسن إلى أرباب البيوت.

[١٦٥٩] وجمع كتباً مشهورة بلغني أنها تكون سبعين ألف مجلد في فنون العلم وأنواعه.

[١٦٦٠] وكان القاضي الفاضل شاباً مليحاً من أظرف الرجال، فلما كانت وقعة الباب بين شيركوه وشاور بالصعيد نفرت به فرسه فوقع على

ظهره على قربوس السرج فأوهنه، فلما رجع إلى القاهرة عمل عليه وكان يمرضه ويداويه وقد مد وانتفخ، فلما كان يوم جلوسه بين يدي أسد الدين وهو يكتب، انفجرت عليه وهو بين يديه فما راعه إلا والمِدَّة والدم يسيلان بين يدي أسد الدين، فارتاع من ذلك وقال: احملوه، ورقّ له وعولج، وانفسدت إحدى خرزات ظهره ثم اندملت وكانت له حدبة، وفي ذلك يقول ابن عنين [المنسرح]:

قد أصبح الملك ما له سبب ... في الناس إلا البغاء والحَدَب

سلطاننا أعرج وكاتبه ... ذو عمش والوزير منحدب

معايب كلها لو اجتمعت ... في فلك لم تَحُلَّه الشهب

انتهى كلام ياقوت، قلت: وقد أكثر ابن عنين من هجوه وذكره.

قلت: إلا أنني ما أعرف أحداً كان في عصره من الشعراء المشهورين إلا وقد مدح القاضي الفاضل.

[١٦٦١] قال القاضي بها الدين ابن شداد قاضي حلب: دخلت على القاضي الفاضل أول دخولي عليه داره ومعي العماد الكاتب فلما خرجنا قال لي العماد: كيف رأيت القاضي الفاضل؟

قلت: رأيت رجلاً قد أتاه الله أربعة أسباب:

الأول: السعادة وهي تدعو الناس إلى الميل إليه، والاشتمال عليه، وآتاه الله العلم فإنه كان عالماً مطلعاً على سائر العلوم آخذاً من كل نوع منها بأوفر سهم، لا يجتمع به صاحب علم إلا ويخوض معه في علمه، وذلك من أسباب السعادة؛ لأن الناس يميلون إلى إرشاد علمه.

الثاني: وهو كذلك فإنه كان من أكثر الناس ورعاً، وكان وقته لا يخليه

من تلاوة قرآن أو التسبيح، وإن اتفق من يكلمه في حاجة كلمه ثم عاد إلى ما كان عليه، وهذا أيضاً يدعو الناس إليه فإنهم يميلون إلى ذي الدين.

والثالث: الجاه، وكان من أوفر الناس جاهاً عند السلطان الملك الناصر وأقربهم منزلة، وكان أعظم الناس ميلاً إليه.

والرابع: المال، وكان كثير المال جدّاً حتى أن وكيله ابن سناء الملك قال: كان دخله في كل يوم خمسين دينار.

[١٦٦٢] وقال القاضي جمال الدين بن شيث على ما شهدته مسطوراً قال:

كان للقاضي الفاضل -رحمه الله- بمصر رَبْعٌ عظيم يؤجر بملبغ كبير، فلما عزم على الحج ركب ومر به ووقف عليه وقال: اللهم إنك تعلم أن هذا الخان ليس شيء أحب لي منه -أو قال أعز علي منه- اللهم فاشهد أنني وقفته على فِكاك الأسرى، وسار إلى مكة وهو إلى يومنا وقف.

[١٦٦٣] وقال الصاحب كمال الدين بن العديم: إنه سمع عبد الرحيم بن شيث بالبيت المقدس وكان يكتب بين يدي الفاضل قال: كان الناس يشكون من الفاضل قلة اهتمامه بهم، وأنه لا يوفيهم رد السلام إذا لقوه في طريق قال: ولم يكن ذلك كبراً منه، وإنما من يرى أنه لا يضيع وقتاً من أوقاته إما في مصلحة أو في عبادة، فإذا ركب الدابة تنفل عليها، فيمضي ويمر به الإنسان فيسلم عليه فلا يقطع صلاته، فهذا كان سبب إهماله الاحتفال بالناس في رد السلام.

قلت: لا تفي له صلاة النافلة بما يحصل له من كسر قلوب من هو دونه، أو أنه يُؤْثم من هو مثله أو قريب منه؛ لأنه يغتابه أو أنه يسبه أو غير ذلك.

[١٦٦٤] قال محيي الدين: ومدرسته بالقاهرة بدرب ملوخيا هي أول مدرسة بنيت بالقاهرة، ووقفها على الفقهاء الشافعية والمالكية، وجعل فيها قاعة لإقراء القرآن كان الشاطبي متصدراً بها وغيره، وخرج منها جماعة من العلماء، وكان الفقيه ابن سلامة مدرساً بها، وجعل قاعة للكتب وقف بها الكتب العظيمة الجليلة من التفاسير والشروح وأصناف العلوم.

ومن مبارّه الأراضي التي ابتاعها بالجمل الكثيرة من المال بأراضي اللوق على عين الأزرق[١] بالمدينة الشريفة.

[١٦٦٥] وقال ابن مماتي: كنت في مجلس الفاضل فحدثه بعض حاضري مجلسه أن الغزالي لما ورد بغداد سئل عن أبي المعالي الجويني فقال: تركته بنيسابور وقد أسقمه الشفاء - وقد كان شرع في مطالعة كتاب «الشفاء» لابن سينا - قال: فجعل القاضي يتعجب من حسن قوله أسقمه الشفاء ويتمايل له ويقول: والله إن هذا كلام حسن بديع، وكان عنده ابن ولد الوزير ابن هبيرة فقال: كلام جدي في هذا المعنى أحسن وأبلغ قال له: وما هو؟ قال: قوله الشفاء ترك الشفاء، والنجاة ترك النجاة، فقال الفاضل: لا ولا كرامة، بين الكلامين بون لا يطلع عليه إلا أرباب الصنائع.

[١٦٦٦] وتوجه رسولاً إلى صاحب الموصل فأحضرت فواكه فقال بعض الكبار: خياركم أحدب، فقال الفاضل:خَسُّنا خير من خياركم[٢].

---

(١) وهي التي يسميها العوام اليوم العين الزرقاء.

(٢) يريد بقوله :خياركم أحدب التعريض بالقاضي الفاضل فإنه كان أحدب، ورد الفاضل مراده منه: إن أخسنا قدراً أفضل من خياركم.

[١٦٦٧] وكان الفاضل يعمل للسجعة ويقول لكتابه: اعملوا قرينتها فما ارتضاه أجازه وما لا يرتضيه أفادهم إياه، فقال لهم: جاءت خيل الله تعسل ما قرينتها؟ فقالوا أشياء لم يرضها فقال: وهي من كل حدب تنسل.

وقال له العماد الكاتب يوماً: سر فلا كبا بك الفرس، فقال الفاضل: دام علاء العماد[1].

ومن كلام الفاضل في هذه المادة - أعني ما يقرأ مقلوباً فلا يتغير - قوله: «أبداً لا تدوم إلا مودة الأدباء».

[١٦٦٨] قلت: ولا يعلم أن كاتباً بلغ من الرتبة عند مخدومه ما بلغه الفاضل عند صلاح الدين حتى أنه كان يقول: ما فتحت البلاد بالعساكر إنما فتحتها بأقلام القاضي الفاضل.

[١٦٦٩] وحكى شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز الأنصاري قال: لما مرض السلطان صلاح الدين بحران مرضاً شديداً حتى حصل اليأس منه، وبقي أياماً لا يأكل ولا يشرب، فدخل عليه القاضي ضياء الدين الشهرزوري عائداً فبكى السلطان، فقال له ضياء الدين:

يا مولانا مثلك ما يسامح، أنت رُبيت بين سُمْر الرماح وبيض الصفاح، وعرضت نفسك على الموت مراراً في عدة حروب، وأنت الآن تفزع من الموت وأنت في هذا السن؟

فقال: والله ما خطر لي هذا ببال ولكن فكرت الساعة في القاضي الفاضل كيف يكون إذا بلغته وفاتي، فأشفقت عليه لعلمي به وما يجده من أجلي.

---

(١) وهذا مما يقرأ مقلوباً فلا يتغير، ويسمى: ما لا يستحيل بالانعكاس.

وأما ترسله فلعله يبلغ مائة مجلد.

وأما شعره فكثير، وكله قصائد مطولة، ومعانيه معاني الكتاب لا معاني الشعراء، فلذلك قَلّ دَوْره على الألسنة[1].



الدَّخوار الطبيب

عبد الرحيم بن علي بن حامد، الشيخ مهذب الدين الطبيب الدخوار، شيخ الأطباء ورئيسهم بدمشق.

وقف داره بالصاغة العتيقة مدرسة طب.

مولده سنة خمس وستين وخمس مائة، وتوفي سنة سبع وعشرين وست مائة، ودفن بتربته في قاسيون.

وكان أعرج روى عنه القوصي وغيره شعراً، وتخرج به جماعة كبيرة من الأطباء، وصنف كتباً، ونسخ كتباً كثيرة بخطه أكثر من مائة مجلد في الطب، و اختصر «الأغاني الكبير» وقرأ العربية.

[١٦٧٠] خدم العادل، وحصل له من العادل في مرضه سبعة آلاف دينار مصرية، ومرض الكامل فحصل له من جهته اثنا عشر ألف دينار، وأربع عشرة بغلة بأطواق ذهب، والخلع الأطلس وغير ذلك، وولاه السلطان الكبير في ذلك الوقت رئاسة الأطباء بمصر والشام.

ثم عرض له ثقل في لسانه واسترخاء، فجاء إلى دمشق لما ملكها

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٨/ ٣٣٥-٣٦٧.

الأشرف فولاه رئاسة الطب بها، و جعل له مجلساً ليدرس الصنعة، وزاد ثقل لسانه حتى إنه لم يفهم كلامه، وكان الجماعة يبحثون بين يديه ويجيب هو وربما كتب لهم ما يشكل في اللوح، واجتهد في علاج نفسه، واستفرغ بدنه مرات، واستعمل المعاجين الحارة فعرضت له حمى قوية فأضعفت قوته و ظهرت به أمراض كثيرة، وأسكت ستة أشهر وسالت عينه.

[١٦٧١] واتفق له في بادئ خدمته للعادل أشياء قربته من خاطره وأعلت محله عنده، منها: أنه اتفق له مرض شديد، و عالجه الأطباء وهو معهم، فقال يوماً: لابد من الفصد فلم ير الأطباء به، فقال: والله لئن لم يخرج له دماً ليخرجن بغير اختياره، فاتفق أن رعف السلطان وبرئ.

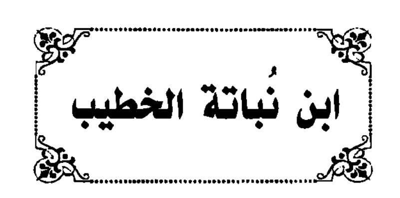
[١٦٧٢] ومنها: أنه كان يوماً على باب دور السلطان فخرج إليهم خادم ومعه قارورة، فرأوها ووصفوا لها علاجاً، فأنكر هو ذلك العلاج و قال: ليس هذا دواء، ويوشك أن تكون هذا القارورة من حناء اختضبت به، فاعترف الخادم لهم بذلك.

نقلت من خط شهاب الدين القوصي في «معجمه» قال:

[١٦٧٣] أنشدني لنفسه علي بن محمد بن يوسف بن خروف النحوي يهجوه [البسيط]:

إن الأعيرج حاز الطب أجمعه	أستغفر الله إلا العلم والعملا
وليس يجهل شيئاً من غوامضه	إلا الدلائل والأمراض والعللا
في حيلة البرء قلّت عنده حيل	بعد اجتهاد ويدري للردى حيلا
الروح يسكن جثمان العليل على	علاته فإذا ما طبه رحلا[١]

(١) الوافي بالوفيات: ١٨/ ٣٨٣-٣٨٦.



ابن نُباتة الخطيب

عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة، الأستاذ البارع البليغ الخطيب أبو يحيى الحذاقي - وحذاقة: بطن من قضاعة - الفارقي.

قال سبط ابن الجوزي: كان يحفظ نهج البلاغة وعامة ألفاظه وخطبه من معانيه، وكان من مَيّافارِقين وولي خطابة حلب لسيف الدولة، وبها اجتمع بالمتنبي، رزق السعادة في خطبه، وكان رجلاً صالحاً.

مولده سنة خمس وثلاثين وثلاث مائة، وتوفي سنة أربع وسبعين وثلاث مائة، وقيل: مات قبل السبعين وثلاث مائة، وعمر دون الأربعين وتوفي بميافارقين.

[١٦٧٤] قلت: في ولايته خطابة حلب نظر وكأنهم غلطوا في مولده أيضاً، وخطبه أحسن من كل الخطب التي جاءت بعده وجميع سجعها معرب، بخلاف المقامات، فإنها لا يلتزم الحريري إعرابها اتكالاً على الوقوف على الساكن، ويشم من بعض ألفاظها روائح الاعتزال، يظهر ذلك للفضلاء مثل قوله «ومن وجب له الثواب وحق عليه العقاب» وغير ذلك.

[١٦٧٥] وذكر الشيخ تاج الدين الكندي بإسناده إلى الخطيب قال:

لما عملت خطبة المنام وخطبت بها يوم الجمعة، رأيت ليلة السبت في منامي كأني بظاهر ميافارقين عند الجَبّانة، ورأيت بها جمعاً كثيراً بين القبور، فقلت: ما هذا الجمع؟

فقال لي قائل: هذا رسول الله ﷺ ومعه الصحابة، فقصدت إليه لأسلم عليه، فلما دنوت منه التفت إليَّ فرآني فقال: يا خطيب الخطباء، كيف تقول وأومأ إلى القبور، قلت: لا يخبرون بما إليه آلوا، ولو قدروا على المقال لقالوا، قد شربوا من الموت كأساً مُرَّة، ولم يفقدوا من أعمالهم ذرة، وآلى عليهم الدهر أَلِيَّةً برة[1]، ألاَّ يجعل لهم إلى دار الدنيا كَرّة، كأنهم لم يكونوا للعيون قرة، ولم يعدوا في الأحياء مرة، أسكتهم والله الذي أنطقهم، وأبادهم الذي خلقهم، وسيجدهم كما أخلقهم، ويجمعهم كما فرقهم، يوم يعيد الله العالمين خلقاً جديداً، ويجعل الظالمين لنار جهنم وقوداً، يوم تكونون شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً - وأومأت عند قولي «على الناس» إلى الصحابة - رضي الله عنهم - وعند قولي «شهيداً» إلى الرسول ﷺ ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا**﴾[2] فقال لي: أحسنت، ادنُه ادنه، فدنوت منه ﷺ فأخذ وجهي فقبله وتفل في فيَّ وقال لي: وفقك الله، قال: فانتبهت من النوم وبي من السرور ما يجل عن الوصف، فأخبرت أهلي ما رأيت.

قال الكندي بروايته:

وبقي الخطيب بعد هذا المنام ثلاثة أيام لا يطعم طعاماً ولا يشتهيه ويوجد من فيه مثل رائحة المسك، ولم يعش إلا مدة يسيرة، ولما استيقظ الخطيب من منامه كان على وجهه أثر نور وبهجة لم يكن قبل ذلك، وقص رؤياه على الناس وقال: سماني رسول الله ﷺ خطيباً، وعاش بعد

---

(١) أي يميناً مبرورة.

(٢) سورة آل عمران: ٣٠.

ذلك ثمانية عشر يوماً لا يستطعم فيها طعاماً ولا شراباً من أجل تلك التفلة وبركتها.

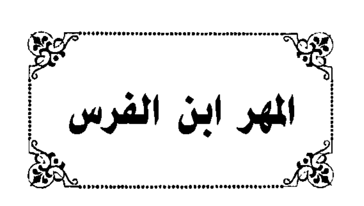
[١٦٧٦] وقال الوزير المغربي: رأيت الخطيب بن نباتة في المنام بعد موته، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: دفع لي ورقة فيها سطران بالأحمر وهما [السريع]:

قد كان أَمْنٌ لك من قبل ذا   واليوم أضحى لك أمنان
والصفح لا يحسن عن محسن   وإنما يحسن عن جان

[١٦٧٦] قلت: وهو أقدر الناس على الترصيع وتنزيل الآيات في كلامه، ويقال إن المتنبي -وغيره- كانوا تحت منبره فقال: أيها الناس تجهزوا فقد ضرب فيكم بوق الرحيل، فقالوا: أفحم الخطيب ما بقي يأتي بعد هذه السجعة بمثلها، فقال: وبرِّزوا فقد قُدمت لكم نُوق التحويل، فزادهم الاستعارة والترصيع.

وقد أورد عليه تاج الدين الكندي، وواخذه في أماكن من فساد المعنى والإعراب والتصريف واللغة، وأجاب عنه الموفق عبد اللطيف[1].

(١) الوافي بالوفيات: ١٨/ ٣٨٨-٣٩٠.



المهر ابن الفرس

عبد الرحيم، المعروف بالمهر بن الفرس.

[١٦٧٧] كان موصوفاً بالذكاء المفرط والتفنن في العلوم والتقدم بأنواع الفضائل، عالي الهمة تسمو نفسه إلى أعلى المراتب حتى أظهر أنه القحطاني الذي ذكره النبي ﷺ بقوله: **«لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه»** وادعى ذلك وخرج في برابر لَمطَة في قبلي مراكش، وخُطب له هنالك بالخلافة، واتبعه خلق من البربر وصار له صيت عظيم، لكنه عكس حاله معهم أنه لم يكن يعرف بالبربري؛ لأنه كان أندلسيّاً ولم يكن البربر يعرفون لسانه، وكان له ترجمان ولم يكن يحسن إليه، فعدل الترجمان إلى الإبطان عليه، وصار يحرف كلامه عند البربر، ويقصد سقوطه من أعينهم، فبلغ غرضه وقتله البربر وحملوا رأسه إلى بني عبد المؤمن بمراكش فعلق على باب الشريعة، ومن شعره [البسيط]:

قولا لأبناء عبد المؤمن بن علي ... تأهبوا لوقوع الحادث الجلل

قد جاء سيد قحطان وعالمها ... ومنتهى القول والغَلاَّب للدول

والناس طوع عصاه وهو سايقهم ... بالأمر والنهي نحو العلم والعمل

فبادروا أمره فالله ناصره ... والله خاذل أهل الزيغ والزلل

[١٦٧٨] وله موشحات منها الموشح المشهور الذي منه:

له ما كان من يوم بهيج، بنهر حمص على تلك المروج، ثم انعطفنا على فم الخليج، نفض مسك الختام، عن عسجدي المدام، ورداء الأصيل،

تطويه كف الظلام.

ولما سمع ابن زهر إمام الوشاحين هذه الاستعارة البديعة أعجب بها وحسده عليها وقال: أين كنا عن هذا الرداء؟

[١٦٧٩] ولما سمع أحد بني عبد المؤمن قوله من هذه الموشحة:

وليلة بذلت فيها الوصالا

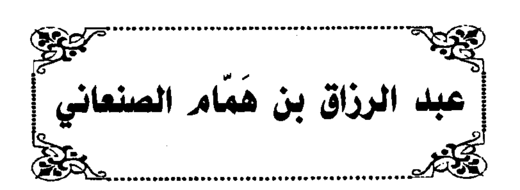
حتى إذا ما خليج الفجر سالا

قامت مودعة تبغي انفصالا

وإذا أتت للسلام... لثمت فوق اللثام

وارتشفتُ الشمول... محجوبة بفَدام[١].

قال: لا بد لهذا الرجل أن يثور ويطلب الملك، قيل له: ومن أين حكمت بذلك؟ فقال: رأيت الثيارة ظاهرة من قوله، إذا أتت للسلام، فلو جرى على عادة العشاق ولم تكن نخوة الملك كامنة في رأسه لقال: وجئتها للسلام، وجعل الخضوع من جهته لا من جهتها[٢].



عبد الرزاق بن هَمّام الصنعاني

عبد الرزاق بن همام بن نافع، الإمام أبو بكر الحميري مولاهم الصنعاني أحد الأعلام.

رحل إلى الشام بتجارة، وسمع الكثير من جماعة.

---

(١) الشمول: الخمر، والفَدام: الإبريق.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٨/ ٣٩٩، ٤٠٠.

مولده سنة ست وعشرين ومائة، وتوفي سنة إحدى وعشرين ومائتين[1].

قال أحمد بن صالح، قلت لأحمد بن حنبل: رأيت أحداً أحسن حديثاً من عبد الرزاق؟ فقال: لا.

[١٦٨٠] قال ابن معين: سمعت من عبد الرزاق كلاماً يوماً فاستدللت به على ما ذكر عنه من المذهب-يعني التشيع- فقلت له:

إن أستاذيك الذيْن أخذت عنهم ثقات كلهم أصحاب سنة: معمر ومالك وابن جريج وسفيان والأوزاعي، فعمن أخذت هذا المذهب؟

فقال: قدم علينا جعفر بن سليمان الضبعي، فرأيته فاضلاً حسن الهدي فأخذت هذا عنه.

[١٦٨١] وقال سلمة بن شبيب: سمعت عبد الرزاق يقول: والله ما انشرح صدري قط أن أفضل علياً على أبي بكر وعمر.

[١٦٨٢] وقال أحمد بن الأزهر: سمعت عبد الرزاق يقول: أفضل الشيخين بتفضيل عليٍّ إياهما على نفسه، ولو لم يفضلهما لم أفضلهما، كفى بي إزراء أن أحب علياً ثم أخالف قوله.

وصنف عبد الرزاق «التفسير» و «السنن» وغير ذلك وعمِّر دهراً طويلاً.

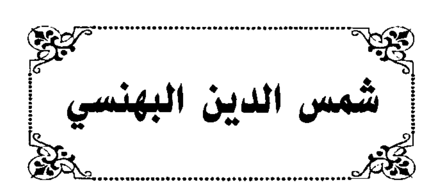
[١٦٨٣] قال زهير بن حرب:

لما قدمنا صنعاء أغلق عبد الرزاق الباب ولم يفتحه لأحد إلا لأحمد بن

---

(١) الراجح في المصادر أنّ وفاته سنة إحدى عشرة ومائتين، ولعله خطأ من النسّاخ.

حنبل لديانته، فدخل فحدثه بخمسة وعشرين حديثاً، ويحيى بن معين بين الناس جالس، فلما خرج قال له يحيى: أرني ما حدثك، فنظر فيه فخطّأه في ثمانية عشر حديثاً، فعاد أحمد إلى عبد الرزاق فأراه مواضع الخطأ، فأخرج عبد الرزاق أصوله فوجدها كما قال يحيى، ففتح الباب وقال: ادخلوا، وأخذ مفتاح بيتٍ وسلمه إلى أحمد وقال: هذا البيت ما دخلته يد غيري منذ ثمانين سنة، أسلمه إليكم بأمانة الله على أنكم لا تقولون ما لم أقل، ولا تدخلوا عليَّ حديثاً من حديث غيري، ثم أومأ إلى أحمد وقال: أنت أمين الله على نفسك وعليهم، فأقاموا عنده حولاً[1].



شمس الدين البهنسي

عبد الرزاق بن حسام بن رزق الله بن حاتم، شمس الدين زريق البهنسي.

نشأ بِقِفْط، وتولى الحكم بها، وتركه تزهداً وتصوف.

[١٦٨٤] وكان صواماً قواماً. قال عبد الغفار بن نوح: أقام عندي أربعة أشهر ما رأيته وضع جنبه إلى الأرض.

وكان يتورع، وله طاحون يأكل منها.

توفي بقفط مقتولاً سنة ثمان وثمانين وست مائة.

[١٦٨٥] ومن شعره [الكامل]:

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٨/ ٤٠٢-٤٠٤.

طوبى لسكان القبور فإنهم حلوا بساحة أكرم الكرماء
فازوا بتعجيل القِرى من ربهم في خفض عيش دائم النعماء
نالوا المنى في قربه وجواره وتخلصوا من منَّة اللؤماء
ما خص بالإحسان من هو محسن بل عم أهل بصيرة وعماء
أدناهم لطفاً وأكرم نُزْلهم فمحلهم بالقرب فوق سماء
لا تخش يا من حل ساحة ربه شيئاً من البأساء والضراء
إن الكريم له عموم تفضل يغشى فيشمل جملة الضعفاء(١)

عبد الصمد بن علي العباسي

عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي.

[١٦٨٥] كانت فيه عجائب منها: أنه ولد سنة ست ومائة، أو أربع و مائة، وولد أخوه محمد بن علي والد السفاح والمنصور سنة ستين، فبينهما في المولد أربع وأربعون سنة، وتوفي محمد سن ست وعشرين ومائة، وتوفي عبد الصمد سنة خمس وثمانين ومائة، فبينهما في الوفاة تسع و خمسون سنة.

ومنها أنه حج يزيد بن معاوية في سنة خمسين للهجرة، وحج عبد الصمد بالناس سنة مائة وخمسين، وهما في النسب إلى عبد مناف سواء؛ لأن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد

(١) الوافي بالوفيات: ١٨/ ٤٠٦.

شمس بن عبد مناف، وبين يزيد وعبد مناف خمسة أجداد، وبين عبد الصمد وعبد مناف خمسة أجداد؛ لأن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.

ومنها: أنه أدرك السفاح والمنصور وهما ابنا أخيه، ثم أدرك المهدي ابن المنصور وهو عم أبيه، ثم أدرك الهادي وهو عم جده، ثم أدرك الرشيد وفي أيامه مات.

ومنها: أنه مات بأسنانه التي خلق بها وولد بها لم يُثْغِر، وكانت قطعة واحدة من أسفل.

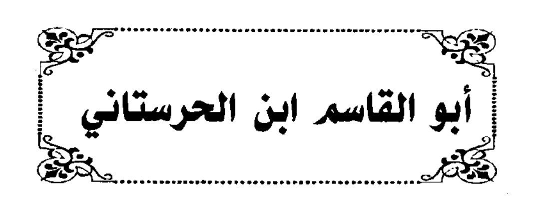
وقال يوماً للرشيد: يا أمير المؤمنين، هذا مجلس فيه أمير المؤمنين وعم أمير المؤمنين وعم عم أمير المؤمنين وعم عم عمه، وذلك أن سليمان بن أبي جعفر عم الرشيد، والعباس عم سليمان، وعبد الصمد عم العباس.

ولي إمرة دمشق للمهدي والرشيد، وولي مكة والموسم، وكان كبير القدر معظماً، وهو أعرف الناس في العمى؛ لأنه أعمى ابن أعمى ابن أعمى، وقعت في عينه ريشة فعمي منها.

توفي بالبصرة[1].

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٨/ ٤٤٩،٤٥٠.



أبو القاسم ابن الحرستاني

عبد الصمد بن محمد بن أبي الفاضل بن علي بن عبد الواحد، قاضي القضاة أبو القاسم جمال الدين ابن الحرستاني، الأنصاري الخزرجي البغدادي السعدي الدمشقي، الفقيه الشافعي.

سمع جماعة وحدث وبرع في المذهب، وأفتى ودرس وطال عمره، ولاه العادل القضاء.

ولد سنة عشرين وخمس مائة، وتوفي سنة أربع عشرة وست مائة.

كان بارعاً في الفقه، قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة: حكى لي الفقيه عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام أنه لم ير أفقه منه، وعليه كان ابتداء اشتغاله، ثم صحب الشيخ فخر الدين ابن عساكر، فسألته عنهما فرجح ابن الحرستاني. انتهى.

قلت: وناهيك بمن يثني عليه الشيخ عز الدين بن عبد السلام هذا الثناء.

اعتنى به العادل عناية كثيرة إلى الغاية بحيث إنه جهز له ما يفرش تحته في مجلس الحكم - لضعفه وكبره - ما يستند إليه، وكان يجلس للحكم بمدرسته المجاهدية، وناب عنه بها ابنه عماد الدين عبد الكريم وكان يجلس بين يديه، فإذا قام الشيخ يستند مكانه، ثم إنه منعه ذلك لشيء بلغه عنه.

بقي في القضاء نحو من سنتين وسبعة أشهر، و لما توفي -رحمه الله تعالى- كانت له جنازة عظيمة حفلة، وكان له يوم توفي -رحمه الله تعالى-

خمس وتسعون سنة.

[١٦٨٦] امتنع -رحمه الله تعالى- من الولاية لما طلب لها فألزمه العادل بها، وكان عادلاً في ولايته صارماً، وكان عديم الالتفات إلى شفاعة الأكابر عنده.

[١٦٨٧] قال سبط ابن الجوزي: اتفق أهل دمشق على أنه ما فاته صلاة بجامع دمشق في الجماعة إلا إذا كان مريضاً، ينزل من الجويرة في سلم طويل فيصلي ويعود إلى داره ومصلاه بيده.

وكان مقتصداً في ثيابه ومعيشته، ولم يدع أحداً من غلمانه القضاة يمشي معه.

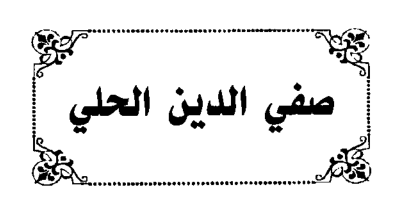
[١٦٨٨] وقال: إن العادل كتب لبعض خواصه كتاباً يوصيه في حكومة بينه وبين آخر، فجاء إليه ودفع إليه الكتاب فقال: إيش فيه؟

قال: وصية بي.

قال: أحضر خصمك فأحضره والكتاب بيده لم يفتحه، وادعى على الرجل فظهر الحق لغريمه فقضى عليه، ثم فتح الكتاب وقرأه ورمى الكتاب إلى حامله وقال: كتاب الله قد قضى وحكم على هذا الكتاب، فمضى الرجل إلى العادل وبكى بين يديه وأخبره بما قال، فقال العادل: صدق، كتاب الله أولى من كتابي[١].

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٨/ ٤٥١-٤٥٣.



صفي الدين الحلي

عبد العزيز بن سرايا بن علي.

هو الإمام العلامة البليغ المفوه الناظم الناثر شاعر عصرنا على الإطلاق: صفي الدين الطائي السنبسي الحلي.

مولده سنة سبع وسبعين وست مائة.

دخل إلى مصر سنة ست وعشرين وسبع مائة تقريباً، وأظنه وردها مرتين.

[١٦٨٩] وأثنى فضلاء الديار المصرية عليه، وأما شمس الدين عبد اللطيف فإنه كان يظن أنه لم ينظم الشعر أحد مثله، لا في المتقدمين ولا في المتأخرين مطلقاً.

وفاته -رحمه الله تعالى- سنة تسع وأربعين وسبع مائة.

[١٦٩٠] وأنشدني من لفظه لنفسه [مجزوء الكامل]:

وإذا العداة أرتك فر ... ط مذلة فإليك عنها

وإذا الذئاب استنعجت ... لك مرة فحذار منها

وقد أنفق غالب مدائحه في ملوك ماردين بني أُرْتُق، وكان يتردد إلى حماة ويمدح ملكها المؤيد والأفضل ولده، وكانا يعظمانه، وهو من الشجعان الأبطال، قُتل خاله فأدرك ثأره، وفيه آثار الجراحة.

[١٦٩١] وأنشدني له إجازة [الطويل]:

ولائي لآل المصطفى عِقد مذهبي　　وقلبي من حب الصحابة مفعم
وما أنا ممن يستجيز لحبهم　　مسبة أقوام عليهم تقدموا
ولكنني أعطي الفريقين حقهم　　وربي بحال الأفضلية أعلم
فمن شاء تعويجي فإني معوج　　ومن شاء تقويمي فإني مقوم

[١٦٩٢] وأنشدني له إجازة [الخفيف]:

قيل لي تعشق الصحابة طُرّاً　　أم تفردت بينهم بفريق[١]
فوصفت الجميع وصفاً إذا ضُوّ　　ع أزرى بكل مسك سحيق[٢]
قيل هذي الصفات والكل كالدر　　باق يشفي من كل داء وثيق
فإلى من تميل؟ قلت إلى الأ　　ربع لا سيما إلى الفاروق

[١٦٩٣] وله من باب المراجعة [المنسرح]:

قالت كحلت الجفون بالوسن　　قلت ارتقاباً لوجهك الحسن[٣]
قالت تسليت يوم فُرْقتنا　　فقلت عن مسكني وعن سكني
قالت تشاغلت عن محبتنا　　قلت بفرط البكاء والحزن
قالت تناسيت قلت عافيتي　　قالت تناءيت قلت عن وطني
قالت تخليت قلت عن جَلَدي　　قالت تغيرت قلت في بدني
قالت تخصصت دون صحبتنا　　فقلت بالغَبْنِ فيك والغَبَن[٤]

---

(١) طُرّاً: أي كلهم.

(٢) المسك السحيق: أي المسحوق، وضُوِّع: أي انتشرت رائحته.

(٣) الوسن :النعاس.

(٤) الغَبْن: الخِداع، والغَبَن :الضعف.

قالت أذعت الأسرار، قلت لها صيَّر سري هواك كالعلن

قالت سررتَ الأعداء، قلت لها ذلك شيء لو شئتِ لم يكن

قالت فماذا تروم؟ قلت لها ساعة سعد بالوصل تسعدني

قالت فعين الرقيب ترصدنا قلت فإني للعين لم أبِنِ

نحلتني بالصدود منك فلو تَرَصَّدني المنون لم ترني[1]



الرفيع الجيلي

عبد العزيز بن عبد الواحد بن إسماعيل، قاضي القضاة بدمشق، رفيع الدين أبو حامد الجيلي الشافعي، الذي فعل بالناس تلك الأفاعيل.

[١٦٩٤] كان فقيهاً فاضلاً مناظراً متكلماً متفلسفاً، قدم الشام وولي القضاء ببعلبك أيام صاحبها إسماعيل الصالح ووزيره أمين الدولة السامري، فلما ملك الصالح دمشق ولاه القضاء بدمشق، فاتفق هو والوزير المذكور في الباطن على المسلمين، وكان عنده شهود زور ومن يدعي زوراً، فيحضر الرجل المتموّل إلى مجلس ويدعي عليه المدعي بألف دينار أو ألفين فينكر، فيحضر الشهود فيلزمه ويحكم عليه، فيصالح غريمه على النصف أو أكثر أو أقل، فاستبيحت أموال الناس.

[١٦٩٥] قال أبو المظفر ابن الجوزي:

حدثني جماعة أعيان أنه كان فاسد العقيدة دهريّاً مستهتراً بأمور

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٨/ ٤٨١-٥٠٧، والمنون: المنايا.

الشرع، يجيء إلى الصلاة سكران، وأن داره كانت مثل الحانة.

قال الشيخ شمس الدين: بلغني أن الناس استغاثوا إلى الصالح من الرفيع، فخاف الوزير وعجل بهلاكه ليمحو التهمة عنه، وقيل: إن السلطان كان عارفاً بالأمور، والله أعلم، وقبض على أعوان الرفيع وكبيرهم: الموفق حسين بن الرواس الواسطي، وسجنوا ثم عذبوا بالضرب والعصر والمصادرة، ولم يزل ابن الرواس في العذاب والمصادرة إلى أن فقد، وفي ثاني عشر ذي الحجة سنة اثنتين وأربعين وست مائة أخرج الرفيع من داره، وحبس بالمقدمية ثم أخرج ليلاً فسجن في مغارة من نواحي البقاع، وقيل: ألقي من شاهق، وقيل: بل خنق.

[١٦٩٦] وقال ابن واصل: حكى لي ابن صبح بالقاهرة أنه ذهب بالرفيع إلى رأس شقيف فعرف أني أريد أن أرميه، فقال: بالله عليك دعني أصلي ، فأمهلته حتى صلاهما ثم رميته فهلك.

ولما كثرت الشكاوى عليه أمر الوزير بكشف ما حمل إلى الخزانة، وكان الوزير لا يحمل إلى الخزانة إلا القليل، فقال الرفيع: الأمور عندي مضبوطة، فخافه الوزير وخوف السلطان من أمره ومن عاقبته، فقال له: أنت جئت به وأنت تتولى أمره أيضاً، فأهلكه الوزير.

[١٦٩٧] وقال ابن أبي أصيبعة: وكان من الأكابر المتميزين في الحكمة والطبيعي والطب وأصول الدين والفقه، وكان فقيهاً في المدرسة العراوية وله مجلس للمشتغلين عليه.

[١٦٩٨] وحكى من أمره ما حكى وقال: إن بعض الذين كانوا معه حكى أنه لما دفع في تلك الهوة تحطم في نزوله، وكأنه تعلق في بعض جوانبها أسفل بثيابه، قال: فبقينا نسمع أنينه نحو ثلاثة أيام وكلما مر يوم

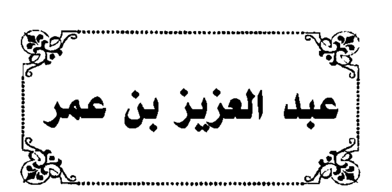
يضعف ويخفى حتى تحققنا موته ورجعنا عنه.

[١٦٩٩] قال: ومن أعجب ما يحكى أن القاضي رفيع الدين وقف على نسخة من هذا الكتاب -يعني «تاريخ الأطباء»- وما كنت ذكرته في تلك النسخة وطالعه، فلما وقف على أخبار السهروردي تأثر من ذلك، فقال: ذكرت هذا وغيره أفضل منه ما ذكرته وأشار إلى نفسه ثم قال: وإيش كان من حال شهاب الدين إلا أنه قتل في آخر أمره، وقدر الله -تعالى- أن رفيع الدين قتل أيضاً.

وذكر ابن أبي أصيبعة قصيدة مدحه بها أولها [الكامل]:

مجد وسعد دائم وعلاء ... أبد الزمان ورفعة وسناء

ببقاء مولانا رفيع الدين ذي الـ ... ـجود العميم ومن له النعماء[1]



عبد العزيز بن عمر

عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان.

كان من ثقات العلماء وثقه ابن معين، ومات سنة سبع وأربعين ومائة -على الصحيح- وروى له الجماعة، وكان عنده أدب ولطف وكرم.

[١٧٠٠] طرقه بعض الليالي أضياف فكتب إلى زوجته [الخفيف]:

إن عندي أبقاك ربك ضيفاً ... واجباً حقه كهولاً ومُردا

طرقوا جارك الذي كان قِدْماً ... لا يرى من غرامة الضيف بُدا

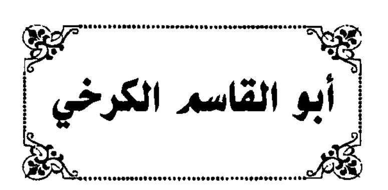
---

(١) الوافي بالوفيات: ١٨/ ٥٢٤-٥٢٦.

فلديــه أضــيافه قــد قــراهم وهــم يشــتهون تمــراً وزُبــدا

فلهــذا أجــرى الحــديث ولكــن قد جعلنـا بعـض الفكاهـة جـدا

فوقف أبوه عمر ﷺ على هذه الأبيات فقال: يا بني لو قلت بدل هذا، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله كان أَعْوَدَ عليك(١).



أبو القاسم الكرخي

عبد العزيز بن محمد أبو القاسم الكرخي.

شاعر روى عنه أبو الحسين بن المنادي.

[١٧٠١] من شعره [البسيط]:

إذا اشتكت نفس محـزون وقـد جزعـت وأظهـرت بالتشـكي بعـض بلواهـا

وفـاض منهـا الـذي قـد كـان يسـتره عقل ضـنين فـأوهى العقـل شـكواها

فمـا تفيـد بشـكواها وإن كثـرت إلا شماتـة مـن عـادى وناواهـا

ومـا لـنفس أتاهـا ضـر سـيدها إلا دعاء الـذي بالضـر أبلاهـا(٢)

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٨/ ٥٣١.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٨/ ٥٤٢،٥٤٣.



عبد العزيز بن مروان

عبد العزيز بن مروان بن الحكم، أبو الأصبغ الأموي.

[١٧٠٢] أمير مصر وولي عهد المؤمنين بعد أخيه عبد الملك بعهد من مروان، إن صححنا خلافة مروان، فإنه خارج على ابن الزبير فلا يصح عهده إلى ولده، وإنما تصح خلافة عبد الملك من يوم قتل ابن الزبير.

روى عن أبيه وأبي هريرة وعقبة بن عامر وابن الزبير، قال ابن سعد: كان ثقة قليل الحديث، قال عند الموت: يا ليتني لم أكن شيئاً، يا ليتني كنت مثل هذا الماء الجاري.

توفي في جمادى الأولى سنة خمس وثمانين للهجرة بحلوان، وحمل في النيل إلى مصر، ولما بلغ عبد الملك وفاته بايع بولاية العهد لابنيه الوليد ثم سليمان.

وروى لعبد العزيز بن مروان أبو داود، وكان أول من عَرّف بمصر يعني جمع الناس عشية عرفة ودعا لهم ووعظهم، ذلك في سنة إحدى وسبعين.

[١٧٠٣] وقال محمد بن الحارث المخزومي:

دخل رجل على عبد العزيز بن مروان يشكو إليه صهراً له، فقال: إن ختني فعل بي كذا وكذا، فقال له عبد العزيز: من خَتَنَك؟

فقال: الختّان الذي يختن الناس.

فقال عبد العزيز لكاتبه: ويحك ما هذا الجواب؟

فقال: أيها الأمير إنك لحنت والرجل يعرف اللَحْنة، وقال: ينبغي أن تقول له: من ختنُك (بالضم)؟

فقال عبد العزيز: أراني أتكلم بكلام لا يعرفه العرب؟ والله لا شاهدت الناس حتى أعرف اللحن، فأقام في بيته جمعة لا يظهر ومعه من يعلمه العربية، فصلى بالناس الجمعة الأخرى وهو من أفصح الناس، ثم كان بعد ذلك يعطي على العربية ويحرم على اللحن، فجاءه قوم من قريش زواراً، فجعل يقول للرجل منهم: من أنت؟

فيقول: من بني فلان فيعطيه مائتي دينار، فسأل رجلاً منهم، فقال: من بنو عبد الدار، فقال للكاتب: خذ من جائزته مائة دينار وأعطاه مائة دينار.

[١٧٠٤] وكان عبد العزيز بن مروان يقول: من أمكنني من وضع معروفي عنده فيده عندي أعظم من يدي عنده، وكان يترنم بأبيات عبد الله ابن عباس [الطويل]:

إذا طارقات الهم ضاجعت الفتى ... وأعمل فكر الليل والليل عاكر

وباكرني في حاجة لم يجد لها ... سواي ولا يوجد لها الدهرَ ناصر

فكان له فضل علي بظنه ... بي الخير إني للذي ظن شاكر

[١٧٠٥] وكتب إليه عبد الملك يقول:

يا أخي إن رأيت أن تجعل الأمر لابن أخيك فافعل، فأبى، فكتب إليه: فاجعله له من بعدك فإنه أعز الخلق علي.

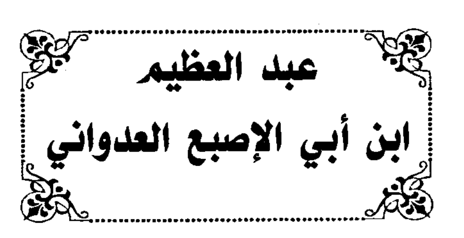
فكتب إليه عبد العزيز: إن رأيي في أبي بكر بن عبد العزيز ما تراه في الوليد.

كتب إليه: فاحمل خراج مصر إلي.

فكتب إليه عبد العزيز: إني وإياك قد بلغنا سناً لم يبلغها أحد من أهل بيتنا إلا كان بقاؤه قليلاً، وإنا لا ندري أينا يأتيه الموت أولاً، فإن رأيت أن لا تعتب علي بقية عمري، ولا يأتيني الموت إلا وأنت واصل لي فافعل، فرقّ له عبد الملك وقال: لا عتبت عليه بقية عمره، وقال لابنيه الوليد وسليمان: إن يرد الله أن يعطيكماها لم يقدر أحد من الخلق على ردها عنكما، ثم قال: قارفتما حراماً قط؟

قالا: لا والله.

فقال: الله أكبر نلتماها ورب الكعبة، فلم يلبث عبد العزيز قليلاً حتى مات رحمه الله[1].



عبد العظيم ابن أبي الإصبع العدواني

عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر، الأديب، أبو محمد بن أبي الإصبع العدواني المصري الشاعر المشهور، الإمام في الأدب، وشعره رائق.

عاش نيفاً وستين سنة، وتوفي بمصر، سنة أربع وخمسين وستمائة.

[١٧٠٦] ومن شعره:

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٨/ ٥٥٨-٥٦١.

من يذم الدنيا بظلم فإني بطريق الإنصاف أثني عليها

وعظتنا بكل شيء لو انا حين جدت بالوعظ من مصطَفَيْها

وأرتنا الوجهين منها فهِمْنا للهوى بالفتان من وجهيها

نصحتنا فلم نر النصح نصحاً حين أبدت لأهلها ما لديها

أعلمتنا أن المآل يقيناً للبِلَى حين جددت عصريها

كم أرتنا مصارع الأهل والأ حباب لو نستفيق بين يديها

ولكم مهجةٍ بزهرتها اغتـ ـرت فأدمت ندامة كفيها

أتراها أبقت على سبأ من قبلنا حين بدلت جنتيها

يومُ بؤس لها ويوم رخاء فتزود ما شئت من يوميها

وتيقن زوال ذاك وهذا تسْلُ عما تراه من حادثيها

دار زاد لمن تزود منها وغرور لمن يميل إليها

مهبط الوحي والمصلى التي كم عفرت صورة بها خديها

متجر الأولياء قد ربحوا الجنة فيها وأُوردوا عينيها

رغبت ثم رهبت ليرى كل لبيب عقباه من حالتيها

فإذا أنصفت تعين أن يثـ ـني عليها البَرُّ من ولديها

وهذه الأبيات منظومة من كلام الإمام علي بن أبي طالب ﷺ في خطبة قالها وهي:

«أيها الذامُّ للدنيا المغتر بغرورها، بم تذمها؟ أنت المجرم عليها أم هي المجرمة عليك؟ متى استهوتك أم متى غرتك؟ أبمصارع آبائك من البِلى، أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى؟ كم عَلّلت بكفيك، وكم

مَرّضت بيديك، تبغي لهم الشفاء، وتستوصف لهم الأطباء، لم ينفع أحدَهم إشفاقك، ولم تُسْعَفْ فيه بطلبتك ولم تدفع عنك بقوتك، قد مثلت لك به الدنيا نفسك، وبمصرعه مصرعك، إن الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها، ودار موعظة لمن اتعظ بها، مسجد أحباء الله، ومصلى ملائكة الله، ومهبط وحي الله، ومتجر أولياء الله، اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا فيها الجنة، فمن ذا يذمها، وقد آذنت ببينها، ونادت بفراقها، ونعت نفسها وأهلها، فمثلت لهم ببلائها البلاء، وشوقتهم بسرورها إلى السرور، راحت بعافية، وابتكرت بفجيعة ترغيباً وترهيباً وتخويفاً وتحذيراً فذمها رجالٌ غداة الندامة، و حمدها آخرون، ذكرتهم الدنيا فذكروا وحدثتهم فصدقوا، ووعظتهم فاتعظوا».

[١٧٠٧] لما صنف ابن أبي الإصبع كتابه (تحرير التحبير) نسخه الضياء موسى ابن ملهم الكاتب، وكتب في آخره [من البسيط]:

هذا كتاب بديع ما رأى أحد ... مثلاً له في مبانيه ومعناه

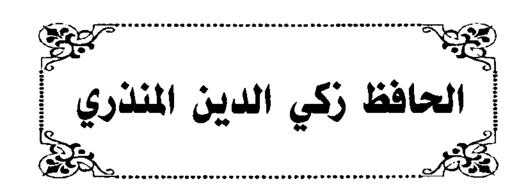
حوى تصانيف هذا العلم أجمعها ... وزادنا جملاً عما سمعناه

لا تعجبوا من لطيف الحجم قا ... م بهذا الفن أجمع أقصاه وأدناه

فقد رأيتم عصا موسى كم التقفت ... ولم يزد قدرها عما عهدناه[1]

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٩/ ٧-١٣.



الحافظ زكي الدين المنذري

عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، الحافظ الإمام زكي الدين، أبو محمد المنذري الشامي ثم المصري الشافعي.

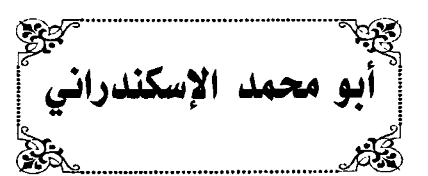
ولد سنة إحدى وثمانين وخمس مائة بمصر، وقرأ القرآن وتفقه وتأدب، وسمع بمكة وبطيبة وبدمشق وبحران والرها والإسكندرية وأماكن، وخرج لنفسه معجماً كبيراً مفيداً، ودرَّس بالجامع الظافري بالقاهرة مدة، ثم ولي مشيخة الدار الكاملية للحديث، وانقطع بها نحواً من عشرين سنة، مكبّاً على التصنيف والتخريج والإفادة والرواية.

توفي الشيخ زكي الدين سنة ست وخمسين وست مائة.

[١٧٠٨] من مناقبه الصالحة: ما ذكره لي قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن علي السبكي، قال:

لما توفي ابنه محمد صبر واحتسب ولم يخرج مع جنازته، بل اتبعه إلى باب المدرسة الكاملية لا غير، ولم يرح إلى قبره، ولا كان يزوره، وكان ولده محمد معيداً عنده في الكاملية، وكانت بينه وبين الشيخ شرف الدين الدمياطي صورة جرت العادة بها بين المتناظرين في الطلب والاشتغال، وكان الشيخ زكي الدين يعرف ما بينهما من التحاسد والعداوة، ولما مات محمد كان الشيخ شرف الدين في الحجاز، فلما وصل من الحجاز جاء إليه الشيخ زكي الدين إلى بيته فدق عليه الباب فقال: من؟ قال: أنا عبدالعظيم، فخرج إليه مدهوشاً لحرمته وعظمته، فقال له: محمد مات وقد

وليتك مكانه في الإعادة، رحمهم الله أجمعين[1].

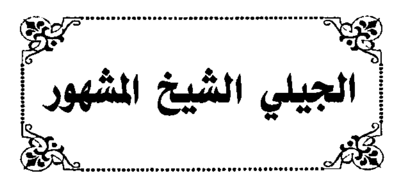


أبو محمد الإسكندراني

عبد القادر ابن أبي الرضا بن معافي، أبو محمد نائب الحكم بالإسكندرية.

[١٧٠٩] كان يروي «جامع الترمذي» عن علي بن البناء، وكان عسراً في الرواية جدّاً، وذكر المزِّي أنه أتاه ليسمع منه، فقال: نحن جلوس للحكم في قضاء أشغال المسلمين، قال: فقلت: فأيش نحن؟ ناب في الحكم مدة وعزل نفسه ولازم بيته.

وتوفي سنة ثمان وثمانين وست مائة[2].



الجيلي الشيخ المشهور

عبد القادر بن عبد الله أبي صالح ابن جنكي دوست، ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب-رضي الله عنهما- الشيخ أبو محمد الجيلي الحنبلي الزاهد، صاحب المقامات والكرامات، وشيخ الحنابلة-رحمه الله-.

قدم بغداد وتفقه على القاضي أبي سعد وسمع.

وكان يأكل من عمل يده.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٩/ ١٤- ١٦.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٩/ ٣٦، ٣٧.

[١٧١٠] تكلم في الوعظ، و ظهر له صيت، و كان له سمت وصمت، قال الشيخ شمس الدين[1]:

لم يسع ابن الجوزي أن يترجم له أكثر من هذا لما في قلبه له من البغض، وترجم له الشيخ شمس الدين سبع ورقات.

ولد بجيلان سنة إحدى وتسعين وأربع مائة ، وتوفي سنة إحدى وستين وخمس مائة.

قدم بغداد شاباً، وكان إمام زمانه وقطب عصره، وشيخ الشيوخ بلا مدافعة، قال أبو الحسين اليونيني: سمعت الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول: ما نقلت إلينا كرامات أحد بالتواتر إلا الشيخ عبد القادر.

وكان الشيخ عبد القادر قد لازم الأدب على أبي زكرياء التبريزي، واشتغل بالوعظ إلى أن برز فيه، ثم لازم الخلوة والرياضة والسياحة والمجاهدة، والسهر والمقام في المحراب والصحراء، وصحب الشيخ أحمد الدباس وأخذ عنه علم الطريق.

ثم إن الله أظهره للخلق، وأوقع له القبول العظيم، فعقد المجلس سنة إحدى وعشرين وخمس مائة، وأظهر الله الحكمة على لسانه، ثم جلس في مدرسة شيخه أبي سعد للتدريس والفتوى سنة ثمان وعشرين وخمس مائة وصار يقصد بالزيارة، وصنف في الأصول والفروع.

وله كلام على لسان أهل الطريق.

[١٧١١] قال: طالبتني نفسي يوماً بشهوة فكنت أضاجرها، وأدخل في درب وأخرج إلى درب أطلب الصحراء، فبينا أنا أمشي إذ رأيت رقعة

---

(١) أي الإمام الذهبي، رحمه الله تعالى.

ملقاة فإذا فيها: «وما للأقوياء والشهوات! إنما خلقت الشهوات للضعفاء ليتقووا بها على طاعتي» فلما قرأتها خرجت تلك الشهوة من قلبي.

[١٧١٢] وقال: كنت أقتات بخرنوب الشوك وورق الخس من جانب النهر.

[١٧١٣] وكان يقول: الخلق حجابك عن نفسك، ونفسك حجاب عن ربك، ما دمت ترى الخلق لا ترى نفسك، وما دمت ترى نفسك لا ترى ربك.

[١٧١٤] وكان يقول: الدنيا أشغال والآخرة أهوال، والعبد فيما بين الأشغال والأهوال حتى يستقر قراره إما إلى جنة وإما إلى نار.

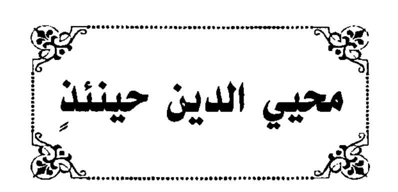
[١٧١٥] وكان يقول: الأولياء عرائس الله لا يطلع عليهم إلا ذا محرم.

[١٧١٦] وكان يقول: فتشت الأعمال كلها فما وجدت فيها أفضل من إطعام الطعام، أود لو أن الدنيا بيدي فأطعمها الجياع.

[١٧١٧] وقال عبد الرزاق بن عبد القادر: ولد لوالدي تسع وأربعون ولداً، سبع وعشرون ذكراً، والباقي إناث[١].

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٩/ ٣٨- ٤٠.



محيي الدين حينئذ

[١٧١٨] عبد القادر بن أحمد، الفقيه المناظر محيي الـدين حينئـذ، كـان يكثر في بحوثه من قول حينئذ.

سقط من سلم فمات سنة سبع مائة، وكان بغـداديّاً فقيهـاً كهـلاً تـام الشكل، لديه معرفة وفضائل[١].



الإدفوي

عبد القادر بن مهذب بن جعفر الأدفوي.

قال الفاضل كمال الدين جعفر الأدفوي، هو ابن عمي، كـان ذكيّـاً، جواداً، متواضعاً، رحل إلى قوص للاشتغال بالفقه، وحفظ أكثـر «التنبيـه» ولم ينتج فيه.

وكان إسماعيلي المذهب، مشتغلاً بكتاب «الدعائم» تصنيف النعمـان ابن محمد[٢]، متفقهاً، وكان فيلسوفاً يقرئ الفلسفة ويحفظ من كتاب «زجر النفس» وكتاب «أثلوجيا» وكتاب «التفاحة» المنسوب لأرسطو كثيراً.

[١٧١٩] قال: وذكر لي بعض أصحابنا ممن لا أتهمه بكذب أنه تعسر عليه قفل باب فذكر اسماً وفتحه، وأنهـم قصـدوا حضـور امـرأة فهَمْهَـم

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٩/ ٤٣.

(٢) هذا كان من أهل السنة فترك مذهبه لما دخل الفاطميون مصر وألّف لهم.

بشفتيه لحظة فحضرت! فسألوها عن ذلك فقالت: إنها حصل عندها قلق فلم تقدر على الإقامة.

[١٧٢٠] وكان مؤمناً بالنبي ﷺ، منزلاً له منزلته، ويعتقد وجوب أركان الإسلام، غير أنه يرى أنها تسقط عمن حصل له معرفة بربه بالأدلة التي يعتقدها، ومع ذلك فكان مواظباً على العبادة في الخلوة والجلوة والصيام، إلا أنه يصوم بما يقتضيه الحساب، ويرى أن القيام بالتكاليف الشرعية يقتضي زيادة الخير وإن حصلت المعرفة، وكان يفكر طويلاً ويقوم ويرقص ويقول [من المتدارك]:

يا قطوع من أفنى عمرو في المحلول   فاتو العاجل والآجل ذا البهلول

قال: ومرض فلم أصِلْ إليه، ومات فلم أصلِّ عليه، وسار إلى ساحة القبور، وصار إلى من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

وفاته في سنة خمس وعشرين وسبع مائة[١].



القاضي جمال الدين التبريزي

عبد القاهر بن محمد بن عبد الواحد القاضي، الخطيب، جمال الدين أبو بكر البخاري ثم التبريزي ثم الحراني، ثم الدمشقي الشافعي.

مولده في نصف شعبان سنة ثمان وأربعين وست مائة بحران، ونشأ واشتغل بدمشق وتفقه.

(١) الوافي بالوفيات: ١٩/ ٤٤، ٤٥، ولم يصل عليه لكونه إسماعيلياً، وهم كفار.

[١٧٢١] قال الشيخ شمس الدين[١] -فيما ذاكرني به- قال:

ماتت أمي بنت عشرين سنة، وكان أبي تاجراً ذا مال فقدم بي إلى دمشق وأنا ابن ست سنين، فمات، وكفلني عمي عبد الخالق، ورجع بي إلى حران، وباع أملاكنا بثمانين ألفاً ورد بي، ثم قال لي يوماً:

امض بنا، فمضى بنا نحو ميدان الحصا، وعرّج بي فوثب عليَّ فخنقني فغشيت، فرماني في حفرة وطم علي المدر والحجارة، فأبقى كذلك أربعة أيام، فمر رجل صالح كان برباط الإسكاف -عرفته بعد ثلاثين سنة- فبكر يتلو ومر بجسر ابن سواس ثم إلى القطائع فجلس يبول، وكنت أحك رجلي فرأى المدر يتحرك فظنه حية، فقلب حجراً فبدت رجلي فاستخرجني، فقمت أعدو إلى الماء فشربت من شدة عطشي ووجدت في خاصرتي فزراً من الحجارة وفي رأسي فتحاً، ثم أراني القاضي أثر ذلك في كَشْحه[٢] ، ووضع أصابعي على جورة في رأسه تسع باقلاء، قال:

ودخلت البلد إلى إنسان أعرفه فمضى بي إلى ابن عم لنا وهو الصدر الخَجَنْدِي، وكان مختفياً بالصالحية، وله غلامان ينسخان ويطعمانه، اختفى لأمور بدت منه أيام هولاكو، وكتب معي ورقة إلى نسائه بالبلد، وكانت بنته ست البهاء التي تزوج بها الشيخ زين الدين ابن المنجا وماتت معه، هي أختي من الرضاعة، فأقمت عندهن مدة لا أخرج حتى بلغت وحفظت القرآن بمسجد الزلاقة، فمررت يوماً بالديماس[٣] فإذا بعمي فقال: هاه جمال!! امش بنا إلى البيت، فما كلمته، وتغيرت ومعي رفيقان

---

(١) أي الإمام الذهبي رحمه الله تعالى.

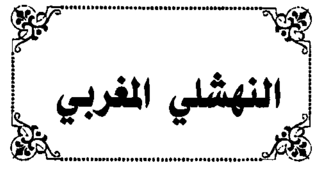
(٢) أي خاصرته.

(٣) أي الحمام.

فقالا لي: ما بك؟ فسكت وأسرعت، ثم رأيته مرة أخرى بالجامع، فأخذ أموالي وذهب إلى اليمن وتقدم عند ملكها ووزر ومات عن أولاد.

وتفقهت ثم وليت القضاء ونُبْت يوماً بجامع دمشق عن ابن جماعة، فقيل له: إن داوم هذا راحت الخطابة منك، يعني لحسن أدائه وهيئته.

مات سنة أربعين وسبع مائة، وكان فصيح العبارة، مليح الشكل، أحمر الوجه مستديره، منور الشيبة، عذب الكلام، ينظم نظماً عذباً منسجماً فيه بعض شيء من اللحن الخفي جدّاً، وعمل مجلدة في الخطب وسمها بـ «تحفة الألباء» فقرأتها عليه بصفد جمعاء، وأجازني جميع ما يجوز له أن يرويه، وفي هذه الخطب مواضع خارجة عن الصواب من اللحن الخفي[1].



النهشلي المغربي

عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي.

توفي بالقيروان أو المهدية سنة خمس وأربع مائة، ومنشؤه بالمحمدية من أرض الزاب.

[١٧٢٢] كان شاعراً مقدماً، عارفاً باللغة، خبيراً بأيام العرب، وأشعارها، بصيراً بوقائعها وآثارها، وكانت فيه غفلة شديدة عما سوى ذلك، قال له بعض إخوانه: الناس يزعمون أنك أبله، فقال: هم البله، هل أنا أبله في صناعتي؟

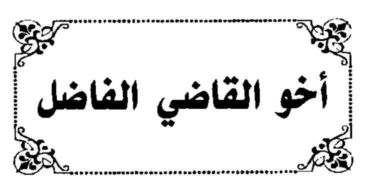
قال: لا.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٩/ ٥٤- ٥٦.

قال: فما على الصائغ أن لا يكون نساجاً.

ولم يهج أحداً قط[1].



أخو القاضي الفاضل

عبد الكريم بن علي بن الحسن الرئيس الأثير، القاضي، أبو القاسم اللخمي، البيساني العسقلاني المولد المصري الدار، الشافعي، أخو القاضي الفاضل.

[١٧٢٣] كان كثير الرغبة في تحصيل الكتب مبالغاً في ذلك إلى الغاية القصوى، ملك منها جملة عظيمة، لم يبلغنا عن أحد من الرؤساء أن كتبه وصلت إلى مبلغ كتب عبد الكريم ولا قريباً منه، إلا ما ذكر عن أخيه ولم يقارب هذا عبد الكريم، حتى قيل: إنها مايتا ألف مجلدة، قال الموفق عبد اللطيف: كان له هوس في تحصيل الكتب وكان عنده منها زهاء مائتي ألف كتاب من كل كتاب نسخ.

قلت: وهي موجودة إلى عصرنا هذا نشاهد اسمه عليها بقلم دقيق طويل الألفات على أعلى الكتاب مما يلي يسار الناظر في أوله فوق اسم الكتاب.

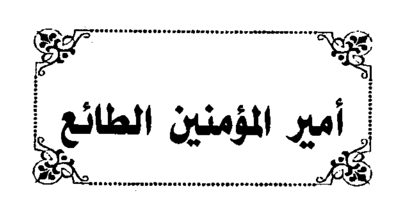
وتوفي سنة إحدى وعشرين وستمائة.

وقيل: إنه كان يتولى نظر الإسكندرية[2].

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٩/ ٧٣.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٩/ ٨٢.



أمير المؤمنين الطائع

عبد الكريم بن الفضل بن جعفر بن أحمد، أمير المؤمنين، أبو بكر، الطائع لله ابن المطيع ابن المقتدر ابن المعتضد ابن الموفق طلحة ابن المتوكل، ابن الواثق ابن المعتصم ابن الرشيد ابن المهدي ابن المنصور العباسي، وأمه أمة.

تولى الخلافة في ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلاث مائة، وقبضوا عليه في شعبان سنة إحدى وثمانين، وكانت خلافته سبع عشرة سنة وتسعة أشهر وستة أيام.

[١٧٢٤] قال أبو علي بن شاذان: رأيته رجلاً مربوعاً، كبير الأنف، أبيض، أشقر، وكان الطائع شديد الحيل، في خلقه حدة، خلعه بهاء الدولة ابن عضد الدولة بإشارة الأمراء ومعونتهم، وسملوا عينيه(١).

[١٧٢٥] ولما أُجلس القادر في الخلافة أسكنه معه في زاوية من قصره رقة له، وكان يحسن إليه، ويحتمل غلظة كلامه، ويقضي معظم ما يستقضيه من الحوائج، فكلفه يوماً حاجة لم يقدر عليها، واعتذر له بأن الديلم غالبون على الأمر، فلما توسط النهار وقدم الطعام أتوه بعدس مطبوخ فلمسه وقال: ما هذا؟

قالوا: عدسية.

قال: أمن هذا أكل أبو العباس؟

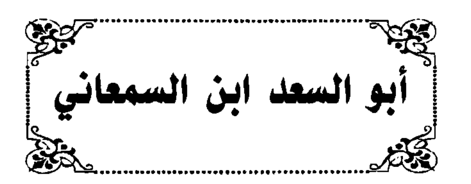
(١) أي أذهبوهما بحديدة محماة أو نحوها.

قالوا: نعم.

قال: إذا كان جاهه كما رأيناه أول النهار وطعامه هذا في وسط النهار، كان الأولى به أن يقعد في البطيحة ولا يتعنى، ولا يتكلف مشقة الخلافة، فضحك القادر، وقال: منعناه من راحة البصر فلا نمنعه من راحة اللسان.

[١٧٢٦] وكان الطائع قد استعرض جارية فأعجبته وأمر بشرائها، فنظرت إليه ورأت عظم أنفه فقالت: ما يقدم على أن يباع عندكم إلا من يوطن نفسه على المرابطة في سبيل الله، فضحك وقال: اشتروها! فإن لم يكن عندها أدب الملوك فعندها نوادر الظرفاء.

وتوفي -رحمه الله- ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وتسعين وثلاث مائة، وصلى عليه القادر وكبر خمساً، وحمل إلى الرصافة وشيعه الأكابر(١).



أبو السعد ابن السمعاني

عبد الكريم بن محمد بن منصور، تاج الإسلام، قوام الدين، أبو سعد السمعاني، من أهل مرو وهو الإمام ابن الأئمة.

غذي بالعلم، ونشأ في حجر الفضل، وحمل على أكتاف الأئمة، أسمعه والده في صغره، ثم إنه اشتغل بالأدب وحصل منه طرفاً صالحاً، وقرأ المذهب والخلاف، وتكلم في المناظرة.

ثم اشتغل بالحديث فسمع الكثير ببلده، وجال في خراسان، وسمع بنيسابور وطوس ومِيْهنة الكثير، ثم توجه إلى العراق، ودخل أصبهان سنة

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٩/ ٨٦،٨٧.

إحدى وثلاثين وسمع بها وبالري، وساوة، وهمذان وغيرها من البلاد، ودخل بغداد سنة اثنتين وثلاثين، وسمع بها الكثير، وحج مرتين، وانحدر إلى واسط والبصرة وسمع بهما، وعاد إلى بغداد وتوجه إلى الشام، وسمع بحلب ودمشق وحماة وحمص، وزار القدس وبلاد الساحل وسمع ببلاد الجزيرة، وعاد إلى بغداد وسمع على من بقي فيها من الأشياخ، وجمع «ذيلاً» على تاريخ الخطيب لبغداد وأتى فيه بكل مليحة ثم عاد إلى نيسابور.

وقد ولد له أبو المظفر عبد الرحيم بنيسابور فلما بلغ حد السماع طاف به بلاد خراسان وأسمعه، ثم دخل إلى ما وراء النهر وأسمعه، ثم عاد إلى مرو، وألقى بها عصاه، وأقام بها مشتغلاً بالجمع والتصنيف والتحديث والإملاء وإلقاء الدروس بالمدرسة العميدية.

وكان وافر الهمة في طلب الحديث، شديد الحرص على لقاء المشايخ، مليح الخط، سريع القلم وكتب عن أقرانه وعمن هو دونه، وجمع «معجماً» لشيوخه في عشر مجلدات كبار.

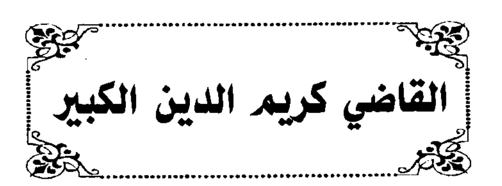
[١٧٢٧] قال محب الدين بن النجا: سمعت من يذكر أن عددهم سبعة آلاف شيخ ولم يبلغ أحد من أقرانه مبلغه.

وكان مليح التصانيف، كثير الشوارد والأسانيد لطيف الطبع، ظريفاً فاضلاً صدوقاً، جميل السيرة.

مولده سنة ست وخمس مائة، ووفاته سنة اثنتين وستين وخمس مائة.

[١٧٢٨] وكان بينه وبين ضياء الدين أبي شجاع -عمر بن أبي الحسن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن نصر البسطامي- مودة مؤكدة وخلة وثيقة، وكان كل واحد منهما يسأل الله عقيب الصلاة ألاَّ يسمع

نعي صاحبه، وأن يكون يومه قبله وكان من عجيب أمرهما أنهما ماتا في شهر واحد، مات السمعاني بمرو، ومات البسطامي ببلخ في شهر ربيع الأول ولم يسمع أحدهما نعي الآخر، رحمهما الله تعالى[1].



القاضي كريم الدين الكبير

عبد الكريم بن هبة الله بن السديد المصري، القاضي النبيل، الجليل، المدبر، كريم الدين، أبو الفضائل الكبير، ابن العلم، وكيل السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وناظر خواصه، ومدبر دولته.

بلغ فوق ما يبلغه الوزراء، ونال فوق ما يناله الكتاب من الوجاهة والحرمة والتقدم.

[١٧٢٩] أسلم كهلاً أيام الجاشنكير وكان كاتبه، وكان لا يصرف على السلطان شيء يطلبه إلا بقلم القاضي كريم الدين، ويقال: إنه طلب مرة إوزة ولم يكن حاضراً، فلم تصرف له.

ولما هرب الجاشنكير وأخذ الخزائن معه، وورد السلطان من الكرك تطلبه كثيراً، حكى لي الحافظ فتح الدين ابن سيد الناس، قال:

جاء إلى الأمير علم الدين الجاولي، وقال له: قد جئت إليك.

فقال: ما في يدي لك فرج، ولكن للسلطان اليوم خاصكي يقال له: الأمير سيف الدين طغاي الكبير، وهو لا يخالفه فأريد أجتمع لك به وأعرفك ما يكون، ثم إنه اجتمع به فقال له: أحضره ودخل الأمير سيف

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٩/ ٨٨- ٩٢.

الدين طغاي إلى السلطان وهو يضحك، وقال له: إن حضر كريم الدين أيش تعطيني؟

ففرح وقال: أعندك هو؟ أحضره، فخرج وقال للأمير علم الدين: أحضره، فأحضره، فقال له: مهما قال لك السلطان قل له نعم ولا تخالفه، ودعني أنا أدبر أمرك، فدخل به عليه، فلما رآه استشاط غضباً وقال له: اخرج الساعة احمل ألف ألف دينار.

فقال له: نعم، وخرج.

فقال: لا، كثير احمل خمس مائة ألف دينار.

فقال: السمع والطاعة.

فقال: لا، كثير! احمل ثلاثة مائة ألف دينار.

فقال: السمع والطاعة.

فقال: لا، كثير احمل الساعة مائة ألف دينار.

فقال: السمع والطاعة، فخرج فقال له الأمير سيف الدين طغاي: لا تحضر الجميع ولكن هات لي الآن منها عشرة آلاف دينار، ودخل بها إلى السلطان فسكن غيظه، وبقي كل يومين وثلاثة يحمل خمسة آلاف دينار، ومرة ثلاثة آلاف دينار، ومرة ألفين، ولم يزل هو والقاضي فخر الدين ناظر الجيش يصلحان أمره عند السلطان إلى أن رضي عنه وسامحه بما بقي، واستخدمه ناظر الخاص، وهو أول من باشر هذه الوظيفة ولم تكن تعرف أولاً، ثم تقدم وأحبه محبة لم يحبها لآخر مثله، وكانت الخزائن جميعها عنده في بيته، وإذا أراد السلطان شيئاً نزل إليه مملوك إلى بيته، واستدعى منه ما يريده فيجهزه إليه من بيته.

[١٧٣٠] وحج هو والخونده[1] طغاي امرأة السلطان واحتفل بأمرها، وكان كل سماط في الغداء والعشاء يحضر لها أنواع البقل طرية، والجبن المقلي سخناً، أخذ معه الأبقار الحلابة، وحمل الخضر في مزارعها بالطين على الجمال، وكان يخدم كل أحد.

وكان إذا أراد أن يعمل سوءاً[2] ويراه قد أقبل يقول: جاء القاضي وما يدعنا نعمل ما يريد، فيحدثه في إبطال ما كان هَمّ به من الشر، ومدة حياته لم يقع من السلطان إلا خير.

[١٧٣١] وأما مكارمه فلم أسمع من أحد عنه إلا مكرمة أو منقبة بديعة، حكى لي غير واحد بالقاهرة أنه حضرت له امرأة رفعت قصة تطلب منه إزاراً، فوقع في ظاهرها إلى الصيرفي بمبلغ ثمان مائة درهم فلما رأى الصيرفي أنكر ذلك وأوقفها وتوجه إليه، وقال:

يا سيدي هذه سألت إزاراً، والإزار ما ثمنه هذا المبلغ.

فقال له: صدقت، وأخذ القصة، وقال:

هذا متاع الله -تعالى- وهذه متاعي، وزاد الثمان مائة ثمانين، وقال: أنا ما أردت إلا ثمانين ولكن الله أراد الثمان مائة، فوزن الصيرفي للمرأة ثمان مائة وثمانين، حكى لي هذه غير واحد.

[١٧٣٢] وقيل لي: إنه كان له صيرفي يستدعي منه ما يريد صرفه لمن سأله شيئاً، وإن الصيرفي أحضر إليه مرة وصولات عديدة ليست بخطه فأنكرها، فقال الصيرفي:

---

(١) الخونده: أي الرئيسة.

(٢) أي السلطان.

هذا في كل وقت يحضر إلي مثل هذه الوصولات.

فقال: إذا جاء أمسكه وأحضره، فلما جاءه على العادة أمسكه، وأحضره إلى بابه، فقيل له: إن الصيرفي وقع بالمزور، فقال: سيبوه ما لي وجه أراه، ثم قال:

أحضروه فلما مثل بين يديه، قال له: ما حملك على هذا؟

قال: الحاجة.

فقال له: كلما احتجت إلى شيء اكتب به خطك على عادتك لهذا الصيرفي، ولكن ارفق فإن علينا كلفاً كثيرة! وقال للصيرفي: كلما جاء إليك خطه بشيء فاصرفه ولا تشاور عليه.

[١٧٣٣] حكى لي القاضي شهاب الدين بن فضل الله أنه بلغه أن القاضي علاء الدين بن عبد الظاهر، والقاضي نجم الدين ابن الأثير قعدا يوما على باب القلة وأُجرى ذكر كريم الدين ومكارمه فقال علاء الدين:

ما مكارمه إلا لمن يخافه، فهو يصانع بذلك عن نفسه، فما كان بعد يومين أو ثلاث حتى احتاج نجم الدين ابن الأثير إلى رصاص يستعمله في قدور حمام، فكتب ورقة إلى كريم الدين يسأل بيع جملة من الرصاص بديوان الخاص، فحمل إليه جملة كبيرة فضل له عما احتاج إليه ثلاثون قنطاراً، ولم يأخذ عن ذلك ثمناً.

وأما علاء الدين فإنه تركه يوماً وهو في بستانه وانحدر إليه في البحر، فلم يشعر به إلا وقد أرست حراقته على زريبة علاء الدين، فنزل إليه وتلقاه واندهش لقدومه، فحلف أنه ما يأكل ما يحضره إليه من خارج البستان وإلا مهما كان طعام ذلك النهار يحضره، فأحضر له ما اتفق

حضوره، وقال:

يا مولانا، أنا ما أعلمتك بمجيئي ولكن أنا مثل اليوم[1] ضيفك، ولكن لا ألتقي هذه العمارة على هذه الصورة، وشرع رتبها على ما أراد، وراح من عنده فلم يشعر علاء الدين ذلك اليوم إلا بالمراكب قد أرست على زربيته بأنواع الأخشاب والطوب، وأفلاق النخل والجبس والمهندسين والصناع، والفعول، وكل ما يحتاج إليه، وأخذوا في هدم ذلك المكان وشرعوا في بنائه على ما قاله لهم، فلم يأت على ذلك خمسة أيام أو ستة إلا وقد تكامل ورخم وزخرف وفرغ منه، فلما كان قبل الميعاد بيوم جاء إليه مركب موسق بأنواع الغنم والإوز والدجاج الفايق وغيره، والسكر والأرز، وجميع ما يطبخ حتى المخافي والماعون الصيني والجبن ومن يقليه وعمل الطعام الفايق المختلف ومد السماط العظيم، ونزل القاضي كريم الدين ومعه من يختاره، وجاء إليه فوجد الدار قد عمرت على ما أراد، والطعام قد مد سماطه فأكل هو ومن معه، وأحضر أنواع الفاكهة والحلوى والمشروب، ولما فرغ من ذلك أحضر بقجة كبيرة أخرج منها ما يصلح للنساء من القماش الإسكندري وغيره، وما يصلح لملبوس علاء الدين، وقال:

هذه خمسة آلاف درهم يكسو بها مولانا عبيده وجواريه على ما يراه، وهذا توقيع تصدق به مولانا السلطان على مولانا فيه زيادة معلوم دراهم وغلة وكسوة ولحم وجراية، ونزل يركب فنزل معه فلما ركب وفارقه قال:

يا مولانا علاء الدين والله هذه الأشياء أنا أفعلها طبعاً وأنا لا أرجوك

---

(١) يعني بعد أسبوع.

ولا أخافك.

وعلى الجملة فما سمعت عنه بالديار المصرية إلا كل مكرمة غير الأخرى، يبتدع فعلها ولم نسمعها عن غيره وهو الذي صدق أخبار البرامكة[1].

[١٧٣٤] ومن رياسته أنه كان إذا قال لك: نعم، كانت نعم، وإذا قال: لا، فهي لا، وهذه تمام الرياسة.

[١٧٣٥] قدم من الثغر نوبة حريق القاهرة، ونسب إليه ميل إلى النصارى فغوّث به الغوغاء ورجموه، فغضب السلطان وقطع أيدي أربعة.

وكان وقوراً عاقلاً داهية، جزل الرأي بعيد الغور، عمر بالزربية جامعاً وميضأة وعمر في طرق الرمل البيارات، وأصلح الطرق، وعمر جامع القبيبات والقابون ووقف عليهما.

[١٧٣٦] ثم انحرف عنه السلطان ونكبه، وأقام في بيت الأمير سيف الدين أرغون النائب ثلاثة أيام، وكان الأمير سيف الدين قجليس يروح ويجيء إليه في الرسائل عن السلطان، ثم رسم بنزوله إلى القرافة، ثم إنه أخرج إلى الشوبك ثم إلى القدس، ثم طلب إلى مصر وجهز إلى أسوان، وبعد قليل أصبح مشنوقاً بعمامته.

وكان يحترم العلماء وسمع البخاري.

[١٧٣٧] وقيل: إنه لما أحس بقتله صلى ركعتين وقال: هاتوا!! عشنا سعداء ومتنا شهداء.

وكان الناس يقولون: ما عمل أحد مع أحد ما عمله السلطان مع

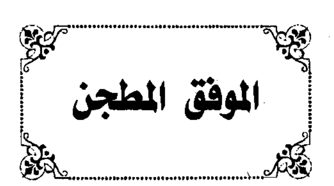
---

(١) يعني في الجود والكرم.

كريم الدين: أعطاه الدنيا والآخرة، رحمه الله تعالى.

وكانت واقعته سنة أربع وعشرين وسبع مائة.

ومناقبه كثيرة إلى الغاية، ومكارمه جزيلة لا تحصى وهذا أنموذج منها[1].



الموفق المطجن

عبد اللطيف بن يوسف بن محمد، العلامة موفق الدين أبو محمد الموصلي الأصل، البغدادي، الفقيه الشافعي، النحوي، اللغوي.

ولد ببغداد سنة سبع وخمسين وخمس مائة، وتوفي ببغداد سنة تسع وعشرين وست مائة.

سمّعه أبوه من جماعة، وروى عنه جماعة، وحدث بدمشق ومصر والقدس وحران وبغداد.

وكان أحد الأذكياء المتضلعين من الأدب والطب وعلم الأوائل إلا أن دعاويه كانت أكثر من علومه، وكان ذميم الخلقة نحيلها، قليل لحم الوجه، بالغ القفطي في الحط عليه.

[١٧٣٨] ومن كلامه:

اللهم أعذنا من جموح الطبيعة، وشموس النفس، وسَلِّس لنا مقار التوفيق وخذ بنا من سواء الطريق.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٩/ ٩٧- ١٠٢.

يا هادي العمي، يا مرشد الضلال، يا محيي القلوب الميتة بالإيمان خذ بأيدينا من مهواة الهلكة، ونجنا من رَدْغة[1] الطبيعة، وطهرنا من درن الدنيا الدنية بالإخلاص لك والتقوى، إنك مالك الدنيا والآخرة.

سبحان من عم بحكمته الوجود، واستحق بكل وجه أن يكون هو المعبود، تلألأت بنور جلالك الآفاق، وأشرقت شمس معرفتك على النفوس إشراقاً وأي إشراق.

[١٧٣٩] وقال موفق الدين عبد اللطيف:

ولدت بدار لجدي سنة سبع وخمسين وخمس مائة، وتربيت في حجر الشيخ لا أعرف اللهو واللعب، وأكثر زماني مصروف في سماع الحديث، وأُخذت لي إجازات من مشايخ بغداد وخراسان والشام ومصر.

وقال والدي: قد سمّعتك جميع عوالي بغداد، تعلم الخط، واحفظ القرآن والفصيح والمقامات، وديوان المتنبي ونحو ذلك ومختصراً في النحو ومختصراً في الفقه.

[١٧٤٠] فلما ترعرعت حملني إلى كمال الدين ابن الأنباري فقال:

أنا أجفو عن تعليم الصبيان واحمله إلى تلميذي الوجيه، فأخذني الوجيه بكلتا يديه، وجعل يعلمني من أول النهار إلى آخره، ويجعل جميع الشروحات لي، ويخاطبني، وفي آخر الأمر أقرأ درسي ثم نخرج من المسجد فيذاكرني في الطريق، فإذا بلغنا منزله أخرج الكتب التي يشتغل بها مع نفسه فيحفظ وأحفظ معه، وأخرج معه إلى كمال الدين ابن الأنباري فيقرأ درسه ويشرح له وأنا أسمع، وتخرجت إلى أن صرت أسبقه

(١) أي الوحل.

في الحفظ والفهم، وأصرف أكثر الليل في الحفظ والتكرار، فاستقام ذهني، وأقمت برهة وأنا ألازم الشيخ، وشيخ الشيخ.

[١٧٤١] وحفظت «اللمع»[1] في ثمانية أشهر، وأطالع عليه الشروح وأشرحها لتلاميذ يختصون بي، إلى أن صرت أتكلم على كل باب كراريس ولا ينفد ما عندي، وحفظت «أدب الكاتب» لابن قتيبة في شهور، فأما «تقويم اللسان» ففي أربعة عشر يوماً، كل يوم كراس وحفظت «مشكل القرآن» له، و«غريب القرآن» له في مدة يسيرة، وحفظت «الإيضاح» لأبي علي الفارسي في شهور، وأما «التكملة» ففي أيام يسيرة، كل يوم كراس، وطالعت الكتب المبسوطة والمختصرات، وواظبت على مقتضب الـمُبَرِّد وكتاب ابن دَرَسْتُويه، وفي أثناء ذلك لا أغفل عن سماع الحديث والفقه على شيخنا ابن فضلان، وأكببت على «المقتضب» فأتممته وبعد ذلك تجردت لكتاب سيبويه وشرحه للسيرافي، وقرأت على أبي عبيدة الكَرْخي كتباً كثيرة، وقرأت عليه الفرائض والعَروض للخطيب التبريزي، وأما ابن الخشاب فسمعت بقراءته «معاني الزجاج» على الكاتبة شهدة، وسمعت منه الحديث المسلسل، وهو: «**الراحمون يرحمهم الرحمن**» وأكببت على كتب الغزالي «المقاصد» و «المعيار» و «الميزان» و «محك النظر»، ثم انتقلت إلى كتب ابن سينا صغارها وكبارها، وحفظت كتاب «النجاة» وكتبت «الشفاء» وبحثت فيه، وحصلت كثيراً من كتب جابر بن حيان الصوفي، وابن وحشية، وباشرت على الصنعة الباطلة وتجارب الضلال الفارغة، وأقوى من أضلني ابن سينا بكتابه في «الصنعة» الذي تمم به فلسفته التي لا تزداد بالتمام إلا نقصاً.

---

(١) وهو لعثمان ابن جني.

ثم دخلت الموصل، ووجدت الكمال ابن يونس جيداً في الرياضيات والفقه متصرفاً في باقي أجزاء الحكمة، واجتمع إليَّ جماعة كبيرة، وعرضت عليَّ مناصب فاخترت منها مدرسة ابن مهاجر المعلقة، ودار الحديث التي تحتها، وأقمت بالموصل سنة في اشتغال دائم متواصل، وسمعت الناس يرهجون في حديث السهروردي المتفلسف، ويعتقدون أنه فاق الأولين والآخرين، وأن تصانيفه فوق تصانيف القدماء فهممت لقصده وأدركني التوفيق، وطلبت من ابن يونس شيئاً من تصانيفه، فوقفت على «التلويحات» و «اللمحة» و «المعارج» فصادفت فيها ما يدل على جهل أهل الزمان، ووجدت لي تعاليق كثيرة لا أرتضيها هي خير من كلام هذا الأول.

[١٧٤٢] ثم دخلت دمشق، واجتمعت بالكندي البغدادي النحوي وجرت بيننا مباحثات، وكان شيخاً ذكيّاً مثرياً له جانب من السلطان لكنه معجب بنفسه، مؤذ لجليسه، وأظهرني الله عليه في مباحث، ثم أهملت جانبه وكان يتأذى بإهمالي، وعملت بدمشق تصانيف جمة.

[١٧٤٣] ثم توجهت إلى صلاح الدين بظاهر عكا، واجتمعت ببهاء الدين ابن شداد قاضي العسكر يومئذ فانبسط إليّ وأقبل علي، وقال: تجتمع بعماد الدين الكاتب، فوجدته يكتب كتاباً، وذاكرني في مسائل من علم الكلام، وقال: قوموا بنا إلى القاضي الفاضل فدخلنا عليه فرأيت شيخاً ضئيلاً كله رأس وقلب، وهو يكتب ويملي على اثنين ووجهه وشفتاه تلعب ألوان الحركات لقوة حرصه على إخراج الكلام، وكان يكتب بجملة أعضائه وسألني عن قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ

﴿أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾[1] أين جواب «إذا» وأين جواب «لو» في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾[2]، وعن مسائل كثيرة ومع هذا فلا يقطع الكتابة والإملاء، وقال لي: ترجع إلى دمشق وتجرى عليك الجرايات، فقلت: أريد مصر، فكتب لي ورقة صغيرة إلى وكيله بها.

فلما وصلت القاهرة جاءني ابن سناء الملك وكيله، فأنزلني داراً قد زيحت عللها، وجاءني بدنانير وغلة، ثم مضى إلى أرباب الدولة، وقال: هذا ضيف القاضي الفاضل، فدرت الهدايا والصلات من كل جانب، وكان في كل عشرة أيام ونحوها تصل تذكرة الفاضل في مهمات الدولة وفيها فضل توكيد الوصية بي، فأقمت بمسجد الحاجب لؤلؤ أقرئ الناس، وكان قصدي ياسمين السيميائي، والرئيس موسى بن ميمون اليهودي وأبا القاسم الشارعي، أما ياسمين فوجدته محاليّاً كذاباً، وموسى اليهودي وجدته فاضلاً لا في الغاية، قد غلب عليه حب الرياسة، وخدمة أرباب الدنيا، وأما أبو القاسم فوجدته كما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، سيرته سيرة الحكماء العقلاء، ووجدته قيماً بكتب القدماء، وإذا تفاوضنا في الحديث أغلبه بقوة الجدل، وفضل اللسن، ويغلبني بقوة الحجة وظهور المحجة.

ثم عدت إلى القدس وأخذت من كتب القدماء ما أمكنني، وكتب لي السلطان صلاح الدين على ديوان الجامع كل شهر بثلاثين ديناراً وأطلق لي أولاده رواتب، ورجعت إلى دمشق وأكببت على الاشتغال وإقراء الناس بالجامع.

---

(١) سورة الزمر: ٧٣.

(٢) سورة الرعد: ٣١.

[١٧٤٤] وكلما أمعنت في كتب القدماء ازددت فيها رغبة، وفي كتب ابن سينا زهادة، واطلعت على بطلان الكيمياء، وعرفت حقيقة الحال في وضعها، ومن وضعها، وما كان قصده في ذلك، وخلصت من ضلالين عظيمين، فإن أكثر الناس هلكوا بكتب ابن سينا وبالكيمياء.

ثم إن صلاح الدين توفي، وأقمت بدمشق وملكها الأفضل إلى أن جاء العزيز بعساكر مصر، وتأخر إلى مرج الصُفَّر -لقُولَنْج[١] عرض له- فخرجت إليه بعد خلاصه فأذن لي في الرحيل معه، وأجرى علي من بيت المال كفايتي و زيادة، وأقمت مع الشيخ أبي القاسم[٢] يلازمني صباحاً ومساءً إلى أن قضى نحبه، وكنت أقرئ الناس بالجامع الأزهر من أول النهار إلى نحو الساعة الرابعة، ووسط النهار يأتي من يقرأ الطب وغيره، وآخر النهار يقرأ عليه بالجامع قوم آخرون، وفي الليل أشتغل مع نفسي ولم أزل كذلك إلى أن توفي الملك العزيز، نقلت ذلك من كلامه مختصراً.

ثم إن الموفق توجه إلى القدس وأقام به مدة يشغل الناس بالجامع الأقصى، ثم رجع إلى دمشق، ونزل بالعزيزية سنة أربع وست مائة، وكان يأتيه خلق كثير يشتغلون عليه في أصناف من العلوم.

ثم سافر إلى حلب وقصد بلاد الروم وأقام بها سنين كثيرة في خدمة الملك علاء الدين داود بن بهرام له منه الجامكية الوافرة[٣] والصلات المتواترة، وصنف باسمه عدة كتب ثم توجه إلى مَلَطْية، ثم عاد إلى حلب

---

(١) القُولنج: مرض مِعوي مؤلم يصعب معه خروج البراز والريح، وسببه التهاب القولون: انظر ((المعجم الوسيط)): ق و ل.

(٢) هو الشارعي المذكور آنفاً.

(٣) الجامكية: الراتب.

وتوفي ببغداد.

قلت: موفق الدين وإن كان فاضلاً وعنده مشاركات فليس هو في رتبة الحط على هؤلاء الكبار الذين غض منهم.

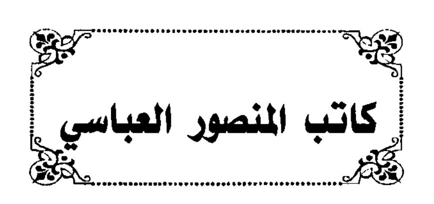
[١٧٤٥] ومن أجوبته المليحة السديدة في الرد على الشيخ تاج الدين الكندي، حيث قال الخطيب ابن نباتة في أول خطبة ذكر فيها وفاة النبي ﷺ:

الحمد لله المنتقم ممن خالفه، المهلك من آسفه، المتوحد في قهره، المتفرد بعز أمره، وقال الشيخ تاج الدين الكندي: العجب ممن يفتتح هذه الخطبة بمثل هذا الكلام، لولا غفلة لحقت الخطيب، والأليق بها أن يكون افتتاحها: الحمد لله العادل في أقضيته، فلا جور في قضائه، الممضي حكمه في بريته، فلا ريب في مضائه، المتفرد بالبقاء، فلا مشارك له في بقائه، المرجو رَوْحه، فلا راحة لأوليائه دون لقائه، وهذه السجعات في غاية المناسبة لافتتاح خطبة، تذكر فيها وفاة رسول الله ﷺ، فقال موفق الدين المذكور: الخطيب إنما قال ذلك نظراً إلى قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾[١] وهذا الجواب في غاية الحسن والسداد ولو أورد على الخطيب وهو حي ما أجاب بأحسن من هذا الجواب ولا أسدَّ[٢].

---

(١) سورة الزخرف: ٤١.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٩/ ١٠٧- ١١٥.



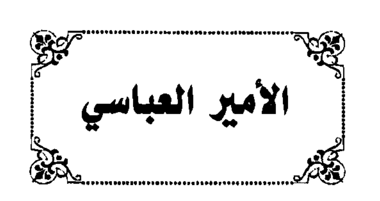
كاتب المنصور العباسي

عبد الملك بن حميد مولى حاتم بن النعمان الباهلي من أهل حران.

كان كاتباً متقدماً، قلده المنصور كتابته ودواوينه، وكانت له عنده منزلة رفيعة.

[١٧٤٦] حكي أن عبد الملك جلس أيام عطلته بحران، ويحيى بن رملة الصفري وعبيد الله بن النعمان مولى ثقيف ورجل آخر تحت شجرة تين-وذلك بعد انقضاء دولة بني أمية- فقالوا له: لو أصبنا رجلاً له سلطان انقطعنا إليه، وكنا في خدمته يرزقنا رزقاً نعود به على عيالنا، فقال بعضهم: عسى الله أن يسبب لنا ذلك أو لبعضنا فيفضل علينا، فتوافقوا على ذلك وألاَّ يصيب رجل منهم سلطاناً إلا واسى أصحابه، وطلب المنصور كاتباً فوصف له عبد الملك بن حميد، فأحضره وقلده كتابته، وتذكر عبد الملك أصحابه فأحضرهم وقلدهم الأعمال فأثروا وحسنت أحوالهم فكانوا إذ ذاك يعرفون بأصحاب التينة[١].

(١) الوافي بالوفيات: ١٩/ ١٦٠، ١٦١.



الأمير العباسي

عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، أبو عبد الرحمن الأمير.

ولي المدينة والصوائف[1] للرشيد، ثم ولي الشام والجزيرة للأمين.

توفي سنة ست وتسعين ومائة، وحدث عن أبيه ومالك بن أنس، ووفاته بالرقة.

[١٧٤٧] وكان أفصح الناس وأخطبهم، ولم يكن في عصره مثله في فصاحته وصيانته وجلالته، قيل ليحيى بن خالد البرمكي -وقد ولى الرشيد عبد الملك المدينة- :كيف ولاه المدينة من بين أعماله؟ قال: أحب أن يباهي به قريشاً، ويعلمهم أن في بني العباس مثله.

[١٧٤٨] ودخل على الرشيد وقد توفي له ولد وجاءه ولد فقال: يا أمير المؤمنين، سرك الله فيما ساءك، ولا ساءك فيما سرك، وجعل هذه بهذه جزاءً للشاكر، وثواباً للصابر.

[١٧٤٩] ووجه إلى الرشيد فاكهة في أطباق الخيزُران، وكتب إليه:

أسعد الله أمير المؤمنين وأسعد به، دخلت بستاناً لي أفادنيه كرمك، وعمرته لي نعمك وقد ينعت أشجاره، وآنت ثماره، فوجهت إلى أمير المؤمنين من كل شيء شيئاً على الثقة والإمكان، في أطباق القضبان، ليصل إلي من بركة دعائه مثل ما وصل إلي من كثرة عطائه.

---

(١) أي غزوات الصيف.

فقال له رجل: يا أمير المؤمنين: لم أسمع بأطباق القضبان.

فقال الرشيد: يا أبله، إنه كنى عن الخيزران؛ إذ كان اسماً لأُمِّنا.

[١٧٥٠] ولما ودعه الرشيد وقد وجهه إلى الشام، قال له الرشيد: ألك حاجة؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، بيني وبينك وبين يزيد بن الدثنة حيث يقول [من الطويل]:

فكوني على الواشين لدَّاءَ شغبةً ... كما أنا للواشي ألد شغوب

[١٧٥١] ثم إن الرشيد جعل ابنه القاسم في حجر عبد الملك بن صالح، فقال عبد الملك يحضه على أن يوليه العهد بعد أخويه الأمين والمأمون وأن يجعله ثالثاً لهما [من مجزوء الكامل]:

يا أيها الملك الذي ... لو كان نجماً كان سعدا

للقاسم اعقد بيعة ... واقدح له في الملك زندا

الله فرد واحد ... فاجعل ولاة العهد فردا

فجعله الرشيد ثالثاً لهما.

[١٧٥٢] ثم وشى به بعد ذلك الناس، وتتابعت الأخبار عنه بفساد نيته للرشيد، فدخل عليه في بعض الأيام وقد امتلأ قلب الرشيد فقال:

أكفراً بالنعمة وغدراً بالإمام؟

فقال عبد الملك: قد بؤت إذاً بأعباء الندم، واستحلال النقم، وما ذاك يا أمير المؤمنين إلا بغيٌّ حاسدٍ نافس فيك وفي تقديم الولاية مودة القرابة، يا أمير المؤمنين إنك خليفة رسول الله ﷺ في أمته، وأمينه على عترته، لك عليها فرض الطاعة وأداء النصيحة، ولها عليك العدل في حكمها، والتثبت في حادثها.

فقال له الرشيد: هذا قمامة -كاتبك- يخبرني بفساد نيتك وسوء سيرتك.

قال: فأسمع كلام قمامة فلعله أعطاك ما ليس في عقده؟ ولعله لا يقدر أن يعضهني[1] ولا يبهتني بما لم يعرفه مني، ولم يصح له عني؟

فأمر بإحضاره، فقال له الرشيد: تكلم غير خائف ولا هائب.

فقال: أقول إنه عازم على الغدر بك يا أمير المؤمنين والخلاف عليك.

فقال عبد الملك: وكيف لا يكذب علي من خلفي من يبهتني في وجهي؟

فقال الرشيد: فهذا عبد الرحمن ابنك يقول بقول كاتبك، ويخبر عن سوء ضميرك وفساد نيتك وأنت لو أردت أن تحتج بحجة لم نجد أعدل من هذين، فبم تدفعهما عنك؟

فقال: يا أمير المؤمنين: عبد الرحمن بين مأمور أو عاق، فإن كان مأموراً فمعذور، وإن كان عاقّاً فهو عدو، أخبر الله بعداوته وحذر منها، فقال جل ثناؤه في محكم كتابه: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾[2].

فنهض الرشيد وقال: أما أمرك فقد وضح ولكن لا أعجل حتى أعلم ما الذي يرضي الله فيك، فإنه الحكم بيني وبينك، فقال عبد الملك: رضيت بالله حكماً وبأمير المؤمنين حاكماً؛ فإني أعلم أنه يؤثر كتاب الله على هواه، وأمر الله على رضاه.

---

(١) أي يقول عنه ما ليس فيه: وانظر((لسان العرب)): ع ض هـ.

(٢) سورة التغابن: ١٤.

ثم إنه دخل عليه في مجلس آخر وسلم فلم يرد عليه الرشيد فلم يزل يعتذر ويحتج لنفسه بالبراءة حتى أقبل عليه بوجهه وقال:

ما أظن الأمر إلا كما قلت يا أبا عبد الرحمن، وأنت محسَّد وأمير المؤمنين يعلم أنك على سريرة صالحة غير مدخولة ولا خسيسة، ثم دعا عبد الملك بشربة ماء فقال الرشيد: ما شرابك يا أبا عبد الرحمن؟

قال: سحيق الطَبَرزد[1] دُرّ بماء الرمان، فقال: بخ بخ عضوان لطيفان يذهبان الظما ويلذان المذاق، فقال عبد الملك: صفتك لهما يا أمير المؤمنين ألذ من فعلهما.

ثم إن الرشيد تنكر له بعد ذلك، وحبسه عند الفضل بن الربيع وقال: أما والله لولا الإبقاء على بني هاشم لضربت عنقك، ولم يزل محبوساً حتى توفي الرشيد، فأطلقه الأمين وعقد له على الشام، وكان مقيماً بالرقة، وجعل للأمين عهد الله وميثاقه لئن قتل وهو حي لا يعطي المأمون طاعته أبداً فمات قبل قتل الأمين ودفن في دار من دور الإمارة، فلما خرج المأمون يريد الروم أرسل إلى ابن له: حول أباك عن داري فنبشت عظامه وحولت.

[١٧٥٣] وكتب إلى الرشيد قبل إشخاصه إلى العراق، وقد تغير عليه [من الطويل]:

أخِلاّيَ لي شجو وليس لكم شجو ... وكل امرئ من شجو صاحبه خِلو[2]

من أي نواحي الأرض أبغي رضاكمُ ... وأنتم أناس ما لمرضاتكم نحو

---

(١) السكر، وهو معرب، انظر ((المعجم الوسيط)): طبر. والسحيق هو المسحوق.

(٢) الشجو: الهم والحزن.

فــلا حســنٌ نــأتي بــه تقبلونــه ولا إن أســأنا كــان عنــدكمُ عفــو

فلما وقف عليها قال: والله إن كان قالها لقد أحسن وإن كان رواها لقد أحسن.

[١٧٥٤] وكتب إليه من السجن [من السريع]:

قــل لأمــير المــؤمنين الــذي يشــكره الصــادر والــوارد

يــا واحــد الأمــلاك في فضــله مــا لــك مثلــي في الــورى واحــد

إن كــان لــي ذنــب ولا ذنــب لــي حقــاً كمــا زعــم الحاســد

فــلا يضــق عفــوك عــني فقــد فــاز بــه المســلم والجاحــد

ولما أخرجه الأمين من السجن دفع إليه كاتبه قمامة وابنه عبد الرحمن فقتل قمامة في حمام، وهشم وجه ابنه بعمود[1].

أبو الحسن القطان

علي بن إبراهيم بن سلمة بن بحر أبو الحسن القزويني الحافظ القطان.

عالم بجميع العلوم: التفسير، والفقه، والنحو، واللغة، ارتحل وسمع وله فضائل أكثر من أن تعد.

توفي سنة خمس وأربعين وثلاثمائة، لقي المبرد، وثعلباً وابن أبي الدنيا.

[١٧٥٥] وقال لما علت سنه: كنت لما خرجت إلى الرحلة أحفظ مائة ألف حديث، وأنا اليوم لا أقوم على حفظ مائة حديث.

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٩/ ١٦٦- ١٧٠.

وسمع بالكوفة، ومكة، وصنعاء، وهَمْدان، وحلوان، ونهاوند.

[١٧٥٦] وقد أدام الصيام ثلاثين سنة، وكان يفطر على الخبز والملح[1].

علاء الدين ابن الشاطر

علي بن إبراهيم بن محمد الأنصاري الأوسي، هو الإمام فريد الزمان المحقق المتقن البارع الرياضي، أعجوبة الدهر، الشيخ علاء الدين أبو الحسن علي، المعروف بابن الشاطر، رئيس المؤذنين بالجامع الأموي بدمشق.

قرأ على عليٍّ بن إبراهيم بن يوسف، وكان يُعرف بابن الشاطر، فسمي هو بذلك، سألته عن مولده فقال: في خامس عشر شعبان سنة خمس وسبعمائة بدمشق.

[١٧٥٧] رأيته غير مرة ودخلت إلى منزله في شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة لرؤية الأسطرلاب الذي أبدع وضعه، فوجدته قد وضعه في قائم حائط في منزله داخل باب الفراديس في درب الطيار، ورأيت هذا الاسطرلاب فأنشأ لي طرباً، وجدد لي في المعارف أَرَباً، وعلمت به أن من تقدمه من الأفاضل عند جبل علمه الراسخ هباء، فلو رآه النصير الطوسي لما كانت متوسطاته إلا مبادي، أو المؤيد الفرضي لخذل عند الحواضر والبوادي، أو القطب الشيرازي لما خرج عن دائرته إلى يوم التنادي، بل لو رآه أقليدس ما كان إلا نقطة من خطه، أو

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢٠/ ٥، ٦.

أرشميدس لتراءى شكله قطاعاً في تحريره وضبطه، فسبحان من يفيض على بعض النفوس ما يشاء من المواهب، ويجدد في كل عصر من يحيى رسوم الفضل الذي عدم في الليالي الذواهب لا إله غيره.

وصورة هذا الأسطرلاب المذكور:

قطره مقدار نصف أو ثلث بذراع العمل تقريباً، يدور أبداً على الدوام في اليوم والليلة، من غير رمل رحى ولا ماء على تحركات الفلك، لكنه نسق بتثاقيل قد رتبها على أوضاع مخصوصة تعلم منه الساعات المستوية، والساعات الزمانية بحركة واحدة، وهذا من أغرب ما يكون، ويعلم منه الطالع، والغارب، والمتوسط، والوتر، ويعلم منه ارتفاع الشمس وسمتها وسعة مشرقها، ووقت طلوع الكواكب وتوسطها وغروبها، وما يتعلق بذلك من سعة الطلوع والغروب والبعد والمطالع، وبالجملة فكل ما في رسائل الأسطرلاب من الأبواب والأعمال فإنه يظهر في هذا الأسطرلاب للعيان من غير عمل بوضع يد أو غيرها، وفوق الأسطرلاب دائرة تدور دورة كاملة في ربع درجة، والزوايا مقسومة بخمسين قسماً متساوية، ومقسومة أيضاً بخمسة عشر قسماً متساوية، وفي مركز هذه الدائرة شخص يمتد إلى محيطها، وكلما وصل رأس الشخص إلى أول قسم من الخمسة عشرة كان جزءاً واحداً من ستين جزءاً من الدرجة الواحدة وهو دقيقة، وهو واضح مقداره في العين مساحة إصبعين، وإذا وصل الشخص المذكور إلى أول قسم من الأقسام الخمسينية كان جزءاً من مائتي جزء من الدرجة الواحدة، فعلى هذا تكون الساعة منقسمة بستين قسماً بكمال الدورة، وبتسعمائة قسم من الأقسام الثانية، وبثلاثة آلاف قسم من الأقسام الثالثة، فيكون اليوم بلياليه منقسماً مائتين وسبعين ألف قسم متساوية، وكل منها مدرك بالبصر مساحة عرضه دون الإصبع، وفي

كل قسم من هذه الأقسام الاثنين والسبعين ألفاً يسمع عند مضي كل قسم دقة من آلة تذهب وتجيء على أعلى الأسطرلاب، وفي أعلاه ثلاثة أبواب إذا مضت ساعة مستوية فتح منها بابان مجنبان، وسقط منها بندقتان في كأسين تحتهما إعلاماً بمضي الساعة، والباب الثالث الأوسط يسقط منه بندقة في الكأس الأيمن عند أول كل وقت من أوقات الصلوات الخمس، فيعلم بذلك دخول أول الوقت الشرعي.

ومجموع هذا الأسطرلاب وما يحركه من الآلات في مساحة ذراع تقريباً طولاً وعرضاً وعمقاً.

وأما حسن هذا الأسطرلاب ووضعه وتحرير آلاته وإتقانه وظروفها ففي غاية الحسن.

والذي أقوله في هذا: إن الإنسان العارف لو سمع بها في إقليم بعيد من مكانه وكانت الطريق مشقة، وكابد أهوالها في السعي إلى رؤيته وظفر رؤيته، لما أضاع زماناً ولا تعباً؛ فإن هذا أمر لم أسمع به أنه اتفق لغيره في الوجود.

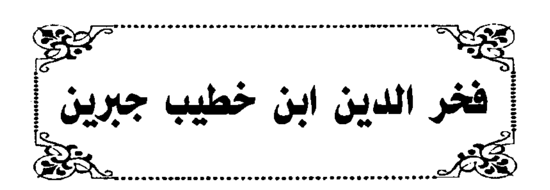
ومن علوم علاء الدين بن الشاطر: كتاب أرقليدس، والهندسة الثانية وما يتعلق بالحساب والجبر والمقابلة وفن المساحة.

وأما ما وضعه من آلات الوقت: فمنها آلة سماها: الربع التام لمواقيت الإسلام، والربع الجامع، والممرات الآفاقية والربع المجمع والآلة الجامعة، وكل آلة من هذه وضع لها رسالة تخصها، والحاصل من ذلك كله سائر الأعمال الفلكية في سائر العروض.

ووضع كتابا سماه «نهاية الغايات» في أعمال الفلكيات وكتاباً في المساحة، وكتاباً في الحساب وكتاباً في الهندسة سماه «المحصول» في

ضبط الأصول.

وأما صناعة التطعيم والنجارة والنحت فله في ذلك اليد الطولى مع الإتقان والتحرير[1].



فخر الدين ابن خطيب جبرين

عثمان بن علي الإمام العلامة، صاحب الفنون، قاضي القضاة، فخر الدين أبو عمرو بن زين الدين الطائي الحلبي الشافعي، قاضي قضاة حلب، المعروف بابن خطيب جبرين.

فقيه حلب وفاضلها، ومقرؤها.

ولد سنة اثنتين وستين وستمائة، وتوفي بالقاهرة هو وابنه سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة.

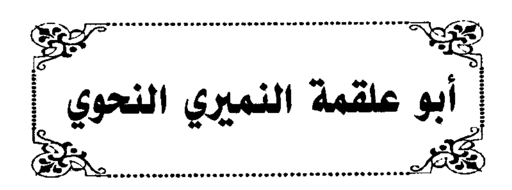
[١٧٥٨] وحضرت دروسه للجماعة المشتغلين فكنت أرى منه العجب، لم يحضر إليه أحد بأي كتاب كان، في أي علم كان، في أي باب كان ذلك الكتاب، إلا وأقرأه فيه، ولم أر مثله في جل كلام الناس، رأيته وهو يقرأ في الشاطبية، والحاوي في الفقه، والمختصر لابن الحاجب، والمحصل للإمام فخر الدين، وفي الفرائض، والحساب، والجبر، والمقابلة، وكتاب النجدة والميل، والحاجبية في النحو، وتمرين التصريف لابن الحاجب، وغير ذلك من كتاب الحكمة لابن الخطيب مثل «الملخص» وغيره، وكان ينوب يومئذ للقاضي الشافعي، والقاضي الحنفي، ويحكم

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢٠/ ١٢- ١٦.

لكل منها بمذهبه، وعنده دين، وبيده مسبحة كلما خلا من الكلام سبح بها، وكان تلا بالسبع، وتفقه وتصدر وأقرأ وتخرج به القراء، والفقهاء، واشتهر اسمه، وكان عاقلاً ذكيّاً، وتولى قضاء القضاة الشافعية بحلب سنة ست وثلاثين وسبعمائة.

[١٧٥٩] ثم طلبه السلطان، وطلب ولده، فروعهما الحضور قدامه لكلام أغلظه لهما، فنزلا مرعوبين ومرضا بالبيمارستان المنصوري بالقاهرة ومات ولده قبله، وتوفي هو بعده بيوم أو بيومين، وكانت مدة مرضهما دون الجمعة[١].



أبو علقمة النميري النحوي

قال ياقوت: وأراه من أهل واسط.

[١٧٦٠] أتى أبو علقمة إلى أبي زلازل الحذاء، فقال:

يا حذاء، احذ لي هذا النَّعل.

فقال: وكيف تريد أن أحذوها؟

قال: خصر نطاقها، وغضف مُعقّبها، وأقبَّ مقدمها، وعرج ونية الذؤبة بحزم دون بلوغ الرصاف، وأنحل مخازم خزامها، وأوشك في العمل، فقام أبو زلازل فتأبط متاعه، فقال أبو علقمة: إلى أين؟

قال: إلى ابن القِرِّية[٢]؛ ليفسر لي ما خفي عليَّ من كلامك.

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢٠/ ٣٥، ٣٦.

(٢) أحد فصحاء العرب المشهورين، وقد قتله الحجاج، وقد سبقت ترجمته.

[١٧٦١] وقال لغلامه يوماً:

خذ من غريمنا هذا كفيلاً، ومن الكفيل أميناً، ومن الأمين زعيماً، ومن الزعيم عزيماً، فقال الغلام للغريم: مولاي كثير الكلام، معك شيء، فأرضاه وخلاه فلما انصرف قال: يا غلام ما فعل غريمنا؟

قال: سقع.

قال: ويلك، ما سقع؟

قال: بقع.

قال: ويلك، وما بقع؟

قال: استقلع.

قال: ويلك!! وما استقلع؟

قال: انقلع.

قال: ويلك، لم طولت؟

قال: منك تعلمت.

[١٧٦٢] وركب يوماً بغلاً فوقف به على أبي عبد الرحمن القرشي فقال: يا أبا علقمة، إن لبغلك هذا منظراً، فهل له مع هذا المنظر من خبر؟

فقال: أوما بلغك خبره.

قال: لا.

قال: خرجت عليه مرة من مصر فقفز بي قفزة إلى فلسطين، والثانية إلى الأردن، والثالثة إلى دمشق.

فقال له أبو عبد الرحمن: تقدم إلى أهلك بأن يدفنوه معك، فلعله يقفز بك الصراط.

[١٧٦٣] وقال يوماً لغلامه: أصقعتِ العتاريق؟

فقال له الغلام: زقفيلم.

فقال أبو علقمة: وما زقفيلم؟

فقال الغلام: وما صقعت العتاريق.

قال: قلت لك: أصاحتِ الديوك؟

فقال الغلام؛ وأنا قلت لك: لم يصح منها شيء.

[١٧٦٤] وكان يوماً يسير على بغلة، فنظر إلى عبدين: حبشي وصقلبي، فإذا الحبشي قد ضرب بالصقلبي الأرض وأدخل ركبتيه في بطنه، وأصابعه في عينيه وعض أذنيه، وضربه بعصاً فشجه، وأسال دمه فاستشهد الصقلبي بأبي علقمة، فقال: احمله إلى الأمير فحمله، وقال لأبي علقمة: اشهد لي، فنزل عن بغلته وجلس بين يدي الأمير فقال له:

بم تشهد يا أبا علقمة؟ فقال أبو علقمة: أصلح الله الأمير، بينا أنا أسير على كودني[1] هذا، إذ مررت بهذين العبدين، فرأيت هذا الأسحم قد مال على هذا الأبقع فمطاه على فدفد، ثم ضغطه برضفته في أحشائه، حتى ظننت أنه يدمج جوفه، وجعل يلج بشناتوه في جحمتيه يكاد يفقؤهما، وقبض على صنارتيه بمبرمه فكاد يجذهما جذّاً، ثم علاه بمنسأة كانت معه فعجفه بها، وهذا أثر الجريال بيّناً، وأنت أمير عادل.

---

(١) الكودن: هو البغلة.

فقال الأمير: والله ما فهمت شيئاً مما قلته!!

فقال أبو علقمة: قد فهمناك إن فهمت، وأعلمناك إن علمت، وأديتُ إليك ما علمت، وما أقدر أن أتكلم بالفارسية، فجعل الأمير يجهد أن يكشف الكلام ولا يفعل، حتى ضاق صدر الوالي، فقال للصقلبي: أعطني خنجراً، فأعطاه فكشف رأسه فقال له: شجني خمساً وأعفني من شهادة هذا[1].



ابن الثقة الشافعي

عطاء الله بن علي بن زيد، نور الدين ابن الثقة الحميري الإسنائي الشافعي.

كان فقيهاً فرضياً يعرف الجبر والمقابلة، وكان من الصالحين المنقطعين، أخذ علمه عن الشيخ بهاء الدين هبة الله القِفْطي.

[١٧٦٥] وأقام بالمدرسة الأفرمية بإسنا ستين سنة تقريباً منقطعاً، لا يخرج إلا للصلاة في مسجد له أو لضرورة، وليس عنده إلا عمامة وفوقانية وفروة وشملة.

قال الفاضل كمال الدين جعفر الإدفوي: أخبرني جماعة أنه لما قدم نجم الدين بن علي إلى إسنا اجتمع به وتكلم معه في الفرائض والجبر والمقابلة، فقال: ما ظننت أن أحداً في كيان الصعيد بهذه المثابة.

وكان-رحمه الله- سليم الصدر جدّاً.

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢٠/ ٤٨- ٥٠.

[١٧٦٦] قال: قال لي صاحبنا عـلاء الدين علي الأصفوش: قلت له مرة:

يا سيدنـا: أبو بكر المؤذن طلق زوجته.

قال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قلت له: لكن صارت بكراً كما كانت.

فضحك وقال: فتبول من أين؟

[١٧٦٧] وجمع دراهم ليحج بها، أقام سنين يجمعها فسـرقت، فقصـد الوالي أن يمسك إنساناً بسببه فلم يوافق.

[١٧٦٨] قال: وحكى لي عنه أنه كان يقول: الجن في الليـل يمسـكون إصبعي ويقولون: هذا إصبع عطاء الله.

[١٧٦٩] وتوفي بإسنا سنة ثمان عشرة وسبعمائة، ووقـع يـوم موتـه مطر كثير فأخبرت أنه قال: أنا أموت في هذا اليوم، فـإن والـدتي أخـبرتني أنني ولدت في يوم مطر(١).



أبو الحسن الفالي

علي بن أحمد بن علي أبو الحسن الفالي.

وكان ثقة، وله شعر.

وتوفي سنة ثمان وأربعين وأربعمائة.

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢٠/ ٨٥.

[١٧٧٠] ومن شعره [من الكامل]:

لما تبدلت المنازل أوجهاً ... غير الذين عهدت من علمائها
ورأيتها محفوفة بسوى الأُلى ... كانوا ولاة صدورها وفنائها
أنشدت بيتاً سائراً متقدماً ... والعين قد شرقت بجاري مائها
أما الخيام فإنها كخيامهم ... وأرى نساء الحي غير نسائها

[١٧٧١] ومن شعره:

فرجت صبياني ببستانكم ... فأكثروا التصفيق والرقصا
فقلت يا صبيان لا تفرحوا ... فبُسْرهم في نخلهم مُحْصَى[1]
لو قدم الليث على نخلهم ... لكان من ساعته يُخصا
لو أن لي من نخلهم بسرة ... جعلتها في خاتمي فصا

[١٧٧٢] قال التبريزي: رأيت نسخة لكتاب «الجمهرة» لابن دريد باعها أبو الحسن الفالي بخمسة دنانير من القاضي أبي بكر بن بديل التبريزي، وحملها إلى تبريز، ونسخت أنا منها نسخة، فوجدت في بعض المجلدات رقعة بخط الفالي فيها:

أَنِسْتُ بها عشرين حولاً وبعتها ... فقد طال شوقي نحوها وحنيني
وما كان ظني أنني سأبيعها ... ولو خلدتني في السجون ديوني
ولكن لضعفٍ وافتقارٍ وصبيتي ... صغار عليهم تستهل شئوني[2]
فقلت ولم أملك سوابق عبرة ... مقالة مشوي الفؤاد حزين

---

(١) البسر: نوع من التمر.

(٢) أي دموعي.

وقد تُخرج الحاجات يا أم مالك كرائم من رب بهن ضنين

فأريت القاضي أبا بكر الرقعة والأبيات، فتوجع، وقال: لو رأيتها قبل هذا لرددتها عليه، وكان الفالي قد مات.

[١٧٧٣] قال ياقوت: والبيت الأخير من هذه الأبيات تضمين قاله أعرابي فيما ذكره الزبير ابن بكار، عن يوسف بن عياش قال: ابتاع حمزة ابن عبد الله ابن الزبير جملاً من أعرابي بخمسين دينار ثم نقده ثمنه، فنظر الأعرابي إلى الجمل وقال:

وقد تخرج الحاجات يا أم مالك كرائم من رب بهن ضنين

فقال حمزة: خذ جملك والدنانير لك، فانصرف بجمله وبالدنانير[١].



أبو الحسن المقدسي الحنبلي

علي بن أحمد بن عبد الدايم، الشيخ أبو الحسن المقدسي الصالحي، قيم جامع الجبل.

[١٧٧٤] كان شيخاً عابداً ابتلي وانقطع وأصابه زمانة[٢]، وكان لا يبرح المصحف بين يديه، ويتلو كل يوم ختمة.

[١٧٧٥] وابتلي بالتتار وحموا له سيخاً ووضعوه في فرجه، ومات في العذاب شهيداً عن ثمانين أو نحوها.

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢٠/ ٨٧، ٨٨.

(٢) المرض الدائم.

وكانت وفاته سنة سبع وتسعين وستمائة[1].



كمال الدين بن عبد الظاهر

علي بن أحمد بن جعفر، الشيخ كمال الدين الهاشمي الجعفري القوصي، نزيل إخميم.

شيخ دهره، وأوحد عصره، جمع بين العلم والعبادة، وظهرت كراماته.

[١٧٧٦] قال الفاضل كمال الدين جعفر الإدفوي: حكى لي القاضي نجم الدين أحمد القمولي: أن الشيخ كمال الدين رأى مرحاضاً قد أخرج ما فيه، ووضع بجانب المسجد فقال في نفسه: لابد أن أحمل هذا، فنازعته نفسه في ذلك؛ لأنه من بيت رياسة وأصالة وسيادة فقال: لابد من ذلك، ثم استدرجها إلى أن حمله في النهار، ومر به في حوانيت الشهود حتى تعجبوا منه ونسبوه إلى خبل في العقل.

ثم إنه سافر من قوص إلى القاهرة، واجتمع بالشيخ إبراهيم الجعبري، ولزمه وانتفع به، ثم استوطن إخميم وبنى بها رباطاً، وظهرت بركاته وانتشرت كرماته.

[١٧٧٧] قال: حكى لي صاحبنا الفقيه العدل علاء الدين علي بن أحمد الأصفوني -رحمه الله- وكان ثقة في نقله قال:

كنت بإدفو أخذت في العبادة، ولازمت الذكر مدة حتى خطر لي أني تأهلت، قال: وكان أخي جلال الدين غائباً عنا مدة، وانقطع خبره،

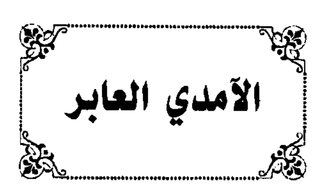
---

(١) الوافي بالوفيات: ٢٠/ ١٢٣.

فحضر شخص، وأخبرني أنه قدم من الواح، ونزل أسيوط، فسافرت إلى أسيوط فلم أجده، فصحبت شاباً نصرانيّاً ورافقته في الطريق إلى سوهاي، وصار ينشدني طول الطريق شعراً، وكان جميلاً، ففارقته من سوهاي، ووجدت ألماً كبيراً لمفارقته، فدخلت إخميم، وعندي وَجْد بذلك النصراني، فحضرت ميعاد الشيخ كمال الدين بن عبد الظاهر، فتكلم في الميعاد على عادته، ونظر إليَّ وقال:

لا إله إلا الله، ثَمَّ أناس يعتقدون أنهم من الخواص، وهم من عوام العوام، قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾[1] والنحاة يقولون: من للتبعيض، ومعنى التبعيض: ألا ترفع شيئاً من بصرك إلى شيء من المعاصي.

وتوفي في شهر رجب، سنة إحدى وسبعمائة، ودفن برباط إخميم، وقبره يزار، ومولده سنة ثمان وثلاثين وستمائة بقوص[2].



الآمدي العابر

علي بن أحمد بن يوسف الشيخ الإمام العلامة زين الدين أبو الحسن الآمدي الحنبلي العابر.

كان شيخاً مليحاً، مهيباً صالحاً، ثقة صدوقاً، كبير القدر والسن، آية عظيمة في تعبير الرؤيا مع مزايا أُخَرَ عجيبة، أضر في أوائل عمره.

---

(١) سورة النور: ٣٠.

(٢) الوافي بالوفيات: ٢٠/ ١٢٤- ١٢٦.

[١٧٧٨] له حكايات غريبة منها: أن بعض أصحابه أهدى إليه نصفيَّة حسنة[1]، فسرقت فرأى في نومه شيخه الإمام مجد الدين عبد الصمد بن أحمد بن أبي الجيش المقرئ، شيخ القراء ببغداد وهو يقول له:

النصفية أخذها فلان، وأودعها عند فلان، اذهب وخذها منه، فلما استيقظ قال في نفسه: الشيخ مجد الدين كان صدوقاً في حياته، وكذلك هو بعد وفاته، فذهب إلى الرجل الذي ذكره فدق عليه الباب فخرج إليه، فقال:

أعطني النصفية التي أودعها فلان عندك.

فقال: نعم، فدخل وأخرجها له، فأخذها وذهب ولم يقل له شيئاً، وجاء السارق بعد ذلك إلى المودع يطلب النصفية فقال له: جاء الشيخ زين الدين الآمدي وطلبها على لسانك فأعطيته إياها، فبهت السارق، وبقي حائراً، ولم يعنفه الشيخ ولا واخذه.

[١٧٧٩] ومنها أنه قال:

رأيت في المنام كأن شخصاً أطعمني دجاجة مطبوخة فأكلت منها ثم استيقظت وبقيتها في يدي، وهذا شيء عجيب، وهذه الوقائع مشهورة عنه.

[١٧٨٠] ولما دخل السلطان غازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن جنكزخان بغداد سنة بضع وتسعين وستمائة علم بالشيخ زين الدين المذكور، فقال: إذا جئت غداً المدرسة المستنصرية أجتمع به، فلما أتى غازان المستنصرية احتفل الناس له، واجتمع بالمدرسة أعيان بغداد

(١) لم أقف لها على معنى.

وأكابرها من القضاة والعلماء والعظماء، وفيهم الشيخ زين الدين الآمدي لتلقي غازان، فأمر غازان أكابر أمرائه أن يدخلوا المدرسة قبله واحداً بعد واحد، ويسلم كل منهم على زين الدين، ويوهمه الذين معه أنه هو السلطان، امتحاناً له، فجعل الناس كلهم كلما قدم أمير يزهزهون له ويعظمونه، ويأتون به إلى زين الدين ليسلم عليه، والشيخ زين الدين يرد عليه السلام من غير تحرك له، ولا احتفال، حتى جاء السلطان في دون من تقدمه من الأمراء في الحفل، وسلم على زين الدين وصافحه، فحين وضع يده في يده نهض له قائماً، وقبل يده وعظم ملتقاه والاحتفال به، وأعظم الدعاء له باللسان المغلي ثم بالتركي ثم الفارسي ثم بالرومي ثم بالعربي، ورفع به صوته إعلاماً للناس فعجب السلطان من فطنته وذكائه وحدة ذهنه، مع ضرره، ثم إن السلطان خلع عليه في الحال، ووهبه مالاً ورسم له بمرتب في كل شهر ثلاثمائة درهم، وحظي عنده وعند أمرائه ووزرائه.

ومن تصانيفه: «جواهر التبصير في علم التعبير» وله تعاليق كثيرة في الفقه والخلاف وغير ذلك، وانتفع به جماعة.

[١٧٨١] وكان يتجر في الكتب، وله كتب كثيرة جداً، وإذا طلب منه كتاب نهض إلى كتبه وأخرجه من بينها وإن كان الكتاب عدة مجلدات، وطلب منه الأول-مثلاً- أو الثاني أو الثالث أو غيره، أخرجه بعينه وكان يمس الكتاب أولاً، ثم يقول: يشتمل هذا المجلد على كذا وكذا كراس، فيكون الأمر كما قال: وإذا مر بيده على الصفحة قال عدد أسطرها كذا كذا سطراً، فيها بالقلم الغليظ هذا وهذا لمواضع كتبت به في الوجهة، وفيها بالأحمر هذا، وهذا لمواضع كتبت فيها بالأحمر، وإن اتفق أنها كتبت بخطين أو ثلاثة قال: اختلف الخط من هنا إلى هنا، من غير إخلال

بشيء[1].

وكان لا يفارق الإشغال والاشتغال في غالب أوقاته، وللناس عليه إقبال عظيم، لفضله ودينه وورعه.

وتوفي -رحمه الله تعالى- بعد سنة اثنتي عشرة وسبعمائة[2].



القاضي علاء الدين ابن الأثير

علي بن أحمد بن سعيد القاضي الرئيس، علاء الدين ابن الأثير، كاتب السر السلطاني.

صاحب ديوان الإنشاء أيام السلطان الملك الناصر محمد بن المنصور.

لما توجه السلطان إلى الكَرَك في المرة الأخيرة توجه علاء الدين في خدمته، فأقام عنده مدة ووعده بالمنصب وأعاده إلى القاهرة. فلما استقر الأمر أقام مدة يسيرة وولى علاء الدين صحابة الديوان، وعظم جاهه وتقدمه وأمواله، ودرت عليه نعم السلطان وزاد في الإقبال عليه ولم يحصل لأحد ما حصل له في الوظيفة، كان السلطان يأمره بأشياء يدعه يكتب فيها عن نفسه إلى نواب الشام ويجيبونه عن ذلك، وكان يركب في ستة عشر مملوكاً أو أكثر من ذلك، كلهم أتراك فيهم ما هو بعشرة آلاف وأكثر، وكان آخراً لا يتكلم إلا بالتركي.

لكنه أصابه فالج تعلل به أكثر من سنة، وتوفي سنة ثلاثين وسبعمائة

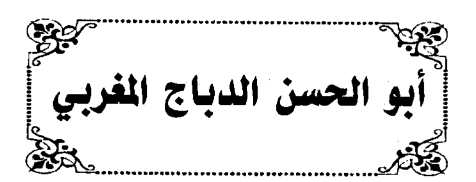
---

(١) وهذا منه عجيب؛ إذ هو ضَرير.

(٢) الوافي بالوفيات: ٢٠/ ١٢٦- ١٢٨.

وقد عزل بالقاضي محيي الدين بن فضل الله، وولده القاضي شهاب الدين.

[١٧٨٢] وآخر ما آل أمره إليه من الفالج أنه لم يبق فيه شيء يتحرك غير جفونه، فكان إذا أراد شيئاً علا بصوته صارخاً فيحضرون إليه ويدقون على الأرض دقات متوالية وهو يعد لها الحروف من المعجم، فإذا وصل إلى أول حرف من مقصوده أطرق يخفض طرفه، فيحفظ ذلك الحرف ثم إذا فعلوا ثانياً أمهلهم حتى يصلوا إلى الحرف الثاني مما أراد فيطرق بجفنه فيحفظ ذلك ولا يزالون يفعلون ذلك ثانياً وثالثاً، وهلم جرًّا حتى يفرغ مما أراده، وكان يطول الزمان عليه وعليهم حتى يفهموا عنه لفظة أو لفظتين، نسأل الله العافية من آفات الدار[١].



أبو الحسن الدباج المغربي

علي بن جابر بن علي الإمام أبو الحسن الإشبيلي الدباج، مقرئ الأندلس.

[١٧٨٣] كان من أهل الفضل والصلاح، تصدر لإقراء القرآن والعربية نحواً من خمسين سنة.

[١٧٨٤] هاله نطق النواقيس وخرس الأذان لما دخل الروم إشبيلية، فلم يزل يتأسف ويضطرب ارتماضاً لذلك، إلى أن قضى نحبه سنة ست وأربعين وستمائة.

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢٠/١٢٨، ١٢٩.

وكان يقرئ كتاب سيبويه[1].



الشيخ علاء الدين ابن النفيس

علي بن أبي الحزم، هو الإمام الفاضل الحكيم العلامة: علاء الدين ابن النفيس القرشي الدمشقي.

أخبرني العلامة أثير الدين أبو حيان، قال:

[١٧٨٥] نشأ المذكور بدمشق، واشتغل بها في الطب، وكان علاء الدين إماماً في علم الطب أوحد لا يضاهى في ذلك، ولا يدانى استحضاراً واستنباطاً، واشتغل على كبر وله فيه التصانيف الفائقة والتواليف الرائقة، صنف كتاب «الشامل» في الطب يدل فِهْرِسته على أنه يكون في ثلاثمائة سفر، هكذا ذكر لي بعض أصحابه، وبيّض منها ثمانين سفراً، وهي الآن وقف بالبيمارستان المنصوري بالقاهرة، وكتاب «المهذب» في الكحل، وشرح «القانون» لابن سيناء في عدة أسفار، وغير ذلك في الطب، وهو كان الغالب عليه.

[١٧٨٦] وأخبرني من رآه يصنف أنه كان يكتب من صدره من غير مراجعة حال التصنيف.

وله معرفة بالمنطق وصنف فيه مختصراً، وشرح الهداية لابن سيناء في المنطق، وكان لا يميل -في هذا الفن- إلا إلى طريقة المتقدمين كأبي نصر، وابن سيناء، قرأت عليه من كتاب «الهداية» لابن سيناء جملة، وكان يقررها

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢٠/ ١٧١.

أحسن تقرير، وسمعت عليه من علم الطب، وصنف في أصول الفقه، والفقه، والعربية، والحديث، وعلم البيان، وغير ذلك، ولم يكن في هذه العلوم بالمتقدم، إنما كان له فيها مشاركة ما.

وعليه وعلى شيخنا عماد الدين النابلسي تخرج الأطباء بمصر والقاهرة.

وكان شيخاً طوالاً، أسيل الخدين نحيفاً، ذا مروءة.

[١٧٨٧] أخبرت أنه في علته التي توفي فيها أشار عليه بعض أصدقائه الأطباء بتناول شيء من الخمر؛ إذ كانت علته تناسب أن يتداوى بها- على ما زعموا- فأبى أن يتناول شيئاً من ذلك وقال: لا ألقى الله تعالى وفي باطني شيء من الخمر.

وكان قد ابتنى داراً بالقاهرة، وفرشها بالرخام حتى أبوابها، وما رأيت أبواباً مرخماً في غير هذه الدار، ولم يكن متزوجاً، ووقف داره هذه وكتبه على البيمارستان المنصوري.

وكان يبغض كلام جالينوس ويصفه بالعي والإسهاب الذي ليس تحته طائل، بخلاف شيخنا عماد الدين النابلسي؛ فإنه كان يعظمه ويحث على قراءة كلام جالينوس.

وكان علاء الدين قد تولى تدريس المسرورية بالقاهرة في الفقه، وذكر أنه شرح من أول «التنبيه» إلى باب السهو، شرحاً حسناً.

مرض-رحمه الله تعالى- ستة أيام، أولها يوم الأحد، وتوفي سحر يوم الجمعة الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وثمانين وستمائة بالقاهرة.

[١٧٨٨] أخبرني الإمام العلامة الشيخ برهان الدين إبراهيم

الرشيدي -خطيب جامع أمير حسين بالقاهرة- قال: كان العلاء بن النفيس إذا أراد التصنيف توضع له الأقلام مبرية، ويدير وجهه إلى الحائط، ويأخذ في التصنيف إملاءً من خاطره، ويكتب مثل السيل إذا انحدر، فإذا كلَّ القلم وحفي رمى به وتناول غيره، لئلا يضيع عليه الزمان في بري القلم.

وأخبرني الشيخ نجم الدين الصفدي -رحمه الله تعالى- أن الشيخ بهاء الدين بن النحاس كان يقول: لا أرضى بكلام أحد في القاهرة في النحو غير كلام علاء الدين ابن النفيس، أو كما قال.

[١٧٨٩] وقد رأيت له كتاباً صغيراً عارض به رسالة حي بن يقظان لابن سينا، ووسمه بكتاب «فاضل بن ناطق» وانتصر فيه لمذهب أهل الإسلام وآرائهم في النبوات والشرائع والبعث الجسماني وخراب العالم، ولعمري لقد أبدع فيه، ودل ذلك على قدرته وصحة ذهنه وتمكنه من العلوم العقلية.

[١٧٩٠] وأخبرني السديد الدمياطي الحكيم بالقاهرة -وكان من تلاميذه- قال: اجتمع ليلة هو والقاضي جمال بن واصل وأنا نائم عندهما، فلما فرغا من صلاة العشاء الآخرة شرعا في البحث وانتقلا من علم إلى علم والشيخ علاء الدين في كل ذلك يبحث برياضة ولا انزعاج، وأما القاضي جمال الدين فإنه ينزعج ويعلو صوته، وتحمر عيناه، وتنتفخ عروق رقبته، ولم يزالا كذلك إلى أن أسفر الصبح، فلما انفصل الحال قال القاضي جمال الدين: يا شيخ علاء الدين أما نحن فعندنا مسائل ونكت وقواعد وأما أنت فعندك خزائن علوم.

[١٧٩١] وأخبرني آخر قال: دخل الشيخ علاء الدين مرة إلى الحمام التي

في باب الزهومة، فلما كان في بعض تغسيله خرج إلى مسلخ الحمام، واستدعى بدواة وقلم وورق وأخذ في تصنيف مقالة في النبض إلى أن أنهاها، ثم عاد ودخل الحمام وكمل تغسيله، وعلى الجملة فكان إماماً عظيماً[1].



صُرَّدُر

علي بن الحسن بن علي بن الفضل، أبو منصور الكاتب المعروف بصُرّدُر بن صُرَّبَعْر.

كان أبو منصور من فحول الشعراء، وله معرفة تامة بالأدب، كان أبوه يقال له: صربعر، فقال لأبي منصور لما سمع شعره نظام الملك: أنت ابن صُرَّدُر، لا ابن صُرَّبَعْر فغلب ذلك عليه.

[١٧٩٢] وقد هجاه الشريف البياضي، وما أنصفه في قوله:

فإن نَبْزَ الناسِ قِدْماً أباكا وسموه من شُحِّه صُرَّبَعْرا

فإنك تنثر ما صره عقوقاً له وتسميه شعرا

توفي سنة خمس وستين وأربعمائة؛ كبا به الفرس، فدقت عنقه، وكان قد ظلم أهل شهرايان، وسعى بهم، وقيل: سقط في بئر فهلك. وقال أبو علي بن البناء: خلط في دينه.

[١٧٩٣] ومن شعره:

من علم القلب ما يملي من الغزل نوح الحمام له أم حَنَّةُ الإبل

(١) الوافي بالوفيات: ٢٠/ ١٨٢- ١٨٤.

لا بل هو الشوق يدعو في جوانحنا فيستجيب خيال الحازم البطل

[١٧٩٤] ومنه:

لا تظنن بي سُلُوّاً بأن كنـ ـت غزير الدموع بين الجفون
فبكاء القلوب أشرف في حكـ ـم المحبين من بكاء العيون

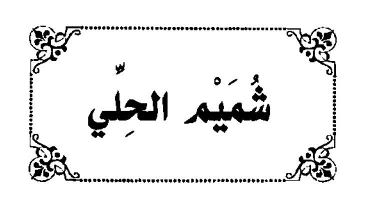
[١٧٩٥] ومنه:

قلقل ركابك في الفلا ودع الغواني للقصور
فمحالفي أوطانهم أمثال سكان القبور
لولا التغرب ما ارتقى دُرّ البحور إلى النحور

[١٧٩٦] ومنه:

تموت نفوس بأوصابها وتكتم عوّادَها ما بها
وما أنصفت مهجة تشتكي هواها إلى غير أحبابها
ألا أرني لوعة في الحشا وليس الهوى بعض أسبابها[1]

(١) الوافي بالوفيات: ٢٠/ ١٨٧- ١٩٣.



شُمَيْم الحِلِّي

علي بن الحسن بن عنتر بن ثابت، المعروف بشميم، أبو الحسن الحِلِّي النحوي اللغوي الشاعر.

توفي بالموصل عن سن عالية، سنة إحدى وستمائة.

تأدب ببغداد وتوجه إلى الموصل والشام وديار بكر.

[١٧٩٧] قال: إن الأوائل جمعوا أقوال غيرهم وأشعارهم وبوبوها، وأما أنا فكل ما عندي من نتائج أفكاري، وكلما رأيت الناس مجمعين على استحسان كتاب في نوع من الأدب أنشأت من جنسه ما أدحض به المتقدمين، من ذلك:

أن أبا تمام جمع أشعار العرب في «حماسته» وعملت أنا حماسة من أشعاري، ثم سب أبا تمام وشتمه، ثم رأيت الناس مجمعين على تفضيل أبي نواس في خمرياته فعملت كتاب الخمريات من شعري، ولو عاش أبو نواس لاستحيا أن يذكر شعر نفسه معها، ورأيت الناس مجمعين على تفضيل خطب ابن نُباتة، فصنفت كتاب الخطب، فليس للناس اليوم اشتغال إلا بخطبي.

[١٧٩٨] قال ياقوت : ثم أنشدني:

امزج بمسبوك اللُجَين ... ذهباً حكته دموع عيني[١]

---

(١) اللجين: الفضة.

لمـــا نعـــى نـــاعي الفـــرا ق بـبين مـن أهـوى وبـيني[1]

كانـــت ولم يُقْـــدَرْ لشـــيء قبلـــها إيجـــاب كـــون

وأحالهـــا التحـــريم لمـــا شُـــبهت بـــدم الحســـين

خفقـــت لنـــا شمســـان مـــن لألائهـــا في الخـــافقين

وبـــدت لنـــا في كأســـها مـــن لونهـــا في حلـــتين

فاعجـــب هـــداك الله مـــن كـــون اتفـــاق الضَـــرّتين

فاستحسـنت ذلـك، فغضـب وقـال لـي: ويلـك مـا عنـدك غـير الاستحسان؟

فقلت له: فما أصنع يا مولانا؟

فقال لي: تصنع هكذا، ثم قام يـرقص ويصـفق إلى أن تعـب وجلـس وهو يقول: ما أصنع وقـد ابتليـت ببهـائم لا يفرقـون بـين البعـر والـدر، والياقوت والحجر، فاعتذرت له، وسألته أن ينشدني شيئاً آخر، فقال لـي: قد صنفت كتاباً في التجنيس سميته: «أنيس الجليس في التجنيس» في مدح صلاح الدين لما رأيت استحسان الناس لقول السبتي ثـم أنشـد منـه [مـن مجزوء الرمل]:

ليـــت مـــن طَـــوّل بالشـــا م نـــواه وثـــوى بـــه

جعـــل العَـــوْد إلى الـــزَّوْ راء مـــن بعـــض ثوابـــه

أتُـــرى يُـــوطئني الدهـــــر ثـــرى مســـك ترابـــه

وأرى أيْ نـــورَ عـــيني موطئـــاً لـــي وثُـــرى بـــه

---

(١) البين: الفراق والتباعد.

وأنشدني غير ذلك.

[١٧٩٩] ثم سألته عمن تقدم من العلماء، فلم يحسن الثناء على أحد منهم، ذكرت له المعري، نهرني وقال: ويلك كم تسيء الأدب بين يدي؟ مَن ذلك الكلب الأعمى حتى يذكر في مجلس.

قلت: يا مولانا، ما أراك ترضى عن أحد ممن تقدم.

فقال: أرضى عنهم وليس لهم ما يرضيني.

فقلت: فما فيهم أحد قط جاء بما يرضيك؟

فقال: لا أعلمه إلا أن يكون المتنبي في مديحه خاصة، وابن نُباتة في خطبه، وابن الحريري في مقاماته، فهؤلاء لم يقصروا.

[١٨٠٠] قلت: يا مولاي قد عجبت إذ لم تصنِّف مقامات تدحض بها مقامات الحريري.

فقال: يا بني اعلم أن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، عملت مقامات مرتين فلم ترضني فغسلتها، وما أعلم أن الله خلقني إلا لأظهر فضل ابن الحريري.

[١٨٠١] ثم شطح في الكلام وقال: ليس في الوجود خالق إلا واحد في السماء، وواحد في الأرض، فالذي في السماء هو الله، والذي في الأرض أنا، ثم قال: هذا كلام لا يحتمله العامة؛ لكونهم لا يفهمونه، أنا لا أقدر على خلق شيء إلا خلق الكلام، فأنا أخلقه، ثم ذكر اشتقاق هذه اللفظة.

[١٨٠٢] فقلت له: يا مولانا، أنا محدث، والمحدث إن لم يكن عنده جرأة مات بغصة، وأحب أسألك عن شيء، قال: فتبسم وقال: ما تسأل

إلا عن معضلة، هات ما عندك، قلت: لم سميت بالشُمَيْم فشتمني، ثم ضحك، وقال: اعلم أني بقيت مدة من عمري -ذكرها هو وأنسيتها- لا آكل في تلك المدة إلا الطيب فحسب؛ لتنشف الرطوبة، فكنت أبقى أياماً لا يجئني الغائط، فإذا جاء كان شبه البندقة من الطين، فكنت آخذه وأقول لمن أنبسط له شمه فإنه لا رائحة له، فكثر ذلك حتى عرفت به، أرضيت يا ابن الفاعلة.

[١٨٠٣] وقال ياقوت: حدثني تقي الدين ابن الحجاج، قال: اجتمع جماعة من التجار الواسطيين بالموصل على زيارة شميم، وتوافقوا على ألا يتكلموا بين يديه خوفاً من زلل يكون منهم، فلما حصلوا بين يديه، قال أحدهم: أدام الله أيامك، فالتفت إليَّ وقال: أين هؤلاء فإني أرى عمائم كبار ظننتها على آدميين فسكتوا، فلما قاموا قال له آخر منهم: يا سيدي ادع لنا بشمل الجمع، فغضب وقال: قوموا عني قبحكم الله، ثم التفت إلي وقال: أيش هؤلاء؟ وكيف خلقهم الله؟ ثم حلف بمحلوفه، وقال: لو قدرت على خلق مثل هؤلاء لما فعلت أنفة من خلق مثلهم[1].

[١٨٠٤] وقال محمد بن حامد بن محمد بن جبريل بن منعة بن مالك الموصلي الفقيه فخر الدين: جرت بيني وبينه مذاكرات، ثم أخرج رقعة من تحت مصلاه، وقال: ما معنى قولي: قلب شطر أعاديك حظ من كفر أياديك؟ فقلت: أكتبهاوأفسرها؟ فقال: اكتبها، فكتبتها، وقلت: شطر أعاديك، ديك، وقلبه: كيد، أردت أن الكيد حظ من كفر أياديك، فقال لي: أحسنت، ثم أقبل علي بعد إهمالي.

[١٨٠٥] ولما قدم أسعرت تسامع به أهلها فقصدوه من كل فج،

(١) وهذا منه – غفر الله له – سوء أدب مع الله تعالى وكبر وسوء خلق.

وكان فيهم شاعر فأنشده شعراً استجاده، وقال له: إني أرفع هذا الشعر عن طبقتك، فإن كنت في دعواه صادقاً فقل في معناه الآن شيئاً آخر، ففكر ساعة وقال [من الطويل]:

وما كل وقت فيه يسمح خاطري ... بنظم قريض يقتضي لفظه معنى

ولم يَجِ الشرع الشريف تيمماً ... بترب وبحر الأرض في ساحة معنا

فقال له الحلّي: ويلك اسجد ويلك اسجد!! فإن هذا موضع من مواضع سجدات الشعر، وأنا أعرف الناس بها[1].

الحافظ ابن عساكر الشافعي

علي بن الحسن بن هبة الله الحافظ الكبير الإمام أبو القاسم، ثقة الدين ابن عساكر الدمشقي الشافعي، صاحب «تاريخ دمشق»، أحد أعلام الحديث.

ولد مستهل سنة تسع وتسعين وأربعمائة، وتوفي في الحادي عشر من شهر رجب سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، عاش اثنتين وسبعين سنة وستة أشهر وعشرة أيام.

[١٨٠٦] وحضر جنازته بالميدان الملك الناصر صلاح الدين يوسف، قال العماد: وكان الغيث قد احتبس في هذه السنة، فدر عندما رُفعت جنازته، فكأن السماء بكت عليه.

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢٠/ ٢٠٣- ٢٠٧.

[١٨٠٧] ورحل وطوف البلاد إلى خراسان، بقي في رحلته أربع سنين، وعدة شيوخه: ألف وثلاثمائة شيخ، وثمانون امرأة ونيف، وحدث بأصبهان وخراسان وبغداد وسمع منه الكبار ممن هو أسن منه، ورحل إلى العراق سنة عشرين وخمسمائة، وحج سنة إحدى وعشرين، وسمع بمكة ومنى والمدينة والكوفة، وأصبهان، ومرو الشاهجان، ونيسابور، وهراة، وسرخس، وأبيورد، وطوس وبسطام، والري وزنجان، وبلاد كثيرة بالعراق وخراسان، والجزيرة والشام والحجاز.

[١٨٠٨] وجمع وصنف، فمن ذلك كتاب «تاريخ دمشق وأخبارها وأخبار من حلها أو وردها» في خمسمائة وسبعين جزءاً من تجزئة الأصل، والنسخة الجديدة ثمانمائة جزء.

قال ابن خلكان: قال لي شيخنا العلامة زكي الدين أبو محمد عبد العظيم المنذري حافظ مصر -رحمه الله تعالى- وقد جرى ذكر هذا التاريخ وأخرج لي منه مجلداً، وطال الحديث في أمره واستعظامه:

«ما أظن هذا الرجل إلا أنه عزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل على نفسه، وشرع في الجمع من ذلك الوقت، وإلا فالعمر يقصر عن أن يجمع الإنسان فيه مثل هذا الكتاب بعد الاشتغال والتنبه».

ولقد قال الحق، ومن وقف عليه عرف حقيقة هذا القول، ومتى يتسع للإنسان الوقت حتى يضع مثله، وهذا الذي ظهر هو الذي اختاره، وما صح له هذا إلا بعد مسودات ما يكاد ينضبط حصرها.

وأشياء غير ذلك يبلغ عدتها أربعين مصنفاً.

[١٨٠٩] ولما أملى -رحمه الله تعالى- في فضائل الصديق ﷺ سبعة مجالس ثم إنه قطعها بإملاء مجالس في ذم اليهود وتخليدهم في النار، جاء

إليه أبو علي بن رواحة، فقال له:

قد رأيت الصديق في النوم، وهو راكب على راحلة فقلت له: يا خليفة رسول الله، قد أملى علينا الحافظ أبو القاسم سبعة مجالس في فضائلك، فأشار إليَّ بأصابعه الأربع.

فقال له الحافظ أبو القاسم: قد بقي عندي مما خرجته ولم أمله أربعة مجالس، فأملاها، ثم أملى في كل واحد من الخلفاء أحد عشر مجلساً وكان يقول: إن والدي رأى في منامه -وأنا حمل- رؤيا وقائل يقول له: يولد لك مولود يحيي الله به السنة، وكان البغداديون يسمونه: شعلة لذكائه.

[١٨١٠] قال الشيخ شمس الدين[١]:

وهو مع جلالته وحفظه يروي الأحاديث الواهية والموضوعة، ولا يبينها، وكذا عامة الحفاظ الذين بعد القرون الثلاثة، إلا من شاء ربك، فليسألنهم ربك عن ذلك[٢]، وأي فائدة لمعرفة الرجال والمصنفات والتاريخ والجرح والتعديل إلا كشف الحديث المكذوب وهتكه.

[١٨١١] ومن شعره:

ألا إن الحديث أجل علم	وأشرفه الأحاديث العوالي
وأنفع كل نوع منه عندي	وأحسنه الفوائد والأمالي
وإنك لن ترى للعلم شيئاً	يحققه كأفواه الرجال
فكن يا صاحِ ذا حرص عليه	وخذه عن الرجال بلا مال

(١) أي الإمام الذهبي رحمه الله تعالى.

(٢) الله أعلم بمن سيسأله، وما ينبغي لبشر أن يجزم بمثل هذا، وما أدراه فقد يدخله الله الجنة بلا سؤال ولا حساب؟!

ولا تأخـذه مـن صـحف فتُرمـى ... مـن التصـحيف بالـداء العضـال

[١٨١٢] ومنه:

أيـا نفـس ويحـك جـاء المشـيب ... فمـاذا التصـابي ومـاذا الغـزل

تـولى شـبابي كـأن لم يكـن ... وجـاء مشـيبي كـأن لم يـزل

كـأني بنفسـي في غـرة ... وخطـب المنـون بهـا قـد نـزل

فيـا ليـت شـعري ممـن أكـون ... ومـا قـدر الله لـي في الأزل

قال ابن خلكان: البيت الثاني هو بيت العَكَوَّك بن جبلة، وهو قوله [من مجزوء المتقارب]:

شـباب كـأن لم يكـن ... وشـيب كـأن لم يـزل

[١٨١٣] قال السمعاني: أنشدني لنفسه ببغداد:

وصاحبٍ خان ما استودعته وأتى ... مـا لا يليـق بأربـاب الـديانات

وأظهـر السـر مختـاراً بـلا سـبب ... وذاك والله مـن أوفـى الخيانـات

أمـا أتـاه عـن المختـار في خـبر ... أن المجـالس تُغْشَـى بالأمانـات

[١٨١٤] قال: وأنشدني لنفسه بنيسابور:

لا قـدس الله نيسـابور مـن بلـد ... ما فيه من صاحب يُسْلي ولا سكن

لولا الجحيم الذي في القلب من حُرَق ... لفرقة الأهل والأحباب والـوطن

لمت من شدة الـبرد الـذي ظهـرت ... آيـات شـدته في ظـاهر البـدن

يا قوم دوموا على عهد الهوى وثِقـوا ... أني على العهـد لم أغـدر ولم أخـن

ولا تـدبرت عيشـي بعـد بعـدكم ... إلا تمثلـت بيتـاً قيـل مـن زمـن

فـإن أعـش فلعـل الله يجمعنـا ... وإن أمت فقتيل الشـوق والحـزن

ولما مات الحافظ ثقة الدين ابن عساكر -رحمه الله تعالى- رثاه جماعة من الشعراء[1].



الشريف المرتضى

علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو القاسم المرتضى، علم الهدى، نقيب العلويين أخو الشريف الرضى.

ولد سنة خمس وخمسين وثلاث مائة، وتوفي سنة ست وثلاثين وأربع مائة.

وكان فاضلاً ماهراً أديباً متكلماً، له مصنفات جمة على مذهب الشيعة.

[١٨١٥] قال الخطيب:

كتبت عنه وكان رأساً في الاعتزال، كثير الاطلاع والجدال.

قال ابن حزم في الملل والنحل: ومن قول الإمامية كلها قديماً وحديثاً أن القرآن مبدل، زيد فيه ونقص منه، حاشا علي بن الحسين بن موسى، وكان إمامياً فيه تظاهر بالاعتزال، ومع ذلك فإنه كان ينكر هذا القول وكفر من قاله، وكذلك صاحباه: أبو يعلى الطوسي وأبو القاسم الرازي.

[١٨١٦] وقد اختلف في كتاب «نهج البلاغة» هل هو من وضعه أو

(١) الوافي بالوفيات: ٢٠/ ٢١٦- ٢٢٢.

وضع أخيه الرضى.

[١٨١٧] وحكى عنه ابن برهان النحوي أنه سمعه -ووجهه إلى الحائط- يعاتب نفسه ويقول: أبو بكر وعمر وليا فعدلا، واسترحما فرحما، أفأنا أقول ارتدا بعد أن أسلما؟!! قال: فقمت وخرجت، فما بلغت عتبة الباب حتى سمعت الزعقة عليه، وكان ابن برهان قد دخل عليه في مرضه الذي مات فيه -رحمه الله تعالى-.

وكان يدخل عليه من أملاكه في كل سنة أربعة وعشرون ألف دينار.

[١٨١٨] قال أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي:

دخلت على الكيا أبي الحسين يحيى بن الحسين العلوي الزيدي، وكان من نبلاء أهل البيت ومن المحمودين في صناعة الحديث وغيره من الأصول والفروع، فذكر بين يديه يوماً الإمامية فذكرهم أقبح ذكر وقال:

لو كانوا من الدواب لكانوا الحمير، ولو كانوا من الطيور لكانوا الرخم، وأطنب في ذمهم، وبعد مدة دخلت على المرتضى وجرى ذكر الزيدية والصالحية أيهما خير، فقال:

يا أبا الفضل تقول: أيهما خير ولا تقول أيهما شر، فتعجبت من إمامي الشيعة في وقتهما، ومن قول كل واحد منهما في مذهب الآخر، فقلت: لقد كفيتما أهل السنة الوقيعة فيكما[١].

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢١/ ٦- ٨.

أبو الفرج الأصبهاني صاحب الأغاني

علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان ابن عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو الفرج الأصبهاني الكاتب العلامة الإخباري صاحب «الأغاني».

ولد سنة أربع وثمانين ومائتين، وتوفي سنة ست وخمسين وثلاثة مائة.

وسمع أبو الفرج من جماعة لا يحصون، وروى عنه الدارقطني وغيره، استوطن بغداد وكان من أعيان أدبائها، وأفراد مصنفيها، وكان إخبارياً نسابة، شاعراً، ظاهر التشيع.

قال أبو علي التنوخي: كان يحفظ أبو الفرج من الشعر والأغاني والأخبار والمسندات والأنساب ما لم أر قط من يحفظ مثله، ويحفظ من سوى ذلك من علوم أُخر منها: اللغة والنحو والخرافات والمغازي والسير، وصنف لبني أمية -أقاربه ملوك الأندلس- تصانيف وسيرها إليهم، وجاءه الإنعام على ذلك.

[١٨١٩] قال الشيخ شمس الدين(١):

رأيت شيخنا ابن تيمية يضعفه ويتهمه في نقله ويستهول ما يأتي به، وما علمت فيه جرحاً إلا قول ابن أبي الفوارس: خلط قبل أن يموت، وقد أثنى على كتابه «الأغاني» جماعة من جلة الأدباء. انتهى.

---

(١) أي الذهبي رحمه الله تعالى.

[١٨٢٠] قال ابن عرس الموصلي:

كتب إليَّ أبو تغلب -ابن ناصر الدولة- يأمرني بابتياع كتاب الأغاني، فابتعته له بعشرة آلاف درهم، فلما حملته إليه ووقف عليه قال:

لقد ظُلم ورَّاقه المسكين، وإنه ليساوي عشرة آلاف دينار، ولو فقد ما قدرت عليه الملوك إلا بالرغائب، وأمر أن يكتب له به نسخة أخرى.

وأهدى أبو الفرج منه نسخة لسيف الدولة ابن حمدان فأعطاه ألف دينار، وبلغ ذلك الصاحب بن عباد فقال:

لقد قصر سيف الدولة، وإنه يستأهل أضعافها، ووصف الكتاب وأطنب في وصفه، ثم قال:

ولقد اشتملت خزانتي على مائتي ألف مجلد وسبعة عشر ألف مجلد، ما منها ما هو سميري غيره ولا راقني منها سواه، ولم يكن كتاب الأغاني يفارق سيف الدولة في سفر ولا حضر.

وقال أبو الفرج: جمعته في خمسين سنة، وكتبت منه نسخة واحدة، وهي التي أهديت لسيف الدولة.

قال ياقوت:

كتبت منه نسخة بخطي في عشر مجلدات، وجمعت تراجمه، ونبهت على فوائده، وذكرت السبب الذي من أجله وضع تراجمه، ووجدته يعد بشيء ولا يفي به في غير موضع منه، كقوله في آخر أخبار أبي العتاهية: «وقد طالت أخباره ها هنا، وسنذكر أخباره مع عتب في موضع آخر» ولم يفعل، وقال في موضع آخر: «أخبار أبي نواس مع جنان، إذ كانت سائر أخباره قد تقدمت» ولم يتقدم شيء، إلى أشباه ذلك، والأصوات المائة هي تسع

وتسعون، وما أظن إلا أن الكتاب قد سقط منه شيء، أو يكون النسيان غلب عليه، والله أعلم.

[١٨٢١] وكان أبو الفرج من أصحاب الوزير أبي محمد المهلبي الخصيصين به، وكان أبو الفرج وسخاً في نفسه ثم في ثوبه قذراً، لم يكن يغسل درَّاعة يلبسها ولا تزال عليه إلى أن تبلى، وكان له قِطٌّ اسمه: يقق، مرض ذلك القط بقولنج فحقنه بيده وخرج ذلك الغائط على يديه، وقد طرق الباب عليه بعض أصحابه الرؤساء، فخرج إليهم وهو بتلك الحال، لم يغسل يديه، واعتذر إليهم بشغله عنهم بأمر القط.

وكان يوماً على مائدة الوزير أبي محمد المهلبي، فقدمت سكباجة، فوافقت من أبي الفرج سعلة، فبدر من فمه قطعة بلغم وقعت في وسط السكباجة، فقال الوزير: ارفعوها وهاتوا من هذا اللون بعينه في غير هذه الغضارة، ولم يبن عنده ولا في وجهه إنكار، ولا داخل أبا الفرج استحياء ولا انقباض.

[١٨٢٢] وكان الوزير من الصلف على ما حكى عنه أنه كان إذا أراد أكل شيء بملعقة -كالأرز واللبن وغير ذلك- وقف من الجانب الأيمن غلام معه ثلاثون ملعقة زجاج مجروداً، فيأخذ ملعقة ويأكل بها لقمة واحدة، ويناولها لغلام آخر وقف على يساره، ثم يتناول ملعقة غيرها جديدة ويأكل بها لقمة واحدة، ثم يدفعها إلى الغلام الذي على يساره؛ حتى لا يدخل الملعقة في فمه مرة أخرى، وكان مع هذا الصلف والظرف والتجنب يصبر على مواكلة أبي الفرج ويحتمله لأدبه ومحادثته، ولما طال الأمر على الوزير صنع له مائدتين-عامة وخاصة- يدعو إلى الخاصة من يريد مواكلته.

[١٨٢٣] وكان أبو الفرج أكولاً نهماً، فإذا ثقل الطعام على معدته تناول خمسة دراهم فلفلاً مدقوقاً، ولا يؤذيه ولا تدمع منه عيناه، وكان لا يقدر أن يأكل حمصة واحدة، ولا يأكل طعاماً فيه حمص، وإذا أكل شيئاً منه سرى بدنه كله، وبعد ساعة أو ساعتين يفصد، وربما فصد لذلك دفعتين، قال: ولم أدع طبيباً حاذقاً إلا سألته عن ذلك ولا يخبرني عن السبب ولا يعلم له دواء، فلما كان قبل فالجه ذهبت عنه العادة في الحمص، فصار يأكله ولا يضره، وبقيت عليه عادة الفلفل.

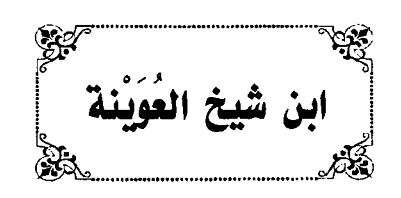
[١٨٢٤] وكان أبو القاسم الجهني المحتسب على فضله فاحش الكذب، كان في بعض الأيام في مجلس فيه أبو الفرج، فجرى حديث النعنع وإلى أي حد يطول، فقال الجهني:

في البلد الفلاني نعنع يتشجر حتى يُعمل من خشبه السلاليم، فاغتاظ أبو الفرج من ذلك وقال:

نعم عجائب الدنيا كثيرة، ولا يدفع هذا ولا يستبعد، وعندي ما هو أعجب من هذا و أغرب، وهو زوج حمام راعبي يبيض في كل نيف وعشرين يوماً بيضتين فأنتزعهما من تحته، وأضع مكانهما صنجة مائة وصنجة خمسين، فإذا انتهت مدة الحضان تفقست الصنجتان عن طست وإبريق أو سطل وكرنيب، فعم أهل المجلس الضحك، وفطن الجهني وانقبض عن كثير مما كان يحكيه[1].

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢١/ ٢٠- ٢٤.



ابن شيخ العُوَيْنة

علي بن الحسين بن القاسم بن منصور بن علي.

هو الشيخ الإمام العالم الفاضل، المتبحر المفتي العلامة، الأصولي الفقيه النحوي الكامل زين الدين أبو الحسن، ابن الشيخ جمال الدين ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين ابن الشيخ زين الدين شيخ العوينة الموصلي.

[١٨٢٥] كان هذا الشيخ -زين الدين الأعلى- من أهل الثروة والسعادة بالموصل، فآثر الانقطاع والعزلة، فآوى إلى الجبانة بباب الميدان ظاهر الموصل، ولا ماء هناك إلا من آبار محفورة طول البئر خمسون ذراعاً وستون ذراعاً وأكثر وأقل، وكان الشيخ زين الدين المذكور يتوجه كل يوم إلى الشط ويملأ إبريقين ويحملهما ويجيء بهما لأجل شربه ووضوئه، فمكث على ذلك مدة وهو يقاسي مشقة لبعد المسافة فلما كان في ليلة رأى النبي ﷺ، أو الإمام علي بن أبي طالب ﷺ يقول له:

احفر عندك حفيرة يظهر لك الماء، فلما انتبه استبعد ذلك؛ لأن الآبار هناك بعيدة الغور، ولبث مدة فرأى تلك الرؤيا فاستبعد ذلك، ولبث مدة ثم رأى تلك الرؤيا وقال: لو حفرت بعكازك طلع لك الماء، فقص ذلك على بعض أصحابه وحفر في ذلك المكان تقدير ثلاثة أذرع أو أكثر، فأجرى الله -تعالى- له هناك عيناً، وهي مشهورة هناك، فمن ثم قيل له: شيخ العوينة، وكان من الصلحاء الكبار.

وأما الشيخ زين الدين صاحب هذه الترجمة، فإني اجتمعت به بدمشق

في شهر شوال سنة خمسين وسبع مائة بالمدرسة القليجية، وقد حضر متوجهاً إلى الحجاز مع بيت صاحب ماردين، فرأيته حسن الشكل نير الوجه أحمر الخدين نقي الشيب، يعلوه بهاء ورونق وسألته عن مولده فقال: بالموصل ثاني عشر شهر رجب سنة إحدى وثمانين وست مائة.

قرأ القرآن في بغداد وشرح الشاطبية، وحفظ الحاوي الصغير، وقرأ مختصر ابن الحاجب، وقرأ أصول الدين والمعقولات، وقرأ ألفية ابن معطٍ، وقرأ اللمع -أيضاً- لابن جني ببغداد، وقرأ الحساب، وقرأ الطب، وأجاز له جماعة.

[١٨٢٦] وكتبت إليه -لما قدم إلى دمشق متوجهاً إلى الحجاز سنة خمسين وسبع مائة- سؤالاً كنت كتبته إلى الشيخ نجم الدين داود بن علي القحفيزي وهو [من الطويل]:

ألا إنما القرآن أكبر معجز ... لأفضل مَنْ يُهْدَى به الثقلان

ومن جملة الإعجاز كون اختصاره ... بإيجاز ألفاظ وبسط معاني

ولكنني في الكهف أبصرت آية ... بها الفكر في طول الزمان عناني

وما ذاك إلا «استطعما أهلها» فقد ... نرى «استطعماهم» مثله ببيان

فما الحكمة الغراء في وضع ظاهر ... مكان ضمير إن ذاك لِشَان

فأجابني الشيخ زين الدين نظماً ونثراً [من الطويل]:

سألتَ لماذا «استطعما أهلها» أتى ... عن «استطعماهم» إن ذاك لشان

وفيه اختصار ليس ثَمّ ولم تقف ... على سبب الرجحان منذ زمان

فهاك جواباً رافعاً لنقابه ... يصير به المعنى كرأي عيان

إذا ما استوى الحالان في الحكم رُجِّح الضـ ... ـمير وأما حين يختلفان

بأن كان في التصريح إظهار حكمة ... كرفعة شأن أو حقارة جان
كمثل أمير المؤمنين يقول ذا ... وما نحن فيه صوَّحوا بأمان
وهذا على الإيجاز واللفظ جاء في ... جوابيَ منثوراً بحسن بيان
فلا تمتحن بالنظم مِن بعدُ عالماً ... فليس لكل بالقريض يدان
وقد قيل إن الشعر يزري بهم فلا ... تكاد ترى من سابقٍ برهان
ولا تنسني عند الدعاء فإنني ... سأبدي مزاياكم بكل مكان
وأستغفر الله العظيم لما طغى ... به قلمي أو طال فيه لساني

والجواب المبسوط بالنثر فهو:

بسم الله الرحمن الرحيم

سأل بعض الفضلاء عن الحكمة في: «فاستطعما أهلها» دون: «فاستطعماهم» مع أنه أخصر، قلت والله الموفق: إنه لما كانت الألفاظ تابعة للمعاني لم يتحتم الإضمار، بل قد يكون التصريح أولى، بل ربما يكاد يصل إلى حد الوجوب، كما سنبين إن شاء الله تعالى، ويدل على الأولوية قول أرباب علم البيان ما هذا ملخصه:

لما كان للتصريح عمل ليس للكناية، كان لإعادة اللفظ من الحسن والبهجة والفخامة ما ليس لرجوع الضمير، انتهى كلامهم، فقد يعدل إلى التصريح إما للتعظيم وإما للتحقير وإما للتشنيع والنداء بقبح الفعل، وإما لغيرها، فمن التعظيم قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[1] دون «هو».

(١) سورة الإخلاص: ١ - ٢.

وقوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾[1] ولم يقل «وبه».

وقوله: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[2] فقد كرر لفظ الحج مرتين دون أن يقال: «فمن فرضه فيهن، ولا جدال فيه» إعلاماً بعظمة هذه العبادة من حيث إنها فريضة العمر، وفيها شبه عظيم بحال الموت والبعث، فناسب حال تعظيمه في القلوب التصريح باسمه ثلاث مرات، ومنه قول الخليفة أمير المؤمنين: «نرسم بكذا» دون (إنا) إما لتعظيم ذلك الأمر، أو لتقوية داعية المأمور أو نحوهما، وقول الشاعر [من الرجز]:

نفسُ عصام سودت عصاماً

وقول أبي تمام [من الخفيف]:

قد طلبنا فلم نجد لك في السؤ ... دد والمجد والمكارم مثلا

فإن إيقاع الطلب على المثل أوقع من إيقاعه على ضميره لو قال: طلبنا لك مثلاً، فلم نجده.

وقول بعض أهل العصر [من الطويل]:

إذا برقت يوماً أسِرَّة وجهه ... على الناس قال الناس: جل المنور

وأما ما يكاد يصل إلى حد الوجوب فمثل قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾[3] أنْ عدل عن الإضمار إلى التصريح

---

(١) سورة الإسراء: ١٠٥.

(٢) سورة البقرة: ١٩٧.

(٣) سورة الأحزاب: ٥٠.

وكرر اسمه ﷺ تنبيهاً على أن تخصيصه ﷺ بهذا الحكم -أعني النكاح بالهبة- عن سائر الناس لمكان النبوة، وكرر اسمه ﷺ تنبيهاً على عظمة شأنه وجلالة قدره، إشارة إلى علة التخصيص وهي النبوة.

ومن التحقير: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾[1]، ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾[2] دون «عليهم».

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾[3] أضمر هنا، ثم لما أريد المبالغة في ذمهم صرح في الآية الثانية والثالثة بكفرهم فقيل: ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[4] و ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[5] وأمثاله كثير.

إذا تقرر هذا الأصل فنقول:

لما كان أهل هذه القرية موصوفين بالشح الغالب، واللؤم اللازب، بدليل قوله ﷺ: **«كانوا أهل قرية لئاماً»**، وقد صدر منهم في حق هذين العبدين الكريمين على الله - تعالى- ما صدر من المنع بعد السؤال، كانوا حقيقين عليهم بسوء الصنع، فناسب ذلك التصريح باسمهم؛ لما في لفظ الأهل من الدلالة على الكره مع حرمان هذين الفقيرين من خير لهم، مع استطعامهما إياهم ولما دل عليه حالهم من كدر قلوبهم وعمى بصائرهم؛ حيث لم يتفرسوا فيهما ما تفرسه صاحب السفينة في قوله: أرى وجوه

---

(١) سورة الأعراف: ١٦٢.

(٢) سورة البقرة: ٥٩.

(٣) سورة البقرة: ٨٨.

(٤) سورة البقرة: ٨٩.

(٥) سورة البقرة: ٩٠.

الأنبياء.

هذا ما يتعلق بالمعنى، وأما ما يتعلق باللفظ؛ فلما في جمع الضميرين في كلمة واحدة من استثقال؛ فلهذا كان قليلاً في القرآن المجيد، وأما قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾[1] وقوله: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾[2] فإنه ليس من هذا القبيل؛ لأنه عدول عن الانفصال إلى الاتصال الذي هو أخصر، وعند فك الضمير لا يؤدي إلى التصريح باسم ظاهر، بل يقال: «فسيكفيك إياهم الله»، و «أنلزمكم إياها» فكان الاتصال الأولى لأنه أخصر، ومؤداهما واحد بخلاف مسألتنا.

ثم هنا سؤالات، فالأول: ما الفرق بين الاستطعام والضيافة؟ فإن قلت إنهما بمعنى قلت: فلم خصصهما بالاستطعام والأهل بالضيافة؟

والثاني: فلم قيل: «فأبوا أن» دون «فلم»؟ مع أنه أخصر.

الثالث: لم قيل: «أتيا أهل قرية» دون «أتيا قرية»؟ والعرف بخلافه، تقول أتيت إلى الكوفة، دون أهل الكوفة، كما قال تعالى: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ﴾[3] والجواب عن الأول: أن الاستطعام: وظيفة السائل، والضيافة: وظيفة المسؤول؛ لأن العرف يقضي بذلك، فيدعو المقيم إلى منزله القادم يسأله ويحمله إلى منزله.

وعن الثاني: أن في الإباء من قوة المنع ما ليس في «فلم» لأنها تقلب المضارع إلى الماضي وتنفيه، فلا يدل على أنهم لا يضيفوهم في الاستقبال،

---

(١) سورة البقرة: ١٣٧.

(٢) سورة هود: ٢٨.

(٣) سورة يوسف: ٩٩.

بخلاف الإباء المقرون بـ «أن» فإنه يدل على النفي مطلقاً وآيته ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾[1] أي حالاً واستقبالاً.

وعن الثالث: أنه مبني على أن مسمى القرية ماذا؟ أهو الجدران وأهلها معاً؟ حال كونهم فيها، أم هي فقط، أم هم فقط؟ والظاهر عندي أنه يطلق عليها مع قطع النظر إلى وجود أهلها وعدمهم، بدليل قوله تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾[2] سماها قرية ولا أهل ولا جدار قائماً؛ ولعدم تناول لفظ القرية إياهم في البيع إذا كانت القرية وأهلها ملكاً للبائع، وهم فيها حالة البيع، ولو كان الأهل داخلين في مسماها لدخلوا في البيع ولبدت المغايرة بين المضاف والمضاف إليه، وإنما ذكر الأهل؛ لأنه هو المقصود من سياق الكلام دون الجدران؛ لأنه بمعرض حكاية ما وقع منهم من اللوم.

فإن قلت: فما نصنع بقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾[3] ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾[4] ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً ...﴾[5] إلى آخره، ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ...﴾[6] فإن المراد في هذه الآيات وأمثالها الأهل والجدران؟

قلت: هو من باب المجاز بالقرينة؛ لأن الإهلاك إنما ينسب إليهم دونها

---

(١) سورة التوبة: ٣٢.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٩.

(٣) سورة القصص: ٥٨.

(٤) سورة الأعراف: ٤.

(٥) سورة النحل: ١١٢.

(٦) سورة يوسف: ٨٢.

بـدليل ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَاۖ﴾، والاستحالة: السؤال من غير الأهل، على أن نقول: لو تصور وقوع الهلاك على نفس القرية بالخسف والحريق والغريق ونحـوه لم تـتعين الحقيقة لما ذكرناه، والله أعلـم، وهـذا عجالـة الوقـت ونحـن علـى جنـاح السفر.

[١٨٢٧] ومن شعر الشيخ زين الدين المشار إليه، يمدح الملك الصالح صاحب ماردين [من الطويل]:

إلهـي إن الصـالح المصـلح الـذي	بـدا عـزه في آل أُرْتُـق تزهـر
وألبسته مـن نـور وجهـك حلـة	تكـاد لأبصـار الخلائـق تبهـر
إذا برقـت يومـاً أسِـرَّة وجهـه	على الناس قال الناس جل المنور
وقالوا كما قالت صواحب يوسف	أذا ملـكٌ أم آدمـي مصـور
يؤمـل أن أدعـوك ظنـاً بـأنني	لـديك وجيـه مستجاب مـوقر
إلهـي فـلا تخلـف بـي الظـن عنـده	وإن لم أكن أهـلاً فحلمـك يسـتر
وهـذي يـدي مرفوعـة بتضـرع	فيسـر عليـه كلمـا يتعسـر
وآمنه من خوف فقـد أمـن الـورى	بهيبتـه ممـا يخـاف ويحـذر

وأحسـن لـه العقبـى وبلغـه بيتـك الحـرام علـى وجـه تحـب وتـؤثر

وحُطْ ملكـه حتـى يـؤوب مسـلماً	وقد حُطّت الأوزار وهـو مطهـر
فما في اعتقادي في السلاطين مثلـه	وأنـت بمـا يخفـى ويعلـن أخـبر
فإن لم يكـن فاجعلـه حيـث ظننتـه	فأنت على قلب الحقائق أقـدر[١]

(١) الوافي بالوفيات: ٢١/ ٥٢- ٦٢.



الكسائي

علي بن حمزة بن عبد الله بن فيروز الأسدي مولاهم الكوفي.

إنما قيل له الكسائي لأنه دخل الكوفة، وأتى حمزة بن حبيب الزيات وهو ملتف بكساء، فقال حمزة: من يقرأ؟ فقيل له: صاحب الكساء، فبقي علماً عليه، وقيل: بل أحرم في كساء.

شيخ القراء وأحد السبعة، وإمام النحاة.

نزل بغداد وأدب الرشيد ثم أولاده.

قرأ القرآن على حمزة الزيات أربع مرات، وقرأ على محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عرضاً، وروى عن جعفر الصادق والأعمش وسليمان بن أرقم وأبي بكر بن عياش، واختار لنفسه قراءة صارت إحدى القراءات السبع.

وتعلم النحو على كبر سنه، وجالس الخليل في البصرة.

وكانوا يكثرون عليه حتى لا يضبطهم، وكان يجمعهم ويجلس على كرسي، ويتلو القرآن من أوله إلى آخره، وهم يسمعون ويضبطون عنه حتى المقاطع والمبادئ.

مات مع الرشيد في قرية رَنْبُويه، ومات معه محمد بن الحسن، فقال الرشيد لما عاد إلى العراق: دفنت النحو والفقه برنبويه، وذلك سنة تسع وثمانين ومائة، ورنبويه بالري.

ولم يكن له في الشعر يد، حتى قيل: إنه ليس في علماء العربية أجهل

منه بالشعر.

[١٨٢٨] اجتمع يوماً بمحمد بن الحسن في مجلس الرشيد، فقال الكسائي: من تبحر في علم يهدى إلى جميع العلوم، فقال له محمد بن الحسن: ما تقول في من سها في سجود السهو، هل يسجد مرة أخرى؟ فقال الكسائي: لا، قال: لماذا؟ قال: لأن النحاة يقولون: التصغير لا يصغر، وقيل: إن هذه جرت لمحمد بن الحسن والفراء النحوي، فقال محمد بن الحسن: فما تقول في تعليق الطلاق بالملك؟ قال: لا يصح، قال: لم؟ قال: لأن السيل لا يسبق المطر.

[١٨٢٩] وأشرف الرشيد عليه يوماً وهو لا يراه، فقام الكسائي ليلبس نعليه فابتدر الأمين والمأمون فوضعاها بين يديه، فقبل رؤوسهما وأيديهما وأقسم عليهما ألاَّ يعاودا ذلك أبداً، فلما جلس الرشيد مجلسه قال: أي الناس أكرم خدماً؟

قالوا: أمير المؤمنين أعزه الله -تعالى- .

فقال: بل الكسائي، يخدمه الأمين والمأمون، وحدثهم الحديث.

[١٨٣٠] وقال الفراء:

مدحني رجل من النحويين فقال لي: ما اختلافك إلى الكسائي وأنت مثله في النحو؟! فأعجبتني نفسي، فأتيته فناظرته مناظرة الأكفاء وكأني كنت طائراً يغرف من البحر بمنقاره.

[١٨٣١] وقال الفراء:

مات الكسائي وهو لا يدري حد نعم وبئس، ولا حد أن المفتوحة ولا حد الحكاية، ولم يكن الخليل يحسن حد النداء، ولا كان سيبويه يدري حد

التعجب.

[١٨٣٢] وكان سبب تعلم الكسائي النحو أنه جاء إلى قوم من الهباريين، وقد أعيى فقال: قد عيَّيْت. فقالوا له: أتجالسنا وتلحن؟

فقال: كيف لحنت؟

فقالوا: إن كنت أردت من انقطاع الحيلة والتحير في الأمر فقل: عيِيْت -مخففاً- وإن كنت أردت من التعب فقل: أعيَيْت، فأنف من هذه الكلمة، ثم قام من فوره وأتى إلى معاذ الهَرّاء ولازمه حتى أخذ ما عنده، وخرج إلى البصرة، فأتى الخليل وجلس في حلقته، فقال له رجل من الأعراب: تركت أسد الكوفة وتميماً وعندها الفصاحة، وجئت إلى البصرة، فقال للخليل: من أين أخذت علمك هذا؟

فقال: من بوادي الحجاز ونجد وتهامة. فخرج ورجع وقد أنفد خمس عشرة قنينة حبراً في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ، فلم يكن له هم غير البصرة والخليل فوجد الخليل قد مات وجلس في موضعه يونس النحوي، فمرت بينهما مسائل أَقَرَّ له يونس فيها وصدره موضعه.

[١٨٣٣] ولما أتى حمزة الزيات وتقدم ليقرأ عليه رمقه القوم بأبصارهم وقالوا: إن كان حائكاً فسيقرأ سورة يوسف، وإن كان ملاحاً فسيقرأ سورة طه فسمعهم فقرأ بسورة يوسف، فلما بلغ إلى قصة الذئب قرأ: ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾[١] بغير همز فقال له حمزة: [الذئب] بالهمز، فقال له الكسائي: وكذلك أهمز الحوت؟ ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾[٢] قال: لا، قال: فلم

(١) سورة يوسف: ١٧.

(٢) سورة الصافات: ١٤٢.

همزت الذئب ولم تهمز الحوت، وهذا ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ وهـذا ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾؟ فرفع حمزة بصره إلى خلاد الأحول-وكان أجمل غلمانه- فتقـدم إليه في جماعة من المجلس، فناظروا فلم يصنعوا شيئاً، فقال:

أفدنا رحمك الله.

فقال الكسـائي: تفهمـوا عـن الحائـك، تقـول: إذا نسـبت الرجـل إلى الذئب: قد استذأب الرجل، ولو قلت: قد استذاب - بغير همز - لكنـت إنما نسبته إلى الهـزال، أي: اسـتذاب شـحمه، بغـير همـز، وإذا نسـبته إلى الحوت تقول: قد استحات الرجل، أي كثر أكله لأن الحوت يأكـل كـثيراً، لا يجوز فيه الهمز فلتلك العلة همز الذئب ولم يهمز الحـوت، وفيـه معنـى آخر: لا يسقط الهمز من مفرده ولا من جمعه، وأنشدهم [من الخفيف]:

أيهـــا الـــذئب وابنــــه وأبـــوه   أنت عندي مـن أذؤب ضـاريات

[١٨٣٤] قال سلمة: كان عند المهدي ولد يؤدب ولده الرشيد، فدعاه المهدي يوماً وهو يستاك، فقال له: كيف تأمر من السواك؟

فقـال: اسـتك يـا أمـير المـؤمنين، فقـال المهـدي: إنـا لله وإنـا إليـه راجعون[1]، ثم قال:

التمسوا لنا من هو أفهم من هذا.

فقالوا: رجل يقال له: علي بن حمزة الكسائي من أهـل الكوفـة، قـدم من البادية قريباً، فأمر بإحضاره من الكوفة، فساعة دخل عليه قال لـه: يـا علي بن حمزة، قال: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: كيف تـأمر مـن السـواك؟

---

(١) وإنما قال هذا لأن الاست حلقة الدبر.

قال: سُك يا أمير المؤمنين.

قال: أحسنت وأصبت، وأمر له بعشرة آلاف درهم.

[١٨٣٥] وقال الكسائي:

حججت مع الرشيد، فقدمت لبعض الصلوات، فصليت فقرأت ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾[١] فأملت «ضعافاً» فلما سلمت ضربوني بالأيدي والنعال وغير ذلك حتى غشي علي، واتصل الخبر بالرشيد فوجه بمن استنقذني، فلما جئته قال لي: ما شأنك؟

فقلت: قرأت لهم ببعض قراءات حمزة الرديئة ففعلوا بي ما بلغ أمير المؤمنين، فقال: بئس ما صنعت، ثم إن الكسائي ترك كثيراً من قراءات حمزة.

[١٨٣٦] وقال: أحضرني الرشيد سنة اثنتين وثمانين ومائة، وأخرج إلي محمد الأمين وعبد الله المأمون كأنهما بدران فقال: امتحنهما بشيء، فما سألتهما عن شيء إلا أحسنا الجواب عنه فقال لي: كيف تراهما؟

فقلت [من الطويل]:

أرى قمريْ أُفْقٍ وفرعي بشامة ... يَزِينهما عرق كريم ومَحْتِدُ[٢]

يسدان آفاق السماء بهِمَّة ... يؤيدهما حزم ورأي وسؤدد

سليلي أمير المؤمنين وحائزي ... مواريث ما أبقى النبي محمد

حياة وخِصْب للولي ورحمة ... وحرب لأعداء وسيف مهند

---

(١) سورة النساء: ٩.

(٢) المحتد: الأصل.

ثم قلت: فرع زكا أصله، وطاب مغرسه، وتمكنت فروعه، وعذبت مشاربه، وأورق غصنه، وأينع ثمره، وزكا فرعه، آواهما ملك أَغَرُّ نافذ الأمر، واسع العلم، عظيم الحلم، أعلاهما فعلوا، وسما بهما فسموًا، فهما يتطاولان بطوله، ويستضيئان بنوره، وينطقان بلسانه، فأمتع الله أمير المؤمنين بهما وبلغه الأمل فيهما، فقال الرشيد: تعهدهما، فكنت أختلف إليهما في الأسبوع طرفي نهارهما.

[١٨٣٧] ومن شعر الكسائي [من الرمل]:

إنما النحو قياس يُتَبَع ... وبه في كل أمر يُنتفَع
فإذا ما أبصر النحوَ الفتى ... مر في المنطق مرّاً فاتسع
فاتقاه كلُ من جالسه ... من جليس ناطق أو مستمع
وإذا لم يبصر النحوَ الفتى ... هاب أن ينطق حيناً فانقطع
فتراه يرفع النصب وما ... كان من خفضٍ ومن نصبٍ رفع
يقرأ القرآن لا يعرف ما ... صرَّف الإعرابُ فيه وصنع
والذي يعرفه يقرأه ... فإذا ما شك في حرف رجع
ناظراً فيه وفي إعرابه ... فإذا ما عرف اللحن صدع
كم وضيع رفع النحوُ وكم ... من شريف قد رأيناه وضع
فهما فيه سواء عندكم ... ليست السنة فينا كالبدع

[١٨٣٨] وحضر مجلس الكسائي أعرابي وهم يتحاورون في النحو، فأعجبه ذلك، ثم تناظروا في التصريف، فلم يهتد إلى ما يقولون، ففارقهم وقال [من البسيط]:

ما زال أخذهم في النحو يعجبني حتى تعاطوا كلام الزنج والروم
بمَفْعَلٍ فَعِلٍ لا طاب من كلم كأنه زجل الغربان والبوم

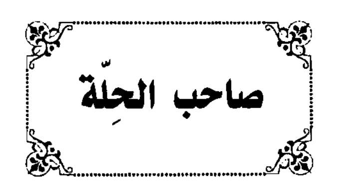
[١٨٣٩] وقال المنذري:

أسمعني أبو بكر عن بعض مشايخه أن الكسائي كان يقوم في المحراب يؤم فتشذ عليه القراءة حتى لا يقوم بقراءة «الحمد لله رب العالمين» ثم ينحرف فيقبل عليهم، فيملي القرآن حفظاً وتفسيره بمعانيه.

[١٨٤٠] وقال أبو محمد اليزيدي يرثيه ويرثي محمد بن الحسن:

تصرمت الدنيا فليس خلود وما قد ترى من بهجة ستبيد
سيفنيك ما أفنى القرون التي مضت فكن مستعداً فالفناء عتيد
أسيت على قاضي القضاة محمد فأذريت دمعي والفؤاد عميد
وقلت: إذا ما الخطب أشكل مَن لنا بإيضاحه يوماً وأنت فقيد
وأوجعني موت الكسائي بعده وكادت بي الأرض الفضاء تميد
وأذهلني عن كل عيش ولذة وأرق عيني والعيون هجود
هما عالمانا أوديا وتخرما وما لهما في العالمين نديد[1]

(١) الوافي بالوفيات: ٢١/ ٦٥- ٧٣.



صاحب الحِلّة

علي بن دُبَيْس الأسدي أمير العرب وصاحب الحلة.

كان شجاعاً جواداً ممدحاً كبير الشأن.

سُقي السم -فيما قيل- فمات سنة خمس وأربعين وخمس مائة، وتولى بعده ولده مهلهل.

[١٨٤١] وكان علي قد استوحش من السلطان، فبعث إليه يتهدده فقال لرسوله: قل له: مثلي ما يهدد؛ لأن قصارى أمري أن يخرجني من جدران الحلة ويبعدني عن أوساخها، فأسكن في فيافي بني أسد، وأقنع بخيام الشعر وتلال الرمل وثماد المياه وخشن العيش، وهو وأمثاله قد تعود إيقاد الشمع ودخان الند[١] وألوان الأطعمة ونعيم الحمامات.

وتوفي بعلة السكتة، وقيل: إنه سم، واتهم به طبيبه محمد بن صالح بأنه قصر في أمره، وقيل: توفي بعلة القولنج[٢].

---

(١) أي البخور.

(٢) الوافي بالوفيات: ٢١/ ١٠٢.



ابن الرومي الشاعر

علي بن العباس بن جريج، أبو الحسن ابن الرومي شاعر وقته، هو والبحتري في بغداد.

توفي في حدود التسعين ومائتين.

[١٨٤٢] كان شديد التطير، فكان يغلق أبوابه ولا يخرج إلى أحد خوفاً من التطير، فأراد بعض أصحابه أن يحضر إليه في يوم أنس، فسيروا إليه غلاماً نظيف الثوب طيب الرائحة حسن الوجه، فتوجه إليه، فلما طرق الباب عليه وخرج له أعجبه حاله، ثم سأله عن اسمه فقال له: إقبال، فقال: إقبال مقلوبة «لا بقاء» ودخل وأغلق الباب.

[١٨٤٣] وجُهز إليه يوماً غلام آخر وأزاحوا جميع ما يخشاه، فإذا خرج ومر معه كان على بابه دكان خياط وقد صلب درابتي الباب وهو يأكل تمراً فقال: هاتان الدرابتان مثل: لا، وتمر هذا معناه: لا تمر، فرجع وأغلق الباب ولم يتوجه إليهم.

[١٨٤٤] وكان سبب موته أن الوزير أبا الحسين القاسم بن عبيد الله ابن سليمان بن وهب يخاف هجوه وفلتات لسانه بالفحش، فدس عليه ابن فراش فأطعمه خُشْكَنانجة[1] مسمومة وهو في مجلسه، فلما أكلها أحس بالسم فقام فقال له الوزير: أين تذهب؟ فقال: إلى الموضع الذي بعثتني إليه، فقال له: سلم على والدي، فقال: ما طريقي على النار، وخرج من عنده وأتى منزله وأقام به أياماً ومات.

---

(١) هي نوع من الحلوى معمولة من البر والسمن والعسل واللوز.

وكان وسخ الثوب.

[١٨٤٥] قال أبو عثمان الناجم:

دخلت على ابن الرومي أعوده فوجدته يجود بنفسه، فلما قمت من عنده قال لي [من الوافر]:

أبا عثمان أنت حميد قومك وجودك للعشيرة دون لومك

تزود من أخيك فما أراه يراك ولا تراه بعد يومك

[١٨٤٦] وقيل: إن الطبيب كان يتردد إليه ويعالجه بالأدوية النافعة للسم، فزعم أنه غلط عليه في عقار، فقال إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي المعروف بنفطويه: رأيت ابن الرومي يجود بنفسه فقلت له: ما حالك؟ فأنشد [من الكامل]:

غلط الطبيب علي غلطة مُوْرِد عجزت موارده عن الإصدار

والناس يَلْحَوْنَ الطبيب وإنما غلط الطبيب إصابة المقدار[(١)]

وابن الرومي من الشعراء الفحول المطولين الغواصين على المعاني، كان إذا أخذ المعنى لا يزال يستقصي فيه حتى لا يدع فيه فضلة ولا بقية، فربما سمج بعض الأوقات، ومعانيه غريبة جيدة، وكان إذا أعجبه المعنى كرره في عدة مواضع في قواف مختلفة.

[١٨٤٧] ومنه [من الكامل]:

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات إذا دَجَوْنَ نجوم[(٢)]

---

(١) يَلْحون : أي يلومون.

(٢) دَجَون : أظلمن وهنا بمعنى أشكلن.

منهـــا معـــالم للهـــدى ومصـــابح ... تجلو الدجى والأخريـات رجـوم

[١٨٤٨] ومنه وهو غريب [من الوافر]:

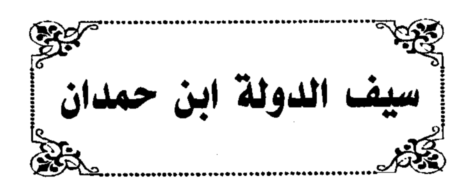
تلاقينـــــا لقـــــاء لافـــــتراق ... كلانـــا منـــه ذو قلـــب مَـــرُوع

فمـــا افـــترت شـــفاه عـــن ثغـــور ... بـل افـترت جفـون عـن دمـوع

[١٨٤٩] ومنه [من الطويل]:

وحبـب أوطـانَ الرجـال إلـيهم ... مـآرب قضّـاها الشباب هنالكـا

إذا ذكـــروا أوطـــانهم ذكّـــرتهم ... عهود الصبا منها فحنوا لذالكا(١)



سيف الدولة ابن حمدان

علي بن عبد الله بن حمدان، أبو الحسن بن أبي الهيجاء التغلبي، سيف الدولة صاحب حلب، ممدوح المتنبي وغيره.

[١٨٥٠] أصله من الجزيرة، ونشأ ببغداد ولقبه الإمام المتقي لله سيف الدولة، كان فارساً بطلاً فقيهاً شاعراً أديباً بليغاً، ملـك ديـار مصر وديـار بكر ودمشق وحلب، وكانت حلب دار ملكه ومقر عـزه، ولـه مـع الـروم أربعون وقعة له وعليه، ومع غيرهم ما لا يحصى.

قال سنان بن ثابت: أُحصي من وفـد عليـه مـن الأجنـاد وأصـحاب السلطان والكتاب والشعراء وعـرب البريـة وأصـناف النـاس، وذلـك في

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢١/ ١٧٠-١٨٤.

عشر الأضحى فكانوا اثني عشر ألفاً ومائتين، فأنفذ لكل واحد من الأضحية على قدره من مائة إلى شاة.

[١٨٥١] ولزمه في فداء الأسرى سنة خمس وخمسين وثلاث مائة ست مائة ألف دينار، وكان ذلك خاتمة عمله؛ لأنه مات بعد ذلك بقليل، واشترى كل أسير من الضعفاء بثلاثة وثمانين دينار وثلث دينار رومية، فأما الجلة من الأسرى ففادى بهم أسارى عنده من الروم من رؤسائهم، وكانت أخته قد توفيت وخلفت خمس مائة ألف دينار، فصرفها في هذا الوجه فقال الببغاء [من الكامل]:

ما المال إلا ما أفاد ثناء	ما العز إلا ما حمى الأعداء
وفديتَ من أسر العدو مَعاشِراً	لولاك ما عرفوا الزمانَ فداء
كانوا عبيد نداك ثم شريتهم	فغدوا عبيدك نعمة وشراء

وكان سيف الدولة بليغاً.

ومولده ببغداد سنة اثنتين وثلاث مائة، وتوفي سنة ست وخمسين وثلاث مائة بالفالج، وقيل: بعسر البول بحلب في شهر صفر، وحمل إلى ميافارقين ودفن عند أمه.

[١٨٥٢] وكان قد جمع من نفض الغبار الذي يجتمع عليه أيام الحروب ما جاء منه لبنة بقدر الكف، فأوصى أن يوضع خده عليها في قبره، ففعل به ذلك.

[١٨٥٣] ولما مات سيف الدولة تولى أمره القاضي أبو الهيثم ابن أبي حصين وغسله عبد الحميد بن سهل المالكي قاضي الكوفة سبع مرات، أولاً بالماء والسدر ثم بالصندل ثم بالذريرة ثم بالعنبر ثم بالكافور ثم بماء

الورد ثم بالمسك ثم بماء قراح، ونشف بثوب دبيقي ثمنه خمسون ديناراً، وكفن في سبعة أثواب تساوي ألفي دينار، فيها قميص قصب بعد أن صُبِّر بمائة مثقال غالية ومَنَوَيْنِ[1] كافور، وصلى عليه أبو عبد الله الأقساسي العلوي الكوفي وكبر عليه خمساً، وحمل في تابوت إلى مَيّافارِقين، وملك بعده ابنه سعد الدولة.

ويقال: إنه في أيامه لقي جندي جنديّاً من أصحاب سيف الدولة فقال له: كيف أنتم؟ فقال: كيف نحن وقد بلينا بشاعر كذاب وسلطان خفيف الركاب، يعني بذلك المتنبي في أمداحه لسيف الدولة.

وكان سيف الدولة قد استولى أولاً على واسط ونواحيها، وتنقلت به الأحوال، فانتزع حلب سنة ثلاث وثلاثين من أحمد بن سعيد الكلابي نائب الإخشيد.

وكان إماميّاً متظاهراً بالتشيع، كثر الأفضال على الطالبيين وأشياعهم ومنتحلي مذاهبهم.

وكان ناصر الدولة الحسن أخوه يحب سيف الدولة، وهو أكبر منه، قال: أنفقت من المال مائة ألف دينار حتى يلقب علي سيف الدولة، وكان سيف الدولة يعظم أخاه ناصر الدولة.

[١٨٥٤] وعاد سيف الدولة من بعض غزواته وجلس للتهنئة، والشعراء ينشدونه، فدخل رجل من أهل الشام طويل الرقبة كبير الذقن، فأنشده أبياتاً مرذولة إلى أن قال منها [من الطويل]:

---

(١) الغالية: عِطْر، والمنوان تثنية: مَنَا، وهو كيل أو ميزان يوزن به: انظر ((لسان العرب)): منى.

فكانوا كفارٍ وشوشوا خلف حائط وكنت كسِنّور عليهم تسلقا[1]

فأمر به سيف الدولة فوجئ في حلقه حتى أخرج فلما انقضى المجلس، سأل: هل بالباب أحد؟ فقيل: ذلك الشاعر جالس في الدهليز يبكي ويتألم، فأمر بإحضاره وقال له: ما حملك على ما قلته؟

فقال: أيها الأمير ما أنصفتني؛ لأني أتيتك بكل جهدي أطلب بعض ما عندك، فنالني منك ما نالني.

فقال: من يكون هذا نثره يكون ذلك نظمه؟ كم كنت أملت بهذه القصيدة؟

قال: خمس مائة درهم.

فقال: أضعفوها له.

[١٨٥٥] وقدم إليه أعرابي رث الهيئة وأنشده [من المنسرح]:

أنت علي وهذه حلب قد نفد الزاد وانتهى الطلب

بهذه تفخر البلاد وبالأمير تزهى على الورى العرب

وعبدك الدهرُ قد أضر بنا إليك من جور عبدك الهرب[2]

فأمر له بمائتي دينار من دنانير الصلات، كل دينار عشرة دنانير عليه اسمه وصورته.

[١٨٥٦] وطلب رسول سيف الدولة لما قدم الحضرة ببغداد من إبراهيم بن هلال الصابي شيئاً من شعره، فكتب معه إليه [من الكامل]:

---

(١) السنور: الهرة.

(٢) الدهر هو الله تعالى، فمثل هذا البيت لا يجوز.

إن كنت خنتك في المودة ساعة فذممت سيف الدولة المحمودا
وزعمت أن له شريكاً في العُلى وجحدته في فضله التوحيدا
قسماً لو اني حالف بغموسها لغريم دين ما أراد مزيدا

فبعث إليه ثلاثة آلاف دينار لكل بيت ألف دينار.

[١٨٥٧] وقال الببغا: ما حفظنا على سيف الدولة خَرْماً قط إلا في يوم واحد، فإنه كان في مجلس خلوة ونحن قيام بين يديه، فدخل أبو فراس - وكان بديعاً في الحسن - فقبل يده فقال: فمي أحق من يدي.

[١٨٥٨] والناس يسمون عصره وزمانه «الطراز المذهب» لأن الفضلاء الذين كانوا عنده والشعراء الذين مدحوه لم يأت بعدهم مثلهم: خطيبه ابن نُباتة، ومعلمه ابن خالويه، وطباخه كشاجم، والخالديان خزان كتبه، والمتنبي والسلامي والوأواء والببغاء وغيرهم شعراؤه.

وقد غلط الناس ونسبوا إليه أشعاراً ليست له.

[١٨٥٩] ومن شعره [من المديد]:

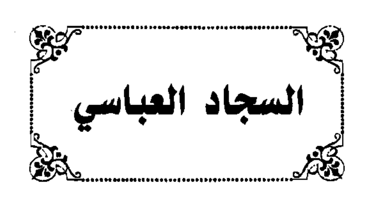
قد جرى في دمعه دمه فإلى كم أنت تظلمه؟
رد عنه الطرف منك فقد جرحته منه أسهمه
كيف يسطيع التجلد من خطرات الوهم تؤلمه؟

[١٨٦٠] ومنه [من المنسرح]:

كأنما النار والرماد معاً وضوءها في ظلامه يحجب
وجنة عذراء مسها خجل واستترت تحت عنبر أشهب[١]

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢١/ ١٩١- ١٩٧.



السجاد العباسي

علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي، أبو محمد السجاد، والد محمد وعيسى وداود وسيلمان وعبد الصمد وصالح وعبدالله.

ولد أيام قتل علي بن أبي طالب فسمي باسمه، وتوفي سنة ثمان عشرة ومائة، روى عن أبيه وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وابن عمر وجماعة، وروى له مسلم والأربعة، وكان وسيماً جسيماً طويلاً إلى الغاية، جميلاً مهيباً ذا لحية مليحة يخضب بالوسمة.

ذكر الأوزاعي أنه كان يسجد كل يوم ألف سجدة، وقال عبد الملك: لا أحتمل لك الاسم والكنية جميعاً، فغيره وكناه أبا محمد.

وكان كبير القدمين إلى الغاية.

سكن الحميمة من البلقاء، وهو جد الخلفاء بني العباس، وهو أصغر ولد أبيه وأجمل قرشي على وجه الأرض.

[١٨٦١] قال المبرد: ضرب بالسياط مرتين، ضربه الوليد بن عبد الملك في تزوجه لبابة ابنة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وكانت عند عبد الملك، فعض تفاحة ورمى بها إليها -وكان أبخر- فتناولت سكيناً فقال: ما تصنعين بها؟ فقالت: أميط الأذى عنها، فطلقها فتزوجها علي ابن عبد الله فضربه الوليد وقال: إنما تتزوج بأمهات الخلفاء لتضع منهم؛ لأن مروان بن الحكم إنما تزوج بأم خالد بن يزيد بن معاوية ليضع منها، فقال علي بن عبد الله: إنما أرادت الخروج من هذا البلد، وأنا ابن عمها

فتزوجتها لأكون لها محرماً.

وكان علي أقرع لا يفارق قلنسوته، فبعث الوليد بن عبد الملك جارية وهو جالس مع لبابة، فكشفت رأسه على غفلة لترى ما به، فقالت لبابة للجارية: هاشمي أقرع أحب إلينا من أموي أبخر.

[١٨٦٢] وضربه المرة الثانية ودار به على بعير وصائح يصيح به: هذا علي بن عبد الله الكذاب؛ لأنه بلغه عنه أنه قال: «إن هذا الأمر سيكون في ولدي» قال علي لمن سأله ذلك: أحق هو؟ قال: والله ليكونن فيهم حتى تملكهم عبيدهم، الصغار العيون العراض الوجوه، الذين كأن وجوههم المجان المطرقة[١].

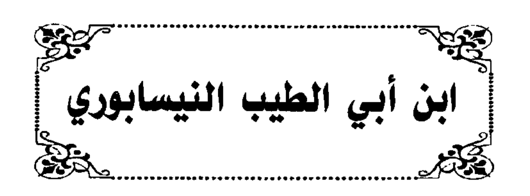
[١٨٦٣] وجاءتهم مرة غارة وقت الصباح فصاح بأعلى صوته: واصباحاه، فلم تسمعه حامل في الحي إلا وضعت.

[١٨٦٤] وكان يقف على جبل سلع وهو بالمدينة فينادي غلمانه وهم بالغابة فيسمعهم وذلك في آخر الليل، وبين الغابة وسلع ثمانية أميال[٢].

---

(١) يعني الأتراك الذين صار إليهم الأمر والنهي، وصار بنو العباس ألعوبة في أيديهم، والمجان جمع مِجن وهو الترس.

(٢) الوافي بالوفيات: ٢١/ ١٩٩- ٢٠١.



ابن أبي الطيب النيسابوري

علي بن عبد الله بن أحمد النيسابوري المعروف بابن أبي الطيب.

كانت له معرفة تامة بالقرآن وتفسيره.

توفي سنة ثمان وخمسين وأربع مائة، ومولده بنيسابور، وموطنه سانزوار، وبها توفي.

عمل له أبو القاسم علي بن محمد بن الحسين بن عمرو مدرسة باسمه في محلة إسفرايين، سنة عشر وأربعمائة، وكان تلميذه.

[١٨٦٥] وله كتاب التفسير الكبير ثلاثون مجلداً، والتفسير الأوسط أحد عشر مجلداً، والأصغر ثلاث مجلدات، وكان يملي ذلك من حفظه.

ولما مات لم يوجد في خزانة كتبه إلا أربع مجلدات، أحدها فقهي والآخر أدبي ومجلدان في التاريخ.

[١٨٦٦] وحُمل إلى السلطان محمود بن سُبُكتكين سنة أربع عشرة وأربعمائة، فلما دخل عليه جلس بغير إذن وشرع في رواية خبر عن النبي ﷺ بغير أمر، فقال السلطان لغلام: يا غلام، دِهْ رأسه، فلكمه على رأسه لكمة كانت سبباً لطرشه، ثم إن السلطان عرف منزلته من الدين والعلم والورع فاعتذر إليه وأمر له بمال فلم يقبله وقال:

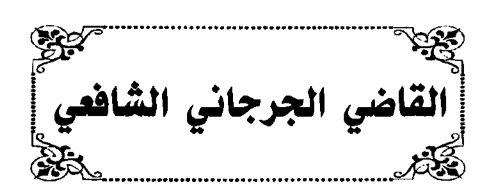
لا حاجة لي به، فإن استطعت أن ترد علي ما أخذت مني قبلته، وهو سمعي.

فقال السلطان: إن للملك صولة، وهو مفتقر إلى السياسة ورأيتك قد

تعديت الواجب، فجرى مني ما جرى، وأحب أن تجعلني في حل.

فقال: الله بيني وبينك بالمرصاد، إنما أحضرتني لسماع الوعظ وأخبار الرسول ﷺ والخشوع، لا لإقامة قوانين الملك واستعمال السياسة، فإن ذلك مما يتعلق بالملوك لا بالعلماء، فخجل السلطان وجذب إليه برأسه وعانقه.

وله ديوان شعر[1].



علي بن عبد العزيز بن الحسن القاضي أبو الحسن الجرجاني.

ولي القضاء بها، ثم انتقل إلى الري.

قاضي القضاة، وكان من مفاخر جرجان وصنف تاريخاً وله في الأدب اليد الطولى، وشعره وبلاغته إليهما المنتهى، وله «الوساطة» بين المتنبي وأبي تمام، وله تفسير القرآن، وكان حسن الخط حسن السيرة في القضاء، شافعي المذهب.

توفي سنة اثنتين وتسعين وثلاث مائة.

[١٨٦٧] ومن شعره [من الطويل]:

يقولون لي: فيك انقباض وإنما   رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما

أرى الناس من داناهمُ هان عندهم   ومن أكرمته عزة النفس أكرما

---

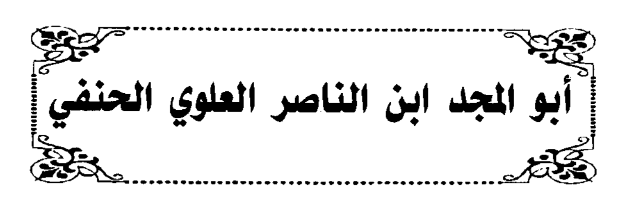
(١) الوافي بالوفيات: ٢١/ ٢٠٧، ٢٠٨.

وما زلـت منحـازاً بعرضـي جانبـاً | مـن الـذم أَعْتَـدّ الصـيانة مغنمـا
إذا قيل: هذا مشرب قلـت: قـد أرى | ولكن نفـس الحـر تحتمـل الظمـا
ومـا كـل بـرق لاح لـي يستفزني | ولا كل أهل الأرض أرضاه مُنعما
ولم أقض حق العلم إن كـان كلمـا | بـدا طمـع صـيرته لـي سـلما
ولم أبتذل في خدمة العلـم مهجـتي | لأَخدم من لاقيت لكـن لأُخْـدما
أأشـقى بـه غرسـاً وأجنيـه ذلـة | إذاً فاتباع الجهل قد كـان أحزمـا
ولو أن أهل العلم صـانوه صـانهم | ولو عظمـوه في النفـوس تعظمـا
ولكـــن أهـــانوه فهـــان ودنســـوا | مُحيَّـاه بالأطمـاع حتـى تَجَهّمـا

[١٨٦٨] ومنه [من الطويل]:

وقالوا: اضطرب في الأرض فالرزق واسع
فقلـت: ولكـن مطلـب الـرزق ضـيق
إذا لم يكـــن في الأرض حـــر يعيـــنني
ولم يك لي كسب فمـن أيـن أُرزق[١]

(١) الوافي بالوفيات: ٢١/ ٢٣٩- ٢٤١.



أبو المجد ابن الناصر العلوي الحنفي

علي بن علي بن يحيى أبو المجد.

كان من أعيان فقهاء الحنفية، درس بجامع السلطان بعد وفاة الأمير السيد، وكان متديناً حسن الاعتقاد، سمع من محمد بن عبد الباقي الأنصاري، وحدث باليسير.

[١٨٦٩] حبس أبو المجد في الديوان لسبب، فرأى الإمام الناصر في المنام امرأة تقول له: أطلق ولدي من الحبس.

فقال لها: من أنت ومن ولدك؟

قالت: أنا فاطمة بنت رسول الله ﷺ وولدي ابن ناصر، فأمر بإطلاقه في الحال وخلع عليه وذكر له المنام فبكى وقال: والله ما فرحت بإطلاقي وتشريفي كفرحي بصحة نسبي وإقرار السيدة أنني من ولدها.

ولد سنة خمس عشرة وخمس مائة، توفي سنة أربع وتسعين وخمس مائة.

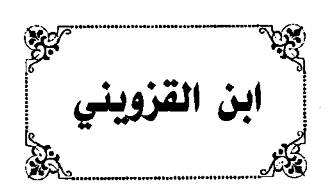
[١٨٧٠] ومن شعره [من الكامل]:

كل الأمور شواغل وقواطع ... فتخل عنها أيها الرجل

وكِلِ الأمور إلى مدبرها ... وخف الفوات فقد دنا الأجل[1]

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢١/ ٣٣٨، ٣٣٩.



ابن القزويني

علي بن عمر بن محمد الحربي الزاهد المعروف بابن القزويني.

ولد سنة ستين وثلاث مائة، وتوفي -رحمه الله- سنة اثنتين وأربعين وأربع مائة.

تفقه وقرأ النحو وسمع الكثير وكان أحد الزهاد المذكورين.

[١٨٧١] كان القائم يأتي إليه يزوره ليالي الجمع وتجتمع عنده قصص الناس فيوقع على الجميع عنده.

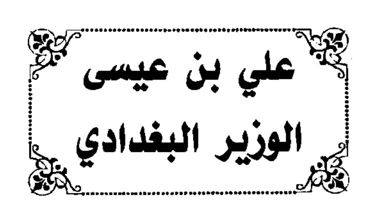
[١٨٧٢] قام ليلة يستقي ماءً لوضوئه، فطلع الدلو ملآن دنانير، فرده إلى البئر، وقال: ما طلبت إلا ماء، ما طلبت دنانير.

[١٨٧٣] قال أبو الوفاء ابن عقيل:

شهدت جنازته وكان يوماً لم يُرَ في الإسلام مثله بعد جنازة أحمد بن حنبل، غلقت له المكاتب والحمامات، وبلغت المقبرة بباب الطاق مع كون الجسر ممدوداً أربعة دنانير، ولم يمكن أن يصل عليه إمام معين، وكان كل قبيل فيه ألوف من الناس يصلي بهم رجل يصلح للتقدم عليهم، وكانت الضجة تمنع التبليغ بالتكبير(١).

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢١/ ٣٥٢، ٣٥٣.



علي بن عيسى
الوزير البغدادي

علي بن عيسى بن داود بن الجراح أبو الحسن البغدادي الكاتب، وزير المقتدر والقاهر.

كان على الحقيقة غنيّاً شاكراً، صدوقاً خيراً صالحاً، عالماً من خيار الوزراء، وهو كثير البر والمعروف والصلاة والصيام ويجالس العلماء، توفي سنة أربع وثلاثين وثلاث مائة.

وزر للمقتدر مرتين.

له كتاب «جامع الدعاء»، كتاب «معاني القرآن وتفسيره»، أعانه عليه أبو الحسين الواسطي وأبو بكر بن مجاهد.

[١٨٧٤] وكان يستغل ضياعه في السنة سبع مائة ألف دينار، ويخرج منها في وجوه البر ست مائة ألف دينار وستين ألف دينار، وينفق أربعين ألف دينار على خاصته، وكانت غلته عند عطلته ولزوم بيته نيفاً وثمانين ألف دينار، ينفق على نفسه وخاصته ثلاثين ألف دينار ويصرف الباقي في وجوه البر.

[١٨٧٥] قال الصولي: لا أعرف أنه وزر لبني العباس وزير يشبهه في زهده وعفته وحفظه القرآن وعلمه بمعانيه، وكان يصوم نهاره ويقوم ليله، ولا أعلم أنني خاطبت أحداً أعلم منه بالشعر، وكان يوقع بيده في جميع ما يحتاج إليه، ولما عزل في وزارته الثانية وولي ابن الفرات، لم يقنع المحسن بن أبي الحسن بن الفرات إلا بإخراجه عن بغداد، فتوجه إلى مكة وأقام بها

مهاجراً، وقال في نكبته [من الطويل]:

ومن يك عني سائلاً لشماتة لما نالني أو شامتاً غير سائل

فقد أبرزت مني الخطوب ابن حرة صبوراً على أهوال تلك الزلازل

إذا سُرَّ لم يبطر وليس لنكبة إذا نزلت بالخاشع المتضائل

[١٨٧٦] ولما حبس كان يلبس ثوبه ويتوضأ للصلاة، ويقوم ليخرج لصلاة الجمعة فيرده المتوكلون، فيرفع يده إلى السماء ويقول: اللهم اشهد لي أنني أريد طاعتك ويمنعني هؤلاء.

[١٨٧٧] وأشار على المقتدر أن يقف العقار ببغداد على الحرمين والثغور، وغلتها ثلاثة عشر ألف دينار في كل شهر، والضياع الموروثة بالسواد، وغلتها نيف وثمانون ألف دينار، ففعل ذلك وأشهد على نفسه الشهود، وأفرد لهذه الوقوف ديواناً وسماه ديوان البر.

[١٨٧٨] وخدم السلطان سبعين سنة[١] لم يُزِل فيها نعمة عن أحد، وأحصى له أيام وزارته نيف وثلاثون ألف توقيع من الكلام السديد، ولم يقتل أحداً ولا سعى في دمه، وكان على خاتمه [من الحديث]:

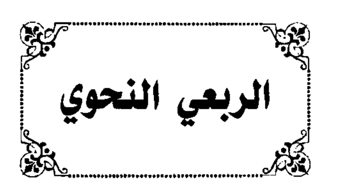
لله صنع خفي في كل أمر يخاف

[١٨٧٩] وعزى ولدي القاضي أبي الحسن عمر بن أبي عمر محمد بن يوسف، فلما أراد الانصراف قال: «مصيبة قد وجب أجرها، خير من نعمة لا يؤدى شكرها».

وكان يجري على خمسة وأربعين ألف إنسان جرايات تكفيهم[٢].

(١) كذا ورد في الأصل.

(٢) الوافي بالوفيات: ٢١/ ٣٦٨- ٣٧٠.



الربعي النحوي

علي بن عيسى بن الفرج بن صالح الربعي الزهيري أبو الحسن، أحد أئمة النحو.

كان دقيق النظر جيد الفهم والقياس.

توفي في المحرم سنة عشرين وأربع مائة.

[١٨٨٠] أخذ عن أبي سعيد السيرافي، وهاجر إلى شيراز ولازم الفارسي أبا علي عشرين سنة، فقال له أبو علي: ما بقيت تحتاج إلى شيء، ولو سرت من المشرق إلى المغرب لم تجد أنحى منك، فرجع إلى بغداد وأقام بها إلى أن مات عن نيف وتسعين سنة.

[١٨٨١] كان يُرمى بالجنون: مر يوماً بسكران وجعل يضرط ويشمه ويقول [من الوافر]:

تمتع من شميم عَرار نجد ... فما بعد العشية من عرار[١]

[١٨٨٢] وكان قد شرح كتاب سيبويه فجاء إليه يوماً أحد بني رضوان التاجر فنازعه في مسألة، فقام مغضباً وأخذ الشرح فجعله في إجانة[٢] وصب عليه الماء وغسله، وجعل يلطم به الحيطان ويقول: لا أجعل أولاد البقالين نحاة.

[١٨٨٣] وكان مبتلى بالكلاب، سأل يوماً أولاد الأكابر الذين

---

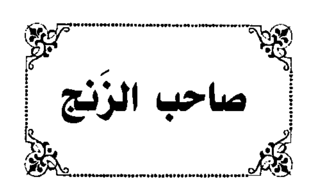
(١) العَرار: نبت ينبت ببادية نجد.

(٢) وعاء.

يحضرون عنده أن يمضوا معه إلى كلواذا، فظنوا ذلك لحاجة عرضت له هناك، فركبوا خيولاً وخرجوا وجعل هو يمشي بين أيديهم فسألوه الركوب فأبى عليهم، فلما صار بخرابها أوقفهم على ثلم وأخذ كساء وعصا، وما زال يعدو إلى كلب هناك، والكلب يثب عليه تارة ويهرب منه أخرى حتى أعياه، فعاونوه حتى أمسكوه، وعض على الكلب بأسنانه عضاً شديداً، والكلب يستغيث ويزعق، فما تركه حتى اشتفى وقال: هذا عضني منذ أيام وأريد أخالف قول الأول [من السريع]:

شاتمني كلب بني مسمع فصنت عنه النفس والعرضا
ولم أجبه لاحتقاري به ومن يعض الكلب إن عضا؟

وصنف كتاب «شرح الإيضاح للفارسي»، كتاب «شرح مختصر الجرمي»، كتاب «البديع في النحو»، كتاب «شرح البُلْغَة»، كتاب «ما جاء في المبني على فعال»، كتاب «التنبيه على خطأ ابن جني في فسر شعر المتنبي»[1].



صاحب الزَنج

علي بن محمد بن أحمد صاحب الزنج الخبيث، أبو الحسن.

كان يدعي أنه علي بن محمد بن أحمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وقيل: إنه علي بن محمد بن عبد الرحيم بن رجيب، رجل من العجم، من أهل ورزنين من قرى الري.

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢١/ ٣٧٤، ٣٧٥.

[١٨٨٤] ذكرت قرة بنت عبد الواحد بن محمد الشامي -وهي أمه- أن أباها كان يحج ويمر بالمدينة في كل سنة وينزل على شيخ من آل أبي طالب فيبره ويكرمه، وكان يحمل إليه الهدايا في كل عام من الري، فحج بها سنة فإذا ابنه محمد وهو أبو علي في عشرة أعوام، فلما حج أبوها قابلاً وجد الشيخ توفي وبقي ابنه محمد، فبره بما معه وعرض عليه المجيء معه فأبى وقال: تمنعني والدتي وأختي، فحج أبوها قابلاً فوجدهما قد توفيا، فأخذ محمداً معه وحضر به إلى قرية ورزنين، وعرض عليه الزواج بي فأبى وقال: إني كنت رأيت في المنام أني بلت بولة أحرقت نصف الدنيا فنهاني أبي عن الزواج، ثم إنه تزوج بي فولدت له ابنتين ماتتا صغيرتين، ثم مات أبي، ثم ولدت له ابنه علي بن محمد.

ثم إن محمداً أتلف مالي ومزقه، وفارقته لأجل جارية اشتراها، فخرج بابنه من عندي ولم أعرف لهما خبراً عدة سنين، ثم رجع الولد إليَّ وأخبر بموت والده، وأقام عندي بالري مدة لا يدع أحداً عنده أدب ولا رواية إلا أخذها، وتوجه إلى خراسان وغاب سنتين أو ثلاث وعاد، فأقام مديدة ثم غاب الغيبة التي خرج فيها وورد كتابه من البصرة بما صار إليه ومعه مال، فلم أقبله لما صح عندي من أمره.

وقال صاحب الزنج:

اعتللت علة غليظة وأنا صغير، فجاء أبي يعودني فوجد أمي قاعدة عند رأسي فقالت له: إنه يموت فقال: إذا مات هذا من يخرب البصرة؟ قال: فما زال في قلبي ذلك إلى أن خرجت بها.

وكان بسرٍّ من رأى وتصرف في أشغال الديوان، وقال الشعر، ثم حدث في نفسه الكفر والخبث ودعوى الإمامة وعلم الغيب والخروج

على الأئمة، وضرب الناس بعضهم ببعض، فقدم البصرة سنة تسع وأربعين ومائتين، وأقام بهجر[1] ودعا إلى طاعته، فمال إليه عبيد هَجَر وخلق من البحرين، وباينه قوم، وسفكت بينهم الدماء.

فانتقل إلى الأحساء فأطاعه أهلها حتى كانوا لا يدعون شيئاً من فضلاته يسقط إلى الأرض، ويأخذونه تبركاً به، وكثر أتباعه وجُبي له الخراج، ونفذ حكمه، ودافع الولاة، وجرت بينهم وقائع، فخاف أهل البحرين وخرج إلى البادية بأهله ومن تبعه، وجال في البادية واستغوى من لقيه من الأعراب وأوهمهم أنه يعلم منطق الطير، فأغار بمن تابعه على فَرَضَة[2] من فُرَض البحرين فنهبها وأخذ أموالها وخربها.

ثم قوتل فنبت به البادية، فهرب إلى البصرة فيمن تبعه سنة أربع وخمسين ومائتين، فدعا - هو وأصحابه - الناس إليه، فثار الجند عليهم، فهرب وقبض على بعض شيعته وعلى ابنه الأكبر وأمه وابنته فحبسوا.

فصار إلى مدينة السلام وأقام بها حولاً يستغوي الناس من الحاكة والأراذل، ومات والي البصرة وفتحت الحبوس، فخلص أهله فرجع إلى البصرة، واستولى على غلمان الناس من الزنوج يبذل لهم الأموال ويطمعهم في النهب حتى أتاه منهم خلق كثير، و عمد إلى حريرة فكتب فيها بالأحمر والأخضر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[3] إلى آخر الآية، وكتب اسمه واسم أبيه وعلقها في رأس بردي، وخرج في السحر ليلة السبت لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة

---

(١) أي الأحسام اليوم.

(٢) أي ميناء.

(٣) سورة التوبة: ١١١.

خمس وخمسين ومائتين، فاجتمع عليه ألفا عبدٍ من الزَنج فقام خطيباً ووعدهم أن يقودهم ويملكهم الأموال، ولما كان يوم العيد نصب اللواء وصلى بهم وخطب خطبة ذكرهم ما كانوا فيه من سوء الحال وأن الله أنقذهم به، ثم إنه قود قواداً ورتب أصحابه.

ولم يزل ينهب ويقتل، وكل من قاتله يستظهر عليه حتى تفحل أمره وغنم خيلاً وسلاحاً، وكان كل من يأتيه ويكسره يتحيز إليه، ولم يزل يستولي على نواحي البصرة إلى أن وافى البصرة رابع عشر ذي القعدة سنة خمس وخمسين، وجمع له أهل البصرة، ووقع القتال بينهم فهزمهم وقتل خلقاً كثيراً، فوقع له الرعب في القلوب.

ولم يزل في العيث والفساد إلى أن استولى الزَنج على الأُبُلَّة وأضرموا فيها النار فاحترقت بأجمعها وقتل خلقاً كثيراً، وغرق خلق كثير، وحوى الأسلاب، وضعف أهل عبادان فدخلوا في سلمه، وأخذ ما كان فيها من سلاح وغيره، و انجفل الناس إلى الأهواز، هذا وسراياه في القرى تعيث وتفسد، فترك أهل البصرة المقام بها وهربوا إلى سائر النواحي.

ثم إنه دخل إلى البصرة سنة سبع وخمسين ومائتين وقت صلاة الجمعة، فقتل وأحرق إلى يوم السبت، ثم عاد يوم الاثنين فتفرق الجند، ونادى أهل البصرة بالأمان فأمنهم، ولما ظهر الناس قتلهم فلم يسلم إلا الشاذ، وأحرق الجامع ومن كان فيه، فعم الحريق الناس والدواب والمتاع وغير ذلك، واستخرج الأموال من أربابها وقتل الفقراء.

فأقبل الموفق في جيش عظيم وحاربه مرات، ينال كل واحد من الآخر، وتحصن الخبيث في أماكن وقصور في مدينة بناها بنهر أبي الخصيب، وكانت سرايا الخبيث تصل إلى واسط، ودخلوها سنة أربع

وستين ومائتين، وقتلوا من بها وأحرقوها واستولوا على نواحيها، والموفق مشغول بمحاربة الصفار.

ولم تزل عساكر الزَنج تعيث وتفسد وتغير في أعمال الأهواز وعسكر مكرم وتستر وما صاقب هذه النواحي، يقتلون الرجال ويسبون النساء والأولاد وينهبون الأموال، فحصل الخبيث على أموال وجواهر استأثرها وأعطاها نساءه وأولاده، فأنكر ذلك عليه جماعة منهم فقال:

نسائي ليس كنسائكم، إنهن امتحن بصحبتي وحرمن من بعدي على الرجال، ولي بذلك أسوة برسول الله ﷺ وبأئمة الهدى من بعده، فقيل له: أن أبا بكر وعمر تزوج الناس بنسائهما فقال: ليس فيهما قدوة، وأما علي فقد أثم من تزوج نساءه بعده، وادعى أن قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾[1] قد أنزلت فيه، وأنا ﴿عَبْدُ ٱللَّهِ﴾[2] الذي قام يدعوه وكانوا عليه لبداً، وزاد على أنه الرجل الذي: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾[3] وقال أنزل في سورة من القرآن مجردة ليس فيها ذكر غيري وهي: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾[4] وادعى أنه تكلم في المهد صبيّاً، وأنه صيح به: يا عليّ، فقال: لبيك.

فلما كثرت حاشيته كف أيدي الزنج عن النخل والمزارع، وجبى الخراج منهم وصرفه إلى أصحابه فتغلثت قلوب الزنج، فساءت أحوالهم

(١) سورة الجن: ١.

(٢) سورة الجن: ١٩.

(٣) سورة القصص: ٢٠.

(٤) سورة البينة: ١.

وهموا بالوثوب عليه.

ثم إن الموفق بالله ندب ولده أبا العباس أحمد المعتضد لحرب هذا الخبيث، فتجرد له سنة ست وستين ومائتين في عشرة آلاف فارس، فهزم عساكر الزنج وأسر خلقاً وقتل خلقاً، ووافاه والده الموفق في شهر صفر سنة سبع وستين في عسكر جرار، ووصلوا إلى مدينة الشعراني أحد مقدمي صاحب الزنج، وأحاطوا بمدينته وفتحوها قهراً وقتلوا جماعة، ثم قصدوا المدينة التي بناها سليمان بن جامع وهي المنصورة، فاستولوا عليها ونهبوها - وكان سليمان المذكور من أكبر المقدمين - وهدموها وطموا خنادقها، وكانت حصينة.

ثم إن الموفق كتب إلى الخبيث يؤمنه ويطلب منه الرجوع والتوبة والإنابة، فقرأه ولم يجب عنه بشيء، فتوجه الموفق بعساكره إلى المختارة- مدينة الخبيث- فرأى حصانتها بالأسوار والخنادق، وبما فيها من المناجيق وغيرها من آلات الحصار، فهاله ذلك وأكبره، وكان الموفق في خمسين ألف رجل والخبيث في زهاء ثلاث مائة ألف، فنادى الموفق بالأمان للناس أسودهم وأبيضهم إلا الخبيث، وكتب بذلك رقاعاً ورماها في السهام إلى داخل المدينة، وأمر ببناء مدينة سماها الموفقية بإزاء مدينة المختارة، وأقام بها الأسواق وكثر التجار وبنى الجامع وصلى الناس فيه، و اتخذ بها دور ضرب، ورغب الناس في سكناها فاستأمن من أصحاب الخبيث خمسة آلاف رجل من بين أسود وأبيض.

وبث الموفق السرايا فما كان يخلو يوم من أن يؤتى برؤوس القتلى من أصحاب الخبيث، وكان يرمي بالرؤوس إلى مدينة الخبيث في المنجنيقات، فاستولت الرهبة على أصحاب الخبيث ومنعوا من الميرة، ولم تزل الحروب

بينهم إلى أن استولى الموفق على أسوار المختارة، فأحرق ما هناك من آلات الحصار، واستأمن كثير من خواص الخبيث، وهرب منهم جماعة وقحطوا وأكلوا السرطانات والضفادع والحشرات ولحوم القتلى والكلاب والسنانير، وذبحوا الأطفال وطبخوهم وأكلوهم لعدم وصول الميرة إليهم، وملكوا دور الخبيث فهرب بأولاده إلى مضايق أشِبَة في نهر الخصيب لا تصل السفن إليها ولا الخيل، وسد المنافذ، فجمع الموفق العساكر وزحف إليه، فبرز إليه الخبيث بنفسه فيمن بقي معه وهو يقول [من الطويل]:

سأغسل عني العار بالسيف جالباً ... عليّ قضاء الله ما كان جالبا

وأَذْهَل عن داري وأجعل نهبها ... لعرضي من باقي المذلة حالبا

فإن تهدموا بالغدر داري فإنها ... تراث كريم لا يبالي العواقبا

إذا همَّ ألقى بين عينيه عزمه ... ونكب عن ذكر العواقب جانبا

ولم يستشر في رأيه غير نفسه ... ولم يرض إلا قائم السيف صاحبا

فالتحم القتال وكثرت الجراح، وصدق المسلمون القتال، وثبت أصحاب الخبيث ثم هزموا وقتل منهم جماعة وأسر جماعة من أكابر خواصه، فضرب الموفق أعناقهم، ودخل أصحاب الموفق دار الخبيث وأخذوا حرمه وأولاده الذكور والإناث وكانوا أكثر من مائة، وهرب الخبيث، فجهزت العساكر خلفه فلم يزالوا في طلبه إلى أن قتلوه، وجيء برأسه إلى الموفق، فلما رآه وعرفه سجد لله -تعالى- شكراً، وعلق رأسه على رمح وطيف به في العسكر، وهرب من جماعة الخبيث نحو ألفي زنجي، فماتوا في البرية عطشاً واستأصل الله شأفتهم.

وكانت قتلة الخبيث يوم السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين ومائتين، وكان دخوله إلى البصرة وغلبته عليها في شوال سنة ست

وخمسين، فبقي محارباً أربع عشرة سنة وأربعة أشهر يسفك فيها الدماء، ويستحل المحارم.

[١٨٨٥] ومن شعره [من الكامل]:

وعزيمتي مثل الحسام وهمتي ... نفس أصول بها كنفس القَسْوَر(١)

وإذا تُنازعني أقول لها اسكتي ... قتلي مريحك أو صعود المنبر

ما قد قضي سيكون فاصطبري له ... ولك الأمان من الذي لم يقدر

ولما هرب من الدار التي كان فيها قال: [من الطويل]:

عليك سلام الله يا خير منزل ... خرجنا وخلفناه غير ذميم

فإن تكن الأيام أحدثن فرقة ... فمن ذا الذي من ريبها بسليم

ومنه يخاطب بني العباس [من الطويل]:

بني عمنا إنا وأنتم أنامل ... تضمنها من راحتيها عقودها

بني عمنا لا توقدوا نار فتنة ... بطيء على مر الزمان خمودها

بني عمنا وليتم الترك أمرنا ... ونحن قديماً أصلها وعديدها

فما بال عُجْمِ الترك تقسم فيئنا ... ونحن لديها في البلاد شهودها

فأقسم لا ذقت القَراح وإن أذق ... فبلغة نفس أو ساد عميدها

ومنه [من السريع]:

متى أرى الدنيا بلا مجبر ... ولا حروري ولا ناصب

متى أرى السيف دليلاً على ... حب علي بن أبي طالب

---

(١) الأسد.

ومنه [من الخفيف]:

لهف نفسي على قصور ببغدا د وما قد حوته من كل عاص

وخمور هنالك تشرب جهراً ورجال على المعاصي حِراص

لست بابن الفواطم الغر إن لم أجل الخيل حول تلك العِراص[1]

ومنه [من الكامل]:

إن الخلافة لم تزل محجوبة خمسين عاماً تبتغي أربابها

تدعو إلينا كل عام مرة حتى إذا بلغ الكتاب أجابها

وكان هذا-صاحب الزنج- قد تسمَّى بالظاهر، وفي ذلك يقول [من الكامل]:

إن الذي جعل النجوم زواهراً جعل الخلافة في الإمام الظاهر

قاد العساكر من بلنجر مسحراً بأتمِّ إقبالٍ وأيمن طائر

حتى أناخ عن الأُبُلَّة بعدما ترك البُصَيْرةَ كالهشيم الدائر

ومنه [من الطويل]:

وفي كل أرض أو بكل محلة أخو غربة منا يكابد مطعما

كأنا خلقنا للنوى وكأنما حرام على الأيام أن نتجمعا

ومنه [من الخفيف]:

أورقت في أوانها الأشجار وتهادت في وكرها الأطيار

ومقام الفتى على النقص لؤم وأخو الذل مُعَجّل مِسْيار

---

(١) الأماكن.

جَـرِّدِ المشـرفي وارحـل كريمـاً ... فـالتواني مذلـة وصـغار[1]

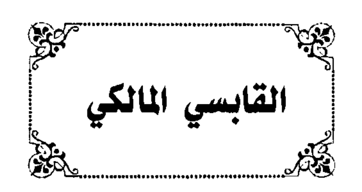
لا ينال الضـعيف بالضـعف غنمـاً ... إنمـا يغـنم الفتـى السـيار

وهـي نفـس إمـا تـؤوب بهُلـكٍ ... أو بملـك ولـيس في الهُلْـك عـار

ومنه [من السريع]:

أحلـف بالقتـل وبالـذبح ... مجانبـاً للعفـو والصـفح

لا عاينـت عـينيّ أطلالكـم ... إلا أمـيراً أو علـى رمـح[2]



القابسي المالكي

علي بن محمد بن خلف، الإمام أبو الحسن المعافري القروي القابسي المالكي عالم إفريقية.

سمع وحدث، وكان حافظاً للحديث وعلله ورجاله، فقيهاً أصوليّاً، متكلماً، مصنفاً، صالحاً ،متقناً، وكان أعمى لا يرى شيئاً، وألف تواليف بديعة.

وسمي القابسي؛ لأن عمه كان يشد عمامته شدة قابسية.

توفي سنة ثلاث وأربع مائة، ورثاه الشعراء. وولد سنة أربع و عشرين وثلاث مائة.

---

(١) المشرفي: السيف.

(٢) الوافي بالوفيات: ٢١/ ٤٠٥- ٤١٣.

رحل إلى المشرق وسمع صحيح البخاري بمكة من أبي زيد، ورجع إلى القيروان.

قال أبو بكر الصقلي: قال لي أبو الحسن القابسي:

كُذِب عليَّ وعليك؛ سموني بالقابسي وما أنا بقابسي وإنما السبب في ذلك أن عمي كان يشد عمامته شدة قابسية فقيل لعمي: قابسي واشتهرنا بذلك وإلا فأنا قروي، وأنت، فدخل أبوك مسافراً إلى صقلية نسب إليها.

[١٨٨٦] وأول جلوسه للمناظرة بأثر موت أبي محمد قال [من الوافر]:

لعمر أبيك ما نُسِب المعلى ... لمكرمة وفي الدنيا كريم
ولكن الرياض إذا اقشعرت ... وصوّح نبتها رُعي الهشيم(١)

ثم بكى حتى أبكى الناس، وقال: أنا الهشيم، ثلاثاً، والله لو أن في الدنيا خضراء ما رعيت أنا.

وشيخه المذكور هو: أبو محمد عبد الله بن أبي هاشم التجيبي.

[١٨٨٧] وسمع شخصاً يقول في مجلسه: ما قصر المتنبي في قوله [من المتقارب]:

يراد من القلب نسيانكم ... وتأبى الطباع على الناقل

فقال: يا مسكين، أين أنت عن قوله تعالى ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾(٢)(٣).

---

(١) الرياض: البساتين، اقشعرت: أجدبت، وصوح نبتها: أي جف.

(٢) سورة الروم: ٣٠.

(٣) الوافي بالوفيات: ٢١/ ٤٥٧، ٤٥٨.

الصاحب بهاء الدين بن حنا

علي بن محمد بن سليم، الصاحب الوزير الكبير، بهاء الدين بن حنا المصري.

أحد رجال الدهر حزماً وعزماً ورأياً ودهاء وخبرة وتصرفاً، استوزره الظاهر، وفوض إليه الأمور، ولم يكن على يده يد، وقام بأعباء المملكة، وأخمل خلقاً ممن ناوأه.

وكان واسع الصدر، عفيفاً نزهاً، لا يقبل لأحد شيئاً إلا أن يكون من الصلحاء والفقراء، وكان قائلاً بهم، يحسن إليهم، ويحترمهم ويدر عليهم الصلات.

وقد قصده غير واحد بالأذى، فلم يجدوا ما يتعلقون به عليه.

ووزر بعد الظاهر لابنه السعيد، وزادت رتبته، وله مدرسة وبر وأوقاف.

[١٨٨٨] ابتلي بفقد ولديه: فخر الدين ومحي الدين، فصبر وتجلد.

عاش أربعاً وسبعين سنة، وتوفي سنة سبع وسبعين وست مائة، وشيع الخلق جنازته.

[١٨٨٩] وحكى أن من جملة سعادته أول وزارته أنه نزل إلى دار الوزير الفائزي ليتبع ودائعه، ويأخذ ذخائره، فوجد ورقة فيها أسماء من أودع عنده أمواله، فعرف الحاضرون كل من سمى في الورقة، وطلب وأخذ منه المال، وكان في الأسماء مكتوب: الشيخ ركن الدين أربعون

ألف دينار، فلم يعرف الحاضرون من هذا الشيخ الذي يودع أربعين ألف دينار، ففكر الصاحب بهاء الدين زماناً، وقال: احفروا هذا الركن، وأشار إلى ركن في الدار فحفروه فوجدوا المال.

[١٨٩٠] وكان ينتبه قبل الأذان للصبح، ويشرب قدحاً فيه ثماني أواق شراباً بالمصري، ويأكل طيري دجاج مصلوقة، وإذا أذن صلى الصبح وركب إلى القلعة، وأقام طول النهار لا يأكل شيئاً في المباشرة ويظن أنه صائم، وهو في الحقيقة صائم لا يحتاج إلى غذاء مع ذلك الشراب والدجاج.

[١٨٩١] وكان الملك الظاهر يعظمه ويدعوه: يا أبي، وحكي أن الأمراء الكبار اشتوروا فيما بينهم أنهم يخاطبون السلطان الملك الظاهر في عزل الصاحب بهاء الدين، ولم تزل العيون للسلطان على عامة الناس وخاصتهم يطالعونه بالأخبار، فاطلع بعض العيون على ذلك، وكان قد قرروا أن ابن بركة خان هو الذي يفتح الباب في ذلك والأمراء يراسلونه، فلما بلغ السلطان ذلك، وكانوا قد عزموا على مخاطبته في بكرة ذلك النهار في الخدمة، فلما جاءوا ثاني يوم ادعى السلطان أنه أصبح به مغس عجز معه عن الجلوس للخدمة، فجلس الأمراء إلى طالع نهار، ثم خرج إليهم جَمْدار(١)، وقال:

باسم الله ادخلوا، فدخلوا يعودون السلطان، وهو متقلق، فجلسوا

(١) هو القائم على ملابس السلطان ويُلبسه ثيابه، وانظر ((معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي)): للأستاذ محمد أحمد دهمان: ٥٤، وأصل اللفظ جام دار، ودار بمعنى حامل، وجام هي المرآة، فهو الذي يحمل المرآة أمام السلطان حين يلبس ثيابه، وانظر ((الألفاظ الفارسية المعربة)) للأستاذ ادي شير: ٤٤.

عنده ساعة فجاءه خادم وقال:

يا خوند[1]، كان مولانا السلطان قد دفع إلي في وقت قعبة صيني فيها حلاوة مسيَّر يقطين، وقال لي: دعها عندك، فإن هذه أهداها لي رجل صالح، وهي تنفع من الأمراض.

فقال السلطان: نعم ذكرت، أحضرها فأحضرها، فأكل منها شيئاً قليلاً، وادعى أنه سكن ما يجده من الألم، ففرح الأمراء وسروا بذلك، فقال:

يا أمراء أتعرفون من هو الذي أهدى إلي هذه الحلوى من الصلحاء؟

فقالوا: لا.

قال: هذا أبي، الصاحب بهاء الدين، فسكتوا، ولما خرجوا قال بعضهم لبعض: إذا كان يعتقد فيه أن طعامه يشفي من المرض، أي شيء تقولون فيه[2].



العلـــوي

علي بن محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

[١٨٩٢] كان عليٌّ هذا يشبه بأبيه في العلم، و لم يكن له رأي أبيه في الخروج، بل كان مقبلاً على شأنه، وبنى له بالمدينة داراً حسنها واجتهد

(١) أي يا رئيس.

(٢) الوافي بالوفيات: ٢٢/ ٣٠- ٣٢.

فيها، ولما فرغ منها قال [من الكامل]:

حسنت داري بعد علمي أنها ... سيفوز بعدي الوارثون بحسنها

فلئن بنيت وكان غيري نازلاً ... فلكم نزلتُ منازلاً لم أبنها

وهرب بعد قتل أبيه وعمه، وكان يجول في السند والهند، وكتب حفص بن عمر، صاحب السند، إلى المنصور يخبره أنه وجد في بعض خانات المولتان مكتوب يقول: علي بن محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن، انتهيت إلى هذا الموضع، بعد أن مشيت إلى أن انتعلت الدم، وقد قلت [من الطويل]:

عسى مَنْهلٌ يصفو فتروى ظميئة ... أطال صداها المنهل المتكدر

عسى جابر العظم الكسير بلطفه ... سيرتاح للعظم الكسير فيجبر

عسى صور أمسى لها الجور دافناً ... سيبعثها عدل يجيء فتظهر

عسى الله لا تيأس من الله إنه ... يسير عليه ما يعز ويعسر

فكتب إليه المنصور: قد قرأت كتابك والأبيات، وأنا وعلي وأهله كما قيل [من الطويل]:

يحاول إذلال العزيز لأنه ... بدانا بظلم واستمرّت مرائره[1]

إن وقفت على خبره فأعطه وأحسن إليه[2].

---

(١) استمرت مرائره: استحكمت وقويت شكيمته وبأسه: ((القاموس المحيط)): م ر ر .

(٢) الوافي بالوفيات: ٢٢/ ٥١، ٥٢.

الهادي بن الجواد

علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، هو أبو الحسن الهادي بن الجواد بن الرضا ابن الكاظم بن الصادق بن الباقر بن زين العابدين، أحد الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية.

[١٨٩٣] كان قد سعي به إلى المتوكل، وقيل: إن في منزله سلاحاً وكتباً وغيرها من شيعته، وأوهموه أنه يطلب الأمر لنفسه، فوجه إليه عدة من الأتراك فهجموا منزله على غفلة، فوجدوه في بيت مغلق وعليه مِدْرَعة من شعر[١]، وعلى رأسه ملحفة من صوف، وهو مستقبل القبلة، يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد، ليس بينه وبين الأرض بساط إلا الرمل والحصى، فأخذ على الصورة التي وجد عليها في جوف الليل، فمثل بين يديه، والمتوكل في مجلس شرابه وبيده كأس، فلما رآه أعظمه وأجلسه إلى جانبه، فناوله الكأس، فقال: يا أمير المؤمنين ما خامر لحمي ودمي قط فاعفني منه، فأعفاه وقال: أنشدني شعراً أستحسنه، فقال: إني لقليل الرواية منه، فقال: لابد، فأنشده [من البسيط]:

باتوا على قُلل الأجبال تحرسهم ... غُلْب الرجال فما أغنتهم القُلل[٢]

واستُنزلوا بعد عز من معاقلهم ... فأُودعوا حفراً يا بئس ما نزلوا

ناداهمُ صارخ من بعد ما قبروا ... أين الأسرة والتيجان والحلل؟

---

(١) ثوب من شعر.

(٢) القلل : رؤوس الجبال.

أيـن الوجـوه الـتي كانـت منعمـة　　من دونها تضرب الأستار والكِلَل[1]؟

فأفصح القبر عـنهم حـين سـاءلهم　　تلك الوجوه عليها الـدود يقتتـل

قد طال ما أكلوا دهراً ومـا شـربوا　　فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكلوا

فأشفق من حضر على علي، وخافوا أن بادرة تبدر إليه، فبكى المتوكل بكاء طويلاً، حتى بلت دموعه لحيته، وبكـى مـن حضـره، ثـم أمـر برفـع الشراب، وقال:

يا أبا الحسن أعليك دين؟

قال: نعم، أربعة آلاف دينار، فأمر بدفعها إليه، ورده إلى منزله مكرماً.

[١٨٩٤] وكان المتوكل قد اعتل، فقال: إن برئت لأتصدقن بمال كثير، فلما عوفي، جمع الفقهاء وسألهم عـن ذلـك، فأجـابوه مختلفين، فبعـث إلى علي الهادي فقال: يتصدق بثلاثة وثمانين ديناراً، قالوا: من أين لك هـذا؟ قال: لأن الله تعـالى قـال: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾[2] وروى أهلنا أن المواطن كانت ثلاثة وثمانين موطناً؟[3].

ومولده سنة أربع، وقيل: سنة ثلاث عشرة ومائتين، وتـوفي بسـر مـن رأى سنة أربع وخمسين ومائتين[4].

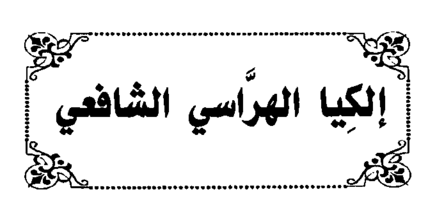
---

(١) الكلل : جمع كِلّة، وهي الستر الرقيق : ((القاموس المحيط)) : ك ل ل .

(٢) سورة التوبة: ٢٥.

(٣) هذا مشكل عندي – إن صح – فإن أهل السير ذكروا أن رسول الله ﷺ غزا بنفسه الشريفة تسع عشرة مرة أو سبع عشرة مرة، وأغزى أصحابه قرابة عشرين أخرى فكيف بلغ العدد هذا المذكور؟!

(٤) الوافي بالوفيات: ٢٢/ ٧٢- ٧٤.



إلكِيا الهرَّاسي الشافعي

علي بن محمد بن علي، عماد الدين أبو الحسن إلكيا الهراسي.

تفقه بنيسابور مدة على إمام الحرمين.

وكان مليح الوجه، جهوري الصوت فصيحاً، مطبوع الحركات، زكي الأخلاق.

ولي تدريس النظامية ببغداد إلى أن مات سنة أربع وخمس مائة، وحظي بالحشمة والجاه والتجمل، وتخرج به الأصحاب.

وإلكيا بالعجمي: هو الكبير القدر المقدم.

ومولده سنة خمسين وأربع مائة، ونسبه بعض الجهال إلى أنه كان يرى رأي الإسماعيلية في الباطن، وليس كذلك، وإنما إلكيا هو ابن الصبّاح صاحب الأَلَموت، فافهمه.

[١٨٩٥] ومن كلامه:

إذا جالت فرسان الأحاديث في ميادين الكفاح، طارت رؤوس المقاييس في مهاب الرياح.

[١٨٩٦] وقال السِلَفي:

استفتيت شيخنا أبا الحسن إلكيا الهراسي ببغداد سنة خمس وتسعين وأربع مائة: ما يقول الإمام -وفقه الله- في رجل أوصى بثلث ماله للعلماء والفقهاء، هل يدخل كتبة الحديث تحت هذه الوصية أو لا؟

فكتب الشيخ تحت السؤال: نعم، كيف لا وقد قال رسول الله ﷺ:

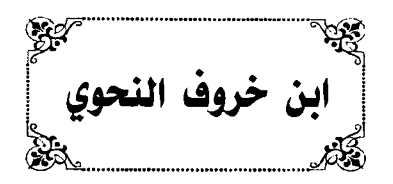
«من حفظ على أمتي أربعين حديثاً في أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً؟»[1].

[١٨٩٧] وحضر دفنه قاضي القضاة أبو الحسن الدامغاني، والشريف أبو طالب الزينبي -وكانا مقدمي الطائفة الحنفية- وكان بينهما وبينه منافسة، فوقف أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه، فقال الدامغاني متمثلاً [من الوافر]:

وما تغني النوادب والبواكي   وقد أصبحت مثل حديث أمس

وأنشد الزينبي متمثلاً [من الكامل]:

عقم النساء فما يلدن شبيهه   إن النساء بمثله عُقُمُ[2]



ابن خروف النحوي

علي بن محمد بن علي نظام الدين، أبو الحسن، ابن خروف الأندلسي.

حضر من إشبيلية.

وكان إماماً في العربية محققاً مدققاً ماهراً، مشاركاً في علم الأصول، صنف شرحاً لكتاب سيبويه جليل الفائدة، حمله إلى صاحب الغرب فأعطاه ألف دينار، وشرحاً للجمل، وكتاباً في الفرائض، وله رد على

---

(١) قال الإمام النووي: اتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه، وانظر مقدمة الأربعين النووية.

(٢) الوافي بالوفيات: ٢٢/ ٨٢- ٨٤.

جماعة في العربية، أقرأ النحو بعدة بلاد، وأقام بحلب مدة.

[١٨٩٨] اختل عقله بأخرة حتى مشى في الأسواق عرياناً بادي العورة مكشوف الرأس.

توفي سنة تسع وست مائة، وكان يلقب بضياء الدين.

[١٨٩٩] نقلت من خط شهاب الدين القوصي في معجمه قال: وكتب على يدي إلى قاضي القضاة محيي الدين بن الزكي يستقيله من مشارفة البيمارستان النوري، وكان بوابه يسمى السِيْد، وهو في اللغة الذئب [من السريع]:

مولاي مولاي أجرني فقد أصبحت في دار الأسى والحتوف

وليس لي صبر على منزل بوابه السيد وجدي خروف

[١٩٠٠] قال: وأنشدني لنفسه، وقد دعاه نجم الدين بن اللُّهَيب إلى طعامه، فلم يجبه وقال [من المجتث]:

ابن اللهيب دعاني دعاء غير نبيه

إن سرت يوماً إليه فوالدي في أبيه

[١٩٠١] قال: وأنشدني لنفسه ما كتبه إلى القاضي بهاء الدين بن شداد في طلب فروة خراف [من مجزوء الوافر]:

بهاء الدين والدنيا ونور المجد والحسب

طلبت مخافة الأنوا ء من نعماك جلد أبي

وفضلك عالم أني خروف بارع الأدب

حلبت الدهر أشطره وفي حلب صفا حلبي[1]

[١٩٠٢] قال: وأنشدني لنفسه في نيل مصر [من البسيط]:

ما أعجب النيل ما أحلى شمائله في ضفتيه من الأشجار أدواح
من جنة الخلد فياض على ترع تهب فيها هبوب الريح أرواح
ليست زيادته ماء كما زعموا وإنما هي أرزاق وأرواح

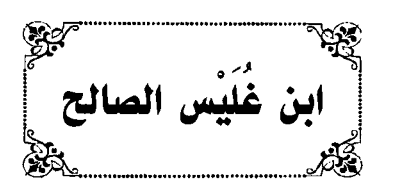
[١٩٠٣] وقال شهاب الدين القوصي:

وقع ابن خروف في جب ليلاً فمات-رحمه الله- وأحسن ما بلغني أن جمال الدين عليّاً المعروف بابن السنينيرة حضر إلى الأبواب السلطانية الملكية الظاهرية ليلاً لنشد قصيدة، فمضى هزيع من الليل ولم يؤذن له بسبب ابن شرف العُلَى كان يقرأ على السلطان كتاباً فطول عليه، فكتب إليه هذين البيتين [من الكامل]:

العبد قد وافى لينشد خدمة بنيت قواعدها على التخفيف
وأخاف من شرف العُلَى تطويله ليلاً فألحق ملحق ابن خروف[2]

(١) حلبت الدهر أشطره: أي صرت ذا تجربة ورأي ومعرفة.

(٢) الوافي بالوفيات: ٢٢/ ٨٩- ٩٤.



ابن غُلَيْس الصالح

علي بن محمد بن غليس أبو الحسن الزاهد، من أهل اليمن.

كان رجلاً من الرجال، طوف البلاد ما بين الحجاز واليمن، وصحب الأولياء، وله مجاهدات ورياضات شديدة، وقوة على الجوع والعطش والسهر ومقاساة البراري والقفار والجبال، ظهرت كرامته، وأطلع الله عباده على أحواله، قدم بغداد سنة ست وتسعين وخمس مائة، ودون الناس كلامه، وسمعوا منه.

[١٩٠٤] قال: قال لي شيخي علي بن عبد الرحمن الحداد:

من اعتقد أنه يصل إلى الله بعلمه فهو متمنٍّ، ومن اعتقد أنه يصل بعمله فهو متعنٍّ، لكن اعمل وانسَ فلك من لا ينسى.

[١٩٠٥] قال: وحفظت منه هذا الدعاء:

يا من لوجهه عنت الوجوه، بيض وجهي بالنظر إليك، واملأ قلبي من المحبة لك، وأجرني من زلة التوبيخ، فقد آن لي الحياء منك، وحان لي الرجوع عن الإعراض عنك، لولا حلمك لم يسعني عملي، ولولا عفوك لم ينبسط فيما لديك أملي، فأسألك بك أن تغفر لي وتختار لي ما لم أختره لنفسي، وتفعل بي ما أنت أهله، ولا تفعل بي ما أنا أهله، إنك أهل التقوى والمغفرة، اللهم صلى على محمد وآله.

وتوفي بدمشق ليلة سابع عشر شهر رمضان سنة ثمان وتسعين وخمس مائة.

وكان يكتب: «خادمه علي بن غُلَيس الذي لا يسوى فُلَيْس».

[١٩٠٦] ومن شعره [من المتقارب]:

ألا قل لمن كان يهوى سوانا   هواه حرام ولكن هوانا

ومن كان يبغي رضا غيرنا   له الويل أخطا ولكن رضانا

ألا قف وخيم على بابنا   تر الخير منا جهاراً عيانا(١)



التهامي الشاعر

علي بن محمد بن فهد، أبو الحسن التهامي الشاعر.

وهو من الشعراء المحسنين المجيدين، أصحاب الغوص، مولده ومنشؤه باليمن، وطرأ على الشام وسافر منها إلى العراق وإلى الجبل، ولقي الصاحب بن عباد وقرأ عليه، وانتحل مذهب الاعتزال، وأقام ببغداد وروى بها شعره، ثم عاد إلى الشام وتنقل في بلادها، وتقلد الخطابة بالرملة، وتزوج بها.

وكانت نفسه تحدثه بمعالي الأمور، وكان يكتم نسبه، فيقول تارة: إنه من الطالبيين، وتارة: من بني أمية، ولا يتظاهر بشيء من الأمرين.

[١٩٠٧] وكان متورعاً صَلِف النفس، متقشفاً يطلب الشيء من وجهه ولا يريده إلا من حله، نسخ شعر البحتري، فلما بلغ أبياتاً فيها هجو امتنع من كتبها وقال: لا أسطر بخطي مثالب الناس.

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢٢/ ١١١، ١١٢.

وكان قد وصل إلى الديار المصرية مستخفياً، ومعه كتب كثيرة من حسان بن مفرج بن دغفل البدوي، وهو متوجه إلى بني قرة فظفروا به، فقال: أنا من تميم، فلما انكشف حاله علم أنه التهامي الشاعر، فاعتقل بخزانة البنود بالقاهرة، لأربع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ست عشرة وأربع مائة، ثم إنه قتل سرّاً في سجنه تاسع جمادى الأولى من السنة المذكورة، وكان أصفر اللون.

[١٩٠٨] ورئي بعد موته في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قيل له: بأي الأعمال؟ قال: بقولي في مرثية ولد لي صغير وهو [من الكامل]:

جاورت أعدائي وجاور ربه ... شتان بين جواره وجواري

[١٩٠٩] وله القصيدة الرائية المشهورة التي رثى بها ابنه، وقد سارت مسير الشمس، وهي [من الكامل] (١):

حكم المنيَّة في البرية جارِ ... ما هذه الدنيا بدار قرار
بينا يُرى الإنسان فيها مُخبراً ... حتى يُرى خبراً من الأخبار
طُبعت على كدر وأنت تريدها ... صفواً من الأقذاء والأكدار
ومكلف الأيام ضد طباعها ... متطلبٌ في الماء جذوة نار
وإذا رجوت المستحيل فإنما ... تبني الرجاء على شفير هار
العيش نوم والمنية يَقْظة ... والمرء بينهما خيال سار
فاقضوا مآربكم عجالاً إنما ... أعماركم سفر من الأسفار

---

(١) أبقيت أبياتاً منها وحذفت أخرى.

وتراكضوا خيل الشباب وبادروا　　أن تُسترد فإنهن عَوارِ

فالدهر يخدع بالمنى ويُغِصُّ إن　　هنَّا ويهدم ما بنى ببوار

ليس الزمان وإن حرصت مسالماً　　خلق الزمان عداوة الأحرار

يا كوكباً ما كان أقصر عمره　　وكذا تكون كواكب الأسحار

وهلال أيام مضى لم يستدر　　بدراً ولم يمهل لوقت سِرار[1]

عَجِل الخسوف عليه قبل أوانه　　فغطاه قبل مظنة الإبدار

واستُلَّ من أقرانه ولِداته　　كالمقلة استلت من الأشفار

فكأن قلبي قبره وكأنه　　في طيه سر من الأسرار

إن تحتقر صِغَراً فرب مفخم　　يبدو ضئيل الشخص للنظار

إن الكواكب في علو محلها　　لتُرى صغاراً وهي غير صغار

أبكيه ثم أقول معتذراً له　　وُفقت حين تركت ألأم دار

جاورت أعدائي وجاور ربه　　شتان بين جواره وجواري

أشكو بعادك لي وأنت بموضع　　لولا الردى لسمعت فيه سراري

ما الشرق نحو الغرب أبعد شقة　　من بعد تلك الخمسة الأشبار[2]

هيهات قد علقتك أسباب الردى　　وأباد عمرَك قاصمُ الأعمار

ولقد جريتَ كما جريتُ لغاية　　فبلغتها وأبوك في المضمار

فإذا نطقت فأنت أول منطقي　　وإذا سكت فأنت في إضماري

---

(١) السرار: آخر الشهر.

(٢) أي القبر.

أُخفي مـن البُرَحـاء نـاراً مثـل مـا　　يخفـي مـن النـار الزنـاد الـواري
وأُخفض الزفـرات وهـي صـواعد　　وأكفكف العـبرات وهـي جَـوارِ
ثـوب الرثـاء يشـف عمـا تحتـه　　فـإذا التحفـت بـه فإنـك عـار
شـيئان ينقشـعان أول وهلـة　　ظـل الشـباب وصـحبة الأشـرار
لا حبـذا الشـيب الـوفي وحبـذا　　شـرخ الشـباب الخـائن الغـدار
وَطَري من الـدنيا الشـباب وروقـه　　فإذا انقضى فقد انقضـت أوطـاري
قصـرت مسـافته ومـا حسـناته　　عنـدي ولا آلاؤه بقصـار
نـزداد همـاً كلمـا ازددنـا غنـى　　فـالفقر كـل الفقـر في الإكثـار
مـا زاد فـوق الـزاد خُلِّـف ضـائعاً　　في حـادث أو وارث أو عـار
إنـي لأرحـم حاسِـدِيَّ لحَـرِّ مـا　　ضمت صـدورهمُ مـن الأوغـار
نظـروا صـنيع الله بـي فعيـونهم　　في جنـة وقلـوبهم في نـار
لا ذنب لي قد رمت كتم فضـائلي　　فكـأنني برْقَعْـتُ وجـهَ نهـار
وسـترتها بتواضـعي فتطلعـت　　أعناقهـا تعلـو علـى الأسـتار
ومـن الرجـال مجاهِـلٌ ومعـالم　　ومـن النجـوم غـوامض ودراري
والنـاس مشـتبهون في إيـرادهم　　وتبـاين الأقـوام في الإصـدار
عمري لقد أوطأتهم طـرق العلـى　　فعمـوا ولم يطـأوا علـى آثـاري
لـو أبصـروا بعيـونهم لاستبصـروا　　لكنهـا عميـت عـن الإبصـار
ألاَّ سـعوا سـعي الكـرام فـأدركوا　　أو سـلموا لمواقـع الأقـدار
ذهب التكرم والوفـاء مـن الـورى　　وتصـرَّما إلا مـن الأشـعار

وفشت جنايات الثقات وغيرهم حتى اتهمنا رؤية الأبصار
ولربما اعتضد الحليم بجاهل لا خير في يمنى بغير يسار

ورثى ابنه بقصيدة أخرى رائية أولها [من الطويل]:

أبا الفضل طال الليل أم خانني صبري فخُيِّل لي أن الكواكب لا تسري

وله فيه غير ذلك(١).



القاضي الحافظ

علي بن مسهر أبو الحسن القرشي مولاهم، الحافظ قاضي الموصل، وهو أخو عبد الرحمن قاضي جُبّل.

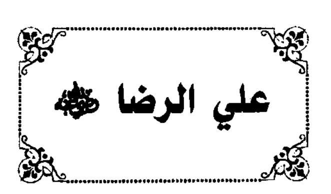
كان ثقة، جمع الفقه والحديث.

[١٩١٠] وولي قضاء إرمينية، فلما قدمها اشتكى عينه، فقال قاض كان قبله للكحال: اكحله بما يذهب عينه، حتى أعطيك مالاً، فكحله فذهبت عينه، فرجع إلى الكوفة أعمى.

توفي سنة تسع وثمانين ومائة، وروى له الجماعة(٢).

(١) الوافي بالوفيات: ٢٢/ ١١٦، ١١٧.

(٢) الوافي بالوفيات: ٢٢/ ١٩٦.



علي الرضا ﷺ

علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسن الرضا بن الكاظم بن الصادق بن الباقر بن زين العابدين.

أمه أم ولد نوبية، أمها سكينة تكنى أم البنين.

ولد بمدينة النبي ﷺ، سنة ثمان وأربعين ومائة، وتوفي بطوس في سناباذ وهو ابن تسع وأربعين سنة وستة أشهر، سنة ثلاث ومائتين لتسع بقين من شهر رمضان.

وخلف من الولد محمداً والحسين وجعفراً وإبراهيم والحسن وعائشة.

وروى عن أبيه وعن عبيد الله بن أرطأة.

[١٩١١] وهو أحد الأئمة الاثنيْ عشر[١]، كان سيد بني هاشم في زمانه، وكان المأمون يخضع له، ويتغالى فيه، حتى إنه جعله ولي عهده من بعده، وكتب إلى الآفاق بذلك، فثار بنو العباس لذلك وتألموا، وكان المأمون قد زوجه ابنته أم حبيب.

[١٩١٢] ومدحه دِعْبل الخزاعي، فأعطاه ست مائة دينار وجبة خز، بذل له فيها أهل قُمٍّ ألف دينار، فامتنع وسافر، فأرسلوا من قطع عليه الطريق وأخذ الجبة، فرجع إلى قم، فقالوا له: أما الجبة فلا، ولكن هذه ألف دينار، وأعطوه منها خرقة.

---

(١) أي عند الرافضة الإمامية.

[١٩١٣] قال المبرد: سئل علي بن موسى الرضا:

أيكلف الله العباد ما لا يطيقون؟

فقال: هو أعدل من ذلك.

قيل له: فيستطيعون أن يفعلوا ما يريدون؟

قال: هم أعجز من ذلك.

[١٩١٤] وقيل :إن المأمون همَّ مرة أن يخلع نفسه من الخلافة ويوليها علي بن موسى الرضا، ولما جعله ولي عهده نزع السواد العباسي وألبس الناس الخضرة، وضرب اسم الرضا على الدينار والدرهم، وأمر له يوماً بألف ألف درهم.

يقال: إنه أكل عنباً، وأكثر منه فمات فجاءة، واغتم المأمون كثيراً ودفنه عند قبر أبيه، وقيل: إنه شق له قبر الرشيد أبيه ودفنه فيه، وقيل: إنه سم ومات، في شهر صفر، ودفن بطوس، وقبره مقصود بالزيارة.

[١٩١٥] وفيه يقول أبو نواس [من الخفيف]:

قيل لي: أنت أحسن الناس طُرّاً ... في فنون من المقال النبيه

لك جند من القريض مديح ... يثمر الدر في يدي مجتنيه

فعلام تركت مدح ابن موسى ... والخصال التي تجمعن فيه؟

قلت: لا أستطيع مدح إمام ... كان جبريل خادماً لأبيه[1]

[١٩١٦] وفيه يقول أيضاً [من البسيط]:

---

(١) لايسوغ هذا الإطلاق، وجبريل عليه السلام أعظم الملائكة قدراً، وهو رسول الله تعالى إلى رسله وأنبيائه عليهم جميعاً الصلاة والسلام.

مطهـــرون نقيـــات جيـــوبهم تجري الصلاة عليهم أينما ذكـروا
مـن لم يكـن علويّـاً حـين تنسـبه فمـا لـه في قـديم الـدهر مفتخـر
الله لمـــا بـــرا خلقـــاً فأتقنـــه صَفّاكُمُ واصـطفاكم أيهـا البشـر
فـأنتم المـلأ الأعلـى وعنـدكم علم الكتاب وما جاءت بـه السـور

[١٩١٧] قال له المأمون يوماً: ما يقول بنو أبيك في جدنا العباس؟

فقال: ما يقولون في رجل فرض الله طاعة نبيّـه علـى خلقـه، وفـرض طاعته على نبيه؟ فأمر له بألف ألف درهم[1].

[١٩١٨] وكان أخوه زيد بن موسى بالبصرة قد خرج علـى المـأمون، وفتك بأهلها، فأرسل المأمون إليه أخاه عليّاً يرده عن ذلـك فحجـه وقـال له: ويلك يا زيد: ما فعلت بالمسلمين بالبصرة، وتـزعم أنـك ابـن فاطمـة ابنت رسول الله، ﷺ والله لأشـد النـاس عليـك رسـول الله، ﷺ، يـا زيـد ينبغي لمن أخذ برسول الله أن يعطي به، فبلغ كلامه المأمون، فبكى وقـال: هكذا ينبغي أن يكون أهل بيت رسول الله ﷺ.

[١٩١٩] خالد بن أحمد بن خالد الذهلي: ثنا أبي، قال:

صليت خلف علي بن موسى الرضـا بنيسـابور، فجهـر بــ «بسـم الله الرحمن الرحيم» في كل سورة، ويذكر أن رسول الله ﷺ كان يجهر بـ «بسـم الله الرحمن الرحيم»[2].

[١٩٢٠] وأنشد النوفلي لعلي بن موسى [من الوافر]:

---

(١) وهو يوهم هنا أن الضمير في ((طاعته)) للعباس إنما هي لله تعالى.

(٢) قد اشتهر الخلاف في هذه المسألة.

رأيـت الشـيب مكروهـاً وفيـه وقـار لا تليـق بـه الـذنوب

إذا ركـب الـذنوبَ أخـو مشيب فمـا أحـد يقـول: متـى يتـوب؟

وداء الغانيـات بيـاض رأسـي ومـن مـد البقـاء لـه يشـيب

سأصـحبه بتقـوى الله حتـى يفـرق بيننـا الأجـل القريـب

[١٩٢١] وآل أمره مع المأمون إلى أن سمَّه في رمانة -على ما قيل- مداراة لبني العباس، فلما أكلها وأحس بالموت، وعلم من أين أُتي أنشد متمثلاً [من الطويل]:

فليـت كفافـاً كـان شـرُّك كلـه وخيرك عني ما ارتوى الماء مرتوي

ثم أرسل إليه المأمون وقال: ما توصيني به؟ فقال للرسول: قل له يوصيك ألاَّ تعطي أحداً ما تندم عليه.[(١)]

[١٩٢٢] وكان أسود اللون؛ لأن أمه كانت سوداء، فدخل يوماً حماماً فبينما هو في مكان من الحمام إذ دخل عليه جندي فأزاله عن مركزه، وقال: صب على رأسي يا أسود!! فصب على رأسه، فدخل من عرفه فصاح بالجندي: هلكت وأهلكت، أتستخدم ابن بنت رسول الله ﷺ وإمام المسلمين؟! فانثنى الجندي يقبل رجليه ويقول: هلا عصيتني إذ أمرتك، فقال: إنها مثوبة، وما أردت أن أعصيك فيما أثاب عليه، ثم قال [من الرمل]:

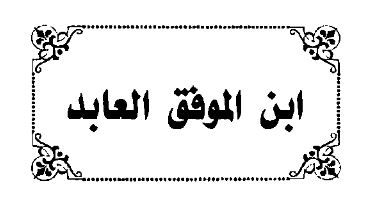
لـيس لـي ذنـب ولا ذنـب لمـن قـال لـي: يـا عبـد أو يـا أسـود

إنمـا الـذنب لمـن ألبسـني ظلمـة وهـو سـنىً لا يُحمَـد[(٢)]

---

(١) لم يثبت قتله عن المأمون، والله أعلم، خاصة مع ما تقدم من أخباره معه.

(٢) الوافي بالوفيات: ٢٢/ ٢٤٨- ٢٥٢. والسنى: الضوء.



علي بن الموفق العابد، صاحب الكرامات والمقامات.

[١٩٢٣] قال: حججت على قدمي ستين حجة، منها عن رسول الله ﷺ ثلاثون حجة.

توفي -رحمه الله- ببغداد سنة خمس وستين ومائتين.

[١٩٢٤] قال: كنت في الموقف فسمعت ضجيج الناس، فقلت: اللهم إن كان في هؤلاء من لم تقبل حجَّه فقد وهبت حجي له، ونمت، فرأيت رب العزة سبحانه في المنام وهو يقول: يا علي يا ابن الموفق، أتتساخى علي وأنا الملك؟! وقد غفرت لأهل الموقف، وشفَّعت كل واحد منهم في أهل بيته وذريته وعشيرته(١).



علي بن هبة الله بن أحمد نور الدين بن الشهاب الإسنائي.

كان فقيهاً مفتياً، وحفظ «مختصر مسلم» للمنذري، وبرع في الفقه.

وتولى الحكم بإدفو وقنا، وكانت طريقته حسنة، ودرس بالعزِّيَّة بقوص، والمدرسة المجدية، ورباط ابن الفقيه نصر، ودرس بدار الحديث

(١) الوافي بالوفيات: ٢٢/ ٢٦٥.

بقوص، ودارت عليه الفتوى، وكان فيها مسدداً.

وكان أمَّاراً بالمعروف نهاءً عن المنكر، وله تهجد في الليل، وكان مهيباً متواضعاً.

توفي بقوص سنة سبع وسبع مائة.

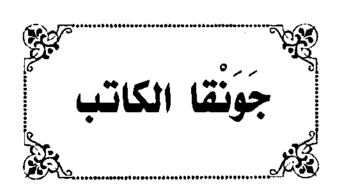
[١٩٢٥] كان بعض النصارى أسلم وله ولد نصراني وأولاد ولد أطفال، فقام في إلحاقهم بجدهم، وأفتى به متبعاً ما حكاه الرافعي عن بعضهم، وقال: إنه الأقرب، وجرى في ذلك صراع كبير وألحق بعضهم بجده، فقيل: إن النصارى تحيلوا وسقوه سماً، فحصل له ضعف وإسهال توفي به، رحمه الله تعالى.

[١٩٢٦] قال نور الدين:

نقل عني بعض أولاد الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، نقل عني له كلاماً، من جملته: أني قلت: أنا أفقه منه، وصرت أحضر عند الشيخ الدرس وأرى في نفسه مني شيئاً، فقال الشيخ يوماً في الدرس: وقد ذكر موانع الميراث، ثمّ مانع آخر وأمهلتكم فيه شهراً، قال: فأخذت في استحضار القرآن الكريم، ثم في الحديث النبوي، فجرى على ذهني قوله ﷺ: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورَّث**» فقلت: يا سيدي وإن كان مفقوداً في زماننا؟ فشعر أني عرفته، فقال: قل، فقلت: النبوة[1].

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢٢/ ٢٨٥، ٢٨٦.



جَوَنْقا الكاتب

علي بن الهيثم الأنباري أبو الحسن، الكاتب المعروف بجونقا، وكان في ديوان المأمون ومَن بعده من الخلفاء.

[١٩٢٧] وكان فاضلاً، كثير التقعير في كلامه يستعمل العويص من اللغة في محاوراته، حتى إن المأمون قال: أنا أتكلم مع الناس أجمعين على سجيتي، إلا علي بن الهيثم، فإني أتحفظ إذا كلمته؛ لأنه يغرق في الإغراب.

[١٩٢٨] ودخل يوماً جونقا إلى سوق الدواب فلقيه نخاس، فقال: هل من حاجة؟

قال: نعم، الحاجة أناختنا بعقْوَتك، أردت فرساً قد انتهى صدره، وتقلقلت عروقه، يشير بأذنيه ويتعاهدني بطرف عينيه، ويتشرف برأسه ويعقد عنقه، ويخطر بذنبه، ويناقل برجليه، حسن القميص، جيد الفصوص، وثيق القصب، تام العصب، كأنه موج لجة، أو سيل حدور، فأجابه النخاس بجواب نزهت هذا الكتاب عنه.

[١٩٢٩] وقال المأمون يوماً: ببابي رجلان أحدهما أريد أن أضعه وهو يرفع نفسه: وهو علي بن الهيثم، والآخر أريد أن أرفعه وهو يضع نفسه: وهو الفضل بن جعفر بن يحيى البرمكي.

[١٩٣٠] ودخل جَوَنْقا يوماً على المأمون وعنده أحمد بن الجنيد الإسكافي وجماعة من الخاصة، فقال المأمون: يا عدو الله، يا فاسق، يا

لص، يا خبيث سرقت الأموال وانتهبتها، والله لأفرقن بين لحمك ودمك وعظمك ولأفعلن ولأفعلن، ثم سكن غضبه قليلاً، فقال أحمد بن الجنيد: نعم والله يا أمير المؤمنين، إنه وإنه... لم يدع شيئاً من المكروه إلا قاله فيه.

فقال له المأمون: يا أحمد ومتى اجترأت عليّ بهذه الجرأة؟ رأيتني وقد غضبت فأردت أن تزيد في غضبي، أما إني سأؤدبك أدباً يتأدب به غيرك، يا علي ابن الهيثم، قد صفحت عنك، ووهبت لك كل ما قدرت أن أطالبك به، ورفع رأسه إلى الحاجب وقال: لا يبرح ابن الجنيد الدار حتى يحمل لعلي ابن الهيثم مائة ألف درهم، ليكون له بذلك عقل، فلم يبرح حتى حملها إلى ابن الهيثم.

[١٩٣١] وكان خالد بن أبان الأنباري -أخو عبد الملك بن أبان- بينه وبين ابن الهيثم حرمة أيام مقامهما بالأنبار، فاختلَّت حال خالد وضاقت، وتوجه إلى مصر فبلغه ما وصل إليه علي بن الهيثم فكتب إليه أبياتاً بالذهب، منها [من الطويل]:

على الخالق الباري توكلت إنه ... يدوم إذا الدنيا أبادت قرونها
فداؤك نفسي يا علي بن هيثم ... إذا أكلت عُجْفُ السنين سمينها
رميتك من مصرٍ بأم قلائدي ... تِرَفُّ وقد أقسمت أن لا تهينها

فوجه إليه بألف دينار، وكتب إلى عامل مصر فاستعمله، وحسنت حاله[1].

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢٢/ ٢٩٥- ٢٩٧.



مجد الدين بن دقيق العيد المالكي

علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة، الإمامة العلامة مجد الدين أبو الحسن، والد شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد، القشيري البهزي -بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدرة- المنفلوطي المالكي، نزيل قوص.

ولد سنة إحدى وثمانين وخمس مائة، وتوفي سنة سبع وستين وست مائة.

تفقه على مذهب مالك ودرس وأفتى وصنف في المذهب، وانتفع به أهل الصعيد، وكان شيخ تلك الديار، تفقه عليه ولده وغيره.

وكان جامعاً لفنون من العلم، معروفاً بالصلاح والدين، معظماً عند الخاصة والعامة، مطرحاً للتكلف، كثير السعي في قضاء حوائج الناس، على سمت السلف، ارتحل الناس إليه من الأقطار، وتخرجوا به، وبرعوا في الفضائل.

ولما بنى النجيب بن هبة القوصي مدرسته بقوص أشار عليه الشيخ أبو الحسن بن الصباغ أن يحضر إليها الشيخ مجد الدين فأحضره وجرى بسببه من الخير ومن العلم ما جرى بقوص.

[١٩٣٢] قال الفاضل كمال الدين جعفر الأدفوي:

حكى لي تقي الدين عبد الملك الأرمنتي أن شيخه مجد الدين مر- وتقي الدين عبد الملك هذا معه- فرأى كلبة قد ولدت وماتت، فقال: يا

تقي، هات هذه السجادة، فحمل الجراء وجعلها في مكان قريب، ورتب لها لبناً يسقيها حتى كبرت، وذكر له وقائع من هذا النوع.

[١٩٣٣] وكان يمشي بنفسه في قضاء حوائج الناس، قال:

حكى أصحابنا أنه كان عنده شخص يشفق عليه، فقال له بعض أصحابه: يا سيدي، هذا فيه قلة دين -لينقصه عنده- فقال الشيخ: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، كنا نشفق عليه من جهة الدنيا، صرنا نشفق عليه من جهة الدين.

[١٩٣٤] قال:

وكان -رحمه الله- يسعى لطلبته على قدر استحقاقهم، فمن يصلح للحكم سعى له فيه، ومن يصلح للتعديل سعى له فيه، وإن لم يصلح سعى له في إمامة أو في شغل، وإلا أخذ له على السهمين راتباً، حتى جاءه بعض الناس وشكا له ضرورة، فقال له: اكتب قصة للقاضي، وأنا أتحدث معه، فكتب «المملوك فلان يقبل الأرض، ويُنهي أن المملوك فقير مضرور -وكتب (مضرور) بالظاء- وقليل الحظ -وكتبه بالضاد- وناولها للشيخ فتبسم وقال: يا فقيه ضرك قائم، وحظك ساقط.

[١٩٣٥] قال: وكان فيه -مع تورعه وتقشفه- بسطة، جاءه بعض الطلبة وقال: يا سيدي هؤلاء الفقهاء يلقبونني بوجه سبع الحوض، فنظر إليه الشيخ وقال: ما أبعدوا.

قال: وكان يقرئ في المذهبين: مالك والشافعي، والأصولين[1]، واختصر «المحصول» اختصاراً جيداً، قال: وحكى عنه أصحابه أنه كان

---

(١) أي أصول الدين وأصول الفقه.

يحفظ في الأدب «زهر الآداب».

[١٩٣٦] وكان له شعر، ومنه أنشدني شيخنا العلامة أثير الدين قال: أنشدنا أبو الفتح موسى بن علي بن وهب، قال: أنشدنا والدي لنفسه [من الطويل]:

وزهدني في الشعر أن سجيتي ... بما يستجيد الناس ليس تجود
ويأبى لي الخِيمُ الشريف رديئه ... فأطرده عن خاطري وأذود[1]

[١٩٣٧] وبالإسناد المذكور إليه [من الطويل]:

أقول لدهر قد تناهى إساءة ... إلي ولكن للأحبة أحسنا
ألا دم على الإحسان في من نحبهم ... فإنهم الأولى ودع عنك أمرنا

قلت: هو مأخوذ من قول القائل [من الطويل]:

أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا ... وأسعفنا في من نُجِّل ونكرم
فقلت له: نعماك فيهم أتِمَّها ... ودع أمرنا إن المهم المقدم

وانتفع بالشيخ مجد الدين جماعة كبار، منهم: أولاده، ومن الغريب أنه مالكي المذهب والذين تخرجوا عليه شافعية، قال الفاضل كمال الدين جعفر الأدفوي: لا نعرف مالكيّاً انتفع به ذلك الانتفاع.

[١٩٣٨] وكان كثير الصوم، يصوم الدهر، ويلازم قيام الليل، ويكثر التلاوة.

وتولى الحكم بأسيوط ومنفلوط وعملهما، وصنف تلاميذه في حياته.

---

(١) الخِيْم: الطبع.

[١٩٣٩] قال كمال الدين:

أخبرني بعض الجماعة أنه قبل موته بأيام تذاكر هو وأصحابه جماعةً ممن مات، فلما بات تلك الليلة رأى قائلاً ينشده [من الكامل]:

أتعد كثرة من يموت تعجباً وغداً لعمري سوف تحصل في العدد

وكانت سبب تسمية جده دقيق العيد: أنه كان عليه يوم عيدٍ طيلسان شديد البياض فقال بعضهم: كأنه دقيق العيد، فلقب به، رحمه الله تعالى.

[١٩٤٠] وقال كمال الدين:

حكى تلميذه البرهان المالقي المالكي، أنه توجه في خدمته إلى الأقصر لزيارة الشيخ أبي الحجاج، فقدموا وقت المساء، فقال الشيخ: ما ندخل على الفقراء عشاء، فنزلوا في مكان، فلما كان بعد ليل طرق الباب فخرجوا فوجدوه الشيخ أبا الحجاج فقال: رأيت النبي ﷺ فقال: الفقيه أبو الحسن قدم قم فسلم عليه[١].



علي بن يعقوب بن جبريل، الإمام المفتي الزاهد نور الدين البكري المصري الشافعي.

كان مطَّرِحاً للكلفة، نهاء عن المنكر، ونزل دهروط وغيرها.

توفي سنة أربع وعشرين وسبع مائة، وله تواليف.

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢٢/ ٢٩٨- ٣٠٣.

[١٩٤١] وكان ديناً عفيفاً، ولما استعيرت البسط والقناديل من جامع عمرو بن العاص بمصر لبعض كنائس القبط في يوم من أيام أعيادهم- ونسب هذا الأمر إلى كريم الدين- وفعل ما فعل، طلع البكري إلى حضرة السلطان وكلمه في ذلك وأغلظ القول له، وكاد ذلك يجوز على السلطان، لو لم يحلَّ بعض القضاة الحاضرين عليه وقال:

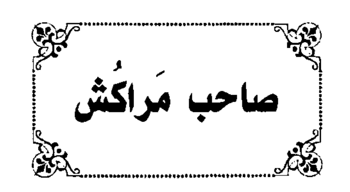
ما قصر الشيخ، كالمستهزئ به، فحينئذٍ أغلظ السلطان في القول للبكري، فخارت قواه وضعف ووهن، فازداد تأليب بعض الحاضرين عليه، فأمر السلطان بقطع لسانه، فجاء الخبر إلى صدر الدين بن الوكيل، وهو في زاوية السعودي، فركب حمار مكارٍ -للعجلة- وصعد إلى القلعة فرأى البكري وقد أُخذ ليمضي فيه ما أمر به، فلم يملك دموعه أن تساقطت وفاضت على خده وبلت لحيته فاستمهل الشرطة عليه، ثم صعد الإيوان-والسلطان جالس به- فتقدم إليه بغير إذن، وهو باكٍ، فقال له السلطان:

خير يا صدر الدين، فزاد بكاؤه ونحيبه، فلم يزل السلطان يرفق به ويقول له: خير ما بك، إلى أن قدر على الكلام، فقال له:

هذا البكري من العلماء الصلحاء، وما أنكر إلا في موضع الإنكار، ولكنه لم يحسن التلطف، فقال السلطان: إي والله، أنا أعرف هذا، إلاّ هذا خطبه، ثم انفتح الكلام ولم يزل الشيخ صدر الدين بالسلطان يلاطفه ويرقفه، حتى قال له: خذه وروح، فأخذه وانصرف، هذا كله والقضاة حضور، وأمراء الدولة ملء الإيوان، ما فيهم من ساعده ولا من أعانه إلا أمير واحد[1].

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢٢/ ٣٣١، ٣٣٢.



صاحب مَراكُش

[١٩٤٢] علي بن يوسف بن تاشفين، أمير المسلمين.

توفي والده سنة خمس مائة، فقام بالملك مكانه، وتلقب بلقبه: «أمير المسلمين» وجرى على سَننه في الجهاد وإخافة العدو.

وكان حسن السيرة جيد الطوية، عادلاً نزهاً، حتى إنه كان يعد من الزهاد المتبتلين، وآثر أهل العلم حتى إنه لا يقطع أمراً إلا بمشاورة العلماء، أربعة من الفقهاء.

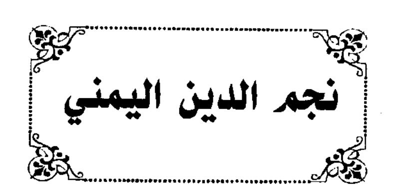
ونفقت في زمانه كتب مذهب مالك وطرح ما وراءها، حتى نسي العلماء النظر في كتب السنن، وقرر الفقهاء عنده تقبيح علم الكلام، وأمر بإحراق كتب الغزالي -لما دخلت الغرب-.

وطالت أيامه إلى أن التقى عسكر بَلَنْسية مع العدو، فهزموا المسلمين، وقتلوا من المرابطين خلقاً كثيراً، واختلت بعدها حاله، وظهرت منكرات كثيرة في بلاده، واستولى أمراء المرابطين على البلاد، وادعوا الاستبداد وصار كل واحد يجهر بأنه أمير المسلمين، وخيرٌ من علي بن يوسف بن تاشفين، وأنه أولى منه بالأمر، واستولى النساء على الأحوال، وكل امرأة من كبار البربر تشتمل على الفساق والخمارين واللصوص، وقنع بالاسم والخطبة، وعكف على الصوم وقيام الليل، وتوثب عليه ابن تومرت إلى أن ملك البلاد عبد المؤمن.

وتوفي ابن تاشفين سنة سبع وثلاثين وخمس مائة، وعهد إلى ابنه

تاشفين، فعجز عن الموحدين، وانزوى إلى مدينة وهران، ولما اشتد الحصار خرج راكباً، وساق إلى البحر فاقتحمه وغرق، فيقال: إنهم أخرجوه وصلبوه وأحرقوه.

ودامت دولة بني تاشفين بمراكش بضعاً وسبعين سنة، وانقطعت الدعوة لبني العباس بموت علي(١).



نجم الدين اليمني

عمارة بن علي بن زيدان الفقيه، أبو محمد الحكمي المذحجي اليمني، نجم الدين الشافعي الفرضي، الشاعر المشهور.

تفقه بزبيد مدة أربع سنين في المدرسة، وحج سنة تسع وأربعين وخمس مائة.

ومولده سنة خمس عشرة وخمس مائة.

صلب سنة تسع وستين وخمس مائة.

سيره صاحب مكة: قاسم بن هاشم بن فَلِيتة رسولاً إلى الفائز -خليفة مصر- فامتدحه بقصيدته الميمية فوصله ثم رده إلى مكة، وعاد إلى زبيد، ثم حج فأعاده صاحب مكة في الرُّسلية فاستوطن مصر.

[١٩٤٣] وكان شافعيّاً، شديد التعصب للسنة، أديباً ماهراً، ولم يزل ماشي الحال في دولة المصريين إلى أن ملك صلاح الدين، فمدحه كثيراً

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢٢/ ٣٤١، ٣٤٢.

ومدح الفاضل كثيراً، ثم إنه شرع في أمور وأخذ في اتفاق مع رؤساء البلد في التعصب للعبيديين، وإعادة أمرهم، فنقل أمرهم -وكانوا ثمانية من الأعيان- فأمر صلاح الدين بشنقهم في شهر رمضان، ونسب إليه بيت أظنه من وضع أعاديه عليه؛ فإني أحاشيه من قول مثل هذا، والله أعلم وهو [من البسيط]:

وكان مبدأ هذا الدين من رجل سعى فأصبح يدعى سيد الأمم

فأفتى الفقهاء بقتله.

[١٩٤٤] ويقال: إن السلطان صلاح الدين لما استشار الفاضل في أمر عمارة قال: نسجنه، فقال: يُرجى خلاصه.

فقال: نضربه عقوبة.

فقال: الكلب يضرب فيسكت، ثم ينبح.

فقال: نشنقه، فقال: الملوك إذا أرادوا شيئاً فعلوه، ونهض قائماً فعلم السلطان أن هذا هو الرأي.

وقيل:

أُحضر عمارة فأخذ الفاضل في تلطيف أمره مع السلطان بينه وبينه[1] فقال عمارة: بالله يا مولانا: لا تسمع منه ما يقوله في، فقال السلطان: نعم، والله أعلم بأمر الفاضل وأمر عمارة -رحمه الله تعالى- ثم إنه رسم فيه بما رسم، فقال عمارة للموكلين به: بالله مروا بي على باب القاضي الفاضل لعله يرق لي، فمروا به، وكان الفاضل جالساً على باب داره، فلما رآه مقبلاً دخل وأغلق الباب، فقال عمارة [من

---

(١) هذا الخبر متناقض مع الخبر الفائت ولعل هذا كان أولاً.

مجزوء الكامل]:

عبــد الــرحيم قــد احتجــب   إن الخــلاص مــن العجــب

[١٩٤٥] ويقـال: إنـه مـر قبـل كائنتـه بيـومين أو ثلاثـة، فـرأى بـين القصرين مصلوباً فقال [من الوافر]:

ومَـدّ علـى صـليب الصـلب منـه   يمينـاً لا تطـول إلى شمـال
ونكّـس رأسـه لعتـاب قلـب   دعـاه إلى الغوايـة والضـلال

[١٩٤٦] وقال بعضهم:

عبرت بين القصرين، وأنا عائد من دار السلطان صلاح الـدين عشـية النهار الذي شنق فيه عمارة اليمني، فشاهدته هناك مشنوقاً فـذكرت أبياتـاً له عملها في الصالح[1] وهي [من البسيط]:

إذا قـدرت علـى العليـاء بالغَلـبِ   فلا تعرج على سـعي ولا طلـب
ولا تَـرِقَّنَّ لـي إنْ كربـةٌ عرضـت   فـإن قلـبي مخلـوق مـن الكُـرَب
واستخبر الهول كم آنستُ وحشـته   وكم وهبتُ له روحـي ولم أهِـب

[١٩٤٧] ومن شعر عمارة أيضاً [من الخفيف]:

أيهـا النـاس والخطـاب إلى مـن   هـو مـن حيـث فضـله إنسـان
هـذه خطبـة إلى غـير شـخص   نظمـت نثـر عقـدها الأوزان
لم أخصـص بهـا فلانـاً لأنـي   في زمـان مـا في بنيـه فـلان
مـن يكـن عنـده مزيـة فهـم   فلـيكن سـامعاً فعنـدي لسـان

---

(١) وهو الصالح رُزِّيك، كان وزيراً بمصر عند العبيديين.

لم يميز بين البرية إلا حسنات يَزِينها الإحسان
والخطايا مستورة بالعطايا كم جميلٍ به المساوي تُصان
لا يغرنكم زيادة حال فالزيادات بعدها نقصان
وإذا الدوح لم يُظِلَّ من الشمـ ـس فلا أورقت له أغصان
وأحق الأنام بالذم جيل بين أبنائه كريم يهان
طرق الجود غير ما نحن فيه قد سمعنا الدعوى فأين البيان
أصبح الجود قصة عند قوم مستحيل في حقها الإمكان
وعُدمنا نشراً يدل عليه إنما النار حيث نمَّ الدخان
كَذَّبوني بواحدٍ يهب الألـ ـف وأنى من السَّماع العِيَان؟

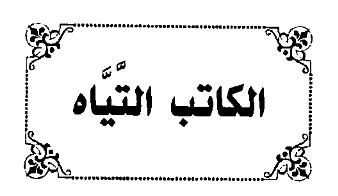
[١٩٤٨] ومنه [من الطويل]:

إذا كان عمري رأس مالي فما دعاني إلى تبذيره في التعلل؟
وهل لي وقد شارفت ستين حجة سوى شرف آتيه أو تُرْبِ جَنْدَل؟
ولا خير في وِرْد الزلال على الظما إذا لم يكن نهر المجرة جدولي

[١٩٤٩] ونظم الشيخ تاج الدين اليمني في عمارة اليمني [من الطويل]:

عُمارة في الإسلام أبدى جناية وبايع فيها بيعة وصليبا
وكان خبيث الملتقى إن عجمته تجد منه عوداً في النفاق صليبا
وأمسى شريك الشرك في بغض أحمد فأصبح في حب الصليب صليبا
سيلقى غداً ما كان يسعى لأجله ويُسقى صديداً في لظى وصليبا

الصليب: وَدَكُ العظام، وقيل: هو الصديد(١).



الكاتب التَّيَّاه

عُمارة بن حمزة الكاتب، من ولد عكرمة مولى ابن عباس.

توفي في حدود الثمانين والمائة(٢).

وكان أعور ذميماً إلا أنه كان بليغاً كاتباً، صدراً معظماً، تياهاً، جواداً ممدحاً شاعراً.

ولي عدة ولايات، وكان المنصور والمهدي يعظمانه، ويحتملان أخلاقه؛ لفضله وبلاغته وكفايته ووجوب حقه، جمع له بين ولاية البصرة وفارس والأهواز واليمامة والبحرين والعارض.

[١٩٥٠] أراد أبو جعفر المنصور يوماً أن يعبث به، فأمر بعض خدمه أن يعبث به ويقطع حمائل سيفه؛ لينظر أيأخذه أم لا، ففعل به ذلك، وسقط السيف، فمضى عمارة، ولم يلتفت.

[١٩٥١] وكان من تيهه إذا أخطأ يمضي على خطئه، ويتكبر عن الرجوع، ويقول: نقض وإبرام في ساعة واحدة!! الخطأ أهون من هذا.

[١٩٥٢] وكان يوماً يمشي مع المهدي في أيام المنصور ويده في يده، فقال له رجل: من هذا أيها الأمير؟ فقال: أخي وابن عمي: عمارة بن

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢٢/ ٣٨٤- ٣٩٦، ولا أظن أن عمارة منافق حاشاه لكنه عظم عليه ذهاب جاهه عند صلاح الدين فصنع ما صنع رحمه الله.

(٢) في النجوم الزاهرة: سنة ١٩٩هـ.

حمزة، فلما ولى الرجل ذكر المهدي ذلك لعمارة كالمازح، فقال عمارة: انتظرت أن تقول مولاي فأنفض -والله- يدي من يدك، فضحك المهدي.

[١٩٥٣] وبلغ موسى الهادي حال بنتٍ جميلة لعمارة، فراسلها، فقالت لأبيها، فقال: قولي له ليأتي إليك، وضعيه في موضع يخفي أثره، فأرسلت إليه فحضر إليها فأدخلته حجرة له قد أعدت بالفرش الجميل، فلما صار فيها دخل إليه عمارة فقال:

السلام عليك أيها الأمير، ماذا تصنع هاهنا؟ أتخذناك ولي عهد فينا أو فحلاً لنسائنا؟ ثم أمر به فبطح مكانه وضربه عشرين دِرَّة[1] خفيفة، ورده إلى منزله، فحقدها عليه الهادي، فلما ولي الخلافة دس عليه رجلاً يدعي عليه أنه غصبه الضيعة الفلانية بالكوفة، وكان قيمتها ألف ألف درهم، فبينا الهادي ذات يوم جالس للمظالم وعمارة بحضرته، إذ وثب الرجل وتظلم منه، فقال له الهادي:

قم واجلس مع خصمك، وأراد إهانته.

فقال: إن كانت الضيعة لي فهي له، ولا أساوي هذا النذل في المجلس، ثم قام وانصرف مغضباً.

[١٩٥٤] وكرهه أهل البصرة لتيهه وعجبه، فرفع أهل البصرة إلى المهدي أنه اختان مالاً كثيراً فسأله المهدي عن ذلك، فقال: والله يا أمير المؤمنين لو كانت هذه الأموال التي يذكرونها في جانب بيتي ما نظرت إليها، فقال المهدي: صدقت، ولم يراجعه فيها.

[١٩٥٥] وكان الفضل بن يحيى بن برمك شديد الكبر، عظيم التيه،

---

(١) أي عصا.

فعوتب على ذلك فقال: هيهات هذا شيء حملت عليه نفسي لما رأيته من عمارة بن حمزة؛ فإن أبي كان يضمن فارس من المهدي، فحل عليه ألف ألف درهم، فأمر المهدي أبا عون عبد الله بن يزيد بمطالبته، وقال له:

إن أدى إليك المال قبل أن تغرب الشمس من يومنا هذا، وإلا فأتني برأسه، وكان متغضباً عليه، وكانت حيلته لا تبلغ عشر المال، فقال:

يا بني إن كانت لنا حيلة فليس إلا من قبل عمارة بن حمزة، وإلا فأنا هالك، فامض إليه فمضيت إليه فلم يعرني الطرف، ثم تقدم بحمل المال فحمل إلينا، فلما مضى شهران جمعنا المال، فقال أبي:

امض إلى الشريف الحر الكريم، فأد إليه ماله، فلما عرفته الخبر غضب وقال: ويحك أكنت قَسْطاراً[١] لأبيك؟

فقلت: لا، ولكنك أحييته ومننت عليه، وهذا المال وقد استغنى عنه فقال: هو لك، فعدت إلى أبي، فقال: لا، والله ما تطيب به نفسي لك، ولكن لك منه مئتا ألف درهم فتشبهت به، حتى صار خُلقاً لا أستطيع مفارقته.

[١٩٥٦] وبعث أبو أيوب المكي بعض ولده إلى عمارة، فأدخله الحاجب، قال: وأدناني إلى ستر مسبل، فقال: ادخل، فدخلت، فإذا هو مضطجع محول وجهه إلى الحائط، فقال الحاجب:

سلم، فسلمت، فلم يرد علي، فقال الحاجب: اذكر حاجتك، فقلت: جعلني الله فداءك، أخوك أبو أيوب يقرئك السلام، ويذكر دَيناً بهظه[٢] وستر وجهه[٣]، ويقول لك: لولاه لكنت مكان رسولي، تسأل أمير

---

(١) القسطار: نقاد للدراهم.

(٢) أي ثقل عليه وغلبه.

(٣) أي لا يستطيع أن يظهر للناس بسبب الدين.

المؤمنين قضاءه عني.

فقال: وكم دين أبيك؟

فقلت: ثلاثة مائة ألف درهم، فقال: أَوَفي مثل هذا أكلم أمير المؤمنين؟ يا غلام: احملها معه، ولم يلتفت إلي ولم يكلمني بغير هذا.

[١٩٥٧] وقال الفضل بن الربيع:

كان أبي يأمرني بملازمة عمارة بن حمزة، فاعتل عمارة - وكان المهدي سيء الرأي فيه - فقال أبي يوماً: يا أمير المؤمنين مولاك عمارة بن حمزة عليل، وقد أفضى إلى بيع فرشه وكسوته، فقال: غفلنا عنه، وما كنت أظن حاله بلغت إلى هذا، احمل إليه خمس مائة ألف درهم، وأعلمه أن له عندي بعدها ما يحب، قال: فحملها أبي إليه من ساعته، وقال لي: اذهب بها إلى عمك عمارة، قال: فأتيته، ووجهه إلى الحائط، فسلمت فقال:

من أنت؟

قلت: ابن أخيك، الفضل بن الربيع.

فقال: مرحباً بك.

فقلت له: أخوك يقرئك السلام ويقول لك: أذكرت أمير المؤمنين أمرك، فاعتذر من غفلته عنك، وأمر لك بهذا المال.

فقال لي: قد كان طال لزومك لنا، وكنا نحب أن نكافئك على ذلك، ولم يمكنا قبل هذا الوقت، انصرف بالمال، فهو لك.

قال: فهبته أن أرد عليه، فتركت البغال على بابه، وانصرفت إلى أبي وأعلمته الخبر، قال: يا بني: خذها بارك الله لك فيها، فليس عمارة ممن يراجع.

[١٩٥٨] ودخل عمارة يوماً على المهدي فأعظمه، فلما قام قال له رجل من أهل المدينة من القرشيين: يا أمير المؤمنين، من هذا الرجل الذي أعظمته هذا الإعظام كله؟

فقال له: هذا عمارة بن حمزة مولاي.

فسمع عمارة كلام المهدي، فرجع إليه، وقال: يا أمير المؤمنين، جعلتني كبعض خبازيك وفراشيك، ألا قلت: هذا عمارة بن حمزة بن ميمون مولى عبد الله بن عباس ليعرف الناس مكاني منك.

[١٩٥٩] وأخرجت إليه يوماً أم سلمة عقداً له قيمة جليلة، وقالت للخادم: أعلمه أني أهديته إليه، فأخذه بيده وشكر أبا العباس، ووضعه بين يديه ونهض، فقالت أم سلمة لأبي العباس: إنما أُنسيَه، فقال أبو العباس للخادم: ألحقه به وقل له: هذا لك، فلِمَ خلفته؟

فلما لحقه قال: ما هو لي فاردده، فقال: إنما هو لك، فقال: إن كنت صادقاً فهو لك، فانصرف الخادم بالعقد، فاشترته أم سلمة من الخادم بعشرين ألف دينار.

وأخباره في الكرم المفرد والتيه الزائد كثيرة، وهذا أنموذج منها.

وله تصانيف منها: كتاب «رسالة الخميس» التي تقرأ على بني العباس، كتاب «رسائله المجموعة»، كتاب «الرسالة الماهانية» معدودة في كتب الفصاحة الجيدة.

[١٩٦٠] ومن شعر عمارة بن حمزة [من الكامل]:

لا تشكون دهراً صَحِحْتَ به   إن الغنى في صحة الجسم

هبــك الإمــام أكنــت منتفعــاً   بغضــارة الــدنيا مــع السُّــقْم؟[1]



القاضي العدوي البصري

عمر بن حبيب القاضي الحنفي العـدوي البصـري، صـدوق صـحيح النقل.

توفي بالبصرة سنة سبع ومائتين، وروى له ابن ماجه.

ولي ببغداد قضاء الشرقية وقضاء البصرة.

[١٩٦١] قيل: إنه حضر مجلس الرشـيد، فجـرت مسـألة نـازع فيهـا الخصوم واحتج بعضهم بحديث أبي هريرة، فرد بعضهم الحـديث، وقـال: أبـو هريـرة مـتهم في روايتـه وصـرحوا بكذبـه، ومـال الرشـيد إلى قـولهم ونصره، قال: فقلت أنا:

الحديث صحيح عن رسول الله ﷺ وأبو هريرة صـدوق فيمـا يرويـه، فنظر إلي الرشيد نظر مغضب فقمت، وما بلغت باب المنزل حتـى طلـبني فدخلت عليه، والسيف بيده، وبين يديه النطع، فلما رآني، قال:

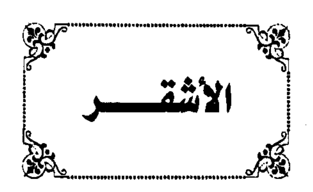
يا ابن حبيب، ما لقيني أحد بالرد بمثل ما لقيتني به.

فقلت: إن الذي قلته وجادلت فيه فيه إزراء على رسول الله ﷺ وعلى ما جاء به؛ إذا كان أصحابه كذابين فالشريعة باطلـة، والأحكـام والحـدود مردودة، قال: فرجع إلى نفسه، وفكر، وقال: أحييتني أحيـاك الله، ورددهـا

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢٢/ ٣٩٩- ٤٠٣.

ثلاثاً، وأمر لي بعشرة آلاف درهم[١].



الأشقر

عمر بن الحاكم أبي سعد الفقيه، أبو عبد الرحمن، المعروف بالأشقر، هو من شعراء «دمية القصر».

قال الباخرزي:

مقطَّعاته حلوة كالشهد، وإن كانت مقصورة على مرٍّ الزهد فمنها قوله [من الكامل]:

[١٩٦٢] عجباً لقوم يعجبون برأيهم ... وأرى بعقلهم الضعيف قصورا

هدموا قصورهمُ بدار بقائهم ... وبنوا لعمرهمُ القصير قصورا

[١٩٦٣] وقوله: [من البسيط]:

عمري قصير وما قدمت من عمل ... لله ذاك ولمّا أَقْضِ من وَطَر

وأتعبتني دنيا ما لها خطر ... يظل من حرصها ديني على خطر

[١٩٦٤] وقوله [من البسيط]:

المرء يسعى لدنياه ويزجره ... سوط الزمان ويدنيه من الأجل

وليس يسعى لما فيه النجاة له ... كأنه آمن فيها من الوجل

[١٩٦٥] وقوله [من الطويل]:

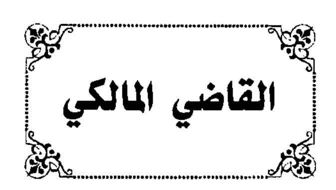
---

(١) الوافي بالوفيات: ٢٢/ ٤٤٧، ٤٤٨.

إلهــيَ حاجــاتي إليــك كــثيرة وأنــت بحــالي عــالم وخــبير

وأنــت رحــيم بالبريــة فاقضــها جميعــاً وذا ســهل عليــك يســير

ذنــوبي ذنــوبي حــط عــني ثقلــها فقد أثقلت ظهري وأنت غفور(1)



القاضي المالكي

عمر بن محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم، أبو الحسين، القاضي الأزدي المالكي.

ناب عن أبيه وهو ابن عشرين سنة، ثم توفي أبوه فأقام على القضاء لآخر عمره.

وكان حافظاً لكتاب الله، عارفاً بفنون العلوم والفرائض، والحساب واللغة، والنحو والشعر والحديث، صنف المسند، وغيره.

وكان عدد شهوده: ألف وثمانمائة، ليس منهم إلا من شهد بفضل أو دين، أو مال، أو شرف.

[١٩٦٦] وكان كريم النفس، شريف الأخلاق، وكان أبوه يقول: ما زلت مروعاً من مسألة تجيئني من السلطان حتى نشأ أبو الحسين.

[١٩٦٧] قال المعافى بين زكريا:

كنت أحضر مجلس أبي الحسين بن أبي عمر النظر، فحضرت يوماً أنا وجماعة من أهل العلم، في الموضع الذي جرت العادة بجلوسنا فيه ننتظره

(١) الوافي بالوفيات: ٢٢/ ٤٨٢، ٤٨٣.

حتى يخرج، فدخل أعرابي لعل له حاجة إليه، فجلس بقربنا فجاء غراب فقعد على نخلة في الدار، وصاح ثم طار، فقال الأعرابي: هذا الغراب يقول: إن صاحب هذه الدار يموت بعد سبعة أيام، فصحنا عليه، وزبرناه، فقام وانصرف.

واحتبس خروج القاضي أبي الحسين، وإذا قد خرج إلينا غلام وقال: القاضي يستدعيكم، فقمنا ووصلنا إليه، فإذا هو متغير اللون، منكس البال، مغتم، فقال: أحدثكم بشيء قد شغل قلبي، رأيت البارحة في المنام شخصاً وهو يقول:

منازل آل حماد بن زيد على أهليك والنعم السلام

وقد ضاق لذلك صدري، قال: فدعونا له، وانصرفنا.

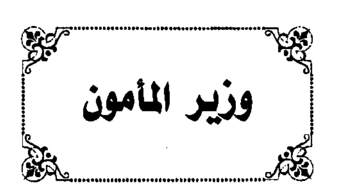
[١٩٦٨] فلما كان اليوم السابع من ذلك الشهر دفن -رحمه الله- لثلاث عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، وصلى عليه ابنه أبو نضر، ودفن إلى جانب أبيه في دار إلى جانب داره، وتوفي ابن أربع وثلاثين سنة، وبلغ من العلوم مبلغاً عظيماً، ووجد عليه الراضي وجداً شديداً حتى إنه كان يبكي ويقول: كنت أضيق بالشيء ذرعاً، فيوسعه عليَّ القاضي أبو الحسين، والله لا بقيت بعده.

ولما توفي -رحمه الله- خلع الراضي على ولده أبي نضر يوسف بن عمر بن محمد، وقلده الحضرة بأسرها وبعض السواد[١]، وخلع على أخيه أبي محمد الحسين بن عمر، وولاه أكثر السواد، ثم صرف الراضي أبا نصر عن مدينة المنصحر بأخيه الحسين سنة تسع وعشرين وثلاثمائة،

---

(١) السواد: ريف العراق، وقيل: ريف الكوفة خاصة.

وأقره على الجانب الشرقي[1].



وزير المأمون

عمرو بن مسعدة بن سعيد أبو الفضل الكاتب، أحد وزراء المأمون، قال الخطيب: هو ابن عم إبراهيم بن العباس الصولي الشاعر.

[١٩٦٩] كان كاتباً بليغاً جزل العبارة، وجيزها، سديد المقاصد، وكان المأمون قد أمره أن يكتب لشخص كتاباً إلى بعض العمال بالوصية عليه، والاعتناء بأمره فكتب إليه:

«كتابي إليك كتاب واثق بمن كتبت إليه، معنيٍّ بمن كتبت له، ولن يضيع بين الثقة والعناية موصله، والسلام».

[١٩٧٠] وقال:

كنت أوقع بين يدي جعفر البرمكي، فرفع إليه غلمانه ورقة يستزيدونه في رواتبهم، فرمى بها إلي، وقال: أجب عنها، فكتبت عليها: «قليل دائم خير من كثير منقطع» فضرب على ظهري بيده، وقال: أي وزير في جلدك؟!

[١٩٧١] وتوفي سنة سبع عشرة ومائتين، ولما مات رفعت رقعة إلى المأمون أنه خلف ثمانين ألف دينار، وقيل: ثمانين ألف ألف درهم، فوقع في ظهرها: «هذا قليل لمن اتصل بنا، وطالت خدمته لنا، فبارك الله لولده فيما خلف، وأحسن لهم النظر فيما ترك».

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢٣/ ١٦- ١٨.

[١٩٧٢] وفيه قال محمد البيدق وقد اعتل:

قالوا أبو الفضل معتل فقلت لهم ... نفسي الفداء له من كل محذور

يا ليت علته بي غير أن له ... أجر العليل وأني غير مأجور

[١٩٧٣] وكتب إلى المأمون:

«كتابي إلى أمير المؤمنين، ومن قبلي من قواده، وسائر أجناده في الانقياد والطاعة على أحسن ما تكون عليه طاعة جند، تأخرت أرزاقهم، وانقياد كفاة تراخت أعطياتهم، واختلت لذلك أحوالهم، والتاثت معه أمورهم»، فأعجب المأمون ذلك، وأمر للجند الذين قبله بعطائهم سبعة أشهر.

[١٩٧٤] وحصل لإبراهيم الصولي ضائقة بسبب البطالة في بعض الأوقات، فبعث إليه عمرو مالاً فكتب إليه إبراهيم:

سأشكر عمراً ما تراخت منيتي ... أيادي لم تُمْنَنْ وإن هي قلت[١]

فتى غير محجوب الندى عن صديقه ... ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت

رأى خَلّتي من حيث يخفى مكانها ... فكانت قذى عينيه حتى تجلت[٢]

[١٩٧٥] وكتب إلى بعض الرؤساء وقد تزوجت أمه فساءه ذلك:

«الحمد لله الذي كشف عنا ستر الحيرة، وجدع بما شرع من الحلال أنف الغيرة، ومنع من عضل الأمهات، كما منع من وأد البنات، استنزالاً للنفوس الأبية، عن الحمية الجاهلية، ثم عرض لجزيل الأجر من استسلم

---

(١) الأيادي: النعم.

(٢) الخلة :الفقر.

لواقع قضائه، وعوض جليل القدر من صبر على نازل بلائه، وهناك الذي شرح للتقوى صدرك، ووسع للبلوى صبرك، وألهمك من التسليم لمشيئته، والرضا بقضيته، وما وفقك له من قضاء الواجب في أحد أبويك، ومن عظم حقه عليك، وجعل تعالى جده ما تجرعته من أَنَف، وكظمته من أسف، معدوداً فيما يعظم به أجرك، ويجزل عليك ذخرك، وقرن بالحاضر من امتعاضك بفعلها، المنتظر من ارتماضك بدفنها، فتستوفي بها المصيبة، وتستكمل عنها المثوبة، فوصل الله لسيدي ما استشعره من الصبر على عرسها، ما يستكسبه من الصبر على نفسها، وعوضه من أسرَّة فرشها، أعواد نعشها، وجعل -تعالى جده- ما ينعم به عليه بعدها من نعمة، معرى من نقمة، وما يوليه بعد قبضها من منحة، مبرأ من محنة، فأحكام الله- تعالى جده- جارية على غير مراد المخلوقين؛ لكنه تعالى يختار لعباده المؤمنين، ما هو خير لهم في العاجلة، وأبقى لهم في الآجلة، اختار الله لك في قبضها إليه، وقدومها عليه، ما هو أنفع لها وأولى بها، وجعل القبر كفؤاً لها والسلام».

[١٩٧٦] وقيل: إن هذه الرسالة لأبي الفضل بن العميد، وأورد ابن خلكان بعد هذه الرسالة قول الصاحب بن عباد:

عذلتُ لتزويجه أمه ... فقال: فعلت حلالاً يجوز[١]

فقلت: صدقتَ حلالاً فعلتَ ... ولكن سمحتَ بصدع العجوز

[١٩٧٧] وللعلامة شهاب الدين أبي الثناء محمود كتاب عمله في هذا المعنى تجربة للخاطر قرأته عليه، وهو:

---

(١) العذل: اللوم.

هذه المكاتبة إلى فلان، جعله الله ممن يؤثر دينه على الهوى، وينوي بأفعاله الوقوف مع أحكام الله، وإنما لامرئ ما نوى، ويعلم أن الخير والخيرة فيما نشره الله من سنة نبيه ﷺ، وأن الشر والمكروه فيما طوى، تعرض له بأمر لا حرج عليه في الإجابة إليه، ولا خلل يلحقه به في المروءة، وهل أخل بالمروءة من فعل ما حضَّ الشرع المطهر عليه، وأظهر الناس مروءة من أبلغ النفس في مصالح حرمه وعذرها، وفي حقوق أخصهن بسره كلما علم أن فيه برها، وإذا كانت المرأة عورة فإن كمال صونها بما جعل الله -تعالى- فيه سترها، وصلاح حالها فيما أصلح الله به في الحياة أمرها، وإذا كانت النساء شقائق الرجال في باطن أمر البرية وظاهره، وكان الأولى تعجيل أسباب العصمة، فلا فرق بين أول الاحتياج في ذلك وآخره، وما جدع الحلال أنف الغيرة إلا ليزول شمم الحمية، وتنزل على حكم الله فيما شرع لعبيده النفوس الأبية، ويعلم أن الفضل في الانقياد لأمر الله في نهي عن الهوى بعضل الولية، وإذا كان بر الوالدة أتم، وحقها أعم، والنظر في صلاح حالها أهم، تعينت الإجابة إلى ما يصلح به حالها، ويسكن إليه بالها، ويتوخى مالها، ويعمر به فناؤها، ويحصل عن تقلد المنن استغناؤها، وتحمل به كلفة خدمتها عنها، وترفع به ضرورات لابد لذي الحجال والحجاب منها، ويضفو ستر الإحصان والحصانة عليها، ويظهر به ستر ما أوجبه الله لها، من تتبع مواقع الإحسان إليها، وقد تقدم من سادات السلف من تولى ذلك لأمه بنفسه، واعتده من أسباب بر يومه الذي قابل به ما أسلفته إليه في أمسه، علماً منهم أن استكمال البر مما يعلي قدر المرء ويغلي.

[١٩٧٨] وقد أجاب زين العابدين هشاماً لما سأله: لم تزوجت أمك بعد أبيك؟

فقال: لتبشر بآخر مثلي.

لاسيما والراغب إلى المولى في ذلك ممن يرغب في قربه، ويغبط على ما لديه من نعم ربه، ويعظم لاجتماع دينه، ويكرم ليمن نقيبته، وجود يمينه، ويعلم أن العقيلة تحل منهم في أمنع حرم، و تستظل من ذراه بأضفى ستور الكرم[1].



أبو المنهال الخزاعي

عوف بن محلم الخزاعي أبو المنهال، أحد العلماء الأدباء، الرواة الفهماء، الندماء الظرفاء، الشعراء الفصحاء.

كان صاحب أخبار ونوادر ومعرفة بأيام الناس، واختصه طاهر بن الحسين بن مصعب لمنادمته ومسامرته، فلا يسافر إلا وهو معه، فيكون زميله وعديله ويعجب به.

[١٩٧٩] قال محمد بن داود:

إن سبب اتصاله بطاهر أنه نادى على الجسر أيام الفتنة ببغداد بهذه الأبيات، وطاهر منحدر في حُرّاقة[2] له بدجلة، فأدخله وأنشده إياها، وهي:

عجبت لحُرّاقة ابن الحسيـ ... ـن كيف تعوم ولا تغرق

وبحران من تحتها واحد ... وآخر من فوقها مطبق

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢٣/ ٧٧- ٨٠.

(٢) أي سفينة.

وأعجب من ذاك عيدانها وقد مَسّها كيف لا تورق

[١٩٨٠] أصله من حران وبقي مع طاهر ثلاثين سنة لا يفارقه، كلما استأذنه في الانصراف إلى أهله ووطنه لا يأذن له، فلما مات طاهر ظن أنه قد تخلص، وأنه يلحق بأهله، فقربه عبد الله بن طاهر، وأنزله منزلته من أبيه، وأفضل عليه حتى كثر ماله وحسنت حاله، وتلطف بجهده أن يأذن له بالعود، فاتفق أن خرج عبد الله من بغداد إلى خراسان فجعل عوفاً عديله، فلما شارف الري سمع صوت عندليب يغرد بأحسن تغريد، فأعجب ذلك عبد الله والتفت إلى عوف وقال: يا ابن محلم، هل سمعت بأشجى من هذا؟

فقال: لا والله.

فقال عبد الله: قاتل الله أبا كبير حيث يقول:

ألا ياحمام الأيك إلفُك حاضر وغصنك مياد ففيم تنوح؟

أفق لا تنح من غير شيء فإنني بكيت زماناً والفؤاد صحيح

ولوعاً فشطَّت غربةً دار زينب فها أنا أبكي والفؤاد قريح

فقال عوف: أحسن والله أبو كبير وأجاد، إنه كان في الهذليين مائة وثلاثون شاعراً ما فيهم إلا مفلق، وما كان فيهم مثل أبي كبير، وأخذ يصفه، فقال له عبد الله: أقسمت عليك إلا أجزت قوله، فقال: قد كبر سني، وفني ذهني، وأنكرت كل ما كنت أعرفه.

فقال عبد الله: بحق طاهر إلا فعلت.

[١٩٨١] فابتدر عوف وقال:

أفي كـل عـام غربـة ونـزوح | أمـا للنـوى مـن وَنيـةٍ فتريـح[1]
لقـد طَلَّـح الـبينُ المشـت ركـائبي | فهل أَرَيَـنَّ الـبين وهـو طليـح[2]
وأَرّقـني بـالري نـوح حمامـة | فنُحت وذو البَثِّ الغريـبُ ينـوح[3]
علـى أنهـا ناحـت ولم تُـذْرِ دمعـة | ونُحت وأسراب الدموع سـفوح
وناحـت وفرخاهـا بحيـث تراهمـا | ومن دون أفراخي مهامه فِـيْحُ[4]
ألا يا حمام الأيـك إلفـك حاضـر | وغصـنك ميـاد ففـيم تنـوح؟
عسى جود عبد الله أن يعكس النوى | فيلقي عصا التطواف وهي طريح
فإن الغنى يُدني الفتى من صـديقه | وعُـدْمُ الفتـى بالمعسرين طَـروح

فاستعبر عبد الله ورق له وجرت دموعه، وقال لـه: والله إنـي لضـنين بمفارقتك، شحيح على الفائت من محاضرتك، ولكن والله لا أعملت معي خفاً ولا حافراً إلا راجعاً إلى أهلك، وأمر له بـثلاثين ألـف درهـم، فقـال عوف:

يـا ابـن الـذي دان لـه المشـرقان | وأُلـبس الأمـن بـه المغربـان
إن الثمـانين وبُلِّغْتُهـا | قد أحوجـت سمعـي إلى ترجمـان
وقاربـت مـني خطـى لم تكـن | مقاربـاتٍ وثنـت مـن عنـان
فأنشـأت بـيني وبـين الـورى | عنانـة مـن غـير نسـج العنـان

---

(١) النوى: البعد، والونية: الفترة والانقطاع.

(٢) البين: الفراق. والطَلْح: الإعياء من السفر: وانظر ((لسان العرب)): ط ل ح.

(٣) ذو البث: ذو الهم.

(٤) المهامه: الصحاري، والفيح: الواسعة.

ولم تـــــدع فيَّ لمســـــــتمتع   إلا لســـاني وبحســـبي اللســـان

أدعـــو بـــه الله وأثـــني علـــى   صنع الأمـير المصـعبي الهِجـان[1]

وهمـــت بالأوطـــان وجـــداً بهـــا   وبـالغواني أيـن مـني الغـوان؟

فَقَرِّبـــاني بـــأبي أنتمـــا   من وطني قبل اصـفرار البنـان[2]

وسار راجعاً إلى أهله فلـم يصـل إلـيهم، ومـات في حـدود العشـرين ومائتين.

[١٩٨٢] ومن شعر عوف بن محلم:

وكنـت إذا صـحبت رجـال قـوم   صـــحبتهمُ ونـــيتيَ الوفـــاء

فأحسـن حـين يحسـن محسـنوهم   وأجتنــب الإســاءة إن أســاوا

أبصـــر مـــا يـــريبهم بعـــين   عليهـــا مـــن عيـــونهم غطـــاء

[١٩٨٣] و منه:

وصـــــغيرةٍ عُلِّقْتُهَـــــا   كانـــت مـــن الفـــتن الكبـــار

بلـــهاء لم تعـــرف لغِـــرّ   تهـــا يمينـــاً مـــن يســـار

كالبـــــدر إلا أنهـــــا   تُبقـــي علـــى ضـــوء النهـــار[3]

(١) الهِجان: الكريم الحسيب.

(٢) أي حلول الموت.

(٣) الوافي بالوفيات: ٢٣/ ١٠٦- ١٠٩.



عويف الفزاري

عويف القوافي: هو عويف بن معاوية الفزاري، وإنما قيل له عويف القوافي، لبيت قاله وهو:

سَأَكْذِبُ من قد كان يزعم أنني إذا قلت قولاً لا أجيد القوافيا

[١٩٨٤] وكان شاعراً من ساكني الكوفة، وبيته أحد البيوتات الفاخرة في العرب، وأولها بيت آل حذيفة الفزاري، ومنهم: عويف القوافي، وبيت قيس، وبيت آل زرارة الدارمي، وبيت آل ذي الجدين بن عبد الله بن همام، بيت شيبان، وبيت بني الديان من بني الحارث بن كعب؛ بيت اليمن.

[١٩٨٥] فأما كندة فلا يعدون من أهل البيوتات؛ إنما كانوا ملوكاً، فهؤلاء خمسة، قال كسرى للنعمان: هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة؟ فقال: نعم، قال: بأي شيء؟ قال: من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء، ثم اتصل ذلك بكمال الرابع، فالبيت من قبيلته فيه.

[١٩٨٦] وقف عويف على مجلس في مسجد، وفيه جرير بن عبد الله ﷺ فقال:

أصب على بجيلة من شقاها هجائي حين أدركني المشيب

فقال له جرير: ألا أشتري منك أعراض بجيلة؟

قال: بلى.

قال: بكم؟

قال: بألف درهم وبِرْذَوْن[1]، فأمر له بما طلب، فقال:

لـــولا جريـــر هلكـــت بجيلـــه نعـــم الفتـــى وبـــئس القبيلـــة

فقال له جرير: ما أراهم نجوا منك بعد.

[١٩٨٧] ودخل عويف على الوليد، وقد أذن للشعراء، فكان أول من بدر بين يديه عويف، فاستأذنه في الإنشاد فقال:

ما قلت فيّ بعد ما قلت لأخي بني زهرة.

قال: وما قلت له مع ما قلت لأمير المؤمنين.

قال: ألست الذي قال:

يا طلح أنت أخـو النـدى وحليفـه إن الندى من بعد طلحـة ماتـا[2]

إن الثنـــاء إليـــك أطلـــق رحلـــه فبحيـث بـِتّ مـن المنـازل باتـا

أولست الذي يقول:

إذا ما جـاء يومـك يـا ابـن عـوف فلا جادت على الأرض السـماء

ولا ســار العزيــز بغــنم جــيش ولا حملـت علـى الطهـر النسـاء

تساقى الناس بعدك يا ابـن عـوف ذريـع المـوت لـيس لـه شـفاء

والله لا أسمع منك شيئاً، ولا أنفعك بنافعة أبداً، أخرجوه عني.

فقال له القرشيون والشاميون:

وما الذي أعطاك حين استخرج هذا منك؟

(١) دابة كالبغل.

(٢) الندى :الجود.

فقال: لقد أعطاني غيره أكثر من عطيته، ولكن لا والله ما أعطاني أحد قط أحلى في قلبي ولا أبقى شكراً، ولا أجدر ألا أنساها - ما عرفت الصلات - من عطيته، فإني قدمت المدينة ومعي بُضيْعة لي لا تساوي عشرة دنانير، أريد أن أبتاع قعوداً من قعدان الصدقة، فإذا برجل بصحن السوق على طِنْفِسة[1] قد طرحت له، وإذا الناس حوله وإذا بين يديه إبل معقولة، فظننت أنه عامل السوق، فسلمت عليه، فأثبتني، وجهلته، فقلت له:

يرحمك الله، هل أنت معيني ببصرك على قعود من هذه القعدان تبتاعه لي؟

فقال: نعم أو معك ثمنه؟

قلت: نعم وأعطيته بُضَيْعتي، فألقاها تحت الطنفسة ومكث طويلاً، ثم قمت إليه وقلت:

إليَّ -يرحمك الله- انظر في حاجتي.

فقال: ما منعني منك إلا النسيان، أمعك حبل؟

قلت: نعم.

فقال: هكذا، فاخرجوا فخرجوا عنه حتى استقبل الإبل التي بين يديه، فقال:

اقرن هذه وهذه وهذه وأمر لي بثلاثين بكرة، أدنى بكرة منها - ولا دنية فيها - خير من بضاعتي ثم رفع الطِنْفِسة، وقال: شأنك ببضاعتك، فاستعن بها على من ترجع إليه.

---

(١) وسادة.

فقلت: يرحمك الله: أتدري ما تقول؟

فما بقي عنده إلا من نهرني، ثم بعث معي نفراً، فأطردوها حتى أطلعوها من رأس الثنية، فوالله لا أنساه ما دمت حيّاً أبداً.

[١٩٨٨] وسأل عويف في حمالة فمر به عبد الرحمن بن محمد بن مروان-وهو حديث السن- فقال له: لا تسل أحداً وصر إليَّ أكفك، فأتاه فحملها أجمع، فقال يمدحه:

غلام رماه الله بالخير يافعاً ... له سيمياء لا تشق على البصر[1]

كأن الثريا علقت في جبينه ... وفي خده الشِعْرى وفي جيده القمر[2]

ولما رأى المجد استُعيرت ثيابه ... تردّى رداءً واسع الذيل واتزر

إذا قِيلَت العوراء أغضى كأنه ... ذليل بلا ذل ولو شاء لانتصر[3]

رآني فآساني ولو صدَّ لم أَلُم ... على حين لا بادٍ يُرَجّى ولا حضر[4]



أبو القاسم الغزنوي الواعظ

عيسى بن عبد الله بن أبي القاسم، أبو المؤيد الواعظ، الغزنوي الطوسي الأصل.

كان واعظاً فاضلاً، شاعراً، كثير المحفوظ، ذا قبول عظيم، قدم بغداد

---

(١) السيمياء يعني بها السيما والسمت.

(٢) الشعرى: نجم معروف في السماء.

(٣) العوراء : أي الكلمة العوراء ، وهي السيئة.

(٤) الوافي بالوفيات: ٢٣/ ١١٢- ١١٥.

ونزل برباط شيخ الشيوخ، وعقد مجالس الوعظ بجامع القصر، وظهر له من القبول ما لم يكن في حسابه.

توفي بإسفرايين سنة ثمان وتسعين وستمائة.

[١٩٨٩] ومن شعره:

فياليت شعري والأماني خوادع ... وقد هلكت فيها نفوس هوالك

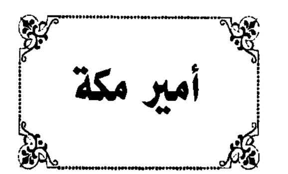
ويا ليت شعري يوم نودي مالك ... أيرحمني مولاي أم أنا هالك

إذا ابيض من قوم وجوه منيرة ... أو اسود من قوم وجوه حوالك

وليس ينجي الظالمين اعتذارهم ... وليس ينجي المالكين الممالك

فكيف فراري من عذاب جهنم ... وكيف وقد ضاقت عليَّ المسالك

وبين يديْ ما أتقيه موانع ... وبين يديْ ما أرتجيه مهالك[١]



أمير مكة

عيسى بن قاسم بن أبي فُلَيْتَة الحسني.

ولي بعد أبيه لما قتله الحشيشية[٢] سنة ست وخمسين وخمسمائة.

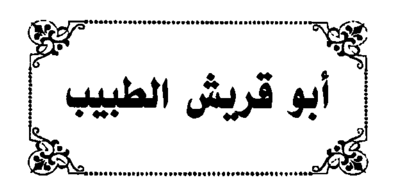
[١٩٩٠] وهذا عيسى من أولاد أمراء مكة، وكان صاحب الكَرَك الفرنجي قد وضع أسطولاً مفصلاً، وحمله على الجمال في البرية وألقاه في بحر الحجاز، ولم يقنع بقطع الحاج المصري في البر حتى تعدى شره إلى

(١) الوافي بالوفيات: ٢٣/ ١٤٨، ١٤٩.

(٢) أي الباطنية.

البحر، فحل بالناس من ذلك شدة، وبلغ عيسى هذا أنـه أقسـم أن ينحـر الحجاج بمنى، ويحرق ما حماه الله منه من الروضة النبوية، فخاطب عيسى في ذلك السلطان صلاح الدين بن أيوب، فكتب إلى أخيه العادل بمصر أن يجهز لهم أسطولاً، فإن ظفر بهم نحرهم عند التربة النبوية، و عند منى كما تنحر البدن، فقدم العادل على الأسطول لؤلـؤاً فظفـر بأسـطول الإفـرنج ونحرهم حيث أمره صلاح الدين، وكان ذلك بإشارة عيسى رحمه الله.

وعزله الإمام الناصر أحمد عن إمارة مكة، وولى أخاه مكثر بن قاسـم سنة ست وثمانين وخمسمائة(١).



أبو قريش الطبيب

عيسى المعروف بأبي قريش البغدادي.

[١٩٩١] كان صيدلانياً يجلس على موضع نحـو بـاب قصـر الخلافـة، وكان ديناً صالحاً في نفسه، وجهت الخيزران بمائهـا مـع جاريـة فـأرته أبـا قريش فقال لها: هـذا مـاء امـرأة حبلـى بغـلام، فرجعـت إليهـا بالبشـارة فقالت: ارجعي إليه واستقصي المسألة عليه، فقالت له ذلك فقال: ما قلتـه حق، ولكن لي عليك البشرى جامة فالوذج وخلعة سنية، فقالت: إن كان هذا حقّاً فقد سقت إلى نفسك خير الدنيا ونعميها وانصرفت.

فلما كان بعد أربعين يومـاً أحسـت الخيـزران بالحمـل فوجهـت إليـه ببدرة دراهم وكتمت الخبر عن المهدي، فلما ولدت موسى قالـت لـه: إن

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢٣/ ١٥٨، ١٥٩.

طبيباً أخبرنا بهذا منذ تسعة أشهر، وبلغ الخبر جورجس بن جبرائيل فقال: كذب ومخرقة، فغضبت له الخيزران وأمرت فاتخذ بين يديها مائة خوان فالوذج، ووجهت بذلك إليه مع مائة ثوب، وفرس بسرجه ولجامه.

وما مضى بعد ذلك بقليل حتى حبلت بأخيه هارون، فقال جرجس للمهدي: جرب أنت هذا الطبيب، فوجه إليه بالماء فقال: هذا ماء أم موسى، وهي حبلى بغلام آخر، فلما وضعت هارون أحضره بين يديه، وأقامه، ولم يزل تطرح عليه الخلع، وبدر الدنانير والدراهم حتى علت رأسه، وكناه أبا قريش.

ولما مات أبو قريش خلف اثنين وعشرين ألف دينار مع النعم السنية[1].



المرادي اليمني

فَروةُ بنُ مُسَيكٍ، وقيل ابنُ مُسَيكة، والأول أكثر، ابن الحارث الغطيفي، ثم المرادي، أصله من اليمن.

قدم على رسول الله ﷺ سنة تسع فأسلم، وقيل: سنة عشر، وانتقل إلى الكوفة زمن عمر رضي الله عنه.

وكان من وجوه قومه وهو شاعر محسن، وأنشد له ابن إسحاق في السير شعراً حسناً.

[١٩٩٢] وهو القائل [من الوافر]:

---

(١) الوافي بالوفيات: ٢٣/ ١٦٢.

إن نَغْلِــبْ فَغَلاَّبــون قِــدْماً وإن نُهــزَمْ فغــيرُ مُهَزَّمينــا

ومــا إن طِبُّنــا جُــبْنٌ ولكــن منايانــا ودولــة آخرينــا[1]

كــذاك الــدهر دُولَتُــه سِــجَالٌ تَكُــرُّ صــروفُهُ حينــاً فحينــا

ومــن يُغــرَرْ بريــبِ الــدهر يومــاً يجِـدْ رَيْـبَ الزمـانِ لـه خؤونـا

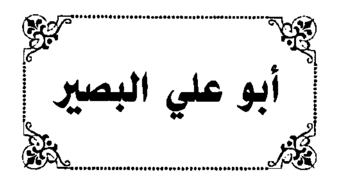
فقــل للشــامتين بنــا أفيقــوا ســيلقى الشــامتون كمــا لَقينــا

وقد تمثل بالثلاثة الأول يزيد بن المهلب لما نظر إلى مسلمة بن عبد الملك وجميع أهل الشام معه. وقيل: إن الحسين- رحمة الله عليه- تمثل بها أيضاً يوم قُتل.

ويُنسب إليه أيضاً ما في الحماسة وهو [من الطويل]:

فلـو أنَّ قَـومِي أَنْطَقَتْنِـي رمـاحُهُمْ نطقـتُ ولكـنَّ الرمـاح أَجـرَّتِ

الأبيات[2].



أبو علي البصير

الفضل بن جعفر بن الفضل، أبو علي النخعي الشاعر المعروف بالبصير: من أهل الكوفة، سكن بغداد.

وكان قدم من سُرَّ مَنْ رَأَى أول خلافة المعتصم، ومدحه ومدح جماعة

(١) الطِبُّ هنا : العلة والسبب ، أي لم يكن سبب قتلنا الجبن وإنما كان ما جرى به القدر من حضور المنية ، وانتقال الحال عنا والدولة، انظر: ((خزانة الأدب)) للبغدادي: ٤/ ١١٢.

(٢) «الوافي بالوفيات» : ٢٤/ ٧- ٨.

من قواده، وكان يتشيَّعُ تشيُّعاً فيه بعض الغلو، وله في ذلك أشعار، وكان أعمى؛ وإنما لقب «البصير» على العادة في التفاؤل. وبقي إلى أيام المعتز.

[١٩٩٣] وهو القائل [من الطويل]:

لَئنْ كان يَهدِيني الغُلامُ لِوُجْهَتي ... ويقتادني في السَّير إذ أنا راكبُ
فقد يَسْتضيءُ القومُ بي في أمورهم ... ويخبو ضياءُ العينِ والرَّأيُ ثاقبُ

[١٩٩٤] ومنه [من البسيط]:

قلتُ لأهلي وَرَامُوا أَن أميرَهُمُ ... بماءِ وجهي ولم أفعلْ ولم أَكَدِ
لا يستوي أن تُهينوني وأكرمَكُمْ ... ولا يقومُ على تقويمكم أَوَدي
فطيّبوا عن رقيقِ العيشِ أنفسَكُمْ ... ولا تمدُّوا إلى أيدي اللئام يدي
تبلّغوا وادفعوا الحاجاتِ ما اندفعتْ ... ولا يكنْ همُّكُمْ في يومكم لِغَد
فَرُبَّ مدَّخِرٍ ما ليس آكِلَهُ ... ومستعدّ ليومٍ ليس في العُدَد
ورُبَّ مجتهدٍ ما ليس بالِغَهُ ... وبالغٍ ما تمنَّى غيرَ مجتهدِ

[١٩٩٥] منه [من الطويل]:

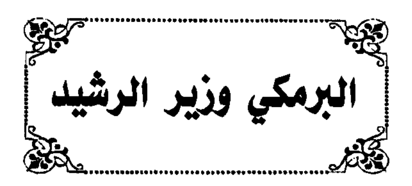
فلا تعتذرْ بالشغلِ عنَّا فإنما ... تُناطُ بك الحاجاتُ ما اتصل الشغلُ

[١٩٩٦] وقال [من الخفيف]:

إنْ أَرُمْ شامخاً من العِزِّ أُدْرِكْـ ... ـهُ بِذَرْعٍ رَحْبٍ وبَاعٍ طويلِ
وإذا نابني من الأمرِ مكرو ... ه تلقَّيتُهُ بصبرٍ جميلِ
ما ذممتُ المقامَ في بلدٍ يو ... ماً فعاتبته بغير الرحيلِ

[١٩٩٧] وتغير عقل أبي علي قبل موته بقليل من سوداء[1] عرضت له، ولم تزل به إلى أن مات، وكان ربما ثاب إليه عقله في بعض الأوقات، وفي ذلك يقول أحمد ابن أبي طاهر [من الوافر]:

خبا مصباحُ عقلِ أبي علي وكانت تستضيءُ به العقولُ
إذا الإنسانُ مات الفهمُ منه فإن الموت بالباقي كفيل[2]



البرمكي وزير الرشيد

الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك، أبو العباس البرمكي أخو جعفر البرمكي.

[١٩٩٨] كان الفضل من أكثرهم كرماً، أكرم من أخيه جعفر، ولكن جعفر أبلغ في الرسائل والكتابة منه، ولاّه الرشيد الوزارة قبل أخيه جعفر فقال يوماً لأبيه يحيى: يا أبت[3] إني أريد الخاتم الذي لأخي الفضل لأخي جعفر، وكانت أم الفضل قد أرضعت الرشيد واسمها زبيدة من مولدات المدينة، والخيزران أم الرشيد قد أرضعت الفضل، فكانا أخوين من الرضاعة، وفي ذلك قال مروان بن أبي حفصة يمدح الفضل [من الطويل]:

كَفَى لك فَضْلاً أنّ أفضلَ حُرّةٍ غَذَتْكَ بثديٍ والخليفةَ واحدِ

(١) السوداء: تغير يصيب العقل وقد يفضي به إلى الجنون.

(٢) «الوافي بالوفيات» : ٢٤/ ٣٢- ٣٤.

(٣) كان الرشيد ينادي يحيى بِيا أبه تكريماً له؛ ولأنه أبوه من الرضاع.

لقد زِنْتَ يحيى في المشاهدِ كلِّها كما زان يحيى خالداً في المشاهدِ

وقال الرشيد ليحيى: وقد احتشمت من الكتابة إلى الفضل في ذلك فاكفينه. فكتب والده إليه: قد أمر أمير المؤمنين بتحويل الخاتم من يمينك إلى شمالك، فكتب الفضل: قد سمعت مقالة أمير المؤمنين في أخي وأبلغت وما انتقلت عني نعمة صارت إليه، ولا غربت عني نعمة طلعت عليه. فقال جعفر: لله أخي! فما أنفَسَ نَفَسَه، وأقوى مُنَّة العقل فيه، وأوسع في البلاغة ذَرْعَه.

[١٩٩٩] وكان الرشيد قد جعل ولده محمداً في حجر الفضل، والمأمون في حجر جعفر، ثم إن الرشيد قلَّد الفضل عملَ خراسان فتوجه إليها وأقام بها مدة، فوصل كتاب صاحب البريد بخراسان إلى الرشيد ويحيى جالسٌ بين يديه، ومضمونه أن الفضل بن يحيى متشاغل بالصيد وإدمانِ اللذات عن النظر في أمور الرعيَّة. فكتب إليه يحيى على ظهر كتاب صاحب البريد: حفظك الله يا بني وأمتع بك، قد انتهى إلى أمير المؤمنين ما أنت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة اللذات عن النظر في أمور الرّعيَّة ما أنكره، فعاوِدْ ما هو أزينُ بك، فإنه من عاد إلى ما يزينه أو يشينه لم يعرفْهُ أهلُ دهره إلَا به.

والرشيد ينظر إلى ما يكتب. فلما فرغ قال: أبلغتَ يا أبت. فلما ورد الكتاب على الفضل، لم يفارق المسجد نهاراً إلى أن انصرف من عمله.

[٢٠٠٠] وكان الفضل لما ورد إلى خراسان دخل إلى بلخ، وهي وطنهم، وبها النُوبَهار، وهو بيت النار التي كانت المجوس تعبدها، وكان جدهم خالد خادمَ ذلك البيت، فأراد الفضل هدم ذلك البيت، فلم يقدرْ عليه لإحكام بنائه، فهدم منه ناحية وبنى فيها مسجداً.

[٢٠٠١] ولما وصل إلى خراسان أزال سيرة الجَور، وبنى المساجد والحياضَ والرُّبُط، وأحرق مراكز البغايا، وزاد الجند، ووصل الزوَّار والقوَّاد والكتَّاب في سنةٍ سبعٍ بعشرة آلاف ألف درهم، واستخلف على عمله، وشخص آخر السنة إلى العراق، فتلقاه الرشيد، وجمع له الناس، وأكرَمه غايةَ الإكرام، وأمر الرشيد الشعراء بمدحه والخطباء بذكرِ فضله، فكثر المادحون له.

[٢٠٠٢] وكان أبو الهول الحميري قد هجا الفضلَ، فرآه راغباً إليه، فقال له: ويلك؛ بأي وجهٍ تلقاني؟

فقال: بالوجه الذي ألقى به ربي عز وجل، وذنوبي إليه أكثر من ذنوبي إليك، فضحك ووصله.

[٢٠٠٣] ومن كلام الفضل: ما سرور الموعود بالفائدة كسروري بالإنجاز.

[٢٠٠٤] ويحكى أنه دخل عليه حاجبه يوماً وقال:

إن بالباب رجلاً يزعم أن له سبباً يَمُتُّ إليك به، فقال: أَدخِلْهُ، فدخل شاب حسن رَثُ الهيئة فسلَّم، فأومأ إليه بالجلوس فجلس، فقال له بعد ساعةٍ:

ما حاجتك؟

فقال: أَعْلَمَتْكَ بها رثاثةُ حالي.

قال: نعم، فما الذي تمت به؟

قال: ولادةٌ تقرُبُ من ولادتك، وجوارٌ يدنو من جوارك، واسمٌ مشتقٌ من اسمك.

فقال: أما الجوار فيمكن، وقد يوافق الاسمُ الاسمَ، ولكن من أعلمك بالولادة؟

قال: أخبرتني أمي أنها لما ولدتني قيل لها: ولد هذه الليلة ليحيى بن خالد غلامٌ وقد سمَّاه الفضل، فسمتني فُضَيْلا إكباراً لاسمك أن تلحقني به، وصغَّرته لقصور قدري عن قدرك، فتبسم الفضل، وقال:

كم أتى عليك من السنين؟

قال: خمس وثلاثون سنة.

قال: صدقت، هذا القدرَ أعدُّ.

قال: فما فعلت أمك؟

قال: ماتت.

قال فما منعك من اللحاق بنا قديماً؟

قال: لم أرض نفسي للقائك لأنها كانت في عاميَّة معها حداثة تقعد بي عن لحاق الملوك، وعلق هذا بقلبي منذ أعوام فشغلتُ نفسي بما يصلح للقائك حتى رضيتُ عن نفسي.

قال: فما تصلحُ له؟

قال: للكبير من الأمر والصغير.

قال: يا غلام، أعطه لكل سنة مضت من سنيِّه ألف درهم، وأعطه عشرة آلاف درهم يتجمَّل بها إلى وقت استعماله، وأعطه مركوباً سريّاً.

[٢٠٠٥] وكان الرشيد قد غضب على العتَّابي، فشفع له الفضل فرضي عنه فقال [من البسيط]:

مـا زلـتُ في غَمَـراتِ المـوتِ مُطَّرِحـاً   يضيقُ عـني وَسيعُ الـرأيِ مـن حِيَلـي

فَلَـم تَـزل دَائِبـاً تَسـعى بلُطفِـك لـي   حتى اختلَست حياتي من يَدَيْ أَجَلـي

[٢٠٠٦] وقال فيه بعض الشعراء [من الخفيف]:

ما لقينا من جود فضل بـن يحيـى   تَـرَكَ النـاسَ كلَّهـم شـعراءَ

[٢٠٠٧] وفي الفضل يقول مروان بن أبي حفصة [من الطويل]:

ألم تـرَ أن الجـود مـن كـفِّ آدم   تحدَّر حتى صار في راحة الفضـلِ

إذا مـا أبـو العبـاس غامـت سمـاؤه   فيا لك من هَطْلٍ ويـا لـك مـن وبـلِ

[٢٠٠٨] وفيه يقول أيضاً [من الطويل]:

إذا أمُّ طفـلٍ راعهـا جـوعُ طفلهـا   غَذَتْهُ بذكرِ الفضـلِ فاستطعم الطفـلُ

ليحيـى بـكَ الإسـلامُ إنـكَ عـزُّه   وإنك مـن قـومٍ صـغيرُهمُ كَهْـل

فوصله بمائة ألف درهم، ووهب له طيفور جاريته كاسيةً حالية، وشيئاً كثيراً من العُروض، فقيل: حصل له سبعمائة ألف درهم.

ولأبي نواس فيه مدائح كثيرة؛ منها قوله [من الطويل]:

طرحتم مـن الترحـال أمـراً فغَمَّنـا   فلو قد رحلتم صبَّح الموتُ بعضنا

[٢٠٠٩] وركب محمدَ بنَ إبراهيمَ الإمامَ دَينٌ، فصار إلى الفضل ومعه حُقٌّ فيه جوهر، فقال له: قصَّرَتْ غلاَّتُنا، وأغفل أمرَنا خليفتنـا، وتزايـدتْ مُؤَننا، ولزمنا دينٌ احتجنـا لأدائـه إلى ألـف ألـف درهـم، وكرهـتُ بَـذْلَ وجهي للتجار، وإذالة عرضي بينهم، فاطلب من شِئت منهم ومُرْه بذلك؛ فإن معي رَهْناً ثِقة بذلك، فدعا الفضلُ بالحُقِّ، ورأى ما فيه، وختمه بخاتم محمد بن إبراهيم، ثم قال له:

نُجْحُ الحاجةِ أن تقيم في منزلنا عندنا اليوم.

فقال: إن في المقام عليّ مشقةً.

فقال له: وما يَشقُّ عليك من ذلك؟ إن رأيت أن تلبس شيئاً من ثيابنا دعوتُ به، وإلا أمرتُ بإحضار ثيابٍ من منزلك، فأقامَ، ونهضَ الفضل فدعَا بوكيله، وأمره بحمل المالِ وتسليمه إلى خادم محمد، وتسليم الحُقِّ الذي فيه الجوهر إلى الغلام بخاتمه، وأخذ خطه بقبض المال، وأقام محمد عنده إلى المغرب وليس عنده شيء من الخبر، وانصرف إلى منزله فرأى المال، وأحضر الخادم الحُقَّ، فغدا على الفضل ليشكره، فوجده قد سبقه بالركوب إلى دار الرشيد، فانصرف إلى مَنزلِهِ، فوجد الفضل قد وجه إليه بألفِ ألفِ درهم أُخَر، فغدا عليه ليشكره، فأعلمه أنه أنهى أمره إلى الرشيد فأمره بالتقدير له، ولم يزل بما كسبه له إلى أن تقرر الأمر له على ألف ألف درهم، وأنه ذكر أنه لم يصِلْك بمثلها قطُّ، ولا زادك على عشرين ألف دينار، فشكرتُه وسألته أن يصُكَّ بها صكّاً بخطه ويجعلني الرسول، فقال محمد:

صدق أمير المؤمنين، إنه لم يصلني قط بأكثر مما ذكر، وهذا إنما تهيأ بك، وعلى يدك وما أقدر على شيء أقضي به حقك، ولا عن شكر ما أؤدي معروفك، غير أن عليَّ وعليَّ أيماناً مُؤكَّدةً إن وقفت بباب أحدٍ سواك، ولا سألتُ غيركَ حاجةً أبداً، ولو استففتُ الترابَ، فكان لا يركبُ إلى غير دار الخليفة ويعود إلى منزله، وعوتب بعد تقضي أيام البرامكة في إتيان الفضل بن الربيع فقال: والله لو عُمِّرت ألف عام، ثم مصصت الثماد[1] ما وقفت بباب أحدٍ بعد الفضل بن يحيى، ولا سألته

(١) أي التراب.

حاجةً أبداً، ولم يزل على ذلك إلى أن مات.

وكانت وِلادة الفضل لسبع بقين من ذي الحجة، سنة تسع وأربعين ومائة، وقيل: سنة ثمان، ووفاته بالسجن سنة ثلاث وتسعين ومائة في المحرم غداة جمعة بالرَّقَّةِ، وقيل: في شهر رمضان، وقال: لما بلغت الرشيد وفاته قال: أمري قريب من أمره، وكذا كان، فإن الرشيد توفي في جمادى الآخرة من هذه السنة، وقيل: في جمادى الأولى.

[٢٠١٠] وكان الرشيد لما قتل أخاه جعفراً قبض على أبيه يحيى وأخيه الفضل وكانا عنده، ثم توجه الرشيد إلى الرقة وهما معه وجميع البرامكة في التوكيل غير يحيى، فلما وصلوا إليها وجَّه الرشيد إلى يحيى: أقم بالرقة، أو حيث شئت، فوجَّه إليه: إني أحب أن أكون مع ولدي، فوجَّه إليه: أترضى بالحبس؟ فقال: نعم، فحبس معه، ووسع عليهما، ثم كانا حيناً يوسع عليهما وحيناً يضيق.

[٢٠١١] ثم إن الرشيد سيَّر مسروراً الخادم إلى السجن، فقال للمتوكل: أخرج الفضل، فأخرجه، فقال له: إن أمير المؤمنين يقول لك: إني أمرتك أن تصدقني عن أموالكم، فزعمت أنك قد فعلت وقد صح عندي أنك قد بقَّيت لك مالاً كثيراً، وقد أمرني إن لم تطلعني على المال أن أضربك مائتي سوط، وأرى لك أن لا تُؤْثِرَ مَالَكَ على نفسك، فقال:

والله ما كذبت قط فيما أخبرت، ولو خيرت بين الخروج من ملك الدنيا وأن أضرب سوطاً واحداً لاخترت الخروج من الدنيا، وأمير المؤمنين يعلم ذلك، وأنت تعلم أنا كُنَّا نصون أعراضنا بأموالنا، فأخرج مسرور أسواطاً كانت معه في منديل، فضربه مائتي سوط، وتولى ضربه الخدم، فضربوه أشد الضرب، وهم لا يحسنون الضرب، فكادوا يتلفونه،

وكان هناك رجل بصير بالعلاج فطلبوه لمعالجته فقال: يكون قد ضربوه خمسين سوطاً، فقيل له: بل مائتي سوط، فقال: ما هذا إلا أثر خمسين سوطاً لا غير، ولكن يحتاج إلى أن ينام على ظهره على بارية وأدوس صدره، فجزع الفضل من ذلك ثم أجاب إليه فألقاه على ظهره وداسه، ثم أخذ بيده وجذبه عن البارية، فتعلق بها من لحم ظهره شيء كثير، ثم أقبل يعالجه، إلى أن نظر يوماً إلى ظهره فخر المعالج ساجداً فقيل له: ما بالك؟

قال: قد برئ ونبت في ظهره لحم حي.

ثم قال: ألستُ قد قلتُ هذا قد ضرب خمسين سوطاً، أما والله لو ضرب ألف سوط ما كان أثره بأشدّ من هذا، وإنما قلت ذلك لتقوى نفسه فيعينني على علاجه، ثم إن الفضل اقترض من بعض أصحابه عشرة آلاف درهم وسيرها إليه، فردها عليه فاعتقد أنه استقلها، فاقترض عليها عشرة آلاف درهم أخرى وسيرها، فأبى أن يأخذها، وقال: ما كنت لآخذ على معالجة رجل من الكرام أجرة، والله لو كانت عشرين ألف دينار ما قبلتها، فلما بلغ ذلك الفضل قال: والله إن الذي فعله هذا أبلغ من الذي فعلناه في جميع أيامنا من المكارم، وكان قد بلغه أن ذلك المعالج في شدة وضائقة.

[٢٠١٢] وقيل: إن الفضل مرَّ بعمرو بن جميل وهو يطعم الناس فقال: ينبغي أن نعين هذا على مروءته، فبعث إليه بألف ألف درهم، وكانت عطاياه من هذه النسبة.

[٢٠١٣] وكان باراً بأبيه، وكان يحيى لا يستطيع أن يشرب الماء البارد في السجن، وكان الفضل يدع آنية الماء في عُبِّهِ دائماً ليسخن الماء لأجل

والده.

[٢٠١٤] ولما نقل الفضل بعد وفاة أبيه يحيى من محبس إلى محبس وجد في ثني مصلاَّه رقعة فيها مكتوب [من البسيط]:

إن العزاءَ على ما فات صاحبَهُ ... في راحةٍ من عناءِ النفسِ والتعب
والصبرُ خيرُ معينٍ يُستعان به ... على الزمانِ ومن ذا فيه لم يُصَب
لو لم تكنْ هذه الدنيا لها دَرَك ... من البريةِ بالآفاتِ والعطب
إذَن صَفَتْ لأناسٍ قبلنا وبهمْ ... كانت تليق ذوي الأخطار والحسب
ولم تنلنا وفيما قد ذكرتُ أسَى ... وعبرةٌ لذوي الألباب والأدب
ألستمُ مثل من قد كان قبلكمُ ... فارضوا وإن أسخطتكمْ نَوْبَةُ العُقب
واللهِ ما أسفي إلاّ لواحدةٍ ... أن لا أكونَ تقدمتُ المنونَ أبي
فكان يؤجَرُ في ثكلي وينفعني ... دعاؤه ودعاءُ الوالد الحدب

فسئل السّجان عنها، فقال: قالها البارحة لما أتيته بالمصباح.

[٢٠١٥] ولما مات الفضل بن يحيى - رحمهما الله تعالى - تضاغط الناسُ وازدحموا في جنازته، ودفن إلى جانب قبر أبيه، وقال بعض الشعراء [من الخفيف]:

ليس نبكيكمُ لكم يا بني بر ... مكَ أن زال ملككمْ فتقضَّى
بل نبكيكمُ لنا ولأنا ... لم نرَ الخيرَ بعدكمْ حَلَّ أرضا[1]

---

(١) «الوافي بالوفيات» : ٢٤/٦٦- ٧٤.



أبو عبيد

القاسم بن سلاَّم أبو عبيد.

كان أبوه عبداً روميّاً لرجل من أهل هراة.

اشتغل أبو عبيد بالحديث والأدب والفقه، وكان ذا دين وسيرة جميلة، ومذهب حسن وفضل بارع.

[٢٠١٦] قال إبراهيم الحربي: كان أبو عبيد كأنه جبل نفخ فيه الروح، يحسن كل شيء.

وولي القضاء بمدينة طرسوس ثمان عشرة سنة، وتوفي سنة أربع وعشرين ومائتين.

قرأ القرآن على الكسائي وغيره، وسمع إسماعيل بن عياش، وشريك ابن عبد الله، وهو أكبر شيخ له، وعبد الله بن المبارك وأبا بكر بن عياش وجرير بن عبد الحميد وسفيان بن عيينة وخلقاً .

قال إسحاق بن راهويه: إنا نحتاج إلى أبي عبيد، وأبو عبيد لا يحتاج إلينا.

وقال ابن حنبل: أبو عبيد ممن يزداد عندنا كل يوم خيراً.

وقال أبو داود: ثقة مأمون.

وقال الدارقطني: ثقة إمام جبل، وأضعف كتبه «كتاب الأموال». وليس له كتاب مثل «غريب المصنف».

[٢٠١٧] وكان أبو عبيد مع عبد الله بن طاهر، فبعث إليه أبو دُلَف يستهديه أبا عبيد مدة شهرين فبعثه فجاء إليه فوصله بثلاثين ألف درهم، فلم يقبلها، وقال: أنا عند رجل لم يحوجني إلى صلة غيره، فلما عاد إلى ابن طاهر أعطاه ثلاثين ألف دينار، فقال: قد قبلتها أيها الأمير، ولكن قد أغنيتني بمعروفك وبرك، وقد رأيت أن أشتري بها سلاحاً وخيلاً وأوجه بها إلى الثغور ليكون الثواب متوفراً على الأمير.

[٢٠١٨] وقال أبو عبيد: عاشرت الناس وكلمت أهل الكلام، فما رأيت قوماً أوسخ ولا أضعف حجة من الرافضة ولا أحمق منهم.

توفي سنة أربع وعشرين ومائتين بمكة، وقيل: بالمدينة، ومولده سنة أربع وخمسين ومائة.

[٢٠١٩] وذكر أنه لما قضى حجه وعزم على الانصراف اكترى إلى العراق، فرأى في الليلة التي عزم فيها على الانصراف النبي ﷺ في منامه وهو جالس وعلى رأسه قوم يحجبونه وناس يدخلون ويسلمون عليه ويصافحونه، وكلما دنا ليدخل مُنِعَ، فقال: لِمَ لا تخلون بيني وبين رسول الله ﷺ؟

فقالوا: والله لا تدخل إليه ولا تسلم عليه وأنت خارج غداً إلى العراق.

فقال لهم: إني لا أخرج إذن، فأخذوا عهده وخلوا بينه وبين رسول الله ﷺ، فدخل وسلم عليه وصافحه، وأصبح ففسخ الكَرْي[1] وسكن بمكة ولم يزل بها إلى أن مات.

---

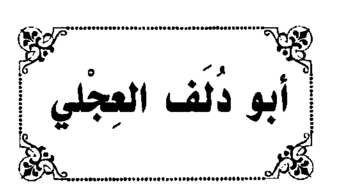
(١) أي الأجرة.

[٢٠٢٠] ولما وضع كتاب «غريب الحديث» عرضه على عبد الله بن طاهر فاستحسنه وقال: إن عقلاً بعث صاحبه على عمل هذا الكتاب حقيق أن لا يحوج إلى طلب المعاش. وأجرى له كل شهر عشرة آلاف درهم.

[٢٠٢١] وقال الهلال بن العلاء الرقي:

مَنَّ الله تعالى على هذه الأمة بأربعة في زمانهم: بالشافعي تفقه في حديث رسول الله ﷺ، وبأحمد بن حنبل ثبت في المحنة، ولولا ذلك لكفر الناس، وبيحيى بن معين نفى الكذب عن حديث رسول الله ﷺ، وبأبي عبيد القاسم بن سلاّم فسَّر غريب الحديث، ولولا ذلك لاقتسم الناس الخطأ.

وقال عبد الله بن طاهر: علماء الإسلام أربعة: عبد الله بن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، ويحيى بن معين في زمانه، وأبو عبيد القاسم بن سلام في زمانه[١].



أبو دُلَف العِجْلي

القاسم بن عيسى الأمير أبو دُلَف العجلي صاحب الكَرَج[٢] وواليها.

وكان فارساً شجاعاً جواداً ممدّحاً وشاعراً محسناً، ولي حرب الخُرَّمِيَّة[٣] فدَوَّخَهُم وأبادَهم، وولي إمرة دمشق للمعتصم.

(١) «الوافي بالوفيات»: ٢٤/ ١٢٣- ١٢٥.

(٢) هي جورجيا اليوم.

(٣) قوم من الباطنية.

وكان شيعيّاً غالياً في التشيع.

[٢٠٢٢] وكان حاضر الجواب، قال له المأمون يوماً: ما أخرك؟

قال: كنت ضعيفاً.

فقال: شفاك الله وعافاك، اركب، فوثب على فرسه فقال:

ما هذه وثبة عليل.

فقال: عوفيت بدعاء أمير المؤمنين.

وله صنعة في الغناء مذكورة في كتب الأغاني، وله كتاب «البزاة والصيد»، وكتاب «السلاح»، وكتاب «النزه»، وكتاب «سياسة الملوك»، وغير ذلك.

[٢٠٢٣] وروي أن الأمير علي بن عيسى بن ماهان صنع مأدبة لما قدم أبو دلف من الكرج ودعاه إليها، وكان قد احتفل بها غاية الاحتفال، فجاء بعض الشعراء ليدخل دار علي بن عيسى فمنعه البواب، فتعرض الشاعر لأبي دلف وقد قصد دار علي بن عيسى وبيده جزازة، فناوله إياها، فإذا فيها [من مجزوء الخفيف]:

قُلْ لَهُ إنْ لَقِيتَهُ ... متأنٍّ بلا رَهَجْ[١]

جئتَ في ألفِ فارسٍ ... لغداءٍ من الكَرَج

ما على الناسِ بعدها ... في الدنيّاتِ من حَرج

فرجع أبو دلف وحلف أنه لا يدخل الدار ولا يأكل منها شيئاً، وقيل: إن هذا الشاعر هو عباد بن الحريش.

---

(١) الرهج: الغبار.

[٢٠٢٤] ولما مرض أبو دلف مرض موته حُجب الناس عن الدخول إليه لثقل مرضه، فاتفق أنه أفاق في بعض الأيام فقال لحاجبه:

من بالباب من المحاويج؟

فقال: عشرة من الأشراف قد وصلوا من خراسان، ولهم بالباب عدة أيام لم يجدوا طريقاً، فقعد على فراشه واستدعاهم، فلما دخلوا رحب بهم وسألهم عن بلادهم وأحوالهم وسبب قدومهم، فقالوا:

ضاقت بنا الأحوال، وسمعنا بكرمك فقصدناك، فأمر خادمه بإحضار بعض الصناديق وأخرج منه عشرين كيساً، في كل كيس ألف دينار، ودفع لكل واحد منهم كيسين، ثم أعطى كل واحد مؤونة طريقه، وقال لهم: لا تمسوا الأكياس حتى تصلوا بها سالمة إلى أهلكم، واصرفوا هذا في مصالح الطريق، ثم قال: ليكتب لي كل واحد منكم خطه أنه فلان بن فلان حتى ينتهي إلى علي بن أبي طالب، ويذكر جدته فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ثم يكتب: يا رسول الله، إني وجدت إضاقةً وسوء حال في بلدي، فقصدت أبا دُلَف العجليّ فأعطاني ألفي دينار كرامةً لك، وطلباً لمرضاتك، ورجاءً لشفاعتك، فكتب كلٌّ واحدٍ ذلك وتسلم الأوراقَ، وأوصى من يتولى تجهيزه إذا ماتَ أن يضع تلك الأوراقَ في كفنه حتى يلقى بها رسُولَ الله ﷺ ويعرضها عليه.

[٢٠٢٥] قال ابن خَلِّكَان: ومع هذا فقد حكى جماعة من أرباب التاريخ أن دُلف بن أبي دُلف قال:

رأيت في المنام آتياً أتاني فقال لي: أجب الأمير، فقمت معه، فأدخلني داراً وحشة وعرة سوداء الحيطان، مقلعة السقوف والأبواب، وأصعدني على دَرَج منها، ثم أدخلني غرفة منها في حيطانها أثر النيران، وإذا في

أرضها أثر الرماد، وإذا بأبي وهو عريان واضع رأسه بين ركبتيه، فقال لي كالمستفهم: دُلَف؟

فقلت: دُلَف.

فأنشأ يقول: [من الخفيف]:

أبلغــنْ أهلَنــا ولا تُخْــفِ عــنهُم ... مــا لقينــا في الــبرزَخِ الخنَّــاق

قـد سُـئلنا عـن كـلٍّ مـا قـد فعلنـا ... فارحموا وحشـتي ومـا قـد ألاقـي

ثم قال: أفهمت؟ قلت: نعم، ثم أنشد [من الوافر]:

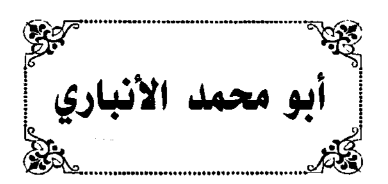
[٢٠٢٦] فلَـوْ كنَّـا إذا مِتنـا تُركنـا ... لكـانَ المـوتُ راحـةَ كـلِّ حـيٍّ

ولكنّـــا إذا مِتنـــا بُعثنـــا ... ونســأل بعــده عــن كــل شــيٍّ

ثم قال: أفهمت؟

قلت: نعم، وانتبهت.

توفي سنة ست وعشرين ومائتين(١).



أبو محمد الأنباري

القاسم بن محمد بن بشار أبو محمد الأنباري والد العلامة أبي بكر.

سكن بغداد، وكان صدوقاً موثقاً عارفاً بالأدب والغريب.

---

(١) «الوافي بالوفيات» : ٢٤/ ١٤٠- ١٤٤، ولعل ما أصابه بسبب شدة تشيعه فإن التشيع الغالي بدعة غليظة، نسأل الله السلامة والعافية.

توفي سنة خمس وثلاثمائة.

وله من المصنفات: كتاب «خلق الإنسان»، كتاب «خلق الفرس»، كتاب «الأمثال»، كتاب «المقصور والممدود»، كتاب «المذكر والمؤنث»، كتاب «غريب الحديث»، كتاب «شرح السبع الطوال».

[٢٠٢٧] ومن شعره فيما روي [من الكامل]:

إنـي بأحكـام النجـوم مُكـذِّبُ ... ولمـدَّعيها لائـمٌ ومؤنِّـبُ

الغيـبُ يعلمـه المهـيمن وَحْـدَهُ ... وعـن الخلائـق أجمعـين مُغَيَّـبُ

الله يعطـي وهـو يمنـع قـادراً ... فَمـنِ المنجم وَيْحَـهُ والكوكـب

[٢٠٢٨] قال أبو عمر الزاهد: أخبرني أبو محمد الأنباري قال: قدمت بغداد ومحمد صغير، وليس لي دار، فبعث ابن ثعلب إلى قوم يقال لهم بنو بدر فأعطوني شيئاً لا يكفيني، وذكروا «كتاب العين» فقلت: عندي «كتاب العين»، فقالوا لي: بكم تبيعه؟

قلت: بخمسين ديناراً.

فقالوا: قد أخذناه بما قلت إن قال ثعلب إنه للخليل.

قلت: فإن لم يقل إنه للخليل، بِكَمْ تأخذونه؟

قالوا: بعشرين ديناراً، فأتيت أبا العباس من فوري، قلت له:

يا سيدي هب لي خمسين ديناراً.

فقال لي: أنت مجنون، وهذا تأكيد.

فقلت له: لست أريد من مالك، وحدثته الحديث.

قال: فأكذب؟

قلت: حاشاك، ولكن أنت أخبرتنا أن الخليل فرغ من باب العين، ثـم مات، فإذا حضرنا بين يديك للحكومة، ضع يدك على مـا لا تشـك فيـه، فقال: تريد أن أنجش لك[1]؟

قلت: نعم.

قال: هاتهم، فبكروا وسبقوني، وحضرت فأحضروا الكتاب وناولوه، وقالوا: هذا للخليل أم لا؟ ففتح حتى توسط باب العين، وقال: هذا كلام الخليل ثلاثاً، قال: فأخذت خمسين ديناراً[2].



قَطَرِيّ
رأس الخوارج

قطري بن الفجاءة، واسم أبيه جَعْوَنَة، التميمـيُّ المـازنيّ، أبـو نعامـة، رأس الخوارج في زمانه.

[٢٠٢٩] كان أحد الأبطال، خرج في خلافة ابن الزبير، وبقـي يقاتـل المسلمين ويستظهر عليهم بضع عشرة سنة، وتغلب على نـواحي فـارس، ولم يُقْدَرْ عليه، بل عثرت به فرسـه وانـدقت عنقـه بطبرسـتان سـنة تسـع وسبعين للهجرة، وحُمِلَ رأسـه إلى الحجـاج، وكـان مـن الخطبـاء البلغـاء الشعراء، وشعره في الحماسة.

[٢٠٣٠] وحُكِيَ عنه أنـه خـرج في بعـض حروبـه وهـو علـى فـرسٍ أعجفَ وبيده عمودٌ من خشب، فدعا إلى المبارزة فبرز له رجل، فحسر لـه

(١) أي أزيد لك من العشرين إلى الخمسين.

(٢) «الوافي بالوفيات» : ٢٤/ ١٥٧، ١٥٨.

قطريّ عن وجهه فلما رآه ولّى عنه، فقال له قطري: إلى أين؟

فقال: لا يستحيي الإنسانُ أن يفرَّ منك.

قال أهل التاريخ:

إنه أقام عشرين سنة يقاتلُ ويُسَلَّمُ عليه بالخلافة، وإنما قيل لأبيه الفجاءة؛ لأنه كان باليمن فقدم على أهله فجاءة فسمي بذلك.

[٢٠٣١] وروي أن الحجاج قال لأخيه: لأقتلنك.

قال: ولم؟

قال: لخروج أخيك.

قال: فإن معي كتاب أمير المؤمنين أن لا تأخذني بذنب أخي.

قال: هاته.

قال: فمعي ما هو أوكد منه.

قال: وما هو؟

قال: كتاب الله عز وجل يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1]، فعجب منه، وخلى سبيله.

والحريري عناه بقوله في المقامات: «فقلدوه في هذا الأمر الزعامة، تقليدَ الخوارجِ أبا نعامة».

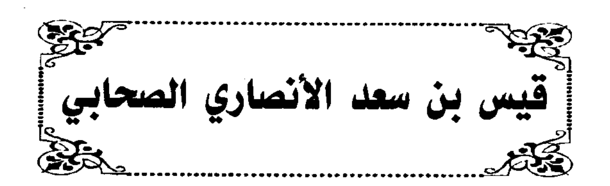
ومن شعر قطري بن الفجاءة:

---

(١) ترد الآية في سورة الأنعام: ١٦٤، الإسراء: ١٥، فاطر: ١٨، الزمر: ٧.

أقــول لهــا وقــد طــارت شَــعاعاً من الأبطال ويحك لا تُراعـي[1]
فإنــك لــو ســألت بقــاء يــوم على الأجل الذي لك لم تطـاعي
فصــبراً في مجــال المــوت صــبراً فمــا نيــل الخلــود بمســتطاع
ولا ثــوب الحيــاة بثــوب عــزٍّ فيُطوَى عن أخي الخَنَع اليراعِ [2]
سـبيل المــوت غايــة كــل حــي وداعيـــهِ لأهـــل الأرض داع
ومــن لا يُعتــبطْ يســأم ويهــرم وتســلمه المنــون إلى انقطــاعِ[3]
ومــا للمــرء خــير في حيــاة إذا مــا عُــدَّ مــن سَــقَطِ المتــاعِ

وقد ساق المبرد في كتابه قطعة جيدة من أخبار الخوارج[4].



قيس بن سعد الأنصاري الصحابي

قيس بن سعد بن عبادة بن حارثة الأنصاري الخزرجي، أبـو الفضـل، وقيل: أبو عبد الله وأبو عبد الملك.

كان من كرام أصحاب النبي ﷺ وأسـخيائهم ودهـاتهم، وأحـد أهـل الرأي والمكيدة في الحرب مع النجدة والبسالة والكرم، وكان شريف قومـه غير مدافع هو وأبوه وجده.

---

(١) طارت شَعاعاً: أي تفرقت وتفرق عزمها، والخطاب للنفس.

(٢) اليراع : الجبان ، والخنع : الذل.

(٣) يُعتبط : يموت شاباً.

(٤) «الوافي بالوفيات» : ٢٤/ ٢٤٨- ٢٤٩.

صحب قيس رسول الله ﷺ هو وأبوه وأخوه سعيد بن سعد بن عبادة.

قال أنس بن مالك: كان قيس بن سعد من النبي ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير، أعطاه رسول الله ﷺ الراية يوم فتح مكة إذ نزعها من أبيه لشكوى قريش لسعد يومئذ، وقيل: إنه أعطاها الزبير.

ثم صحب قيس علي بن أبي طالب، وشهد معه الجمل وصفين والنهروان هو وقومه لم يفارقه حتى قتل، وكان ولاه على مصر فضاق به معاوية، وأعجزته فيه الحيلة، فكايد فيه عليّاً، ففطن عليٌّ لمكيدته، فلم يزل الأشعث وأهل الكوفة حتى عزل قيساً وولّى محمد بن أبي بكر، ففسدت عليه مصر.

[٢٠٣٣] وروى سفيان بن عيينة عن عمر بن دينار، قال: قال قيس ابن سعد: لولا الإسلام لمكرت مكراً لا تطيقه العرب.

ولما أجمع الحسن على مبايعة معاوية خرج عن عسكره، وغضب على الحسن، وبدر منه قول خشن، فاجتمع إليه قومه، فأخذ لهم الحسن الأمان على حكمهم، والتزم معاوية لهم الوفاء بما اشترطوه.

ثم لزم قيس المدينة، وأقبل على العبادة حتى مات سنة ستين، وقيل: سنة تسع وخمسين للهجرة، في آخر خلافة معاوية.

وكان رجلاً طوالاً أطلس، لم يكن بوجهه شعر.

[٢٠٣٤] وهو القائل: اللهم ارزقني حمداً ومجداً، فإنه لا حمد إلا بفعال، ولا مجد إلا بمال.

[٢٠٣٥] وهو القائل بصفين [من البسيط]:

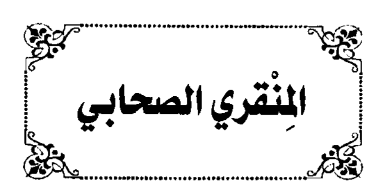
هذا اللواء الذي كنا نحف به ... مع النبي وجبريلٌ لنا مددُ

ما ضر من كانت الأنصار عَيْبَتَه أن لا يكون له من غيرهم أحدُ [(١)]

قوم إذا حاربوا طالت أكفهم بالمشرفية حتى يُفتح البلدُ[(٢)]

[٢٠٣٦] وشكت إليه عجوز أنه ليس في بيتها جُرَذٌ، قال: ما أحسن ما سألت! والله لأكثرن جرذان بيتك، فملأ بيتها طعاماً ووَدَكاً وإداماً[(٣)] .

[٢٠٣٧] وكان قد مرض مرة فاستبطأ عُوَّادَهُ، فقيل له: إنهم يستحيون من ديونك التي عليهم، فأمر أن ينادي: كل من كان لقيس بن سعد عنده دين فهو له، فأتاه الناس، حتى هدموا درجةً كانوا يصعدون عليها إليه[(٤)] .



المِنْقري الصحابي

قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد الحارث المنقري التميمي أبو علي، وقيل: أبو طليحة، وقيل: أبو قبيصة، والأول أشهر.

قدم في وفد تميم على رسول الله ﷺ سنة تسع، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: **«هذا سيد أهل الوبر»**، وكان عاقلاً حليماً.

[٢٠٣٨] قيل للأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم؟

قال: من قيس بن عاصم، رأيته يوماً قاعداً بفناء داره محتبياً بحمائل سيفه يحدث قومه، فأُتِيَ برجل مكتوف، وآخر مقتول، فقيل: هذا ابن

(١) العيبة : المقربون منه ، الحافظون سره.

(٢) المشرفية : السيف.

(٣) الودك: الشحم.

(٤) «الوافي بالوفيات» : ٢٤/ ٢٨٣- ٢٨٥.

أخيك قتل ابنك، قال: فوالله ما حل حبوته ولا قطع كلامه، فلما أتمه التفت إلى ابن أخيه وقال: يا ابن أخي: بئس ما فعلت، أثمت بربك، وقطعت رحمك، وقتلت ابن عمك، ورميت نفسك بسهمك، ثم قال لابن أخيه: قم يا بني فَوَارِ أخاك، وحُلّ كتاف ابن عمك، وسق إلى أمك مائة ناقة دية ابنها، فإنها غريبة.

[٢٠٣٩] وكان قد حرمّ الخمر على نفسه في الجاهلية؛ لأنه غمز عكنة[١] ابنته وهو سكران، وسبَّ أباها، ورأى القمر فتكلم بشيء، وأعطى الخمار كثيراً من ماله، فلما أفاق أخبر بذلك فحرمها على نفسه، وقال فيها أشعاراً منها [من الوافر]:

رأيت الخمر صالحة وفيها ... خصال تفسد الرجل الحليما

فلا والله أشربها صحيحاً ... ولا أشفي بها أبداً سقيما

ولا أُعطي بها ثمناً حياتي ... ولا أدعو لها أبداً نديما

فإن الخمر تفضح شاربيها ... وتجنيهم بها الأمر العظيما

[٢٠٤٠] ومن شعره [من الكامل المرفل]:

إني امرؤ لا يعتري خُلُقي ... دَنَسٌ يفنِّده ولا أَفْنُ[٢]

من مِنْقر في بيت مكرمة ... والغصن ينبت حوله الغصنُ

خطباء حين يقول قائلهم ... بيض الوجوه أعفة لُسْنُ

لا يفطنون لعيب جارهم ... وهم لحسن جواره فُطْنُ

---

(١) العكنة: ماعلى الخصر من اللحم.

(٢) الفند : النقص . الأفن : سوء الرأي وضعف العقل.

[٢٠٤١] ولما حضرته الوفاة دعا بنيه وقال: يا بَنِيَّ، احفظوا عني فلا أجد لكم أنصح مني:

إذا مت فسوِّدوا كباركم، ولا تُسوِّدوا صغاركم فيسفه الناس كباركم وتهونوا عليهم، عليكم بإصلاح المال، فإنه منية للكريم، ويستغنى به عن اللئيم، وإياكم ومسألة الناس، فإنها آخر كسب المرء.

وروى عنه الحسن والأحنف وخليفة بن حصين وابنه حكيم بن قيس، وتوفي في حدود الخمسين للهجرة، وروى له أبو داود والترمذي والنسائي.

وقال: إذا مت فلا تنوحوا عليَّ، فإن رسول الله ﷺ لم يُنَح عليه.

[٢٠٤٢] وقال عبدة بن الطبيب يرثيه [من الطويل]:

عليك سلام الله قيسَ بن عاصم ... ورحمته ما شاء أن يترحما

تحية من غادَرْتَهُ عَرَض الردى ... إذا زار من بُعْدٍ بلادك سلَّما

فما كان قيس هُلكُه هُلْكَ واحدٍ ... ولكنه بنيان قوم تهدَّما

لعمرك ما وارى التراب فعاله ... ولكنهم واروا ثياباً وأعظُما

[٢٠٤٣] وسأله بعض الأنصار عما يُتحدث به عنه في الموءودات، فأخبره أنه ما ولدت له قط بنت إلا وأدها، ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال:

كنت أخاف سوء الأحدوثة والفضيحة في البنات، فما ولدت لي بنية قط إلا وأدتها إلا بنية كانت لي ولدتها أمها وأنا في سفر، فَدَفَعَتْهَا إلى أخوالها فكانت فيهم، فقدِمْتُ فسألْتُ عن الحمل، فأخبرتني المرأة أنها ولدت ولداً ميتاً، ومضت على ذلك سنون حتى كبرت الصبية ويفعت،

فزارت أمها ذات يوم، فدخلْتُ فرأيْتُها وقد ضفرَتْ شعرها، وجعلَتْ في قرونها شيئاً من الخَلوق[1]، ونظمَتْ عليها وَدَعاً[2]، وألبسَتْها قلادة جَزْع[3]، وجعلَتْ في عنقها مِخْنَقة بلح[4]، فقلْتُ:

مَنْ هذه الصبية، فقد أعجبني جمالها وكيسها؟

فبكت ثم قالت: هذه ابنتك، كنت خبرتك أني ولدت ولداً ميتاً، وجعلتها عند أخوالها حتى بلغت هذا المبلغ، فأمسكت عنها حتى اشتغلت أمها، ثم أخرجتها فحفرت لها حفيرة، وجعلتها فيها وهي تقول:

يا أبه: ما تصنع بي؟ وجعلت أقذف عليها التراب وهي تقول: يا أبه أمغطيَّ أنت بالتراب؟ أتاركي وحدي ومنصرف عني؟

وجعلت أقذف عليها التراب حتى واريتها وانقطع صوتها، فما رحمت أحداً ممن واريته غيرها، فدمعت عين النبي ﷺ ثم قال: **«إن هذه لقسوة، وإن من لا يَرحم لا يُرحم»**.

وقال أحمد بن الهيثم:

قال عمي: حدثني عبد الله بن عبد الله بن الأهتم أن سبب وأد قيس ابن عاصم البنات أن المُشَمْرَج اليشكري أغار على بني سعد في بني يشكر فسبا منهم نساء واستاق أموالاً، وكان في النساء امراة خالها قيس ابن عاصم، وهي رميم بنت أحمد بن جندل السعدي، وأمها أخت قيس، فرحل قيس إليهم يسألهم أن يهبوها له، فوجد عمرو بن المشمرج قد

---

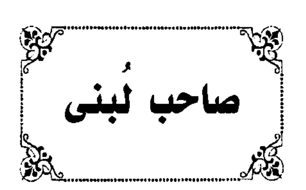
(١) الخلوق : الطيب، والقرون : الضفائر.

(٢) الودع: خرز بيض تخرج من البحر، في بطونها شق كشق النواة تتفاوت صغراً أو كبراً .

(٣) الجزع: الخرز اليماني فيه سواد وبياض.

(٤) المِخْنَقة : ما يوضع على الحلق من زينة.

اصطفاها لنفسه، فسأله فيها فقال: قد جعلت أمرها إليها، فـإن اختارتـك فخذها، قال: فخُيِّرَتْ، فاختارت عمرو، فانصرف قيس، فوأد كل بنت له، وجعل ذلك سُنَّةً في كل بنت تولد له، واقتدت به العرب في ذلـك، فكـان كل سيد تولد له بنت يئدها خوفاً من الفضيحة[1].



صاحب لُبنى

قيس بن ذَرِيح الكناني صاحب لُبنى.

[٢٠٤٤] قال صاحب الأغاني:

كان رضيعاً للحسن بن علي عليهمـا السـلام، مـرَّ بخيـام بـني كعـب والحيُّ خُلُوف[2]، فوقف على خيمة لِلُبنـى بنـت الحبـاب فاستسـقى مـاءً فسقته، وكانت امرأة مديدة القامة، شهلاء[3]، حلوة المنظر والكلام، فلمـا رآها وقعت في نفسه، وشرب الماء، فقالت له:

انزل فتَبَرَّد عندنا.

قال: نعم، فنزل بهم، وجاء أبوها فنحر لـه وأكرمـه، وانصـرف قـيس وفي قلبه من لُبنى، فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع وروي.

ثم أتاها يوماً آخر وقد اشتد وَجْدُه بها، فسلم وظهرت له وتحفت بـه، فشكا إليها ما يجد من حبها، وشكت إليـه مثـل ذلـك، وانصـرف إلى أبيـه

---

(١) «الوافي بالوفيات» : ٢٤/ ٢٨٥- ٢٨٧.

(٢) أي يقال: حي خلوف إذا غاب الرجال وأقام النساء.

(٣) أي أن حدقتها مُشْرَبة حُمرة: انظر ((القاموس المحيط)): ش هـ ل.

وسأله زواجها، فأبى عليه وقال: بنات عمك أحق بك، وكان ذَرِيح كثير المال، فانصرف قيس وقد ساءه ما خاطبه به، فاستعان بأمه على أبيه فلم يجد عندها ما يحب، فأتى الحسين بن علي رضي الله عنهما، وابن أبي عتيق وكان صديقه، وشكا ما به، فقال له الحسين: أنا أكفيك. ومشى معه إلى أبي لبنى، فلما بصر به أعظمه، فقال: قد جئتك خاطباً ابنتك لقيس بن ذَرِيح.

فقال: يا ابن رسول الله ما كنا لنعصي لك أمراً، وما بنا عن الفتى رغبة، ولكن أحب الأمرين إلينا أن يخطبها ذَرِيح أبوه، فإنا نخاف إن لم يسغ أبوه هذا أن يكون عاراً علينا وسُبَّة، فأتى الحسين رضي الله عنه ذَرِيحاً وقومه فأعظموه فقال: أقسمت عليك إلا خطبت لُبنى على قيس، قال: السمع والطاعة لأمرك، وخرج في وجوه قومه، وخطبها لابنه، وزوَّجه إياها، وَزُفَّتْ إليه، وأقام معها مدة لا ينكر أحد منهما من صاحبه شيئاً، وكان أبرَّ الناس بأبيه، فألهاه عكوفه على لُبنى عن بعض ذلك، ووجدت أمه في نفسها وقالت لأبيه: لقد خشيت أن يموت قيس ولم يترك خلفاً، وقد حرم الولد من هذه المرأة، وأنت ذو مال، فيصير مالك إلى الكَلالة[1]، فزوجه بغيرها لعل الله يرزقه ولداً، وألحت عليه، فأمهل قيساً حتى اجتمع قومه فدعاه، وقال:

يا قيس: إنك اعتللت هذه العلة فخفت عليك، ولا ولد لي سواك، وهذه المرأة ليست بولود، فتزوج غيرها من بنات عمك لعل الله يهب لك ولداً تقر بها أعيننا.

فقال قيس: لا أتزوج غيرها أبداً.

قال أبوه: إن في مالي سعة فتسرّ بالإماء.

---

(١) وهي الحواشي كالإخوة والأخوات.

قال: ولا أسوؤها بشيء.

قال أبوه: فأقسمت عليك إلا طلقتها.

قال: الموت عندي- واللهِ- أسهل من ذلك، ولكني أخيرك خَصْلَةً من ثلاث خصال.

قال: وما هي؟

قال: تزوج أنت لعل الله يرزقك ولداً غيري.

قال: ما فيَّ فَضْلٌ لذلك.

قال: فدعني أرحل عنك بأهلي واصنع ما كنت صانعاً لو مُتُّ في علتي هذه.

قال: ولا هذه.

قال: أَدَعُ لبنى عندك وأرتحِل عنك فلعلي أسلوها، فإني ما أحب أن نفسي طيبة أنها في خيالي.

[٢٠٤٥] قال: لا أرضى أو تطلقها، وحلف أن لا يَكُنَّهُ سقفٌ أبداً حتى يطلق لبنى، وكان يخرج فيقف في الشمس فيجيء قيس فيقف إلى جانبه ويظله بردائه ويَصْلَى هو بِحَرِّ الشمس حتى يفيء الفيء فينصرف عنه ويدخل إلى لبنى فيعانقها ويبكي وتبكي معه، وتقول: يا قيس، لا تطعْ أباك تهلكْ وتهلكني، فيقول: ما كنت لأطيع فيك أحداً أبداً، فيقول: إنه مكث كذلك سنة، وقيل: بل أربعين يوماً، ثم طلقها، فلما بانت بطلاقها وفرغ من الكلام لم يلبث أن استطير عقله وذُهِب به، ولحقه مثل الجنون، وأسف وجعل يبكي وينشج، وبلغها الخبر فأرسلت إلى أبيها، فأقبل بهودج على ناقة وإبلٍ تحمل أثاثها، فلما رأى قيسٌ ذلك أقبل على

جاريتها وقال: ويحك! ما دهاني فيكم؟

قالت: لا تسلني وسل لبنى، فذهب إلى خبائها ليسلم عليها ويسألها، فمنعه قومها، وأقبلت عليه امرأة من قومه فقالت: ما لك تسأل كأنك جاهل أو تتجاهل! هذه لبنى ترحل الليلة أو غداً، فسقط مغشيّاً عليه لا يعقل، ثم أفاق وهو يقول [من الطويل]:

وإني لمُفْنٍ دمع عيني بالبكا ... حذار الذي قد كان أو هو كائن

وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلة ... فراق حبيب لم يَبِنْ وهو بائن

وما كنت أخشى أن تكون منيتي ... بكفك إلا أن ما حان حائن

واشتد مرضه، فسأل أبوه فتيات الحي أن يَعُدْنَهُ، ويتحدثن عنده لعله يتسلى، فأتينه وجلسن عنده، وجاءه طبيب يداويه فقال [من الخفيف]:

عِيدَ قيسٌ من حب لبنى ولبنى ... داء قيس والحب داء شديد[1]

فإذا عادني العوائد يوماً ... قالت العين لا أرى من أريد

ليت لبنى تعودني ثم أقضي ... إنها لا تعود في من يعود

ويح قيس ماذا تضمَّن منها ... داء خبل والقلب منها عميد[2]

فقال له الطبيب: مذ كم وجدت العلة بهذه المرأة؟ فقال: [من الطويل]:

تعلق روحي روحها قبل خلقنا ... ومن بعد ما كنا نطافاً وفي المهد

فزاد كما زدنا فأصبح نامياً ... وليس إذا متنا بمنفصم العقد

---

(١) عِيد: من عيادة المريض.

(٢) القلب العميد: الذي هده العشق: ((القاموس المحيط)): ع م د.

ولكنه باق على كل حادث وزائرنا في ظلمة القبر واللحد

ومن شعره فيها قوله [من الطويل]:

وفي عروة العذري إن مت أسوة وعمرو بن عجلان الذي قتلت هند

وفي مثل ما ماتا به غير أنني إلى أجل لم يأتني وقته بعد

هل الحب إلا عبرة ثم زفرة وحر على الأحشاء ليس له برد

وفيض دموع تستهل إذا بدا لنا عَلَمٌ من أرضكم لم يكن يبدو

وشكا أبو لبنى قيساً إلى معاوية، وأعلمه بتعرضه لها بعد الطلاق، فكتب إلى مروان بن الحكم بهَدْرِ دمه، وأمر أباها أن يزوجها بخالد بن حِلِّزة من غطفان، فلما علم قيس بذلك جزع جزعاً شديداً، وقال [من الطويل]:

فإن يحجبوها أو يَحُلْ دون وصلها مقالة واشٍ أو وعيد أمير

فلن يمنعوا عيني من دائم البكا ولن يذهبوا ما قد أجن ضميري

وكنا جميعاً قبل أن يظهر الهوى بأنعم حالي غبطة وسرور

فما برح الواشون حتى بدت لنا بطون الهوى مقلوبة لظهور

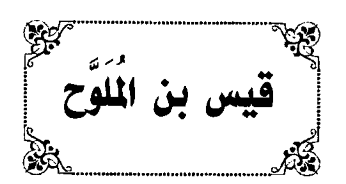
لقد كنتِ حَسْبَ النفس لو دام وصلنا ولكنما الدنيا متاع غرور

ولم يزل تارة يتوصل إلى زياراتها بالحيلة عليها، وتارة تزوره وهو عند قوم نازل، وتارة يختفي عن زوجها بأنواع من التستر والتخفي إلى أن ماتت لبنى، فتزايد وَلَهُهُ وجزعه، وخرج في جماعة قومه حتى وقف على قبرها وقال [من المنسرح]:

ماتت لُبَيْنَى فموتها موتي هل تنفعن حسرتي على الفوتِ

فســوف أبكــي بكــاء مكتئــب   قضـى حيـاة وجـداً علـى مَيْـتِ

ثم أكبَّ على القبر يبكي حتى أُغمي عليه، فرفعه أهله إلى منزله وهـو لا يعقل، ولم يزل عليلاً لا يفيق ولا يجيب مكلّماً ثلاثاً حتى مـات، ودُفـن إلى جنبها، وكانت وفاتهما في حدود السبعين للهجرة [1].



قيس بن المُلَوَّح

قيس بن الملوح بن مزاحم بن قيس: هو مجنون بني عامر.

[٢٠٤٦] كان سبب عشقه لليلى أنه أقبل ذات يوْم على ناقة له، وعليه حلتان من حلل الملوك، فمرَّ بامرأة من قومه يقال لها: كريمة، وعندها جماعة من النساء يتحادثن فيهن ليلى، فأعجبهن جماله وكماله، فدعونه إلى النزول فنزل، فجعل يحدثهن، وأمر عبداً كان معه فعقر لهن ناقته، وحدثهن بقية يومه، فبينا هو كذلك، إذ طلع فتى في بردة من برود الأعراب يقال له: منازل، يسوق معزًى له، فلما رأينه أقبلن عليه وتركن المجنون، فغضب، وخرج من عندهن وقال [من الطويل]:

أأعقــر مــن جَــرّاً كريمــةَ نــاقتي   ووصليَ مقرون بوصل مُنـازلِ [2]

إذا جـاء قعقعـن الحُلـيَّ ولم أكـن   إذا جئت أرضى صوت تلك الخلاخـل

متـى مـا انتضـلنا بالسـهام نضـلتهُ   وإن يرمِ رشقاً عندها فهو ناضلي [3]

---

(١) «الوافي بالوفيات» : ٢٤/ ٢٩٤- ٢٩٧.

(٢) من جرا: أي من جراء: أي من أجل.

(٣) انتضلنا: ترامينا بالسهام، ونضلته: غلبته، والرشق: رمي السهام في جهة واحدة، وانظر ((الأغاني)): ٢/ ١٤.

ولما أصبح لبس حلتيه وركب ناقة أخرى، ومضى معرضاً لهن، فألفى ليلى قاعدة بفناء بيتها، وقد علق حبه بقلبها، وعندها جويريات يتحدثن معها، فوقف بهن وسلم، فدعونه إلى النزول وقلن له:

هل لك في محادثة من لا يشغله عنك منازل ولا غيره؟

فقال: إيه لعمري، ونزل وفعل مثل ما فعله بالأمس، فأرادت ليلى أن تعلم هل لها عنده مثل ما له عندها، فجعلت تعرض عن حديثه ساعة بعد ساعة وتحدث غيره، وقد كانت شغفته، واستملحها، فبينا هي تحدثه إذ أقبل فتى من الحي فدعته وسارته سراراً طويلا، ثم قالت له: انصرف، ونظرت إلى وجه المجنون وقد تغير وامتقع لونه فقالت: [من الوافر]:

كلانا مظهر للناس بغضاً وكل عند صاحبه مكين

تبلغنا العيون بما أردنا وفي القلبين ثَمَّ هوًى دفين

فلما سمع البيتين شهق شهقة وأُغمي عليه، ومكث على ذلك ساعة، ونضحوا الماء على وجهه، ثم أفاق وقد تمكن حب كل منهما في قلب صاحبه، وانفصلا وقد أصاب المجنون لوثة، ولم يزل في جنبات الحي منفرداً عارياً لا يلبس ثوباً إلا خرقة يهذي ويخطط في الأرض ويلعب بالتراب والحجارة، لا يجيب أحداً يسأله، فإذا أحبوا أن يتكلم أو يثوب عقله إليه ذكروا له ليلى، فيقول: بأبي هي وأمي، ثم يرجع إليه عقله وينشدهم.

فلما تولى الصدقات عليهم نوفل بن مساحق، رأى المجنون يلعب بالتراب عرياناً، وحكي له ما هو فيه، فأراد أن يكلمه فقيل له: ما يكلمك إلا إن ذكرت له ليلى وحديثها فذكرها، فأقبل يحدثه بحديثها وينشده شعره فيها، فَرَقَّ له نوفل، وقال له: أتحب أن أزوجكها؟

قال: نعم، وهل لي إلى ذلك سبيل؟ فدعا له بثياب فألبسه إياها، وراح معه كأصح ما يكون يحدثه وينشده، فبلغ ذلك رهط ليلى فتلقوه في السلاح، وقالوا له: لا والله يا ابن مساحق، لا يدخل المجنون منازلنا أبداً، وقد أهدر السلطان دمه، فأقبل بهم وأدبر، فأبوا، فقال للمجنون: إن انصرافك أهون من سفك الدماء، فانصرف وقال [من الطويل]:

أيا ويح من أمسى يُخَلَّسُ عقله	فأصبح مذهوباً به كل مذهب[١]
خَلِياً من الخلان إلا معذراً	يضاحكني من كان يهوى تجنبي
إذا ذُكرت ليلى عقلتُ وراجعَتْ	روائع عقلي من هو متشعبِ
وقالوا صحيح ما به طيف جِنَّةٍ	ولا الهم إلا بافتراء التكذب
تجَنَّبتَ ليلى أن يلِجَّ بك الهوى	وهيهات كان الحب قبل التجنب
ألا إنما غادرْتِ يا أم مالكٍ	صدًى أينما تذهب به الريح يذهب

ثم إن أبا المجنون وأمه وعشيرته اجتمعوا إلى أبي ليلى ووعظوه، وناشدوه الرحم، وقالوا له:

إن هذا الرجل هالك، وقد حكمناك في المهر، فأبى وحلف بالطلاق أنه لا يزوجه بها أبداً، وقال: أفضح نفسي وعشيرتي وأَسِم ابنتي بِميسَم فضيحة[٢]؟ فانصرفوا عنه، وزوجها رجلاً من قومه وبنى بها في تلك الليلة، فيئس المجنون وزال عقله جملة، فقال الحي لأبيه: احجج به إلى مكة وادع الله له فلعله أن يخلصه، فحج به، فلما صار بمنًى سمع صارخاً بالليل يصيح: يا ليلى، فصرخ صرخة كادت نفسه تتلف وخر مغشيّاً

---

(١) يخلس: أي يُسلب.

(٢) أي تكون الفضيحة علامة تُعرف بها.

عليه، ولم يزل كذلك حتى أصبح، ثم أفاق حائلَ اللون ذاهلاً، وأنشأ يقول: [من الطويل]:

عرضت على قلبي العزاء فقال لي ... من الآن فايأس لا أعزّك من صبر
إذا بان من تهوى وأصبح نائباً ... فلا شيء أجدى من حلولك في القبر
وداعٍ دعا بالخيف إذ نحن من منى ... فهيّج أحزان الفؤاد وما يدري
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما ... أطار بليلى طائراً كان في صدري
دعا باسم ليلى ضلل الله بغيه ... وليلى بأرض عنه نازحةٍ قفر

قال العُتبي:

مرَّ المجنون ذات يوم بزوج ليلى وهو جالس يصطلي في يوم بارد، وقد أتى ابن عمٍّ له في حي المجنون لحاجة، فوقف عليه ثم أنشأ يقول [من الوافر]:

بربك هل ضممت إليك ليلى ... قبيل الصبح أو قبَّلت فاها
وهل رَفّت عليك قرون ليلى ... رفيف الأُقْحوانة في نداها[1]

فقال له: اللهم إذ حلفتني فنَعَمْ، فقبض المجنون بكلتا يديه قبضتين من الجمر فما فارقهما حتى سقط مغشيّاً عليه، وسقط الجمر مع لحم راحته، فقام زوج ليلى متعجباً منه، مغموماً بفعله.

ومن شعره [من الطويل]:

أيا جَبَلَيْ نَعْمان بالله خلّيا ... سبيل الصبا يخلص إليَّ نسيمها
أجد بردها أو تشفِ مني حرارة ... على كبد لم يبق إلا صميمها

---

(١) الأقحوانة: نوع من الزهر.

فإن الصَبا ريح إذا ما تنسمت ... على نفسِ مهموم تجلَّت همومها

ومنه وبه سُمِّيَ المجنون [من الطويل]:

يقول أناس علَّ مجنونَ عامر ... يروم سُلُوّاً، قلت: أنَّى لِمَا بِيَا

وقد لامني في حب ليلى أقاربي ... أخي وابن عمي وابن خالي وخاليا

يقولون: ليلى أهل بيت عداوة ... بنفسي ليلى من عدوٍّ وماليا

ولو كان في ليلى شذىً من خصومةٍ ... للوَّيتُ أعناق الخصوم الملاويا

ويُحكَى أنه لما قال [من الطويل]:

خَلِيلَيَّ لا والله لا أملك الذي ... قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليا

قضاها لغيري وابتلاني بحبها ... فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا

فسلب عقله وبرص.

ومن شعره [من الطويل]:

جرى السيل فاستبكاني السيل إذا جرى ... وفاضت له من مُقلتيَّ غروب

وما ذاك إلا حين أيقنت أنه ... يمر بواد أنت منه قريب

يكون أجاجاً دونكم فإذا انتهى ... إليكم تلقى نشركم فيطيب

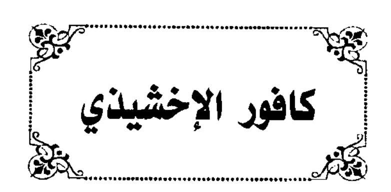
أظل غريب الدار في أرض عامر ... ألا كل مهجور هناك غريب

وإن الكثيب الفرد من أيمن الحمى ... إلي وإن لم آته لحبيب

ولا خير في الدنيا إذا أنت لم تزر ... حبيباً ولم يطرب إليك حبيب

ولم يزل المجنون يهيم في كل واد، ويتبع الظباء، ويكتب ما يقوله على الرمل، ولا يأنس بالناس حتى أصبح ميتاً في واد كثير الحجارة، وما دل

عليه إلا رجل من بني مرة، فحضر أهله وغسلوه وكفنوه، واجتمع فتيان حي ليلى يبكونه أحرَّ بكاء، ولم يُرَ باكٍ وباكية أكثر من ذلك اليوم، وذلك في حدود السبعين للهجرة[1].



كافور الإخشيذي

كافور أبو المسك الخادم الأسود الحبشي الأستاذ الإخشيدي السلطان.

اشتراه أبو بكر محمد بن طُغْج الإخشيد من بعض رؤساء المصريين، وكان أسود بصَّاصاً[2]، أبيع بثمانية عشر ديناراً، ثم تقدم عنده لعقله ورأيه وَسَعْده، إلى أن كان من كبار القواد، وجهَّزه في جيش لحرب سيف الدولة، ثم لما مات أستاذه صار أتابك[3] ولده أبي القاسم أنوجور، وكان صبيّاً، فغلب كافور على الأمور.

قال وكيله: خدمت كافوراً وراتبه كل يوم ثلاث عشرة جراية، وتوفي وقد بلغت ثلاث عشرة ألف جراية.

ولي أنوجور مملكة مصر والشام إلا اليسير، بعقد الراضي بالله[4]، والمدبر له كافور، فمات أنوجور سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، وأقيم مكانه أخوه أبو الحسن علي، ومات في أول سنة خمس وخمسين وثلاثمائة،

---

(١) «الوافي بالوفيات» : ٢٤/ ٢٩٧- ٣٠٢.

(٢) أي لّماعاً: انظر ((القاموس المحيط)): ب ص ص.

(٣) هو مصرف الدولة نيابة عن السلطان.

(٤) أي الخليفة العباسي.

فاستقل كافور بالأمر، وركب في الدَّسْت بخِلَعٍ[1] أظهر أنها جاءته من الخليفة وتقليد، وتمَّ له الأمر، ولم يبلغ أحد من الخدم ما بلغه، وكان ذكيّاً، له نظر في العربية والأدب والعلم، وممن كان في خدمته إبراهيم النجيرمي صاحب الزجَّاجِ النحوي.

وكانت أيامه سديدة جميلة، ودُعِيَ له على المنابر بالحجاز ومصر والشام والثغور: طرسوس والمِصِّيصة، واستقل بملك مصر سنتين وأربعة أشهر، وتوفي في جمادى الأولى سنة ست وخمسين وثلاثمائة، وعاش بضعاً وستين سنة، ودُفن بالقرافة الصغرى، وكان وزيره أبو الفضل جعفر ابن الفرات.

وكان كافور يحب الخير.

[٢٠٤٧] قال بعضهم: حضرت مجلس كافور فدخل رجل ودعا له وقال: أدام الله أيامِ مولانا- بكسر الميم- فتحدث جماعة من الحاضرين في ذلك وعابوه عليه، فقال رجل من أوساط الناس: وهو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن حشيش الجيزي اللغوي الإخباري كاتب كافور، والذي دعا لكافور ولحن هو أبو الفضل ابن ميحاس. وأنشد أبو إسحاق المذكور مرتجلاً: [من البسيط]:

لا غرو أنْ لَحَنَ الداعي لسيدنا	وغص من دهش بالريق أو بَهرِ
فتلك هيبته حالت جلالتها	بين الأديب وبين القول بالحصر
وإن يكن خَفَضَ الأيامَ من غلطٍ	في موضع النصب لا عن قلة النظر

---

(١) الدست: سرير الملك . والخلع : هي ما يرسله الخليفة للولاة من ملابس دالة على رضا عنهم وتعيينه إياهم.

فقـد تفاءلـت مـن هـذا لسـيدنا والفـأل نـأثره عـن سـيد البشـر

بـأن أيامـه خفـض بـلا نَصَـبٍ وأن أوقاتـه صـفوٌ بـلا كَـدَرِ

وكان كافور يأخذ نفسه برئاسة كبيرة.

[٢٠٤٨] ومدحه أبو الطيب المتنبي بقصائده الطنانة، فمن ذلك قصيدته التي منها [من الطويل]:

وخـيلاً مـددنا بـين آذانهـا القنـا فـبتن خفافـاً يَتّـبِعْنَ العواليـا

تجـاذب منهـا في الصـباح أعنـةً كأن على الأعناق منهـا أفاعيـا

قواصـد كـافورٍ تـوارك غـيره ومن قصد البحر استقل السواقيا

فجـاءت بنـا إنسـانَ عـين زمانـه وخَلَّـتْ بياضـاً خلفهـا ومآقيـا

وقال فيه قصيدته التي أولها [من الطويل]:

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

[٢٠٤٩] منها:

وأخـلاق كـافور إذا شـئت مدحـه وإن لم أشـأ تملـي علـي وأكتـبُ

إذا تـرك الإنسـان أهـلاً وراءه ويمـم كـافوراً فمـا يتغـربُ

ويقال: إنه لما فرغ منها قال يعز عليّ أن تكون هذه في غير سيف الدولة.

وحكي عنه أنه قال: كنت إذا دخلت على كافور أنشده يضحك إليّ، ويبش في وجهي إلى أن أنشدته قصيدتي التي منها:

ولمــا صــار ود النــاس خِبّــاً جزيـت علـى ابتسـام بابتسـام[1]
وصـرت أشـك في مـن أصـطفيه لعلمــي أنــه بعــض الأنــام

قال: فما ضحك بعدها في وجهي إلى أن تفرقنا، فعجبت مـن فطنتـه وذكائه.

[٢٠٥٠] ولأبي الطيب فيه الأهاجي المؤلمة مثل قوله [من البسيط]:

مـا كنـت أحسـبني أحيـا إلى زمـن يسيء بي فيه كلب وهـو محمـود
وأن ذا الأسـودَ المثقـوبَ مشـفرُه تطيعه ذي العضاريطُ الرعاديد[2]
أكلمـا اغتـال عبـدُ السـوء سـيده أو خانــه فلــه في مصــر تمهيــد
نامـت نـواطير مصـر عـن ثعالبهـا وقد بَشِمْنَ فما تفنـى العناقيـد[3]
العبــد لــيس لحــر صــالح بــأخٍ لــو أنــه في ثيــاب الخــزِّ مولــود
لا تشـتر العبـد إلا والعصـا معـه إن العبيـــد لأنجـــاس مناكيـــد
من عَلّم الأسود المخصـي مكرمـة أقومه البيض أم آبـاؤه الصِـيد[4]
أم أذنــه في يــد النخــاس داميــة أم قَـدْره وهـو بالفلسـين مـردود
من كل رخو وكـاءِ الـبطن منفتـق لا في الرجال ولا النسوان معدود

(١) الخب: الخداع.

(٢) الرعديد: الجبان، والجمع: رعاديد، والعضاريط جمع عضروط وهو الذي يخدم بطعامه.

(٣) بشمن: امتلأن من الطعام.

والمراد بنواطير مصر: سادتها، وبثعالبها: عبيدها وأراذلها، والعناقيد: الأموال: أي كلما أكلوا شيئاً أخلف لهم غيره.

(٤) الصِّيد: الملوك العظام.

ما يقبض الموت نفساً من نفوسهم إلا وفي يده من نَتْنها عود

أولى اللئام كُوَيْفير بمعذرة في كل لؤم وبعض العذر تفنيد[1]

وذاك أن الفحول البيض عاجزة عن الجميل فكيف الخصية السود

ومثل قوله أيضاً [من البسيط]:

من أَيّةِ الطُرْقِ يأتي مثلَك الكرم أين المحاجم يا كافور والجَلَم[2]

لا شيء أقبح من فحل له ذكر تقوده أَمَةٌ ليست لها رحم

وله فيه غير ذلك، ومن قصائده الطنانات فيه قوله [من الطويل]:

عدوك مذموم بكل لسان ولو كان من أعدائك القمران

[٢٠٥١] ولما غزا كافور دُنقلة وأكثر جيشه سُودان قال شاعر:

ولما غزا كافور دنقلة غدا بجيش كطول الأرض في مثله عرض

غزا الأسود السودان في رونق الضحى فلما التقى الجمعان أظلمت الأرض[3]

---

(١) أي أنه أحق اللئام بالعذر على لؤمه لعجزه عن المكارم، وهذا العذر تقريع له، وقد بين العذر في البيت التالي.

(٢) المحاجم: القوارير التي يستعملها الحجام، والجلم - هنا- المشرط - والمتنبي يذكره بأصله وأنه كان عبداً لحجام بمصر.

(٣) «الوافي بالوفيات» : ٢٤/ ٣٠٥- ٣٠٩.



الكِنْدي

كثير بن الصلت الكندي المدني.

هو الذي كان أهل المدينة إذا نسبوا رجلاً إلى الإقبال، قالوا: لقي ليلة كثير بن الصلت، وذلك أن معاوية أمر رجلاً من آل أبي بكر أن يبني له منزلاً بالمدينة ينزل به إذا اجتاز إلى مكة، ففعل.

[٢٠٥٢] وأقبل معاوية والبكري يسايره إذ نظر من الثنية إلى منزل كثير بن الصلت، فقال معاوية: أمنزلي هذا؟ فقال: ليس به، ومنزلك قريب، ولو قد صرت إلى قرار المصلى لرأيته، وهذا منزل كثير، فنظر إلى كثير في موكبه على بعير له فدعاه وسايره وسأله عن رأيه في المنزل فقال:

لست أقدر على بيعه.

قال: أو ليس لك؟

قال: بلى، ولكن قدمنا هذا الحرم، ونحن نُنْسَب إلى آبائنا ونعرف بأحسابنا فاستولى على ذلك هذا المنزل وصرنا نعرف به، وفيه سبعون مختمرة ليس يحول بين الناس وبين معرفة حالهن إلا حائطه، ولو خرجن منه كشف منهن ما لا يُقْدر على احتماله.

فقال: إني أثمنك وأنيخ بعيرك فأصب على هامته وسنامه حتى أواريهما.

فقال: إني لا أجد لذلك سبيلاً لما أعلمتك، وكانت له نفس شديدة.

فقضى معاوية حجه وفيه عنه إعراض، وقد كان أسلفه مائتي ألف

درهم في غرم لزمه، فأوصى مروان بن الحكم بقبض المال منه وقال: إن استأجلك أجلاً قصيراً فأجله، فإن وافاك بالمال وإلا فبع ربعه وملكه حتى تستوفي ذلك منه.

وكان الذي بين مروان وكثير قبيحاً، فأرسل مروان إلى كثير فأعلمه بذلك، فاستأجله شهراً، فقبل ذلك. ورجع كثير إلى منزله فدعا ابنه الزبير وقال: يابني إنا لسنا نجد لنا خيراً من أمير المؤمنين، وإن كان قد أمر فينا بما أمر، فكتب له ووجهّه[1] وعَظّم الحق.

فلما كان في آخر يوم من الأجل ولم يأته عن ابنه خبر أتى سعيد بن العاص فأخبره خبره، فقال سعيد: إن أحببت أن أتولى المال ودفعه واكتتاب البراءة لك بذلك فعلت، وإن شئت حمل إليك، فجزاه خيراً وانصرف.

فلما كان ببعض الطريق ذكر قيس بن سعد بن عبادة فقال: قيس سيد هذا الحرم من ذي يمن، وقد ابتليت بما علم، فجاء إليه وأخبره خبره، فقال قيس: أمسيت عن حاجتك وهي مصبحتك غداً إلى منزلك، وإن أحببت ولينا حملها عنك إلى مروان.

فانصرف كثير حتى إذا أخذ بحلقة باب داره ذكر عبد الله بن جعفر فقال: ما فيهم أحد أشد إكراماً لي منه، فدخل عليه وهو يتعشى، فأخبره خبره، فالتفت إلى هانئ وكيله وقال: ما عندك؟ قال: مائة ألف درهم. قال: ما جاء من شيء نصفه إلا تم بإذن الله، ثم نظر في وجوه جلسائه ومعه رجل من بني الأرقط ومن ولد علي فضحك، قال: هي عندي، قال: من أين هي لك؟ قال: من فضول صِلاتك. فانصرف كثير إلى منزله فبات

(١) أي وجهه إلى معاوية رضي الله عنه.

آمناً وأمن نساؤه.

فلما كان في السحر قدم ابنه الزبير بكتاب معاوية أن لا يعرض له، وكتب له براءة، فأصبح غادياً إلى مروان فدفع كتبه إليه، ومضى إلى سعيد ابن العاص فإذا البِدَر[1] على ظهر الطريق. فلما نظر إليه قال: أحوجنا أبا الزبير إلى الغدو، قال: ما لذلك جئت، وأخبره الخبر، وجئت لأسرك وأشكرك، فقال: أتراني راجعاً في شيء أمرت لك به؟ فرجع والمال معه.

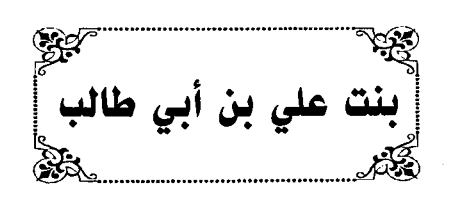
فأتى قيس بن سعد فإذا المال مجموع فأخبره الخبر، فقال: أفأرده يا أبا الزبير في مالي وقد أمرت لك به؟ احملها يا غلام معه.

ثم أتى عبد الله بن جعفر فأخبره الخبر، فقال: ما كنت لأرجع في شيء أمرت لك به، فقال: أما ما كان من عندك فنعم، وأما ما استقرضته فلا. فقال: أنا على قضاء الديون أقوى منك، ولك خروق فارقعها به، فانصرف به. وكان مثلاً في المدينة.

توفي في حدود الثمانين للهجرة، وروى له النسائي، روى هو عن أبي بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت[2].

(١) أي أوعية المال.

(٢) «الوافي بالوفيات» : ٢٤/ ٣٢٤- ٣٢٥.



بنت علي بن أبي طالب

أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب.

[٢٠٥٣] ولدت قبل وفاة رسول الله ﷺ. أمها فاطمة، خطبها عمر بن الخطاب ﷺ إلى علي ﷺ فقال: إنها صغيرة.

فقال عمر: زوجنيها يا أبا حسن فإني أرصد من كرامتها ما لا يرصده أحد.

فقال علي: أنا أبعثها إليك، فإن رضيتها فقد زوجتكها، فبعث إليها ببرد وقال لها: قولي له هذا البرد الذي قلت لك، فقالت ذلك لعمر، فقال: قولي له قد رضيتُ، رضي الله عنك، ووضع يده على ساقها فكشفها.

فقالت: أتفعل هذا؟ لولا أنك أمير المؤمنين لكسرت أنفك، ثم خرجت فجاءت أباها وقالت: بعثتني إلى شيخ سوء.

قال: يا بنية، فإنه زوجك.

فجاء عمر إلى مجلس المهاجرين في الروضة فقال لهم: رفئوني[١].

فقالوا: بم ذا؟

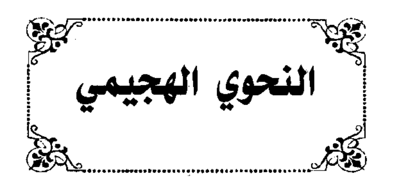
قال: تزوجت أم كلثوم بنت علي، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«كل نسب وسبب وصهر منقطع يوم القيامة إلا نسبي وسببي وصهري»**، فكان

---

(١) أي هنئوني.

لي به- عليه السلام- النسب والسبب، وأردت أن أجمع إليه الصهر، فرفأوه، وتزوجها على مهر أربعين ألفاً، وولدت لعمر زيد بن عمر الأكبر ورقية.

[٢٠٥٤] وتوفيت أم كلثوم وابنها زيد في وقت واحد في حدود الخمسين للهجرة، وكان زيد قد أصيب في حرب كان بين بني عدي ليلاً، خرج ليصلح بينهم فضربه رجل فشجه فصرعه، فعاش أياماً، وصلى عليهما ابن عمر، قدمه حسن بن علي فكانت فيهما سُنَّتان فيما ذكروا لم يورث واحد منهما من صاحبه لأنه لم يعرف أولهما موتاً، وقُدّم زيدٌ قبل أمه مما يلي الإمام(١).



النحوي الهجيمي

كيسان بن المعرف، أبو سليمان النحوي الهجيمي.

[٢٠٥٥] قالوا: كان يخرج معنا إلى الأعراب فينشدوننا، فيكتب في ألواحه غير ما ينشدوننا، وينقل من ألواحه إلى الدفاتر غير ما فيها، ثم يحفظ من الدفاتر غير ما نقله إليها، ثم يحدث بغير ما يحفظ.

وذكر أبو الطيب في كتاب «مراتب النحويين» عن الأصمعي قال: كيسان ثقة ليس بمتزيد، وقد أخذ عن الخليل.

[٢٠٥٦] وحدث أبو العيناء قال:

قال كيسان لخلف الأحمر: يا أبا محرز: المخبل كان شاعراً أو من بني

---

(١) «الوافي بالوفيات» : ٢٥/ ٣٦١، ٣٦٢.

ضبة، فقال: يا مجنون، صحح المسألة حتى تسمع الجواب.

[٢٠٥٧] وقال أبو زيد يوماً في مجلسه:

كانت العرب تقول: ليس لحاقن رأي، فقال كيسان: ولا لمُنْعِظ[١]، فقال أبو زيد: ما سمعناه ولكن اكتبوه فإنه حق.

[٢٠٥٨] وقال أبو زيد:

جاء صبي إلى كيسان يقرأ عليه شعراً حتى مر ببيت فيه ذكر العِيس فقال: الإبل البيض التي يخلط بياضها حمرة.

قال الصبي: وما الإبل؟

قال: الجمال.

قال: وما الجمال؟

فقام كيسان على أربع ورغا في المسجد وقال: الذي تراه طويل الرقبة وهو يقول بوع.

[٢٠٥٩] وحدث المبرد عن التوزي قال:

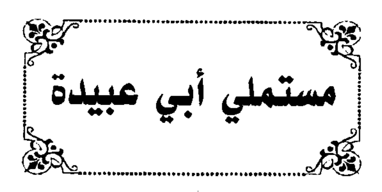
حبس عيسى بن سليمان الهاشمي كيسان، وكان أحد الطُيَّاب[٢]، وكان أبو عبيدة يعبث به كثيراً، فشفع فيه أبو عبيدة إلى الأمير فأمر بإخراجه، فقال للجلاوزة: من أخرجني؟ قالوا: تكلم فيك شيخ مخضوب. فقال: أمه زانية إن برح من الحبس: أحبيس ظلم وطليق ذل؟ لا يكون ذلك أبداً[٣].

---

(١) هو الذي قام ذكره.

(٢) أي السُذّج.

(٣) «الوافي بالوفيات» : ٢٤/ ٣٨٠،٣٨١.



مستملي أبي عبيدة

كيسان مستملي أبي عبيدة.

[٢٠٦٠] قال الجاحظ: كان يكتب غير ما يسمع، ويقرأ غير ما يكتب، أمليت عليه يوماً [من الهزج]:

عجبـــت لمعشـــر عـــدلوا ... بمعتمـــر أبـــا عمـــرو

فكتبه أبو بشر، وقرأه أبا حفص.

[٢٠٦١] وسأله أبو عبيدة عن رجل من شعراء العرب ما اسمه فقال: خداش أو خراش أو رياش أو خماش أو شيء آخر وأظنه قرشياً، فقال له أبو عبيدة: من أين علمت أنه قرشي؟ قال: رأيت اكتناف الشينات عليه من كل جانب.

[٢٠٦٢] قال الجاحظ:

وشهد على رجل عند بعض الولاة فقال: سمعت بأذني وأشار إلى عينه، ورأيت بعيني وأشار إلى أذنه، أنه أمسك بتلابيب هذا الغلام وأشار إلى كُمَّيْه. وما زال يضرب خاصرته وأشار إلى فَكَّيْهِ. فضحك الوالي وقال: أحسبك قرأت كتاب خلق الإنسان على الأصمعي، قال: نعم[1].

---

(١) «الوافي بالوفيات»: ٢٤/ ٣٨١، ٣٨٢.



لبيد
الشاعر الصحابي

لبيد بن ربيعة العامري الشاعر.

[٢٠٦٣] قدم على رسول الله ﷺ مع قومه فأسلم وحسن إسلامه، روى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد [من الطويل]:**

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

ومن هذه القصيدة قوله:

وكل امرئ يوماً سيعلم سعيه   إذا كشفت عند الإله المحاصل

وهذا يدل على أنه قال هذا الشعر في الإسلام، قال ابن عبد البر: وأكثر أهل الآثار، قال: إن لبيداً لم يقل شعراً في الإسلام منذ أسلم، وقال بعضهم: لم يقل في الإسلام إلا قوله:

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي   حتى اكتسيت من الإسلام سربالاً

وقد قيل: إن هذا البيت لقردة بن نفاثة السلولي، وهو أصح عندي، وقال غيره: البيت الذي قاله في الإسلام قوله:

ما عاتب المرءَ الكريم كنفسه   والمرء يصلحه القرين الصالح

[٢٠٦٤] وكان شريفاً في الجاهلية والإسلام، وكان قد نذر أن لا تهب

الصَبا[1] إلا نحر وأطعم، ثم نزل الكوفة، وكان المغيرة بن شعبة إذا هبت الصبا يقول: أعينوا أبا عقيل على مروءته.

[٢٠٦٥] وقالت عائشة- رضي الله عنها-: رحم الله لبيداً حيث يقول [من الكامل]:

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم وبقيت في خَلَفٍ كجلد الأجرب

لا ينفعون ولا يُرَجّى خيرهم ويعاب قائلهم وإن لم يَشْغَبِ

قالت: فكيف لو أدرك زماننا هذا؟

ومات لبيد سنة إحدى وأربعين للهجرة، وهو وعلقمة بن علاثة العامِريَّان من المؤلفة قلوبهم.

[٢٠٦٦] قال مالك بن أنس: بلغني أنه عاش مائة وأربعين سنة.

وهو القائل:

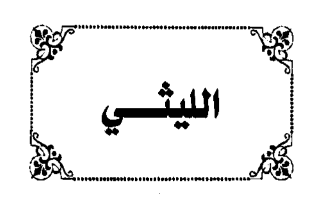
ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد

وقالت عائشة- رضي الله عنها-: رويت للبيد اثني عشر ألف بيت[2].

---

(١) نوع من الرياح.

(٢) «الوافي بالوفيات» : ٢٤/ ٣٩٦- ٣٩٨.



الليثي

المتوكل بن عبد الله بن نهشل الليثي أبو جهمة الكوفي.

من شعراء الإسلام.

[٢٠٦٧] من شعره [من الطويل]:

ألا رب مسرور بموتي لو أتى ... وآخر لو أُنعَى له لبكاني

وكنت امرءاً يأبى ليَ الضيم أنني ... صرومٌ إذا الأمر المهم عناني

[٢٠٦٨] وقال [من السريع]:

لسنا وإن أحسابنا كرمت ... يوماً على الأحساب نتكل

نبني كما كانت أوائلنا ... تبني ونفعل مثل ما فعلوا

[٢٠٦٩] وقال وقد سألته امرأته رهيمة الطلاق فطلقها، وهي طويلة منها [من الوافر]:

فبت وبات همي لي نجياً ... أعزي عنك قلباً مستهاما

إذا ذُكِرَتْ لقلبك أمُّ بكر ... يبيت كأنما اغتبق المداما[1]

أبى قلبي فما يهوى سواها ... وإن كانت مودتها غراما

ينام الليلَ كلُّ خلي هَمٍّ ... وتأبى العين مني أن تناما

على حين ارعويت وكان رأسي ... كأن على مفارقه ثغاما[2]

(١) المدام: الخمر، والغبوق: ما يشرب آخر النهار من اللبن ونحوه، وعكسه الصبوح.

(٢) يقال: أثغم الرأس، إذا صار كالثغامة بياضاً، والثغام نبت أبيض .

سعى الواشون حتى أزعجوها ورَثّ الحبل فانجذم انجذاما[1]

تُرَجّيها وقد شحطت نواها وَمَنّتك المُنى عاماً فعاما[2]

إذا ابتسمت تلألأ ضوء برق تهلل في الدُّجُنَّة ثم داما[3]

فلو أشكو الذي أشكو إليها إلى جبل لراجعني الكلاما

أحب دنوها وتحب نأيي وتعتام التنايف لي اعتياما[4]

كأني من تذكر أمِّ بكر جريح أسنة يشكو الكلاما

تساقط أنفساً نفسي عليها إذا شحطت وتغتم اغتماما

صليني واعرفي أني كريم وأن حلاوتي خلطت عُراما[5]

وأني ذو محافظة صليب خلقت لمن يشاكسني لجاما

فلا وأبيك لا أنساك حتى تجاوب هامتي في القبر هاما[6]

---

(١) أي انقطع.

(٢) شحطت أي ابتعدت.

(٣) الدجنة: الظلام.

(٤) تعتام: تختار، والتنايف: التباعد، وروي البيت: وتعتام التنائي لي اعتياماً.

(٥) العرام: الشراسة والأذى.

(٦) إشارة إلى الهامة - والهامة الرأس - التي يزعمون خروجها من رأس القتيل بعد الموت.

«الوافي بالوفيات»: ٢٥/ ١١٧- ١٢١.

أبو القاسم المَعَرّي

المُحَسِّن بن عبد الله بن محمد أبو القاسم، ذكره السمعاني في تاريخ المؤلَّف، وأورد له: [من الطويل]

[٢٠٧٠]وكلٌّ أداويه على قدر دائه ... سوى حاسدي فهي التي لا أنالها

وكيف يداوي المرء حاسد نعمة ... إذا كان لا يرضيه إلا زوالها؟

[٢٠٧١] وأورد له: [من المتقارب]

إذا ما رأيت امرءاً كاسباً ... يخاف العواقب في كسبه

يريد الغنى ويخاف الردى ... فذره ولا تك من حزبه

فما يدرك المرء أمنيةً ... وخوف المَنِيَّةِ في قلبه

[٢٠٧٢] قلت أنا: ومن شعره: [السريع]

انع إلى من لم يمت نفسه ... فإنه عما قليل يموت

ولا تقل: فات فلان فما ... في سائر العالم من لا يفوت

أما ترى الأجداث مملوءة ... لما خلت من ساكنيها البيوت؟

فاقنع بقوتٍ حَسْبُ من لم يزل ... مخلداً في هذه الدار قوت

ولا يكن نطقك إلا بما ... يعنيك أو فالذكر أو فالسكوت

وكان قد حج - رحمه الله - سنة عشر وأربع مائة، على طريق دمشق، فمات بوادي مَرّ، وحُمل إلى المدينة، ودُفن بالبقيع، وله

مُصَنَّفات[1].



الورّاق الشاعر

محمود بن الحسن الورّاق.

أكثر من الشعر الحسن في المواعظ والحكم، وروى عنه أبو بكر بن أبي الدنيا.

مات في خلافة المعتصم في حدود الثلاثين ومائتين.

[٢٠٧٣] ومن شعره: [من المجتث]

ما إن بكيت زماناً ... إلا بكيت عليه

ولا ذممت صديقاً ... إلا رجعت إليه

[٢٠٧٤] ومنه: [من الطويل]

وما صاحب السبعين والعشر بعدها ... بأقرب ممن حنكته القوابل

ولكن آمالاً يؤملها الفتى ... وفيهن للراجين حق وباطل

[٢٠٧٥] ومنه: [من الكامل]

يا ناظراً يرنو بعَيْنَيْ راقد ... ومشاهداً للأمر غير مشاهد

تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي ... درك الجنان بها وفوز العابد

ونسيت أن الله أخرج آدماً ... منها إلى الدنيا بذنب واحد

---

(١) «الوافي بالوفيات»: ٢٥/ ١٨٠- ١٨٢.

[٢٠٧٦] ومنه:[من الوافر]

إذا أعطاك قتَّرَ حين يعطي ... وإن لم يُعطِ قال: أبى القضاء
يُبخِّل ربه سفهاً وظلماً ... ويعذر نفسه في ما يشاء

[٢٠٧٧] ومنه: [من السريع]

الدهر لا يَبقى على حالة ... لكنه يُقبل أو يُدبر
فإن تلقَّاك بمكروهه ... فاصبر فإن الدهر لا يصبر

[٢٠٧٨] ومنه: [من الكامل]

تعصي الإله وأنت تُظهر حبه ... هذا مُحال في القياس بديع
لو كان حبُّك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

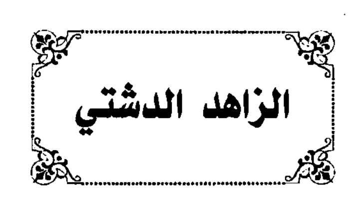
[٢٠٧٩] ومنه:[من الكامل]

دارِ الصديقَ إذا استشاط تَغضُّباً ... فالغيظ يُخرج كامن الأحقاد
ولربما كان التغضب باحثاً ... لمثالب الآباء والأجداد

[٢٠٨٠] ومنه: [من الطويل]

لَبِسْتُ صروفَ الدهر كهلاً وناشئاً ... وجرّبتُ حالَيْهِ على العسر واليسر
فلم أَرَ بعد الدِّين خيراً من الغِنَى ... ولم أَرَ بعد الكفر شراً من الفقر[١]

(١) «الوافي بالوفيات» : ٢٥/ ١٩١- ١٩٦.



الزاهد الدشتي

محمود بن إسفِنْديار أبي القاسم بن بدران، الزاهد العالم، أبو محمد الأثمي الدَّشْتي الإرْبِلي.

سمع الكثير، وعُنِيَ بالحديث ونَسْخِ الأجزاء، وخطه رديء، وكان قانعاً متعففاً صبوراً على الفقر، يلبس فروة حمراء وثوبَ خامٍ.

[٢٠٨١] وكان أمَّاراً بالمعروف نهَّاءً عن المنكر، دخل على الناصر وأنكر عليه بعض هَناته[1]، فلكمه السلطان وأُخرج ثم بعث إليه يستعطفه، فقال: وُدِّي أن أدخل إليه وأخاطبه بما خاطبته به، ويعود إلى ضربي.

[٢٠٨٢] وضربه مرة أخرى لؤلؤ بحلب لما كان بها نائباً؛ لأنه قرأ مناقب الصحابة وقصد إسماعه ذلك يوم الجمعة، وكان شيعيّاً، فلهذا ضربه.

وأنكر على الباذرائي القيام للدعاء للخليفة بدار السعادة.

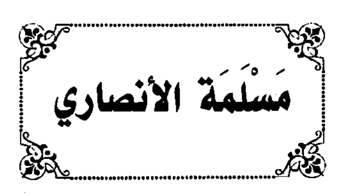
وكان كثير الصوم.

وتوفي سنة خمس وستين وست مائة، ودُفن بسفح المقطم[2].

---

(١) أي أخطائه.

(٢) «الوافي بالوفيات» : ٢٥/ ٢٣٧.



مَسْلَمَة الأنصاري

مَسْلَمَةُ بنُ مُخَلَّدِ بنِ صامتِ بنِ نِيَّارٍ الأنصاريُّ الساعديُّ، وقيل: الزُّرَقي، أبو مَعْن.

ولد مقدم النبي ﷺ المدينة، وقيل غير ذلك، وشهد فتح مصر وسكنها، ثم تحول إلى المدينة، ثم ولاه معاوية مصر.

قال الواقدي: قدم مسلمة بن مخلد والياً على مصر وإفريقية سنة خمسين، وهو أول من جمع له مصر والمغرب، ولم يزل على ذلك حتى توفي معاوية.

وهو أول من جعل بمصر بنيان المنار في المساجد سنة ثلاث وخمسين.

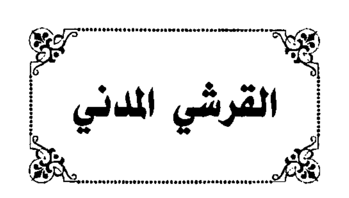
[٢٠٨٣] وكانت ولايته على مصر وإفريقية ست عشرة سنة ولم يعقب.

قيل: إنه مات بمصر، وقيل: بالمدينة سنة اثنتين وستين.

[٢٠٨٤] وروى سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة عن مجاهد، قال: كنت أرى أني أحفظ الناس للقرآن، حتى صليت خلف مسلمة بن مخلد الصبح، فقرأ سورة البقرة، فما أخطأ فيها واواً ولا ألفاً[١].

---

(١) «الوافي بالوفيات»: ٢٥/ ٥٨٢- ٥٨٤.



القرشي المدني

مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد.

أحد الرواة الشعراء الأدباء العلماء مجالسي الخلفاء، هو عم الزبير بن بكار.

وكان عالماً بالنسب أوحد زمانه فيه، خصوصاً نسب قريش.

توفي عن ثمانين سنة، سنة ست وثلاثين ومائتين.

وكان مع هذه الفضائل يقف في القرآن[1].

قال مصعب: ذكرني أبي للرشيد وقال: يا أمير المؤمنين: إن لي ابناً قد بلغ من الظرف والرواية وقول الشعر مبلغاً صالحاً، وبه حياء يمنعه من كلام أمير المؤمنين. قال: ائتني به، فإني أوانسه وأقربه حتى تذهب حشمته. فدخلت عليه وقربني وأكرمني، واستنشدني فأنشدته مديحاً لي فيه، فلما بلغت إلى قولي فيه:

كأنك جئت مُحتَكِماً عليهم ... تُحكِّم في الأبوة ما تشاء

لك الفضلُ المُبرُّ على قريش ... كما فضَلَ الظلامَ لنا الضِّياء

أخذت عليهمُ النَّسَب المُصفَّى ... وجُوداً ما تُضعضِعُه الدِّلاء

فاستحسن ذلك ووصلني، فلما خرجت، قال لأبي: أليس زعمت أن

---

(١) أي لا يقول مخلوق ولا يقول غير مخلوق، وهذا منقوض بما سيأتي قريباً في ترجمته.

بابنك حياء مانعاً، ما رأيت الذي هو أجرأ ولا أصفق وجهاً منه، ثم دخلت عليه فقال: يا مصعب: أنشد. فقلت: يا أمير المؤمنين، ما لي وللمديح، إنما نحن قوم أوليتنا صنائع، فنحن نشكرك بما نقدر عليه من شعر وغيره، قال: فعجبت من كظمه علي، وما أعاد علي شيئاً، ولا سألني بعد ذلك عن شيء من الشعر.

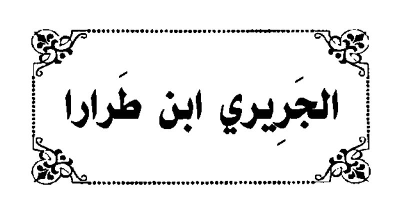
[٢٠٨٥] حدث المرزباني عن أحمد بن محمد المكي قال: حدثني ابن أبي خيثمة قال: قلت لمصعب:

إن هؤلاء الذين يقولون: القرآن كلام الله ويقفون ويقولون: من قال: مخلوق قد ابتدع، ومن قال: غير مخلوق فقد ابتدع، ويحتجون بك ويزعمون أنك تقول هذا القول، وأن مالك بن أنس يقول بهذه المقالة، فقال: معاذ الله، أما أنا فأقول: القرآن كلام الله وأسكت، وقلبي يميل إلى أنه غير مخلوق، ولكني أسكت؛ لأنه بلغني عن مالك بن أنس أنه كان يقول: الكلام في الدين كله أكرهه، ولم يزل أهل بلدنا يكرهون القدرَ ورأْيَ جَهْم وما أشبهه، وما أحب الكلام إلا فيما تحته عمل، فأما الكلام في الله- عز وجل- فلا، وأحب في هذه الأشياء السكوت عنها؛ لأنني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدين إلا ما كان تحته عمل.

ولمصعب كتاب النسب، وكتاب نسب قريش خاصة، ووثقه الدارقطني، وروى ابن ماجه عنه حديثاً واحداً في النجس، وروى النسائي عن رجل عنه[١].

---

(١) «الوافي بالوفيات» : ٢٥/ ٦١٢- ٦١٤.



الجَرِيري ابن طَرارا

المعـافَى بـن زكريـاء بـن يحيـى، أبـو الفـرج، المعـروف بـابن طـرارا وبالجريري، نسبة إلى محمد بن جرير الطبري، لقوله بمذهبه، النهرواني.

مولده سنة خمس وثلاث مائة، وتوفي سنة تسعين وثلاث مائة.

وكان عالماً بالنحو واللغة والفقه والأخبار والأشعار، ثقةً ثبتاً.

ولي القضاء، وروى عن جماعة من الأئمة، وروى عنه جماعة.

[٢٠٨٦] حضر في دار لبعض الرؤساء وكـان هنـاك جماعـة مـن أهـل العلم فقالوا له: في أي نوع مـن العلـم تتـذاكر؟ فقـال أبـو الفـرج لـذلك الرئيس: خزانتك قد جمعت أنواع العلوم وأصناف الأدب، فابعث الغـلام يفتحها ويضرب بيده إلى أي كتاب رأى منها ويفتحه، وينظر في أي العلوم هو فنتذاكر فيه، وكان أبو محمد البـاقي يقـول: إذا حضـر أبـو الفـرج فقـد حضرت العلوم كلها، وقال: لو أوصى رجل بثلث مالـه أن يـدفع لأعلـم الناس، لوجب أن يصرف إلى أبي الفرج المعافى.

[٢٠٨٧] وقال أبو حيان التوحيدي:

رأيت أبا الفرج المعافي قد نام مستدبر الشـمس في جـامع الرصـافة في يوم شات وبه أثر الضر والفقر والبؤس مع غـزارة علمـه، واتسـاع أدبـه، وفضله المشهور، وقوله المأثور، ومعرفته بصنوف العلم ورجاحتـه خاصـة في علم الآثار والأخبار وسيرة العرب وأيامها، فقلت: مهـلاً أيهـا الشـيخ وصبراً، فإنك بعين الله ومرأى منه ومسمع، وما جمع الله لأحـد عـز المـال

وشرف العلم، ولك بالأنبياء أسوة وبالصالحين قدوة، فقال لي: ما لابد منه في الدنيا فلابد منه ثم أنشد:

يـــا مِحنـــة الله كُفِّـــي ... أوْ لم تَكُفِّـــي فخِفِّـــي

قـــد آنَ أن ترحمينـــا ... مـــن طـــول هـــذا التَّشـــفِّي

طلبـــت جَـــداً لنفســـي ... فقيـــل لـــي: قـــد تُـــوُفِّي[1]

فـــلا عُلُـــومِيَ تُجـــدِي ... ولا صـــناعة كَفِّـــي

ثَـــوْرٌ يَنَـــالُ الثُّرَيَّـــا ... وعَـــالِمٌ مُتَخَفِّـــي

[٢٠٨٨] ومنه أيضاً: [من المتقارب]

ألا قُـلْ لمـن كـان لـي حاسـداً ... أتدري على مَنْ أَسَأتَ الأدَبْ؟

أســأْتَ علــى اللهِ في فِعْلِــه ... لأنـك لم تَـرْضَ لـي مـا أَحَـبّ

فجــازاك عَنِّــي بــأنْ زادَنِــي ... وسَـدَّ عليـك وُجـوهَ الطَّلَـبْ

[٢٠٨٩] ومنه أيضاً: [من الخفيف]

مالــكُ العــالمين ضــامنُ رِزقِــي ... فلمــاذا أُمَلِّــك الخَلْــقَ رِقِّــي؟

قـدْ قَضَـى لـي بمـا عَلَـيّ ومـا لِـي ... خَـالِقي جَـلَّ ذِكْـرُه قبـل خَلْقِـي

صاحِبي البَذْلُ والنَّـدَى في يَسـاري ... ورفيقي في عُسْرَتي حُسـنُ رِفْقِـي

وكمــا لا يَــرُدُّ عَجــزِيَ رِزْقــي ... فكَــذا لا يَجُــرُّ رِزْقِــيَ حِــذْقِي

[٢٠٩٠] وما أحسن قول علي بن الجهم في هذا المعنى: [من الطويل]

لَعَمـرُكَ مـا كُـلُّ التَّعَطُّـلِ ضَـائِرُ ... ولا كُلُّ شُغْلٍ فيـه للمـرء مَنفعـهْ

---

(١) الجد: الحظ.

إذا كانت الأرزاقُ في القُربِ والنَّـوَى   عليك سواءٌ فاغتنِم راحَةَ الدَّعَـهْ[1]

[٢٠٩١] وقال أبو الفرج:

حججت مرة، فلما كنت بمنى أيام التشريق سمعت منادياً ينـادي: يـا أبا الفرج، فقلت: لعله يريدني، ثم قلت: في الناس خلق كثير ممن يكنى أبا الفرج.

فنادى: يا أبا الفرج المعافى، فهممت أن أجيبه ثم قلـت: قـد يتفـق أن يكون آخر اسمه المعافى ويكنى أبا الفرج، فلم أجبه.

فنادى: يا أبا الفرج المعافى بن زكرياء، فهممـت بإجابتـه، ثـم قلـت: لعل في الناس من اسمه باسمي واسم أبي وكنيتي، فلم أجبه.

فنادى: يا أبا الفرج المعافى بن زكرياء النهرواني، فقلت: لم يبـق شـك في مناداته إيايَ إذ ذكر كنيتي واسمي واسم أبي ونسبتي إلى بلدي، فقلـت: ها أنا ذا، فما تريد؟

قال: لعلك من نهروان الشرق؟

فقلت: نعم.

فقال: أنا أريد واحداً من نهروان الغـرب، فعجبـت مـن اتفـاق ذلـك كله.

قلت: لم أسمع بهذه البلدة أعـني بـالنهروان بـالغرب، ولا وقفـت لهـا على خبر إلا في هذه الحكاية.

[٢٠٩٢] وقال أبو حيان التوحيدي بعد ثناء كثير عليه:

---

(١) النوى: البعد.

ولقد شاهدته يناظر ابن مجاهد المتكلم البصري في مسألة اللفظ العام هل له صيغة أو لا، فأعاد الكلام فيها ثلاثة مجالس أربعين نوبة، ثم تركا ذلك مللاً. وسمعت ابن مجاهد يقول: والله لقد عييت بك... تعجباً منه، وقال في ذلك اليوم ابن المرزبان الشافعي: ونحن في مجلس مطهر الفقيه الحنفي بدرب الزعفران: والله إن هذا لسيد الناس، يعني ابن طرارا. ولولا فقره لوطئ الناس عقبه، ودانوا له وتبعوا مقالته.

فقلت: أيها الشيخ، لا عار عليه، هذا المأمون الخليفة يقول: ثلاثة إذا نزلت بالإنسان فلا عار بها عليه: الفقر والمرض والموت؛ لأنها أحكام من الله، حشا بها الدار وابتلى بها الخلق.

ولابن طرارا تصانيف، منها: كتاب «الجليس والأنيس» في أربع مجلدات[١] يدل على غزارة علومه[٢].



ملكشاه

ملكشاه بن ألب رسلان محمد بن داود، السلطان جلال الدولة السلجوقي.

لما توفي أبوه كان في صحبته جلال الدولة، ولم يصحبه قبلها في السفر، فولي الأمر بعده بوصية من أبيه، وتحليف الأمراء له، ووصى به الوزير

---

(١) بدأ بتحقيقه محمد مرسي الخولي وكيل معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، وظهر الجزء الأول والثاني منه سنة ١٩٨١، ثم ظهر الجزءان الثالث والرابع منه بتحقق الدكتور إحسان عباس في بيروت سنة ١٩٨٧ وسنة ١٩٩٣، على التوالي.

(٢) «الوافي بالوفيات» : ٢٥/ ٧١٨- ٧٢٤.

نظـام الملـك أبـا علـي، وأن يكـون مرجـع أولاده في ممـالكهم إلى جلال الدولة.

[٢٠٩٣] وعبر نهر جيحون عائداً إلى البلاد، فوجد بعض أعمامه قـد خرج عليه، فعاجله وتصافا بالقرب مـن همـذان، فنصـره الله علـى عمـه وانهزم فاتبعه بعض جنده وأسروه، فبذل التوبة، ورضـي بالاعتقـال، وأن لا يقتـل فلـم يجبـه جـلال الدولـة، فقـال: أمـراؤك كتبـوا إلـي، وأخـرج خريطة[١] ملئ من الكتب فرمى الكتب في كانون نار بين يديه بإشارة نظام الملك، ثم خنق عمه بوتر قوسه.

[٢٠٩٤] وفتح الـبلاد واتسـعت ممالكـه، ولم يملـك أحـد مـن ملـوك الإسلام بعد الخلفاء مثله، ملك من كاشغر، وهي مدينة مـن أقصـى بـلاد الترك إلى البيت المقدس طولاً، ومن بلاد الجزيرة إلى القسطنطينية عرضـاً، ووقع الوزير نظام الملك للملاحين الذين عبروا بالسلطان وللعسـكر نهـر جيجون على العامل الذي بإنطاكية لسـعة مملكتـه، وكانـت الأجـرة أحـد عشر ألف دينار.

[٢٠٩٥] وتزوج الإمام المقتدي ابنته، وكان السـفر في الخطبـة للشـيخ أبي إسحاق صاحب «التنبيه» فتوجه إليه إلى نيسـابور، وعـاد في أقـل مـن أربعة أشهر، وناظر هناك إمام الحـرمين، ولمـا دخـل الخليفـة عليهـا عمـل لعسكر السلطان سماطاً كان فيه أربعون ألف مَـنٍّ سُـكَّراً، ورزق الخليفـة منها ابناً سماه جعفراً، وزينت لذلك بغداد ودخلها جـلال الدولـة مـرتين وهي من جملة بلاده، وليس للخليفة فيها إلا الاسم.

ثم إن جلال الدولة عاد إليها ثالثة، وخرج إلى ناحية دجيل، واصـطاد

---

(١) وعاء من جلد.

وحشاً، وأكل من لحمه، فابتدأت به العلة، وافتصد، ولم يخرج الدم كثيراً، فعاد إلى بغداد، ولم يصل إليه أحد من خواصه.

وتوفي سنة خمس وثمانين وأربعمائة.

ولما مات لم تُشهد له جنازة، ولا صلى أحد عليه في الصورة الظاهرة، ولا جلسوا للعزاء، ولا حذِفَ عليه ذنب فرس على عادة أمثاله، بل كأنه كان قد اختلس من العالم.

وقيل: إنه سم في خلاله.

وله في أصبهان مدرسة عظيمة موقوفة على الشافعية والحنفية.

[٢٠٩٦] ولما دخل إلى بغداد هذه المرة كان للخليفة ولدان أحدهما الإمام المستظهر، والآخر أبو الفضل جعفر بن بنت السلطان، وكان الخليفة قد بايع لولده المستظهر بولاية العهد لأنه الأكبر، فألزمه السلطان أن يعزل المستظهر ويولي ابن ابنته، ويسلم إليه بغداد، ويخرج الخليفة إلى البصرة، فشق ذلك على الخليفة، وبالغ في استنزال السلطان عن هذا الرأي فلم يفعل، فسأله المهلة عشرة أيام ليتجهز فأمهله، فقيل: إن الخليفة في تلك الأيام جعل يصوم ويطوي، وإذا أفطر جلس على الرماد للإفطار ويدعو الله على السلطان، فمرض تلك الأيام، ومات في التاريخ المذكور.

[٢٠٩٧] وحكى الهمذاني أن سوادياً[١] لقيه فقال: ابتعت بطيخاً بدريهمات لا أملك غيرها فلقيني ثلاثة أغلمة أتراك فأخذوه مني فقال: أمسك، واستدعى فراشاً وقال له: إن نفسي تاقت إلى البطيخ فطف في العسكر فمن كان عنده شيء فأتني به، فعاد ومعه بطيخ، وكان ذلك في

(١) أي فلاحاً.

باكورة البطيخ فقال: عند من كان؟

قال: الأمير الفلاني، فأحضره، فقال له: من أين لك هذا البطيخ؟

قال: أحضره الغلمان.

فقال: أريدهم الساعة، فمضى وهرَّبهم، وعاد فقال: لم أجدهم، فالتفت السلطان إلى السوادي وقال: هذا مملوكي قد وهبته لك، والله لئن خليته لأضربن عنقك، فأخذه السوادي وأخرجه، فاشترى الأمير نفسه منه بثلاثمائة دينار، وعاد السوادي وقال: يا سلطان، قد ابتعته بثلاثمائة دينار، قال: أوقد رضيت؟ قال: نعم، قال: امض مصاحباً.

وكانت البركة واليُمن مقرونين بناصيته، وكان يدخل أصبهان وبغداد أو أي بلد دخله مع عدد لا يحصى لكثرته فترخص الأسعار، وتنحط الأثمان عما كانت عليه، ويكسب المتعبون الكسب الكثير على عساكره، ومناقبه كثيرة.

وقال ملكشاه يوماً:

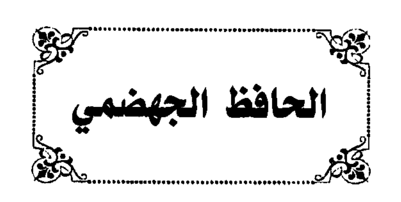
أحصوا ما صدت بنفسي من الصيد، فأُحصي ذلك، وكان عشرة آلاف صيد، فتصدق بعشرة آلاف دينار، وبنى وراء النهر منارة من قرون الغزلان، وبنى أخرى مثلها ظاهر الكوفة.

وخطب له من أقصى بلاد الترك والصين إلى أقصى اليمن، وكان خرجه في السنة عشرين ألف ألف دينار.

مدة ملكه تسع عشرة سنة وستة أشهر[1].

---

(١) «الوافي بالوفيات» : ٢٦/ ٢٦- ٣٠.



الحافظ الجهضمي

نصر بن علي الجهضمي البصري الحافظ.

قال النسائي: ثقة، وروى الجماعة عنه.

توفي سنة خمسين ومائتين.

[٢٠٩٨] قدم أبو عمرو الجهضمي بغداد فروى أن النبي ﷺ أخذ بيد الحسن والحسين وقال: **«من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة»،** فأمر المتوكل أن يضرب ألف سوط، ظنّاً منه أنه رافضي، فكلمه فيه جعفر بن عبد الواحد القاضي وقال: هذا الرجل من أهل الصلاح والسنة وردده فتركه[1].

[٢٠٩٩] وقال نصر المذكور:

كان لي جار طفيلي فكنت إذا دعيت إلى مدعاة ركب لركوبي، فإذا جلسنا أُكْرِم من أجلي، فاتخذ جعفر بن سليمان أمير البصرة دعوة ودعاني، فقلت في نفسي: والله لئن جاء هذا الطفيلي لأخزينه اليوم، فجاء بين يدي ودخلنا، فلما أن حضرت المائدة قلت:

حدثنا دُرُسْت بن زياد عن أبان بن طارق عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: **«من مشى إلى طعام لم يُدع إليه دخل سارقاً وخرج مغيراً»**.

فقال الطفيلي: مثلك يا أبا عمرو يتكلم بهذا الكلام على مائدة الأمير

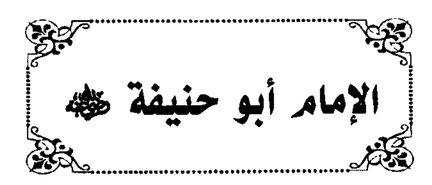
---

(١) وذلك أيضاً لأن المتوكل يميل إلى شيء من النَصْب، وهو مشهور بذلك.

والحديث غير صحييح.

وليس ههنا إلا من يظن أنك رميته بهذا الكلام، ثم لا تستحي وتروي عن دُرُسْت، ودرست كذاب لا يحتج بحديثه، عن أبان بن طارق، وأبان كان صبيان المدينة يلعبون به، ولكن أين أنت عما حدثنا به أبو عاصم النبيل عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال: **«طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الثلاثة، وطعام الثلاثة يكفي الأربعة»**، الحديث. قال نصر: فكأني أُلقمت حجراً، فلما خرجنا من الدار أنشد الطفيلي [من المتقارب]:

ومن ظنّ ممن يُلاقي الحروبَ بأن لا يُصابَ فقد ظنّ عَجْزَا [1]



الإمام أبو حنيفة ﷺ

النعمان بن ثابت بن زُوطَى، اسم نبطيٌّ، ابن ماه الإمام العلَم الكوفي الفقيه مولى بني تيم الله بنِ ثعلبة.

ولد سنة ثمانين من الهجرة وتوفي في نصف شوال، وقيل: في رجب وقيل: في شعبان سنة خمسين ومائة.

رأى أنس بن مالك غير مرة بالكوفة، قاله ابن سعد.

وروى أبو حنيفة ﷺ عن عطاء بن أبي رَباح وقال: ما رأيت أفضل منه، وعن أبي جعفر الباقر وقَتادة وعبد الرحمن بن هُرمز الأعرج وعمرو بن دينار، وحماد بن أبي سليمان وعدد كثير، وتفقه بحماد وغيره، وبرع وساد في الرأي أهل زمانه في الفقه والتفريع للمسائل، وتصدر للإشغال.

---

(١) «الوافي بالوفيات» : ٢٧/ ٧٦- ٧٧.

وتخرج به الأصحاب، فمن تلامذته: زُفَر بن الهُذيل العنبري، والقاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري قاضي القضاة، والحسن بن زياد اللؤلؤي، ومحمد بن الحسن، وحماد بن أبي حنيفة وخلقٌ.

[٢١٠٠] وكان خزازاً يُنفق من كيسه ولا يقبل جوائز السلطان تورّعاً، وله دار وضِياعٌ ومعاش متسع، وكان معدوداً في الأجواد الأسخياء الألبّاء الأذكياء مع الدين والعبادة والتهجّد وكثرة التلاوة وقيام الليل ﷺ.

[٢١٠١] قال الشافعي: الناس في الفقه عيالٌ على أبي حنيفة.

قال ابن معين: ثقة، وقيل: قال: لا بأس به لم يُتهم بكذبٍ.

[٢١٠٢] ضربه يزيد ابن هبيرة على القضاء فأبى.

[٢١٠٣] قال أبو يوسف: قال أبو حنيفة: عِلمُنا هذا رأيٌ وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاءنا بأحسنَ منه قبلناه.

[٢١٠٤] وقيل: صلى بوضوء عشاء الآخرة الصبح أربعين سنة.

[٢١٠٥] وختم القرآن في ركعة.

[٢١٠٦] وقال له رجل: إني وضعت كتاباً على خطك إلى فلان فوهب لي أربعة آلاف درهم، فقال: إن كنتم تنتفعون بهذا فافعلوه.

[٢١٠٧] وقيل: إنه ختم القرآن في الموضع الذي مات فيه سبعة آلاف مرّة.

[٢١٠٨] وردد ليلةً كاملةً قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾[1].

---

(١) سورة القمر: ٤٦.

[٢١٠٩] وروى نوح الجامع أنه سمع أبا حنيفة يقول: ما جاء عن رسول ﷺ فعلى الرأس والعين، وما جاء عن الصحابة اخترنا وما كان غير ذلك فهم رجال ونحن رجالٌ.

[٢١١٠] وقال وكيع:

سمعت أبا حنيفة يقول: البولُ في المسجد أحسن من بعض القياس.

[٢١١١] وقال ابن حزم:

جميع الحنفية مجمعون على أنّ مذهب أبي حنيفة أن ضعيف الحديث عنده أولى من القياس والرأي.

[٢١١٢] وقال يحيى القطان: لا نكذب الله ما سمعنا أحسنَ من رأي أبي حنيفة وقد أخذنا أكثر أقواله.

[٢١١٣] ونقل المنصور أبا حنيفة من الكوفة إلى بغداد وأراده على القضاء، فأبى، فحلف عليه ليَفعلنّ، فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل، فقال الربيع: ألا ترى أمير المؤمنين يحلف؟

فقال أبو حنيفة: أمير المؤمنين أقدَرُ مني على كفّارة اليمين، وأبى الولاية، فأمر بحبسه في الوقت.

وقيل: إنه قال له: اتقِ الله ولا ترعى في أمانتك إلا من يخاف الله، واللهِ ما أنا مأمون الرضى، فكيف أكون مأمون الغضب؟ ولو اتجه الحُكم عليك ثمّ تهدّدتني أن تغرّقني في الفرات أو أَلِيَ الحُكم لاخترتُ أن أُغَرَّقَ في الفرات، ولك حاشيةٌ يحتاجون إلى مَن يُكرِمهم لك ولا أصلح لذلك، فقال له: كذبتَ، أنت تصلح لذلك، فقال له: قد حكمتَ لي على نفسك، كيف يحل لك أن تُوليَ على أمانتك من هو كذاب؟

وقيل: تولى القضاء يومين فلم يأته أحد، فلما كان في اليوم الثالث أتاه رجل صفّار ومعه آخرُ، فقال الصفّار: لي مع هذا درهمان وأربعة دوانيق ثمن تَوْر[1] صُفر[2]، فقال أبو حنيفة: اتق الله وانظر فيما يقول الصفّار.

قال: ليس له عليّ شيء.

فقال أبو حنيفة للصفّار: ما تقول؟

فقال: استحلِفهُ لي.

فقال أبو حنيفة للرجل: قل والله الذي لا إله إلا هو، فجعل يقول، فلما رآه أبو حنيفة معزّماً على أن يحلف قطع عليه وأخرج من كُمّه صرة وأخرج منها درهمين ثقيلين وقال للصفّار: هذا الدرهمان عوض باقي تورك، فنظر الصفار إليهما وقال: نعم وأخذ الدرهمين، فلما كان بعد يومين اشتكى أبو حنيفة ثم مرض ستة أيام ومات رحمه الله تعالى.

[٢١١٤] وكان يزيد بن هبيرة قد ضربه مائة سوط كل يوم عشرة أسواط وهو يمتنع من ولاية ذلك، فلما رآه مصرّاً خلى سبيله، وكان أحمد ابن حنبل إذا ذكر ذلك بكى وترحم على أبي حنيفة.

وكان أبو حنيفة رَبْعة من الرجال، وقيل: كان طُوالاً، تعلوه سمرة، أحسن الناس منطقاً وأحلاهم نغمة.

[٢١١٥] ورأى أبو حنيفة في منامه كأنه نبش قبر رسول الله ﷺ فبعث من سأل محمد بن سيرين، فقال ابن سيرين: صاحب هذه الرؤيا يُثوِّر علماً لم يسبقه إليه أحد قبله.

---

(١) وعاء.

(٢) صفر أي نحاس.

[٢١١٦] وقال الشافعي: قيل لمالك: هل رأيت أبا حنيفة؟

قال: نعم، رأيت رجلاً لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته.

[٢١١٧] وقال يحيى بن معين: القراءة عندي قراءة حمزة والفقه فقه أبي حنيفة، على هذا أدركت الناس.

وقال بعض الكَراميَّة: [من الكامل]:

إن الذين بجهلهم لم يقتدوا ... في الدين بابن كَرامٍ غير كِرام

الفقه فقه أبي حنيفة وَحْدَه ... والدين دينُ محمد بن كَرام[1]

[٢١١٨] وقال جعفر بن الربيع: أقمت على أبي حنيفة خمس سنين، فما رأيت أطول صمتاً منه، فإذا سئل عن الفقه تفتح وسال كالوادي، وسمعت له دويّاً وجهارةً بالكلام، وكان إماماً في القياس.

[٢١١٩] وقال علي بن عاصم:

دخلت على أبي حنيفة وعنده حجّام يأخذ من شعره، فقلت للحجام: تتبع مواضع البياض لا تزد.

قال: وَلِمَ؟

قال: لأنه يكثر.

قال: فتتبع مواضع السواد لعله يكثر، فحكيت لشريك هذه الحكاية فضحك وقال: لو ترك أبو حنيفة قياسه لتركه مع الحجام.

---

(١) محمد بن كرام السجتاني أحد المجسمة.

[٢١٢٠] وقال ابن المبارك: رأيت أبا حنيفة في طريق مكة وشُوِيَ له فصيلٌ سمينٌ، فاشتهَوْا أن يأكلوه بخلٍّ فلم يجدوا شيئاً يصبون فيه الخل، فتحيروا، فرأيته وقد حفر في الرمل حفرة وبسط عليها السفرة وسكب الخل في ذلك الموضع، فأكلوا الشِّواء بالخل فقالوا له: تحسن كل شيء، فقال: عليكم بالشكر، فإن هذا شيء أُلْهِمْتُهُ لكم فضلاً من الله عليكم.

[٢١٢١] ودعاه المنصور يوماً، فقال الربيع: يا أمير المؤمنين: هذا أبو حنيفة يخالف جدك، كان عبد الله بن عباس يقول: إذا حلف على اليمين ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو يومين جاز الاستثناء، وقال أبو حنيفة: لا يجوز الاستثناء إلا متصلاً باليمين، فقال أبو حنيفة:

يا أمير المؤمنين، إن الربيع يزعم أن ليس لك في رقاب جندك بيعة.

قال: كيف؟

قال: يحلفون لك ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم، فضحك المنصور وقال:

يا ربيع، لا تعرض لأبي حنيفة.

فلما خرج أبو حنيفة قال له الربيع: أردت أن تُشِيطَ بدمي، قال: لا، ولكنك أردت أن تشيط بدمي فخلصتك وخلصت نفسي.

[٢١٢٢] وكان أبو العباس الطوسي سيئ الرأي في أبي حنيفة، وكان أبو حنيفة يعرف ذلك، فدخل يوماً على المنصور وكثر الناس فقال الطوسي: اليوم أقتل أبا حنيفة، فأقبل عليه وقال:

يا أبا حنيفة، إن أمير المؤمنين يدعو الرجل فيأمره بضرب عنق الرجل لا يدري ما هو، أفيسعه أن يضرب عنقه؟

فقال: يا أبا العباس: أمير المؤمنين يأمر بالحق أو بالباطل؟

قال: بالحق.

قال: أنفذ الحق حيث كان ولا تسأل عنه، ثم قال أبو حنيفة لمن كان قريباً: إن هذا أراد أن يوثقني فربطته.

[٢١٢٣] وقال يزيد بن الكميت: كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله تعالى، فقرأ بنا علي بن الحسن ليلة في العشاء الآخرة: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[١]، وأبو حنيفة خلفه، فلما قضى الصلاة وخرج الناس نظرت إليه وهو جالس يتفكر ويتنفس، فقلت: أقوم لا يشتغل قلبه بي، فلما خرجت تركت القنديل ولم يكن فيه إلا زيت قليل، فجئت وقد طلع الفجر وهو قائم يصلي، وقد أخذ بلحية نفسه وهو يقول: يا من يجزي بمثقال ذرة خيراً خيراً، ويا من يجزي بمثقال ذرة شرّاً شرّاً، أجر النعمان عبدك من النار ومما يقرب منها من سوء، وأدخله في سعة رحمتك. قال: فأذنت والقنديل يزهر وهو قائم، فلما دخلت قال: تريد أن تأخذ القنديل؟

قلت: قد أذن لصلاة الغداة.

قال: اكتم علي ما رأيت، وركع ركعتين وجلس حتى أقيمت الصلاة، وصلى معنا الغداة على وضوء أول الليل.

[٢١٢٤] وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة عن أبيه قال: لما مات أبي سألنا الحسن بن عمارة أن يتولى غسله ففعل، فلما غسله قال: رحمك الله وغفر لك، لم تفطر منذ ثلاثين سنة، ولم تتوسد يمينك في الليل منذ أربعين سنة، وقد أتعبت من بعدك وفضحت القراء.

---

(١) سورة الزلزلة: ١.

[٢١٢٥] وقال عبد الله بن رجاء: كان لأبي حنيفة جار بالكوفة إسكافي[1] يعمل نهاره أجمع حتى إذا أجنه الليل رجع إلى منزله وقد حمل لحماً فيطبخه أو سمكة فيشويها، ثم لم يزل يشرب حتى إذا دبّ الشراب فيه غرد بصوت وهو يقول [من الوافر]:

أضاعوني وأيّ فتىً أضاعوا　　　ليوم كريهة وسدادِ ثغرِ

فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم، وكان أبو حنيفة يسمع جلبته كل ليلة، ففقد أبو حنيفة صوته ليلة، فسأل عنه، فقيل: أخذه العسس منذ ليال وهو محبوس، فصلى أبو حنيفة الفجر وركب بغلته واستأذن على الأمير، فلما دخل قال: لي جار إسكافي أخذه العَسس منذ ليال، يأمر الأمير بتخلية سبيله، فقال: نعم، وكل من أُخذ تلك الليلة، فتركوا أجمعين. وخرج أبو حنيفة والإسكافي يمشي وراءه، فلما نزل أبو حنيفة ﷺ مضى إليه وقال: يا فتى أضعناك، فقال: لا، بل حفظت ورعيت جزاك الله خيراً عن حرمة الجوار ورعاية الحق. وتاب ذلك الرجل ولم يعد إلى ما كان عليه.

[٢١٢٦] ولم يكن في أبي حنيفة ﷺ ما يعاب به غير اللحن، فمن ذلك أن أبا عمرو بن العلاء المقرئ النحوي سأله عن القتل بالمثقل، هل يوجب القَوَد أو لا؟

فقال: لا، كما هو قاعدة أبي حنيفة في مذهبه خلافاً للشافعي.

فقال له أبو عمرو: ولو قتله بحجر المنجنيق؟

فقال له: ولو قتله بأبا قُبيس؛ يعني الجبل المطل على مكة، وقد اعتذر

---

(١) أي حَذّاء.

الناس له وقالوا: قال ذلك على لغة من يعرب الحروف الستة على أنها مقصورة، ومنه قول القائل [من الرجز]:

إن أباها وأبا أباها ... قد بلغا في المجد غايتاها

[٢١٢٧] وقال عبد الله بن المبارك يمدح الإمام [من الوافر]:

رأيتُ أبا حنيفةَ كُلّ يوم ... يزيد نبالة ويزيد خُبْرا

وينطق بالصواب ويصطفيه ... إذا ما قال أهل الهُجْر هُجْرا

[٢١٢٨] وقال فيه أيضاً [من الوافر]:

رأيت أبا حنيفة حين يُؤتى ... ويطلب علمه بحراً غزيرا

يقايس من يقايسه بلُبٍّ ... فمن ذا تجعلون له نظيرا

كفانا فَقْد حمَّاد وكانت ... مصيبتنا به أمراً كبيرا

فرد شماتة الأعداء عنا ... وأبدى بعده علماً كثيرا

إذا ما المشكلات تدافعتها ... رجالُ العلم كان بها بصيرا

[٢١٢٩] وقال فيه أيضاً: [من الوافر]:

لقد زان البلاد ومَن عليها ... إمام المسلمين أبو حنيفه

بآثار وفقه مع حديث ... كآيات الزبور على صحيفه

فما في المشرقين له نظير ... ولا في المغربين ولا بكوفه

رأيت العائبين له سفاهاً ... خلاف الحق مع حجج ضعيفه

يبيت مشمراً سهر الليالي ... وصام نهاره لله خيفه

وصان لسانه عن كل إفك ... وما زالت جوارحه عفيفه

يعف عن المحارم والملاهي ... ومرضاة الإله له وظيفه

فمـــن كـــأبي حنيفـــة في نَـــداه لأهــل الفقــر في السَنَة الجحيفـه

وكيـــف يحـــل أن يـــؤذَى فقيـــه لـــه في الـــدين آثـــار شـــريفه

وقــد قــال ابــن إدريــس مقــالاً صـحيح النقـل في حِكَـم لطيفـه

بـــأن النـــاس في فقـــه عيـــال علـى فقـه الإمـام أبـي حنيفـه

[٢١٣٠] وقال غسان بن محمد التميمي [من الكامل]:

وضـع القيـاسَ أبـو حنيفـة كلـه فـأتى بأوضـح حجـة وقيـاس

وبنـى علـى الآثـار رأس بنائـه فأتـت قواعـده علـى الأسـاس

والنـــاس يتبعـــون فيهـــا قولـــه لمـــا اســـتبان ضـــياؤه للنـــاس

[٢١٣١] وفي أبي حنيفة ﷺ يقول مساور: [من الوافر]:

إذا مـــا النـــاس يومـــاً قايســـونا مـــن الفتيـــا بآبـــدة طريفـــه(١)

أتينـــاهم بمقيـــاس صـــحيح تـــلاد مـــن طـــراز أبـــي حنيفـــه

إذا ســـمع الفقيـــه بهـــا وعاهـــا وأثبتهـــا بـــخبر في صـــحيفه

فأجابه بعض أصحاب الحديث: [من الوافر]:

إذا ذو الـــرأي خاصـــم في قيـــاسٍ وجـــاء ببدعـــة هنـــة ســـخيفه

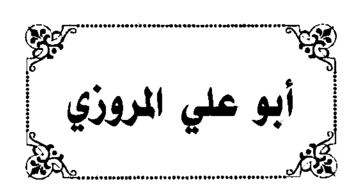
أتينـــاهم بقـــول الله فـــيهم وآثـــار مـــبرزة شـــريفه

فكـم مـن فَـرْجِ مُحْصِـنةٍ عفيـفٍ أُحِـلَ حرامُـه بـأبي حنيفـه(٢)

---

(١) أي بمسألة صعبة.

(٢) «الوافي بالوفيات» : ٢٧/ ١٤٤- ١٥٢، ولا شك أن أبا حنيفة رحمه الله تعالى بريء من هذه الفرية.



أبو علي المروزي

هارون بن معروف أبو علي المروزي.

كان خزازاً وأضر بآخره.

روى عنه مسلم وأبو داود، وروى البخاري عن رجل عنه وأحمد بن حنبل.

[٢١٣٢] قال: رأيت في المنام قيل لي: من آثر الحديث على القرآن عُذب، قال: فظننت أن ذهاب بصري من ذلك.

وكان صدوقاً فاضلاً صاحب سُنَّة.

توفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين[١].



الوزير ابن ماكولا

هبة الله بن علي بن جعفر بن علكان بن محمد بن دلف بن أبي دلف العجلي أبو القاسم، المعروف بابن ماكولا.

تقلد الوزارة لجلال الدولة أبي طاهر بن أبي نصر بن عضد الدولة مرات.

وكان حافظاً للقرآن، راوياً للأخبار والأشعار، متوحداً في علم

(١) «الوافي بالوفيات» : ٢٧/ ٢٠٦.

النجوم والهيئة.

[٢١٣٣] اعتقله أبو المُجَلَّى مبارك بن المقلد بن المسيب صاحب هِيت في دار، وخُنِق في محبسه بعد تسعة وعشرين شهراً سنة ثلاثين وأربعمائة، ورئي في المنام وهو يقول: إن الله تعالى لا يغفل عن ظلمي، ولا يمهل ظالمي، فأصبح الأمير وقد لسعته عقرب، فمات بعد يومين، ومات ابن شهرام الذي خنقه مخنوقاً أيضاً(١).



هبة الله بن علي بن مَلْكا أبو البركات الطبيب الفاضل.

[٢١٣٤] كان يهوديّاً، وسكن بغداد، وأسلم في آخر عمره، خدم المستنجد.

[٢١٣٥] دخل يوماً على الخليفة، فقام الحاضرون سِوى قاضي القضاة، فإنه لم يقم له، فقال: يا أمير المؤمنين: إن كان القاضي لم يوافق الجماعة لكوني على غير ملته فأنا أسلم ولا ينتقصني، فأسلم.

وكان له اهتمام بالغ في العلوم وفطرة فائقة.

[٢١٣٦] وكان مبدأ تعلمه الطب أن أبا الحسن سعيد بن هبة الله كان له تصانيف وتلامذة، وكان لا يُقرِئ يهوديّاً، وكان أوحد الزمان يشتهي أن يقرأ عليه، وثقّل عليه بكل طريق فما مكنه، وكان يتخادم للبواب

(١) «الوافي بالوفيات» : ٢٧/ ٢٩٤.

ويجلس في الدهليز، فلما كان بعد سنة جرت مسألة، وبحثوا فيها، ولم يتجه لهم عنها جواب، فدخل وخدم الشيخ وقال: يا سيدنا: بإذنك أتكلّم.

فقال: قل.

فأجاب بشيء من كلام جالينوس، وقال: يا سيدنا، هذا جرى في اليوم الفلاني في ميعاد فلان، فاستعلم حاله فأوضحه، فقال:

إذا كنت كذا فما نمنعك، فقربه وصار من أجَلِّ تلامذته.

[٢١٣٧] وكان في بغداد مريض بالماليخوليا يعتقد أن على رأسه دَنّاً[١]، وأنه لا يفارقه، فيتحايد الشقوف القصيرة ويطأطئ رأسه، فأحضره أبو البركات عنده وأمر غلامه أن يرمي دَنّاً بقرب رأسه، وأن يضرب بخشبة يكسره، فزال بذلك الوهم عن الرجل وعوفي.

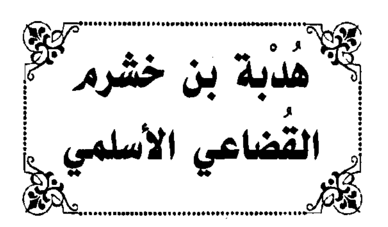
وأضر أبو البركات في آخر عمره، وعاش ثمانين سنة.

[٢١٣٨] وكان كثيراً ما يلعن اليهود، فقال مرة بحضور ابن التلميذ: لعن الله اليهود، فقال: نعم، وأبناء اليهود. فوجم لذلك، وعرف أنه عناه[٢].

---

(١) الدن : الوعاء مثل الزير.

(٢) «الوافي بالوفيات»: ٢٧/ ٣٠٠- ٣٠١.



هُدْبة بن خشرم القُضاعي الأسلمي

هدبة بن خَشْرَم بن كُرْزٍ القُضاعي ثم الأسلمي.

كان شاعراً فصيحاً، وهو راوية الحطيئة، والحطيئة راوية كعب بن زهير، وكان جميل راوية هدبة، وكُثّيِّر راوية جميل.

[٢١٣٩] وكان بين هدبة وبين زيادة بن زيد ملاحاةٌ وأهاجٍ، وزاد ذلك إلى أن قتل هدبة زيادة، ثم هرب وذلك في عهد معاوية، فأنفذ سعيد ابن العاص إلى عم هدبة وأهله فحبسهم، فلما بلغ ذلك هدبة أقبل حتى خلصهم وأمكن من نفسه، ولم يزل محبوساً حتى شخص عبد الرحمن أخو المقتول إلى معاوية، فأورد كتاباً إلى سعيد بن العاص بأن يقيد منه إذا قامت البينة فأقامها، فمشت بنو عُذْرة إلى عبد الرحمن فسألوه قبول الدية، فامتنع.

وقيل: بل أحضرهم معاوية، فلما صاروا بين يديه قال: يا أمير المؤمنين، أشكو إليك مظلمتي وقتل أخي وترويع نسوتي، فقال له معاوية: يا هدبة، قُلْ. قال: إن شئت قَصَّينا كلاماً أو شعراً، قال: لا بل شعراً، فارتجل هدبة [من الطويل]:

ألا يا لقَومي للنوائب والدهر ... وللمرء يُرْدِي نفسَه وهو لا يَدْرِي

وللأرض كم من صالحٍ قد تلأمتْ ... عليه فوارثه بلمّاعةٍ قَفْرِ[1]

---

(١) تلأمت الأرض عليه أي اجتمعت عليه وضمته.

فـــلا يتقـــي ذا هيبـــةٍ لجلالِـــهِ ... ولا ذا ضِياعٍ هـنّ يُتْـركْنَ للفَقْـر

رَمَيْنـــا فرامَيْنـــا فصـــادف رَمْيُنـــا ... مَنايا رِجـالٍ في كتـابٍ وفي قَـدْر

وأنــــت أمـــير المـــؤمنين فمالنـــا ... وراءَك من مَغْدًى ولا عنك من قَصْـر

فإن تَكُ عـن أموالنـا لم نَضِـقْ بهـا ... ذراعاً وإن صـبراً فنصـيرُ للصـبر

فقال له معاوية: قد أقررت بقتل صاحبهم، ثم قال لعبد الرحمن: هـل لزيادة ولد؟ قال: نعم، المُسوَّر؛ وهو غلامٌ حفرٌ[1] وأنا عمه وَلِـيٌّ دم أبيـه، فقال: المُسوَّر أحق بدم أبيه، ورده إلى المدينة فحبس ثلاث سنين حتى بلـغ المسور، فقالت أم هدبة لما شخص إلى المدينة ليُحبس [من الطويل]:

أيـا إخـوتي أهـل المدينـة أكرِمـوا ... أسـيرَكُمُ إنّ الأسـيرَ كَـريمُ

فـرُبَّ كـريمٍ قـد قـراه وضـافه ... ورُبَّ أمـورٍ كلّهـن عَظـيم

عصـا حبلُهـا يومـاً عليـه مراسـه ... مـن القـوم عيّـابٌ أشـمّ حلـيم

[٢١٤٠] ولما مضى هدبة من السجن ليُقتل التفت إلى امرأتـه وكانـت من أجمل النساء فقال لها [من الطويل]:

أَقِلّـي علـيّ اللـوم يـا أمَّ بوَزْعَـا ... ولا تَعْجَبِي ممـا أصـاب فأوْجَعـا

ولا تَنْكَحـي إن فـرّق الـدهرُ بيننـا ... أغمّ القَفـا والوجـه لـيس بأنزَعَـا

ضَـروباً بلحيتـه علـى عَظْـم زَوْره ... إذا القـوم هشُّـوا للفَعـال تقنّعـا

كليلاً سِوَى ما كان من حَدِّ ضِرْسِه ... أُلَيْـدُ مبطـان العَشـيّات أَروعـا

وكُـوني حبيسـاً أو لأروَعَ ماجـدٍ ... إذا ضنّ أعسـاسُ الرجـال تبرّعـا

---

(١) الغلام الحفر الذي سقطت أسنان الرضاعة منه، واستقبل الفتوة.

وحُلّـي بـذي أُكرومـةٍ وحَميَّـةٍ وصبراً إذا ما الدهر عضّ فأَسـرعا

فمالت زوجتـه إلى جـزّار فأخـذت شـفرته فجـدعت أنفهـا وشـفتيها وجاءته وهي تدمى، فقالت: أتخاف أن يكون بعدها نكاح؟ فرسـف هدبـة في قيوده[1] وقال: الآن طاب الموت، ثم التفت فرأى أبويه يتوقعان الثُكْـل، فقال لهما [من الرمل]:

أَبْلِيَـاني اليـومَ صَـبْراً منكمـا إنّ حُزْنـاً إن بَـدا بـادئ شَـرّ

لا أرى ذا اليـوم إلاّ هيّنـاً إنّ بعـد المـوت دار المسـتقَرّ

اصبـرا اليـومَ فـإنّي صـابرٌ كـلُّ حـيٍّ لقضـاءٍ وقَـدَر

ثم التفت إلى أهله فقال: بلغـني أن القتيـل يعقـل سـاعة بعـد سـقوط رأسه، فإن عقلت فإني قابض على رجلـيَّ وباسـطها ثلاثـاً، ففعـل ذلـك حين قتل، وقال قبل أن يقتل [من الطويل]:

إن تقتلـوني في الحديـد فـإنّني قتلـتُ أخـاكم مُطْلَقـاً لم يُقَيَّـدِ

فقال عبد الرحمن: والله لا أقتله إلا مطلقاً، فقام إليه وقد أُطْلِـقَ، فهـز السيف وقال:

قـد علمَـتْ نفسـي وأنـتَ تعلمـه لأَقـتلنَ اليـومَ مَـنْ لا أرْحَمـهُ

ثم قتله، وقيل: إن المسور الذي قتله.

وقد ذكر هذا الخبر بطوله وتمامه صاحب الأغاني واختصرته أنا، وهو مـن أظـرف الأخبـار وأحسـنها، وهدبـة هـذا هـو أول مـن أُقِيـدَ منـه في الإسلام.

---

(١) رسف في القيد أي مشى فيه رويداً، يريد أنه صار مطمئناً للموت.

[٢١٤١] وقال واسع بن خَشْرَم يرثي أخاه هدبة:

يا هُدبَ يا خيرَ فِتْيان العشيرة مَن ... يُفْجَع بمثلك في الدنيا فقد فُجِعا
اللهُ يعلــم إنّــي لَــوْ خَشِــيتُهمُ ... أو أوْجَسَ القلبُ من خوفٍ لهم جَزَعا
لم يقتلــوه ولم أُسْــلِمْ أخــي لهــمُ ... حتى نعيشَ جميعاً أو نموتَ معَا

وقال مصعب الزبيري: كنا بالمدينة أهل البيوتات إذا لم يكن عند أحدنا أخبار هدبة وزيادة وأشعارهما ازدريناه، وكنا نرفع من قدر أخبارهما وأشعارهما ونعجب بها.

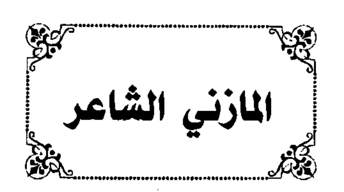
وبعث هدبة إلى عائشة- ﵂- يقول لها: استغفري لي، فقالت: إن قُتِلت استغفَرْتُ لك.

[٢١٤٢] وكان لهدبة ثلاثة إخوة حَوْط وواسع وسَيحان، قال المدائني: مرت كاهنة بأم هدبة وهو وإخوته نيام بين يديها، فقالت: يا هذه إن الذي معي يخبرني عن بنيك هؤلاء بأمر، قالت: وما هو؟ قالت: أما هدبة وحوط فيُقتلان صبراً، وأما الواسع وسيحان فيموتان كَمداً، وكان كذلك.

[٢١٤٣] وقال صاحب «الأغاني»: إن امرأة هدبة تزوجت بعده وجاءها ولدان[١].

---

(١) «الوافي بالوفيات»: ٢٧/ ٣٣٤- ٣٣٧.



المازني الشاعر

هلال بن الأسعر بن خالد من بني مازن من بني تميم.

كان شاعراً إسلاميّاً أدرك الدولة الأموية. قال صاحب الأغاني: أظنه أدرك الدولة العباسية.

[٢١٤٤] وكان رجلاً شديداً عظيمَ الخَلْق، معدوداً في الأَكَلَة، وكان فارساً شجاعاً، قال وقد سئل مرة: إني جعت يوماً ومعي بعيري، فنحرته وأكلته إلا ما بقي حملته على ظهري، ثم أردت الجامعة فلم أقدر، فقالت امرأتي: كيف تصل إلي وبيننا بعير؟!

فقيل له: وكم تكفيك هذه الأكلة؟ قال: أربعة أيام.

[٢١٤٥] وقال شيخ من مازن: أتانا هلال فأكل جميع ما في بيتنا، فبعثنا إلى الجيران نقرض الخبز، فلمّا رأى اختلاف الخبز عليه قال: هل عندكم سويق؟ قلنا: نعم، فجئته بجراب طويل فيه سويق، وبين يديه نبيذ، فصب السويق كله، وصب عليه النبيذ حتى أتى عليه كله.

[٢١٤٦] وقال المدائني: مرَّ هلال على رجل من بني مازن بالبصرة قد حمل من بستانه رطباً في زواريق، فجلس على زورق منها، وقد كثب الرطب فيها وغطاه بالبواري، فقال: يا ابن عمٍّ آكل من رطبك؟

قال: نعم.

قال: ما يكفيني؟

قال: ما يكفيك، فجلس على صدر الزورق وجعل يأكل إلى أن

اكتفى، ثم قام وانصرف، فكشف الزورق، فإذا هو مملوء نوى، وليس فيه رطب.

[٢١٤٧] وقال: سئل عن أعجب شيء أكله، فقال: مائتي رغيف مع مَكُوك ملح[١].

[٢١٤٨] وقال صدقة بن عبيد المازني:

أَوْلَمَ أبي عليّ لما تزوجت، فعملنا عشر جفان ثريد من جزور[٢]، وكان أول من جاءنا هلال، فقدمنا له جفنة فأكلها، ثم أخرى ثم أخرى حتى أتى على العشرة، ثم استسقى فأتي بقربة من نبيذ فوضع طرفها على فيه ففرّغها في جوفه، ثم قام فاستأنفنا عمل الطعام.

[٢١٤٩] وعن كُنَيْفِ بن عبد الله المازني قال:

كنت يوماً مع هلال ونحن نبغي إبلاً لنا، فدُفِعنا إلى قوم من بكر بن وائل، وقد لَغِبْنا وعطشنا وإذا نحن بفتية عند رَكِيَّةٍ[٣]، وقد وردت إبلهم، فلما رأوا هلالاً استهولوه، فقام رجلان منهم إليه، فقال له أحدهما:

يا عبد الله، هل لك في الصراع؟

فقال له هلال: أنا إلى غير ذلك أحوج.

قال: وما هو؟

قال: إلى لبن وماء، فإني لَغِبٌ ظمآنُ.

---

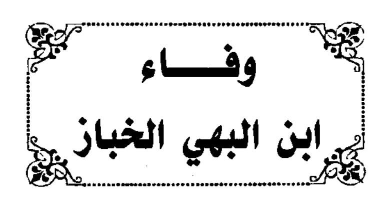
(١) المكوك: صاع ونصف: انظر ((القاموس المحيط)): م ك ك.

(٢) الإبل.

(٣) أي بئر.

قال: وما أنت بذائق من ذلك شيئاً حتى تُعطينا عهداً لتجيبنا إلى الصراع إذا رَوِيتَ، فقالَ: إني لكما ضيف، والضيف لا يصارع أهله، وأنتم مكتفون من ذلك، إنما أقول لكم: اعمدوا إلى أشد فحل من إبلكم شدة، وأهيبه صولة، وإلى أشد رجل منكم ذراعاً، فإن لم أقبض على هامة البعير وعلى يد صاحبكم فلا يمتنع الرجل ولا البعير حتى أدخل يد الرجل في فم البعير، فإن لم أفعل فقد صرعتموني، فأحضروا فحلاً من إبلهم هائج صائل، فأتاه هلال ومعه نفر من أولئك القوم وشيخ لهم، فأخذ بهامة الفحل مما فوق مشفره فضغطها ضغطة جرجر لها الفحل ورغا، وقال: ليعطيني من أجبتم يده حتى أولجها في فم هذا الفحل، فقال الشيخ: يا قوم: تنكبوا هذا الشيطان، والله ما سمعت هذا الفحل جرجر منذ برك قبل اليوم، لا تعرضوا لهذا الشيطان، وجعلوا يتبعونه وينظرون إلى أعضائه حتى جازهم.

وأخباره في القوة كثيرة مذكورة في الأغاني[1].



وفاء
ابن البهي الخباز

وفاء بن أسعد بن النفيس بن البهي التركي أبو الفضل الخبَّاز البغدادي.

كان شيخاً صالحاً من أولاد الأتراك، سمع وحدَّث بالكثير وروى، وكان نظيفاً مليح الخَلْق والخُلُق.

(١) «الوافي بالوفيات» : ٢٧/ ٣٧٥- ٣٧٧.

[٢١٥٠] قشر تفاحة بظفره فدخل تحت ظفره من قشرها ولم يخرج، واشتد به الألم، ثم ورمت كفه وقاحت، ثم ورمت يده وسقط ظُفْره، وبقي بذلك أربعة أشهر، ومات سنة ثمان وسبعين وخمسمائة[١].



أمير المؤمنين

الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد منافٍ، أبو العباس أمير المؤمنين الأموي.

[٢١٥١] كان يلقب النبطي لِلَحْنِهِ، أعاب عليه أبوه عبد الملك لحنَه، وقال: كيف تعلو رؤوس الناس، فدخل إلى بيت، وأخذ جماعةً عنده يتعلم منهم العربية وطيّن عليه وعليهم الباب، وقال: لا أخرج حتى أقيمَ لساني إعراباً، ثم إنه خرج بعد ستة أشهر أو أكثرَ، فلما خطب زاد لحنه على ما كان، فقال أبوه: لقد أبلغتَ عُذراً.

أمُّه ولاّدة بنت العباس.

كان أبيض أفطس، به أثر جُدَريّ بمقدم رأسه ولحيته، وكان جميلاً طويلاً.

بويعَ له بدمشق يوم الخميس نصف شوال بعهدٍ من أبيه سنة ست وثمانين، وقيل: لعشرٍ خلون من شوال، وتوفي يوم السبت لأربع عشرةَ ليلةً خلت من جمادى الآخرة بدمشق، وصلى عليه أخوه سليمان وله تسع وأربعون سنة، وقيل: صلّى عليه ابنه عبد العزيز بدير مُرّان من دمشق،

(١) «الوافي بالوفيات» : ٢٧/ ٤٤٧.

وحمل على أعناق الرجال ودفن بباب الصغير.

وكانت أيامه تسع سنين وسبعة أشهر ويوماً، وفي أيامه هلك الحجاج، وكاتبه القعقاع بن خُلَيْدٍ ويقال: هو ابن جَبلة.

[٢١٥٢] ويقال: إنّ الدواوين نقلت من الفارسية إلى العربية في أيامه، نقلها سليمان بن سعد الخشيني وصالح بن عبد الرحمن مولى بني مُرّة وحاجبه سعد مولاه وخالد مولاه.

ونقشُ خاتمه: يا وليد إنك ميتٌ.

وقيل: إنه كان ذميماً وكان يتبَختَرُ في مشيته.

[٢١٥٣] قال:

لولا أن الله تعالى ذكر آل لوطٍ في القرآن ما ظننتُ أن أحداً يفعل هذا.

[٢١٥٤] وكان يختِن الأيتام ويُرتِّب لهم المؤدبين، ورتّب للزَّمْنَى والأضِرَّاء مَن يقودهم ويخدُمهم لأنه أصابه رمدٌ بعينيه فأقام مدَّةً لا يُبصر شيئاً، فقال: إن أعادهما اللهُ عليَّ قمتُ بحقه فيهما، فلما بَرِئ رأى أن شكرَ هذه النعمة الإحسان إلى العُميان، فأمر أن لا يُترك أعمى في بلاد الإسلام يَسْأَل، بل يُرتَّب له ما يكفيه.

[٢١٥٥] ولما حضرته الوفاة قال: ما أبالي بفِراق الحياة بعدما فتحتُ السند والأندلس، وبَنيتُ جامع دمشق، وأغنَيتُ العميان عن عيونهم، ويكفيه بناؤه جامع دمشق ومسجد رسول الله ﷺ وزخرفتهما، ورزق الفقهاء والفقراء، فإن له في ذلك شرفاً خالداً وذكراً باقياً.

[٢١٥٦] وكان مِطلاقاً لا يصبِرُ على المرأة إلا القليل ويطلّقها، فقيل له في ذلك، فقال: إنما النساء رياحين، فإذا ذبلَت باقةٌ استأنفت أخرى،

يقال: إنه تزوّج ثلاثاً وستين امرأة.

[٢١٥٧] ولما مات أبوه عبد الملك بن مروان تمثّل هشام أو سليمان [من الطويل]:

فما كان قيسٌ هُلْكُه هُلْكُ واحدٍ ... ولكنّه بُنيان قومٍ تهدّما

فقال الوليد: اسكت، فإنك تكلَّمُ بلسان الشيطان، أفلا قلتَ كما قال أوسُ بن حجر [من الطويل]:

إذا مُقْرَمٌ منّا ذرا حَدُّ نابهِ ... تَخَمَّط فينا نابُ آخر مُقْرَمِ[1]

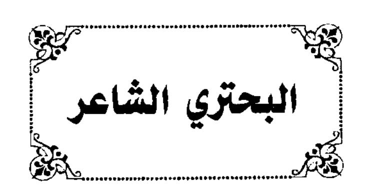
[٢١٥٨] وعيّره خالد بن يزيد باللحن فقال: أنا ألحَن في قولي وأنت تلحَن في فعلك.

وكان لأمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك من الأولاد جماعة، وهم: العباس، وعبد العزيز، ومروان، وعنبسةُ، ومحمد، وعائشة أمهم أم البنين، ويزيد وهو الناقص وإبراهيم وَليا الخِلافة، وأمّهما شاهفريد بنت يزدجُرد، وعمر وأمه نباتة الكندية، وأبو عبيدةَ لأمّ ولدٍ، وعبد الرحمن ويحيى وتمام ومسرور وبشر وروح وجزى ومنصور ومبشّر وعُتبة وخالد وصَدقة لأمهاتِ أولادٍ شَتَّى[2].

---

(١) المقرم: السيد المعظم ، وتخمط : قهر وغلب: وذرا حَدُّ نابه: أي ضعف وكل.

(٢) «الوافي بالوفيات» : ٢٧/ ٤٦٣- ٤٦٥.



البحتري الشاعر

الوليد بن عبيد بن يحيى ينتهي إلى يَعرُب بن قحطان، أبو عُبادة الطائي البحتري.

ولد بِمَنبِج وقيل: بزَرْدَفْنه، قرية من قُرى منبج سنة ستّ، وقيل: سنة خمسٍ ومائتين، وقيل: سنة مائتين، وتوفي سنة أربع وثمانين، وقيل: خمس وثمانين، وقيل: ثلاث وثمانين ومائتين، وتوفي وهو ابن ثمانينَ سنةً أو أكثر.

نشأ البحتري وتخرّج بمنبج، وخرج إلى العراق ومدح جماعةً من الخلفاء، أولهم المتوكل، وخلقاً كثيراً من الأكابر، ثم عاد إلى الشام.

[٢١٥٩] قال صالح بن الأصبغ: رأيتُ البحتري ها هنا عندنا قبل أن يخرج إلى العراق، يجتاز بنا في الجامع من هذا الباب يمدح أصحاب البصل والباذنجان، وينشدنا في ذهابه ومجيئه، ثم كان من أمره ما كان.

[٢١٦٠] وكان البحتري يقول:

أول أمرِي في الشعر ونَباهتي فيه أني صرت إلى أبي تمام وهو بحمص، فعرضتُ عليه شعري وكان يجلس فلا يَبقى شاعر إلا قصده وعرض عليه شعرَه، فلما سمع شعري أقبل عليّ وترك سائر الناس، فلما تفرَّقوا قال: أنت أشعر من أنشدني؛ فكيف حالك؟ فشكوتُ خَلّة[1]، فكتب إلى أهل معرّة النعمان، وشهد لي بالحِذق وشفع لي إليهم، وقال: امتدِحهُم،

(١) أي فقراً.

فصرت إليهم، فأكرموني بكتابِه، ووظّفوا لي أربعة آلاف درهم، فكانت أول ما أصبته.

[٢١٦١] وقال: أول ما رأيتُ أبا تمامٍ أني دخلتُ إلى أبي سعيد محمد ابن يوسف، فامتدحته بقصيدتي التي أولها [من الكامل]:

أأفاق صَبٌّ في الهوى فأُفيقا أم خان عهداً أم أطاع شفيقا

فأنشدتُها له، فلمّا أتممتُها سُرّ بها وقال لي: أحسن الله إليك يا فتَى، فقال له رجل في المجلس: هذا أعزّك الله شعري، عَلَّقه هذا، فسبقني إليه، فتغير أبو سعيد وقال: يا فتى، قد كان في نسبك وقرابتك ما يكفيك أن تَمُتَّ به إلينا، ولا تحمل نفسك على هذا.

فقلت: هذا شعري أعزّك الله.

فقال الرجل: سبحان الله! يا فتى لا تقل هذا، ثم ابتدأ فأنشد من القصيدة أبياتاً، فقال أبو سعيد: نحن نبلغك ما تريد، ولا تحمل نفسك على هذا، فخرجت متحيّراً لا أدري ما أقول، ونويتُ أن أسأل عن الرجل مَن هو، فما أبعدت حتى ردني أبو سعيد وقال لي: جنيتُ عليك فاحتمل، أتدري من هذا؟

قلت: لا.

قال: هذا ابن عمك، حبيب بن أوس الطائي أبو تمام، قم إليه، فقمت إليه فعانقتُه، ثم أقبل يقرِّظني ويصف شعري، وقال: إنما مَزَحتُ معكَ، فلزمته بعد ذلك وعجبت من سرعة حفظه.

[٢١٦٢] وقيل للبحتري: أيما أشعرُ أنت أم أبو تمام؟

فقال: جَيِّده خيرٌ من جَيِّدي، ورديئي خيرٌ من رديئه.

قلت: لَعَمري إنّ البحتري لصادقٌ، وقد أنصف.

[٢١٦٣] وقيل لأبي العلاء المعرّي: أي الثلاثة أشعر، أبو تمام أم المتنبّي أم البحتري؟ فقال: أبو تمام والمتنبّي حكيمان، والشاعر البحتري.

[٢١٦٤] وفيه يقول ابن الرومي [من الخفيف]:

والفتى البحتري يسرق ما قا ... لَ ابنُ أوسٍ في المدح والتشبيب

كل بيتٍ له يجوّد معنا ... ه فمعناه لابن أوسٍ حبيبِ

[٢١٦٥] وقال البحتري: أنشدتُ أبا تمامٍ من شعري، فأنشد بيت أوس بن حَجَر: [من الطويل]:

إذا مُقْرَمٌ منّا ذَرا حدُّ نابِه ... تخمّطَ فينا نابُ آخر مُقْرَمِ[1]

وقال: نَعَيْتَ إليَّ نفسي، فقلت: أُعيذك بالله.

فقال: إنّ عُمري ليس يطول وقد نشأ لطيِّئ مثلك، أما علمتَ أن خالد بن صفوان المِنْقري رأى شبيب بن شبّة - وهو من رَهطه - يتكلم، فقال: يا بُنَيَّ، نعى إليّ نفسي إحسانُك في كلامك لأنّا أهل بيتٍ ما نشأ فينا خطيبٌ إلا مات مَن قَبْله، قال: فمات أبو تمام بعد سنة من هذا.

[٢١٦٦] وقال: أنشدتُ أبا تمام شعراً لي في بعض بني حُمَيدٍ وَصَلت به إلى ماله خَطَر[2]، فقال لي: أحسنتَ، أنت أمير الشعراء بعدي، فكان قوله هذا أحبَّ إليَّ من جميع ما حويتُه.

[٢١٦٧] وكان بحلب شخص يقال له: محمد بن طاهر الهاشمي، مات

---

(١) قد شُرح هذا البيت قريباً.

(٢) أي: قَدْر.

أبوه وخلف له مقدار مائة ألف دينار، فأنفقها على الشعراء والزُّوّار وفي سبيل الله تعالى، فقصده البحتري من العِراق، فلما وصل إلى حلب، قيل له: إنه قَعَد في بيته من دُيونٍ ركبته، فاغتمَّ لذلك غَمّاً شديداً وبعث المدحةَ إليه مع بعض مواليه، فلما وصلته ووقف عليها، بكى، ودعا بغلامٍ له وقال له: بع داري، فقال: تبيع دارك وتبقى على رؤوس الناس؟ فقال: لا بدّ من بيعها، فأباعها بثلاثمائة دينار، وأخذ صرّة وأودعها مائة دينارٍ وأنفذها إلى البحتري، وكتب معها [من الخفيف]:

لو يكون الحِباء حَسْبَ الذي أنـ … ـتَ لَدَيْنا بـه محلٌّ وأهلُ

لَحُبيتَ اللُّجَينَ والدُّرَّ واليا … قُوتَ حَبْواً وكان يَقِلّ

والأديبُ الأريبُ يسمَحُ بالعُذ … ر إذا قصّر الصديق المقلّ

فلما وصلت الرقعة إلى البحتري ردَّ الدنانير وكتب إليه [من الخفيف]:

بأبي أنت والله للبر أهل … والمساعي بَعْدٌ وسعيك قبلُ

والنوال القليل يكثر إن شا … ء مُرَجِّيكَ والكثير يقلُّ

غير أني رددت بِرَّك إذ كا … ن رباً منك والربا لا يحلُّ

وإذا ما جزيت شعراً بشعرٍ … قضي الحق والدنانير فضلُ

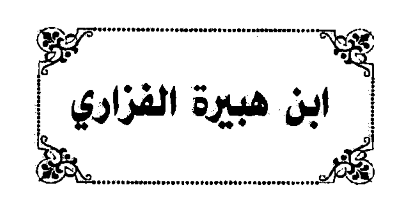
فلما عادت الدنانير حَلَّ الصُّرَّة وضمّ إليها خمسين ديناراً أخرى وردّها إليه وحلف أنه لا يعيدها، فلما وصلت إلى البحتري قال [من الطويل]:

شكرتك إن الشكر للعبد نعمةٌ … ومن يشكر المعروف فالله زائدُهْ

لكل زمان واحد يُقتدَى به … وهذا زمان أنت لا شك واحدُهْ[1]

---

(١) «الوافي بالوفيات»: ٢٧/ ٤٦٥- ٤٦٩.



ابن هبيرة الفزاري

يزيد بن عمر بن هبيرة، كان أصله من الشام، وولي قِنِّسْرين[1] للوليد ابن يزيد بن عبد الملك، وكان مع مروان الحمار يوم غلب على دمشق وجمع له ولاية العراقين.

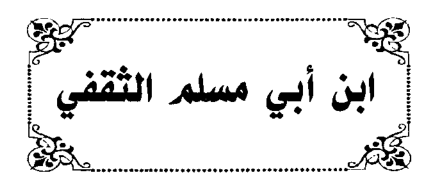
أول من جُمع له ولاية العراقين زياد بن أبيه، وآخرهم يزيد بن هبيرة.

[٢١٦٨] وكان يزيد يكنى أبا خالد وكان سخيّاً، جسيماً، خطيباً، شجاعاً، حسوداً، أكولاً، كان إذا أصبح أتى بعُسٍّ فيه لبن قد صب على عسل وأحياناً بسكر فيشربه، فإذا صلى الغداة جلس في مصلاه حتى تحل الصلاة ثم يصلي ويدخل بيته، فيحركه اللبن فيدعو بالغداء فيأكل دجاجتين وناهضين ونصف جدي - والناهض فرخ الحمام - ثم يخرج فينظر في أمور الناس إلى نصف النهار ثم يدخل فيدعو جماعة من خواصه وأعيان الناس ويدعو بالغداء فيتغدى فإذا فرغ تفرق من كان عنده، ودخل إلى نسائه حتى يخرج إلى صلاة العصر ثم ينظر في أمور الناس، فإذا صلى العصر وضع له سرير ووضعت الكراسي للناس، فإذا أخذوا مجالسهم أتوهم بعساس من اللبن والعسل وألوان الأشربة، ثم توضع السفر والطعام أمامه، ويوضع له ولأصحابه خوان مرتفع، فيأكل إلى المغرب، ثم يتفرقون للصلاة، ثم يأتيه سماره فيحضرون ويسامرونه حتى يذهب عامة الليل.

(١) قنسرين: مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص، افتتحها أبو عبيدة بن الجراح ﷺ سنة ١٧هـ.

وكان يُسأل كل ليلة عشر حوائج، فإذا أصبحوا قضيت، وكان رزقه ستمائة ألف درهم، كان يقسم كل شهر في أصحابه من قومه ومن الفقهاء ومن أهل الوجوه وذوي البيوت.

ولما وصلت جيوش الخراسانيين ومقدمتها قحطبة بن شبيب[(١)] ثم ولده من بعده استظهرت على يزيد بن هبيرة فلحق بواسط[(٢)] وتحصن بها، ثم لحق بهم السفاح وأخوه المنصور، وبويع السفاح بالكوفة، وظهر أمر بني العباس وقويت شوكتهم، فوجه السفاح أخاه المنصور إلى واسط لحصار يزيد بن هبيرة[(٣)].



ابن أبي مسلم الثقفي

يزيد بن دينار أبي مسلم الثقفي أبو العلاء.

كان مولى الحجاج وكاتبه، فيه نهضة وكفاية، قدمه الحجاج بسببهما.

لما حضرته الوفاة استخلفه على الخراج بالعراق، فلما مات الحجاج أقره الوليد ولم يغير عليه شيئاً، وقيل: بل الوليد هو الذي ولاه.

وقال الوليد يوماً: مثلي ومثل الحجاج ومثل يزيد بن أبي مسلم كرجل ضاع منه درهم فوجد ديناراً.

---

(١) قحطبة بن شبيب: قائد شجاع، طائي، من ذوي الرأي والشأن، صحب أبا مسلم الخراساني، وناصره في إقامة الدعوة العباسية بخراسان، توفي سنة ثنتين وثلاثين ومائة اهـ «الأعلام»، (٥/ ١٩١) .

(٢) واسط: هي مدينة في العراق بين البصرة والكوفة، وسميت واسط لأنها تتوسط هاتين المدينتين، اهـ «معجم البلدان»، (٥/ ٣٤٧) .

(٣) «الوافي بالوفيات» : ٢٨/ ١٥- ١٨.

[٢١٦٩] فلما مات الوليد وتولى سليمان بعث مكانه يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، فأحضر إليه يزيد بن أبي مسلم في جامعة[1]، وكان رجلاً قصيراً، دميماً، قبيح الوجه، عظيم البطن، تحتقره العين، فلما نظر إليه سليمان قال له: أنت يزيد بن أبي مسلم.

قال: نعم يا أمير المؤمنين.

قال: لعن الله من أشركك في أمانته وحكمك في دينه.

قال: لا تفعل يا أمير المؤمنين، فإنك رأيتني والأمور مدبرة عني، ولو رأيتني والأمور مقبلة علي لاستعظمت ما استصغرت، ولاستجللت ما استحقرت.

فقال سليمان: قاتله الله، فما أَسَدّ عقله، وأعصب لسانه! .

ثم قال له سليمان: يا يزيد: أترى صاحبك الحجاج يهوي بعد في نار جهنم، أم قد استقر في قعرها.

فقال يزيد: لا تقل ذلك يا أمير المؤمنين، فإن الحجاج عادى عدوكم ووالى وليكم، وبذل مهجته لكم، فهو يوم القيامة عن يمين عبد الملك ويسار الوليد، فاجعله حيث أحببت.

فقال سليمان: قاتله الله، فما أوفاه لصاحبه، إذا ما اصطُنِعت الرجال فليصطنع مثل هذا.

فقال رجل من جلسائه: يا أمير المؤمنين، اقتل يزيد ولا تستبقه.

فقال يزيد: من هذا؟

---

(١) أي في حبل.

فقالوا: فلان بن فلان.

فقال: والله لقد بلغني أن أمه كان شعرها لا يواري ذنبها، فما تمالك سليمان أن ضحك وأمر بتخليته.

[٢١٧٠] ثم إن سليمان كشف عليه، فلم يجد عليه جباية دينار ولا درهم، فهَمَّ باستكتابه فقال له عمر بن عبد العزيز: آثرك الله يا أمير المؤمنين أن تحيي ذكر الحجاج.

فقال: يا أبا حفص، إني كشفت عنه فلم أجد عليه خيانة.

فقال: أنا أُوجدك من هو أعف عن الدينار والدرهم منه.

فقال سليمان: من هو؟

قال: إبليس، ما مس ديناراً ولا درهماً بيده وقد أهلك الخلق، فتركه سليمان.

[٢١٧١] ويقال: إن عمر بن عبد العزيز بلغه أن يزيد بن أبي مسلم في جيش من جيوش المسلمين، فكتب إلى عامل الجيش أن يرده، وقال: إني لأكره أن أستنصر بجيش هو منهم.

وقال ابن عساكر أبو القاسم:

في سنة إحدى ومائة أُمِّرَ يزيد بن أبي مسلم على إفريقية، ونُزِع إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم فسار أحسن سيرة.

وفي سنة اثنتين ومائة قتل يزيد.

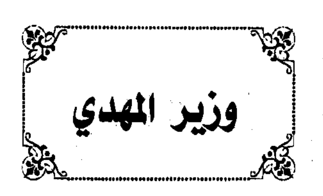
[٢١٧٢] وقال الوضاح بن خيثمة: أمرني عمر بن عبد العزيز بإخراج قوم من السجن وفيهم يزيد، فتركته، فحقد علي، وإني بإفريقية إذ قيل:

قدم يزيد، فهربت منه، فطلبني، فظفر بي، وحملت إليه، فلما رآني قال: لطالما سألت الله أن يمكنني منك.

فقلت: وأنا طالما سألت الله يعيذني منك.

فقال: ما أعاذك الله، والله لأقتلنك، ولو سابقني فيك ملك الموت لسبقته.

ثم دعا بالسيف والنطع فأتي بهما، وأمر الوضاح فأقيم على النطع، وقام وراءه بالسيف، وأقيمت الصلاة، فخرج إليها، فلما سجد أخذته السيوف، ودخل إلى الوضاح من قطع كتافه وأطلقه، وأعيد إلى الولاية[1].



وزير المهدي

يعقوب بن داود بن عمر السلمي بالولاء، مولى أبي صالح عبد الله ابن حازم السلمي والي خراسان.

كان يعقوب كاتب إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب، وكان أبوه داود وإخوته كُتاباً لنصر بن سيار عامل خراسان، ولما مات داود نشأ ولداه علي ويعقوب على أدب وفضل وافتنان في صنوف العلوم، ولما ظهر المنصور على إبراهيم المذكور ظفر بيعقوب فحبسه في المُطْبِق.

---

(١) «الوافي بالوفيات» : ٢٨/ ٣٩- ٤٢.

وكان يعقوب سمحاً جواداً كثير البر والصدقة، واصطناع المعروف، وكان مقصوداً ممدحاً، مدحه أعيان الشعراء مثل أبي الشيص(١)، وسلم الخاسر(٢) وغيرهما.

ولما مات المنصور وقام من بعده المهدي جعل يتقرب إليه حتى أدناه واعتمد عليه، وعلت منزلته عنده، وعظم شأنه حتى خرج كتابه إلى الدواوين: إن أمير المؤمنين قد آخى يعقوب بن داود، فقال في ذلك سلم الخاسر:

قل للإمام الذي جاءت خلافته ... تهدى إليه بحق غير مردود

نعم القرين على التقوى استعنت به ... أخوك في الله يعقوب بن داودِ

وحج المهدي في سنة ستين ومائة ويعقوب معه، ولم يكن ينفذ شيء من كتب المهدي حتى يرد كتاب من يعقوب إلى أمينه بإنفاذه.

وكان المنصور قد خلف في بيوت المال تسع مائة ألف ألف درهم وستين ألف ألف درهم.

[٢١٧٣] وكان الوزير أبو عبيد الله يشير على المهدي بالاقتصار من الإنفاق وحفظ الأموال، فلما عزله وولى يعقوب زين له هواه، فأنفق الأموال، وانكب على اللذات والشرب وسماع الغناء، واستقل يعقوب

---

(١) أبي الشيص: محمد بن علي، شاعر مطبوع، رقيق الألفاظ سريع الخاطر، توفي سنة ست وتسعين ومائة هـ. اهـ «الأعلام» (٦/ ٢٧١)، «البداية والنهاية» (١٠/ ٢٣٨).

(٢) سلم الخاسر: هو سلم بن عمرو، مولى بني تيم، شاعر مطبوع متصرف في فنون الشعر، من شعراء الدولة العباسية لقب بالخاسر لأنه ورث من أبيه مصحفاً، فباعه واشترى به طنبوراً. اهـ «الأعلام» (١٩/ ٢٦١).

وقد سبقت ترجمته في هذا الكتاب.

بالتدبير.

ففي ذلك يقول بشار بن برد:

بنـو أميـة هبـوا طـال نـومكم إن الخليفـة يعقـوب بـن داود

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفـة الله بـين النـاي والعـود

ثم إن يعقوب ضجر مما هو فيه، وسأل المهدي الإقالة، فامتنع عليه.

[٢١٧٤] ثم إن المهدي أراد أن يمتحنه في ميله إلى العلوية، فدعا به يوماً وهو في مجلس فرشه موردة، وعليه ثياب موردة، وعلى رأسه جارية عليها ثياب موردة، وهو مشرف على بستان فيه صنوف من الورد.

فقال له: يا يعقوب: كيف ترى مجلسنا؟

قال: في غاية الحسن، متع الله أمير المؤمنين به.

فقال له: جميع ما فيه هو لك، وهذه الجارية لك ليتم سرورك، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم.

فدعا له.

فقال له المهدي: لي إليك حاجة.

فقام قائماً وقال: يا أمير المؤمنين، ما هذا القول إلا لَمَوْجَدة(١)، وأنا أستعيذ بالله من سخطك.

فقال: أحب أن تضمن لي قضاءها.

فقال: السمع والطاعة.

---

(١) أي لغضب.

فقال له: والله.

فقال: والله ثلاثاً.

فقال: ضع يدك على رأسي واحلف به.

ففعل.

فلما استوثق منه قال: هذا فلان بن فلان من العلوية أحب أن تكفيني مؤنته، وتريحني منه، فخذه إليك، فحوّله وحَوّل الجارية وما كان في المجلس، فلشدة سروره بالجارية جعلها في مجلس بقرب منه ليصل إليها، فأحضر العلوي فوجده لبيباً فهماً، فقال له: ويحك يا يعقوب، تلقى الله تعالى بدمي، وأنا رجل من ولد فاطمة بنت محمد ﷺ.

فقال له يعقوب: يا هذا: فيك خير؟

فقال: إن فعلت خيراً معي شكرت، ودعوت لك.

فقال له: خذ هذا المال، وخذ أي طريق شئت.

فقال: طريق كذا وكذا آمن لي.

فقال: امض مصاحباً.

وسمعت الجارية الكلام كله، فوجهت مع بعض خدمها إلى المهدي وقالت: هذا الذي آثرته على نفسك فعل هذا، وكان هذا جزاؤك منه. فوجه المهدي فأمسك الطريق، حتى ظفر بالعلوي والمال، ثم وجه إلى يعقوب فأحضره فقال له: ما حال الرجل؟

قال: قد أراحك الله منه.

قال: مات.

قال: نعم.

قال: والله.

قال: والله.

قال: فضع يدك على رأسي.

فوضع يده على رأسه وحلف به.

فقال: يا غلام، اخرج إلينا.

ففتح الباب عن العلوي والمال بعينه، فبقي متحيراً وامتنع عن الكلام.

فقال له المهدي: لقد حل دمك، ولو شئت لأرقته، ولكن احبسوه في المُطْبِق، فحبسوه، وأمر أن يطوى خبره عنه، وعن كل أحد.

قال عبد الله بن يعقوب: أخبرني أبي أن المهدي حبسه في بئر وبنى عليه قبة، فقال: فكنت فيها خمس عشرة سنة، وكان يُدْلَى لي كل يوم رغيف وكوز ماء، وأوذن بأوقات الصلاة، فلما كان في رأس ثلاث عشرة أتاني آت في منامي فقال:

حنى على يوسف رب فأخرجه　　　من قعر جب وبيت حوله غمم

قلت: أتاني الفرج، ثم مكثت حولاً لا أرى شيئاً، ثم أتاني ذلك الآتي فأنشدني:

عسى فرج يأتي به الله إنه　　　له كل يوم في خليقته أمر

قال: ثم أقمت حولاً آخر لا أرى شيئاً، ثم أتاني ذلك الآتي بعد حول وقال:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه　　　يكون وراءه فرج قريب

فيــأمن خــائف ويُفَــك عــان ويــأتي أهلَــه النــائي الغريــب

فلما أصبحت نوديت، فظننت أنـي أوذن بالصـلاة، فـدُلي لـي حبـل أسود وقيل: اشدده بتكك[1]، ففعلت.

فلما أخرجوني وقابلت الضوء عشي بصري، فانطلقوا بي، فأدخلـت على الرشيد فقيل لي: سلم على أمير المؤمنين.

فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، المهدي؟

فقال: لست به.

فقلت: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، الهادي؟

فقال: لست به.

فقلت: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، الرشيد؟

فقال: يا يعقوب بن داود، والله ما شفع فيك أحـد عنـدي، غـير أنـي حملت الليلة صبية لي على عنقـي، فـذكرت حملـك إيـاي علـى عنقـك، فرثيت لك من المحل الذي أنت فيه.

ثم إنه رد ماله إليه، وخيره المقام حيث يريد، فاختار مكـة، فـأذن لـه، فأقام بها حتى مات في سنة سبع وثمانين ومائة. ولما أطلق سأل عن جماعة من إخوانه فأخبروه بموتهم، فقال:

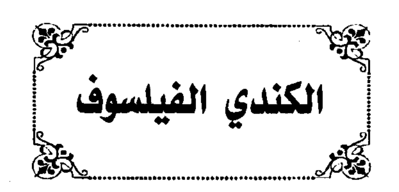
لكــل أنــاس مَقْبَــرٌ بفَنَــائهم فهــم ينقصــون والقبــور تزيــد

هــم جـيرة الأحيــاء أمــا محلــهم فَــدَانٍ وأمــا الملتقــى فبعيــد[2]

---

(١) أي بحزام وسطك.

(٢) «الوافي بالوفيات» : ٢٨/ ٧١- ٧٧.



الكندي الفيلسوف

يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس: أبو يوسف الكندي الكوفي الفيلسوف.

كان والده شاعراً، وكان يعقوب واحد عصره في المنطق، والهندسة، والطب، والنجوم، وعلم الأوائل، لا مدافع له عن تقدمه ورياسته في ذلك، وهو معدود في فلاسفة الإسلام.

وله مصنفات كثيرة وتلاميذ، وله معرفة بالأدب وشعر حسن.

[٢١٧٥] وكان مفرط البخل، كان يأكل التمر ثم يدفع النوى إلى داية له ويقول لها: تَجَزَيْ بما بقي عليه من حلاوة التمر.

[٢١٧٦] وجاءت إليه يوماً جارية سوداء من عند أمه ومعها كوز فقالت له: أمك تطلب منك ماء بارداً.

فقال: ارجعي فاملئي الكوز من عندها وجيئيني به، فلما جاءت به قال: فرغيه عندنا وأعطيها مِلْئَه من المُزَمَّلَة[1]، فلما مضت قال: أخذنا منها جوهراً بلا كيفية، وأعطيناها جوهراً بكيفية لتنتفع به.

[٢١٧٧] قال محب الدين ابن النجار:

قرأت في كتاب أبي عبد الله بن محمد بن محمود بن الجراح الكاتب قال: حدثني محمد بن شيبان عن أبي علي عبد الرحمن بن يحيى بن خاقان:

---

(١) أي التي يبرد فيها الماء.

ما رأيته حيّاً قط، يعني يعقوب الكندي، فرأيته في المنام بنعته وصفته، فسألته: ما فعل الله بك؟

فقال: ما هو إلا أن رآني فقال: انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون، نعوذ من غضبه.

[٢١٧٨] وذكر محمد بن إسحاق بن خزيمة: قال أصحاب الكندي للكندي: اعمل لنا مثل القرآن.

فقال: نعم أو بعضه.

فغاب دهراً طويلاً ثم خرج إليهم فقال:

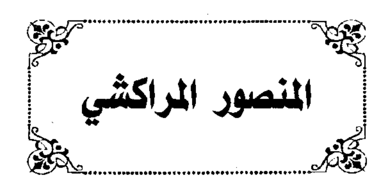
والله لا يُقْدر عليه ولا على بعضه، فإني فتحت المصحف فخرج المائدة، فنظرت أولها فإذا هو بعدما نبه ونادى وحضّ تعظيماً للإيمان به أمر بالوفاء ونهى عن النكث والغدر، وحلل تحليلاً عامّاً ثم استثنى من الجميع بعضاً وبعضاً شروطاً فيه لموجب[1]، ثم أخبر عن قدرته وحكمته في سطر ونصف، وهذا ما لا يتأتى لأحد من المخلوقين.

ومن شعر الكندي:

أنا الذُّبابَى على الأرؤس	فغمض جفونك أو نكس
وضايل سوادك واقبض يديك	وفي قعر بيتك فاستجلس
وعند مليكك فابغ العلو	وبالوحدة اليوم فاستأنس
فإن الغنى في قلوب الرجال	وإن التعزز للأنفس
وكائنٍ ترى من أخي عسرة	غنى وذي ثروة مفلس

(١) كذا ورد السياق، والمعنى مفهوم.

ومــــن قــــائم شخصــــه ميــــت ... علــى أنــــه بعــدُ لم يَــرْمِسِ[1]



المنصور المراكشي

يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، الملقب بالمنصور أمير المؤمنين، أبو يوسف القيسي المراكشي.

سلطان المغرب، أمه أم ولد، ملك وعمره اثنتان وثلاثون سنة.

وعمر بمراكش بيمارستان[2] غريباً، أجرى فيه مياهاً كثيرة، وغرس فيه من جميع الأشجار، وزخرفه، وأمر له في كل يوم ثلاثين ديناراً للأدوية، وكان يعود المرضى فيه في كل جمعة.

[٢١٧٩] كتب إليه صلاح الدين بن أيوب، يستنجده على الفرنج، وخاطبه بأمير المسلمين، ولم يخاطبه بأمير المؤمنين، فلم يجبه إلى ما طلب[3].

[٢١٨٠] ووقع بين المنصور هذا وبين الأذفونش ملحمة هائلة قَلّ أن وقع مثلها، قُتل فيها من الفرنج مائة ألف وستة وأربعون ألف نفس، وقُتل من المسلمين نحو من عشرين ألف نفس، وحُمل من دروعهم لبيت المال ستون ألف درع، وأما الدواب فلم يُحْصَ عددها.

[٢١٨١] وكان قد أمر أن لا يُفتَى بفروع الفقه، وأن لا يُفتى إلا

---

(١) «الوافي بالوفيات» : ٢٨/ ٧٨- ٨٥. ولم يرمس: أي لم يحل بعد في رَمْسه ، والرمس : القبر.

(٢) أي مستشفى.

(٣) انظروا كيف التفريط في نصرة المسلمين بسبب هذه الموانع النفسية.

بالكتاب والسنة، وأن تجتهد الفقهاء على طريقة أهل الظاهر.

[٢١٨٢] وأمر بقراءة البسملة في أول الفاتحة في أول الصلوات، وأرسل بذلك إلى سائر بلاد المسلمين، فأجاب قوم وامتنع آخرون.

[٢١٨٣] وكان يشدد على الرعية بإقامة الصلوات الخمس، ويعاقب على تركها، ويأمر بالنداء في الأسواق بالمبادرة إليها، فمن غفل عنها أو اشتغل عنها بمعيشة عزّره تعزيراً بليغاً.

[٢١٨٤] وقَتَلَ في بعض الأحيان على شرب الخمر.

[٢١٨٥] وقَتَلَ العمالَ الذين تشكو الرعية منهم.

وقال القاضي شمس الدين أحمد بن خَلِّكَان- رحمه الله تعالى-:

[٢١٨٦] وصل إلينا جماعة من مشايخ المغرب وهم على تلك الطريق.

[٢١٨٧] وكان محبّاً للعلماء، محسناً إليهم، مقرباً لهم وللأدباء، مصغياً إلى المديح مثيباً عليه.

وكان يعقوب هذا صافي السمرة جداً إلى الطول[1]، هو جميل الوجه، أعين، شديد الكحل، ضخم الأعضاء، جهوري الصوت، جزل الألفاظ، أصدق الناس لهجة، وأحسنهم حديثاً، وأكثرهم إصابة بالظن، مجرباً للأمور.

[٢١٨٨] ولي وزارة أبيه فبحث عن الأحوال بحثاً شافياً، وطالع مقاصد العمال والولاة وغيرهم مطالعة أفادته معرفة بجزئيات الأمور.

---

(١) أي إلى الطول أقرب.

[٢١٨٩] ولما مات أبوه اجتمع رأي أشياخ الموحدين وبني عبد المؤمن على تقدمته فبايعوه، وعقدوا له البيعة، ودعوه أمير المؤمنين كأبيه وجده، ولقبوه المنصور، فقام بالأمر أحسن قيام، وهو الذي أظهر أبهة ملكهم، ورفع راية الجهاد، ونصب ميزان العدل، وأقام الحدود حتى على أهله وعشيرته.

[٢١٩٠] وخرج عليه علي بن إسحاق بن محمد بن علي بن غانة الملثم، من جزيرة ميورقة في شعبان سنة ثمانين، وملك بجاية وما حولها، فجهز إليه المنصور يعقوب عشرين ألف فارس وأسطولاً في النهر، ثم خرج بنفسه في أول سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، فاستعاد ما أخذ من البلاد، ثم عاد إلى مراكش سنة ست وثمانين.

[٢١٩١] بلغه أن الفرنج ملكوا مدينة شلب وهي في غرب جزيرة الأندلس، فتجهز إليها بنفسه وحاصرها وأخذها، وأنفذ في الوقت جيشاً من الموحدين ومعهم جماعة من العرب ففتحوا أربع مدن من بلاد الفرنج كانوا قد أخذوها من المسلمين قبل ذلك بأربعين سنة.

[٢١٩٢] وخافه صاحب طليطلة، وصالحه خمس سنين، وعاد إلى مراكش، ولما انقضت الهدنة ولم يبق منها إلا القليل خرجت طائفة من الفرنج في جيش كثيف إلى بلاد المسلمين فنهبوا وسبوا وعاثوا عيثاً فظيعاً، فتوجه لقصدهم وذلك في سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، وجمع جيوشه من أطراف البلاد، واحتفل احتفالاً عظيماً، وخرج إلى مدينة «سلا[1]» ليكون اجتماع العساكر بظاهرها، فاتفق أنه مرض مرضاً شديداً إلى أن يئس أطباؤه، فتوقف الحال عن تدبير الجيوش، فحُمل إلى مراكش، فطمع

(١) سلا : مدينة بأقصى المغرب.

الجاورون له من العرب وغيرهم، وعاثوا في البلاد، وأغاروا على النواحي، وكذلك فعل الأذفونش فيما يليه من بلاد الأندلس، وتفرق الجيوش شرقاً وغرباً.

وزاد طمع الأذفونش، وبعث رسولاً إلى الأمير يعقوب يتهدده ويتوعده، ويطلب بعض الحصون المتاخمة له، وكتب إليه رسالة من إنشاء وزير له يعرف بأبي الفخار وهي:

«باسمك اللهم، فاطر السموات والأرض، وصلى الله على السيد المسيح روح الله وكلمته الرسول الفصيح، أما بعد:

فلا يخفى على ذي ذهن ثاقب، ولا ذي عقل لازب، أنك أمير الملة الحنيفية، كما أني أمير الملة النصرانية، وقد علمت ما عليه رؤساء الأندلس من التخاذل والتواكل وإهمال الرعية، وإخلادهم إلى الراحة، وأنا أسومهم بحكم القهر وخلاء الديار، وسبي الذراري، وأمثل بالرجال، ولا عذر لك في التخلف عن نصرتهم إذا أمكنتك يد القدرة، وأنتم تزعمون أن الله فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم، فـ ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾[1]، ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحدٍ منا، لا تستطيعون دفاعاً ولا تملكون امتناعاً، وقد حكي لي عنك أنك أخذت في الاحتفال، وأشرفت على ربوة القتال، وأنت تماطل نفسك عاماً بعد عام، وتقدم رِجلاً، وتؤخر أخرى، فلا أدري أكان الجبن أبطأ بك أم التكذيب بما وعدك ربك، ثم قيل لي: إنك لا تجد إلى جواز البحر سبيلاً لعلة لا يجوز لك التقحم معها، وها أنا أقول لك ما فيه الراحة لك،

---

(١) سورة الأنفال: ٦٦.

وأعتذر لك وعنك على أن تفي بالعهد والمواثيق والاستكثار من الدهر، وترسل لي جماعة من عبيدك بالمراكب، وأجوز بجملتي إليك وأقاتلك في أعز الأماكن إليك، فإن كانت لك فغنيمة كبيرة جلبت إليك، وهدية عظيمة مثلت بين يديك، وإن كانت لي كانت العليا عليك، واستحقيت إمارة الملتين والحكم على البرين، والله موفق السعادة، يسهل الإرادة، لا رب غيره، ولا خير إلا خيره، إن شاء الله تعالى».

فلما وصل كتابه إلى الأمير يعقوب مزقه، وكتب على ظهر قطعة منه: ﴿ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾[1]: الجواب ما ترى لا ما تسمع.

ولا كُتْبَ إلا الـمَشْرَفِية عنده ... ولا رُسْلَ إلا الخميس العرمرمُ[2]

ثم استدعى الجيوش من الأمصار، وضرب السرادقات بظاهر البلد من يومه، وجمع العساكر، وسار إلى البحر المعروف بزقاق سبتة، فعبر فيه إلى الأندلس، ودخل بلاد الفرنج، وقد اعتدوا واحتشدوا وتأهبوا، فكسرهم كسرة شنيعة في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ولم ينج منهم إلا ملكهم في نفر قليل.

وكان ما ذكرته في أول هذه الترجمة وأخلى الفرنج قلعة رباح، لما داخلهم من الرعب، فملكها الأمير يعقوب، وجعل فيها والياً وجيشاً، ولكثرة ما حصل له من الغنائم لم يمكنه الدخول إلى بلاد الفرنج، فعاد إلى طليطلة وحاصرها وقطع أشجارها، وأخذ من أعمالها حصوناً كثيرة، وقتل رجالها وسبى حريمها، وهدم مبانيها، وترك الفرنج في أسوأ حال.

---

(١) سورة النمل: ٣٧.

(٢) الخميس العرمرم: أي الجيش الضخم، والمشرفية: السيف.

ثم رجع إلى إشبيلية، وأقام بها إلى أثناء سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، وعاد إلى بلاد الفرنج مرة ثالثة، وفعل كفعله المتقدم، فلم يبق للفرنج قدرة على لقائه، وسألوا منه الصلح فأجابهم وصالحهم لمدة خمس سنين.

وعاد إلى مراكش، ولما وصل إليها أمر باتخاذ الأحواض والروايا وآلات السفر إلى بلاد إفريقية، فاجتمع إليه مشايخ الموحدين وقالوا: قد طالت غيبتنا بالأندلس فمنا من له خمس سنين، ومن له ثلاث سنين، فأنعم علينا بالمهلة هذا العام، وتكون الحركة أول سنة خمس وتسعين، فأجابهم.

وانتقل إلى مدينة «سَلا»، وشاهد فيها من المتنزهات المعدة له، وكان قد بنى بالمدينة المذكورة قريباً منها مدينة سماها «رباط الفتح»[1] عُمِل على هيئة الإسكندرية، وبناها على البحر المحيط وهي على نهر سلا، مقابلة من البر القبلي وتنزه فيها، وعاد إلى مراكش.

[٢١٩٣] ثم إن الناس اختلفوا في أمره من هنا، فقالوا: إنه ترك ما كان فيه وتجرد، وساح في الأرض، وانتهى إلى بلاد الشرق وهو مستخف لا يُعرف، ومات خاملاً.

ويقال: إن قبره بالقرب من المجدل قرية من البقاع العزيزي عند قرية يقال لها «حمَّارة»، وإلى جانبها مشهد يعرف بقبر الأمير يعقوب ملك الغرب، كل أهل تلك النواحي متفقون على ذلك.

وقالوا: مات بمدينة «سلا» في غرة جمادى الأولى، وقيل: شهر ربيع الآخر في سابع عشرة، وقيل: في غرة صفر سنة خمس وتسعين وخمسمائة

---

(١) وهي الرباط اليوم عاصمة المغرب.

بمراكش.

[٢١٩٤] ومولده سنة أربع وخمسين وخمسمائة، وأمر أن يُدفن على قارعة الطريق ليترحم الناس عليه.

وبايع الناس ولده أبا عبد الله محمد بن يعقوب.

[٢١٩٥] ومن حكايات الأمير المنصور يعقوب أن رجلاً من المشارقة مثل إليه في زي رسول، وزعم أنه من الهند، يذكر أن ذلك الملك رأى في كتاب ملحمة عنده أن أبا يوسف هذا يصل بجيوشه من المغرب ويملك بلاد المشرق، ثم يفتح الهند وما أشبه ذلك، وطلب الاجتماع به، فقال المنصور: العاقل الحكيم ينخدع في ماله ولا ينخدع في عقله، وأمر بإنزاله وإجراء الضيافة عليه حتى ينفصل، وأما الاجتماع به فلا سبيل إليه.

[٢١٩٦] ورفع إليه صاحب شرطته أن رجلاً من العامة ممن ابتلاه الله بحب الخمر اشتاق إلى عادته، فقالت له زوجته: قد علمت أن الخليفة يقتل على الشرب، وأنت فيك عربدة وقلة صمت إذا شربت.

فقال: أنا أحسم المادة، فقيَّد نفسه بقيد حديد، ثم اشتغل بشرابه وأغلق بابه، فنم به أحد أنذال جيرانه إلى صاحب الشرطة، فأمر المنصور أن يضرب السكران الحد الخفيف، ويؤخذ القيد من رجله، ويوضع في رجل الغماز بعد أن يضرب على نجسه، ويودع السجن حتى يستريح الناس منه.

[٢١٩٧] واحتاج لأحد أولاده عالماً وأميناً، فطلبهما من القاضي، فاختار له القاضي رجلين وصف أحدهما في رقعته أنه عالم بحر، والآخر أنه أمين بر، فاستنطقهما المنصور فعلم أنهما يكذبان، فوقع في الرقعة:

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[1].

[٢١٩٨] واشتهر له من قوله شعر أفسد به العرب على قراقوش؛ أحد مماليك صلاح الدين، وكان قد استولى على طرابلس وقابس، وعظم أمره بالغرب:

يا أيها الراكب الساري لظبيته	على غدافره تشقى بها الأَكَمُ[2]
بلغ سليمان على بعد الديار بها	بيني وبينكم الرحمان والرحم
يا قومنا لا تشبوا الحرب إن خمدت	واستمسكوا بعرى الإيمان واعتصموا
حاشى الأعاريب أن ترضى بمنقصةٍ	يا ليت شعري هل ألبابَهم عدموا
يقودهم أرمني لا خلاق له	كأنه بينهم من جهله علم
الله يعلم أني ما دعوتكم	دعاء ذي تِرَة يوماً فينتقم[3]
ولا التجأت لأمر يستعان به	من الأمور وهذا الخلق قد علموا
لكن لأجزي رسول الله عن رحم	تُنْمى إليه وتُرعى تلكم الذمم
فإن أبيتم فحبل الوصل متصل	وإن أبيتم فعند السيف نحتكم

فلما وقفوا على الشعر مالوا إلى المنصور، وانحرفوا عن قراقوش.

وله موشحات حسنة عملها في جارية له كان يهواها تسمى «ساحر»[4].

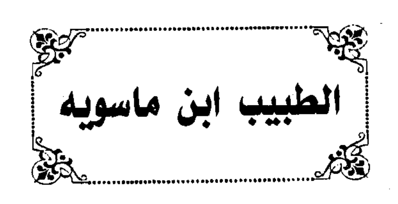
---

(١) سورة الروم: ٤١.

(٢) الأكم: التلال، وغدافره: لم أجد لها معنى، ولعلها تحريف.

(٣) التِرة : الثأر.

(٤) «الوافي بالوفيات» : ٢٨/ ٩٨- ١٠٦.



الطبيب ابن ماسويه

يوحنا بن ماسويه.

[٢١٩٩] كان طبيباً ذكيّاً فاضلاً، خبيراً بالطب، وله كلام حسن وتصانيف مشهورة، وكان مبجلاً حظياً عند الخلفاء والملوك، اكتسب من الطب ألف ألف درهم، وكان نصرانيّاً خدم الرشيد والأمين والمأمون وبقي على ذلك إلى أيام المتوكل.

[٢٢٠٠] وكان الواثق مشغوفاً به، فشرب يوماً عنده فسقاه الساقي شراباً غير صاف ولا لذيذ، فقال:

يا أمير المؤمنين، أما المذاقات فقد عرفتها واعتدتها، ومذاقة هذا الشراب فخارج عن طبع المذاقات كلها، فوجد الواثق على السقاة وقال: أتسقون أطبائي في مجلسي مثل هذا الشراب؟ وأمر ليوحنا في ذلك الوقت بمائة ألف درهم، ودعا بسمانة الخادم، وقال: احمل إليه الساعة المال، فلما كان وقت العصر سأل سمانة: هل حمل المال إلى يوحنا؟

فقال: لا بعد.

فقال: يحمل إليه مائتا ألف، ثم سأله بعد ساعة أخرى فقال: لا بعد.

فقال: يحمل إليه ثلاث مائة ألف درهم.

فخرج سمانة وقال: احملوها إليه، وإلا لم يبق في بيت المال شيء.

[٢٢٠١] وكان الرشيد قد قلده ترجمة الكتب القديمة.

[٢٢٠٢] واشتدت به علة مرض حتى يئس منه أهله، فاجتمع عنده

الأقساء وجماعة من الرهبان يقرأون حوله من الإنجيل، فقال لهم:

يا أبناء الفسق، ما تصنعون؟

قالوا: ندعو لك.

قال لهم: قُرص وَرْدٍ أفضل من صلوات جميع أهل النصرانية منذ كانت وإلى يوم القيامة(١).

[٢٢٠٣] وشكا إليه رجل أصابه جرب فقال له:

افصد الأكحل من اليمنى.

فقال: قد فعلت.

فقال: افصد الأكحل من اليسرى.

فقال: قد فعلت.

فقال اشرب المطبوخ.

فقال: قد فعلت.

فقال: اشرب ماء الجبن.

فقال: قد فعلت.

فقال: اشرب مخيض البقر أسبوعين.

فقال: قد فعلت.

فقال: اشرب الاصطخفيون.

---

(١) في هذا الكلام تجاوز، فإن في النصرانية الأولى الصحيحة أدعية أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام وجملة كبيرة من الصالحين.

فقال: قد فعلت.

فقال له: لم يبق شيء مما ذكره الأطباء إلا وقد ذكرته، وقد بقي شيء لم يذكره أبقراط ولا جالينوس.

فقال: وما هو؟

فقال: ابتغ زوجي قراطيس وقطعهما رِقاعاً صغاراً واكتب في كل واحدة: «رحم الله من دعا لمبتلى بالعافية» وألق نصفها في المسجد الشرقي والآخر في المسجد الغربي وفرقها يوم الجمعة، فإني أرجو أن ينفعك الله بالدعاء إذا لم ينفعك العلاج.

توفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين، وليوحنا كتب كثيرة في الطب[1].



المِزّي الحافظ

يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف ، الشيخ الإمام العلامة حافظ العصر ومحدث الشام ومصر، جمال الدين أبو الحجاج القُضاعي الكلبي المِزي، الحلبي المولد، خاتمة الحفاظ، ناقد الأسانيد والألفاظ.

مولده بظاهر حلب في عاشر شهر ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وست مائة، وطلب الحديث في أول سنة خمس وسبعين، وهَلُمَّ جرّاً، وإلى آخر وقت لا يفتر ولا يقصر عن الطلب والاجتهاد والرواية.

توفي في ثاني عشر صفر سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة، ودفن بمقابر الصوفية من الغد.

---

(١) «الوافي بالوفيات»: ٢٩/ ٦١-٦٤.

سمع الكتب الأمهات المسندة و «الكتب الستة» و «المعجم الكبير» و«تاريخ الخطيب» و «النسب للزبير» و «السيرة» و «الموطأ» من طرق، «والزهد» و «المستخرج على مسلم» «والحلية» و «السنن» للبيهقي، و«دلائل النبوة»، وأشياء يطول ذكرها، ومن الأجزاء ألوفاً.

[٢٢٠٤] ومشيخته نحو الألف.

وحفظ القرآن، وعُني باللغة فبرع فيها، ولم أر فيها مثله، ومثل الشيخ أثير الدين، وأتقن النحو والتصريف، ولما ولي دار الحديث الأشرفية تمذهب للشافعي، وأشهد عليه بذلك، وذلك في ثالث عشرين ذي الحجة سنة ثماني عشرة وسبع مائة.

وكان فيه حياء وسكينة وحلم واحتمال وقناعة، واطراح تكلف، وترك التجمل والتودد، والانجماع عن الناس، وقلة كلام إلا أن يُسأل فيجيب ويجيد، وكلما طالت مجالسة الطالب له ظهر له فضله، لا يتكثر بفضائله، كثير السكوت لا يغتاب أحداً.

قرأت عليه «خطب ابن نُباتة» و «أربعين النواوي» وغير ذلك، وسمعت عليه كثيراً، وسمع شيئاً من شعري بدار الحديث.

وكان معتدل القامة مشرباً بحمرة، قوي التركيب، مُتِّع بحواسه وذهنه، وكان قنوعاً غير متأنق في ملبس أو مأكل أو مركب أو نعل.

[٢٢٠٥] يصعد إلى الصالحية وغيرها ماشياً وهو في عشر التسعين، وكان رَيِّضَ الأخلاق، يستحم بالماء البارد في الشيخوخة.

وأما معرفة الرجال فإليه تُشَدُّ الرحال، فإنه كان الغاية وحامل الراية، لما ولي دار الحديث، قال الشيخ تقي الدين بن تيمية: لم يَلِ هذه المدرسة

من حين بنائها وإلى الآن أحق بشرط الواقف منه، وقد وليها جماعة كبار مثل ابن الصلاح، ومحيي الدين[1]، وابن الزبيدي؛ لأن الواقف قال: «فإن اجتمع من فيه الرواية ومن فيه الدراية، قُدِّم من فيه الرواية».

صنف كتاب «تهذيب الكمال» في أربعة عشر مجلداً، كشف به الكتب المتقدمة في هذا الشأن، وسارت به الركبان، واشتهر في حياته، وألف «كتاب الأطراف للكتب الستة» في ستة أسفار، وخرَّج لجماعة، قال الشيخ شمس الدين[2]: ولا علمته خرَّج لنفسه لا عوالي ولا موافقات ولا معجماً، وكل وقت ألومه في ذلك فيسكت.

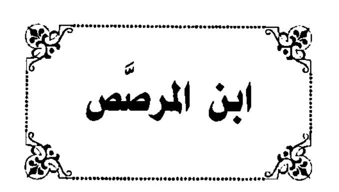
[٢٢٠٦] لم يكن يعتني بتراجم العلماء من الخلفاء والملوك والأمراء والوزراء والقضاة والعلماء والقراء والأطباء والشعراء، ولا له فيها مشاركة ألبتَّة، وإنما كان يعتني برجال الحديث لا غير، ولقد سألته عن القالي- بالقاف- والفالي- بالفاء- فقال لي: لا أعرف إلا الفالي- بالفاء- فعلمت أنه ليس له عناية بغير الرواة للحديث، وإلا فأبو علي القالي- بالقاف- مشهور بين الأدباء معروف، لا يكاد يجهله أحد من صغار الأدباء[3].

---

(١) أي النووي، رحمه الله تعالى.

(٢) أي الذهبي رحمه الله تعالى.

(٣) «الوافي بالوفيات» : ٢٩/ ٢٤٢- ٢٤٧.



ابن المرصَّص

يوسف بن عبد العزيز بن شداد الهمذاني المصري، علم الدين أبو المحاسن بن المرصص.

توفي- رحمه الله تعالى- بحماه، وقيل: بحلب، وهو الصحيح، سنة ثمان وثلاثين وست مائة.

قال عماد الدين أبو الفتح عمر بن شعبان الحموي:

[٢٢٠٧] دخلت على العلم في مرض موته فوجدته مسروراً، فسألته عن حاله، فقال: أنا اليوم طيب.

فقلت: ما سبب ذلك؟

فقال: تبرمت أمس من طول هذا المرض وشكوت إلى ربي ذلك، ونمت البارحة، فرأيت في منامي قائلاً يقول: ما تستحي تشكو وأنت القائل [من الطويل]:

إذا لم تكن تُنهِي إلى غيرك الشكوى ... فما ثَمَّ إلا الصبرُ فيك على البلوى

وإنّيَ إن أَتْلفتُ بالهجر مهجتي ... لأرضى الذي ترضى وأهوى الذي تَهْوَى

ومات بعد ذلك بثلاثة أيام[١].

تم الكتاب، ولله الحمد والمنة

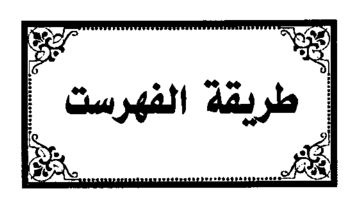
---

(١) «الوافي بالوفيات»: ٢٩/ ٢٥٢- ٢٥٣.



فهرست الفوائد

صناعة فهرست لفوائد كتاب كبير إنما هو عمل شائك، وربط لمتفرق ليعود أشبه بالمتشابك، ولا يخلو هذا العمل – إن شاء الله تعالى – من فائدة للباحثين، وتقريب مادة الكتاب للمطالعين، وأرجو أن يكون هذا الفهرست قد حوى جميع فوائد هذا التهذيب، وأحاط بما صنعه مهذبه من التشذيب، إلا ما كان من نقص لحقه أو سقط أصابه أو أمر نَدّ عنه، وهو نقص لابد منه في عمل البشر، ولا يخلو منه إلا من جَلّ وقهر، سبحانه وتعالى.



طريقة الفهرست

إنه لمن الصعوبة بمكان ترتيب فهرست الفوائد ليبدو متسلسلاً تسلسلاً منطقياً، آخذاً بعضه ببعض، جارياً على نسق مفهوم مترابط، وذلك لتشعبه وطوله، لكني حاولت أمراً، واجتهدت حتى يستقيم هذا الفهرست على طريقة مقبولة، وذلك بعمل التالي:

١. جعلت بداية الفهرست الكلام عن الإيمان بالله تعالى، ثم أردفته بالكلام عن سائر العقيدة، وإنما صنعت هذا لأنه الأصل الذي قامت عليه السموات والأرض.

٢. ثم أردفته بالفوائد المتعلقة بالقرآن العظيم لأنه الأصل الأول للمسلم في شؤونه كلها.

٣. ثم أردفت ذلك بالفوائد المتعلقة بسيدنا رسول الله ﷺ سيرة وحديثاً، لأن حديث رسول الله ﷺ هو الأصل الآخر مع كتاب الله تعالى، ثم أوردت فوائد المعجزات والكرامات لتعلقها بما ها هنا.

٤. ثم أوردت فهرست فوائد العبادات لأنها تجب على المسلم بعد معرفته ربه تعالى

ودينه.

٥. ثم أوردت فهرست فوائد العلم والعلماء والفقه والقضاء لأن كل ذلك مما تمس إليه حاجة المسلم الذي يريد تصحيح عقيدته وعبادته وسلوكه، وضبط علاقته بالآخرين.

٦. ثم أوردت فهرست فوائد حضارة الإسلام لتعلقها بكل ما مضى.

٧. ثم أوردت فهرست فوائد الصفات والأخلاق الحسنة، وما يناقضها من صفات وأخلاق سيئة، ثم الصفات والأخلاق التي تؤخذ بقدر.

٨. ثم أوردت فهرست فوائد مجموعة متعلقة بما سبق تعلقاً أكيداً وهي: الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والوعظ، والدعاء، والدعوة إلى الله تعالى.

٩. ثم أوردت فهرست فوائد بعض العلوم التي يحتاجها طلاب العلم والمشايخ والدعاة والخطباء وأمثالهم وهي علوم التاريخ واللغة، وما يتعلق بذلك كالكتب.

١٠. ثم أوردت فهرست فوائد صحة الجسد والعقل وما يتعلق بذلك من مال وطعام وشراب، وما يستتبع ذلك من نكاح وأولاد، والحقوق المتعلقة بالوالدين والأصحاب.

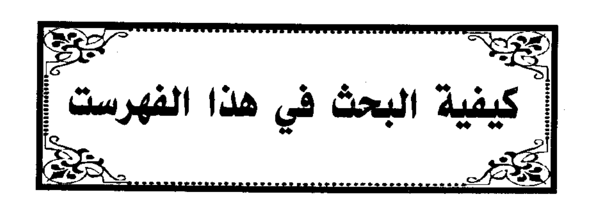
١١.ثم أوردت فهرست فوائد الدنيا وما فيها من صالحين وظالمين، وما فيها من شعوب وقبائل وبلدان ونحو ذلك، وما فيها من فقر وفقراء، وما فيها من عجائب وغرائب، وما فيها من طرائف، وما يلحق بذلك كله من مباحث.

١٢. ثم أوردت فهرست فوائد لما يجري في هذه الدار على المرء من أمور مثل الاعتذار، والجواب للسائلين، وما يصاحب هذا من مباحث.

١٣.ثم أوردت ما لابد للمرء منه من الكبر ثم المرض والموت، ثم المرائي.

١٤.ثم ختمت بمتفرقات عدة.

- هذا الذي استطعته من الترتيب ليكون الفهرست مترابطاً على نحو ما، يأخذ بعضه لحجز بعض، ويسوق بعضه إلى بعض، وهو على كل حال اجتهاد مني ربما رآه غيري مرجوحاً، والله أعلم بالصواب.



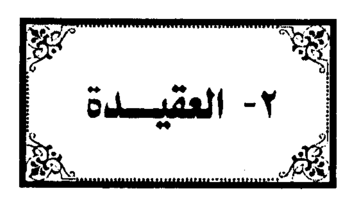
١. جعلت أرقاماً لأكثر ما أوردته في هذا التهذيب، وهذه الأرقام متسلسلة من رقم (١) إلى رقم (٢٢٠٧)، وهذا يعني أن هناك (٢٢٠٧) من الفوائد في هذا التهذيب.

٢. اجتهدت في تقسيم هذه الفوائد على العناوين سابقة الذكر، ولطول هذه الفوائد فإني صنعت فهرست للفهارس، والرجوع إليه ليسهل الوقوع على الفائدة المبتغاة، إن شاء الله تعالى.

٣. فإن أراد الباحث استخراج الفوائد في الصلاة مثلاً، وعَسُر عليه البحث عنها مباشرة في فهرست الفوائد لطوله، فعليه أن يعود إلى فهرست الفهارس، ثم ينظر في فهرست العبادات، وسيحيله الفهرست إلى فوائد الصلاة برقم الصفحة، فإذا وقف على الصفحة وجد فهرست فوائد الصلاة، ووجد بجوار كل فائدة رقماً، وهذا الرقم يكشف عنه في الكتاب مباشرة بسهولة ويسر إن شاء الله تعالى.

- فإن وجد الناظر في هذا الفهرست نقصاً أو خللاً أو خطأ فلينبهني إليه مشكوراً، وليعلم أن هذا جاء على الجادة، أي أنه خرج من معدنه، وجاء على المظنون منه، فإني من جملة البشر أخطئ كما يخطئون، وأسأل الله تعالى العفو عن الخطأ والزلل، وأن يجبر سبحانه النقص والوهن، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

١- الله جل جلاله سبحانه وتعالى



٢- العقيـــدة


الخوارج


الشيعة


الصوفية


الناصبة

الإسماعلية



المعتزلة



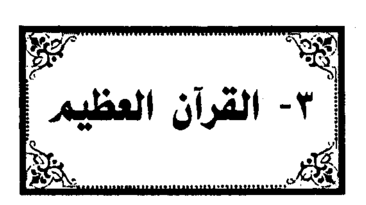
الزندقة


الزَنــــج


اليهـــود

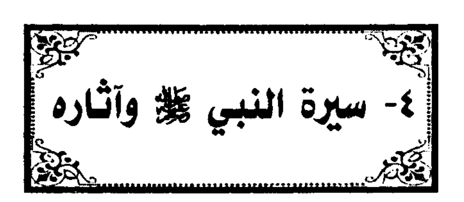

النصارى

- من أسلم منهم فحسن إسلامه: (٧٦٥)، (١٤١٢).
- من رأى منهم النبي ﷺ في المنام فأسلم: (١٠١٤).
- من أسلم وله أحفاد: هل يلحقون به أو بابنه الكافر: (١٩٢٥).
- من كان يداري النصارى: (٥٩٠).



٣- القرآن العظيم

- التبرك بالقرآن العظيم: (٢٣).
- كتاب الله تعالى أحسن قيلاً: (١٨٨٧).
- من جمع بين الإمامة في القرآن والحديث واللغة: (١٠٤).
- المتبحرون في كتاب الله تعالى: (٤٨٧)، (٤٨٨).
- من ختم القرآن في ركعة: (٢١٠٥).
- كثرة ختمه: (٦٦٢)، (١٥٨١)، (٢١٠٧).
- ختم عشرة آلاف ختمة على قبر عالم: (١٦١٦).
- من كان يجمع أهله فيختم معهم: (٧٠٤).
- كثرة قراءته: (١١٦)، (٢٠٧)، (١٧٧٤).
- كثرة إقرائه: (١٤٨٨).
- من ختم بالقراءات وعمره عشر سنوات: (١١٧٤).
- طول مدة التصدر للإقراء: (١٧٨٣).
- إعانة الطلبة على ضبط القراءة: (٢٠٥).


٤- سيرة النبي ﷺ وآثاره


٥- حديث رسول الله ﷺ

- العسر في الرواية: (١٧٠٩).
- الصبر على إقراء الحديث: (٩٧٥).
- من أسمع الحديث رجاء البركة: (١٠٢٣).
- من كان يحدث وهو مسجون: (٧٧١).
- اختبار مدعي علم الحديث: (١٥٨٧).
- حسن استحضار الحديث: (٣٣٣)، (٣٣٩).
- من كان يحدث لغير الله تعالى: (٢٧١).
- من تساهل في رواية المكذوب والموضوع: (١٨١٠).
- الوضاعون الكذابون: (١٧٣).
- كان أهل الجرح والتعديل لا يتكلمون في الخلفاء خوفاً: (١١٣٣).
- من أسمع الحديث من الخلفاء: (١٥٨٢).
- امرأة روت الحديث أكثر من ستين سنة: (١١٧٩).
- زكاة الحديث: (٧٦٠).
- من جمع في الإمامة العلمية بين اللغة والحديث والقرآن: (١٠٤).
- من سمع الحديث من اللغويين: (٤٩٩).



٦- المعجزات والكرامات والشعبذة

- المعجزات: (٦٩٩)،(٧٠٧)،(١٢١٥)،(١٢١٦).
- الكرامات:

(١٧٤)،(١٩١)،(٢٠٦)،(٢٦٣)،(٧٠٩)،(٧٩٢)،(٨٠٣)،(٨٠٤)،(٨٠٨)،(٨١٢)،(٨١٣)
،(٨١٤)،(٨١٥)،(٨٢٥)،(٨٢٨)،(٨٤٧)،(٨٦٤)،(١٠٢١)،(١١٢٧)،(١١٣٨)،(١١٣٩)
،(١١٥٤)،(١٢٣٣)،(١٣٩٦)،(١٣٩٧)،(١٣٩٩)،(١٦٠٢)،(١٧٧٧)،(١٨٧٢).

- الشعبذة: (١٧١٩).



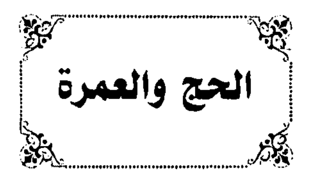
٧- العبادات

- أحوال العباد: (٨٦٣)،(٩٤٧)،(١٠١٥)،(١٣٤٧)،(١٦٣٢)،(١٦٣٥)، (١٦٨٤).
- صور على التعبد: (١٠٧٧)،(١٤٥٢)،(١٤٥٣).
- تجزئة الليل بين العبادة وطلب العلم: (٢٠)،(١٢٧).
- من الخلفاء العباد: (٢٥٨).
- من النساء العابدات: (٧٦١).
- مراعاة حقوق المسلمين أحسن من نوافل العبادات: (١٦٦٣).

الأذان




الصوم


الحج والعمرة

٨- العلم



٩- العلماء

- تجاوز بعض العلماء في قضية الاعتداد بالنفس: (١٠١٠)،(١٠١٢)،(١٧٩٩).

- زلّة العالم عظيمة: (١٥٢٧).

- من كان منهم يسب المخالفين: (٣٤٤)،(٣٤٦).

- كان بعض العلماء فيه حدة: (٣٣٨).

- سوء نية بعض العلماء في طلب العلم: (٢٧١).

- تكالب بعضهم على الدنيا: (١٢٦٢).

- كذب بعضهم في نقله: (١٤٠٨)،(١٤٠٩).

- خطأ العالم لا يبيح التعدي عليه: (١٨٦٦).

- جَلّ من لا يخطئ: (١٨٣٩).

- العلماء الفاسدون: (١٦٩٤)،(١٦٩٥)،(١٦٩٧).

- من جنى على علمه الواسع شهرته في الغناء: (٥٥٦).

- من أنف منهم أن يوصف بالمغني: (٥٥٥)،(٥٥٧).



١٠- الحفظ

- آفة الحفظ النسيان: (١٧٥٥).

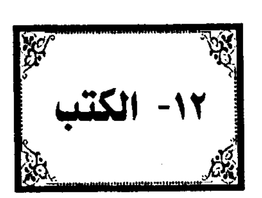
- صور على الحفظ العجيب:

(٢٩١)،(٣٧١)،(٨٢٦)،(٩٨٢)،(٩٨٤)،(١٢٨٤)،(١٢٩٢)،(١٧٤١)،(١٨٦٥)،(٢٠٨٤).

- تناقض عجيب في الحفظ: (١٤٦)،(١٤٧).

١١- الكُتاب والمؤلفون

- سبعة كتاب من سلسلة نسب واحدة كتبوا لسبع خلفاء وأمراء!!: (١٢٦٥).
- من كان يؤلف من غير مراجع بين يديه: (١٧٨٦)،(١٧٨٨).
- من ألّف فخولف فرجع إلى الحق: (١٤٨٧).
- كثرة الكتابة: (٥٢).
- سرعة الكتابة: (٣٧).
- التميز في الكتابة: (٩٤٠).
- حسن الكتابة عن الحاجة: (٢٠٣٦).



١٢- الكتب

- الكتب غالية عند أصحابها: (١٧٧٢).
- العجيب في تأليف بعضهم كتبه: (١٧٩١).
- كثرة التأليف: (٣٤٠)،(١٥٥٨).
- حسن التأليف: (١٥٤).
- مَن أكثر مِن حيازة الكتب: (٤٢)،(٥٥٨)،(١٣٥٨)،(١٦٥٩)،(١٧٢٣).
- كتاب اتهم صاحبه بالكذب فيه: (١٤٠٦).

- المكافأة العظيمة على تأليف كتاب: (٢٠٢٠).
- الخبرة العجيبة بالكتب: (١٣٥٩)،(١٧٨١).
- من وقف كتبه: (٩٣٦).
- وصف عدة كتب:

* تاريخ دمشق: (١٨٠٨).

* العقد الفريد: (٤٤٣)،(٤٤٤).

* نهج البلاغة: (١٨١٦).

* الأغاني: (١٨٢٠).

* العين : (١١١٦)،(١١١٧).

* الحماسة: (٩٦٠).

* تحرير التحبير لابن أبي الإصبع: (١٧٠٧).

* فاضل بن ناطق: (١٧٨٩).

- من غرقت كتبه فعالجها فعمي: (١٢٤٩).
- من احترقت كتبه فأنشد في ذلك شعراً جميلاً: (١٣٦١).



١٣- الفقه

- فقهاء المدينة السبعة: (١١٨٩).
- الفقهاء المتبحرون: (٣٣٢).
- التعصب مذموم: (٣٠٨)،(١٠٩٧)،(١٠٩٨)،(١٤٧٥).
- من فقه أبي حنيفة رحمه الله تعالى:

١٤- القضاء والقضاة

١٥- حضارة الإسلام وعزه

- عز الإسلام: (١٥٨٨).
- من أنواع حضارة الإسلام:

١. المراصد والفلك: (١٨)،(١٩)،(١١٤٩)،(١١٥١)،(١٢٣٨).

٢. الاسطرلاب: (١٧٥٧).

٣. عمل الآلات: (٢٠٣).

٤. ترجمة الكتب القديمة: (٢٢٠١).

٥. تعريب الدواوين: (٢١٥٢).

٦. العناية بأهل الحاجات الخاصة: (٢١٥٤).

٧. الصنائع المختلفة: (٩٤٠).

٨. الطب:

- وصفات طبية: (٨٦٨)،(٨٦٩)،(٢٢٠٣).
- لا يغني الطب عن القدر: (١٨٤٦).
- من عجائب الأطباء:

(٨٧٧)،(٨٨٧)،(٨٨٨)،(٨٨٩)،(١٦٧١)،(١٦٧٢)،(٢١٣٧).

- عملية إزالة الشحوم: (٩٩٣).
- من أطباء العرب والمسلمين:

(٩٤٥)،(٩٩٦)،(١٢٣٧)،(١٥٦٣)،(١٦٤٣)،(١٦٤٤).

- من تعلم الطب على وجه عجيب: (٢١٣٦).

- من عظماء الأطباء: (٧٤٦)،(١٧٨٥)،(٢٠١١).

- مكانة الأطباء: (٥٧٦)،(١٥٦٤)،(١٦٧٠).

- كان لأطباء النصارى دولة:

(٩٤٣)،(١٠٠٨)،(١٢٣٥)،(١٢٣٦)،(١٤٢١)،(٢١٩٩)،(٢٢٠٠).

- خليفة يدعو لطبيب نصراني: (٨٧٨).

- من مات من الأطباء خوفاً من الحاكم: (٩٩٧).

- طبيب كافر يقيم بمكة وله أولاد مسلمون: (١١٣٠).

- نصائح طبيب العرب لكسرى: (٩٤٦).

- قتل الأطباء: (١٤٢٢)،(١٤٢٣).

- الطبيب في بلاء مع الكبراء: (١٢٣٥).

- شعر في العكوف على كتب الطب: (١٢٤٠).

٩- الصيدلة:

- مكافأة صيدلاني ماهر: (١٩٩١).

- من عجائب الصيادلة: (١٩٩١).

- صور على التداوي ومعرفة الداء والدواء:

(١١٥٢)،(١٤١٦)،(١٤١٧)،(١٤١٨)،(١٤١٩)،(١٤٢٠)،(١٤٦١)،(١٤٦٢).

- الأعشاب ومعرفتها: (١١٥٢)،(١٤٦٠)،(١٤٦١).

١٠- الرياضيات: (٩٨٠).

١٦- الصفات والأخلاق الحسنة

- لا ينبغي نسيان تطهير الباطن إذا حسن الظاهر: (١٥٢٠).
- جملة من الأخلاق الحسنة: (١٦٤٠)،(٢٠٤٠).
- من كان سيء الخلق في نفسه فيكتم ذلك ولا يضر به أحداً، وهذا نوع من حسن الخلق: (١٦٥٤).
- الأخلاق الحسنة ربما تحصل بالتخلق: (١١٩٧).
- صاحب الخلق الحسن يسود الناس: (٥٨٥).
- أحسن الخلق خلقاً هو رسول الله ﷺ : (٦٩٨).



الإحسان

- الإنسان عبد الإحسان:

(٨١٨)،(٩٧٦)،(٩٧٨)،(١١٩٥)،(١٤٤٢)،(١٤٩٩)،(١٩٨٧)،(٢٠٠٩).

- المكافأة على الإحسان: (٥١٩)،(١٥٣٥).
- شعر في الإحسان: (٤٠١).
- تعجيل الإحسان مطلوب: (٥٩٦).
- إحسان يعقبه توبة: (٢١٢٥).


الإخلاص


الأخوة


الأدب


الاستشارة



الاعتذار

- صور على الاعتذار: (١٧٥٣)،(١٧٥٤). (انظر فهرست الاعتذار)



الأمل

- فائدة الأمل: (١٥١٠).
- الأمل باقٍ مهما طال عمر المرء: (٢٠٧٤)،(١٦٤٥).
- الأمل إن لم يقم على قرائن يصبح خيالاً: (٢١٩٥).



الإنصاف

- الإنصاف دال على كرم النفس: (١٥٤٥).
- صور على الإنصاف:

(١٥٩)،(١٦٣)،(١٦٤)،(٣٠٠)،(٤١٣)،(٦٢٦)،(١٠٠٤)،(١٣٣٨)،(١٨٠٠)،(١٨١٩).

الإنفاق

- الصدقة تدفع البلاء: (١٤١٣).
- صور على الإنفاق في سبيل الله: (٩٥٥)،(١٠٣٦)،(١٨٧٤).



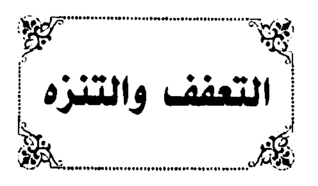
- شعر لطيف في الإيثار: (١٩٣٧).



- شعر في التحرز: (١٤٣٥).



- صورة على التضحية: (١٦٠٥).


التعفف والتنزه


التقوى

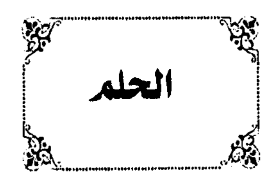

التواضع


التوبة

الثبات







- الحلم في موضعه حسن: (١١٩٦)،(١٤٢٩).
- صور على الحلم: (١٧)،(١٠٣٣)،(١٢٨٣)،(١٥٩٨)،(٢٠٣٨).
- شعر في الحلم: (١٣٥٣).



- الحياء حِلْية: (١٥٥١).
- صورة عجيبة على الحياء من الله تعالى: (٥٧٤).



- صورة على الخشوع: (١٦٣٢).



- صورة على الخوف من الله تعالى: (٦٥٨)،(١١٤٠)،(٢١٢٣).
- شعر في الخوف: (٦٥٧)،(١٩٨٩).



الذكاء

- صور على الذكاء:

(٣٨)،(١٥٦)،(٣٠٦)،(٣٠٧)،(٣٧١)،(٣٧٢)،(٣٧٤)،(٤٥٣)،(٦١٢)،(٦١٩)،(٦٢٠)، (٧٢٤)،(٧٢٥)،(٧٢٦)،(٧٢٧)،(٧٢٨)،(٧٢٩)،(١١٠٧)،(١١١٠)،(١١١٣)،(١٢٥٦)، (١٥٨٣)،(١٦٤٢)،(١٧٨٠)،(١٨٠٤)،(١٨٨٩)،(٢١٢٠)،(٢١٢١)،(٢١٢٢).



الرحمة

- الرحمة بالحيوان: (١٩٣٢).



الرضى

- الرضا معرفةٌ بالله: (١٥٤٠).
- صور على الرضا: (٤٤٩)،(٧٥٩)،(١٢٧٥).



الرقة

- صورة على الرقة: (٦٥٧).

الرياسة

- من تمام الرياسة: (١٧٣٤).
- السعي في رفع القدر: (١٩٢٩).



- الزاهد الحقيقي: (١٥١٧).
- الزهد راحة: (١٥٤٤).
- صور على الزهد: (٤٤)،(٥٠)،(٣٣٦)،(٤٩٥)،(١٦٠١)،(١٨٧٢).
- أشعار في الزهد: (٨)،(٤٨)،(٢٦٠).

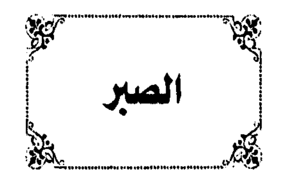


- من تمام السيادة: (١٧٣٤).
- صورة على السيادة: (٢٤).
- شعر في السيادة: (٩٩٠).


الشجاعة


الشفاعة


الشكر

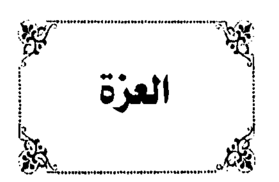

الصبر



- صورة على طيب النفس: (١٩٩٨).



- صورة على العدل: (٨٥٠).



- شعر في العزة والترفع عن الذل: (٢٦٢)،(٣١٠)،(٥٣٦)،(٥٦٤)،(١٨٦٧).

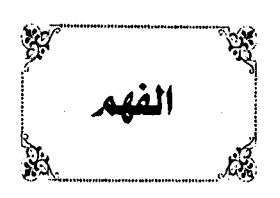


- صورة على العفاف: (١٦٢٦).



- أدب العفو: (١٥١٩).

- صور على العفو: (٦١١)،(١٣٠٢)،(١٥٨٤)،(١٥٨٦).



- صور على الفهم الحسن: (١٠٨٧)،(١٦٧٩).



- المعروف قيد: (١٧٠٤).
- صورة على قضاء الحوائج: (٦٩)،(٧٢)،(١٢٨)،(٥٩٥)،(١٩٣٣)،(١٩٣٤).



- صورة على القناعة: (١٥٦٧).



- أعظم الجود: (١٥٣٠).
- عاقبة الكرم حسنة: (١٠٨١).
- من حبس لكرمه: (١٠٧٩).
- شعر في طلب الكرم: (١٩٤٧).

- المعاتبة في الكرم: (١٤٧٢)،(١٤٧٧).
- الكرم الزائد خير من البخل: (١٥٢١).
- أجواد العرب: (١٤٧١).
- صور على الكرم إذا صار سرفاً: (٨٧)،(٥٦١).
- صور على الكرم:

(٥٢٢)،(٥٨٦)،(١٠٠٦)،(١٠٣٨)،(١٥٧٦)،(١٩٥٥)،(١٩٥٦)،(١٩٥٧)،(١٩٥٩)،(٢٠٠٤)، (٢٠٠٩).

- من تعلم الكرم من حال غيره: (٦٠٧)،(٩٥٦).
- الكرم يستر العيوب: (١)،(٤١٧)،(٥١٥).
- عدم استطاعة إكرام الضيف أمر صعب: (٩٨٩).
- شعر في دواعي الكرم: (٨٨)،(٤٣٩)،(٤٤٠).

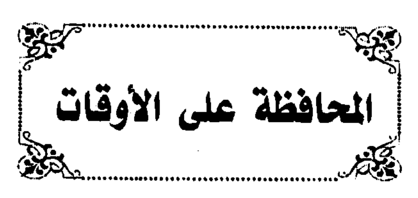


- صورة على اللباقة: (١٤٨)،(٩٠٧)،(١٢٧٧).

(وانظر فهرست الأجوبة العجيبة ففيه المزيد)



- صورة على المحاسبة المحافظة على الأوقات: (١٢٧٤).



المحافظة على الأوقات

- شعر في المحافظة على الوقت: (٨٧٣).



المداراة

- المداراة مهمة: (٥١٥).
- صورة على المدارة: (١٢٧٧).



المروءة

- من تعلم المروءة من حال غيره: (٦٠٧).
- صور على المروءة:

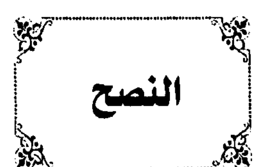
(٢٢٨)،(٣٠٢)،(٣٠٣)،(٤١٧)،(٤١٨)،(٤١٩)،(٤٣٣)،(٤٦٤)،(٥١٤)،(٥١٨)،(٥٨٥)، (٥٨٦)،(٦٠٩)،(٦١٨)،(٧٥٨)،(٨٠١)،(١٠٠٥)،(١٠٠٦)،(١٠٣٣)،(١٠٣٦)،(١٤٩٩)، (١٥٠٠)،(١٧٣١)،(١٧٣٢)،(١٧٣٣)،(١٧٤٣)،(١٧٧٣)،(٢٠١١)،(٢٠١٢)،(٢٠١٧)، (٢٠٣٧)،(٢٠٦٤)،(٢١٠٦)،(٢١٢٥).

- صور على المروءة العجيبة جداً:

(١٢٦٧)،(١٢٩٦)،(١٤٣٨)،(٢٠٠٩)،(٢٠٥٢) إلى آخر القصة.



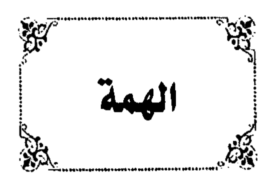
- صور على المواساة: (١٢٥٥)،(١٧٤٦)،(١٩٣١)،(١٩٧٤).
- شعر في المواساة: (٨٥٢).



- أدب النصح: (١٥٠٨).
- صورة على النصح: (٣١)،(١٩٩٩).



- صورة على النصرة: (١٩٤١).



- صور على الهمة العالية: (٣٥٦)،(٣٩٩)،(١٦٠٥)،(١٧١٢).
- شعر في الهمة: (٤٧٤)،(٦٢٨)،(١٩٤٨).

الوفاء

- الوفاء بالوعد صفة الكريم: (١٥٤٨).
- الوفاء بالوعد مسرة: (٢٠٠٣).
- شعر في الوفاء: (١٩٨٢).
- صور على الوفاء العجيب: (٣٢٤)،(١٤٤٩)،(١٦١٣).



- صور على الورع:
- (٦٢)،(١٢٩)،(٦٥٣)،(٧٦٢)،(٧٦٣)،(٧٧٨)،(١٠٨٦)،(١٠٩٤).



- عدم ضبط اللسان مهلك: (٢٨٨).
- مجموعة صفات سيئة يجب أن يتقيها المسلم: (١٢٧٨)،(١٥٢٩).
- صور على سوء الخلق: (١٦٠٣)،(١٧٢٤)،(١٧٢٥)،(١٨٠٣).
- السوء متوقع من أهله: (١٤٥٠).


الاستهزاء


إفشاء السر


إيذاء الناس


البخل



- صورة على التحريض: (١٩٣٠).



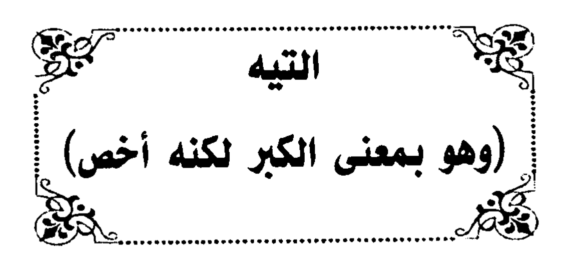
- الترف مقعد: (١٨٤١).



- صور على التعصب: (١٠٨)،(١٩٧)،(٣٠٨).



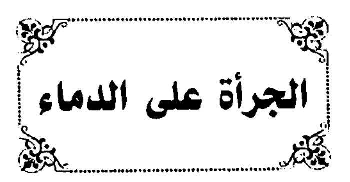
- شعر في التلون: (٥٥٢).



التيه
(وهو بمعنى الكبر لكنه أخص)

- صور على التيه:

(١٩٥٠)،(١٩٥١)،(١٩٥٢)،(١٩٥٣)،(١٩٥٤)،(١٩٥٥)،(١٩٥٦)،(١٩٥٧)،(١٩٥٨)، (١٩٥٩).



الجرأة على الدماء

- صورة على الجرأة على الدماء: (١٠٨٦).



الجهل

- صور على الجهل: (١٤٣١).
- شعر في الجهل: (١١١٥).



حب الشهرة

- الاشتهار صعب: (٩٠٤)،(١٢٤٦).
- الخوف من الرياء والشهرة: (٧٥٣).



الحسد

- قد يكون الإحسان علاجاً للحسد: (١١٩٥).

- صور على الحسد:

(١٤٨)،(٤١٨)،(٦٨٩)،(٦٩٣)،(٩٣٧)،(١٣١٦)،(١٦٥٧)،(١٩١٠)،(٢٠٧٠)،(٢٠٨٨).

- حسد الأقران: (١٧١٠).

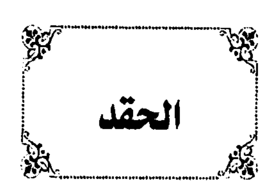
- عقوبة الحسد: (١٥١١).

- شعر في الحسد: (١٠٥).



الحرص

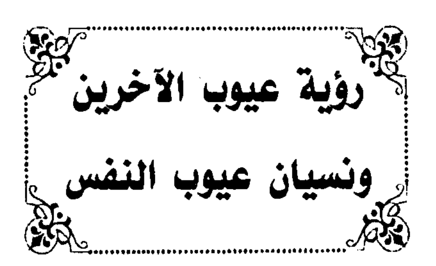
- الحرص الشديد على المال عيب: (٧٧٤).



الحقد

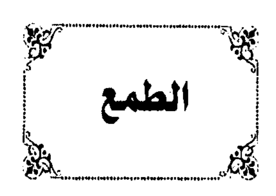
- صور على الحقد: (٥٨٣)،(٨٠٩)،(٨٢٠)،(١٥٧٦).


ذرابة اللسان


رؤية عيوب الآخرين
ونسيان عيوب النفس


الرياء


الشراهة



الطمع

- صور على الطمع: (٦٦٤)، (٦٦٥)، (٦٦٦)، (٦٧٠)، (٦٧٩).
- شعر في الطمع: (٧٧٧).



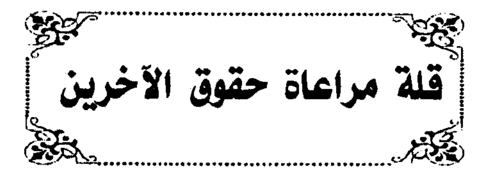
العجب

- العجب آفة في العقل: (١٥٤٢).
- صورة على العجب: (١٧٤٢).



العناد

- صورة على العناد: (١١٩٩).



قلة مراعاة حقوق الآخرين

- صورة عليها: (١٦٠٦).

قلة المروءة

- صور على قلة المروءة:

(٢٥٥)،(٢٥٦)،(٨١٠)،(٨٣٣)،(١٠٠٥)،(١٠٣٣)،(١٠٣٥)،(١٩٢٩).

(وانظر فهرست الصفات الحسنة: المروءة).



- صورة على الكبر: (١٢٠٨).
- هل يكذب المتكبر: (٩٨٦).
- شعر في الكبر: (٤٥٠).



- فُشُوُّ الكذب: (٢١٩٧).
- علامة الكذاب: (١٥١٣).
- من لم يكذب قط: (٧١٣).
- هل يكذب المتكبر: (٩٨٦).



اللجاجة

- شعر في اللجاجة: (١٤٣٣).



اللعن

- من لم يلعن شيئاً قط: (٧١١).



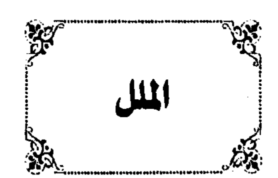
المداهنة

- شعر في المداهنة: (١٠٥٥).
- صورة على المداهنة: (١٢٧٧).



المراء

- من لم يمار أحداً قط: (٧١٣).



الملل

- صورة على الملل: (٣٠).

النفاق (وهو العملي لا الاعتقادي)



النميمة



الهجاء

- أشعار في الهجو:

(١٤٣)،(١٤٤)،(٢٨٥)،(٣٢٨)،(٤٠٦)،(٤٠٧)،(٤٢٢)،(٤٣٥)،(٤٤٨)،(٥٠٥)،(٥١٦)، (٥٨١)،(٨٧٠)،(٩٦٣)،(١٢٠٤)،(١٢١٨)،(١٢٢٠)،(١٢٦٢)،(١٢٦٣)،(١٢٦٦)،(١٦٦٠)، (١٦٧٣)،(١٧٩٢)،(١٩٤٩).

- عقاب الهجو: (٤٨٣)،(٧٤٩)،(٨٩٥).

- الهجو المؤلم: (٦٢٥)،(٢٠٥٠).

- منام في عاقبة الهجاء: (٤٨٥).

- هجاء عقب مدح: (٧٤٩).

- من تورع عن كتابة الهجاء: (١٩٠٧).



- صورة على الوسوسة: (١٢٥).



- قبول الوشاية قبيح: (١٥٥٢).

- من كان يخاف من الوشاية ويطلب من الخليفة عدم تصديق الواشين: (١٧٥٠).

- ولم ينفع ذلك: (١٧٥٢).

- صور على الوشاية:

(١٩٨)،(٢٦١)،(٣٩٠)،(٤٦٤)،(٤٦٦)،(٥٤٣)،(١٠٥٧)،(١٦٥٧)،(١٨٩١)،(١٨٩٣)، (١٩٧١).

١٨- صفات وأخلاق تؤخذ بقدر



الإقدام

- مواضع الإقدام: (١٥٥٠).
- عدم انتهاز الفرصة غصة: (١١٩٩).
- شعر في ضعف الإقدام: (٢٠٧١).



الأنفة

- صور على الأنفة: (٤٤٢)،(١٤٨٢)،(١٤٨٥)،(٢٠٥٩).



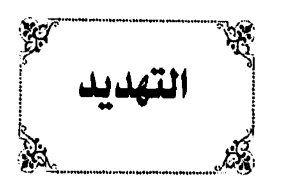
التعيير

- التعيير بعدم الوفاء: (١٥٧٩).



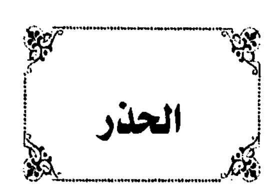
التنزه والترفع

- صور على التنزه: (١٠٣٤)،(١٨٢٢).


التهديد


الثناء


الحدة


الحذر



الدهاء



الرحمة



العتاب



العزلة



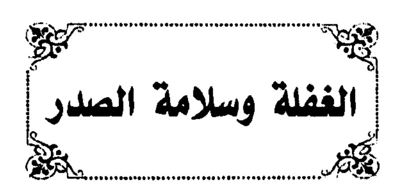
الغضب

- غضب العاقل وغضب الجاهل: (١٥٤٦).

- حال الغاضب: (١٥٣٣).

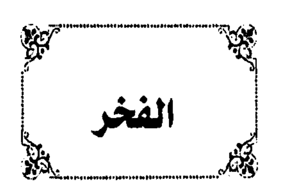
- صور على الغضب: (٣٧٣)،(٨٠٩)،(١٤٥٦)،(١٨٨٢).

- شعر في مداراة الغاضب: (٢٠٧٩).



الغفلة وسلامة الصدر

- صور على الغفلة وسلامة الصدر: (١٤٦٧)،(١٤٦٨)،(١٧٠٨)،(١٧٦٧).



الفخر

- صور على الفخر:

(٦٢٢)،(١٠١٠)،(١٠١١)،(١٠١٢)،(١٠٨٨)،(١٣١١)،(١٣٣٧)،(١٥٧٨)،(١٧٩٧).

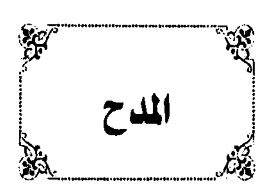
- شعر في الفخر: (٢٠٠)،(٤٠٢)،(٤٧٥)،(٥٣٣)،(٦٥٥)،(٦٨٨)،(٩٥٠)،(٢٠٣٥).



قلة الكلام

- قلة الكلام علامة على تمام العقل غالباً: (١٥٠٩).

- الفرح بعدم النطق بالخطأ: (١٥١٤).
- صور على قلة الكلام: (١٢٩٤)،(٢١١٨).
- شعر في قلة الكلام: (١٢٩٥).



المدح

- مَن مُدح فلم يفهم: (١٣٧٦).
- مَن مدح مدحاً عجيباً كثيراً: (٦١٥)،(١٠٢٧).
- مَن مُدح مدحاً هائلاً فأثاب ثواباً هزيلاً: (١١٤٨).
- العطاء العظيم على المدح: (١٠٨٠)،(١٣٠٦)،(١٦٣٠)،(١٩١٧)،(٢٠٠٨).
- الصلة تحرك المداح: (٢٠٠٦).
- التلون في المدح: (١٥٧١)،(١٦٢٣).
- مدح مضحك: (١٣٧٣).
- أشعار في المدح:

(٣٤)،(٩٠)،(٩٦)،(١٥٠)،(١٥٨)،(١٦١)،(١٩٨)،(٤٢٥)،(٤٢٦)،(٤٣٦)،(٤٤٦)،(٤٥٥)،(٤٥٨)،(٤٧٧)،(٥٨٤)،(٦٣١)،(٦٣٢)،(٦٤٨)،(٦٦٣)،(٧٨٥)،(٧٨٦)،(٧٨٧)،(٧٨٨)،(٧٨٩)،(٩٠٠)،(٩٦٥)،(٩٦٦)،(٩٩٨)،(١٠٠٧)،(١٢٦٠)،(١٣٠٧)،(١٤١٠)،(١٤٦٦)،(١٤٧٨)،(١٥٧٠)،(١٩٨٨)،(١٩٩٨)،(٢٠٠٧)،(٢٠٤٩)،(٢١٢٧)،(٢١٢٨)،(٢١٢٩)،(٢١٣٠)،(٢١٣١).

- شعر في المدح الرائع (وفي بعض ما سبق هناك مدح رائع أيضاً):

(١٨٤٧)،(١٩١٥)،(١٩١٦)،(١٩٧٩)،(٢٠٤٨).

- شعر في المدح المصحوب بالدعاء: (١٨٢٧).

- مَن غضب مِن مدح الشاعر غيرَه فلم يسمع منه: (١٩٨٧).

- مدح بشعر مع نثر: (١٨٣٦).

- أبيات مدح فيها تعدٍ: (١٨٥٥).

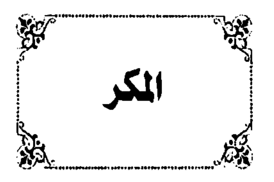
- من أصلح خطأ لغوياً بشعر فيه مدح جليل: (٢٠٤٧).



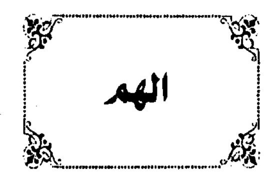
- المزاح غير المقبول: (٤١٢).

- عاقبة المزاح الزائد: (١٥٣٢).

- كثرة المزاح منقصة: (١٢٤٤).



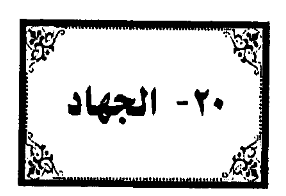
- الإسلام مانع من المكر السيء: (٢٠٣٣).



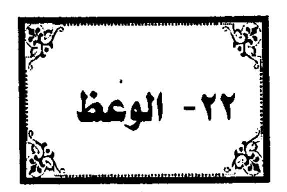
- الهم سجن الروح: (١٥١٥).



- أهمية الدعاء: (٩٧٢).


٢٠- الجهاد

٢١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر



٢٢- الوعظ



- صور على الدعوة إلى الله تعالى:
- (٨٨٠)،(٨٨١)،(٨٨٢)،(٨٨٤)،(١٠٤٧)،(١٠٩٥)،(١٣٤٩).



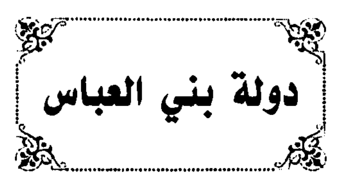
- أهمية التاريخ وفضله:
- انظر مقدمة المهذب ومقدمة المصنف ففيها فوائد جمة + الفصل الرابع منها.
- كيفية التأريخ عند العرب: مقدمة المصنف: الفصل الأول.
- تواريخ الأمم الأخرى: مقدمة المصنف: الفصل الأول.
- كيفية ترتيب المصنفات التاريخية: مقدمة المصنف: الفصل الثالث.
- آداب المؤرخ: مقدمة المصنف: الفصل الخامس.
- قد لا يستطيع المؤرخ قول الحقيقة كاملة: (١١٣٣).



- من حججهم الباطلة: (٨٩٠).
- فضل الصديق ﷺ حيث قمعهم: (٩٢٢).

دولة بني أمية

- حب بني أمية: (١٢٠٥).
- خلافة مروان لا تصح: (١٧٠٢).
- بداية التوريث في الحكم: (١٢٧٧).
- خلافة الوليد بن عبدالملك كانت جيدة في الجملة: (٢١٥٤)،(٢١٥٥).
- مقارنة بينهم وبين بني العباس: (٨٠٠).
- إسراف بني العباس في قتل بني أمية: (١٢١٠).
- الفرح بزوال دولتهم: (١١٣٤).
- محاسبة عمال الحجاج: (٢١٦٩).
- عزل عمال الحجاج ولو كانوا أمناء كفاة: (٢١٧٠)،(٢١٧١).

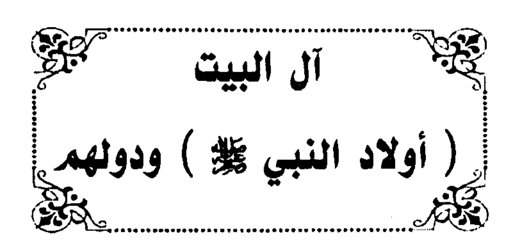


دولة بني العباس

- كان بنو العباس يعلمون أن الأمر سيؤول إليهم: (١٨٦٢).
- الخلفاء العباسيون الأقوياء: (٣١٢)،(٣١٧)،(٩٢٤).
- القتال بين الأمين والمأمون: (١٣٠١).
- سابقة تاريخية في تولية المأمون العهد للرضا، وإنما أداه إلى ذلك تشيعه:

(١٥٨٦)،(١٥٩٠)،(١٩١١)،(١٩١٤)،(١٩٢١).

- أمان عجيب كتبه ابن المقفع لعبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس وكان ذلك سبباً في قتله: (١٥٧٦).


آل البيت
(أولاد النبي ﷺ) ودولهم

العبيديون (الفاطميون)

- حالهم في افريقية: (٨٢١).
- هم تسببوا ببعض تصرفاتهم الخرقاء في فتح الطريق للصليبيين: (١٣٦٤).



السلاجقة

- سعة ملكهم: (٢٠٩٤).



الأيوبيون

- بداية سعد صلاح الدين كانت بإشارة القاضي الفاضل:

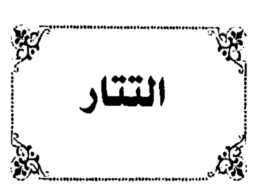
(١٦٥٨)،وانظر(١٦٦٨)،(١٦٦٩).

- صلاح الدين يستصرخ سلطان الموحدين فيمتنع لعذر بارد: (٢١٧٩).
- توران شاه: (٨٦٥)،(٨٦٦).



المماليك

- سلاطين وولاة المماليك الصالحون: (٨٤٤).
- سلاطين المماليك المجاهدون: (١١٢٠).



التتار



الصليبيون



المرابطون



الموحدون

- من تاريخهم: (٢١٨٧)،(٢١٨٨)،(٢١٨٩).
- ترك الملك والتزهد: (٢١٩٣).



الفتن وقلب الأنظمة

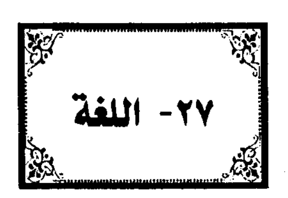
- محاولات قلب الأنظمة: (٩٩)،(١٩٤٣)،(١٩٤٤)،(٢٠٩٣)،(٢١٩٠).
- ثوار اتخذوا من أحاديث آخر الزمان تُكَأة: (١٦٧٧).
- إفساد حال الولاة بالتحريض عليهم بالشعر: (٢١٩٨).
- من كان مبتعداً عن الفتن: (٧٠٨)،(٧٣٣)،(١٠٨٩).



٢٥- الخلفاء والحكام والولاة

- قوة المُلك في الالتزام بالدين: (١٥٤١).
- من حكم خمسين عاماً: (١٦٤١).
- طول حياة بعض الخلفاء وطول مدة ولايته: (٢٥٩)،(٢٧٠)،(٢٧٢).
- من عامل رعيته بالعدل والرأفة والخلق الحسن: (١٤٤٦).
- الولاة العاملون العادلون: (١٩٩٩)،(٢٠٠٠)،(٢٠٠١).
- الولاة الصالحون: (١٥٥٣).


٢٦- الوزراء



٢٧- اللغة

- جواب الطلب: (١٠٥٦).

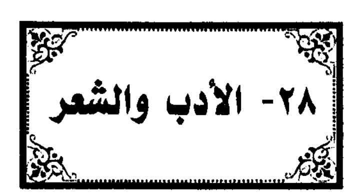
- سقوط الياء من قوله تعالى: ﴿يَسْرِ﴾ من آية ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾: (١٢٥٤).

- براعة الاستهلال في خطبة ابن نُباتة في رثاء النبي ﷺ: (١٧٤٥).

- همز الذئب من قوله تعالى: ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ : (١٨٣٣).

- مسائل لغوية متنوعة:

(٢٥٢)،(٥٠٢)،(٥٠٩)،(٧٧٥)،(٧٧٦)،(٧٨٠)،(٧٨١)،(٩٨٤)،(١١٧٧)،(١٤٢٧)،(١٨٣٤).



٢٨- الأدب والشعر

- محفزات الشعر: (٥٤١).

- سعة حفظ اللغة والشعر: (٢٥٤)،(٢٨٢)،(٢٩١)،(٣٧٤).

- شاعر معتز بشعره: (١٣١٣).

- اصطفاء شاعر وإبقاؤه مدة طويلة جداً بعيداً عن أهله رغبة فيه وحرصاً عليه: (١٩٨٠)،(١٩٨١).

- من رُزق بديهة عجيبة في قرض الشعر: (٢١٣)،(٢٨٤).

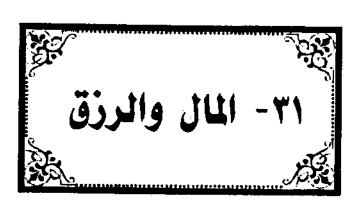
- من كان يمكث طويلاً قبل أن يلقي شعره: (٤٥٧).

- مفاضلة بين الشعراء، وبين الأدباء، وبين الأدباء والشعراء:

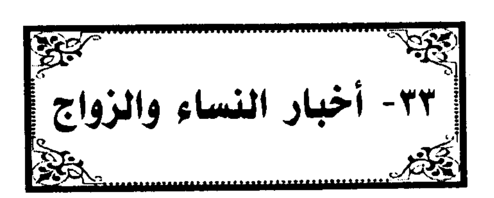
(٢٨٦)،(٢٩٨)،(٢٩٩)،(٣٠٥)،(٣٧٤)،(٩٦١)،(١١٥٨)،(٢١٦٢)،(٢١٦٣).

- أشعر بيت قالته العرب: (٧٤٠).

- بيت أعظم من مائة ألف قصيدة: (٦١٦).


٣١- المال والرزق


٣٢- الطعام والشراب

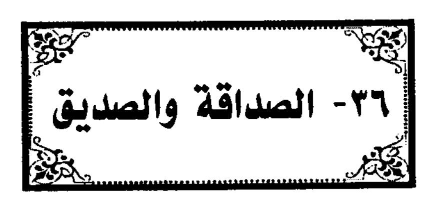


٣٣- أخبار النساء والزواج



٣٤- الوالدان والأولاد


٣٥- الأهل


٣٦- الصداقة والصديق

- العين المحبة عن كل عيب كليلة: (١١٤٥).



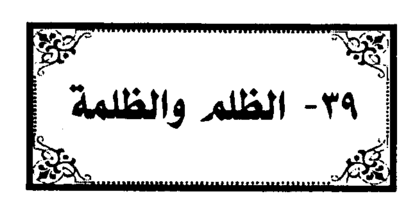
٣٧- الدنيا

- شعر في حال الدنيا: (١٦٥)،(١٦٦)،(٤٤٥).
- الدنيا زائلة: (٦٩٥)،(١١٨٣)،(١٩٦٤).
- إقبالها شغل وإدبارها حسرة: (١٠٩)،(١١٠)،(١١١)،(١٨٧٠).
- من معاني الإقبال والإدبار: (٩٠٦).
- هي كثيرة الآفات والشرور: (٤٠٠)،(٩٤٩).
- محنها: (٤٠٨)،(٤٠٩)،(١٨٧٥)،(٢١٧٤).
- تقلبها بأهلها:

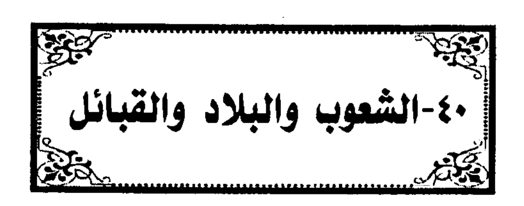
(٢٣٩)،(٢٤٠)،(٢٨٨)،(٢٩٠)،(٣٢٤)،(٤٣١)،(٤٣٣)،(٤٤٥)،(٥٨٢)،(٥٨٣)،(٧٤١)، (٧٤٥)،(١١٣٦)،(١٢٣٠)،(١٤٠٢)،(١٤٩٢)،(١٦٢٤)،(١٧٠٦)،(١٩٤٦)،(١٩٩٢)، (٢٠٧٣)،(٢٠٧٧).

- من تمنى الدنيا: (١٣١٢)،(١٤٦٣).
- من حرص على الدنيا: (١٩٦٢)،(١٩٦٣).
- من يعش طويلاً يمل: (٢٠٦٦).
- من اعتزل حين رأى الشيب: (٧١٨).
- من تمنى طول الحياة فيها: (١١٧٨).
- زاد طويل العمر: (١٥١٢).
- الدنيا يعيش فيها كل أحد: (١٢٢٣).


٣٨- الصالحون

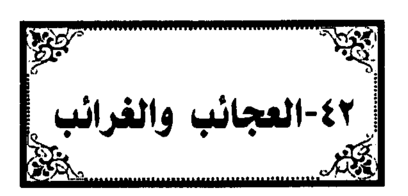


٣٩- الظلم والظلمة

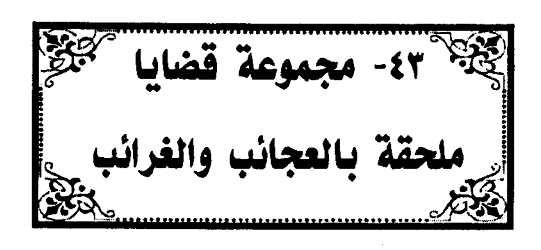


٤٠-الشعوب والبلاد والقبائل


٤١- الفقر والفقراء


٤٢-العجائب والغرائب

(١٦٩٩)،(١٧٣٠)،(١٧٥٧)،(١٧٦٨)،(١٧٦٩)،(١٧٧٩)،(١٧٨٠)،(١٧٨١)،(١٧٨٢)، (١٨٠٢)،(١٨٣٩)،(١٩٦٧)،(٢٠٥٥)،(٢٠٩١)،(٢٠٩٩)،(٢١٤٢).



- الهواتف: (٦٥٩)،(١٠٩٣).
- التنجيم: (١١١٤).
- تكذيب المنجم: (٢٠٢٧).
- القيافة: (٥٩٤).
- الفراسة: (١٦٧٩).
- الحظ والسعد: (٢٠٥٢).
- العين والحسد:

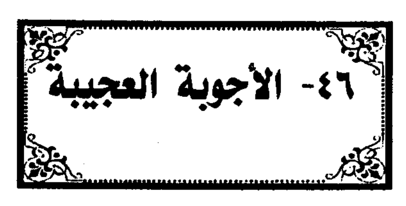
العين حق: (٨٧)،(١١٩٣).

- الطيرة: (١٨٤٢)،(١٨٤٣).



(٢)،(٧)،(٤٥)،(٥٦)،(٥٨)،(٦٠)،(٦٥)،(٦٦)،(٧٢)،(٧٩)،(٩١)،(١١٥)،(١٣٢)،(١٤٣)، (١٤٦)،(١٧٦)،(١٧٧)،(١٧٨)،(١٧٩)،(١٨٠)،(١٨١)،(١٨٣)،(١٨٤)،(١٩٤)،(١٩٦) ،(٢٠٩)،(٢١٣)،(٢٤٦)،(٢٤٧)،(٢٥١)،(٢٧٥)،(٣٠٧)،(٣٣٠)،(٣٩٥)،(٤٣٠)،(٥٠٢)


٤٥- الاعتذار



٤٦- الأجوبة العجيبة

- ماهي أحسن الأجوبة: (١٨٢).
- الأجوبة المسكتة:

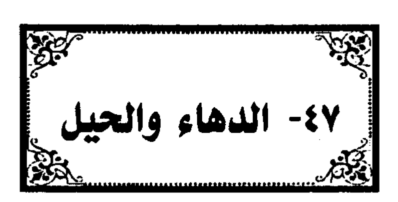
(٤٣٤)،(٦٥٥)،(٦٦٧)،(٩٦٤)،(٩٦٦)،(١٠٨٥)،(١٣١٧)،(١٣٣٧)،(١٤٠٥)،(١٤٩٧)، (١٩٧٨).

- من لطائف الأجوبة:

(٩٧)،(١٧٦)،(٩٨٧)،(١٣٨٨)،(١٣٨٩)،(١٤٣٩)،(١٤٩٧)،(٢٠٢٢).

- حسن التخلص:

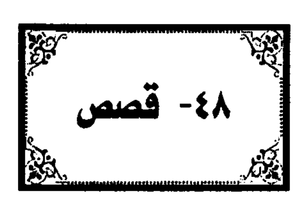
(٨٥٤)،(٨٧٢)،(٩٠٧)،(٩٧٧)،(١٠١٨)،(١١٦٨)،(١٣٠٢)،(١٣١٥)،(١٣٧٠)،(٢٠٣١).



٤٧- الدهاء والحيل

- صور على الدهاء والحيل:

(١٥)،(١٦)،(١٤٨)،(١٥٦)،(٢٤٢)،(٢٦١)،(٣١٧)،(٣٤٥)،(٣٩٦)،(٤٢١)،(٤٢٨)، (٤٢٩)،(٤٦٩)،(٥٨٠)،(٦٧٩)،(٧٤٣)،(٩٣٩)،(٩٥٤)،(٩٦٢)،(١٢٨٥)،(١٣٠٤)، (١٣٣٤)،(١٥٥٦)،(١٥٥٧)،(١٥٥٩)،(١٦١٣)،(٢٠٢٨).

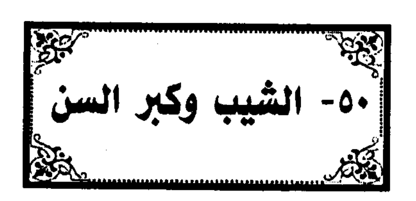


٤٨- قصص

- قصة لطيفة في التخويف بالدميم: (٤٠٥).



٤٩- الغناء والمغنون



٥٠- الشيب وكبر السن



٥١- المرض



٥٢- الموت

- حسن الظن بالله عند الموت واجب: (١٥٧)،(٢١١).
- حسن الخاتمة: (٢٥٣)،(٦٩٣)،(٦٩٤)،(١٠٢٤)،(١٥٦١).
- سوء الخاتمة: (٦٤٩).
- من اختل عقله قبل الموت: (١٨٩٨).
- موت الفجأة: (١٥٤٧).
- أقوال وأفعال عند الاحتضار أو القتل:

(٥٧٣)،(٥٧٩)،(٩٧٣)،(١٠٨١)،(١٥٦٩)،(١٧٣٧).

- من عجائب توقع الموت: (١٧٦٩)،(١٩٣٩)،(١٩٦٧).
- شعر في توقع الموت: (١٨٤٥).
- شعر في التوجع عند الموت: (٦٤٠).
- القتل الصعب: (١٦٩٦)،(١٦٩٨)،(١٧٧٥).
- الصلب:

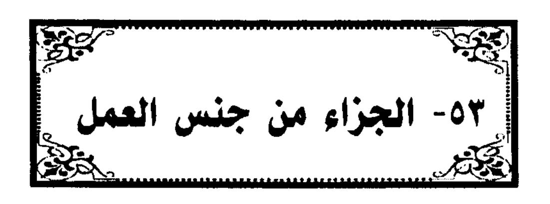
أحسن القصائد في المصلوب: (٣).

شعر في المصلوب: (١٩٤٥).

- القصاص (وهو محزن): (٢١٣٩).
- التعزية: (٥٩١)،(١٧٤٨)،(١٨٧٩).
- رثاء:

(١٩٩)،(٢٠٢)،(٤٠٤)،(٤٢٣)،(٥٠٦)،(٥٢٤)،(٥٢٥)،(٥٣٧)،(٦٨٥)،(٨٥٨)،(٨٥٩)، (٩٤٨)،(٩٦٧)،(٩٦٨)،(١٠٢٦)،(١١٤٣)،(١١٦٣)،(١١٧٦)،(١٣٣٣)،(١٥٧٣)،(١٦٢٢)، (١٦٢٨)،(١٦٣٨)،(١٨٠٦)،(وهو رثاء جميل)،(١٨٤٠)،(١٨٩٧)،(١٩٠٩)، (وهو رثاء رائع)، (٢٠١٥)،(٢٠٤٢)، (وهو رثاء رائع)، (٢١٤١).

متفرقات في الموت :



٥٣- الجزاء من جنس العمل

- كل بني آدم خطاء: (١٨٥٧).
- مثلما تدين تدان:

(٩٥٧)،(٩٥٨)،(٩٥٩)،(١٠٢٤)،(١٠٢٥)،(١٠٣١)،(١٠٣٢)،(١٠٩٧)،(١٠٩٨)،(١٠٩٩)، (١١٢١)،(١١٢٢)، (١١٢٣)،(١١٢٤)،(١٢١٠)،(١٢١١).

- الحسنة بعشر أمثالها: (٧٧٨).
- من ترك شيئاً لله عوضه الله تعالى خيراً منه: (٧٧٨).
- الجزاء من جنس العمل: (٤١٠).



٥٤- الرؤى

- المعبر الجيد: (٣٦٢).
- الذكاء العجيب في تعبير الرؤى: (٣٦٣)،(٣٦٤)،(٣٦٥)،(٣٦٦)،(٣٦٧).
- صور على التعبير: (١٠٥٠)،(١٠٥١).
- رؤى عجيبة: (٦٠٥)،(١٦٧٥)،(١٧٧٩)،(٢١٣٣).
- من أعاجيب نسيان الرؤى: (١٢٤٨).
- رؤى فيها توجيه:

(٥١)،(٦٩)،(٨٦)،(١١٨)،(٢٣٣)،(٢٣٦)،(٢٣٧)،(٢٦٣)،(٣١٤)،(٣٢١)،(٣٢٥)،(٤٥١)

،(٤٨٥)،(٤٨٨)،(٥٠٧)،(٦٤٤)،(٦٨٠)،(٩٤٤)،(١٢٨٧)،(١٣٩٥)،(١٣٩٨)،(١٤٠٣)
،(١٤٦٩)،(١٥٦٥)،(١٥٩٥)،(١٥٩٦)،(١٦٣٤)،(٢١١٥)،(٢١٣٢)،(٢١٧٤)،(٢١٧٧)
،(٢٢٠٧).

- رؤى متنوعة:

(١٣)،(٢١)،(٥٥)،(١٩٢)،(٢٢٦)،(٢٢٩)،(٣٥٨)،(٣٦١)،(٣٦٣)،(٤٢٧)،(٤٥٦)،(٤٨٨)
،(٥٥٩)،(٥٦٦)،(٥٩٣)،(٧٣١)،(٧٥٦)،(٧٥٧)،(٧٦٦)،(٨٦٧)،(٨٩٨)،(٩٢٦)،(٩٢٧)
،(٩٧٥)،(١٠١٣)،(١٠١٤)،(١٠١٩)،(١٠٤٤)،(١٠٩٦)،(١١١٢)،(١١٢٨)،(١١٣٢)
،(١١٣٥)،(١٢٢٢)،(١٢٩٩)،(١٤٣٧)،(١٦١٩)،(١٦٣٣)،(١٦٣٧)،(١٦٧٦)،(١٩٠٨)
،(١٩٢٤).



- شعر في الحنين إلى دار السرور: (٣٣).
- من أجمل الرجال: (١١٣٧).
- فضل السفر: (١٧٩٥).
- من أسباب السعادة: (١٦٦١).
- محاولات الطيران المبكرة: (٥٩٨).
- من لزم شيئاً عُرف به: (١٧١٨).
- الصوت الجهوري جداً: (١٨٦٣)،(١٨٦٤).
- شعر في الزلزلة: (٥٢٦).
- مقاييس الجاهلية ذهب أكثرها في الإسلام: (١٤٤٤).

فهرست التراجم



فهرست الفهارس